

الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية



تأليف الشيخ
يوسف خطار محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الملك الجليل ، الذي أرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بواضح البرهان والحجة والدليل ، وأذل لوطأته أهل الشرك والإلحاد والأباطيل .

وبعد:

فإن الأمة الإسلامية في هذا الوقت تعيش في صراع مؤلم بين مؤيد ومنكر، وبين من يقول هذه سنة وهذه بدعة، وبهذا الصراع تركنا المهمة الأساسية ألا وهي أن يكون المسلمون صفا واحدا كما قال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»⁽¹¹⁾.

وبهذا الصراع يتجلى في عدة مسائل لا غير ، وكأن المكتبة الإسلامية لا تحوي إلا هذه المسائل ففكرت أن أحسم هذا الأمر بشكل تام وذلك بأنني جئت بالأدلة من الكتاب والسنة حتى لا ينكر علي أحد وأقطع دابر هذا الأمر نهائيا.

وبعد ذلك نهتم بأمور المسلمين ونكون قلبا واحدا كما أراد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإن جئت بأقوال العلماء والعارفين فإنما أتيت بها على سبيل الاستئناس .

وأطلب من الله سبحانه وتعالى أن يجمعنا على كلمة التقوى وأن لا نكون العوبة في يد أعداء الإسلام فهناك أمور كثيرة يجب محاربتها فلماذا نترك هذه الأمور الواضحة كوضوح الشم في رابعة النهار ونحارب الذاكرين المحبين لله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم !!!؟

اللهم ردنا إلى ديننا ردا جميلا وبصرنا بالحقائق ونور قلوبنا وأبصارنا واجعلنا محبين للحق والحقيقة. والحمد لله رب العالمين.

⁽¹¹⁾ أخرجه البخاري (6011)، ومسلم (6529) واللفظ له ، وأحمد (268/4) والحميدي (919) والبيهقي (353/3) والبعوي (3459) والقضاعي (1367) والطيالسي (790) وابن حبان (233) .

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد اطلعت على (باب العقيدة) من كتاب الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية فوجدته كتابا مفيدا جدا وهو كتاب يوضح أفكار وآراء أهل التصوف الحقيقيين الذي أعمالهم توافق أهل السنة والجماعة.

الشيخ أديب الكلاس

السبت 3 جمادى الأولى عم 1420 هـ

الموافق لـ 1999/8/14 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه الغر الميامين.

وبعد: لقد اطلعت على كتاب الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية فوجدته كتابا مليئا بالعلم

وغيره جدا بالأدلة الصريحة من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم.

وهذا الكتاب: لا يستغني عنه طالب علم بيتغي الحق والصواب ولقد سررت جدا بهذا الكتاب لأنه قد

جمع المواضيع التي تثار حولها الشكوك والأوهام.

وبتوفيق الله عز وجل لهذا المؤلف أرى أنه قد وفق لإزالتها بشكل مقنع وصریح لكل من أراد طريق

الحق والصواب.

ولقد بين المؤلف في هذا الكتاب عقيدة أهل التصوف المبينة على الكتاب والسنة . وهذا هو الحق الذي

لا يزيغ عنه إلا هالك.

وفي نهاية الكلمة لا يسعني إلا أن أقول:

اعتزل ذكر الأغاني والعزل	وقل الفصل وجانب من هزل
باكتساب العلم إرغام العدى	وجمال العلم إصلاح العمل

ثم أقول:

لا تقل قد ذهبت أربابه	كل من سار على الدرب وصل
-----------------------	-------------------------

الشيخ عبدالرحمن الشاغوري

السبت 3/جمادى الأولى 1420هـ

1999/8/14

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه

وبعد:

فقد أطلعني الأستاذ الفاضل الشيخ يوسف خطار محمد على كتابه القيم الذي أسماه (الموسوعة اليوسفية) فألفيته كتابا جمع فيه مؤلفه (جزاه الله خير الجزاء) مباحث قيمة طال فيها الأخذ والرد بل والشغب أحيانا للتمويه على الحق وتعتيمه وإلقاء بذور الحيرة والشك في نفوس الأبرياء الذين ينشدون الحق لتطمئن إليه قلوبهم.

ومن خلال الذي اطلعت عليه وسمح ظرفي في الإطلاع عليه وضح لي أن المؤلف بذل جهدا مشكورا وواصل البحث لتجلية كل موضوع طرقة على ضوء من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة وأفهام العلماء سلفا وخلفا عازيا للمصادر التي نقل منها ما يريد بأمانة ودقة كشأن العلماء الأمناء الذي يحشون الله ويراقبونه في أعمالهم وأقوالهم.

والآن فقد أصبح بين يدي القارئ مصباح منيرا ومرجعا مصانا بعيدا عن التهريج وساحة التضليل والتمويه لا تعبت به الرياح الهوج ولا يخاف حامله من مزلق الطريق فهو على بصيرة من أمره وشريعة ربه.

فله الحمد والمنة أن جعل هذا الدين محفوفًا بالعناية له حراسة وعدوله الذين يذوبون عن حماه «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله» .

وأخيرا لا يسعني إلا الداء للمؤلف على ما بذل من جهد مشكور وعلى نيته الطيبة وهدفه السامي في جمع شمل الأمة ووحدتها صفها وإعزاز كلمتها حتى تكون كالجسد الواحد والبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا﴾

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه الفقير إلى الله مصطفى عبدالرزاق تركماني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
ومن تبعهم إلى يوم الدين وبعد:

فلقد أهداني الأستاذ يوسف خطار محمد كتابه المسمى الموسوعة اليوسفية فتصفحته وقرأت عناوين
المواضيع التي شرحها فوجدت ذا الكتاب حجة واضحة لكل منصف وبرهانا لكل محقق يريد الحق
وكلما قرأت فيه كلما ازددت رغبة بأن أقرأ أكثر فأكثر ولقد جمع فيه ما لم يجمع بكتاب فيما يختص في هذا
الباب.

ولعمر الله إنه لكتاب لا يستغني عنه طاب علم فأسأل الله تعالى أن يمد هذا المؤلف بمدد من عنده وأن
يجزيه خير الجزاء على هذا الجهد الذي قدمه كما أنني أهنته على هذا التوفيق والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصالحات والحمد لله رب العالمين .

حماة. حلفايا الأحد 22 ربيع الأول سنة 1420 هجري

1999/7/4 .هـ

الفقير إلى الله تعالى

حسين بن الشيخ موسى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:
فلقد أهداني الشيخ يوسف خطار محمد كتابه المسمى الموسوعة اليوسفية فلما تفحته وقرأت بعض
المواضيع فيه فإذا هو كتاب لا يستغني عنه طالب علم لما حوى من حجج واضحة وأقوال صائبة
وعقيدة أهل السنة والجماعة فجزاه الله خير الجزاء وبارك الله فيه وأجزى إليه المثوبة والحمد لله رب
العالمين.

العبد الفقير إلى الله تعالى

محمد بن الشيخ موسى

تدمر في 14/11/1419هـ

1999/3/1

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي أمتن علينا بهذا الدين المبين وجعل العلماء ورثة للنبين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد النبي الأمين الذي ورثه من كل خلف عدوله ينفون عن شريعته تحريق الغالين وانتحال المبطلين وتأمويل الجاهلين .
وبعد:

لما اطلعت على هذا الكتاب المسمى (الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية) لمؤلفه الشيخ يوسف خار محمد وجدته كتابا مفيدا جمع فيه ما تفرق في كتب العلماء من معلومات نافعة حول التصوف ومسائله ورجاله وأجاب فيه بأسلوب حسن ميسر وتفصيل كاف وحجة وافية عن كثير من التساؤلات والشبهات التي أثيرت حول هذه القضية مستندا في كلامه إلى الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال العلماء الأعلام وذلك غيرة منه على الحق وأهله وقيامه بواجب النصيحة للمسلمين .

إن ما ذكره المؤلف من الإشادة بفضل التصوف الذي هو عبارة عن مقام الإحسان المصرح به في حديث جبريل عليه السلام وأن رجاله هم بقية السلف الصالح علماء الأمة وأكابر الأئمة وأن طريقهم أصوب الطرق وأخرقهم أركى الأخلاق ذلك مما أجمع عليه العلماء الراسخون من أهل السنة والجماعة قديما وحديثا وهو ما وجدنا عليه مشايخنا الكرام حماة هذا الدين وأئمة الإسلام رحمهم الله أجمعين .
فنسأل الله تعالى أن ينفع به وبمؤلفه المسلمين ويردهم إلى دينهم ردا جميلا وأن يوفقنا جميعا لمحبة نبيه الكريم والافتداء بسنته النسية وأن يشرحنا تحت لوائه يوم الدين .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أجمعين والحمد لله رب العالمين .

الشيخ ياسين الخطيب .

تدمر في 14/11/1419هـ

1999/3/1 .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبي الهدى سيدنا محمد وعلى آله وصحابه ومن سار بسيره واهتدى بهديه.

أما بعد: ففي غمرة غزارة الكتب التي تقذف بها المطابع كل يوم كثيرا ما نشاهد بينها ما يثير أسباب الاختلاف بين المسلمين وهؤلاء الذين يثيرون هذه الفتن يقدمونها باسم الغيرة على الإسلام ومحاوله تنقيته من الشوائب تحت عناوين جذابة وأسماء يتقدمها الحرب (أ). هذا الحرف المغربي فيؤخذ بهذا كثير من البسطاء سليمي الصدر بما زينوه بعبارات الإغراء والإغواء يونظلي عليهم ما قد جاؤوا به فيغدون فريسة لهذا الزيف من الكلام المزخرف لأنهم لا يميزون بي الحق والباطل وكثيرا ما يؤيد هؤلاء يفهم بإثارة العواطف حول مواضيع حساسة فينجذب البسطاء نحو فخاخ هؤلاء المزورين بما جاؤوا به من دقيق الكلام الذي يحمل في ثناياه التحريف والإضلال.

والذي سهل الوقوع في هذه الفخاخ هو عدم تمييز أكثر الناس الحق عن الباطل لبعدهم عن لعلماء الصالحين المعروفين بورعهم ونزاهتهم.

فلما ابتعد هؤلاء عن العلماء زلت أقدامهم في مهاوي الضلال من حيث لا يشعرون ولو أننا ارتسمنا هدي رسل الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كنا لنتردى في هذه المهاوي السحيقة التي تندق فيها الأعناق وتقصم الظهورها هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول «اغد عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتعلمك فالرابع ليس أحاد هؤلاء ولذلك فهو إلى الغواية أقرب ويقول أمير المؤمنين سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه ورضي عنه: اعرف الحق تعرف أهله.

ولا تتسنى لنا معرفة الحق إلا إذا غدونا أحد هذه الأصناف التي أتينا على ذكرها ثم إن هذه الكتب شاعت وانتشرت ولا رقابة عليها من أمر بالمعروف أو ناه عن المنكر.

وذلك يعود إلى أن القائم بها لا يجد وزرا يحتمي به إزاء المخالفين أما والأمر كذلك فعلى المؤمن أن يكون حذرا لئلا تسري اليه عدوى هذه الضلالات فلا يبتعد عن العلماء والأتقياء الذين أجمع الناس

على علمهم وورعهم ليتلقى عنهم ما يحصن به إيمانه ويحفظ به عقيدته ويشجعه على البر والعمل الصالح.

هب أن لدينا مريضا ألسنا سنبحث له عن طيب حاذق مشهود له بالكفاءة وأنا إن نرد اتخاذ باب ألسنا سنسأل عن أحذق النجارين؟ إلخ.

أفليس ديننا أعز علينا من هذه الأمور فهو الذي سنلقى عليه ربنا.

إذن فغلبت عنه عند المكملين علما وورعا وقد ورد في الحديث الشريف ﴿سل عن أمور دينك ولو قيل لك إنك مجنون﴾ أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

أن هذه المسائل التي أوردها الموفق الشيخ يوسف خطار في الموسوعة اليوسفية مسائل مهمة جدا دار حولها نقاش حاد ولا يزال النقاش قائما وقد أثار حولها المغرضون غبار الخلاف⁽²¹⁾ (وهي أمور خاضعة للاجتهاد ومما هو معروف في آداب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن القائم بهذا الشأن ينبغي أن ينهى عن المنكرات المجمع على أنها كذلك ولا ينصرف عنها إلى النهي عما اختلف فيه المسلمون من المسائل الاجتهادية التي لا يكلف المجتهدون فيها باكثر من الوقوف عند ما قضت به أجتهااتهم وفهمهم.

إذا الإمعان في النهي عن هذه المسائل لا يمكن أن ينتهي إلا إلى إثارة أسباب الشقاق وتصديع وحدة المسلمين وبث عوامل البغضاء فيما بينهم وإن في حياتنا ومن حولنا من المنكرات الشنيعة والمفاسد الخطيرة التي لا خلاف في مدى جسامتها وسوء أثارها ما يكفي لأن نمضي العمر كله في معالجتها والسعي إلى جمع الكلمة وتوحيد الصف للقضاء عليها فلماذا نتشاغل عن هذا الذي أجمعت الأمة على أنه من المنكر الذي لا عذر لأحد في السكوت عليه ثم نشغل بالانتصار لاجتهاداتنا الشخصية وحاربة ما يقابلها ويكافؤها من الاجتهادات الأخرى)⁽³²⁾.

ثم إن مشكلة هؤلاء أن الذي يقودهم فيما يأخذون ويذرون إنما هو العصبية العمياء لأفكارهم ومن ثم فلا جدوى في مناقشتهم فيما لا يعتدقونه ولو جئت تبحث في الواقع فلسوف تجد أن القائلين بهذه

(12) بين هذه المسائل أمور مرفوضة قطعاً وهي الحلول والاتحاد ووحدة الوجود وتحريف لفظ الجلالة (الله) أثناء الذكر.

(23) من كلام الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي نقلاً عن مجلة العربي الكويتية بتصرف يسير، العدد (280) آذار مارس 1982.

الأمر أكثر عدداً وأغزر علماً وأكثر تقوى من الدين ينكرونها فلا يعقل أن يترك رأي ألف مثلاً ويؤخذ
برأي واحد فيها هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا تجتمع أمتي على ضلالة ويقول
عليكم بالسواد الأعظم» أو كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.
هذا وقد أحسن الاختيار الشيخ يوسف خطار إذ ناقش هذه الأمور المهمة ودافع عن الحق وقد جمع
فأوعى وأتى بأدلة قوية من ردود العلماء وأقوالهم فأثابه الله ثواب المقبولين وزاده توفيقاً في مساعيه
الهادفة في خدمة العقيدة والدين وإنني أهيب بمن يغار على عقيدته ليحصنها أن يقرأ هذا الكتاب ففيه
الدواء للشبهات التي أثارها أهل الوى والزيغ فإنه الكتاب الذي جمع الشبهات ورد عليها مجتمعة فكل
الصيد في جوف الغرى كما قيل والله الموفق وهو يهدي السبيل.

القامشلي في: 28/ صفر 1420 هـ

12 حزيران 1999 ة

كتبه

عدنان بن الشيخ إبراهيم حقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه وبعد:
فقد تفضل الله علي بالنظر في كتاب الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية فوجده قد وفي المقصود
وبلغ المأمون في بيان الحقائق المطلوبة والطرائق المكلمة التي وجعت إليها سهام الانتقاد وفساد الاعتقاد
جماعات تدعي التمسك بالكتاب والسنة فينبى المؤلف جزاه الله عنا وعن الإسلام خيرا أن كل عمل من
أعمال السادة الصوفية مبني على الكتاب والسنة.

لا يجيد عنهما قيد شعرة وهم الذين وفقهم الله تعالى لتطبيق أحكام الكتاب والسنة وفق مراد الله لأن الله
تبارك وتعالى منحهم فهما صحيحا وتفسيرا سديدا لفهم كلامه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله
وسلم فكانوا هداة مهديين راشدين مرشدين في كل بعقة من بقاع الأرض كالمطر الوابل أحيا الله بهم
القلوب وطهر النفوس وحسن الأخلاق وقوم السلوك فنسأله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب من أراد
الوصول إلى الحق والصواب.

خادم العلم الشريف بحمص

محمد سعيد الكحيل

خطيب مسجد سيدنا خلد بن الوليد رضي الله عنه

خمس - الجمعة في 2 جمادى الأولى عام 1420 هـ

الموافق لـ 12/8/1999 هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثناء من الشيخ أحمد نصيب المحاميد

لقد أثنى الشيخ أحمد نصيب المحاميد (حفظه الله تعالى وأطال في عمره) على كتاب الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية حيث قال:

الكتاب لا يحتاج إلى مقدمات لعلو قدر وجلي بيانه لما فيه من الأدلة الواضحة التي عزاه المؤلف إلى الكتاب والسنة وأقال العلماء المعتمدين ويكفي لمن قرأه ولو مر واحدة أن يرى الحقائق ساطعة أمامه لا يزيغ عنها أبدا.

وهذا الكتاب: لا يستغني عنه طالب علم يريد الحق والصواب وجزى الله المؤلف خير الجزاء لما فيه نفع العباد.

والحمد لله رب العالمين

السبت 3/ جمادى الأولى 1420هـ

الموافق 14/8/1999.هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي دفع الشبه والشكوك باكف التنزيه بالعلم والتمكين وكشف لنا من النصوص خفيات المعاني وأوقفنا على المراد من تلك المباني وجعل الأداء على ذوي الإخلاص دائمة مستمرة وبشائر رضاه متجددة على أوليائه بإعطائهم أسرار العلم ودره فأضحت قلوبهم وأرواحهم بمدده مشرقة الأوضح متهللة الأسرة فسبحان من اطلع أنجمهم بأفق التقريب مرة بعد مرة وجعلهم يكشفون ويزيلون حجب الأغيار وشكوكهم عن بصيرهم حتى يروا النور الساطع فينظرون به حتى يصلوا إلى رضا الله عز وجل وقربه.

ونحمد الله تعالى أن جبل سجايانا في مقام الإحسان والمبرة وسخرنا لنشر عقيدة الإسلام الصحيحة والذب عنها بحجج وبراهين دامغة ساطعة ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي أسمى سبحانه على الخلائق قدره وتولى في المضايق نصره وأعلى في المشارق والمغرب ذكره.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين وقدوة كاملة للمتقين وأسوة حسنة للصالحين داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا فهو القدوة للعلماء العاملين والمرشدين المرين وكل من أراد الوصول لرضا رب العالمين.

ورضى الله عن آله وأصحابه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد وفقني الله عز وجل ومن علي بإصدار كتاب (الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية) الطبعة الأولى.

وكان الهدف منه تصحيح الأفكار وإزالة الشبه والشكوك من الأذهان وجمع المسلمين كما أراد سيد بني عدنان عليه السلام.

وقد لقي الكتاب بحمد الله عز وجل وفضله وكرمه قبولا وترحيبا واستحسانا عند كثير من العلماء المخلصين الصادقين والباحثين المنصفين والمرشدين المرين الذين أعربوا عن آثار وأسرار هذا الكتاب

في توضيحه أفكار أهل الصوف للأذهان خصوصا وقد تعرض لحمولات عنيفة وافتراءات مغرضة
ودسائس باطلة على الرغم من أن ظهور الحق واضح جدا وذلك:

(أن هذه الحملات جاءت متأخرة ولم تكن بزمن أهل التصوف فلم يثبت ولو مر واحدة أن شخصا ما
اعترض على الشيخ أحمد الرفاعي أو الشيخ عبدالقادر الجيلاني أو غيرهم من العارفين والصالحين مثل
هذه الاعتراضات التي في زماننا فالقاعدة الأساسية متينة جدا لأنها مبنية على الكتاب والسنة).

ورحم الله الإمام الرواس حيث قال:

وإذا الجبال تحولت عن أرضها	عن شاننا في الله لا نتحول
----------------------------	---------------------------

وقد وردني الرسائل العديدة والرجاءات الملحة بإعادة طبعة تعميما للنفع وتتميما للفائدة فنزولا عند
رغبة هؤلاء الصادقين عمدت لطبعة مرة ثانية وأسأل المولى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به
المسلمين والحمد لله رب العالمين.

يوسف خطار محمد

الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية

الجزء الأول

10- القيام	1- التصوف
11- الذكر الجهري	2- التوسل
12- الذكر بالاسم المفرد (الله)	3- المدد
13- الدف	4- المولد
14- السبحة	5- التبرك
15- الإنشاد والسماع	6- الحضرة
16- وصول ثواب القرآن	7- الحركة بالذكر
17- زيارة القبور	8- تقبيل اليد
	9- السيادة

التصوف

اشتقاق اسم التصوف

إن الإسلام الحقيقي هو اتباع لما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الله سبحانه وتعالى والإيمان به مع الإذعان وقد نقلت إلينا تعاليم الإسلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق صحابته الذين أخذوا عنه الشريعة وكذلك أخذها عنهم الذين تبعوهم وسموا باسم التابعين وهم الذين صحبوا من صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد نقلت عنهم الوراثة النبوية العلمية فأخذ عنهم تعابو التابعين ودنوا الشريعة وتفرد بها العلماء فمنهم من تخصص بالحديث النبوي الشريف وأصبح من الحفاظ، وكذلك تفرد أناس بعلوم الآلة (النحو والصرف والبلاغة). وتفرد بعضهم بعلم التفسير وتفرد بعضهم بعلم الفقه، وتفرد بعضهم بعلم التربية السلوك والعمل، وقد دوت العلوم المنقولة وسميت بأسماء ومصطلحات: فسمي من اشتغل بالحديث الشريف (محدثا) ومن اشتغل بالنحو (نحويا)، ومن اشتغل بالتفسير (مفسرا)، ومن اشتغل بالفقه (فقيها)، ومن اشتغل بالتربية والسلوك في طريق الله (صوفيا).

كل هذه الأسماء لم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما هي إلا مصطلحات لأسماء العلوم الشرعية التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكل من تسمى بواحد من هذه الأسماء وغيرها لا يخرج عن تسميته مسلما، وليس كل اسم أو وصف لم يأت في القرآن الكريم أو السنة الشريفة يحرم التسمي به بل جائز شرعا فقد سمي الله سبحانه وتعالى المسلمين بأسماء عديدة (السابقين، المقربين، الصادقين، الشهداء، الصالحين، الأولين، الآخرين، المختبين..) فكل اسم ذكر له اشتقاق.

فالشهداء (من الاستشهاد في سبيل الله) والمخبتين (من التواضع) والصادقين (من الصدق في أعمالهم وأقوالهم وسرائرهم مع الله) وكذلك في مجال المهن في جميع الأزمنة والعصور (كالمهندس والطبيب والحداد والنجار.. الخ) وكل واحد منهم سمي بذلك نسبة لعمله وكذلك نسبة إلى القبائل والأوطان مثل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام (القرشي المكي) وسيدنا أبي ذر (الغفاري المكي) وسيدنا بلال (الحبشي) وسيدنا سلمان (الفارسي) وسيدنا صهيب (الرومي) وكذلك فإن اسم التصوف قد كثرت فيه الأقاويل فمنهم من قال: (من الصفاء) حتى قال أبو الفتح البستي رحمه الله تعالى:

وتنه البعض مشتقا من الصوف	تنازع الناس في الصوفي واختلفوا
صفا فصوفي حتى سمي الصوفي ⁽¹¹¹⁾	ولست أمنح هذا الاسم غير فتى

ومنهم من قال: إن التصوف نسبة إلى لبس الصوف الخشن، لأن الصوفية كانوا يؤثرون لبسه للتكشف والاختشيان، وهو شعارهم.

* قال سيدنا الإمام الكبير أحمد الرفاعي قدس الله سره:

(قيل لهذه الطائفة الصوفية) واختلف الناس في سبب التسمية وسببها غريب لا يعرفه الكثير من الفقهاء وهو أن رجلا من جماعة من مضر يقال لهم بنو الصوفة هو الغوث ابن مر بن أدبن طابخة الربيط كانت أمه لا يعيش لها ولد فنذرت إن عاش لها ولد لتربطن برأسه صوفه وتجعله ربيط الكعبة وقد كانوا يجيزون الحاج إلى أن من الله بظهور الإسلام فأسلموا وكانوا عباد ونقل عن بعضهم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن صحبهم مي بالصوفي وكذلك من صحب من صحبهم أو تعبد ولبس الصوف مثلهم ينسبونه إليهم فيقال صوفي⁽¹²²⁾.

وقيل (من الصف): لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع همهم إليه وإقبالهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه.

(111) إيقاظ الهمم في شرح الحكم العطائية للعلامة ابن عجيبة: 60.

(122) البرهان المؤيد ص 63.

ومنهم من قال (من الصفة) لأن صاحبه تابع لأهلها فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال تعالى ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم﴾⁽³¹⁾ وهذا يستقيم معنى لا اشتقاقاً وأهل الصفة هم الرعيل الأول من رجال التصوف فقد كانت حياتهم التعبدية الخالصة المثل الأعلى الذي اتهدفه رجال التصوف في العصور الإسلامية المتتابعة. ومنهم من قال: من الصوفاً لأن الصوفي مع الله تعالى كالصوفاً المطروحة لاستسلامه لله تعالى .

ومنهم من قال : من الصفة إذ جملته اتصاف بالمحاسن وترك الأوصاف المذمومة ⁽⁴²⁾ وقيل: (من الصفوفاً) يعني أنهم صفوة الله من خلقه.

وقيل: كان هذا الاسم في الأصل صفوي واستثقل ذلك وجعل صوفياً ومنهم من قال: لفظ كلمة التصوف أربعة أحرف: التاء والصاد والواو والفاء . فالتاء: من التوبة ، والصاد: من الصفاء ، والواو من الولاية ، والفاء: من الفناء .

ومنهم من قال: إن مشتق من (صوفاً) وذلك أن قوماً كانوا في الجاهلية يقال لهم صوفاً انقطعوا إلى الله تعالى وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم من الناس سموا بالصوفية .

وقال الإمام القشيري رحمه الله : ليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والأظهر أنه كاللقب يعتبر اسم الصوفي اسماً جامداً أو لقباً أطلق على هذه الطائفة يميزها عن غيرها.

وذكر المستشرق نيكلسون⁽⁵³⁾ نقلاً عن المستشرق (نولدكه): منكر أن تكون الكلمة راجعة إلى أصل يوناني أو بوذي أو غيره.. لا يوجد دليل إيجابي يرجع افتراض أن الكلمة⁽⁶⁴⁾ مشتقة من الأصل اليوناني (سوفوس) في حين أن نسبتها إلى الصوف يؤيدها نصوص من أقوال الكتاب المسلمين أنفسهم... ثم ذكر (نولدكه) طائفة من الأدلة على كلامه وأنهم كانوا يلبسون الصوف وخصوصاً منهم الزهاد.

(13) سورة الكهف آية 28.

(24) إيقاظ المهمل ص 6.

(35) كتابه (في التصوف الإسلامي وتاريخه ص 67).

(46) أي كلمة التصوف التي مر ذكرها و﴿﴾ فيها للعهد الذكري.

التصوف ومنشؤه

* قال الدكتور حسن إبراهيم حسن: ومن المسائل التي شغلت أفكار المسلمين في ذلك العصر (التصوف) وذلك أن كثيرا من المسلمين الذين اشتهروا بالورع والتقوى لم يجدوا في علم الكلام ما يقنع نفوسهم المولعة بحب الله سبحانه وتعالى فرأوا أن يتقربوا اليه عن طريق الزهد والتشقق وفناء الذات في حبه تعالى ومن ثم سموا (بالتصوفين)⁽⁷¹⁾.

وأول من تسمى بالصوفي هو أبو هاشم الذي ولد في الكوفة وأمضى سواد حياته في الشام وتوفي في سنة 150 / هـ⁽⁸²⁾.

وغن أول من حدد نظريات التصوف وشرحها هو ذو النون المصري (245هـ) تلميذ الإمام مالك والذي شرحها وبوبها ونشرها هو الجنيد البغدادي المتوفى سنة (334هـ)⁽⁹³⁾.

ومنهم من قال: التصوف مشتق من الصوف، وقد كان يلبسه بعض العباد والزهاد الذين لا يميلون إلى الترف، وقد وهم في ذلك أهل الصفة الذين قال الله فيهم ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾⁽¹⁰⁴⁾.

وأثر عن سيدنا الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال: لقد أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف. والتصوف: لقب اصطلح الناس عليه والمراد به الشخص المسلم المتمسك بالكتاب والسنة، ومن عرف بالتصوف في الصدر الأول الإسلامي سيدنا أبو ذر الغفاري رضي الله عنه وأنه أمة وحده يعيش وحده ويموت وحده كما أبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم ومنهم سيدنا حذيفة بن اليمان وسيدنا سلمان الفارسي فقد كان يأكل من عمل يده (كان ينسج الخوص ويبيعه) ثم جاء من بعدهم الحسن البصري الذي كان يغط الناس ويرشدهم وقد ربي رجالا منهم مالك بن دينار ثم جاء بعد ذلك إبراهيم بن آدم ثم الإمام الجنيد والقشيري ثم ذو النون المصري المتوفى سنة (245هـ) والتصوف

⁽¹⁷⁾ تاريخ الإسلام 220/3.

⁽¹⁸⁾ ذكره حاجي خليفة في كشف النون عن أسماء الكتب والفنون.

⁽¹⁹⁾ من كنوز الإسلام (94).

⁽¹⁰⁾ سورة الكهف الآية (28).

من حيث ذاته عقيدة وخلق وجهاد ودعوة ودعائمه الإسلام والإيمان والإحسان بما فيه المراقبة والمشاهدة ومتابعة (القرآن والسنة) وأهدافه التخلي عن كل رذيلة والتحلي بكل فضيلة والسلوك الملتزم بطاعة الله ورسوله وجهاد النفس وإصلاح الباطن والإيثار.

ويبدو لمتتبع هذه النحلة السامية أنها مرت بمراحل مختلفة قبل أن تتسمى بهذا الاسم المعروف فكانت أحوالها تظهر في كل مرحلة باسم معين وهكذا إلى أن استقرت باسم (التصوف) وآية ذلك أن الشيخ الأستاذ أبا القاسم القشيري يقول في رسالته الشهيرة (الرسالة القشيرية): اعلموا رحمكم الله أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ لا أفضلية فوقها فقد قيل (الصحابة) ولما أدرك العصر الثاني سمي من صحب الصحابة (التابعين) ورأوا ذلك أشرف تسمية ثم قيل لمن بعدهم (أتباع التابعين) ثم اختلفت وتباينت المراتب فليل لخواص الناس مم لهم شدة عناية بأمر الدين (الزهاد والعباد) ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادعوا بان منهم زهادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم (التصوف) واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر بعد المائتين من الهجرة⁽¹¹¹⁾.

ومما يشير أيضا إلى أن اسم التصوف رف بعد القرن الثاني للهجرة ما أورده المسعودي في تاريخه (مروج الذهب ومعادن الجواهر) عن يحيى بن أكثم أن المأمون⁽¹²²⁾ كان جالسا ذات يوم إذ دخل عليه حاجبه علي بن صالح فقال: يا أمير المؤمنين رجل بالباب عليه ثياب بيض غلا يطلب الدخول للمنارة فقال: إنه بعض المتصوفة ومما يشهد لهذا أيضا ما ذكره الكندي في كتاب (ولاية مصر في حوادث سنة مائتين) أنه ظهر بالاسكندرية طائفة يتسمون بالصوفية يأمرؤن بالمعروف هذا عن ذبوع اسم التصوف وانتشاره ولكن يبدو أن اسم التصوف كان موجودا قبل المائتين لكنه ذاع وانتشر بعد المائتين وفي ذلك يقول ابن تيمية في كتابه (الصوفية والفقراء)⁽¹³³⁾: وأول ما ظهرت الصوفية من البصرة.

⁽¹¹¹⁾ يبدو أن هذا الاسم كان موجودا قبل المئتين بقليل لكنه اشتهر بعدها كما سيأتي.

⁽¹²²⁾ توفي المأمون سنة (218).

⁽¹³³⁾ الصوفية والفقراء ص (3 - 4).

وأول من بنى دويرة التصوف بعض أصحاب عبدالواحد بن زيد⁽¹⁴¹⁾ وهو من أصحاب الحسن البصري رحمهم الله تعالى وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر الأمصار ولهذا كان يقال، فقه كوفي وعبادة بصرية وبه يقول العلامة محمد كرد علي رحمه الله تعالى : وأول من تسمى بالصوفي في أهل السنة أبو هاشم الصوفي المتوفى سنة (150) وكان من النساك يجيد الكلام وينطق الشعر كما وصفه الحفا مثل هاشم الأوقص وصالح بن عبدالله الجليل⁽¹⁵²⁾ ولسنا نهتم كثيرا بمصطلح الكلمة واشتقاقها بقدر اهتمامنا بمضمونها.

فإن شئت سم (التصوف) بالتزكية ونهى النفس عن الهوى كما قال تعالى ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾⁽¹⁶³⁾ أو سمه الإحسان أو علم التربية والسلوك ولكن لا مرفر لنا من إطلاق اسم التصوف عليه لأنه الاصطلاح الذي تعاهده أهل التاريخ وشاع عندهم أكثر من غيره.

والعجيب أن الذين اعترضوا على أنل التصوف جاؤوا بعد القرن السادس الهجري والذين كانوا في زمان أهل التصوف المؤسسين لم يعترضوا عليهم ، بل شهدوا لهم وأكدوا أنهم على الحق والنور والهدى وشهادتهم ستكون في مضمون هذا الكتاب ليقرأها طالب الحق .
• ويقول الدكتور أحمد علوش :

(قد يتسائل الكثيرون عن السبب في عدم هور هذه الدعوة إلا بعد عهد اصحابه والتابعين والجواب عن هذا: أنهم تكن ثمة حاجة إليها في العصر الأول لأن أهل ذلك العصر كانوا أهل تقى وورع وأرباب مجاهدة وإقبال على العبادة بطبيعتهم وبحكم قرب اتصاهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتسابقون ويتبادرون في الاقتداء به في ذلك كله، فلم يكن ثمة ما يدعو إلى تلقينهم علما يرشدهم إلى أمر هم قائمون به فعلا وإنما مثلهم في ذلك كله كمثل العربي القح يعرف اللغة العربية بالتوارث كابرا عن كابر حتى إنه ليقرض الشعر البليغ بالسليقة والفطرة دون أن يعرف شيسئا من

⁽¹⁴¹⁾ توفي عام (177) هـ.

⁽¹⁵¹⁾ الإسلام والحضارة العربية (31/2) لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .

⁽¹⁶¹⁾ سورة النازعات الآيتان (40 - 41).

قواعد اللغة والإعراب والنظم والقريض ، فمثل هذا لا يلزمه أن يتعلم النحو ودروس البلاغ ولكن علم النحو وقواعد اللغة والشعر تصبح لازمة وضرورية عند تفشي اللحن وضعف التعبير أو لمن يريد من الأئمة أن يتفهمها ويتعرف عليها أو عندما يصبح هذا العلم ضرورة من ضرورات الاجتماع كبقية العلوم التي نشأت وتألقت على توالي العصور في أوقاتها المناسبة.

فالصحابة والتابعون - وإن لم يتسما باسم المتصوفين - كانوا صوفيين فعلا وإن لم يكونوا كذلك اسما ، وماذا يراد بالتصوف أكثر من أن يعيش المرء لربه لا لنفسه ، ويتحلى بالزهد وملازمة العبودية والإقبال على الله بالروح والقلب في جميع الأوقات وسائر الكمالات التي وصل بها الصحابة والتابعون من حيث الرقي اروحي إلى أسمى الدرجات فهم لم يكتفوا بالإقرار في عقائد الإيمان والقيام بفروض الإسلام بل قرنوا الإقرار بالتذوق والوجدان وزادوا على الفروض الإتيان بكل ما استحبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من نوافل العبادات وابتعدوا عن المكروهات فضلا عن المحرمات حتى استنارت بصائرهم وتفجرت ينابيع الحكمة من قلوبهم وفاضت الأسرار الربانية على جوانحهم وكذلك كان شأن التابعين وتابعي التابعين وهذه العصور الثلاثة كانت أزهى عصور الإسلام وخيرها على الإطلاق وقد جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله (خير القون قرني هذا فالذي يليه والي يليه) ⁽¹⁷¹⁾ فلما تقادم العهد ودخل في حظيرة الإسلام أمم شتى وأجناس عديدة واتسعت دائرة العلوم وتقسمت وتوزعت بين أرباب الاختصاص قام كل فريق بتدوين الفن والعلم الذي يجيده أكثر من غيره فنشأ بعد تدوين النحو في الصدر الأول علم الفقه وعلم التوحيد وأصول الدين وعلوم الحديث والتفسير المنطق ومصطلح الحديث وعلم الأصول والفرائض (الميراث) وغيرها..

وحدث بعد هذه الفترة أن أخذ التأثير الروحي يتضاءل شيئا فشيئا وأخذ الناس يتناسون ضرورة الإقبال على الله بالعبودية والقلب والهمة مما دعا أرباب الرياضة والزهد إلى أن يعملوا هم من ناحيتهم أيضا على تدوين علم التصوف ، وإثبات شرفه وجلاله وفضله على سائر العلوم ولم يكن ذلك منهم احتجاجا على انصراف الطوائف الأخرى إلى تدوين علومهم - كما يظن ذلك - خطأ - بعض

(171) (خير الناس في قرني ثم الذين يلونهم ..) أخرجه البخاري (2009) ومسلم (2533).

المستشرقين - بل كان سدا للنقص ن واستكمالاً لحاجات الدين في جميع نواحي النشاط مما لا بد منه
لحصول التعاون على تمهيد أسباب البر والتقوى.^[181]

وقد بنى أئمة الصوفية الأولون أصول طريقهم على ما ثبت في تاريخ الإسلام نقلاً عن الثقات الأعلام.
أما تاريخ التصوف فيظهر في فتوى للإمام الحافظ السيد محمد صديق الغماري رحمه الله فقد سئل عن
أول من أسس التصوف؟ وهل هو بوحى سماوي؟

فأجاب: (أما أول من أسس الطريقة فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من
الدين المحمدي إذ هي بلا شك مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي
صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما بينها واحداً واحداً دينا بقوله: (هذا جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم
دينكم)^[192]. وهو الإسلام والإيمان والإحسان فالإسلام طاعة وعبادة والإيمان نور وعقيدة والإحسان مقام مراقبة ومشاهدة (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن
تراه فإنه يراك ...).

ثم قال السيد محمد صديق الغماري في رسالته تلك: فإنه كما في الحديث الدين عبارة عن الأركان
الثلاثة فمن أخل بهذا المقام (الإحسان) فدينه ناقص بلا شك لتركه ركناً من أركانه فغاية ما تدعو إليه
الطريقة وتشير إليه هو مقام الإحسان بعد تصحيح الإسلام والإيمان^[203].
• وقال ابن خلدون في مقدمته:

(وهذا العلم - يعني التصوف - من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم
تزل عن سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والداية وأصلها

[181] مجلة العشيرة المحمدية عدد محرم (1376هـ) من بحث التصوف من الوجهة التاريخية للدكتور أحمد علوش وهو من الراد الأوائل الذين
نقولا حقائق التصوف الإسلامي إلى اللغات الأجنبية وقد ألف فضيلته كتاباً باللغة الإنجليزية عن التصوف الإسلامي كان له أكبر الأثر في
تصحيح الأفكار والرد على المستشرقين كما ألف كتابه الجامع عن الإسلام الذي رد فيه على التهم المفتراة على دين الله وكان له أثره البعيد في
خدمة هذا الدين.

[192] أخرجه البخاري (26) ومسلم (93)، وأبو داود (4695) والترمذي (2610) والنسائي (5005)، وابن ماجه (63)، وأحمد
(28/1)، وابن حبان (168)، وابن خزيمة (2504)، والبخاري (22)، والطيالسي ص (21)، وابن أبي شيبة (45 a24/11).

[203] الانتصار لطريق الصوفية للمحدث محمد صديق الغماري ص 6 .

العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذة مال وجاه والانفراد عن الخلق والخلوة للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف: فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة)^(1[21]).

ويعنينا من عبارة ابن خلدون الفقرة الأخيرة التي يقرر فيها أن هور التصوف والصوفية كان نتيجة جنوح الناس إلى مخالطة الدنيا وأهلها في القرن الثاني للهجرة فإن ذلك يدعو أن يتخذ المقبلون على العبادة اسما يميزهم عن عامة الناس الذين ألهتهم الحياة الدنيا الفانية.

فمن هذه النصوص السابقة يتبين لنا أن التصوف ليس أمرا مستحدثا جديدا ولكنه مأخوذ من سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحياة أصحابه الكرام كما أنه ليس مستنبطا من أصول لا تمت إلى الإسلام بصلة كما يزعم أعداء الإسلام من المستشرقين وتلامذتهم الذين ابتدعا أسماء مبتكرة فأطلقوا اسم التصوف على الرهبنة البوذية والكهانة النصرانية والشعوذة الهندية فقالوا : هناك تصوف بوذي وهندي ونصراني وفارسي ...

يريدون بذلك تشويه اسم التصوف من جهة واتهام التصوف بأنه يرجع في نشأته إلى هذه الأصول القديمة والفلسفات الضالة من جهة أخرى ولكن الإنسان المؤمن لا ينساق بتياراتهم الفكرية الماكرة ويتبين الأمور ويتثبت في البحث عن الحقيقة فيرى أن التصوف هو التطبيق العملي للإسلام^(2[22]).

^(1[21]) مقدمة ابن خلدون ، علم التصوف ص (329).

^(2[22]) حقائق عن التصوف ص (19 - 25) بتصرف يسير .

التصوف الإسلامي علم جليل الشأن ونحلة عظيمة القدر وثبت بالأدلة القوية أنه إسلامي المنشأ وبذلك أضحى موصلاً للسعادة في الدنيا والآخرة وهو الدواء الذي يشفي صاحبه من أمراض النفس والمنهاج الذي يزكي النفس ويصفي الروح وهو مرآة الحياة الروحية الإسلامية التي قوامها التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل لتزكو النفس وتسمو الروح بالاتقداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الكرام ومن أهم مقاصده خمسة أمور سنتولى شرحها وبيانها بإذن الله واحداً إثر واحد:

- 1 - صفاء النفس ومحاسبتها.
- 2 - قصد وجه الله .
- 3 - التمسك بالفقر والافتقار.
- 4 - توطين القلب على الرحمة والمحبة.
- 5 - التجمل بمكارم الأخلاق التي بعث الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإتمامها.

التفصيل:

- 1 - القاعدة الأولى : (صفاء النفس ومحاسبتها): ومعناها: أن كل من أراد أن يدخل في سبيل المقربين ليعد الجواب لسؤال الحق تعالى فعليه أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله ويزن أعماله قبل أن توزن بقسطاس الآخرة ويصفي نفسه من شوائبها ووساوسها قال سيدنا عمر رضي الله عنه (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا).
 - 2 - القاعدة الثانية: (قصد وجه الله): ومعناها: أن المتصوف لابد أن يقصد وجه ربه في جميع أقواله وأفعاله غاسلاً قلبه ببراء الإخلاص لوجه الله تعالى قال الله تعالى ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾⁽²³¹⁾.
- وقال عز من قائل: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾⁽²⁴²⁾.

⁽¹⁾[231] سورة الكهف الآية (28).

⁽²⁾[241] سورة الليل الآية 19 - 20 .

3 - القاعدة الثالثة: (التمسك بالفقر والافتقار): ومعناها الزهد في الدنيا ومتاعها عزوفا بالنفس

عما يلهيها ويشغلها فإن التمسك بالفقر دليل التقشف الذي هو الآلة القاطعة حبل الوصال بين العبد والشيطان، فتأهل النفس بالعبادة الخالصة وعدم العلو والفساد في الأرض لهذه الخصلة التي تصعد بهمم الإنسان نحو الروحانية والبعد عن كدورة الإنسانية أما الافتقار فهو تجرد المرء عن زينة الحياة الدنيا لينقطع إلى تقوى الله تعالى وأنه لا حول ولا طول الا به طالبا منه الكرم بالإمداد والتجليات وذلك هو منتهى الإقرار بالعبودية التي هي مركز التصوف وعقيدة الإيمان. وصفوة القول: أنالفقر أساس التصوف وقوامه وأن التحقق بأحوال التصوف ومقاماته مبني على الفقر والزهد فيما اشتملت عليه الدنيا من زخرف ومتاع، أي أن تكون الدنيا في يده لا في قلبه بمعنى أن يكون أغنى بما عند الله منه بما عنده.

وقد قص علينا السهرودي في كتابه (عوارف المعارف) قصة عن ذي النون المصري رضي الله عنه جديرة بالنر والاهتمام قال ذو النون: (رأيت ببعض سواحل الشام امرأة فقلت لها: من أين أقيمت؟ فقالت: من عند أقوام ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾^[251]، فقلت لها: وأين تريدان؟ فقالت: إلى ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾^[262].

ألا يجدر بنا أن نعمن النظر في هذين الجوابين لنعلم مدى خلو قلوب القوم عن حظوظ النفس والهوى لنعلم مدى انجذابهم نحو الله تعالى وإيثارهم لما عنده بحيث أصبحت قلوبهم لا تنزع إلى الله متجردين من القيود الجسمانية التي تفسد على الإنسان حياته وتكدر صفاء نفسه وتنسي الإنسان عبوديته لله .

4 - القاعدة الرابعة: (توطين القلب على الرحمة والمحبة): ومعناها: أنه يجب على كل صوفي أن

يلزم محبة كل المسلمين ويعطيهم حق الإسلام من التعظيم والتوقير فإن رسخ في هذه القاعدة واستقام في التدريب عليها أفاض الله عليه أنوار الرحمة وأذاقه حلاوة الرضى وألبسه ثوب القبول

[251] سورة السجدة الآية 16.

[262] سورة النور الآية 37.

فينال مما ورثه النبيون من المحبة والرضى حظا وافرا قال الله تعالى في حق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾⁽²⁷¹⁾.

وقال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه (لا تحقر أحدا من المسلمين فإن حقير المسلمين عند الله كبير).

5 - القاعدة الخامسة : (التجمل بالأخلاق التي بعث الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإتمامها): وهذه القاعدة زبدة الدين وحقيقة أخق الصوفيين وذلك بأن يكون العبد هينا لينا مع أهل بيته وعشيرته وجميع المسلمين قال الله تعالى ﴿وقولوا للناس حسنا﴾⁽²⁸²⁾.

وقد ورد في الأثر : (اهل الجنة كل هين لين سهل قريب وأهل النار كل شديد قبعثري قالوا وما القبعثري؟ قال: الشديد على الأهل والصحاب والعشير) إذ ان الله تعالى يعامل عبده في وصفه وخلقه وفي الحديث القدسي: يا بان آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يارب كيف أطعمل وأنت رب العالمين قال : استطعمك عبد فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟! قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي)⁽²⁹³⁾ ذلك هو الحديث القدسي الذي جمع محاسن الأخلاق وجميل الصفات بين الناس وهو القانون الإلهي الذي سلك منهاجه رجال في حياتهم الدنيوية والعملية فمن رسخت قدمه منهم في هذه المقامات صارت أحواله ومعاملاته مع الرب في كل شيء فلا يراقب غير الله تعالى في حركاته وسكناته⁽³⁰⁴⁾.

(1^[27]) سورة الأنبياء الآية 107.

(2^[28]) سورة البقرة الآية 83.

(3^[29]) أخرجه مسلم في صحيحه (4/1990 برقم 2569).

(4^[30]) الصوفية والتصوف ص 40 - 42 .

أهمية التصوف

قال الإمام السيد أحمد الرفاعي قدس الله سره:

هذا الدين الجامع باطنه لب ظاهره ، وظاهره ظرف باطنه ، لولا الظاهر لما بطن لولا الظاهر لما كان ولما صح القلب لا يقوم بلا جسد ، بل لولا الجسد لفسد والقلب نور الجسد .

هذا العلم (التصوف) الذي سماه بعضهم بعلم الباطن هو إصلاح القلب .

إذا انفرد قلبك بحسن نيته، وطهارة طويته وقتلت وسرقت وزنيت وأكلت الربا وشربت الخمر

وكذب وتكبرت وأغلظت القول فما الفائدة من نيتك وطهارة قلبك؟! وإذا عبدت الله وتعففت

وصمت وصدقت وتواضعت وأبطن قلبك الرياء والفساد فما الفائدة من عملك؟! ... أي حالة باطنة

للمسلم لم يأمر ظاهر الشرع بعلمها؟! أي حالة ظاهرة لم يأمر ظاهر الشرع بإصلاح الباطن لها؟!⁽³¹¹⁾ .

إن الشارع أمر الإنسان بتكاليف في خاصة نفسه وترجع إلى قسمين:

قسم يتعلق بأعماله الظاهرة وقسم يتعلق بأعماله البطنة وبلفظ آخر : أحكام تتعلق باهر الجسد وأحكام تتعلق بباطن الجسد (القلب).

وأما الأعمال التي تترتب على الجسد فهي نوعان: أوامر نواه فالأوامر المفروضة هي كالصلاة والصوم

والزكاة والحج... وأما لنواهي المحظورة فهي كتحريم الزنا والسرقة وشرب الخمر وحقوق العباد

كافة ...

وأما الأعمال التي تترتب على القلب فهي نوعان أيضا أوامر ونواه فالأوامر المفروضة : كالإيمان بالله

وملائمته وكتبه ورسله واليوم الآخر .. وكالإخلاص والتوكل والخشوع والصدق والصبر

وأما النواهي المحورة فكالكفر والنفاق والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء .

وهذا القسم الثاني هو المعول عليه في ديننا ألا وهو أعمال القبول لأن مبنى الأمور كلها على إخلاص

النيات لرب البريات التي لا يعلم بها غيره ، فقد قرن الله سبحانه وتعالى أعمال الظاهر وسلامة الباطن

(³¹¹) البرهان المؤيد : 122 0 .

فيها لأن فساد الباطن يوجب فساد الأعمال الظاهرة فقال: ﴿فمن كانه يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾^[321].

ولهذا كان الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ملكاً وتوجيهها لاهتمام صحابته الكرام لإصلاح قلوبهم ويبين لهم هذا الملك وأن صلاح الإنسان متوقف على صلاح هذا القلب وصفائه من كل الشوائب الكامنة في جنباته فقال: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)^[332]، لأن العمدة يوم القيامة القلب السليم كما أخبر الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾^[343].
وكما أخبر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن محل نظر الرب هو القلب فقال (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)^[354].

وما فرق سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ظاهر صلاح الأعمال عن باطن صدق القلوب.
وقال الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى: (وأما علم القلب ومعرفة أمراضه من الحسد والعجب والرياء ونحوها فقال فيها الإمام الغزالي رحمه الله تعالى إنها فرض عين)^[365].

(فتصفية القلب ومداواته من أهم الفرائض العينية وأهم الواجبات الربانية، وقد دل على ذلك ما جاء في الكتاب والسنة وأقوال العلماء والفقهاء).

أولاً : أهميته في الكتاب :

أمر الله تعالى خلقه أن تكون جميع عباداتهم القولية والفعلية والمالية خالصة له تعالى بعيدة عن الرياء فقال: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾^[371]، وقد حرم الفواحش فقال: ﴿قل إنما حرم

^[321] سورة الكهف الآية 10.

^[333] رواه البخاري (52)، ومسلم (2523).

^[344] سورة الشعراء الآية 88 - 89.

^[351] أخرجه مسلم (2564).

^[361] الأشباه والنظائر للسيوطي ص 504.

ربي افلنواحش ما ظهر منها وما بطن ﴿^{[38]2}﴾، وقال تعالى: ﴿ولا تقربوا الفواحش ما همر منها وما بطن﴾^{[39]3}.

والفواحش الباطنية كما قال المفسرون هي الحقد والرياء والحسد والنفاق

ثانيا: أهميته في السنة :

الأحاديث التي وردت في النهي عن الحقد والكبر والرياء والحسد كثيرة منها:

- قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يكذبه ولا يحقره التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)^{[40]4}.
- ويقول عليه الصلاة والسلام: (إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه)^{[41]5}.
- وكذلك الأحاديث التي تأمر بالتحلي بالأخلاق الحسنة والمعاملة الجيدة الطيبة فقد قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الرجل ليبليح بحسن الخلق درجة الصائم القائم)^{[42]6}.
- ويقول عليه الصلاة والسلام: (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن)^{[43]1}.

[37]1 سورة البينة الآية 5.

[38]2 سورة الأعراف الآية 33.

[39]3 سورة الأعراف الآية 33.

[40]4 رواه البخاري (5718) ومسلم (2559).

[41]5 رواه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد (23) باب ما جاء فيمن يقاتل رياء.

[42]6 رواه الإمام أحمد في مسنده (76/19)، والمنذري في الترغيب والترهيب (44/3)، والدارمي (323/2).

أجمع العلماء على أن الأمراض والآفات القلبية من الكبائر التي تحتاج إلى توبة مستقلة لأن أمراض الباطن كافية لإحباط أعمال العبد ولو كانت كثيرة.

قال الفقيه العلامة الكبير ابن عابدين في حاشيته الشهيرة: (إن علم الإخلاص والعجب والحسد والرياء فرض عين مثل غيرها من آفات النفوس كالكبر والشح والحقد والغش والغضب والداوة والبغضاء والطمع والبخل والبطر والخيلاء والخيانة والمداهنة والاستكبار عن الحق والمكر والمخادعة القسوة وطول الأمل ونحوها مما هو مبين في ربع المهلكات في الإحياء قال فيه: ولا ينفك عنها بشر فيلزمه أن يتعلم منها ما يرى نفسه محتاجا إليه وإزالتها فرض عين ولا يمكن إلا بمعرفة حدودها وأسبابها وعلاماتها وعلاجها فإن من لا يعرف الشر يقع فيه)⁽⁴⁴²⁾.

وإن التصوف هو الذي اختلفت بمعالجة الأمراض القلبية وتزكية النفوس والتخلص من صفاتها الناقصة الذميمة.

ويقول صاحب مراقي الفلاح العلامة الشرنبلالي: (لا تنفع الطهارة الظاهرة إلا مع الطهارة الباطنة وبالإخلاص والنزاهة عن الغل والغش والحقد والحسد وتطهير القلب عما سى الله من الكونين فيعبده لذاته لا لعله مفتقرا إليه وهو يتفضل بالمن بقضاء حوائجه المضطر إليها عطفاً عليه فتكون عبداً فرداً للمالك الأحد الفرد لا يسترقك شيء من الأشياء سواه ولا يستملك هواك عن خدمتك إياه)⁽⁴⁵³⁾.

نعم كما لا يحسن بالعبد أن يظهر أمام الناس بشياب ملطخة بالإذار والأوساخ وكذلك لا يليق به أن يتحرك وقلبه مسود بالظلمات مريض بالعلل والآفات ونفسه مشوبة بالكدورات ومتعلقة بالشهوات.

⁽⁴³¹⁾ رواه الترمذي (1988) وأحمد (236 a228 a58 a53/5).

⁽⁴⁴¹⁾ حاشية ابن عابدين المسماة رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار ج 1 31 0.

⁽⁴⁵¹⁾ حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح ص 70 - 71.

ويقول صاحب الهدية العلانية: وقد تظاهرت نصوص الشرع والإجماع على تحريم الحسد واحتقار المسلمين وإرادة المكروه بهم والكبر والعجب والرياء والنفاق وجملة الخبائث من أعمال القلوب بل السمع البصر والفؤاد فكل ذلك كان عنه مسؤولاً مما يدخل تحت الاختيار.^[461]

وقال صاحب جوهرة التوحيد الشيخ إبراهيم اللقاني:

وأمر بعرف واجتنب نميمة	وغيبة وخصلة ذميمة
كالعجب والكبر وداء الحسد	وكالمراء والجدل فاعتمد

يقول شارحها عند قوله: وخصلة ذميمة أي واجتنب كل خصلة ذميمة شرعاً وإنما خص المصنف ما ذكره يعد اهتماماً بعيوب النفس لأن بقاءها مع إصلاح الظاهر كالذي يلبس ثياباً حنة وجسمه ملطخ بالأوساخ ويكون كالعجب أيضاً وهو رؤية العبادة واستعظامها كما يعجب العالم بعلمه والعابد بعبادته فهذا كله حرام ومثل العجب الرياء واللم والبغي والكبر وداء الحسد والجدل والمراء^[472].
والكبر من أمراض القلوب وهو وحده يكفي لدخول النار بدليل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»^[483].

يقول ابن ذكوان في أهمية التصوف وفائده:

علم به تصفية البواطن	من كدرات النفس في المواطن
----------------------	---------------------------

قال العلامة المنجوري في شرح هذا البيت (التصوف علم يعرف به كيفية تصفية الباطن من كدرات النفس أي عيوبها وصفاتها المذمومة كالغل والحقد والحسد والغش وحب الثناء والكبر والرياء والغضب الطمع والبخل وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء لأن علم التصوف يطلع على العيب والعلاج وكيفيته فبعلم التصوف يتوصل إلى قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتخليته بذكر الله تعالى)^[494].

[461] الهدية العلانية ، علاء الدين عابدين ص 315.

[472] شرح الجوهرة للباجوري ص 120 - 122 .

[483] رواه مسلم (263) والترمذي (1998) مطولاً.

[494] النصر النبوية للشيخ مصطفى إسماعيل المدني على هامش شرح الرائية للفاسي، ص 26.

وللسادة الصوفية الحظ الأوفر من الوراثة النبوية في تحلية النفس بالصفات الكاملة كالطوبى والتقوى والاستقامة والصدق والإخلاص والورع والتوكل والرضا والأدب والتسليم والمحبة والذكر والمراقبة وقد قيل في حقهم:

قد رفضوا الآثام والعيوبا	وطهروا الأبدان والقلوب
وبلغوا حقيقة الإيمان	وانتهجوا مناهج الإحسان ^{[50]1}

فالتصوف اهتم بالجانب القلبي واهتم أيضا بما يقابله من العبادات المالية والبدنية وسهل ورسم الطريق الحقيقي العلمي المعلى الذي يوصل المسلم إلى أعلى مقامات الكمال الإيماني الخلقى ولم يقتصر فقط على قراءة أورد وحلقات أذكار فحسب بل التصوف منهج علمي وعملي صحيح شامل كامل يحقق تغير الإنسان إلى شخصية مسلمة متكاملة مثالية وسبب نجاح الصوفية في هذه الأعمال هو حرصهم وشدة اتباعهم لسيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ويوقل الإمام السيد أحمد الرفاعي قدس الله سره : (الفقير (الصوفي) على الطريق ما دام على السنة فمتى حاد عنها زل عن الطريق)^{[51]2}.

فتجلى لنا إذا بعد كل هذه الألة وبوضوح أن التصوف هو روح الإسلام وقلبه السليم وليس أعمالا ظاهرية وأفعالا شكلية لا حياة فيها ولا روح.

وبفقد روح الإسلام وجوهه وصل المسلمون إلى درك من الانحطاط والضعف لذلك هم العلماء العاملون الصادقون أصحاب المبادئ والمرشدون المربون العارفون بنصح الناس بالالتزام مع الصوفية وصحبتهم ليتحققوا بأمر الله تعالى ﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾^{[52]3} لكي يحظوا برضاء الله ويتذوقوا معاني الصفاء القلبي والسمو الخلقى ويتعرفوا على الله تعالى معرفة حقيقية يقينية وحظوا بمحبته ومراقبته ودوام ذكره.

[50]1 الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية للعلامة ابن عجيبة على هامش شرح الحكم لابن عجيبة ج 1 105.

[51]2 البرهان المؤيد ص 63.

[52]3 سورة التوبة الآية (119).

قال حجة الإسلام الإمام الغزالي: بعد أخ اختبر طريق التصوف ولمس نتائجه وذاق ثمراته (الدخول مع الصوفية فرض عين إذ لا يخلو أحد من عيب إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)^{(1)[53]}.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: (عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلّة السالكين وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالين وكلما استوحشت من تفردك فانظر إلى الرفيق السابق واحرص على اللحاق بهم وغيض الطرف عن سواهم فإنهم لن يغنوا عنك من الله تعالى شيئاً وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك)^{(2)[54]}.

ولما كان هذا الطريق صعب المسالك على النفوس الناقصة فعلى الإنسان أن يجتازه بعزم وصبر ومجاهدة حتى يتقذ نفسه من بعد الله وغيضه.

(1)[53] النصرة النبوية على هامش شرح الرائية للفاسي ص 26.

(2)[54] إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ص 7.

ما قيل في تعريف التصوف

يقول السهروردي^[551] رضي الله تعالى عنه (قال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول).

وقال الشيخ أحمد رزوق في قواعده: وقد حد التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ نحو الألفين مرجع

كلها صدق التوجه إلى الله وإنما هي وجوه فيه^[562].

1 - قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله : التصوف ليس ما أخذ عن القيل والقال ولكن أخذ

من الجوع وقطع المآلوفات والمستحسنات^[573].

2 - وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : التصوف هو تجريد القلب لله تعالى واحتقار ما سواه أي

تخليص القلب لله تعالى واعتقاد ما سواه اعتقادات أنه لا يضر ولا ينفع فلا يعول إلا على الله

فالمراد باحتقار ما سواه اعتقاد أنه لا يضر ولا ينفع وليس المراد الازدراء التنقيص^[584].

3 - وقال الشيخ ابن عطاء الله السكندري: (التصوف هو الاسترسال مع الحق).

4 - وقال ابن عجيبة رحمه الله تعالى : (التصوف لب الإسلام).

وقال أيضا: التصوف : هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك وتصفية البواطن

من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل وأوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة^[595].

5 - وقال الشبلي رحمه الله تعالى (التصوف : ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك)^[606].

وقال أيضا : (التصوف هو الجلوس مع الله بلا وهم).

6 - وقال الشيخ معروف الكرخي رحمه الله تعالى : (التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي

الخلائق)^[617].

[551] سهرورد: كلمة مركبة من (سهر) بمعنى أحمر بالكردية و (توف) بمعناها العربي أي الوردة الحمراء والتركيب من باب إضافة الصفة إلى

الموصوف.

[562] قواعد التصوف - القاعدة الثانية.

[573] قواعد التصوف - القاعدة الثانية.

[584] حكايا الصوفية ص 25 - 26 .

[595] معراج التشوف إلى حقائق التصوف ص 4.

[606] معيد النعم ومبيد النقم ص 94.

[617] تاريخ التصوف الإسلامي ص 17.

7 - وقال أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى (التصوف تدريب النفس على العبودية وردها لأحكام الربوبية)^[621].

8 - وقال الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى (التصوف هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا .

وقال أيضا: التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف^[632].

9 - وسئل رويم عن التصوف فقال: (التصوف هو استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد).
وقال أيضا: (التصوف مبني على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار^[643] والتحقيق بالذل والإيثار وترك التعرض للاختيار).

10 - وقال الإمام الجنيد البغدادي رحمه الله تعالى : (التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع) وقال أيضا (علمنا هذا التصوف مقيد بالكتاب والسنة ومن لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدي به في هذا الأمر والطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم).

وقال أيضا : (علمنا هذا التصوف مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يسمع الحديث ويجلس ويأخذ أدبه من المتأدبين أفسد من اتبعه).

وقال أيضا: (التصوف أن يختصك الله بالصفاء فمن صفا من كل ما سوى الله فهو الصوفي)^[654].
وقال أيضا: (التصوف حفظ الأوقات).

وقال أيضا (التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقية واستعمال

[621] نور التحقيق ص 93.

[631] شرح كلمات الصوفية ص 326 - 327 .

[641] الفقر عند السادة الصوفية هو اللجوء إلى الله تعالى والافتقار إليه.

[651] مقدمة الشيخ عبدالحليم محمود رحمه الله تعالى على كتاب (غيث المواهب العلمية فيشرح الحكم العطائية) (26/1).

من هو ألى على الأبدية النصح لجميع الأمة والوفاء لله على الحقيقة واتباع الرسول في الشريعة)^[66].
وسئل الجنيد عن التصوف فغقال: (أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء) أي أن تعتقد أنك فقير على وجه الحقيقة لا تملك شيئاً والله سبحانه وتعالى هن المالك الحقيقي.

وقال الشبلي رحمه الله تعالى سمعت الجنيد يقول: (التصوف أن يملك الحق عنك ويحيك به).

11 - وسئل أبو محمد الجريري رحمه الله عن التصوف فقال: الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني.

12 - وقال الشيخ عمر بن عثمان المكي رحمه الله تعالى: (التصوف أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في الوقت).

13 - وقال أبو الحسن ابن أبي ذر في كتابه (منهاج الدين أنشدونا للشبلي):

علم سني سهاوي ربوبي	علم التصوف علم لانفاد له
أهل الجزالة والصنع الخصوصي ^[67]	فيه فوائد للأرباب يعرفها

14 - وقال الشيخ أبو حفص رحمه الله تعالى: (التصوف كله آداب لكل وقت أجب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول)^[68].

15 - وقال صاحب كشف الظنون: التصوف علم يعرف به كيفية ترقى أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم إلى أن قال:

إلا أخو فطنة بالحق معروف	علم التصوف علم ليس يعرفه
وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف	وليس يعرفه من ليس يشهده

^[66]1) التعرف لمذب أهل التصوف ص 20.

^[67]2) التعرف لمذهب أهل التصوف ص 101.

^[68]3) طبقات الصوفية ص 119.

- 16 - وقال الشيخ أحمد زروق رحمه الله تعالى : (التصوف علم قصد به صلاح القلوب وإرادها لله تعالى عما سواه والفقهاء لإصلاح العمل وحفظ النظام وظهور الحكمة بالأحكام والأصول (علم التوحيد) لتحقيق المقدمات بالبراهين وتحلية الإيمان بالإيقان والطب لحف الأبدان النحو لإصلاح اللسان إلى غير ذلك)⁽¹⁶⁹⁾.
- 17 - وقال الشيخ حسين الزبياري العلواني رحمه الله تعالى : (ينحصر التصوف في أربع كلمات : أن تنصف الناس من نفسك ولا تطلب الإنصاف منهم وأن تبدي لهم شيئك وأن تكون من شيئهم آيسا)⁽¹⁷⁰⁾.
- 18 - وقال الشيخ أبو يعقوب السوسي رحمه الله تعالى : (الصوفي هو الذي لا يزعجه سلب ولا يتعبه طلب).
- 19 - وقال الشيخ أبو القاسم النصر أبادي رحمه الله : (أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع ورؤية أعذار الخلائق والمداومة على الأوراد وترك الرخص والتأويلات).
- 20 - وقال أبو جعفر الحداد رحمه الله : (التصوف هو استقامة الأحوال مع الحق).
- 21 - وقال المزين رحمه الله تعالى : (التصوف هو الانقياد للحق).
- 22 - وقال الشيخ علي بن بندار رحمه الله تعالى : (التصوف هو إسقاط الخلق ظاهرا وباطنا)⁽¹⁷¹⁾.
- 23 - وسئل أبو الحسن النوري رحمه الله : ما التصوف؟ فقال: ترك كل حظ للنفس.
- 24 - وقال الشيخ أبو القاسم جعفر بن أحمد المقرئ: التصوف استقامة الأحوال مع الحق⁽¹⁷²⁾.

⁽¹⁶⁹⁾ قواعد التصوف - 0 قاعدة 13 06.

⁽¹⁷⁰⁾ المراد بالشيء: متاع الدنيا.

⁽¹⁷¹⁾ معيد النعم ومبيد النقم ص 94.

⁽¹⁷²⁾ طبقات الصوفية ص 511.

- 25 - وقال السيد الشريف الجرجاني: التصوف هو وقوف مع الآداب الشرعية اهرا فيسري حكمها من الظاهر إلى الباطن وباطنا فيسري حكمها من الباطن إلى الظاهر فيحصل للمتأدب بالحكمة كمال.
- 26 - وقال القاضي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله: التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر الباطن لنيل السعادة الأبدية⁽⁷³¹⁾.
- 27 - وقال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى: (التصوف اسم حادث لمسمى قديم إذ إن مسماه لا يعدو كونه سعيا إلى تزكية النفس من الأوضار العالقة بها عادة كالحسد والتكبر وحب الدنيا وحب الجاه وكذلك ابتغاء توجيهها إلى حب الله عز وجل والرضا عنه والتوكل عليه والإخلاص له)⁽⁷⁴²⁾.
- 28 - وقال الشيخ محمد بدر الدين الحامد رحمه الله: (التصوف هو تنقية الظاهر والباطن من المخالفات الشرعية وتعمير القلب بذكر الله تعالى وخشيته ورجائه والسير في العبادات والأعمال على النهج الشرعي طبق السنة الشريفة...).
- 29 - وقال الدكتور محمد حسن الذهبي: التصوف (هو مناجاة القلب ومحادثة الروح وفي هذه المناجاة طهر لمن شاء أن يتطهر وصفاء لمن أراد التبرأ من الرجس والدنس وفي تلك المحادثة عروج إلى سماء النور والملائكة والصعود إلى عالم الفيض والإلهام...)⁽⁷⁵³⁾.
- 30 - وقال العلامة حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية الأسبق: (التصوف هو تربية علمية وعملية للنفوس وعلاج لأمراض القلوب وغرس للفضائل واقتلاع للردائل وقمع للشهوات وتدريب على الصبر والرضا والطاعات...)⁽⁷⁶⁴⁾.
- وقيل إن التصوف هو :

⁽¹⁷³¹⁾ الرسالة القشيرية ص 7.

⁽²⁷⁴¹⁾ كتاب السلفية للدكتور محمد سعيد رمضان البوي ص 189.

⁽³⁷⁵¹⁾ التفسير والمفسرون (2/324 - 325).

⁽⁴⁷⁶¹⁾ السالكون إلى الله ص 15.

- 31 - الافتقار إلى الله تعالى .
- 32 - تصفية القلوب من غير الله تعالى ، ثم الصعود بالروح إلى عالم التقديس بإخلاص العبودية للخالق المعبود والتجريد من السوى .
- 33 - قلوب منكسرة بما عملت لما منه حذرت .
- 34 - سخاء ووفاء وسلوك طريق المصطفى عليه الصلاة والسلام .
- 35 - الرغبة في المحبوب لدرك المطلوب ثم مفارقة الأشرار ومصادقة الأخيار .
- 36 - صدق في المعاملة لا تزين ولا محاولة .
- 37 - بذل الروح طول مدة الحياة وتبديدها استعدادا لسكرة الممات .
- 38 - تنوع القلب الهائم في مرتع العز الدائم .
- 39 - جباه ساجدة وقلوب هالعة والعة .
- 40 - أنس بعد بأس وسرور بعد يأس .
- 41 - خوف ورهبة وأدب ورغبة .
- 42 - التزام الصمت واغتنام الوقت .
- 43 - عفة بالنفوس وشهامة بالرؤوس .
- 44 - أرواح متعشقة وباسم الذات متحققة .
- 45 - رقة وشوق وترقي وذوق .
- 46 - نقاء الأفكار وسلوك الأبرار .
- 47 - الموافقة للحق في مفارقة الخلق .
- 48 - حسن الصحبة والقيام بحقها .
- 49 - علم وحكمة وتبصرة وهداية وتربية وتهذيب وعلاج ووقاية وتقوى واستقامة وصقبر واجتهاد وفرار من فتنة الدنيا وزينتها وابتعاد .
- 50 - العبودية المطلقة لله سبحانه وتعالى .

- 51 - ثورة على التكلف ودعوة إلى التقشف ثورة على الحقد ودعمه إلى الحب ، ثورة على الجاه ودعوة إلى الله ، ثورة على الجدل ودعوة إلى لعمل ، ثورة على الظلم ودعوة إلى العلم، ثورة على الشكوى ودعوة إلى التقوى، ثورة على الشر ودعوة إلى البر، ثورة على التكبر ودعوة إلى التفكر ثورة على التملق ودعوة إلى التدوق ثورة على الكذب ودعوة إلى الصدق.
- 52 - العمود الفقري للإسلام وهو طريق الأبرار الأخيار المقتبس من أعمال الصحابة الكرام فهو طريق الحق والهداية.
- 53 - الصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق.
- 54 - لب الشريعة وروحها وثمرتها وحكمتها.
- 55 - الإكباب على العمل والإعراض عن العلل.
- 56 - أن تبعد عن الكذب ما ساتطعت وإن ظننت ان فيه نجاتك وتدنو من الصدق ما استطعت وإن تيقنت أن فيه هلاكك.
- 57 - حفظ حواسك ومراعاة أنفاسك.
- 58 - ترك الاختيار.
- 59 - الجد في السلوك إلى حضرة ملك الملوك وتصفية البواطن من الرذائل وتحليلتها بأنواع الفضائل.
- 60 - أن تصفي قلبك من الأكدار وعملك من الأعذار وتخلص لله الجبار وتعلم أنه لا هادي ولا ولي ولا ناصر ولا غافر إلا الله ولا ملجأ ولا منجى منه إلا اليه.
- 61 - أن تعرف ربك بالبقاء ونفسك بالفناء والبقاء الحقيقي هو بروز أوصافك المحودة والفناء الحقيقي هو سقوط أوصافك الذميمة فمن ترك أفعاله الذميمة فني عن شهاته وبالتالي بقي بنيته وإخلاصه في عبوديته.

62 - تعاليم روحية مستمدة من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام إنه مرتبة الإحسان التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فغن لم تكن تراه فإنه يراك»⁽¹⁷⁷⁾.

63 - قطع الشهوات وترك الدنيا والمستحسنات والميل عن المألوفات⁽¹⁷⁸⁾.

64 - تصفية القلب من أوضار المادة وقوامه صلة الإنسان بالخالق العظيم.

65 - التمسك بكتاب الل عز وجل والافتداء بسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم واكل الحلال وكف الأذى اجتناب الآثام والتوبة وأداء الحقوق.

⁽¹⁷⁷⁾ مر تخرىج باب التصوف ومنشؤه.

⁽¹⁷⁸⁾ قطع الشهوات: أي قطع حبها عن القلب لا تركها بالكلية لأنه لا رهبانية في الإسلام.

ما قيل في تعريف الصوفي

1 - قال الإمام الرفاعي الكبير قدس الله سره: الصوفي من صفى سره من كدورات الأكوان، وما رأى لنفسه على غيره مزية⁽¹⁷⁹⁾.

وقال رضي الله عنه يذكر علامة الصوفي الصادق: الصوفي هو الصادق في جميع الحركات، المتقلل من المباحات والصمم عن كثير من المسموعات وأن لا يطلب المعدوم حتى يبذل المجهول والموجود⁽⁸⁰⁾ ويقطع الحيلة حتى لا يرى في أحواله وشدته ورخائه وتقلبه غير خالقه ومكونه وإن الفقير متى نظر إلى ما يلبس التبس عليه أمهر ومتى رأى الخلق من دونه هرت عيوبه . الفقير ابن وقته يرى كل نفس من أنفاسه أعز من الكبريت الأحمر ، يودع لكل ساعة ما يصلح لها ، ولا يضيع شيئاً⁽⁸¹⁾.

2 - وقال أيضاً: الصوفي لا يسلك غير طريق الرسول المكرم صلى الله عليه وآله وسلم فلا يجعل حر كاته وسكناته إلا مبنية عليه.

3 - وقال أيضاً: الصوفي يتجنب مخالطة الخلق مهما أمكن لأن الصوفي كملاً زاد اختلاطه بالخلق ظهرت عيوبه والتبس عليه الأمر وإذا خالط البعض فليختر لنفسه صحبة الصالحين فإن المرء على دين خليله.

4 - وقال أيضاً: الصوفي لا يصرف الأوقات في تدبير أمور نفسه لعلمه أن المدبر: هو الحق عز وجل، ولا يلجأ في أموره ولا يعول على غير الله تعالى⁽⁸²⁾.

5 - وقال الإمام محمد بهاء الدين الرواس قدس الله سره: الصوفي التقي: الذي لا يريد فساداً في الأرض ولا علواً، ومن رؤية أبيه وجده وطوره ومقامه الذي يصير مع الحق أين كان ولا ينحرف عنه.

(179) البرهان المؤيد ص 69.

(80) أي لا يطلب الرزق الغائب حتى ينفق الحاضر.

(81) النظام الخالص لأهل الاختصاص ص 59 - 60 .

(82) حكم السيد أحمد الرفاعي ص (49 - 50) .

- 6 - وقال أيضا: المتصوف المتلصص: المحجوب بزيه وأبيه وجده أو شيخه وعمله فإن ذلك من المتصنين الذي لا خير فيهم ولا في صحبتهم والعاقبة للمتقين⁽⁸³¹⁾.
- 7 - وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى : الصوفي إذا نطق أبان منطقته عن الحقائق وإذا سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق أي أن الصوفي بين حالتين إما أن يتكلم أو يلزم الصمت فغن تكلم لم يقل إلا حقا وإن سكت عهن الكلام نطقت جوارحه فهو مشغول بالله في الحالتين حالة نطقه وحالة سكونه⁽⁸⁴²⁾.
- 8 - وقال الشيخ بشر بن الحارث الصوفي من صفا قلبه لله.
- 9 - وسئل الشيخ سهل بن عبدالله التستري من الصوفي؟ فقال: من صفا من الكدر وامتلاً من الفكر وانقطع إلى الله من البشر واستوى نده الذهب والمدر⁽⁸⁵³⁾.
- 10 وقال أبو تراب النخشي: الصوفي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء⁽⁸⁶⁴⁾.
- 11 وقال الإمام الشبلي: الصوفي منقطع عن اللق متصل بالحق لقوله تعالى ﴿واصطنعتك لنفسي﴾⁽⁸⁷⁵⁾، قطعه عن كل غير ثم قال لن تراني⁽⁸⁸⁶⁾.
- 12 وقال أبو علي الروذباري: الصوفي من لبس الصوف على الصفا، وأذاق الهوى طعم الجفا، ولزم طريق المصطفى، وكانت الدنيا منه على القفا⁽⁸⁹⁷⁾.
- 13 وقال السهروردي رحمه الله تعالى: الصوفي هو الذي يكون دائم التصفية ولا يزال يصفى الأوقات من شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس ويعينه على كل هذا دوام افتقاره إلى مولاه فبدوام الافتقار ينقي الكدر وكلما تحرمت النفس وظهرت بصفة من صفاتها

⁽⁸³¹⁾ بوارق الحقائق ص 315.

⁽⁸⁴²⁾ في رحاب الله ص 10.

⁽⁸⁵³⁾ المدر: قطع الطين اليابس وقيل الطين العلك الذي لا رمل فيه (لسان العرب - مادة مادة مدر).

⁽⁸⁶⁴⁾ الرسالة القشيرية ص 218.

⁽⁸⁷⁵⁾ سورة طه الآية (41).

⁽⁸⁸¹⁾ تاريخ التصوف الإسلامي (16).

⁽⁸⁹⁷⁾ معيد النعم ومبيد النقم ص (94).

أدركها ببصيرته النافذة وفر منها لربه فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه قال الله تعالى ﴿كونوا قامين بالقسط﴾^(1[90]) وهذه القوامية لله على النفس هي التحقق بالتصوف.

14 وقال النوري: نعت الصوفي: / في السكن عند العدم والإيثار عند الوجود.

15 وقال الشيخ الشعراوي: الصوفي هو الذي يتقرب إلى الله بفروض الله ثم يزيد بها بسنة الرسول عليه الصلاة والسلام من جنس ما فرض الله وأن يكون عنده صفاء في استقبال أفضية العبادة فيكون صافيا لله والصفاء هو كونك تصافي الله^(2[91]).

وقيل إن الصوفي:

16 الذي يعطي كل ذي حق حقه جمع بين الدنيا والآخرة بظاهره توجه إلى الدنيا وبقلبه توجه إلى خالقه.

17 أن يكون مع الناس ببدنه ومع الله بروحه شهد المكون فغاب عن الأكوان شهد الله فغاب عما سواه فكلما ازداد الصوفي بعدا عن الخلق ازداد قربا من الخالق.

18 من صفت لله معاملته فصفت له من الله عز وجل كرامته.

19 حكيم ذو حكمة فإن لم يكن حكيما ورعا زاهدا صواما قواما فلاحظ له بهذا اللقب لأنه صفاء القلب وتزكية النفس وجهاد الهوى وأن يكون له عقل راجح وحضور وتمكن قوي من نفسه حتى لا تحكم عليه الأغراض النفسية فهو الخليفة المختار دون غيره من المخلوقين الأمين على خلق الله تعالى فلا يعدل بهم عن سنة الله فكل الموجودات بيد الإنسان أمانة عرضت عليه فحملها فغن أداها فهو الخليفة الأمين، وإن لم يؤدها فهو الظلوم الجهول ولا تطمع بأن ترى هذه الأوصاف في غير الرجال الكمل أهل التحقيق والعرفان السادة الصوفية^(3[92]).

20 من كان صافيا من آفات النفس خاليا من مذموماتها^(4[93]).

(1[90]) سورة النساء الآية (135).

(2[91]) أصول الوصول ص 337.

(3[92]) حقيقة التصوف ص 3.

(4[93]) التصوف منشؤه ومصطلحاته ص 32.

21 المصوفي كثير الاستغفار في الليل والنهار في إقبال قلبه والإدبار.

- 1 - قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى : الصوفية أطفال في حجر الحق⁽¹⁹⁴⁾.
- 2 - وقال ذو النون: الصوفية هم قوم آثروا الله تعالى على كل شيء فأثرهم الله على كل شيء.
- 3 - وقيل لعبدالواحد بن زيد: من الصوفية عندك؟ فقال: القائمون بعقولهم على همومهم والعاكفون عليها بقلوبهم المعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم هم الصوفية.
- 4 - وقال السراج: إذا قيل لك : الصوفية من هم في الحقيقة؟ صفهم لنا فقل: هم العلماء بالله وبأحكام الله العاملون بما علمهم الله تعالى المتحققون بما استعملهم الله عز وجل⁽¹⁹⁵⁾.
- 5 - وقال ذو النون: رأيت امرأة ببعض سواحل الشام فقلت لها: من أين أقبلت رحمك الله؟ قال: من عند قوم تتأفي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا قلت: وأين تريدن؟ قالت إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله قلت: صفيهم لي فأنشأت تقول:

قوم همومهم بالله قد علقت	فما لهم همهم تسموا إلى أحد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم	يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما إن تنازعهم دنيا ولا شرف	من المطاعم واللذات والولد
ولا للبس ثياب فائق أنق	ولا لروح سرور حل في بلد
إلا مسارعة في إثر منزلة	قد قارب الخطو فيها باعد الأبد ⁽¹⁹⁶⁾

- 6 - وقيل هم الذين ساروا على نهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كالصحابة أهل الصفة والتابعين وتابع التابعين كالجنيد البغدادي وأقرانه إلى يومنا هذا فهؤلاء قوم قلوبهم وعزائمهم صاعدة إلى الملاء الأعلى بالشهود التوحيدي لا يستنكفون عن العبادة ولا يفترون عن الذكر فقوتهم الطاعة ومناجاتهم حب ووجد بقرب وحية بعبادة وذوق بعلم وبسط

⁽¹⁹⁴⁾ هذه إشارة للتسليم المطلق منهم لله عز وجل.

⁽¹⁹⁵⁾ اللمع ص (47).

⁽¹⁹⁶⁾ التعرف (20 0 - 21).

بأنس وخلق بقرآن أي بفهم له أمانة للخلق وخزنة للسر وصفوة للخلق عملوا وتحققوا
بالأخوة الروحية والقيم الإنسانية.

أهل مبادئ يعبرون عن روح القرآن وجوهر السنة ورثوا أخلاقا حميدة وإيمانا خالصا بهديه عليه
الصلاة والسلام فبرز النور المحمدي فيهم وانطلقت أرواحهم تجول بحب وإحساس وقرب
مقدس فم أهل ذوق ووجدان ومشاهدة يترنمون بأفكارهم في تجلي الجلال والجمال والكمال حكماء
ربانيون أرباب فتوة قائمون بعقولهم على همهم عاكفون عليه بقولهم معتصمون بسيدهم من شر
نفوسهم فهم خير أمة أخرجت للناس.

7 - وقيل: الصوفية هم المجتمعة على الله همهم المتعلقة بعظمته وحكمته ألبابهم الذين لا تشهد
سوى الله أسرارهم وليس إلا إليه غدوهم ورواهم فهم أحكم الناس وأعقلهم.⁽⁹⁷¹⁾

8 - وقيل أيضا: إن اصوفية هم بقية من بقايا أهل الصفة.⁽⁹⁸²⁾

9 - وقيل: الصوفية أوفر الناس حظا في الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأحقهم
بإحياء سنته والتخلق باخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حسن الاقتداء به
وإحياء سنته.⁽⁹⁹³⁾

⁽⁹⁷¹⁾ المدخل إلى التصوف (0 9).

⁽⁹⁸¹⁾ اللمع ص 47.

⁽⁹⁹¹⁾ عوارف المعارف (229).

- سيدنا الإمام الرفاعي:
- قال رضي الله عنه معرفاً التوحيد: هو وجدان تعظيم في القلب يمنع من التعطيل والتشبيه.
- وقال في البرهان المؤيد: صونوا قعائدكم من التمسك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة، لأن ذلك من أصول الكفرن قال تعالى: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾^[1001] - والواجب عليكم وعلى كل مكلف في المتشابه الإيمن بأنه من عند الله أنزله على عبده سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما كلفنا سبحانه وتعالى تفصيل علم تأويله قال جلت عظمتة: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾^[1012] فسبيل المتقين من السلف تنزيه الله تعالى عما دل عليه ظاهره وتفيض معناه المراد منه إلى الحق تعالى وتقدس وبهذا سلامة الدين.
- وقال: أي سادة نزهوا الله عن سمات المحدثين وصفات المخلوقين وطهروا عقائدكم من تفسير معنى الاستواء في حقه تعالى بالاستقرار كاستواء الأجسام على الأجسام المستلزم للحول تعالى الله عن ذلك. وإياكم والقول بالفوقية والسفلية والمكان واليد والعين بالجارحة والنزول بالإتيان الانتقال فإن كل ما جاء في الكتاب والسنة مما يدل ظاهره على ما ذكر فقد جاء في الكتاب والسنة مثله مما يؤيد المقصود فما بقي إلا ما قال صلحاء السلف وهو الإيبن بظاهر كل ذلك ورد حكم المراد منه إلى الله ورسوله مع تنزيه الباري تعالى عن الكيف وسمات الحدوث وعلى ذلك درح الأئمة وكل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عنه ليس لأحد أن يفسره إلا الله تعالى ورسوله ولكم حمل المتشابه على ما يوافق أصل المحكم لأنه أصل الكتاب والمتشابه لا يعارض المحكم.

[1001] سورة آل عمران الآية 7.

[1012] سورة آل عمران الآية 7.

• وقال الصوفي يتباعد عن الأوهام والشكوك ويقول بوحداية الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله لأنه ليس كمثلته شيء يعلم ذلك يقينا ليخرج من باب العلم النبي وليخلع من عنقه ربقة القليد.^{[102]1}.

• الإمام محمد مهدي بهاء الدين الشهير بالرواس:

قال رضي الله عنه يقول رجال هذه الطائفة رضي الله عنهم : الحمد لله نؤمن بالله ونشهد أنه لا شريك له لا في السماء ولا في الأرض تنزهه وتقدس عن أن يشاركه فيها أحد ﴿لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا﴾^{[103]2} ونؤمن بما جاء به عن الله الأنبياء والمرسلون وننزهه في ذاته وصفاته عن النظر في الدنيا والآخرة ونقدسه عن الجهات ومجانسة الحادثات ونؤمن بكتابه كله بأنه من عنده أنزله على عبده ونرد تفصيل علم تأويله إليه وننزهه عما دل عليه ظاهره ونفوض المعنى المراد منه إليه تعالى وتقدس ونؤمن بنبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ونشهد بأنه رسول الل وأفضل المرسلين والرحمة العامة للعالمين ونؤمن بأنه رأى ربه بعين بصره وبصيرته ﴿دنا فتتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾^{[104]3} وأنه صلى الله عليه وآله وسلم محمد بن عبدالله ابن عبدالمطلب بن هاشم قرشي عربي بشر فضله الله على خلقه كلهم واختاره لجنابه اصطفاه لذاته وأعطاه الوسيلة الكبرى والشفاعة العظيمة وقدمه على النبيين والمرسلين في الآخرة والأولى ونعتقد أنه هو وإخوانه النبيون والمرسلون معصومون عن الكبائر مطلقا ونبوته عليه الصلاة والسلام باقية وشريعته ناسخة ويقولون نعتقد أن الله تعالى أرسل قبل رسوله ونبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم رسلا أولهم آدم عليه السلام وخاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكلهم جاؤوا بالحق وتكلموا بالصدق وبلغوا الرسالة وصدقوا فيما بلغوا عن ربهم عز وجل وكل ما أنزل إليهم من الكتب والصحف حق وأن المعراج حق وأن الصالحين معلو منزلتهم وقربهم من ربهم لا يسقط عنهم شيء من الفرائض والواجبات من الصلاة والزكاة والحج والصيام وغير ذلك ومن زعم أنه صار وليا وسقطت عنه

[102]1) حكم السيد الإمام أحمد الرفاعي قدس الله سره (48 *).

[103]2) سورة الأنبياء الآية (22).

[104]3) سورة النجم الآية (8 - 9).

الفرائض فقد كفر وإن الولي كبقلة تحت شجرة النبوة وإن البعث حق والعرض حق والحساب حق وإن الجنة ونعيمها حق والنار وعذابها حق وأهل الجنة يرون ربهم بعينهم من غير إدراك ولا إحادة ولا كيفية ولا مقابلة ولا على مكان ولا في جهة وإن قراءة الكتب حق يؤتى المؤمن كتابه بيمينه والكافر بشماله والميزان حق الصراط ق وحوض الكوثر حق الشفاعة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حق وشفاعة المؤمنين حق ومحبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على العموم حق وكلم على هدى وأن أبا بكر رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته وخلافته حق وبعده خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حق وبعده خلافة عثمان ابن عفان رضي الله عنه تحق وبعده خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه حق وأفضل الخلق بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين⁽¹⁰⁵⁾.

وقال رضي الله عنه : في لا إله إلا الله القول بوحداية الواحد الأحد الفرد الصمد ألا وهو الذي لا إله إلا هو الذي لا شريك له ولا نير له ولا ند له ولا ضد له الذي يحي ويميت وهو على كل شيء قدير⁽¹⁰⁶⁾.

وقال رضي الله عنه : بويعت على تنزيه الله تعالى عن افوقية والجهة والجسم والمكان ❀ ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير⁽¹⁰⁷⁾ ❀⁽¹⁰⁸⁾ .

• الإمام عبدالقادر الجيلاني :

قال رضي الله عنه : أخرج عن الخلق جدا واجعلهم كالباب يرد ويفتح وشجرة توجد فيها ثمرة تارة وتحيل أخرى وكل ذلك بفعل فاعل وتدبير مدبر وهو الله عز وجل فإذا صح لك هذا كنت موحدا للرب عز وجل .

⁽¹⁰⁵⁾1 مسلك ناجية الفطين في مراحل السالكين للسيد محمد مهدي الرواس (79 - 81) .

⁽¹⁰⁶⁾2 المرجع السابق (150) .

⁽¹⁰⁷⁾3 سورة الشورى الآية (11) .

⁽¹⁰⁸⁾4 بوارق الحقائق ص 313 .

ولا تنس مع ذلك كسبهم لتتخلص من مذهب الجبرية واعتقد أن الأفعال لا تتم بهم دون الله عز وجل لكيلا تعبدتهم وتنسى الله ، ولا تقل فعلهم دون فعل الله فتكفر فتكون قدريا ولكن قل هي لله خلقا وللعباد كسبا كما جاءت به الآثار ، وليبان موضع الجزاء من الثواب العقاب...^(109[1]).

• الإمام الشعراي:

قال رضي الله عنه: اعلم يا أخي أن القوم أجمعوا على أن الله تعالى إله واحد لا ثاني، تنزه عن الصاحبة والولد مالك لا شريك له صانع لا مدبر معه موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجد بل ك موجود مفتقر اليه في وجوده فالعامل كله موجود به وهو تعالى مطلق مستمر قائم بنفسه ليس بجوهر فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فتكون له الجهة والتلقاء مقدس عن الجهة والأقدار مرئي بالقلوب والأبصار استوى تعالى على عرشه كما قاله ، وعلى المعنى الذي أراده كما أن العرش وما حواه به استوى، له الآخرة والأولى ليس له مثل معقول ، ولا دلت عليه العقول، ولا يحده زمان ولا يقوله مكان، وهو الآن على ما عليه كان...، علم الأشياء قبل وجودها ثم أوجدها على حد ما هي عليه، فلم يزل عالما بالأشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الأشياء أتقن الأشياء وأحكمه يعلم الكلبيات والجزئيات على الإطلاق فهو عالم الغيب والشهادة، فتعالى عما يشركون...، لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئا لم يرد الله تعالى لهم أن يريدوه ما أرادوه أو أن يفعلوا شيئا لم يرد الله إيجاده أو أرادوه ما فعلوه ولا استطاعوه ولا أقدروهم عليه. وكما شهدنا لله تعالى بالوحدانية وما يستحقه من الصفات العلية كذلك نشهد لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة إلى جميع الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وأنه صلى الله عليه وآله وسلم بلغ جميع ما أنزل إليه من ربه وأدى أمانته ونصح أمته ، ونؤمن بكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما علمنا ومما لم نعلم.^(110[2]).

• الإمام الجنيد:

^(1109[1]) آداب السلوك للإمام الجيلاني (67 - 68).

^(1110[2]) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية للشعراي (20 - 25).

قال رضي الله عنه: التوحيد هو إراد الموحّد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته ، أنه هو الواحد الذي لم يلد ولم يولد بنفي الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير .

وقال رضي الله عنه: التوحيد إفراد القدم عن الحدث .

• الإمام القشيري:

قال رضي الله عنه: إن شيوخ هذه الطائفة بنوا عقائدهم على أحوال صحيحة في التوحيد صانوا بها عقائدهم عن البدع ودانوا بها وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل وعرفوا ما ه حق القدم وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العد .

• الشيخ حسين منصور الحلاج:

قال رضي الله عنه: ألزم الكل الحدث لأن القدم له فالذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه والذي بالأداة اجتمه فقواه تمسكه والذي يؤلفه وقت يفرقه وقت والذي يقيمه غير فالضرورة تمسه والذي الوهم يظفر به فالتصوير يرتقي إليه ومن آواه محل أدركه أين إنه سبحانه وتعالى لا يظله فوق ولا يقله تحت ولا يقابله ولا يزاومه عند ، ولا يحده أمام ، ولم يظهره قبل ، ولم يفنه بعد ، ولم يجمعه كل ، ولم يوجد له كان ، ولم يفقده ليس ، وصفه لا صفة له ، وفعله لا علة له ، وكونه لا أمد له ، تنزه عن أحوال خلقه ، ليس له من خلقه مزاج ولا في فعله علاج باينهم بقدمه كما باينوه بحدثهم إن قلت متى؟ فقد سبق الوقت كونهن وإن قلت هو فالهاء والواو من خلقه وإن قلت أين فقد تقدم المكان وجوده فالحروف آياتهن ووجوده إثباته ومعرفته توحيدة وتوحيدة تمييزه عن خلقه ما تصور بالأوهام فهو بخلافه كيف يحل به ما منه بداه أو يعود إليه ما هو أنشأه لا تراه العيون ولا تقابله الظنون علوه من غير توقل^[111] ، ومجيؤه من غير تنقل هو الأول والآخر والظاهر الباطن والقريب والبعيد الذي ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير .

• الشيخ أبو محمد سهل بن عبدالله التستري:

(^[111]) وقل في الجليل: يقل سعد ورفع رجلا وأثبت أخرى

قال رضي الله عنه حين سئل عن الله عز وجل: ذات موصوفة بالعلم غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا وهو موجود في حقائق الإيمان من غير حد ولا حلول تراه العيون في العقبي ظاهرا في ملكوته وقدرته لقد حجب سبحانه وتعالى الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه بآياته.

• الشيخ أبو الحسن البوشنجي:

قال رضي الله عنه: التوحيد أن تعلم أنه غير مشبه للذوات ولا منفي الصفات.

• الشيخ أبو محمد الحريري:

قال رضي الله عنه: من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهد زلت به قدم الغرور في مهواة التلف ومن لم يتأمل التوحيد سقط عن سنن النجاة ووقع في أسر الهلاك.

• الشيخ أبو إسحاق الإسفراييني:

قال رضي الله عنه: جميع ما قاله المتكلمون في التوحيد قد جمعه أهل الحقيقة في كلمتين: الأولى: اعتقاد أن كل تصور في الأوهام فالله بخلافه، والثانية: أن ذاته تعالى غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات.

• الشيخ أبو بكر محمد الكلاباذي:

قال رضي الله عنه: اجمعت الصوفية على أن الله واحد أحد فرد صمد عالم قادر حي سميع بصير عزيز عظيم جليل جواد رؤوف متكبر جبار باق أول إله سيد مالك رب رحمان رحيم مرید حكيم متكلم خالق رازق موصوف بكل ما وصف به نفسه من صفاته مسمى بكل ما سمي به نفسه لم يزل قديما بأسمائه وصفاته غير مشبه بالخلق بوجه من الوجوه لا تشبه ذاته الذوات ولا صفته الصفات لا يجري عليه شيء من سمات المخلوقين الدالة على حدثهم لم يزل سابقا متقدما للمحدثات موجودا قبل كل شيء لا قديم غيره ولا إله سواه ليس بجسم ولا شبح ولا صورة ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا اجتماع له ولا افتراق لا يتحرك ولا يسكن لا ينقص ولا يزيد ليس بذي أبعاد ولا أجزاء ولا أعضاء ولا بذي جهات ولا أماكن لا تجري عليه الآفات ولا

تأخذ السنت ولا تداوله الأوقات ولا تعينه الإشارات لا يحويه مكان، ولا يجري عليه زمان ، لا تجوز عليه المهاسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن لا تحيط به الأفكار ولا تحجبه الأستار ولا تدركه الأبصار.

قيل:

التوحيد: هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتا وصفات وأفعالا.

أخلاق الصوفية

ويفصل السهروردي بيان أن ما دعا إليه الصوفية من أخلاق هي نفس ما تخلق به النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سلوكه ودعا إليه في أحاديثه ومن ذلك:

- 1 - أن من أخلاق الصوفية: التواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا ولا يبغي بعضكم على بعض»⁽¹¹²¹⁾ وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن ويكافئ عليها ويأكلها ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين.
- 2 - ومن أخلاقهم المداراة واحتمال الأذى من الخلق: قال رسول الهل صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمن الذي يعاشر الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم»⁽¹¹³²⁾.
- 3 - ومن أخلاقهم الإيثار والمواساة ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعاً وقوة اليقين شرعاً⁽¹¹⁴³⁾ وفي هذا المعنى نزلة الآية: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾⁽¹¹⁵⁴⁾؛ ويؤثرون بالموجود ويصبرون على المفقود.
- 4 - ومن أخلاقهم التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة، وقد روي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت: يا جبريل لمن هذه؟ قال: للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس»⁽¹¹⁶⁵⁾.

⁽¹¹¹²⁾1) أخرجه مسلم (7139) والبخاري في الأدب المفرد (428)، وأبو داود (4895)، والطبراني في الكبير (1000/17) وابن ماجه

(4179)، وأحمد (162/4)، والنسائي في فضائل القرآن (95).

⁽¹¹¹³⁾2) أخرجه البخاري في الأدب (388)، والترمذي (2507)، وابن ماجه (4022)، وأحمد (42/2).

⁽¹¹⁴⁴⁾3) عوارف المعارف (2470).

⁽¹¹¹⁵⁾4) سورة الحشر الآية (9).

⁽¹¹⁶⁶⁾5) عوارف المعارف ص 253 والحديث في كنز العمال (7016).

- 5 - ومن أخلاقهم البشر وطلاقة الوجه، فالصوفي بكأؤه في خلوته وبشره وطلاقة وجهه مع الناس^{[117]1}. وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق»^{[118]2}،^{[119]3}.
- 6 - ومن أخلاقه من غير افتقار وترك الادخار، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهي خادمه عن الادخار قائلا: «ألن أنك أن تحبب شيئا لعدو؟ فإن الله تعالى يأتي برزق كل غد» وورد أيضا أنه قال: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا»^{[120]4}،^{[121]5}.
- 7 - ومن أخرجهم التودد والتألف والموافقة مع الإخوان وترك المخالفة وقال عليه الصلاة والسلام: «المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»^{[122]6}.
- 8 - ومن أخلاقهم رضي الله عنهم غيرتهم لله تعالى: إذا انتهكت حرمانه نصره للشريعة المطهرة فكانوا لا يفعلون فعلا ولا يصحبون أحدا إلا إذا علموا رضا الله تعالى فيه، فلا يجوبون أحدا ولا يبغضونه لعلة دنيوية.
- وكان علي بن الحسين رضي الله عنهما يقول: لا يصطحب اثنان على غير طاعة الله إلا تفرقا على غير طاعة الله.
 - وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول: إذا أحدث الرجل حدثا ولم يبغضه من زعم أنه أخوه فمحبته لغير الله إذ لو كانت لله لغضب على من عصاه.
 - وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: من ادعى أنه يحب عبدا لله تعالى ولم يبغضه إذا عصى الله تعالى فقد كذب في دعواه أن يحبه لله.

^{[117]1} عوارف المعارف ص 254.

^{[118]2} أخرجه البخاري في الأدب المفرد (304)، والترمذي (1970)، وقال حديث حسن، وأحمد (344/2)، وعبد ابن حميد (1090).

^{[119]3} عوارف المعارف (255) 0.

^{[120]4} أخرجه البخاري (6460)، ومسلم (2424)، والترمذي (2361)، وابن ماجه (4139)، وأحمد (232/2)، وفي الزهد ص

(8)، ووكيع في الزهد (119)، وابن أبي شيبة (240/13؛ 241)، وابن حبان (6344)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص (268)؛

والبيهقي (150/2)، وفي دلائل النبوة (87/6).

^{[121]5} عوارف المعارف ص (261).

^{[122]6} ذكره السيوطي في الجامع الصغير (9147) ورمز لصحته.

- وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى لا يطرد الكلب إذا جلس بحذاءه ويقول: هو خير من قرين السوء (وكفى بالمرء شراً أن لا يكون صالحاً ويقع في الصالحين).
- وكان أحمد بن حرب رحمه الله تعالى يقول: ليس شيء أنفع لقلب العبد من مخالطة الصالحين والنظر إلى أفعالهم وليس شيء أضر على القلب من مخالطة الفاسقين والنظر إلى أفعالهم.
- 9 - ومن أخلاقهم رضي الله عنهم قلة الضحك وعدم الفرح بشيء من الدنيا: بل كانوا ينقبضون بكل شيء حصل لهم من ملابسها ومراكبها ومناكحها عكس ما عليه أبناء الدنيا كل ذلك خوفاً أن يكون من جملة ما عجل لهم من نعيم الآخرة وكيف يفرح بشيء من هو في السجن محبوس عن لقاء الله عز وجل فكما يحزن المحبوس عن داره وعياله ويتكدر كذلك يحزن أولياء الله تعالى على طول عمرهم وسجنهم في هذه الدار عن لقاء ربهم عز وجل.
- وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى لا يراه أحد إلا ظن أنه قريب عهد بمصيبة لما يرى به من شدة الحزن والخوف.

• وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول: رب ضاحك وأكفانه قد خرجت من عند القصار^[123].

10 ومن أخرجهم رضي الله عنهم كثرة الخوف من الله تعالى أن يعذبهم على ما جنوه من مظالم نفوسهم ومالم العباد: ولو عود خلال لأحد أو إبرة يخيطنون بها لاسيما إن كان أحدهم يتقل أعماله الصالحة في عينه فإنه يشتد خوفه وكرهه لعدم أن يكون معه شيء من الحسنات يعطي منها الخصوم يوم القيامة، وربما شح أحد المظلومين يوم القيامة فلا يرضى بجميع أعمال الظالم الصالحة في مظلمة واحدة من مال أو عرض أو لظمة.

وكان الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى يقول: بلغنا أنه تاب كيال عن الكيل وأقبل على عبادة ربه عز وجل، فلما مات رآه بعض أصحابه في منامه فقالوا له: ما فعل الله بك يا فلان؟ قال أحصى علي خمسة عشر قفيزاً من أنواع الحبوب التي كنت أكتأها، فقال له: كيف ذلك؟ قال: كنت أغففل عن

[123] تنبيه المغترين للشعراني (0 47 - 48).

تعاهد الكيل بالنقص من الغبار فيتراكم في قعره التراب، فكانت كل كيلة تنقص بقدر ما في القعر من التراب.

(وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول: إن الرجل ليلعن نفسه في الصلاة ولا يشعر، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال يقرأ: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾⁽¹²⁴¹⁾ وهو قد ظلم نفسه بالمعاصي وظلم الناس بأخذ أموالهم والوقوع في أعراضهم).

- وكان أحمد بن حرب رحمه الله تعالى يقول: يخرج من الدنيا أقوام أغنياء من كثرة الحسنات فيأتون يوم القيامة مفاليس من أجل تبعات الناس.
- وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول: لأن تلقى الله تعالى بسبعين ذنبا فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنوب واحد فيما بينك وبين العباد.

11 ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم: كثرة الخوف من الله تعالى إذا ذكروا أهوال القيامة وكثرة الغشيان إذا سمعوا القرآن والذكر: وقد قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما قوله تعالى: ﴿إن لدينا أنكالا وجحيا وطعاما ذا غصّة وعذابا أليما﴾⁽¹²⁵²⁾ وكان وراءه حمران بن أعين فخر ميتا رضي الله عنه⁽¹²⁶³⁾.

12 ومن أخلاقهم رضي اهل تعالى عنهم: تقديم أعمال الآخرة دائما على أعمال الدنيا: فيقدم أحدهم ورده بعد صلاة الصبح على سائر مهماته كما يقدم التهجّد في الليلة الباردة على نومه تحت اللحاف وعلى ذلك درج السلف الصالح كلهم رضي الله عنهم فمن أصبح وهمته الدنيا فهو خارج عن طريقهم.

- وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول: من لم تكن عنده تسيحة أو تهليلة واحدة خيرا من الدنيا وما فيها فهو ممن أثر الدنيا على آخرته.

(1241) سورة: هو الآية (18).

(1251) سورة المزل الآية (12 - 13) ..

(1261) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (917).

• وكان سيدي الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى يقول: الدنيا ابنة إبليس فمن خطبها كثر تردد أبيها إليه ، فإن دخل بها أقام عنده بالكلية قلت المراد (بخطبته الدنيا) تمنيتها، و (بالدخول بها) إمساكها أي إمساك الفاضل منها عن حاجته لغير غرض شرعي فعلم أن من أراد أن إبليس لا يسكن عنده مع تزويجه ابنته فقد رام المحال ولذلك كان يتوسوس في الصلاة والوضوء والنيات كلها كثير من الناس الذين يحبون الدنيا بقلوبهم.

13 ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم عدم غفلتهم عن ذكر الله تعالى نوعن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مجلس جلسوه: عملا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: « لا يجلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا كان عليهم تره / [أ : تبعة ونقصا] يوم القيامة»^{[127]1}.

وأیضا عملا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها)^{[128]2}.

• وكان داود الطائي رحمه الله يقول: كل نفس تخرج من الدنيا عطشانة إلا نفس الذاكرين. وكان ثابت البناني رحمه الله تعالى يقول: (إني لأعرف متى يذكرني الله تعالى ، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: إذا ذكرته سبحانه وتعالى ذكرني قال تعالى ﴿فأذكروني أذكركم﴾^{[129]3}.

• وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول: حادثوا القلوب بذكر الله فإنها سريعة الغفلة وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول: واعجبا من الناس يبكون على من مات جسده ولا يبكون على من مات قلبه وهو أشد.^{[130]4}.

14 ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم دقة قلوبهم وكثرة بكائهم: على تفریطهم في حقوق الله تعالى لعل الله أن يرحمهم.

^{[127]1} أخرجه أحمد (463/2) وكذا في مجمع الزوائد (16786) ورجاله رجال الصحيح وأخرجه أيضا ابن المبارك في الزهد (962).

^{[128]2} أخرجه الطبراني في الكبير (182/20) ورجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد (10/رقم 16746) وابن السني في عمل اليوم والليلة (3).

^{[129]3} سورة البقرة الآية (152).

^{[130]4} تنبيه المغترين ص (118 - 119).

• وكان على هذا المقام الإمام أبوبكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب وأبو الدرداء رضي الله عنهم.

15 ومن أخلاقهم رضي الله عنهم نصح بعضهم بعضاً: فكان الكبير لا يتكدر من نصح الصغير له ، وبالعكس.

وكان يحيى بن معاذ يقول: ما أمر الإنسان في هذه الدار ولو طال إلا كنفس واحد في جنب عيش الجنة، ومن ضيع نفسه واحدا يعيش به عيش الأبد إنه والله من الخاسرين.

16 ومن أخلاقهم رضي الله عنهم شدة خوفهم من الله تعالى أن يختم لهم بسوء: فيكونوا من اللمحجوبين عنه في النار وكان أحدهم يأخذ في التفكير والحزن حتى يغيب عن الحاضرين.

• وكان الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه يقول: أكثر ما يسلب من الناس الإيمان عند الموت وبكى سفيان الثوري مرة حتى غشي عليه فقيل له: علام تبكي؟ فقال: بكينا على الذنوب زمانا ، ونحن الآن نبكي على الإسلام - آ : خوفا أن يذهب منا. وكان موسى بن مسعود يقول: شكنا إذا جلسنا عند سفيان الثوري فكأننا نار أحاطت بنا لما نرى عليه من شدة الخوف والجزع.

• وكان الفضيل بن عياض يقول: خوف العبد من الله على قدر معرفته به⁽¹⁾.

17 ومن أخرجهم رضي الله تعالى عنهم أن يكون أحدهم هينا لينا ينقاد للصغير كما ينقاد الجمل: وفي الحديث الذي فيه الأمر بتسوية الصفوف: (وللينوا في يد إخوانكم)⁽²⁾، وفي القرآن العظيم ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾⁽³⁾ إذا علمت ذلك فاعلم أن من جملة لين الفقراء أن أحدهم إذا دخل على جماعة يذكرون الله تعالى كذكر الأعاجم أو المغاربة أو الشناوية أو المطاوعة مثلا أن يذكر معهم كهيتهم في الصورة بطريقة الشرعي

(1)[131] تنبيه المغترين للشعراني ص(88 - 91).

(2)[132] قطعة من حديث مطلع (أقيموا الصفوف) أخرجه أبو داود (166)، والنسائي: (820)، وأحمد في المسند (97/2).

(3)[133] سورة آل عمران الآية(159).

وكذلك يوافقهم في ذكرهم الذي لقنوه حين دخلوا في الطريق من نفي أو إثبات، ولا يقول إن هذه الكيفية ليست طريقة شيخنا كما يقع في ذلك كثير من الناس، فيفوتهم الأجر مع وقوعهم في الجفاء وغلظ الطبع فالعم ذلك واعمل عليه ، والحمد لله رب العالمين.

18 ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم رؤية محاسن الناس والتعامي عن مساوئهم: حتى إن أحدهم لا يكاد يرى في أخيه المسلم عيبا يهجو به أبدا ويصير الناس كلهم عنده صالحين فعلم أن الصالحين لا يعادون أحدا لفحظ نفس وإما الناس هم الذين يعادونهم حسدا وعدوانا فإن قيل: إن صاحب هذا المقام يقل نفعه لأصحابه من حيث عدم النصح والتحذير من المنكر فيصير هذا مرتكبا للمعاصي على الدوام ولا يهتدي لتحذيره عنها لعدم شهودها فيه إذا حمله على المحامل الحسنة! فالجواب أنه يهتدي للتحذير بالإلهام الصحيح بواسطة رابطة به ، أو بقياسه على نفسه ويقول: كما أني ارتكب المعاصي مثلا فكذلك أخي قد لا يخلو منها فإن ما جاز في حقي جاز في حق غيري ومعلوم عند القوم أن ذكرهم نقائص إخوانهم لا يكون إلا على وجه التحذير دون التشفي لبراءتهم من مثل هذا الفعل.

19 ومن أخرجهم رضي الله تعالى عنهم : كثرة أدبهم مع من علمهم سورة أو آية من القرآن وهم أطفال: فلم يزل أحدهم يتأدب مع من علمه السورة أو الآية أو الباب من العلم حتى إنه لا يقدر يمر عليه راكبا ولا يتزوج له مطلقة ولو صار من مشايخ الإسلام^[134].

فأخلاق أهل التصوف كثيرة جدا وما هي إلا صورة عن أخلاق سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم الذي وصفه الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله ﴿وإنك على خلق عظيم﴾^[135].

[134] تنبيه المغترين للشعراني (100 - 104).

[135] سورة القلم الآية 4.

أقوال الأئمة والعلماء في التصوف

1 - الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى⁽¹³⁶⁾: صحبت الصوفية فاستفدت منهم ثلاث كلمات:

قولهم: الوقت سيف إذا لم تقطعه قطعك.

وقولهم: نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

وقولهم: العدم عصمة⁽¹³⁷⁾.

وقال أيضا: حيب إلي من دنياكم ثلاث: ترك التكلف وعشرة الخلق بالتلطف والاعتداء بطريق

أهل التصوف⁽¹³⁸⁾.

2 - الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى:

نقل الفقيه الحنفي الحصكفي صاحب الدر: أن أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى قال:

(أنا أخذت هذه الطريقة من أبي القاسم النصر أباذي، وقال أبو القاسم: أنا أخذتها من الشبلي وهو

من السري السقطي، وهو من معروف الكرخي وهو من داود الطائي، وهو أخذ العلم والطريقة

من أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه وكل منهم أثنى عليه وأقر بفضله)⁽¹³⁹⁾.

3 - الإمام مالك رحمه الله تعالى:

يقول الإمام مالك رحمه الله تعالى: (من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد

تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق)⁽¹⁴⁰⁾.

4 - الإمام أحمد رحمه الله تعالى:

⁽¹³⁶⁾ الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أحد الأئمة الأربعة المشهورين توفي في مصر سنة 204 هـ.

⁽¹³⁷⁾ تأييد الحقيقة العلية للإمام جلال الدين السيوطي ص 15.

⁽¹³⁸⁾ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للإمام العجلوني المتوفي سنة 1662 هـ، ج / 341.

⁽¹³⁹⁾ الدر المختار ج 1 - 43 و عليه حاشية ابن عابدين.

⁽¹⁴⁰⁾ حاشية العلامة علي العدوي على شرح الإمام الزرقاني في الفقه المالكي ج 3 95 وشرح عين العلم وزين الحلم للإمام ملا علي

القاري المتوفي 114 هـ ج 1 33 والإمام مالك رحمه الله تعالى أحد الأئمة الأربعة المشهورين توفي سنة 179 هـ في المدينة المنورة.

كان الإمام أحمد رحمه الله تعالى⁽¹⁴¹⁾ قبل مصاحبته للصوفية يقول لولده عبدالله رحمه الله تعالى : (يا ولدي عليك بالحديث وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم صوفية فإنهم ربما كان أحدهم جاهلا بأحكام دينه فلما صحب أبا حمزة البغدادي الصوفي وعرف أحوال القوم أصبح يقول لولده: يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم، فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة)⁽¹⁴²⁾.

وكان الإمام أحمد بن حنبل مع جلالته قدره إذا توقف في مسألة يقول أبي حمزة البغدادي رضي الله عنه: ما تقول في هذه المسألة يا صوفي؟ فمهما قال له اعتمده.

ونقل العلامة محمد السفاريني الحنبلي رحمه الله تعالى عن إبراهيم بن عبدالله العلاني رحمه الله تعالى أن الإمام أحمد رحمه الله تعالى قال عن الصوفية (لا أعلم أقواما أفضل منهم قيل إنهم يستحيون ويتواجدون قال دعوهم يفرحون مع الله ساعة...)⁽¹⁴³⁾.

5 - ابن تيمية رحمه الله تعالى :

تحدث أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى عن تمسك الصوفية بالكتاب والسنة في الجزء العاشر من مجموع فتاويه فقال: فأما المستقيمون من السالكون كجمهور مشايخ السلف مثل الفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، والجنيد بن محمد، وغيرهم من المتقدمين ومثل الشيخ عبدالقادر الجيلاني والشيخ حماد والشيخ أبي البيان وغيرهم من المتأخرين فلا يسوغون للسالكون ولو طار في الهواء أو مشى على الماء أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين بل عليهما أن يعمل المأمور ويدع المحذور إلى أن يموت وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف وهذا كثير في كلامهم⁽¹⁴⁴⁾.

ويصفهم أيضا بانهم من أكمل صديقي زمانهم⁽¹⁴⁵⁾.

(141) الإمام أحمد رحمه الله تعالى أحد الأئمة الأربعة المشهورين توفي سنة 241هـ.

(142) تنوير القلوب ص 405 للعلامة الشيخ أمين الكردي المتوفي سنة 1332هـ.

(143) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ج 1 120.

(144) مجموع فتاوي أحمد بن تيمية ج 1 5160 - 517.

(145) الفتاوي (11 / 17).

6 - ويقول الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد عن الصوفية:

أما أرباب النفوس العالية والعقول السامية من العرفاء (الصوفية) ممن لم تدن مراتبهم من مراتب الأنبياء ولكهم رضوا أن يكونا لهم أولياء وعلى شرعهم ودعوتهم أمناء فكثير منهم نال حظه من الأنس بما يقارب تلك الحال في النوع أو الجنس لهم مشاهد صحيحة في عالم المثال لا تنكر عليهم لتحقق حقائقها في الواقع فهم لذلك لا يستبعدون شيئاً مما يحدث به عن الأنبياء صلوات الله ولامه عليهم ومن ذاق عرف ومن حرم انحرف ودليل صحته ما يتحدثون به ومنه ظهور الأثر الصالح منهم وسلامة أفعالهم مما يخالف شرائع أنبيائهم وطهارة فطرتهم مما ينكره العقل الصحيح أو يمججه الذوق السليم.

وقال أيضاً فيما يرويه تلميذه محمد رشيد رضا عنه في كتاب (تاريخ الأستاذ الإمام) 0 928، لا يوجد في أمة من الأمم من يضاهي الصوفية في علم الأخلاق وتزكية النفوس وإنه بضعف هذه الطبقة وزوالها فقدنا الدين وكل ما أنا فيه من نعمة في ديني أحمد الله فسيبها الصوفية؟ ويقول تلميذه محمد رشيد رضا في الكتاب السابق ذكره ص 126 وقد بينا في أول الفصل أن الأستاذ الإمام رحمه الله قد ربي تربية صوفية وأنه كان صوفياً صفيماً خفياً وأنه كان يرى وجوب كتمان كل ما يؤتاه المرء من ثمرات التصوف وإن كان مع الناس فيما يشاركونهم فيه من الصفات والأحوال.

7 - تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى :

وقال الشيخ تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى في كتابه معيد النعم ومبيد النقذ تحت عنوان (الصوفية) حياهم الله وبياهم وجمعنا في الجنة نحن وإياهم وقد تشعبت الأقوال فيهم تشعباً ناشئاً عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المتلبسين بها إلى أن قال وإنهم المعرضون عن الدنيا المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة .. ثم تحدث عن تعاريف التصوف إلى أن قال: والحاصل أنهم أهل الله وخاصته الذين ترتجي الرحمة بذكرهم ويستنزل الغيث بدعائهم فرضي الله عنهم وعنا بهم^[146].

[146] كتاب معيد النعم ومبيد النقذ ص 119، للإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي المتوفى سنة 771هـ.

8 - الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى:

قال العلامة الكبير والمفسر الشهير الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في كتابه اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : (الباب الثامن في أحوال الصوفية: اعلم أن أكثر من حصر فرق الأمة لم يذكر الصوفية وذلك خطأ لأن حاصل قول الصوفية أن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية وهذا طريق حسن.. وقال أيضا: والمتصوفة قوم يشتغلون بالفكر وتجرد النفس عن العلائق الجسمانية ويجتهدون أن لا يخلو سرهم وباهم عن ذكر الله تعالى في سائر تصرفاتهم وأعمالهم منطبعون على كمال الأدب مع الله عز وجل وهؤلاء هم يرفق الآدميين)^[147].

9 - الإمام الشاطبي رحمه الله

ذكرت مجلة المسلم ، العشيرة المحمدية^[148] تحت عنوان (الإمام الشاطبي)^[149] صوفي سلفي للسيد أبي التقي أحمد خليل: كتاب الاعتصام من الكتب التي يعتبرها المتسلفة مرجعا أساسيا لبعض آرائهم ويرون في الشيخ أبي إسحاق الشاطبي إماما لهم وقد عقد الإمام الشاطبي في كتابه هذا فصولا كريمة عن التصوف الإسلامي وأثبت أنه من صميم الدين وليس هو مبتدعا ووفي المقام هناك بما تسلم له العقول والقلوب فاستمع إلى الإمام الشاطبي يقول:

إن كثيرا من الجهال يعتقدون في الصوفية أنهم متساهلون في الاتباع والتزام ما لم يأت في الشرع التزامه مما يقولون به ويعملون عليه وحاشاهم من ذلك أن يعتقدوه أو يقولوا به : فأول شيء بنوا عليه طريقهم اتباع السنة واجتناب ما خالفها حتى زعم مذكرهم وحافظ مأخذهم وعمود نحلتهم أبو القاسم القشيري أنهم إنما اخصتوا باسم التصوف انفرادا به عن أهل البد فذكر أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يسم أفاضلهم في عصرهم باسم علي سوى الصحبة إذ لا فضيلة فوقها ثم سمي من يليهم التابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقليل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية في الدين: الزهاد والعباد قال ثم ظهرت البدع وادعى كل فريق

[147] اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للإمام فخر الدين الرازي ص 72 - 73 توفي سنة 606هـ.

[148] مجلة المسلم ، العشيرة المحمدية ، عهد ذي القعدة سنة 1373هـ.

[149] الشاطبي هو إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي المتوفى سنة 790هـ.

أن فيهم زهادا وعبادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله، والحافظون قلوبهم عن الغفلة باسم التصوف، فتأمل تغنم والله أعلم.

10 - ابن خلدون رحمه الله تعالى:

وقال ابن خلدون رحمه الله تعالى في كلامه عن علم التصوف: هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة فيالملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الحصابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخارف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف ، فلما فشي الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح النا إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية^[150].

11 - العلامة الشريف الجرجاني في (التعريفات) 520:

يقول : التصوف مذهب كله جد فلا يخلطونه بشيء من الهزل وهو تصفية القلب عن مواقف البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخاد صفات البشرية ومجانبة الدعاوي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة واستعمال ما هو أولى على السرمدية والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى على الحقيقة واتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الشريعة.

12 - الإمام أبو حامد الغزالي:

يقول الإمام الغزالي في كتابه (المنقذ من الضلال) بعد أن فرغ من علوم الشريعة بكتاب (الأربعين) وعلوم الفلسفة القديمة بكتاب (مقاصد الفلاسفة) وكذلك التاهفت يقول واصفا التصوف والصوفية: ثم إني لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمتي على طريق الصوفية ، وعلمت أن طريقهم إنما يتم بعلم وعمل، وكان حاصل عملهم قطع عقبات النفس والنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بذلك إلى تخلية القلب من غير الله تعالى وتخليته بذكر الله وكان حينئذ العلم أيسر علي من اغلعمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت

[150] مقدمة ابن خلدون ص 328 وهو عبدالرحمن ابن الشيخ أبي بكر محمد بن خلدون الحضرمي توفي 808هـ.

القلوب لأبي طالب المكي رحمه الله وكتب الحارث المحاسبي والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي وغير ذلك من كلام مشايخهم حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية ، حصلت على ما يمكن أن يحصل المرء من طريقتهم بالتعليم والسماع فظهر لي أن أخص خصائصهم لا يمكن الوصول اليه بمجرد العلم بل بالذوق والحال، وتبدل الصفات ، فعلمت يقينا أنهم أرباب أحوال لا أصحاب أقوال .

والقدر الذي أذكره لينتفع به هو أي علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى . وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخرفهم أذكى الأخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إلى ذلك سبيلا وإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به، فأيقنت أنهم الفرقة الناجية ومذا يقول القائلون في طريقة أول شروطها: تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ، وعمادها ومفتاحها الجاري منها مجرى الإحرام في الصلاة: استغراق القلب بالكلية بذكر الله، وآخرها الفناء بالكلية في الله⁽¹⁾.

13 - الإمام القشيري رحمه الله تعالى:

وقال الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى في مقدمة رسالته المشهورة متحدثا عن الصوفية: جمع الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم وجعل قلوبهم معادن أسرارهم واختصهم من بين الأمة بطواع أنواره فهم الغياث للخلق والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق بالحق صفاهم من كدورات البشرية ورقاهم إلى محل المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية ووقفهم للقيام بالآداب العبودية وأشدهم مجاري أحكام الربوبية فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكليف وتحققوا بما منه سبحانه لهم من التقليل والتصريف ثم رجعوا إلى الله سبحانه وتعالى بصدق الافتقار ونعت الانسكار ولم يتكلموا

(1[151]) المنفذ من الضلال للإمام الغزالي تحقيق الدكتور عبدالرحيم محمود ص (145).

على ما حصل منهم من الأعمال أو صفا لهم من الأحوال علما منهم بانه جل وعلا يفعل ما يريد ويختار من يشاء من العبيد لا يحكم عليه خلق ولا يتوجه عليه لمخلوق حق ثوابه ابتداء فضل وعذابه حكم بعدل وأمره قضاء فصل^[152].

14 - العز بن عبدالسلام رحمه الله تعالى :

قال سلطان العلماء عز الدين بن عبدالسلام رحمه الله تعالى : قعد القوم من الصوفية على قواعد الشريعة التي لا تنهدم دنيا وأخرى وقعد غيرهم على الرسوم ومما يدلك على ذلك ما يقع على يد القوم من الكرامات وخوارق العادات فإنه فرع عن قربات الحق لهم ورضاه عنهم ولو كان العلم من غير عمل يرضي الحق تعالى كل الرضى لأجرى الكرامات على أيدي أصحابهم ولو لم يعملوا بعلمهم هيئات هيئات^[153].

15 - الإمام ابن عابدين

وتحدث خاتمة المحققين العلامة الكبير والفقير الشهير الشيخ محمد أمين المشهور بابن عابدين رحمه الله تعالى في كتابه المسمى مجموعة رسائل ابن عابدين الرسالة السابعة (شفاء العليل وبل الغليل في حكم الوصية بالختامات والتهاليل) عن البدع الدخيلة على الدين مما يجري في المآثم والختامات من قبل أشخاص تزبوا بزى العلم وانتحلوا اسم الصوفية ثم استدرك الكلام عن الصوفية الصادقين حتى لا يظن أنه يتكلم عنهم عام فقال:

(ولا كلام لنا مع الصُّدِّق من ساداتنا الصوفية المبرئين عن كل خصلة ردية، فقد سئل إمام الطائفتين سيدنا الجنيد: إن أقواما يتواجدون ويتميلون؟ فقال: دعوهم مع الله تعالى يفرحوه فإنهم قوم قطعت الطريق أكبادهم ومزق النصب فؤادهم وضاقوا ذرعا فلا حرج عليهم إذا تنفسوا مداة لحالم ولو ذقت مذاهقم عرثهم في صياحهم.. وبمثل ما ذكره الإمام الجنيد أجاب العلامة النحرير ابن كمال باشا لما استفتي عن ذلك حيث قال:

ولا التمايل إن أخلصت من باس

ما فيا لتواجد إن حققت من حرج

[152] الرسالة القشيرية للإمام القشيري ص 2.

[153] نور التحقيق للشيخ حامد صقر ص 96.

للرخصة فيما ذكر من الأوضاع عند الذكر والسماع للعارفين الصارفين أوقاتهم إلى أحسن الأعمال السالكين المالكين لضبط أنفسهم عن قبائح الأحوال فهم لا يستمعون إلا من الإله ولا يشتاقون إلا له إن ذكره ناحوا وإن شكروه باحوا وإن وجدوه صاحوا وإن شهدوه استراحوا وإن سرحوا في حضرات قربه ساحوا إذ غلب عليهم الوجد بغلباته وشربوا من موارد إرادته فمنه من طرقته طوارق الهيبة فخر وذاب ومنهم من برقت له بوارق اللطف فتحرك وطاب ومنهم من طلع عليهم الحب من مطلع القرب فسكر وغاب هذا ما عن لي في الجواب والله أعلم بالصواب .

وأيضاً فإن سماعهم ينتج المعارف الإلهية والحقائق الربانية ولا يكون إلا بوصف الذات العلية والموعظة الحكيمة والمدائح النبوية .

ولا كلام لنا أيضاً مع من اقتدى بهم ، وذاق من مشربهم ووجد من نفسه الشوق والهيام في ذات الملك العلام وسيأتي الكلام عن أدلة جواز الحركة في الذكر في بابها الاصل بها إن شاء الله تعالى ..
الخ⁽¹⁵⁴¹⁾ .

16 - محمد الحامد رحمه الله تعالى :

يقول فضيلة الشيخ الحموي محمد الحامد رحمه الله فيما نقله لنا صاحب كتاب: (المحامد من حياة الشيخ محمد الحامد): اعلم أن التصوف هو تنقية الظاهر والباطن من المخالفات الشرعية، وتعمير القلب بذكر الله تعالى وخشيته ورجائه والسير في العبادات والأعمال على النهج الشرعي طبق السنة الشريفة وخلافاً للبدعة السيئة التي يحظر الإسلام التلبس بها .

17 - الدكتور أبو الوفا التفتازاني :

يقول فضيلة الدكتور أبو الوفا التفتازاني في كتابه (مدخل إلى التصوف الإسلامي):

[1541] الرسالة السابعة شفاء العليل وبل الغليل في حكم الوصية بالختيمات والتهايل ص (172 - 173)، للفقير الكبير ابن عابدين المتوفى

ليس التصوف هروبا من واقع الحياة كما يقول خصومه وإنما هو محاولة للإنسان للتسلح بقيم روحية جديدة تعينه على مواجهة الحياة المادية ، وتحقق له التوازن النفسي حتى يواجه مصاعبها ومشكلاتها.

وفي التصوف الإسلامي من المبادئ الإيجابية ما يحقق تطور المجتمع إلى الأمام فمن ذلك أنه يؤكد على محاسبة الإنسان لنفسه باستمرار ليصحح أخطاءها ويكملها بالفضائل ويجعل فطرته إلى الحياة معتدلة فلا يتهالك على شهواتها وينغمس في أسبابها إلى الحد الذي ينسى فيه نفسه وربّه فيشقى شقاء لا حد له. والتصوف يجعل من هذه الحياة وسيلة لا غاية وبذلك يتحرر تماما من شهواته وأهوائه بإرادة حرة.

18 - الشيخ محمد أبو زهرة:

نحن في عصرنا هذا أشد الناس حاجة إلى متصوف بنظام التصوف الحقيقي وذلك لأن شبابنا قد استهوتهم الأهواء وسيطرت على قلبه الشهوات.. وغذا سيطرت الأهواء والشهوات على جيل من الأجيال أصبحت خطب الخطباء لا تجدي وكتابة الكتاب لا تجدي ومواع الوعاظ لا تجدي وحكم العلماء لا تجدي وأصبحت كل وسائل الهداية لا تجدي شيئا.

إذا لابد لنا من طريق آخر للإصلاح هذا الطريق أن نتجه إلى الاستيلاء على نفوس الشباب وهذا الاستيلاء يكون بطريق الشيخ ومريده بحيث يكون في كل قرية وفي كل حي من أحياء المدن وفي كل بيئة علمية أو اجتماعية رجال يقفون موقف الشيخ الصوفي من مريديه.

إن العلاقة بين المريد والشيخ ، وبين مراتب هذا المريد هي التي يمكن أن تهذب وأن توجه. يقول الشاطبي في كتابه (الموافقات) إن بين المعلم والمتعلم روحانية تجعله ينطع بفكره وينطع بكل ما يلفته من معلومات نحن بحاجة إلى هؤلاء الذي يستهون الشباب ليصرفوهم عن هذا الهوى الماجن ويوجهوهم.^[155]

19 - الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله تعالى:

[155] ملة لواء الإسلام، العدد الثاني شعبان 1379 هـ الموافق 1960م ندوة لواء الإسلام، التصوف في الإسلام.

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي فيما يرويّه لنا كتاب (أصول الأصول) للشيخ زكي إبراهيم
:1770

.. الصوفي يتقرب إلى الله بفروض الله ، ثم يزيدّها بسنة الرسول عليه الصلاة والسلام من جنس ما
فرض الله وأن يكون عنده صفاء في استقبال أفضية العبادة فيكون صافيا لله والصفاء هو كونك
تصافي الله فيصافيك الله .
والتصوف رياضة روحية لأنها تلزم الإنسان بمنهج تعبدى لله فوق ما فرضه .. وهذه خطوة نحو
الود مع الله ..

وهكذا يمن الله تعالى على هؤلاء المتصوفين ببعض العطاءات التي تثبت لهم أنهم على الطريق
الصحيح نتلك العطاءات هي طرق ناموس ما في الكون ويكون ذلك على حسب قدر صفاء
المؤمن فقد يعطي الله صفحة من صفحات الكون لأي إنسان فينته به أو يبشره به ليجذبه إلى
جهته .

وعندما يدخل الصوفي في مقامات متعددة وجئنا بمن لم يترضى ولم يدخل في مقامات الود وحدثناه
بها فلا شك أنه يكذبها ولكن تكذيبها دليل حلاوتها .
والتصوف الحقيقي يعطيه الله أشياء لا تصدقها عقول الآخرين ولذلك فعليه أن يفرح بذلك ولا
يغضب من تكذيب الآخرين له .

19 أبو الحسن الندوي:

يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ومعتمد ندوة
العلماء بالهند) : إن هؤلاء الصوفية كانوا يبايعون الناس على التوحيد والإخلاص واتباع السنة
والتوبة عن المعاصي والظلم والقسوة ويرغبونهم في التحلي بالأخلاق الحسنة والتخلي عن الرذائل

مثل الكبر والحسد والبغضاء واللحم وحب الجاه وتزكية النفس وإصلاحها ويعلمونهم ذكر الله والنصح لعباده والقناعة والإيثار وعلاوة على هذه البيعة التي كانت رمز الصلة العميقة الخاصة بين الشيخ ومريديه ، إنهم كانوا يعظون الناس دائما ويجاولون أن يلهبوا فيهم عاطفة الحب لله سبحانه والحنيني إلى رضاه ورغبة شديدة لإصلاح النفس وتغير الحال . . .

ثم تحدث عن مدى تأثير أخرقهم وإخلاصهم وتعليمهم وتربيتهم ومجالسهم في المجتمع والحياة ، وضرب عرض الأمثلة التي تلقي الضوء على هذا الواقع التاريخي ثم تحدث عن الشيخ أحمد الشهيد رحمه الله تعالى فقال: إن النساء أقبلوا عليه إقبالا منقطع النظر وإنل لم يمر ببلدة إلا وتاب على يديه وبايعه عدد كبير من الناس وإنه أقام في كلكتا شهرين ويقدر أن الذين كانوا يدخلون في البيعة لا يقل عددهم عن ألف نسمة يوميا وتستمر البيعة إلى نصف الليل وكان من شدة الزحام لا يتمكن من مبايعتهم واحدا واحدا فكان يمد سبعة أو ثمانية من العمائم والناس يمسكونها ويتوبون ويعاهدون الله وكان هذا دأبه كل يوم سبع عشر أو ثمان عشرة مرة.

وتحدث عن شيخ الإسلام علاء الدين رحمه الله تعالى فقال إن السنوات الأخيرة من عهده تمتاز بأن كسدت فيها سوق المنكرات من الخمر والحرام والفسق والفجور والميسر والفحشاء بجميع أنواعها ولم تنطق الألسن بهذه الكلمات إلا قليلا وأصبحت الكبائر تشبه الكفر في أعين الناس وظل الناس يستحيون من التعامل بالربا والادخار والاكتناز علنا وندرت في السوق حوادث الكذب والتطيف والغش . . .

ثم قال إن تربية هؤلاء الصوفية والمشايع ومجالسهم كانت تنشيء في الإنسان رغبة في إفادة الناس وحرصا على خدمتهم ومساعدتهم .

وذكر الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه (ربانية لا رهبانية) 0 17 - 18 فلا شك أنه لولا هؤلاء الصوفية أصحاب النفوس المسماة الذين وصلوا إلى درجة الإحسان وفقه الباطن لانهار المجتمع الإسلامي إيماننا روحانيا وابتلعت موجة المادية الطاغية العاتية الباقية من إيمان الأمة الأمة وتماسكها وضعفت صلة القلوب بالله والحياة بالروح والمجتمع بالأخلاق وفقد الإخلاص

والاحتساب وانتشرت الأمراض الباطنة واعتلت القلوب والنفوس وفقد الطبيب وتكالب الناس على حطام الدنيا وتنافس أهل العلم في الجاه والمال والمناصب وغلب عليهم الطخمع والطموح وتعطلت شعبة من أهلم شعب النبوة وبنائها وهي (تزكية النفوس والدعوة إلى الإحسان وفقه الباطن) .

ثم بين الأستاذ الندوي أن تأثير هذه المواعظ ودخول الناس في الدين وانقادهم للشرع أدى إلى تعطيل تجارة الخمر وكساد سوقها في كلكتا وهي كبرى مدن الهند ومركز الإنجليز وكسدت سوقها وأفقرت الخانات واعتذر الخمارون عن دفع الضرائب للحكومة متعللين بكساد السوق وتعطيل تجارة الخمر ...

ثم قال: إن هذه الحالة كانت نتيجة أخلاق هؤلاء المصلحين والدعاة الصوفية والمشايع وروحانيتهم أن اهتدى بهم في هذه البلاد الواسعة عدد هائل من الناس وتابوا عن المعاصي والمنكرات واتباع الهوى.

وفي ختام البحث قال الأستاذ الندوي حفظه الله تعالى: لقد كانت هناك بجهود هؤلاء الصوفية أشجار كثيرة وارفة الظلال في مئات من بلاد الهند استراحت في ظلها القوافل التائهة والمسافرون المتعبون ورجعوا بنشاط جديد وحياء جديدة^[156].

وتحدث الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه (رجال الفكر والدعوة في الإسلام) عن الصوفية وأثرها في نشر الإسلام بصدر حديثه عن الصوفي الشهير والمرشد الكبير سيدي الشيخ عبدالقادر الجيلاني قدس الله روحه فقال: وكان يحضر مجلسه نحواً من سبعين ألفاً وأسلم على يديه أكثر من خمسة آلاف من اليهود والنصارى وتاب على يديه من العيارين أو المسالحة^[157] أكثر من مائة ألف وفتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه فدخل فيه خلق لا يحصيه إلا الله وصلحت أحوالهم وحسن إسلامهم وظل الشيخ يربيهم ويحاسبهم ويشرف عليهم وعلى تقدمهم وأصبح هؤلاء التلاميذ الروحانيون يشعرون بالمسؤولية بعد البيعة والتوبة وتجديد الإيمان ثم يميز الشيخ كثيراً منهم ممن

[156] المسلمون في الهند ص (140 - 146) للعلامة الكبير أبي الحسن الندوي.

[157] المسالحة: الجماعة أو القوم ذوو الصلاح.

يرى فيه النبوغ والاستقامة والمقدرة على التربية فينتشرون في الآفاق يدعون الخلق إلى الله ويربون النفوس ويحاربون الشرك والبدع والجاهلية والنفاق فتنتشر الدعوة الدينية وتقوم ثكنات الإيمان ومدارس الإحسان ومرابط الجهاد ومجامع الأخوة في أنحاء العالم الإسلامي⁽¹⁵⁸⁾.

وتحدث الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه روائع إقبال فقال: إنني أقول دائماً: لولا وجوههم وجهادهم لابتلعت الهند وحضارتها وفلسفتها الإسلام⁽¹⁵⁹⁾.

20 - الأستاذ عبدالباري الندوي:

ويقول الأستاذ عبدالباري الندوي في كتابه (بين التصوف والحياة) في عدة صفحات متفرقة من كتابه: يجب أن يعرف المسلمون أنه لا حظ لهم من الدنيا إذا لم يتمكن في أعماق نفوسهم الإيمان الخالص ومن الظلم والجور العظيمين أن تنفق في تحصيل العلم الظاهر سنوات عديدة ولا تبذل لإصلاح الباطن عدة شهور إن التصوف أو العلم الباطني بالغ فيه الناس مبالغة عظيمة وصورة تصويره سائها وشرحوه شرحا طبعه بطابع الضلالة إلا أنه قانون لأعمال القلب والباطن.. وتجذب تفاصيل أحكام التصوف منصوصة في الكتاب والسنة مثل ما نجد أحكام الفقه تماما وتبين أهمية أحكام التصوف وأفضليته من نصوص القرآآن والحديث اغلتي تصرح بها أو تلمح إليها... فإن أبي شخص أن يعترف بالتصوف كعلم بعينه وفن بذاته فلم لا ينفر ويشمئز من المصطلحات الدينية الأخرى ن من تفسير ومفسر، وتجويد ومجود ولام ومتكلم وغيرها أما أولئك الذين رأوا التصوف والطريقة والحقيقة والمعرفة ضدا للبشرية فهو لاء الذين وقعوا في ضلالة أشد خطأ وأطم.

21 - أحمد الشرباصي:

قال الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي الكاتب الإسلامي المعروف والمدرس في الأزهر الشريف في مجلة الإصلاح الاجتماعي تحت عنوان (الأخلاق عند الصوفية) بعد أن تحدث عن التصوف وتعريفه واشتقاقه: وأنا أعتقد أن حقيقة التصوف الكاملة هي مرتبة الإحسان الذي حدده رسول

(158) رجال الفكر والدعوة في الإسلام ص (248 - 250).

(159) روائع إقبال للأستاذ أبي الحسن الندوي / 70.

الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام في حديث جبريل حين قال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^[160].

وقال الأستاذ أيضا في مقدمته لكتاب نور التحقيق: أرأيت إلى كنز وسيع عجيب فيه المال الغزير الذي لا يحصى وفيه أدوية الجسم الشافية التي لا تخون وفيه نور القلب الذي لا يخبو... ماذا يكون شأنك لو أن إنسانا أخبرك بوجود هذا الكنز بمكان ما ورسم لك الطريق إليه وذكر لك ما تحتاجه الرحلة من مجهود وتكاليف ألا تحاول أن تبذل جهدك وتستفيد طاقتك وتعمل وسعك حتى تصل إلى هذا الكنز الذي ستجد فيه جاه الدنيا وعز الآخرة؟ كذك شأن التصوف يا صاح إنه الدواء المخفي والكنز المطوي والسر العلمي إنه الدواء الذي يحتاج إليه جسمك وفهمك وخلقتك ولكنك لن تصل إليه ولن تنفع به حتى تتجه بمشارك نحوه وحتى تقبل ببصرك وبصيرتك عليه وحتى تبذل من ذات يدك وذات نفسك ومن وقتك وبحثك ما يهيء لك البلوغ إليه والوقوف عليه فهل فعلت من ذلك شيئا وقد عرفت الطريق إلى النعيم؟!

يهمني أن تكون على بصيرة من أمرك وأن لا تجهل شيئا جليلا يطالبك دينك وعقلك بأن تعرفه ومن هنا يتحتم عليك أن تدرس التصوف لتتصوره وتفهمه وتفقهه وبعد ذلك تحكم له أو عليه أوزيدك بيانا فأقول لك: "إنه قد يكون في التصوف وتاريخه وسير رجاله ما أضيف إليه أو افتراه المفترون عليه، ومن هنا يستتر حق وراء باطل ومن هنا أيضا يطالبك دينك بان تقوم لهتك حجاب الباطل وتستضيء بنور الحق فهلا يكفي ذلك لتحريضك على رداة التصوف؟؟!!
يا أبناء الإسلام: إن التصوف يحتل من أخرقكم وتاريخكم جانبا كبيرا وقد ضيعتموه زمانا طويلا ، فحسبكم ما كان ، وأقبلوا على التصوف ففيه إزاء ودواء والله الهادي إلى سبيل السواء"^[161].

22 - الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله تعالى:

ويقول الشيخ أشرف علي التهانوي (1362هـ -) في أكثر من كتاب له: التصوف ليس إلا تعبيرا للشريعة الإسلامية وتفسيرا لها لأجل ذلك يجب أن يدرس الناس كتب التصوف مثل

[160] مر تخرجه في باب التصوف ومنشؤه.

[161] تصدير كتاب نور التحقيق للشيخ حامد إبراهيم محمد صقر ص (1 - 3) بتصرف.

كتاب (قوت القلوب) للمكي (والعوارف) للسهروردي ، وكتب الغزالي ، تماما كما يدرسون كتب الفقه والتصوف فلا يمكن أن يصلح الأمر بغيره لأن أول شيء في طريق التصوف هو تعليم التواضع وعنوانه في التصوف : الفناء .

التصوف هو عنوان للأحكام التي تعالج الباطن والقلب كما تعالج أحكام الفقه الحياة الدينية الظاهرة وإن أحكام التصوف منصوطة في القرآن والحديث مثل أحكام الفقه .

23 - الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله :

وقال فضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (هذا والدي) 0 98 - 99 كان أبي رحمه الله يجزم بأن التصوف النقي هو جوهر الإسلام ولبابه وكان يؤكد أن المسلم إذا لم يكن قد تشرب حقيقة التصوف فقد حبس نفسه في معاني الإسلام ولم يرق صعودا إلى حقيقة الإيمان . وقال : التصوف الحقيقي لا يمكن إلا أن يكون مأخوذا من كتاب الله وسنة رسوله ذلك لأن السعي إلى الوصول إلى ثمرات الإيمان بالله في القلب واجب رسمه القرآن وأكدته السنة ولم يكن رحمه الله يقيم وزنا لتصوف لم ينهض على أساس من العلم السليم بكتاب الله وسنة رسوله وكان يرى أن صدق الانفعال بثمرات الإيمان التي هي حقيقة التصوف ولبه لا يتي إلا من سعة العلم بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبالشرائع والأحكام التي خاطب الله بها عباده.^[162]

وقال حفظه الله أيضا في كتاب (السلفية) 0 117 - 118 : التصوف بمعناه الحقيقي السليم هو لب الإسلام وجوهره الكامن في أعماق فؤاد الإنسان المسلم وبدونه يغدو الإسلام مجرد رسوم ومظاهر وشعارات يجامل بها الناس بعضهم بعضا وهذا اللباب يتمثل في الرغبة والرغبة إذ تهيم على قلب المسلم حباله ومخافة منه فيتظهر فؤاده من أدران الضغائن والأحقاد وحب الدنيا.. ولا توقفتك إزاء هذه الحقيقة مشكلة الاسم لقد كان التحلي بهذا اللباب في صدر الإسلام مسمى لا اسم له إلا الإسلام ثم سمي فيما بعد بسم الله الرحمن الرحيم (التصوف) . (بتصرف) .

24 - الشيخ كريم راجح شيخ قراء الشام حفظه الله تعالى :

[162] هذا والذي ص 106 .

25 - وقال الشيخ كريم راجح: علم التصوف من أشرف العلوم وأجل الفهوم وخير ما كتب فيه الكاتبون وألف المؤلفون لأنه يتعلق بالإيمان فيقويه ويثبته وبالسلوك فيحسنه ويقومه وبالعلاقات مع الناس فيبينها على الإخلاص والمبحة وهو علم يصفي المرء من كل الشوائب ويرفعه إلى أعلى المراتب في تواضع منقطع النظير وخدمة للآخرين لا تعرف الأنانية وتبرأ من الذاتية فالصوفي الصادق أخ في الله وعلى الله يعطيك ولا يمن لن الذي اعطى على الحقيقة هو الله فهو ينفع الخلق ليتقرب من الخالق ويعيش خادماً للناس من أجل رب الناس والصوفي هو الذي يتمسك بالكتاب فيحكمه في كل سلوكه ومعاملته وبالسنة فلا يجيد عنها طرفة عين ويسلك مسالك العلم فلا يبني عبادته على جهل^[163].

26 - الدكتور محمد عبداللطيف الفرفور حفظه الله

ويقول الدكتور محمد عبداللطيف الفرفور في كتابه (من ذخائر الفكر الإسلامي) 0 -132-
:135

.. تعالوا بنا بعد ذلك إلى هؤلاء القوم (الصوفية) ويحاثهم وسلوكهم النقي فيها هي كتب التراجم والتواريخ تشهد كلها متضافرة على استقامة ظواهرهم على الشريعة المطهرة وبواطنهم على الطهارة والتزكية والصفاء والنور فتحقق لديهم الفيض وواعدهم الفتح ونطقت عبائرهم رضي الله عنهم بما رزقهم الله تعالى من الأنوار والعلوم الوهيبية ومن استقرأ حياة هؤلاء المشاعل وجدها منورة بالقرآن متوجة بالرضوان مكللة بإكليل الاتباع بعيدة كل البعد عن الابتداع فرضي الله عنهم ما أعرفه برهم: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾^[164].

... فلماذا إذن نحارب التربية الروحية بما فيها من سمو خلقي رفيع ومعان إنسانية ندر وجودها في أي دين آخر أو فلاسفة وضعية بحجة أن هذه التربية الروحية تشتمل بدعا وشوائب.

27 - الشيخ عدنان حقي حفظه الله :

[163] (1) الصوفية والتصوف ص (5).

[164] (2) سورة البينة الآية (8).

يقول الشيخ عدنان حقي حفظه الله تعالى : التصوف مذهب إسلامي أخلاقي اجتماعي نفسي له أسلوبه وطريقته وبراهينه وادلته ورجاله وأصله سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته والتابعين لهم بإحسان وهو طريق الحق والهداية والعكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الناس من لذة ومال وجاه وهو لب الإسلام وروحه ويقول القرآن الكريم عنهم ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^[165] ويقول: ﴿وَمَنْ يَسْلَمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾^[166].

والتصوفون يحققون في أنفسهم صفات الإخلاص والمراقبة لله عز وجل وليس لقلقة وإنما هو أذواق ووجدان وهو مستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وسير التابعين وتابعيهم.^[167]

28 - الشيخ عبدالله التليدي:

يقول الشيخ عبدالله التليدي في كتابه (أسباب هلاك الأمم): أفلا يعلمون أن التصوف هو روح الإسلام ولبه ، وهل الصوفية إلا أناس تخلوا عن الرذائل وتحلوا بالفضائل وبلغوا بفضل استقامتهم ومجاهداتهم الذروة العليا في الكمالات البشرية حتى يصبح أحدهم فانيا في الله غائبا فيه عن كونه وحسه وهل الصوفي إلا رجل تحقق بمقام؟! لإحسان فعبد الله كأنه يراه وأخلص وصدق في توجهه وسيره إلى الله.

29 - الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى:

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه (التفسير والمفسرون) 21 324 - 325 ما نصه : معنى التصوف - وكما قيل - مناجاة القلب ومحادثة الروح وفي هذه المناجاة طهر لمن شاء أن يتطهر وصفاء لمن أراد التبرؤ من الرجس والدنس وفي تلك المحادثة عروج إلى سماء النور والملائكة وصعود إلى عالم الفيض والإلهام وما هذا الحديث والنجوى إلا ضرب من التأمل والنظر والتدبر في

[165] سورة يونس الآية (26).

[166] سورة لقمان الآية (22).

[167] الصوفية والتصوف ص (162).

ملكوت السموات والأرض بيد أن الجسم والنفس متلازمان وتوأمين لا ينفصلان ولا سبيل إلى تهذيب أحدهما بدون الآخر فمن شاء لنفسه صفاء ورفعة فلا بد له أن يبتأ من الشهوات وملذات البدن .. فالتصوف إذن فكر وعمل ودراسة وسلوك والتصوف بهذا المعنى موجود منذ الصدر الأول للإسلام فكثير من الصحابة كانوا معرضين عن النيا ومتاعبها آخذين أنفسهم بالزهد والتقشف مبالغين في العبادة فكان منهم من يقوم الليل ويصوم النهار ومنهم من يشد الحجر على بطنه تربية لنفسه وتهذيباً لروحه غير أنهم لم يعرفوا في زمنهم باسم الصوفية وكان هذا الاشتهار في القرن الثاني للهجرة .

30 - العلامة أبو النصر مبشر الطرازي:

يقول العلامة أبو النصر مبشر الطرازي كبير علماء تركستان في كتابه : الإسلام الدين الفطري ج 2 350-36 ما نصه:

.. هذا وقد امتثل بالسنن ونوافل العبادات وإيثار ذكر الله طائفة من خواص المسلمين منذ العهد الأول من عهود الإسلام إلى عهدنا هذا عرفهم التاريخ في الغابر والحاضر (الصوفية) فنالوا ما نالوا من المقامات عند ربهم في الدنيا والآخرة.

ثم يقول: ولسنا في صدد بيان مبادئهم التي تستند على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أو خصالهم التي تتلخص في الزهد والتقوى والرياضة في سبيل تزكية النفس وتهذيبها والوصول بها إلى مقام الفناء في الله والحب في الله والبغض في الله وإرادة كل خير لخلق الله حتى يحصلوا على رضاء الله جل جلاله وعم نواله وعز ذكره ولا إله غيره ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾^[168]، اللهم اجعلنا منهم واحشرنا معهم آمين.

31 - الأستاذ أنور الجندي:

يقول الأستاذ أنور الجندي في كتابه (عالمية الإسلام):

[168] سورة المجادلة الآية (22).

ولا ريب أن مفهوم التصوف العملي إنما هو الذي جاء به الإسلام من خلال الانقطاع للعلم باعتباره عبادة وجهادا حيث لا غرض مادي ولا سعي لشهرة زائفة بل وقف العقل والنفس الحقائق ووجهة التعليم والعلم والتربية في ذلك هو مرضاة الله تعالى على أن يتم ذلك كله في إطار تقوى الله والخوف منه وفي محيط الأخلاق.

32 - المفكر رجاء غارودي:

يقول المكفر رجاء غارودي في كتابه (ما يعد به الإسلام) 0 77: إن التصوف يعد من أبعاد العقيدة الإسلامية بل هو بعده (الجواني) وكل محاولة تجعل من التصوف (تيارا) مستقلا أو وظيفة منفصلة تحط حتما من قيمته فليس في الإسلام وهو دين الوحدة والتكامل الفصل بين التأمل والعمل وبين الذات والوجود وما التصوف إلا لون من ألوان الروحانية في الإسلام وهو التوازن الأساسي بين الجهاد الأكبر والصراع الداخلي ضد الرغبات التي تبعد الإنسان عن ذاته وبين الجهاد الأصغر ذلك النضال في سبيل الوحدة والانسجام في المجتمع الإسلامي ضد كل أشكال عبادة السلطة والمال والضلالات التي تبعد المؤمن عن طريق الله.

33 - الأستاذ محمد الصادق عرجون:

يقول الأستاذ محمد الصادق عرجون في كتابه (التصوف في الإسلام) 0 72-74 التصوف في الإسلام يقوم على إخلاص التبعيد لله تعالى في كل أمر من أمور الدين والدنيا وهذه الدنيا عندهم دين لأنهم يأتون ما يأتون منها وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون لا يسارعون إلى الخيرات وهم لها سابقون.

ويقوم على الشفقة على خلق الله والرحمة لهم فهو عمل تطبيقي في واقع الحياة لسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة خاصة أصحابه وقد أخذه عنهم بحقيقته العابدون من تلاميذهم أهل المعرفة والعلم بالله ، ثم تلقاه مثلا حية من العمل في سيرة هؤلاء.

ثم يقول في خاتمة كتابه (اللهم إني أسألك مغفرة تطاولي إلى الحديث عن مقامات أولئك فإني أحبهم وقصدت تحبيهم إلى من يريد سلك طريقهم في الوصول إلى رضاك).

34 - الإمام أحمد السرهندي رحمه الله تعالى:

يقول الإمام أحمد السرهندي رحمه الله في كتابه (الأنوار القدسية) اعلم يا أخي أن الله كلفنا امتثال الأوامر واجتناب النواهي .. وإذا كنا مأمورين بالإخلاص في ذلك وهو لا يتصور بدون الفناء وبدون المحبة الذاتية وجب علينا أيضا سلوك طريق الصوفية الموصلة للفناء والمحبة حتى نتحقق حقيقة الإخلاص ولما كانت طرق الصوفية متفاوتة الكمال والتكميل ان كل طريق تلتزم فيه متابعة السنة السنية وأداء الأحكام أولى وأنسب بالاختيار وإن هؤلاء الأكابر التزموا في هذه الطريقة متابعة السنة واجتناب البدعة ويجعلون الأحوال والمواجيد تابعة للحكام الشرعية .. والكتاب والسنة عندهم أولا قبل كل شيء.

والتصوف الذي أردت هو الإسلام الكامل في مقاصده وأهدافه والصوفية السابقون وكثير من اللاحقين استقام سلوكهم على هذا المبدأ في منهجه ولا شأن لي فيما شارك اسما وامتلا بالدخائل والبدع فذلك ما لم أقصد اليه فإن التصوف حال أكثر منه قالوا وإن من سلك سبيل القوم بصدق ذاق ما ذاقوه إن شاء الله تعالى له ذلك.

35 - الشيخ محمد راغب الطباخ رحمه الله تعالى:

قال الأستاذ والمؤرخ محمد راغب الطباخ رحمه الله تعالى في كتابه : (الثقافة الإسلامية) فإذا كان التصوف عبارة عن تزكية النفوس وتصفية الأخلاق فنعم المذهب ونعم المقصد وذلك هو الغاية من بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ففي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^[169] وقد تأملنا سيرة الصوفية في القرون الأولى من الإسلام فوجدناها سيرة حسنة جميلة مبنية على مكارم الأخلاق والزهد والورع والعبادة منطبقة على الكتاب والسنة وقد صرح بذلك سيد هذه الطائفة أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى كما في ترجمته في تاريخ ابن خلكان حيث قال: مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة وفي شرح الإحياء للعلامة الزبيدي (أ 1 / 174) وقال الجنيد: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله

[169] رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد (382/2) والحاكم (613/2)، وصححه ووافقه الذهبي وذكره السيوطي في الجامع الصغير (2584) ورمز لصحته.

عليه وآله وسلم وهي في ترجمته في (الرسالة القشيرية) 190 وفيها: قال الجنيد: من لم يحفظ القرين ولم يكتب الحديث لا يقتدي به في هذا الأمر لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة ثم قال بعد السند عن الجنيد مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة.

وقال **الجنيد**: علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال **سري السقطي**: التصوف اسم لثلاثة معان: هو الذي لا يظفيء نور معرفته نور ورعه ولا يتكلم بباطن علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب، ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله تعالى، وفي شذرات الذهب (51 / 2790) في ترجمة أبي الحسن الشاذلي ومن كلامه (كل علم تسبق إليك فيه الخواطر وتميل النفس وتلتذ به فارم به وخذ بالكتاب والسنة).

وهؤلاء فوق ما اتصفوا به من تهذيب النفس والورع والزهد والعبادة قد قاموا في عصورهم بالواجب عليهم، من إرشاد الخلق إلى الحق والدعوة إليه وصددهم الناس عن التهافت على الدنيا وجمع حطامها من أي وجه كان، والاسترسال في الشهوات والملذات مما يؤدي إلى الانهالك في المحرمات والغفلة عن الواجبات وما خلق الإنسان له وتكون نتيجة ذلك انتشار الفوضى وظهور الفساد، وكثرة البغي والمهرج فكان هؤلاء بوعظهم وإرشادهم والحكم والحقائق التي تفجرت من ينابيع قلوبهم هم رحاس الأخلاق والآخذون بيد الأمة إلى مناهج الحق وسبل الرشاد والدعاة إلى السعادة الحقيقية وهي قيام الإنسان بجميع ما أمر به مع عدم نسيانه نصيبه من الدنيا فكانوا في جملة السامعين في هذه الأمة والمجيبين لقوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون

بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾^[170].

فسلف الصوفية هم أعلام الملة وسادة الأمة سراجها الوهاج ونورها الوضاح وبهم وبأمثالهم من المحدثين والفقهاء اهتدت اهتدت الأمة إلى الصراط المستقيم وسلكت المنهاج القويم وانتظمت أحوال معاشهم وصلحت أمور معادهم وفازوا فوزا عظيما.

[170] سورة آل عمران الآية (104).

وإذا تتبعنا آثار الصوفية وتراجهم نجد أن الكثير منهم قد كان للواحد منهم أتباع يعدون بالألوف كلما انتسب إليه شخص الآخى بينه وبين سابقه فتمكنت بين أتباعه والمنتسبين إليه أواصر الألفة وروابط المحبة وتواسوا فيما بينهم وتواصلوا بالحق وعطف غنيهم على فقيرهم ورحم كبيرهم صغيرهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا وصاروا كالجسد الواحد⁽¹⁷¹⁾.

36 - الأستاذ عباس محمود العقاد:

ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه (الفلسفة القرآنية) التصوف في الحقيقة غير دخيل في العقيدة الإسلامية كما قلنا في كتابنا عن أثر العرب في الحضارة الأوربية ومثبوت في آيات القرآن الكريم مستكن بأصوله في عقائد صريحة.

37 - الدكتور عبدالحليم محمود:

ويقول فضيلة الدكتور عبدالحليم محمود (شيخ الأزهر سابقا) في كتابه (قضية التصوف) 0 259/ التصوف لا يعدو أن يكون جهادا عنيفا ضد الرغبات ليصل الإنسان إلى السمو أو إلى الكمال الروحي ، ليكون عارفا بالله ، وإن الذين يربطون بين التصوف من جانب أو الكرامات وخوارق العادات من جانب آخر كثيرون ، ولكن التصوف ليس كرامات ولا خوارق للعادات.

38 - أوب الأعلى المودودي:

قال العلامة الكبير الأستاذ أبو العلى المودودي في كتابه مبادئ الإسلام تحت عنوان التصوف: أة علاقة الفقه إنها هي باهر الإنسان فقط ولا ينظر إلا هل قمت بما أمرت به على الوجه المطلوب أم لا ؟ فإن قمت فلا تهمه حال قلبك وكيفيته أما الشيء الذي يتعلق بالقلب ويبحث عن كيفيته فهو التصوف.

إن الفقه لا ينظر في صلوات مثلا إلا هل أتممت وضوءك على الوجه الصحيح أم لا؟ وهل صليت موليا وجهك شطر المسجد الحرام أم لا ؟ وهل أدت أركان الصلاة كلها أم لا؟ وهل قرأت في صلواتك بكل ما يجب أن تقرأ فيها أم لا ؟ فإن نقتم بكل ذلك فقد صحت صلواتك بحكم الفقه إلا

(171) الثقافة الإسلامية للمؤرخ الكبير الأستاذ محمد راغب الطباخ ص (302 - 304) ولد عام 1293 هـ وتوفي عام 1370 هـ في حلب.

أن الذي يهيم التصوف هو ما يكون عليه قلبك حين أدائك هذه الصلاة من الحالة هل أنبت فيها إلى ربك أم لا؟ وهل تجرد قلبك فيها عن هموم الدنيا وشؤونها أم لا؟ وهل أنشأت فيك هذه الصلاة خشية الله واليقين بكونه خيرا بصيرا وعاطفة ابتغاء وجهه الأعلى وحده أم لا؟ وإلى أي حد نزهت هذه الصلاة روحه؟ وإلى أي حد جعلته مؤمنا صادقا عاملا بمقتضيات إيمانه؟ فعلى قدر ما تحصل له هذه الأمور وهي من غايات الصلاة وأغراضها الحقيقية في صلاته تكون صلاته كاملة في نظر التصوف وعلى قدر ما ينقصها الكمال من هذه الوجهة تكون ناقصة في نظر التصوف فهكذا لا يهيم الفقه في سائر الأحكام الشرعية إلا هل أدى المرء الأعمال على الوجه الذي أمره به لأدائها أم لا .

أما التصوف فيبحث عما كان في قلبه من الإخلاص وصفاء النية وصدق الطاعة عند قيامه بهذه الأعمال ويمكنك أن تدرك هذا الفرق بين الفقه والتصوف بمثل أضربه لك: إنك إذا أتاك رجل نظرت فيه من وجهتين: إحداهما: هل هو صحيح البدن كامل الأعضاء؟ أم في بدنه شيء من العرج أو العمى؟ وهل هو جميل الوجه أو ذميمه؟ وهل هو لابس زيا فاخرا أو ثيابا بالية.

والوجهة الأخرى: إنك تريد أن تعرف أخلاقه وعاداته وخصاله ومبلغه من العلم والعقل والصلاح فالوجهة الولي ووجهة الفقه والوجهة الثانية ووجهة التصوف وكذلك إذا أردت أن تتخذ أحدا صديقا لك فإنك تتأمل في شخصيته من كلا الوجهتين وتحب أن يكون جميل المنظر وجميل الاطن معا كذلك لا تجعل في عين الإسلام إلا الحياة التي فيها اتباع كامل صحيح لأحكام الشيعة من الوجهتين الظاهرة والباطنة.

[ثم قال: إنما التصوف عبارة - في حقيقة الأمر - عن حب الله ورسوله الصادق بل الولوع بهما والتفاني في سبيلهما والذي يقتضيه هذا الولوع والتفاني ألا ينحرق المسلم قيد شعرة عن اتباع أحكام الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فليس التصوف الإسلامي الخالص بشيء مستقل عن الشريعة وغنا هو القيام بغاية من الإخلاص وصفاء النية وطهارة القلب].

39 - عبدالقادر البغدادي رحمه الله تعالى:

قال الإمام الكبير حجة المتكلمين عبدالقادر البغدادي رحمه الله تعالى في كتابه (الفرق بين الفرق) الفصل الأول من فصول هذا الباب في بيان أصناف أهل السنة والجماعة ثمانية أصناف من الناس: ذكر منها الصنف السادس قائلاً: والصنف السادس منهم الزهاد الصوفية الذين أبصروا فأقصرُوا ، واختبرُوا فاعتبرُوا، ورضوا بالمقدور وقنعوا بالميسور وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك مسئول عن الخير والشر ومحاسب على مثاقيل الذر ، فأعدوا خير الإعداد ليوم المعاد وجرى كلامهم في طريقي العبارة والإشارة على سمت أهل الحديث دون من يشتري لهو الحديث، لا يعملون الخير رياء ولا يتركونه حياء، دينهم التوحيد، ونفي التشبيه ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى ، والتوكل عليه، والتسليم لأمره ، والقناعة بما رزقوا والإعراض عن الاعتراض عليه:

﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾^{[[172]1]} ﴿[[173]2]].

40 - الإمام النووي رحمه الله تعالى:

وها هو الإمام الحجة أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي يقرر في رسالته (المقاصد) أصولاً لطريق التصوف فيقول: إن أصول طريق التصوف خمسة:

- 1 - تقوى الله تعالى في السر والعلانية.
- 2 - اتباع السنة في الأقوال والأفعال.
- 3 - الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار.
- 4 - الرضى عن الله في القليل والكثير.
- 5 - الرجوع إلى الله في السراء والضراء^{[[174]3]]}.

41 - الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى:

^{[[172]1]} الفَرْقُ بن الفَرْقِ للإمام عبدالقادر البغدادي المتوفى سنة 429هـ ص (189).

^{[[173]2]} سورة الجمعة الآية (4).

^{[[174]3]} مقاصد الإمام النووي في التوحيد والعبادة وأصول التصوف ص 20، توفي رحمه الله سنة 676هـ في قرية من قرى الشام تسمى نوى.

ويقول الشيخ محمد الغزالي في بعض كتبه منها (الجانب العاطفي من الإسلام) ما نصه: هناك تصوف نبت في أكناف الإيمان والإسلام والإحسان ونما على أغذية جيدة من العلم والعمل واستطاع أن يكون المشاعر الإنسانية بصدق العبودية ودفعتها إلى التفاني في مرضاة الله... وإذا كان سعد زغلول قد وصف أدب الراجعي بأنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم فإني مع إكباري للراجعي وأدبه أرى كلمة سعد أصدق ما تكون في حكم الصوفي ابن عطاء الله السكندري رحمه الله.

42 - جلال الدين السيوطي رحمه الله:

وقال العلامة المشهور جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه (تأييد الحقيقة العلية) ä Å التصوف في نفسه علم شريف ، وإن مداره على اتباع السنة وترك البدع والتبري من النفس وعوائدها وحظوظها وأغراضها ومراداتها واختياراتها والتسليم لله والرضى به وبقضائه وطلب محبته واحتقار ما سواه . وعلمت أيضا أنه قد كثر فيه الدخيل من قوم تشبهوا باهله وليسوا منهم ، فأدخلوا فيه ما ليس منه ، فأدى ذلك إلى إساءة الظن بالجميع ، فوجه أهل العلم للتمييز بين الصنفين ليعلم أهل الحق من أهل الباطل وقد تأملت الأمور اليت أنكرها أئمة الشرع على الصوفية فلم أر صوفيا محققا يقول بشيء منها ، وإنما يقول بها أهل البدع والغلاة الذين ادعوا أنهم صوفية وليسوا منهم⁽¹⁷⁵¹⁾.

43 - الإمام القشيري رحمه الله تعالى:

قال رضي الله عنه: جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه، وجعل الله قلوبهم معادن أسرارهم واختصهم من بين الأمة بطواره فهم الغياث للخلق والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق⁽¹⁷⁶²⁾.

44 - العلامة حسنين محمد مخلوف (مفتي الديار المصرية الأسبق):

⁽¹⁷⁵¹⁾ تأييد الحقيقة العلية ص (57) للعلامة جلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911هـ.

⁽¹⁷⁶¹⁾ معيد النعم ومبيد النقم ص 94.

قال فضيلته : [التصوف الإسلامي هو تربية علمية وعملية للنفوس وعلاج لأمراض القلوب
وغرس الفضائل واقتلاع للردائل .. وتعرض نفحاته وهباته التي يخص بها أوليائه وأحابه فضلا
منه وكرما]⁽¹⁷⁷⁾.

45 - الدكتور مصطفى البغا حفظه الله تعالى:

سمعتة يقول أنا صوفي وأخذت الطريقة الشاذلية.
وقال : أنا شيخي محمد الهاشمي والشيخ أبو الخير الميداني.

46 - الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله تعالى:

على المسلم أن يتعلم الأشياء التي لا بد منها في الشرع، منها:
ما يزكي به نفسه ويطهر به قلبه بان يعرف الفضائل (المنجيات) ليتحراها ويتخلق بها، ويعرف
الردائل (المهلكات) لتجنبها ويتوقاها ويتعلم ما يضبط به سلوكه في علاقته مع نفسه أو مع أسرته
أو مع الناس حكاما ومحكومين ، مسلمين وغير مسلمين، فيعرف في ذلك الحلال من الحرام
والواجب من غير الواجب واللائق من غير اللائق .
ولا يضيرنا أن يدخل هذا القدر تحت اسم التوحيد أو الفقه أو التصوف أو الآداب الشرعية أو
الزهد وغير ذلك.

فهذه التسميات مصطلحات محدثة ولم يتعبدها الله بها وإنما يهمننا المضمون ولا عبرة بالأسماء
والعناوين متى وضحت المسميات والمضامين ، وهذا القدر من العلم يجب أن يكون إلزاميا يتعلمه
كل مسلم ومسلمة⁽¹⁷⁸⁾.

(177) السالكون إلى الله ص 15 .

(178) الرسول والعلم للدكتور يوسف القرضاوي ص 88 .

التوسل

الاستعانة - الاستغاثة

التوسل: هو طريقة من طرق التضرع إلى الله عز وجل ، وأحد أبواب دعائه والتوجه إليه سبحانه وتعالى، فالوسيلة هي كل ما جعله الله سببا للتقرب إليه وبابا لقضاء الحوائج منه، قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾⁽¹¹¹⁾.

وأما الاستغاثة: فهي طلب الإغاثة ممن يملكها على وجه الحقيقة وهو الله عز وجل، أو ممن أعطاهم الله بحوله وقوته القدرة عليها، وهم أنبياءه وأوليائه.

وأما الاستعانة: فهي طلب العون ممن يملكه على وجه الحقيقة وهو الله تبارك وتعالى أو ممن أعطاهم الله بمنه وكرمه القدرة عليها، وهم أنبياءه وأوليائه.

فيظهر لنا أن التوسل والاستغاثة والاستعانة شيء واحد، لأن المتوسل أو المستغاث أو المستعان به على الحقيقة هو الله وأما المتوسل به من العبيد فواسطة ووسيلة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، هذا ولم يختلف أحد من المسلمين في مشروعية التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بالأعمال الصالحة من صلاة وصيام وقراءة قرآن وغير ذلك والدليل على هذا حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار فتوسل أحدهم إلى الله ببر والديه، وتوسل الثاني بابتعاده عن الفاحشة بعد تمكنه من أسبابها، وتوسل الثالث بأمانته وحفظه لمال غيره وأدائه له كاملا، ففرج الله عنهم ما هم فيه⁽¹²²⁾.

وأما التوسل بغير العمل الصالح كالذوات والأشخاص فما هو في الحقيقة إلا توسل بعمله الصالح فمن توسل بشخص ما فذلك لأنه يجبه إذ يقدر صلاحه وولايته وفضله تحسينا للظن به، أو لأنه يعتقد أن هذا الشخص محب لله سبحانه وتعالى، فيكون الله تعالى محبا له أيضا قال جل جلاله ﴿يحبهم ويحبونه﴾⁽¹³³⁾ ولو تدبرنا الأمر لوجدنا أن هذه المحبة وذلك الاعتقاد هما من عمل المتوسل لأنه اعتقاده الذي انعقد عليه قلبه فهو منسوب إليه ومسؤول عنه ومثاب عليه، فمن قال:

(111) سورة المائدة الآية (35).

(122) أخرجه البخاري (215) ومسلم (6884) وأحمد (308/307/2).

(133) سورة المائدة آية 54.

اللهم إني أتوسل اليك بمحبتتي لنيبك أو قال بنبيك سواء لأنه ما أقدم على هذا إلا لمحبتته وإيمانه بنبيه، ولولا المحب له والإيمان به ما توسل به فهو إذا توسل بعمله الصالح.

ثم إن المسلم عندما يتوسل أو يستغيث بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بالرجل الصالح إنما يتوسل به لما يعلم من كرامته وجاهه عند الله عز وجل ولا اعتقاده بأنه يمكن أن يكون قد أعطى القدرة على الإمداد والإعانة ونعني ببالحاه المنزلة التي يختص الله بها من يشاء من عباده فالله سبحانه وتعالى متصق بصفة تسمى صفة الاختصاص قال عز وجل ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾⁽⁴¹⁾.

والنبوة والرسالة والولاية الخاصة ليست مكتسبة بل هي محض فضل الهي واجتباء واختصاص رباني يكون بسببها لذلك العبد منزلة عند الله تسمى الجاه، قال تعالى ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾⁽⁵²⁾ وقال سبحانه في إثبات الوجاهة والمكانة لبعض أنبيائه وملائكته عليه السلام كسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾⁽⁶³⁾ أي ذا وجاهة.

وقال في حق سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾⁽⁷⁴⁾

وقال عن سيدنا جبريل عليه السلام ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾⁽⁸⁵⁾ أي صاحب مكانة.

فالإنسان عندما يتوسل إلى الله تعالى بجاه نبي أو ولي فإن ذلك يعني أنه توسل إلى الله تعالى بفعل من أفعاله خلقه لذلك النبي وسماه جاها، وبصفة من صفاته سماها اختصاصا، وهذا من التوسل إلى الله بصفاته وأفعاله وهو مجمع على جوازه عند أهل الحق⁽⁹⁶⁾.

ونحن إذ نظرنا إلى كل فرد من أفراد المتوسلين والمستغيثين بالأنبياء والصالحين لا نجد في نفس أحد منهم إلا التقرب إلى الله تعالى لقضاء حاجاتهم الدنيوية والأخروية مع علمهم بأنهم كلهم عبيد لله تعالى فقلوبهم موقنة أنه جل جلاله تلفعال المطلق المستحق للتعظيم بالأصالة لا شريك له

⁽¹⁴⁾ سورة آل عمران الآية 74.

⁽²⁵⁾ سورة الشورى الآية 13.

⁽³⁶⁾ سورة الأحزاب الآية 13.

⁽⁴⁷⁾ سورة آل عمران آية 45.

⁽⁵⁸⁾ سورة التكوير الآية 20.

⁽⁶⁹⁾ من كتاب الإسعاد.

ولا رب ولا موجد سواه، ولا نافع ولا ضار إلا هو ، وأما تعظيمهم لغيره من خواص عبيده فإنما يكون بقدر منزلة ذلك العبد عند الله تعالى بحسب ما علموه فها هم يعظمون النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من سائر الخلق لعلمهم أنه أحب عبيده تعالى إليه وأقربهم لديه ثم يعظمون بعده الأنبياء والمرسلين أكثر من غيرهم لأن درجاتهم تلي درجته صلى الله عليه وآله وسلم وهكذا سائر عباد الله من صحابته صلى الله عليه وآله وسلم وآله وبيتة وبقية الأولياء والصالحين على اختلاف درجاتهم وما يمتا وزن به عن غيرهم من علم وتقوى وما خدموا به هذه الشريعة المحمدية ونفعا به الأمة الإسلامية من العلوم والمعارف والفتوحات والذب عن المسلمين والإسلام بعضهم بحد القلم وبعضهم بحد الحسام وما فضلهم الله به من الكرامات وخوارق العادات فهم يعتقدون الاعتقاد الجازم الذي لا يعتريه خلل ولا يشوبه خطأ ولا زلل أنهم كلهم عبيده وأن كل ما هم عليه من مقامات ودرجات إنما هو من فضل الله عليهم فقد أثنى عليهم الله تعالى في كتابه وأثنى عليهم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديثه مبينا أوصافهم الجليلة وهي كلها ترجع إلى صدق عبوديتهم لله تعالى وحسن خدمتهم له عز وجل فعظموهم لذلك واتخذوهم وسائط لقتضاء حوائجهم عنده لكونهم وإن شاركوهم في أصل العبودية له تعالى إلا أنهم امتازوا عنهم بما تفضل الله عليهم به م الرسالة والنبوة والولاية وكثرة العلم والعمل والمعرفة والطاعات وسائر الخدمات التي تليق به تعالى .

فيفهم مما مر أن غاية الأمر أن بعض المتوسلين والمستغيثين يتساحون في التصريح بهذا الأمر وهو الطب من الله دون واسطة عملا بالحقيقة والأصل ويكتفون بعلم من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فيادون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو أحد الأولياء الصالحين ويطلبون منهم العون والإغاثة وهم في قريرة أنفسهم يعلمون حق العلم أنه وحده سبحانه وتعالى هو النافع والضغار ولا يقع في ملكه إلا ما يريد وذلك طمعا في الإجابة لما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من منزلة عند الله وهذا ضرب من أضرب المجاز ولا

يستطيع أحد ممن له أدنى مسكة في علم الشريعة واللغة العربية أن ينكر وجود المجاز في القرآن الكريم والسنة الشريفة:

- 1 - فقد أسند الله تعالى إلى سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص مجازا فقال جل جلاله حكاية عنه ﴿وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله﴾⁽¹⁰¹⁾ فما دام قد وجه الإذن الإلهي لعبد محبوب عنده فلا حر إذا في قول الإنسان يا عيسى أحي ميتي واشف مريضي لأن الله تعالى أجاز ذلك بإلهام سيدنا عيسى هذا الكلام وإثباته قرآنا يتلى إلى يوم القيامة مع العلم أن إبراء الأكمه والأبرص وإحياء المتى أمور لا يقدر عليها حقيقة إلا الله وحده ورغم هذا رضي من عبده عيسى عليه السلام قوله وأقره عليه.
- 2 - ومثل هذا قول سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لخادمه ربيعة بن كعب الأسلمي سلمي فقال أسألك مرافقتك في الجنة فقال أو غير ذلك فقال هو ذاك قال أعني على نفسك بكثرة السجود⁽¹¹²⁾ وسؤال الجنة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استغائة وطلب لما لا يقدر عليه إلا الله ولم ينكر عليه الصلاة والسلام سؤاله ولم يقل له لا تسأل غير الله .
- 3 - ومن المجاز قوله تعالى حكاية عن جبريل عليه السلام ﴿لأهب لك غلاما زكيا﴾⁽¹²³⁾ فإسناد الوهب اليه مجاز والواهب حقيقة هو الله تعالى وحده.
- 4 - ومن ذلك أيضا قول الله جل جلاله ﴿يوما يجعل الولدان شيبا﴾⁽¹³⁴⁾ فإسناد جعل الولدان شيبا إلى اليوم مجاز والجاعل الحقيقي هو الله تعالى وتبارك .
- 5 - وقوله تعالى ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾⁽¹⁴⁵⁾ فقد جعل الحق تعالى في هذا النص ملائكته أولياء للذين آمنوا واستقاموا وقال في نصنص أخرى ينوه

⁽¹⁰¹⁾ سورة آل عمران الآية 49.

⁽¹¹¹⁾ أخرجه مسلم (1094) وأبو داود (1320) والترمذي (3416) النسائي (1137) وابن ماجه (3879).

⁽¹²²⁾ سورة مريم الآية 19.

⁽¹³³⁾ سورة المزمل الآية 17.

⁽¹⁴⁴⁾ سورة فصلت الآية 30 - 31.

أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض أيضا ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾⁽¹⁵¹⁾ وقال أيضا: ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾⁽¹⁶²⁾.

وقال: ﴿وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾⁽¹⁷³⁾، ومولاه أي ناصره فأسند الله النصر للمؤمنين والملائكة كما أسندها إلى نفسه فلا مانع إذا أن يقول قائل: اللهم انصرني بجبريل أو يا جبريل انصرني أو اللهم انصرني وأيدي بصالحي المؤمنين وبملائكتك أو يا أيها الصالحون ويا أيها المئكة انصروني وما هو بذلك إلا مقتد بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم حينما قال: يا عباد الله احبسوا⁽¹⁸⁴⁾ كما سيأتي معنا في هذا الباب إن شاء الله تعالى .

فالنصوص كلها عامة التعليق دون تخصيص حياة أو موت لأن المؤمنين لم يسلب عنه وصف الإيمان بانتقالهم إلى البرزخ فيكون بين المؤمنين من أهل البرزخ ولاية للمؤمنين في الدنيا ويكون للملائكة ولاية لجميعهم وولاية الملائكة مظهر ولاية الله تعالى لعباده المؤمنين .

6 - ومنها أيضا قوله تعالى: ﴿وإذا تليت عليهم آيته زادتهم إيمانا﴾⁽¹⁹⁵⁾ مسندا الزيادة إلى الآيات لأنها سبب في الزيادة والذي يزيد حقيقة هو الله تعالى وحده.

7 - ومنها قوله تعالى ﴿وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾⁽²⁰⁶⁾ والنصر حقيقة على الله تعالى وحده.

8 - ومنها قوله ﴿فالمدبرات أمرا﴾⁽²¹⁷⁾ مسندا التدبير إلى الملائكة مجازا لأنهم قائمين بإبراز مقادير الله تعالى في السماء والأرض بأمره ومشئته وبحوله وقوته والمدبر الحقيقي هو الله تعالى.

⁽¹⁵¹⁾ سورة المائدة الآية 55.

⁽¹⁶²⁾ سورة المائدة الآية 56.

⁽¹⁷³⁾ سورة المائدة الآية 56.

⁽¹⁸⁴⁾ أخرجه الطبراني في أكبر (10518) وأبو يعلى (5269) وذكره البيهقي في مجمع الزوائد (17105).

⁽¹⁹⁵⁾ سورة الأنفال الآية 2.

⁽²⁰⁶⁾ سورة الأنفال الآية 72.

⁽²¹⁷⁾ سورة النازعات الآية 5.

- 9 - ومنها قوله تعالى ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض﴾⁽²²¹⁾ مسندا الإنبات إلى الأرض والمنبت الحقيقي هو الله تعالى.
- 10 ومنها ﴿فأعينوني بقوة﴾⁽²³²⁾ والمعين الحقيقي هو الله.
- 11 ومنها قوله جل وعلا ﴿إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا﴾⁽²⁴³⁾ مسندا التثبيت إلى الملائكة مجازا.
- 12 ومنها ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾⁽²⁵⁴⁾.
- 13 ومنها ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾⁽²⁶⁵⁾.
- 14 وها هو صلى الله عليه وآله وسلم يسمي المر مغيثا فيقول : اللهم اسقنا غيثا مغيثا⁽²⁷⁶⁾.
- 15 وقالت أم سيدنا إسماعيل مخاطبة سيدنا جبريل : (أغث إن كان عند غوث)⁽²⁸⁷⁾.
- 16 وقال صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه لحسان بن ثابت رضي الله عنه عندما كان يقول الشعر في المسجد النبوي ويهجو به المشركين في إحدى روايات الحديث قل وروح القدس يؤيدك⁽²⁹⁸⁾ وفي رواية قل وروح القدس معك⁽³⁰⁹⁾ فنسب التأيد والمعية التي فيها الغوث والعون إلى سيدنا جبريل عليه السلام.
- ويقول الشيخ ابن تيمية في فتاويه في الجزء الأول منها بعد تعريفه الاستغاثة وكلامه عنها (إن جعل الله ذلك أي الغوث على يدي غيره فالحقيقة له سبحانه وتعالى ولغيره مجاز.

⁽¹⁾[22] سورة يس الآية 36.

⁽²⁾[23] سورة الكهف الآية 95.

⁽³⁾[24] سورة الأنفال الآية 12.

⁽⁴⁾[25] سورة البقرة الآية 45.

⁽⁵⁾[26] سورة النحل الآية 43.

⁽⁶⁾[27] أخرجه البخاري اللهخ أغثنا (968) اللهم اسقنا (967).

⁽⁷⁾[28] أخرجه البخاري 3365.

⁽⁸⁾[29] أخرجه مسلم (6345).

⁽⁹⁾[30] أخرجه البخاري (6153) ومسلم (6337) وأحمد (286/4) والنسائي في الكبرى تحفة الأشراف (1794).

وها هو الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى أيضا يتكلم عن الطلب من غير الله منوها أنه في الحقيقة طلب من الله وأنه من العبد مجاز وشرح بذلك حديث «وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»⁽³¹¹⁾.

فيقول : إنما قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله فيفهم منه الاستعانة المطلقة أما الاستعانة بالأسباب فيقصد بها الاستعانة بالله بواسطة السبب . وقال الشيخ محمد علوي المالكي عن هذا الحديث : هذا الحديث يخطئ كثير من الناس في فهمه إذ يستدل به على أنه لا سؤال ولا استعانة مطلقا من أي وجه وبأي طريق إلا بالله ويجعل السؤال والاستعانة بغير الله من الشرك المخرج عن الملة وهو بهذا ينفي الأخذ بالأسباب والاستعانة بها ويهدم كثيرا من النصوص الواردة في هذا الباب .
والحق :

إن هذا الحديث الشريف ليس المقصود به النهي عن السؤال والاستعانة بما سوى الله كما يفيد ظاهر لفظه وإنما المقصود به النهي عن الغفلة عن كون ما جرى من الخير على يد الأسباب فهو من الله والأمر بالانتباه إلى أن ما كان من نعمة على يد المخلوقات فهي من الله وبالله فالمعنى : $\text{É Î Ñ \textcircled{A}æ}$ الاستعانة بأحد من المخلوقين ولا بد لك من ذلك - فاجعل كل اعتمادك على الله وحده ولا تحجبك الأسباب عن رؤية المسبب جل جلاله ولا تكن ممن يعلمون ظاهر من هذه الاتباطات والعلاقات بين الأشياء المترتب بعضها على بعض وهم عن الذي ربط بينها غافلون .
وقد أوما هذا الحديث نفسه إلى هذا المعنى وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام في تمة الحديث نفسه عقيب هذه الجملة الشريفة : (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك) فأثبت لهم كما ترى نفعا وضرا بما كتبه الله للعبد أو عليه . فهذا منه صلى الله عليه وآله وسلم توضيح لمراده .

⁽³¹¹⁾ أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (2516) وأحمد (293/1).

والحديث ليس فيه أصلا لا تسأل غير الله ولا تستعن بغير الله وإنما هو كقوله: صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي»⁽³²¹⁾ فهل في هذا الحديث أن مصاحبة غير المسلم حرام؟! وهل يفهم منه أن إطعام غير التقي حرام؟! وقد رخص الله في كتابه بإطعام الأسير الكافر بل مدح ذلك بقوله: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾⁽³³²⁾.

الأدلة من القرآن الكريم

- 1 قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾⁽³⁴³⁾: لفظ الوسيلة عام في الآية كما نرى فهو شامل للتوسل بالذوات الفاضلة من الأنبياء والصالحين في الحياة وبعد الممات لأنه لا فرق بينهما كما سيمر معنا وهو شامل أيضا للتوسل بالأعمال الصالحة.
- 2 وقال تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾⁽³⁵⁴⁾ وقال سيدنا ابن عباس ومجاهد: هم عيسى عليه السلام وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم، يبتغون أي يطالبون إلى ربهم الوسيلة أي القربة، وقيل الدرجة: أي يتضرعون إلى الله في طلب الدرجة العليا وقيل: الوسيلة ما يتقرب به إلى الله تعالى وقوله: ﴿أيهم أقرب﴾ معناه ينظرون أيهم أقرب إلى الله تعالى فيتوسلون به.

وقال الزجاج أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله تعالى ويتقرب إليه بالعمل الصالح ونحوه في تفسير الخازن.

- 3 وقال تعالى: ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾: يقص الله جل وعلا علينا في هذه الآية قصة الرجل القبطي الذي استغاث بسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، وهو من شيعته فأغاثه ن ومعلوم أن الأنبياء عليهم السلام كلهم جاؤوا بالتوحيد الخالص لله

⁽¹⁾[32] أخرجه أبو داود (4832) والترمذي وقال حديث حسن (2395) وأحمد (38/3) والدارمي (1985) والبخاري (3484) والحاكم (128/4) وصححه ووافقه الذهبي وحسنه ابن حبان (554) والطيالسي (2213) وأخرجه أيضا أبو يعلى (1315).
⁽²⁾[33] سورة الإنسان الآية (8).
⁽³⁾[34] سورة المائدة الآية: 35.
⁽⁴⁾[35] سورة الإسراء الآية 56.

تعالى وعدم الإشراف به، فلو كانت الاستغاثة الرجل به نوعاً من الشرك لم يجز لسيدنا

موسى أن يغيبه وحاشا الأنبياء أن يقرؤا الناس على ما فيه مخالفة المولى عز وجل.

4 وقال تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾^[361] قال ابن عباس هي: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن

لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾^[372] وذكر الألوسي في تفسيره عن ابن مسعود

رضي الله عنه أنها (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله إلا أنت

ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت).

وقيل: رأى مكتوباً على ساق العرش محمد رسول الله فتشفع به.

5 وقال تعالى: ﴿وقال لهم نبينهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقيه مما

ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾^[383] قال

الحافظ ابن كثير في التاريخ: قال ابن جرير عن هذا التابوت: وكانوا إذا قاتلوا أحداً من

الأعداء يكون معهم تابوت الميثاق الذي كان في قبة الزمان فكانوا ينصرون ببركته وبما

جعل الله فيه من السكينه والبقيه مما ترك آل موسى وآل هارون فلما كان في بعض حروبهم

مع أهل غزة وعسقلان غلبوهم وقهروهم على أخذه فانتزعوه من أيديهم.

قال ابن كثير: وقد كانوا ينصرون على أعدائهم بسببه، وكان فيه طمست من ذهب كانت يغسل

فيه صدور الأنبياء^[394].

وقال ابن كثير في التفسير: كان فيه عصا موسى وعصا هارون ولوحان من التوراة وثياب

هارون ومنهم من قال: العصا والنعلان.

[361] سورة البقرة الآية 37.

[371] سورة الأعراف الآية 23.

[381] سورة البقرة الآية 248.

[391] البداية والنهاية (2/ 80).

وقال القرطبي: والتابوت كان من شأنه فيما ذكر أنه أنزله الله على آدم عليه السلام فكان عنده إلى أن وصل إلى يعقوب عليه السلام فكان في بني إسرائيل يغلبون به من قاتلهم حتى عصوا فغلبوا على التابوت غلبهم عليه العمالقة وسلبوا التابوت منهم.⁽⁴⁰¹⁾

وهذا في الحقيقة ليس إلا توسلا بآثار أولئك الأنبياء إذ لا معنى لتقديمهم التابوت بين أيديهم في حروبهم غير ذلك والله سبحانه وتعالى راض عن ذلك بدليل أنه رده إليهم وجعله علامة وآية على صحة ملك طالوت ولم ينكر عليهم ذلك الفعل.

6 وقال تعالى: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾⁽⁴¹²⁾ روى أبو نعيم في دلائل النبوة من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت يهود بني قريظة والنضير من قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم يستفتحون الله يدعون على الذين كفروا يقولون: اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي إلا نصرتنا فينصرون فلما جاءهم ما عرفوا يريد محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ولم يشكوا فيه كفروا به ولهذا الأثر طرق كثيرة.

وفي تفسير النيسابوري ما نصه: قوله يستفتحون على الذين كفروا وذلك أن اليهود قبل مبعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزول القرآن يسألون به الفتح والنصرة على المشركين إذا قاتلوهم يقولون: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعتة وصفته في التوراة وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم.

وقال في تفسير الكشاف وفي تفسير الخازن ما نصه: وكانوا يعني اليهود من قبل أي من قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستفتحون أي يستنصرون به على الذين كفروا يعني مشركي العرب وذلك أنهم كانوا إذا حزبهم أمر ودهمهم عدو يقولون: اللهم انصرنا بالنبي

^[401] تفسير القرطبي (3/2470).

^[411] سورة البقرة الآية 89.

المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان بني نوح بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما جاءهم ما عرفوا أي الذي عرفوه يعني محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عرفوا نعمته وصفته وأنه من غير بني إسرائيل كفروا به أي جحدوا وأنكروا بغيا وحسدا ونحوه في تفسير البغوي والنسفي . وفي روح المعاني للألوسي : وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل مبعثه قاله ابن عباس وقتادة والمعنى يطلبون من الله تعالى أن ينصرهم به على المشركين كما روى السدي أنهم كانوا إذا اشتد الحرب بينهم وبين المشركين أخرجوا التوراة ووضعوا أيديهم على موضع ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا: اللهم إنا نسألك بحق نبيك الذي وعدتنا أن تبعثه في آخر الزمان أن تنصرنا اليوم على عدونا فينصرون فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كنى عن الكتاب المتقدم بما عرفوا لأن معرفة من أنزل عليه معرفة له ووجه الدلالة من هذه الآية ظاهر فإن الله سبحانه أقر استفتاح اليهود بالرسول ولم ينكره عليهم وإنما ذمهم على الكفر والجحود بعد إذ شاهدوا بركة الاستفتاح بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

7 وقال الله تعالى ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أي ممدكم بألف من الملائكة

مردفين﴾^[421]:

في هذا النص بيان أن الصحابة رضوان الله عليهم استغاثوا بالله سبحانه فاستجاب لهم فأغاثهم وأمدهم بألف من الملائكة عليهم السلام والملائكة من جنود الله تعالى يغيث بهم من يشاء من عباده والذي يغيث بالملائكة هو الله تعالى وقدرته قابلة أن يغيث بها من شاء من عباده وأن يغيث عباده بعضهم ببعض لأن الخلق جميعا سواء من حيث الإمكان والحدوث وجواز تعلق صفات الله تعالى بهم .

^[421] سورة الأنفال الآية 9.

ومن الذي أوجب على الله تعالى أن يمد الملائكة ويمد بهم فقط ولا يمد بالأنبياء والأولياء الصالحين والجميع حولهم وقوتهم بالله سبحانه وتعالى والتفريق بين الملائكة والأنبياء والأولياء من قبيل التفريق بين المتماثلين وهو مخالف لما عليه المحققون.

8 وقال تعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول

لوجدوا الله توابا رحيمًا﴾^[431].

قال الزمخشري في الكشاف: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاؤوك تائبين من النفاق مستنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالإخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من إيدائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم إلى الله ومستغفرا لوجدوا الله توابا أي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعد عنه إلى طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبهها على أن شفاعته من اسمه الرسول من الله بمكان. فهذه الآية وإن نزلت بسبب المنافقين المتحاكمين إلى الطاغوت فهي عامة تشمل كل عاص ومقصر، لأن ظلم النفس المذكور فيها يشمل كل معصية ثم إنها أي الآية تدل على الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حالتي حياته ووفاته⁹ لأن كلا من المجيء والاستغفار وقع في سياق الشرط فيدل على العموم، الاستشفاع في حال الحياة ظاهر ليس فيه خلاف.

وورد في تفسير ابن كثير: عند قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم...﴾^[442] ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي قال: كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا﴾ وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربي ثم انشد يقول:

فطاب من طيهن القاع والأكم	يا خير من دفنت بالقاع أعظمه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم	نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه

^[431] سورة النساء الآية 64.

^[442] سورة النساء الآية 64.

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقال: «الحق بالأعرابي فبشره أن الله قد غفر له»⁽¹⁴⁵⁾.

وقد جاء في تفسير القرطبي ما نصه: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك روى أبو صالح عن علي قال: قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحثا على رأسه من ترابه فقال: قلت يا رسول الله فسمعنا قولك ووعيت عن الله فوعينا منك وكان فيما أنزل الله عليك ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا﴾ وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر أنه قد غفر لك⁽¹⁴⁶⁾.

فالآية دليل على جواز التوسل والاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في سائر الأحوال لأنه في قبره الشريف حي يرزق تعرض عليه أعمال أمته فيدعو لهم ويستغفر ويلحق به في جواز التوسل كل ما ثبت له هذه المزية كالشهداء والعلماء العاملين والأولياء المتقين ونحوهم والله أعلم.

هذا وقد روى هذه القصة غير من مضي من الأئمة:

- 1 - الإمام النووي في كتابه الإيضاح⁽¹⁴⁷⁾.
 - 2 - وابن قدامة في كتابه المغني⁽¹⁴⁸⁾.
 - 3 - وأبو الفرج بن قدامة في كتابه الشرح الكبير⁽¹⁴⁹⁾.
 - 4 - والشيخ منصور البهوتي في كتابه المعروف بكشفا القناع من أشهر كتب المذهب الحنبلي⁽¹⁵⁰⁾.
- ولم يذكر واحد منهم أن هذا الفعل إشراك بالله تعالى فيكون إقرارا منهم بالتوسل.

⁽¹⁴⁵⁾ تفسير ابن كثير (1/6430).

⁽¹⁴⁶⁾ تفسير القرطبي (5/2650).

⁽¹⁴⁷⁾ الباب السادس (4980).

⁽¹⁴⁸⁾ (3/556).

⁽¹⁴⁹⁾ (3/495).

⁽¹⁵⁰⁾ (5/30).

الأدلة

من الأحاديث الشريفة وآثار الصحابة

ونبدأ بذكر الأدلة على التوسل والاستغاثة بالأحياء:

1 - عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه: أن رجلا ضريرا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

ادع الله لي أن يعافيني فقال: إن شئت صبرت وهو خير لك قال فادعه وفي رواية: ليس لي قائد وقد شق علي فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في قضاء حاجتي لتقضى لي اللهم شفعه في وزاد البيهقي فقام وقد أبصر وفي رواية اللهم شفعه في وشفعني في نفسي⁽⁵¹¹⁾، فقوله: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك.. توسل وقوله: يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في قضاء حاجتي.. استغاثة فها هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يرض أن يدعو له هو بنفسه بل أمره أن يتوسل إلى الله به بل ويناديه حال غيابه عنه قائلا: يا محمد وحاشا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأمر بما فيه طعن في العقيدة أو يرضى به أصلا وهذا توسل ظاهر واستغاثة صريحة بذاته وجاهه صلى الله عليه وآله وسلم عليه وقد اعتمدها علماء المحدثون والحفاظ في كتب السنة في صلاة الحاجة حاثين الأمة عليها.

2 - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشي هذا فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء

(^{1[511]}) أخرجه الإمام أحمد في المسند (138/4) والنسائي في عمل اليوم والليلة (658) والترمذي (3578) وابن ماجه (1385) وقال أبو إسحاق: هذا حديث صحيح وعبد بن حميد (379) وابن خزيمة (1219) والحاكم (313/1) وصححه ووافقه الذهبي وفي رواية (فرجع وقد كشف له عن بصره) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (660).

مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك»⁽⁵²¹⁾.

وهذا حث ظاهر منه للصحابة على التوسل إلى الله تعالى بجاه ومنزلة السائلين عنده والسائلين جمع يشمل الأموات والأحياء ومن كان حاضرا ومن كان غائبا وفي الحديث دليل التوسل بالعمل الصالح وهو ممشى الرجل إلى المسجد لوجه الله فالشرع لم يفرق بين التوسل بالذوات الفاضلة وبين التوسل بالعمل الصالح بل لقائل أن يقول: كيف لا يجوز التوسل بذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو أشرف خلق الله ويجوز التوسل بصلاة العبد وصيامه وصدقته وكلا الأمرين خلق الله.

3 - وعن سيدنا علي كرم الله وجهه: ان سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما دفن فاطمة بنت أسد أم سيدنا علي رضي الله عنهما قال: اللهم بحق الأنبياء من قبلي اغفر لأمي بعد أمي.⁽⁵³²⁾

4 - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا فنتسقىنا وإنا نتوسل إليك بعم نينا فاسقنا. قال: فيسقون وفي الحديث إثبات التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم وبيان جواز التوسل بغيره كالصالحين من آل البيت وغيرهم كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري.⁽⁵⁴³⁾

ومن الشبه التي قد ترد على هذا الحديث أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه توسل بالعباس لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان قد توفي والجواب أن يقال: هل قال لكم عمر أو

⁽¹⁵²⁾ أخرجه ابن ماجه (778) وأحمد (21/3) والطبراني في الدعاء (990/2) وابن السني في عمل اليوم والليلة ص (40) والبيهقي في الدعوات الكبير ص (47) وأخرجه ابن أبي شيبه (211/10 - 212) وقد حسنه جمع من الحفاظ منهم الحافظ ابن حجر كما في أمالي الأذكار (72/1) والحافظ العراقي كما في تخرجه أحاديث الإحياء (291/1) والحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ الحفاظ المنذري كما في الترغيب والترهيب (273/3) والحافظ الدمياطي كما في المتجر الرابع ص (471 - 472) وقال الحافظ البوصيري في مصباح الزجاجه (99/1) رواه ابن خزيمة في صحيحه في طريق فضيل بن مرزوق فهو صحيح عنده.

⁽²⁵³⁾ رواه الطبراني في الأوسط (152/1) وأبو نعيم في الحلية (121/3) والمهشمي في مجمع الزوائد (257/9).

⁽³⁵⁴⁾ أخرجه البخاري (1010).

العباس إن هذا التوسل لأن الرسول كان قد توفي كلا لا قال عمر ذلك ولا أشار إليه ولا قال

العباس ذلك ولا أشار إليه، وهنا مسائل لا بد من ذكرها:

1 -ترك الشيء لا يدل على منعه كما تقرر في الأصول فترك عمر للتوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا دلالة فيه أصلا على منع التوسل وقد ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيرا من المباحات فهل دل تركه لها على حرمتها؟ لم يقل ذلك أحد من العلماء ثم إن صاحب الوسيلة لا يتصرف بنفسه في قضاء حاجة المتوسل حتى يحول موته دون ذلك وإنما هو يسعى بالشفاعة عند الله تعالى في قضاء حاجة المتوسل فهل ورد نص بتجرد الأنبياء والصالحين بموتهم مما لهم عند الله من المنزلة والجاه على أنه سيمر معنا إن شاء الله تعالى الكلام عن الروح وقوة تصرفها بعد مفارقة البدن.

2 -أراد عمر ان يبين التوسل بالمفضول مع وجود الأفضل لوجود علي وعثمان رضي الله عنهما.

3 -توسل عمر بالعباس في الحقيقة توسل بالنبي لأن عمر توسل به لمكانته من النبي وكونه عمه فيها هو يقول عم نبينا ولم يقل بالعباس بن عبدالمطلب.

4 -أراد عمر بفعله أن يبين جواز التوسل بغير النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الصلاح ممن ترجى بركته.

5 -وعن شريح بن عبيد قال: ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو بالعراق

فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين قال: لا سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

الأبدال بالشام هم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث

وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب^[551].

وفي رواية: أربعون رجلا مثل خليل الرحمن^{[56]2}.

ومعنى المثلية في قوله مثل خليل الرحمن أنهم على طريقة إبراهيم عليه الصلاة والسلام في سلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين .

[551] أخرجه أحمد (112/1) وفي (مجمع الزوائد 1667/10).

[56]2 ذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (63/10) وقال إسناده حسن.

6 - وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا كنت لا بد سائلا فأسأل الصالحين ⁽⁵⁷¹⁾ فهذا حث ظاهر منه صلى الله عليه وآله وسلم على سؤال الصالحين.

7 - وقال عليه الصلاة والسلام (إن الله خلقنا خلقهم لحوائج الناس يفعزع إليهم في حوائجهم أولئك هم الآمنون من عذاب الله) ⁽⁵⁸²⁾.

8 - وعن سيدنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله ابسوا علي ، يا عباد الله احبسوا علي، فإن لله في الأرض حاضرا سيحبسه عليكم) ⁽⁵⁹³⁾.

وفي رواية: «إذا أضل أحدكم شيئا أو أراد أحدكم غوثا وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله أغيثوني يا عباد الله أغيثوني فإن لله عابدا لا نراهم.

وفي رواية: «إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظ يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصابت أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله أعينوني، وفي رواية أعينوا ⁽⁶⁰⁴⁾.

وذكر الإمام الطبراني في الكبير، والإمام النووي في الأذكار بعد روايتها للحديث بأنهما جريا ذلك بأنفسهما ، وهو ظاهر جلي لا يحتمل التأويل ولا التبديل ففي هذا الموقف الذي ينادي فيه الإنسان (ياالله) بفطرته ، حيث لا يرى حوله من يأنسه أو يقاسمه همه رغم هذا أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول «يا عباد الله حثا على الأخذ بالأسباب فهل بعد الحق إلا الضلال الميين».

9 - عن الحارث بن حسان البكري رضي الله عنه قال: خرجت أنا والعلاء ابن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .. الحديث وفيه فقلت: أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد، فقال: أي سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: وما وافد عاد؟..... الخ ⁽⁶¹⁵⁾.

⁽¹⁵⁷¹⁾ أخرجه أحمد (324/4) في المسند وأبو داود (1646) والنسائي (2586).

⁽²⁵⁸¹⁾ رواه الطبراني في الكبير (3234) وذكره السيوطي في الجامع الصغير (2350) ورمز لحسنه.

⁽³⁵⁹¹⁾ أخرجه الطبراني في الكبير (10518) وأبو يعلى (5269) والمهيني في مجمع الزوائد (17105).

⁽⁴⁶⁰¹⁾ أخرجه الطبراني في الكبير 17.

⁽⁵¹⁶¹⁾ ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري وقال الإسناد حسن الفتح (579/8).

فها هو رضي الله عنه الله عنه يستعيد بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورغم هذا اقره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهل من المعقول أن يقره على الإشراف بالله.

10 - وعن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ليأتين على الناس زمان يخرج الجيش من جيوشهم فيقال: هل فيكم من صحب محمدا

فيستنصرون به فينصرون ثم يقال: هل فيكم من صحب محمدا فيقال: لا فيقال: فمن صحب

أصحابه؟ فلو سمعوا به من وراء البحر لأتوه»⁽⁶²⁾¹.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم⁽⁶³⁾².

وهذا دليل على الاستغاثة بالحصابة والتوسل بهم إلى الله طلبا للنصر.

11 - وعن عبد الله بن دينار رضي الله عنه قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يتمثل بشعر أي

طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه	ثمال اليتامى عصمة للأرامل
---------------------------	---------------------------

وفي لفظ قال: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستسقى

فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب.

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه	ثمال اليتامى عصمة للأرامل ⁽⁶⁴⁾³
---------------------------	--

فتمثله رضي الله عنه بهذا البيت من قول أبي طالب دون غيره دليل على توسله بالنبي صلى الله عليه وآله

وآله وسلم وهو نص لا يحتمل غير هذا الفهم، ومثل سيدنا ابن عمر لا يصدر عنه ما يشك في

قبوله شرعا.

12 - وعن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في حديث الشفاعة: «إن الشمس تدنو يوم

القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد

⁽⁶²⁾¹ أخرجه أبو يعلى (2182).

⁽⁶³⁾² أخرجه البخاري (2739).

⁽⁶⁴⁾³ أخرجه البخاري (1008).

صلى الله عليه وآله وسلم فيشفع ليقضي بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم»⁽⁶⁵¹⁾.

وهذا الحديث ظاهر في أن الناس يتوسلون بسيد الأنام عند اشتداد الأمر عليهم ويستغيثون به، ولو كان التوسل والاستغاثة كفرا لما جاز لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يشفع لهم عند الله، ومعلوم أن الشفاعة يوم القيامة لا تنال الكافرين بل لو كان فيهما شيء من الإشراف بالله لبينه لأصحابه عندما أخبرهم بهذا الحديث فلما لم يكن كفرا كان أمره مستحبا ومندوبا إليه في الدنيا والآخرة.

13 - وعن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقصص على أصحابه حادثة السيدة هاجر هي وابنها بعد أن تركها سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في مكة أنها كلما سمعت صوتا عند الطفل قالت: (إن كنت ذا غوث فأغث)⁽⁶⁶²⁾ والمخاطب هو جبريل عليه السلام فغمز الأرض بعقبه فنبعت زمزم التي ما زالت وستبقى إلى يوم القيامة مفضلة على جميع أنواع المياه لبركتها وفائدتها فهل من المعقول أن يكرم الله السيدة هاجر بماء زمزم إن كان في كلمتها شيء من الكفر ثم إن كان فيها كفر فلماذا لم ينبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه عليها وهو يحدثهم أيسكت صلى الله عليه وآله وسلم عن أمر فيه إخراج أصحابه عن عقيدتهم؟!

14 - وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أنه شكى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم النسيان لما يسمعه من حديثه الشريف وهو يريد أن يزول عنه ذلك فقال رضي الله عنه: يا رسول الله: إني أسمع منك حديثا كثيرا فأنساه فأحب أن لا أنسى فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أبسط ردائك فبسطه فغرف يديه فيه ثم قال: ضمه فضمه قال أبو هريرة فما نسيت حديثا بعد وفي رواية فما نسيت شيئا قط»⁽⁶⁷³⁾.

⁽⁶⁵¹⁾ هذا الحديث متواتر، ومن رواه البخاري ومسلم (194).

⁽⁶⁶¹⁾ أخرجه البخاري (3365).

⁽⁶⁷¹⁾ أخرجه البخاري (3648) والترمذي (3835).

وعدم النسيان من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله وحده ورغم هذا لم ينكر عليه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأجابه إلى مطلبه فهذا توسل منه رضي الله عنه بذات سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومكانته عند الله لا بدعائه فحسب لأنه لم يرد أنه دعا له وإنما اغترف له من الهواء وألقاه في ثوبه وأمره بضمه إلى صدره وهذا دليل منه رضي الله عنه على جواز سؤال مثل هذه الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله من غير الله تعالى، حتى إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل له لا تسألني وسل من هو أقرب إليك مني بل أجابه إلى مطلبه وقضيت حاجته باللحظة التي ضم فيها الرداء إلى صدره.

15 - ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن عمر عس⁽⁶⁸¹⁾ ذات ليلة عام الرمادة فلم يجد أحجدا يضحك ولا يتحدث الناس في منازلهم على العادة ولم ير سائلا يسأل فسأل عن سبب ذلك فقيل له: يا أمير المؤمنين إن الناس سألوا فلم يعطوا فقطعوا السؤال والناس في هم وضيق فهم لا يتحدثون ولا يضحكون فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة أن يا غوثاه لأمة محمد وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر أن يا غوثاه لأمة محمد فبعث إليه كل واحد منهما بقافلة عظيمة تحمل البر وسائر الأطعمة⁽⁶⁹²⁾.

وهذا ظاهر في جواز إطلاق لفظ التوسل والاستغاثة.

16 - وعن قتادة رضي الله عنه أنه أصيبت عينه فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فقال: لا حتى استأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستأمره فقال: لا ثم وضع راحته على حدقته ثم غمزها فعادت كما كانت فكانت أصح عينيه⁽⁷⁰³⁾، فهذا توسل منه بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى يبرأ من مرضه.

ومثل هذا الفعل مما يختص به الله عز وجل إلا أن يكرم به أحد عباده ويأذن له بفعله .

[681] تجول في البلد ليلا لينظر في احوالها.

[691] البداية والنهاية (97/7) وقال عنه: أثر جيد الإسناد

[701] أخرجه أبو يعلى (1549) وأبو نعيم في دلائل النبوة (416) وابن حجر في أسد الغابة (390/4) والإصابة (138/8) وابن هشام في اللسيرة (82/2) مرسلًا والطبراني في الكبير (19 رقم 12) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (297-298) (113/6) وابن كثير في الشمائل ص (568) والحاكم (295/3) وابن كثير في السيرة (66/3-67).

17 - وقال صلى الله عليه وآله وسلم «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»⁽⁷¹¹⁾ فهذا دليل جواز استعانة العباد بعضهم ببعض بل والحث على ذلك وإكرام المعين لغيره بمعونة الله الكبرى.

⁽⁷¹¹⁾ أخرجه مسلم (6793) وأبو داود (4946).

الأدلة على التوسل والاستغاثة

بالأموات

لابد لنا قبل الخوض في ذكر الأدلة على التوسل والاستغاثة بالأموات من الإجابة على أسئلة ثلاثة قد تتبادر إلى أذهان كثير من الناس وهي:

- 1 - هل الموتى أحياء في قبورهم فتوسل بهم؟
 - 2 - وهل يسمعون توسلنا وهم في القبور؟
 - 3 - وهل يستطيعون إثباتنا ونفعلنا وهم قد انتقلوا إلى الحياة البرزخية؟
- الجواب عن الأسئلة الثلاثة (نعم) إنهم أحياء في قبورهم يسمعون توسلنا ويقضون حوائجنا والأدلة على ذلك كثيرة:

1 - منها قوله تعالى ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عن ربهم يرزقون﴾⁽⁷²¹⁾.

2 - وقوله تعالى ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾⁽⁷³²⁾.
فدلت الآيتان على حياة الذين يقتلون في سبيل الله والقتل في سبيل الله عام يشمل الشهادة في الحروب وفي غيرها كما دلت الأحاديث والآثار على ذلك ثم إذا كان هذا حال الشهداء فماذا يكون حال الأنبياء عامة وحال نبينا خاصة وقد جمع الله له بين الشهادة والنبوة؟ لا شك انهم أدنى بهذه المزية منه.

3 - ومنها قوله تعالى ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾⁽⁷⁴³⁾ فقد قال الحافظ ابن كثير رضي الله عنه عن تفسير هذه الآية:

(... وقد ورد أن أعمال الأحياء تعرض على الأموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ).

⁽¹⁷²¹⁾ سورة آل عمران الآية (169).

⁽²⁷³¹⁾ سورة البقرة الآية (154).

⁽³⁷⁴¹⁾ سورة التوبة الآية (105).

4 - ومنها حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»⁽⁷⁵¹⁾.

5 - ومنها حديث أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أفضل أيامكم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثرُوا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي قالوا كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يقولون بليت فقال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»⁽⁷⁶²⁾.

6 - ومنها حديث الإسراء المتواتر الذي ورد من طريق بضع وأربعين صحابياً⁽⁷⁷³⁾ وفيه أنه صلى الله عليه وآله وسلم بهم جماعة وأن سيدنا آدم وغيره من الأنبياء دعوا لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأن سيدنا موسى عليه السلام طلب منه العودة إلى ربه ليطلب منه تخفيف الصلاة عنا حتى خففها الله من خمسين صلاة إلى خمس صلوات في اليوم والليلة فهذا كله دليل حياتهم في دار البرزخ أي القبر بل وحرثتهم في الانتقال من مكان إلى آخر ودعاء سيدنا آدم وإرشاد سيدنا موسى لأمر تخفيف عدد الصلوات دليل نفعهم لنا وهم في الحياة البرزخية .

7 - ومنها حديث سيدنا أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم»⁽⁷⁸⁴⁾.

⁽¹⁷⁵¹⁾ أخرجه أبو يعلى (3425) رمز السيوطي لحسنه، وأخرجه أيضاً البيهقي في حياة الأنبياء (0) 3 و صححه والبزار في مسنده (233) (256) وابن عساکر في تاريخ دمشق (285/4) وابن عدي في الكامل (2/9) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (38/2) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (8 برقم 13812) وذكره الحافظ في المطالب العالية (3452) و صححه المناوي إسناده صحيح ويشهد له حديث سيدنا أنس رضي الله عنه قال رسلو الله صلى الله عليه وآله وسلم مررت بموسى ليلة أسري بي وهو قائم يصلي في قبره عند الكتيب الأحمر أخرجه مسلم (6107) والنسائي (631) وأحمد (148/3) وأبو نعيم في الحلية (253/6) وأبو يعلى (3325) وابن حبان (50) وابن أبي شيبة (307/14 j 308) والسيوطي في الدر المنثور (150/4) .

⁽²⁷⁶⁾ أخرجه أبو داود (1047) والنسائي (1373) وابن ماجه (1085) وأحمد (8/4) والدارمي (1535) وابن خزيمة (1733) وابن أبي شيبة (516/2) والبيهقي (248/3) والحاكم (278/1) و صححه ووافقه الذهبي والطبراني في الكبير (589) .

⁽³⁷⁷⁾ أخرجه البخاري (349) ومسلم (413) والدارمي في الرد على الجهمية وابن منده في فيماني (714) وأبو عوانة (133/1 - 135) والآجري في الشريعة ص (481 - 482) .

⁽⁴⁷⁸⁾ أخرجه البخاري (1338) ومسلم (7145) وأبو داود (7145) وأبو داود (3231) والنسائي (2048) وأحمد (126/3) وعبد بن حميد (1180) والبيهقي في إثبات عذاب البقر (13) والآجري في الشريعة ص (365) وأحمد في السنة (1355) والبيهقي في السنن 80/4 والبعوي (1522) وابن حبان (3120) .

8 - ومنها حديث سيدنا أبي طلحة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قام على القلب
قليب بدر وفيه قتلى المشركين فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان ابن فلان قال: إنا
وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟! فقال سيدنا عمر يا رسول
الله: ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأسمائهم
بأسماع لما أقول منهم⁽⁷⁹¹⁾ وهذا قسم منه صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم يسمعون كلامه.

9 - ومنها حديث سيدنا عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله
ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام»⁽⁸⁰²⁾.

10 ومنها حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال «ما من أحد
يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد السلام»⁽⁸¹³⁾.

والسلام هو الأمان فهو يدعو للمسلم بالأمان إذا يلحق به النفع وهو في قبره صلى الله عليه وآله
وسلم ويرد على الحديث إشكال وهو أن ظاهره أن عود الروح إلى الجسد يقتضي انفصالها عنه وهو
الموت وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة:

1 - المراد بقوله (رد الله علي روحي) أن رد روحه كانت سابقة عقب دفنه لا أنها تعاد ثم تنزع ثم
تعاد.

2 - سلمنا لكن ليس هو نزع موت بل لا مشقة فيه.

3 - المراد بالروح الملك الموكل بذلك.

4 - المراد بالروح النطق فتجز فيه من جهة خطابنا بما نفهمه.

[179] أخرجه البخاري (3757) ومسلم (2875) .

[80] أخرجه النسائي (1281) في عمل اليوم والليلة (66) وأحمد (387/1) وأبو يعلى (5413) وعبدالرزاق في مصنفه (3116) وابن
أبي شيبه (517/2) والدارمي (2627) والبخاري (295/1) والطبراني في الكبير (1028) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (205/2) والبخاري (687)
والخطيب في تاريخ بغداد (10415) وابن القيم في جلاء الأفهام ص (24) والحاكم (421/2) وصححه ووافقه الذهبي وابن حبان
(914) وفي الحديث الحث على الصلاة والسلام عليه ﷺ وفيه تعظيمه وإجلاله منزله حيث سخر الله تعالى الملائكة الكرام لهذا الشأن

العظيم.

[81] أخرجه أبو داود (2041) وأحمد (527/2).

5 - أنه يستغرق في أمور الملاء الأعلى فإذا سلم عليه رجع اليه فهمه ليجيب من سلم عليه . وقد

استشكل ذلك من جهة أخرى ، وهو أنه يستلزم استغراق الزمان كله في ذلك لاتصال الصلاة والسلام عليه في أقطار الأرض ممن لا يحصى كثرة وأجيب بأن أمور الآخرة لا تدرك بالعقل وأحوال البرزخ أشبه بأحوال الآخرة والله أعلم انتهى كلام الحافظ بحروفه^[821] .

11 ومنها حديث سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه وما رأيت من شر استغفرت الله لكم»^[832] فهذا صريح في أنه صلى الله عليه وآله وسلم يستغفر لأمته وهو في الحياة البرزخية والاستغفار دعاء تنتفع منه الأمة الإسلامية جمعاء .

12 ومنها حديث سيدنا أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم فإن كان خيرا استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا» .

وفي رواية عن جابر رضي الله عنه : «إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم في قبورهم فإن كان خيرا استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك»^[843] وهذا دليل نفع الأموات من غير الأنبياء .

13 ومنها حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه عن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلن عيسى بن مريم إماما مقسطا عدلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليصلحن ذات البين وليذهبن الشحنةا وليعرضن المال فلا يقبله

[821] المقالات السننية ص (115) .

[832] أخرجه البزار (845) ورجاله رجال الصحيح كذا في مجمع الزوائد (14250) وقال الحافظ العراقي في طرح الثريب (297/3) إسناده جيد وصححه الحافظ السيوطي كما في الخصائص (281/2) وكذلك الحافظ الغماري في نهاية الآمال في شرح وتصحيح حديث عرض الأعمال .

[843] أخرجه الطبراني في الكبير (154/4) وفي إتحاف السادة المتقين للزيدي (385/10) وفي تفسير ابن كثير (147/4) وفي كنز العمال (34029) وفي الحاوي للسيوطي (303/2 - 304) .

أحد حتى لئن قام على قبري فقال: يا محمد لأجبتة⁽⁸⁵¹⁾: وفي قوله لأجبتة دلالة ظاهرة على سماعه إياه.

14 ومنها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ما من

أحد يمر بقبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام»⁽⁸⁶²⁾.

15 ومنها أحاديث السلام على الموتى عند المرور بهم: كحديث بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى

الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا ذهب إلى المقابر يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين

والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية⁽⁸⁷³⁾.

فلولا حياة الموتى في قبورهم وصحة سماعهم لم يكن لهذه الخطابات أي معنى ولكانت بمثابة

مخاطبة الجمادات.

16 ومنها حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم: «إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه فإنهم يتزاورون في قبورهم»⁽⁸⁸⁴⁾.

17 ومنها حديث سيدنا أبي أمامة عندما مر به سعيد الأودي أو الأزدي وهو يلفظ أنفاسه

الأخيرة فقال له: يا سعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فقال «إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس القبر ثم ليقل: يا فلان

بن فلانة فلاإنه يسمع ولا يجيب - أي لا يستطيع الجواب - ثم ليقل: يا فلان بن فلانة المرة

الثانية فإنه يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان ابن فلانة المرة الثالثة فإنه يقول: أرشدنا يرحمك الله

ولكن لا تشعرون... الخ»⁽⁸⁹⁵⁾.

⁽¹⁸⁵¹⁾ ذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (13813) ورواه أبو يعلى (6584) ورجاله رجال الصحيح .

⁽²⁸⁶¹⁾ أورده الحافظ السيوطي في الحاوي (170/2) وقال : صححه الحافظ ابن عبدالحق وهو إمام في العلل كما قال عنه الذهبي في تذكرة

الحفاظ.

⁽³⁸⁷¹⁾ أخرجه مسلم (2254) والنسائي (2036) وأحمد (22/6) وابن أبي شيبة (340/3) وابن السني في عمل اليوم والليلة (594)

والبيهقي (79/4) والبعوي (1555) وابن حبان (3173).

⁽⁴⁸⁸¹⁾ أخرجه الترمذي (994) وابن ماجه (1474) بشطره الأول.

⁽⁵⁸⁹¹⁾ أخرجه الطبراني في الكبير (7979) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (4248).

وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ما نصه : قوله : ويستحب أن يلقن الميت بعد الدفن وحديث التلقين إسناده صالح وقد قواه الضياء في أحكامه⁽⁹⁰¹⁾.

18 ومنها حديث الرجل الذي ضرب خبائه ليلا على قبر فسمع من القبر قراءة ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾⁽⁹¹²⁾ إلى آخرها فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : (هي المانعة هي المنجية)⁽⁹²³⁾.

19 ومنها ما قاله سعيد بن عبدالعزيز : (لما كان أيام الحرة لم يؤذن في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثا ولم يقيم ، ولم يخرج سعيد بن المسيب من المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعا من قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم)⁽⁹³⁴⁾.

20 ومنها ما رواه نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : (السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه)⁽⁹⁴⁵⁾.

21 ومنها ما ثبت أن أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأضع ثيابي وأقول إنما هو زوجي وأبي فلما دفن عمر معها فو الله ما دخلت إلا وأنا مشدودة حياء من عمر⁽⁹⁵⁶⁾.

22 ومنها قول سيدنا أبي بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته : (بأبي أنت وأمي يا نبي الله لا يجمع الله عليك موتتين)⁽⁹⁶⁷⁾.

⁽⁹⁰¹⁾ التلخيص الحبير (135/2) وذكره افمام النووي في المجموع (51 / 2430).

⁽⁹¹¹⁾ سورة الملك الآية 1.

⁽⁹²¹⁾ أخرجه الترمذي (2890) وحسنه السيوطي.

⁽⁹³¹⁾ أخرجه الدارمي (93).

⁽⁹⁴¹⁾ رواه الإمام عبدالرزاق في مصنفه بسند صحيح (576/3) حديث (6724).

⁽⁹⁵¹⁾ أخرجه الإمام أحمد (202/6) والحافظ الهيثمي وقال رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد (12704) وأخرجه الحاكم في المستدرک

وقال : صحيح على شرط الشيخين (7/4) ووافقه الذهبي.

⁽⁹⁶¹⁾ أخرجه البخاري (1241) والنسائي (1840) وأحمد (117/1).

23 ومنها ما ثبت عن سيدنا شيبان بن جسر عن أبيه أنه قال: (أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتا البناني في لحده ومعى حميد الطويل فلما سويونا عليه اللبن سقطت لبنة فإذا أنا به يصلي في قبره)⁽¹⁹⁷¹⁾.

24 ومنها قول ابن القيم رحمه الله تعالى وهو يتحدث عن الروح ومدى قوة تصرفها وانتقالها بعد انفصالها عن الجسد فقد ذكر رضي الله عنه في كتابه الروح ما نصه: ففلروح المطلقة من أسر البدن وعلائقه وعوائقه من التصرف والقوة والنفوذ وسرعة الصعود إلى الله تعالى والتعلق بالله ما ليس للروح المهينة المحبوسة في علائق البدن وعوائقه فإذا كان هذا وهي محبوسة في بدنها فكيف إذا تجردت وفارقت واجتمعت فيها قواتها وكانت في أصل شأنها روحا عليية زكية كبيرة ذات همة عالية فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر.

وقد تواترت الرؤيا في أصناف بني آدم على فعل الأرواح بعد موتها ما لا يقدر على مثله حال اتصالها بالدين من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل ونحو ذلك وكم قد رؤي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أبو بكر وعمر في النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم فإذا بجيوشهم مقلوبة مكسورة مع كثير عددهم وعددهم وضعف المؤمنين وقتلهم⁽¹⁹⁸²⁾.

ويقول أيضا: فهي أي الرؤى على كثرتها وانها لا يحصيها إلا الله قد تواطأت على هذا المعنى وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أرى رؤياكم قد تواطأت⁽¹⁹⁹³⁾ على أنها في العشر الأواخر يعني ليلة القدر فإذا تواطأت رؤيا المؤمنين على شيء كانت كتواطؤ روايتهم له وكتواطؤ رأيهم على استحسانه أو استقباحه ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوه قبيحا فهو عند الله قبيح⁽¹⁰⁰⁴⁾ ويقول صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وأنه

⁽¹⁹⁷¹⁾ أخرجه أبو نعيم في الحلية (319/2).

⁽¹⁹⁸²⁾ كتاب الروح ص (191).

⁽¹⁹⁹³⁾ أخرجه البخاري (22015) ومسلم (2753) وأحمد (5/2) وابن خزيمة (2182) والنسائي (تحفة الأشراف (8315) والبيهقي

(310/4 - 361) والبعوي (1823) وعبدالرزاق (7688) وابن حبان (3675).

⁽¹⁰⁰⁴⁾ (25) ò.

صلى الله عليه وآله وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء خصوصا بموسى وقد أخبر بانه (ما من مسلم يسلم عليه إلا رد الله روحه حتى يرد عليه السلام إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندرکهم وغن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة فإنهم أحياء موجودون لا نراهم^[101]).
ويقول: السلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم.

25 وقد سئل الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى عن هذه المسألة فأفتى بما يؤيد ذلك^[102].

26 ومنها: قول الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في مرقاة الصعود: تواترت بحياة الأنبياء في قبورهم الأخبار.

وقال في إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء ما نصه (حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا قطعيا لما قام عندنا من الأدلة في ذلك وتواترت بها الأخبار الدالة على ذلك).

27 ومنها قول **الإمام السخاوي** رضي الله عنه يحكي الإجماع على ذلك فقد قال بعد سرده الأدلة على عرض الأعمال عليه صلى الله عليه وآله وسلم من صلاة وغيرها ما نصه:

السادسة: يؤخذ من هذه الأحاديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم حي على الدوام وذلك أنه محال عادة أن يخلو الوجود كله من واحد يسلم عليه في ليل ونهار ونحن نؤمن ونصدق بانه صلى الله عليه وآله وسلم حي يرزق في قبره وإن جسده الشريف لا تأكله الأرض والإجماع على هذا وزاد بعض العلماء الشهداء والمؤذنين وقد صح أنه كشف عن غير واحد من العلماء والشهداء فوجدوا لم تتغير أجسامهم والأنبياء أفضل من الشهداء جزما.

28 ومنها قول **الإمام السبكي في شفاء الأسقام**: وأقول إن التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم جائز في كل حال: قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة والجنة.

(^[101]) 53 - 54).

(^[102]) انظر الفتاوى (331/24؛ 362).

29 ومنها ذكر ابن حزم للإجماع أيضا في كتابه المحلى .

30 وتأليف البيهقي لجزء خاص يثبت فيه حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم

وغيرها من الأقوال التي سنتطرق إليها إن شاء الله عند ذكر أقوال العلماء في التوسل

والاستعانة .

ومما قد يرد على حياة الأموات في قبورهم وسماعهم للأحياء قول الله عز وجل ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾^{[103]1} لكن هذه الآية دليل على أن الكفار المصيرين على الباطل لن ينتفعوا بالتذكير والموعظة فهم غارقون في قبور كفرهم وعنادهم محجوبون عن نور الهداية والإيمان كما هو حال الموتى الذين في القبور وأنهم لن ينتفعوا بما يسمعون من التذكير والموعظة فهذا مؤول لا يحمل على الظاهر والدليل عليه قول الله عز وجل ﴿إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولو مدبرين﴾^{[104]2}، والأموات لا يولون مدبرين بعد العظة والتذكير وإنما المراد بذلك الكفار .

يقول الإمام الطبري في تفسيره:

إنك يا محمد لا تقدر أن تفهم الحق من طبع الله على قلبه فأماته، لأن الله قد ختم عليه أن لا يفهمه .
﴿ولا تسمع الصم الدعاء﴾ يقول: ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصم الله عن سماعه سمعه .
﴿إذا ولو مدبرين﴾ يقول: إذا هم أدبروا معرضين عنه لا يسمعون له لغلبة دين الكفر على قلوبهم ولا يسعون للحق ولا يتدبرون ولا ينصتون لقائله لكنهم يعرضون عنه وينكرون القول به والاستماع له^{[105]3} .

ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكره مثل الحي

والميت)^{[106]4} .

[103]1 سورة فاطر الآية (22) .

[104]2 سورة النمل الآية (80) .

[105]3 المجلد (11) (12 Õ / 20 Ì) .

[106]4 أخرجه البخاري رقم (6044) ومسلم (1820) وابن حبان (854) .

وإن قيل قد ثبت في الحديث أن الميت إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث... فكيف ثبت للميت النفع والتأثير ولو كان المقصود أنه مجرد واسطة؟

فالجواب: أن المعنى المقصود هنا هو أنه انقطع الثواب والنفع الذي كان يحصل عليه الميت مما كان يعمل هو بنفسه من صلاة وصيام وغير ذلك من الأعمال لأن هذه الأعمال قد توقف عنها بعد الموت إلا ما يصله من صدقة جارية كان عملها أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ولا يعني بانقطاع عمله أنه لم تعد له قدرة على فعل شيء بعد الموت لما مر من الأدلة والحجج.

ثم من اعتقد أن لأحد من الخلق تأثيراً في الحياة ينقطع عنه بانتقاله إلى البرزخ ففي عقيدته شيء من إشراك العبد لله في الأفعال والتأثير فليس لأحد من الخلق تأثير ذاتي ولا قيام له بنفسه وحوهم وقوتهم بالله تعالى هو يجري على أيدي خلقه ما يشاء من المقادير في حال حياتهم الدنيوية وكذا الأمر في حال الحياة البرزخية والأخرية فلو كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو ليغيره تأثير في حياته كما توهم بعض القاصرين لصح نفيه عنه بعد انتقاله ولجاز حينئذ سؤاله ونداؤه في حياته فقط أما ما دام لا تأثير له في حياته الدنيوية كذلك لا تأثير له بعد انتقاله إلى الحياة البرزخية والله تعالى أجرى بحوله وقوته على يديه الخير في حال حياته الدنيوية هو الذي يجري على يديه بعد انتقاله ومن الذي يقيد الله تعالى ويوجب عليه أن يفتح على أيدي خلقه في حال حياتهم الدنيوية ولا يفتح على أيديهم في حال انتقالهم إلى حياة أخرى برزخية أو أخروية؟! فالتوسل حكم مقرر جوازه من أحكام الشريعة المطهرة ومعمول به في عصره لا يتغير بانتقاله عليه الصلاة والسلام كما لا تتغير بقية أحكام التشريع فلا يحق لإنسان أن يقول: هل الوضوء جائز بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ وهل الصلاة جائزة بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ وهكذا ومثل ذلك قولهم: هل التوسل جائز بعد موته عليه الصلاة والسلام؟! لأنها جميعاً أحكام شرعية مقررة بأدلتها ومعمول بها في حياته وبعد انتقاله⁽¹⁰⁷¹⁾، فلو أجزنا التوسل بالحي دون الميت لجعلنا للحي نوع تأثير دون أن نشعر وهذا خلاف عقيدة الإسلام.

(1071) من كتاب الإسعاد ص (22 - 23).

وقد مر معنا في بداية باب التوسل أن المتوسل لا يعتقد أن للمتوسل به أي تأثير من خير أو نفع إلا ما أثبتته له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجازا عندما قال: .. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإنهم لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك⁽¹⁰⁸⁾. فأثبت لهم النفع والإضرار وحصره ضمن إرادة الله ومشيئته فالمتوسل به إذا لا يتصرف بنفسه في قضاء حاجة المتوسل حتى يحول موته دون ذلك وإنما هو يسعى بالشفاعة عند الله تعالى في قضاء تلك الحاجة.

وإنه لم يرد نص واحد يثبت أن الله ينزع من أنبيائه وأوليائه المكانة والجاه بعد انتقالهم إلى عالم البرزخ.

أما الآن وبعد أن تبين لنا يقينا مما مر من الأدلة أن الأنبياء والأولياء أحياء في قبورهم يسمعون توسلنا بهم ويستطيعون بقدرة الله التي أعطاهم إياها أن يغيثونا ويكونوا سبب نفع لنا رغم انتقالهم إلى الحياة البرزخية إجابة عن الأسئلة الثلاثة الماضية فننتقل إلى **ذكر الأدلة على التوسل والاستغاثة بالأموات:**

1 - عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما دفن فاطمة بنت أسد أم سيدنا علي رضي الله عنهما: (اللهم بحقي وحق الأنبياء من قبلي اغفر لأمي بعد أمي)⁽¹⁰⁹⁾.

2 - وعن سيدنا أبي الجوزاء أوس بن عبد الله رضي الله عنه قال (قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا قبر النبي فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال: ففعلوا فمطرنا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق)⁽¹¹⁰⁾.

⁽¹⁰⁸⁾ أخرجه الترمذي (2516) وقال: حديث حسن صحيح وأحمد (293/1).

⁽¹⁰⁹⁾ أخرجه الطبراني في الأوسط (152/1) وأبو نعيم في الحلية (121/3) والهيتمي في مجمع الزوائد (275/9).

⁽¹¹⁰⁾ أخرجه الدارمي في سننه برقم (92).

3 - وعن مالك الدار وكان خازن عمر قال أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله (وفي رواية يا محمداه استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتى الرجل في المنام فقيل له: أئت عمر فأقرئه السلام وأخبره بأنكم مستقيمون وقل له: عليك الكيس فأتى عمر فأخبره فبكى عمر ثم قال: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه⁽¹¹¹⁾.

4 - وعن سيدنا عثمان بن حنيف رضي الله عنه: أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي في حاجة له وكان عثمان رضي الله عنه لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقية الرجل فشكا ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف: أئت الميضاة ثم أئت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك فيقضي حاجتي وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذه بيده فأدخله على عثمان فأجلسه معه على الطنفسة⁽¹¹²⁾ وقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها له ثم قال ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة ثم قال ما كانت لك حاجة فائتنا ثم إن الرجل لما خرج من عنده لقي عثمان بن حنيف وقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في فقال عثمان ابن حنيف والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأتاه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أو تصبر؟ قال: يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق علي فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم أئت الميضاة فتوضأ ثم ركعتين ثم ادع بهذه

⁽¹¹¹⁾ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (31/12 j 32) والبخاري في تاريخه (304/7) والحافظ أبو يعلى الخليلي في الإرشاد ص (63) والبيهقي في دلائل النبوة (47/7) وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (495/2) إسناده صحيح وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (105/7) وفي التفسير (91/1) إسناده صحيح.

⁽¹¹²⁾ الطنفسة: مثلثة الطاء والفاء أيضا وقد تفتح الطاء وتكسر الفاء: اسم اللبساط وتطلق على حصير من سعف يكون عرضه ذراعا.

الدعوات فقال عثمان بن حنيف فو الله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط.⁽¹¹³¹⁾

5 - ومن الأدلة على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته : القياس على جواز التبرك بآثاره المنفصلة في حال حياته وبعد مماته فلقد ثبت في أحاديث صحيحة وردت في الصحيحين أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم كانوا يتبركون بشره وأم سليم تأخذ من عرق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتضعه في زجاجة وكلما نقص زادته ماء وغيره من الأدلة التي ستمر معنا إن شاء الله في باب التبرك فبقيت إذا آثار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته كدواء يتشفى به بإذن الله عز وجل .

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن الذي انفصل من أثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حال حياته ثم بقي إلى ما بعد وفاته يأخذ الحكم وهو جعله سببا للشفاء أو التبرك والمسبب هو الله وحده يأخذ هذا الحكم ذاته بعد وفاته أيضا .

فمن باب أولى ذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجاهه الكريم عند الله عز وجل فإنه لم يتبدل ولم يتغير ولم يبلى ولم يخلق فالأنبياء أحياء في قبورهم يصلون والأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وهذا ما قاله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وعليه الإجماع كما مر معنا .

6 - وعن الهيثم بن خنيس قال: كنا عند عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فخرت رجله فقال له رجل: 100 كر أحب الناس إليك فقال: يا محمد فكأنما نشط من عقال .

وعن عبدالرحمن بن سعد قال (خرت رجل ابن عمر فقال له رجل اذكر أحب الناس إليك فقال محمد) ⁽¹¹⁴²⁾ .

[1131] أخرجه الطبراني في الكبير (83110) وقال بعد ذكر طرقه (والحديث صحيح) وابن السني في عمل اليوم والليلة (628) وصححه الحاكم (526/1) ووافقه الذهبي وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (3668) والمنذري في الترغيب والترهيب (476/1) ونقلنا تصحيح الطبراني له والشيخ ابن تيمية في كتابه التوسل والوسيلة ص (101) .

[1142] أخرجه البخاري في الأدب المفرد (964) وذكره الشيخ ابن تيمية في الكلم الطيب في الفصل السابع والأربعين ص 165 .

7 - وذكر الحافظ ابن كثير خلال كلامه عن وقعة اليمامة ما نصه : (وحمل خالد بن الوليد رضي الله عنه حتى جاوزهم وسار لجبال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل اليه فيقتله ثم رجع ثم وقف بين الصفيين ودعا البزار وقال: أنا ابن الوليد العود أنا ابن عامر وزيد ثم نادى بشعار المسلمين وكان شعارهم يومئذ (يا محمد)⁽¹¹⁵¹⁾ .

8 - وها هو سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام يتوسل بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد روى سيدنا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب إنك لما خلقتني رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق الي وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولو لا محمد ما خلقتك)⁽¹¹⁶²⁾ .

9 - وها هو سيدنا معاذ رضي الله عنه يتذكر قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أرسله إلى اليمن : «فعلك تمر بقبري ومسجدي»⁽¹¹⁷³⁾ فيأتي إلى قبره صلى الله عليه وآله وسلم ويبكي أمامه وإذا بسيدنا عمر يراه فيقول له : ما يبكيك ؟ فيقول سيدنا معاذ حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «اليسير من الرياء شرك»⁽¹¹⁸⁴⁾ .

10 وروى الخطيب في تاريخه عن علي بن ميمون رضي الله عنه أنه قال : سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: إني لأتبرك بأبي حنيفة أجيء إلى قبره في كل يوم يعني زائرا فإذا عرضت لي

⁽¹¹⁵¹⁾ البداية والنهاية (324/6).

⁽¹¹⁶²⁾ أخرجه البيهقي في كتابه دلائل النبوة (489/5) والحاكم (615/2) وصححه والطبراني في الأوسط (6498) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (13917) وقد حقق الإمام تقي الدين السبكي في كتابه: شفاء الأسقام أن هذا الحديث لا ينزل عن درجة الحسن.

⁽¹¹⁷³⁾ أخرجه أحمد (235/5) وذكره الهيثمي في المجمع (55/10).

⁽¹¹⁸⁴⁾ أخرجه ابن ماجه (3989) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (55/10) والحاكم (4/1) وقال صحيح لا علة له ووافقه الذهبي والطبراني في الأوسط (7108).

- حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما يبعد عني حتى تقضى وقد صح وبسند صحيح توصل الإمام الشافعي بالإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما.
- 11 وروى أيضا عن أحمد بن جعفر القطيعي قال : سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال وهو شيخ الحنابلة في وقته يقول (ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر يعني الكاظم فتوسلت به إلا سهل الله لي ما أحب)⁽¹¹⁹¹⁾.
- 12 وقال الحافظ عبدالغني المقدسي: (خرج في عضدي شيء يشبه الدململ وكان يبرأ ثم يعود ودام بذلك زمنا طويلا فسافرت إلى أصبهان وعدت إلى بغداد وهو بهذه الصفة فمضيت إلى قبر الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه ومسحت به القبر فبرأ ولم يعد.⁽¹²⁰²⁾
- 13 وقد قال الإمام أحمد نفسه عندما ذكر أمامه صفوان بن سليم: (هذا رجل ينزل القطر من السماء بذكره)⁽¹²¹³⁾.
- 14 وأخرج الخطيب البغدادي في تاريخه أن الإمام إبراهيم الحربي أحد أئمة الحديث قال (قبر معروف يعني الكرخي الترياق المجرب).
- وأن أبا عبدالله المحاملي أحد أئمة الحديث أيضا قال: اعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة وما قصده مهموم إلا فرج الله همه.
- وأخرج أن الإمام عبيد الله بن عبدالرحمن بن محمد الزهري قالك سمعت أي يقول: قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج ويقال: إن من قرأ عنده مائة مرة ﴿قل هو الله أحد﴾⁽¹²²⁴⁾ وسأل الله تعالى ما يريد قضى الله له حاجته.
- 15 وأخرج أيضا أن أحمد بن العباس الشامي قال: (خرجت من بغداد أريد الحج فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة فقال لي: من أين خرجت قلت من بغداد خرجت منها لما رأيت فيها من

⁽¹¹⁹¹⁾ من كتاب إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء للشيخ عبدالله صديق الغماري.

⁽¹²⁰²⁾ ذكرها الحافظ ضياء الدين المقدسي المتوفى سنة (643) في كتابه الحكايات المنثورة بخطه برقم (3834) الورقة (112) الوجه (A) السطر (10).

⁽¹²¹⁾ تذكرة الحفاظ ص (61).

⁽¹²²⁾ سورة الإخلاص الآية 1.

الفساد فخفت أن يخسف بأهلها قال: ارجع ولا تخف فإن فيها قبور أربعة من أولياء الله هم
حصن لم من جميع البلايا قلت : من هم؟ قال: أحمد بن حنبل ومعروف الكرخي وبشر الحافي
ومنصور بن عمار فرجعت وزرت القبور)⁽¹²³⁾.

ومن لطائف القول أن بعض الحجاج كان يقبل حديدة حجر سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه
 وآله وسلم فرآه بعض المسلمين هناك فقال لأحد العلماء حوله : (انظر إلى هذا المشرك يقبل حديدة
 الحجر وهو حديد صنعناه بأيدينا لا ينفع ولا يضر فنظر إليه العالم فرأى على رأسه قلنسوة فقبله
 منها ثم قال له: ألم نصنع هذه القلنسوة بأيدينا؟
 قال: نعم .

قال لماذا قبلتها أنا؟

قال إكراما لي لأنها على رأسي.

فقال له: وهؤلاء يقصدون ذلك).

=====

أقوال العلماء والصالحين في التوسل والاستغاثة

1 - الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

قال في رسالته الموجهة لأهل القصيم مستنكرا بشدة على من نسب إليه تكفير المتوسل بالصالحين:
(إن سليمان بن سحيم افتري علي أمورا لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالي فمنها: أني أكفر من توسل
 بالصالحين وأني أكفر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق وأنى أحرق دلائل الخيرات وجوابي عن هذه
 المسائل ان أقول: ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾⁽¹²⁴⁾ ⁽¹²⁵⁾.

⁽¹²³⁾ من كتاب إتحاف الأذكياء للشيخ عبد الله صديق الغماري.

⁽¹²⁴⁾ سورة النور الآية (16).

⁽¹²⁵⁾ الرسالة الأولى والحادية عشرة من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب القسم الخامس ص (12) 0 (64).

وسئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن قولهم في الاستسقاء لا بأس بالتوسل بالصالحين فأجاب بكلام كثير منه:

(... ولكن يقول في دعائه: أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين أو يقصد قبراً معروفاً أو غيره يدعو عنده)⁽¹²⁶⁾ وهذا يدل على جواز التوسل عنده.

2 - الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى:

سئل رضي الله عنه: هل يجوز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أم لا؟ فأجاب: (الحمد لله التوسل بالإيمان به ومحبته وطاعته والصلاة والسلام عليه وبدعائه وشفاعته ونحو ذلك مما هو من أفعاله وأفعال العباد المأمور بها في حقه مشروع باتفاق المسلمين)⁽¹²⁷⁾.

وقال في موضع آخر: (وكذلك مما يشرع التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم في الدعاء كما في الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علم شخصاً أن يقول: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك فيجلي حاجتي ليقضيها فشفعه في)⁽¹²⁸⁾.

وقال في موضع آخر: وأما التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ففيه حديث في السنن: (أه أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله! إني أصبت في بصري فادع الله لي، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (توضأ وصل ركعتين ثم قل: اللهم أسألك وأتوجه إليك نبيك محمد يا محمد إني أتشفع بك في رد بصري اللهم شفّع نبيك في وقال فإن كانت لك حاجة فمثل ذلك فرد الله بصره)⁽¹²⁹⁾ (130).

3 - الشيخ محمد ناصر الألباني:

⁽¹²⁶⁾ فتاوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مجموعة المؤلفات القسم الثالث ص (68) التي نشرتها جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب والغريب من الذين يقرون أسبوع محمد بن عبد الوهاب وينكرون مولد النبي محمد بن عبد الله السنوي (...).
⁽¹²⁷⁾ (2) الفتاوى الكبرى (140/1).
⁽¹²⁸⁾ (3) أخرجه الترمذي وصححه في كتاب الدعوات (3578).
⁽¹²⁹⁾ (4) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات (3578) وقال حسن صحيح وأخرجه ابن ماجه في صلاة الحاجة (1385).
⁽¹³⁰⁾ (5) فتاوى الكبرى (105/1).

ذكر الشيخ الألباني أنه يجوز التوسل بأسماء الله وصفاته وبعمل الداعي ودعاء رجل صالح آخر فيما نقله عنه عيد العباسي في كتابه التوسل أنواعه وأحكامه ذلك الذي قال عنه مؤلفه : إنه مقالات كتبها وألقاها الشيخ ناصر الألباني فقال:

(فمما سبق تعلم أن التوسل هو مشروع دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وجرى عليه عمل السلف الصالح وأجمع عليه المسلمون وهو:

1 - التوسل باسم من أسماء الله تبارك وتعالى أو صفة من صفاته.

2 - التوسل بعمل صالح قام به الداعي.

3 - التوسل بدعاء رجل صالح.

ثم ينقل أقوال الأئمة المعتمدين في مسألة التوسل فيقول:

(فأجاز الإمام أحمد التوسل بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحده وأجاز غيره كالإمام

الشوكاني التوسل به وبغيره من الأنبياء والصالحين)⁽¹³¹⁾.

4 - الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى:

قال الإمام أحمد للمروزي رحمه الله تعالى : (ويتوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه وجزم به في المستوعب وغيره).

وقد مر معنا قوله عندما ذكر أمه صفوان بن سليم : (هذا رجل ينزل القطر من السماء بذكره).

5 - الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى :

قال رضي الله عنه للخليفة المنصور لما حج وزار قبر النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام وسأل

مالكا قائلا: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وأدعو؟ فقال الإمام مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى ؟

بل استقبل واستشفع به فيشفعه الله فيك.

(131) شرح العقيدة الطحاوية للشيخ محمد ناصر الألباني ص (46).

قال الله تعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيبا﴾^[132] ﴿﴾^[133].

6 - الإمام النووي رحمه الله تعالى:

قال رضي الله عنه : (.. واعلم أن زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أهم القربات وأنجح المساعي .. إلى أن قال: ثم يأتي القبر الكريم فيستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر ويقف في مقام الهيبة والإجلال فيقول: السلام عليك يا رسول الله ... إلى أن قال: ويتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى)^[134].

7 - الإمام تقي الدين أبو الحسن السبكي رحمه الله تعالى:

قال رضي الله عنه (اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين المعروف من فعل الأنبياء والمرسلين وسيرة السلف الصالحين والعلماء المسلمين).
وقال: (وأقول: إن التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم جائز في كل حال: قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد المبعث في عرصات القيامة والجنة)^[135].

8 - الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى:

قال رضي الله عنه (التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم يكون في حياته وبعد موته وفي حضرته ولا يخفأك أنه قد ثبت التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وثبت التوسل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة إجماعا سكوتيا لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في توسله بالعباس

[132]1 سورة النساء الآية (64).

[133]2 ذكره العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم والقسطلاني في المواهب اللدنية والسمهودي في خلاصة الوفاء والقاضي عياض في الشفا بسند صحيح وغيرهم.

[134]3 كتاب المجموع (272/8).

[135]4 كتاب شفاء الأسقام في زيارة خير الأنام الباب الثامن وص 161.

رضي الله عنه والتوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة إذ لا يكون فاضلا إلا بأعماله).

وقال: (ويتوسل إلى الله بأنبيائه والصالحين) أقول: ومن التوسل بالأنبياء: وذكر قصة الأعمى⁽¹³⁶⁾، وأما التوسل بالصالحين حديث استسقاء سيدنا عمر بسيدنا العباس رضي الله عنها⁽¹³⁷⁾،⁽¹³⁸⁾.

وينقل رضي الله عنه إجماع الصحابة على جواز التوسل ثم يقول: (وأما التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بأحد من خلقه في مطلب يطلبه من ربه فقد قال عز الدين بن عبد السلام: إنه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعندني (أي عند الشوكاني) أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمرين: الأول: ما عرفناك به من إجماع الصحابة رضي الله عنهم والثاني: أن التوسل إلى الله تعالى بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون الفاضل فاضلا إلا بأعماله.

9 - العلامة الشهاب الرملي الشافعي رحمه الله تعالى :

سئل رضي الله عنه فأجاب: (إن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين عيهم الصلاة والسلام والأولياء والعلماء الصالحين جائزة وللرسل والأنبياء والأولياء إغاثة بعد موتهم لأن معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بعد موتهم وأما الأنبياء فإنهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الأخبار فتكون الإغاثة منهم معجزة لهم ، والشهداء أيضا أحياء شوهدوا نهارا جهارا يقاتلون الكفار وأما الأولياء فهي كرامة لهم.

10 - الإمام السامري وصاحب التلخيص رحمهما الله تعالى :

قال السامري وصاحب التلخيص: لا بأس بالتوسل للاستسقاء بالشيوخ والعلماء المتقين ، وقال في المذهب: يجوز أن يستشفع إلى الله برجل صالح ، وقيل يستحب⁽¹³⁹⁾.

⁽¹³⁶⁾ أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات (3578) وابن ماجه في صلاة الحاجة (1385).

⁽¹³⁷⁾ أخرجه البخاري (25/5) و(34/2) وابن خزيمة (1421).

⁽¹³⁸⁾ كتاب تحفة الذاكرين ص (37).

11 - العلامة ابن مفلح الحنبلي رحمه الله تعالى:

ذكر انه يجوز التوسل بصالح وقيل يستحب.

12 - الشيخ علاء الدين علي المرادوي الحنبلي من كبار علماء الحنابلة رحمه الله تعالى:

قال: (ومنها يجوز التوسل بالرجل الصالح على الصحيح من المذهب وقيل يستحب) وقال: (والتوسل بالإيمان به صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته ومحبته والصلاة والسلام عليه وبدعائه وشفاعته ونحوه مما هو من فعله أو أفعال العباد المأمور بها في حقه مشروع إجماعاً)^{[140]2}.

13 - الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله تعالى:

قال: (ولا يخفى على أحد من المسلمين بل وغير المسلمين ممن عنده أدنى إمام بمعرفة هذا الدين المبين وأحوال من اتبعه من المؤمنين أن جمهور الأمة المحمدية من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والصوفية وغيرهم من الخواص والعوام من جميع مذاهب الإسلام متفقون بالقول والفعل على استحسان الاستغاثة والتوسل والتشفع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله تعالى لقضاء الحوائج الدنيوية والأخروية واستحباب شد الرحال والسفر لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم من الأقطار البعيدة والقريبة حتى صار ذلك عندهم بمنزلة الأمور المعلومة من الدين بالضرورة بحيث لا يجمله ولا يتصور خلافه أحد بل لا يتوهم خلافه ولا يتخيله كثير من طلبة أهل العلم فضلاً عن جمهور العامة الذين لا يخطر شيء من ذلك في بال أحد منهم بل ولا يجوز أنه يوجد مخالف من المسلمين في استحسان ذلك وما زالت الأمة المحمدية بحمد الله تعالى كذلك يتلقاه المتأخرون عن المتقدمين ويعتقدون كما هو الواقع أن ذلك من أفضل الطاعات وأكمل القربات).

14 - الشيخ محمد الحامد رضي الله عنه:

يقول رضي الله عنه في باب نداء الصالحين: (يجوز التوسل بهم إلى الله تعالى والدعاء يكون لله سبحانه والأدلة على هذا كثيرة ومن ناداهم بقصد التوسل بهم لا يلام)^{[141]3}.

[139]1 كشف القناع (29/2).

[140]2 كتاب الإنصاف (456/2).

[141]3 ردود على أباطيل ص (25) القسم الثاني.

وقال أيضا في باب جواز التوسل: (يجوز التوسل إلى الله سبحانه وتعالى برسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام وعلى آلهم وبأوليائه رضوان الله عليهم وأما التوسل إلى الله سبحانه وتعالى برسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام وعلى آلهم وبأوليائه رضوان الله عليهم فإنه جائز وسائغ عند أهل الحق بل إنه مستحب إذ هو من أسباب إجابة الدعاء وليس فيه أدنى شبهة بشرك لأن الله تعالى هو المدعو وحده ولا شريك له في الخلق والتأثير والاستشفاع غير الدعاء فما من ضر يلحق الداعي ولا من لوث يمس عقيدة التوحيد فيه والناس في الآخرة يستشفعون إلى الله برسله وبسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم⁽¹⁴²⁾).

وقال أيضا في باب التوسل: (لو كان التوسل شركا أو فيه شائبة الشرك ما علمه نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم للأعمى حين سأله أن يدعو الله له ، فقد علمه التوسل به وإجازة التوسل في حياة المتوسل به لا بعد مماته لا يعتمد شرعا وفعل عمر رضي الله عنه ليس فيه إلا التوسل بالحى وفعل الشيء لا ينفي ما عداه كما هو مقرر⁽¹⁴³⁾).

ونذكر هنا أسماء أشهر من قال بالتوسل أو نقل أدلته من كبار الأمة وحفاظ السنة وبعض المعاصرين:

- 1 - فمنهم الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه .
- 2 - ومنهم الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه .
- 3 - ومنهم الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه .
- 4 - ومنهم الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني رضي الله عنه .
- 5 - ومنهم الإمام أبو زكريا النووي رضي الله عنه .
- 6 - ومنهم الإمام جلال الدين السيوطي رضي الله عنه .
- 7 - ومنهم الإمام أبو بكر البيهقي رضي الله عنه .
- 8 - ومنهم الإمام أبو عبد الله الحاكم رضي الله عنه .

⁽¹⁴²⁾ ردود على أباطيل ص (26) القسم الثاني.

⁽¹⁴³⁾ ردود على أباطيل ص (25) القسم الثاني.

- 9 - ومنهم الشيخ الإمام نور الدين القاري المعروف بملا علي قاري رضي الله عنه .
- 10 - ومنهم الإمام الحافظ القسطلاني رضي الله عنه .
- 11 - ومنهم الإمام أبو الفرج ابن الجوزي رضي الله عنه .
- 12 - ومنهم الإمام ابن القيم الجوزية رضي الله عنه .
- 13 - ومنهم الإمام القاضي عياض رضي الله عنه .
- 14 - ومنهم الإمام العلامة أحمد شهاب الدين الخفاجي رحمه الله تعالى .
- 15 - ومنهم الإمام المحدث علي بن عبد الكافي السبكي رحمه الله تعالى
- 16 - ومنهم العلامة محمد بن علي الشوكاني رحمه الله تعالى .
- 17 - ومنهم العلامة الحافظ المفسر ابن كثير رضي الله عنه .
- 18 - ومنهم العلامة المفسر أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى .
- 19 - ومنهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى .
- 20 - ومنهم الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى .
- 21 - ومنهم الشيخ محمد ناصر الألباني .
- 22 - ومنهم الشيخ العلامة ابن مفلح الحنبلي رحمه الله تعالى .
- 23 - ومنهم الإمام العلامة ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى .
- 24 - ومنهم الإمام العلامة الشيخ محمد عبد الباقي الزرقاني رحمه الله تعالى .
- 25 - ومنهم العلامة الشهاب الرملي الشافعي رحمه الله تعالى .
- 26 - ومنهم العلامة الشيخ علاء الدين علي المرادوي الحنبلي رحمه الله تعالى .
- 27 - ومنهم الشيخ العلامة أحمد المرادوي .
- 28 - ومنهم العلامة الشيخ السامري .
- 29 - ومنهم الشيخ يوسف النبهاني .
- 30 - ومنهم الشيخ محمد الحامد .

فها هي يا أخي أدلة التوسل والاستغاثة قد سردت أمامك ظاهرة جليلة فانظر إليها بعين الإنصاف والبحث عن الحقيقة انظر إليها نظرة الباحث عن الطريقة التي تجمع ذلك الجسد المتشتت الأعضاء الذي أخبره نبي المسلمين كلهم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله «المسلمون كالجسد الواحد...»⁽¹⁴⁴⁾ سائلين الله أن يهدينا سواء السبيل والحمد لله رب العالمين .

المدد

معنى لفظ المدد

يختلف معنى كلمة (مدد) باختلاف نية قائلها.

وورد في لسان العرب عن معنى كلمة مدد: مددنا القوم، أي صرنا لهم أنصاراً ومدداً.

وأمدَّ الأمير جنده بالخيال والرجال وأعانهم وأمدهم بهال كثير وأعانهم..

والمدد: العساكر التي تلحق بالمغازي في سبيل الله والإمداد أن يرسل الرجل مدداً⁽¹¹²⁾.

وقال الإمام الفيومي رحمه الله تعالى: أمددته بمدد: أعتته وقويته به⁽²³⁾.

فإذا قال المسلم: مدد يا الله أي أعني وأمدني بقوتك وانصري على عدوك وزدني بالرحمات

والبركات وأمدني بالمقدرة على طاعتك ومحاربة نفسي وشيطاني.

وأما إذا قال: مدد يا أولياء الله فمعناه: علمونا بما علمكم الله وأمدونا بما أمدكم الله سبحانه به من

العلوم والعرفان وساعدونا بما ينفعنا لسيرنا وأرشدونا في سلوكنا إلى محبة الله بإذن الله: وما كان

⁽¹⁴⁴⁾ أخرجه البخاري (5665) ومسلم (3586) والحاكم (270/4).

⁽²¹⁾ لسان العرب مادة (م د د).

⁽²²⁾ المصباح المنير مادة (م د د).

هذا إلا لأن أكثر العباد فقدوا من يدر بهم ويؤدبهم بالإسلام وبأخلاق سيد الأنام صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم بحاجة إلى من يعينهم ويمدهم بالعلم ويعلمهم أدب طريقة السير والسلوك والمدد بالمعنى الذي ذكرناه موجود حسا ومعنى في حياتنا فلا يستطيع أحد أن ينكر أن الإنسان يستعين بوسائط النقل كالسيارة والطيارة والباخرة والقطار لقضاء الحوائج الدنيوية والانتقال بواسطتها من بلد إلى آخر لا يصل إليه الإنسان بدونها إلا بشق الأنفس هذا وإن البحارة والطيّارين يستولون على وجهة سفرهم بحرا وجوا بواسطة قطعة معدنية يقال لها: البوصلة ترشداهم إلى الجهة المطلوبة ولا ينكر هذا فهل الاستعانة بالمعدن تخرج عن الملة؟! وهل ترفض مساعدة ثمينة يقدمها لنا من له خبرة في سلوك طريق محبة الله المحفوفة بشتى أنواع المخاطر للوصول من خلال ذلك المدد وتلك المساعدة بلا مشقة ولا تعب.. علما بأن أقل الأعداء في هذا الطريق النفس والشيطان والهوى..!

ومن هنا يظهر لنا أن الإنسان بحاجة إلى الاستعانة بأشياء كثيرة من مخلوقات الله لتمده بمدد قد سخره الله له على أيدي خلقه ومصنوعاتهم من أي نوع كانت. وهناك فرق بين مدد الخالق سبحانه ومدد المخلوق فكلمة مدد تأتي بمعنى المساعدة والمعونة وهي مستحبة في كل أنواع البر بجميع الطرق التي أجازها الشرع الحنيف فاستعانة الناس بعضهم ببعض في الأمور لا مفر منها ولا غنى عنها والإنسان مأمور بها لا سيما في أمور البر والتقوى فقد قال الله تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾⁽¹³¹⁾.

فالتعاون بين الخلائق هو المدد أي المساعدة ونصرة بعضهم لبعض فلو طلب الإنسان من بني جنسه الإمداد فليس بمعنى أنه يطلب منه كما يطلب من ربه ولكن بالمدد والقدرة التي أمده الله بها والإمداد بالمعنى المذكور على قسمين:

القسم الأول: هو مدد صرف من الله سبحانه وهو ما لا يتم على الحقيقة إلا منه ولا تكون الإغاثة للخلق إلا به سبحانه قال الله تعالى ﴿كلا نمدهم هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك

(131) سورة المائدة الآية 2.

محظورا⁽⁴¹⁾، والمعنى كما قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى : نزيده من عطائنا على تلاحق من غير انقطاع، نرزق المؤمنين والكفار وأهل الطاعة وأهل المعصية⁽⁵²⁾.

والقسم الثاني: وهو ما يجريه الله سبحانه على يد ملائكته الكرام بما آتاهم الله من القوة والأسرار وعلى يد أنبيائه عليهم الصلاة والسلام بواسطة المعجزات وعلى يد أوليائه بطريق الكرامات.

والفرق جلي واضح جدا: وهو أن الله سبحانه يمد من يشاء من عباده من خزائن فضله ورحمته بالمعونة والإغاثة والنصرة على الكفار والمشركين متى شاء وكيفما شاء ولا يتوقف عطاؤه تعالى على إذن أحد أو رضاه وأما أنبيأؤه وأولياؤه فلا يكون إمدادهم للطلالين إلا بإذن الله ومشيتته ورضاه وهو بالحقيقة مستمد من إمداد الله تعالى والأمثلة على ذلك كثيرة جدا.

وقد جعل الله تعالى في هذه الدنيا ملائكة لهم وظائف وأعمال ظاهرية وباطنية ويخدمون بها خلق الله تعالى بما أمرهم به الله.

قال الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره للآية الكريمة : ﴿من الله ذي المعارج﴾⁽⁶³⁾: وعندي فيه وجه رابع: وهو أن هذه السموات كما أنها متفاوتة في الارتفاع والانخفاض والكبر والصغر وقوتها وشدة القوة على تدبر هذا العالم (أي بحسب أمر الله تعالى لها) فلعل نور إنعام الله وأثر فيض رحمته لا يصل إلى هذا العالم إلا بواسطة تلك الأرواح إما على سبيل العادة أو لا⁽⁷⁴⁾.

وقال أيضا رحمه الله تعالى في تفسير قول الله تعالى: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾: وهذا يدل على أن لكل واحد منهم مرتبة لا يتجاوزها ودرجة لا يتعدى عنها، وتلك الدرجات إشارة إلى درجاتهم في التصرف في أجسام هذا العالم⁽⁸⁵⁾.

(14) سورة الإسراء الآية (20).

(25) فتح القدير (217/3).

(6) سورة المعارج الآية (3).

(7) تفسير الفخر الرازي (122/24).

(8) تفسير الفخر الرازي (174/26).

ولقد سخر الله ملائكة لمعرفة وكتابة أفعال العباد بأمر منه جل وعلا وهو في الوقت نفسه ينسب المعرفة والكتابة لنفسه قائلاً سبحانه: ﴿إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾⁽⁹¹⁾.

قال الإمام الطبري رضي الله عنه: أي ونكتب ما قدموا في الدنيا من خير وشر ومن صالح الأعمال وسيئها⁽¹⁰²⁾.

وقال تعالى في حق الملائكة ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾⁽¹¹³⁾.

وسخرهم أيضا لحفظ العباد وكذلك نسب الحفظ لذاته سبحانه وتعالى فقال: ﴿فإن الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين﴾⁽¹²⁴⁾.

وقال سبحانه وتعالى أيضا في حق الملائكة ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾⁽¹³⁵⁾.

وسخر ملك الموت لقبض الأرواح وفي نفس الوقت أيضا نسب ذلك لنفسه سبحانه فقال: ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم﴾⁽¹⁴⁶⁾.

وقال عز وجل في حق الملائكة: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾⁽¹⁵⁷⁾.

فالفعل في هذه الآية راجع لملك الموت بأمر الله وإذنه سبحانه.

وعلى هذا فإن الله تعالى قد أمد الملائكة بأسرار يحفظون بها عباد الله بتسخير منه عز وجل ، فهو فعال لما يريد فمهما ظهر من الملائكة الكرام من عجائب وغرائب لا يكون ذلك منهم على الحقيقة

⁽⁹¹⁾ سورة يس الآية (12).

⁽¹⁰²⁾ صفوة التفاسير (8/3).

⁽¹¹³⁾ سورة ق الآية (18).

⁽¹²⁴⁾ سورة يوسف الآية (64).

⁽¹³⁵⁾ سورة الرعد الآية (11).

⁽¹⁴⁶⁾ سورة النحل الآية (70).

⁽¹⁵⁷⁾ سورة السجدة الآية (11).

فهم مسخرون بأمر الله فقد قال عنهم ربنا تعالى: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما
يؤمرون﴾^[16].

[16] سورة التحريم الآية (6).

وقد جعل الله تعالى في هذه الدنيا لخلقها ما جعل للملائكة الكرام عليهم السلام من وظائف وأعمال ظاهرة وباطنية وزودهم بإمدادات وقدرات نورانية فقد أكرم الله أنبياءه ورسله وأوليائه بشيء من الأسرار التي تجعلهم قائمين بها على نصره دين الله ويمدون بها من شاءوا بإذن ربهم ورضاه لإقامة دين الله جل جلاله وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في تفسير قول الله سبحانه: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾⁽¹⁷¹⁾ أي لا يعلمون من علمه إلا ما شاء أن يعلمهم إياه بتعليمه⁽¹⁸²⁾. وقال البغوي رحمه الله تعالى في تفسير قوله سبحانه في حق سيدنا الخضر رضي الله عنه: ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾⁽¹⁹³⁾ أي علم الباطن إلهاماً⁽²⁰⁴⁾.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أرفع درجة وأجل قدراً عند الله من الملائكة عليهم السلام فلذلك أمدهم ببعض صفاته وأجرى على أيديهم بعض الخوارق التي لو سمع بها من ينكر المدد لأول وهلة ولم يعلم أنها صدرت عن رسول مؤيد لحكم على قائلها بالكفر والخروج عن الملة فوراً!! وأدل دلالة على هذا ما أجراه الله على يد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام فلنسمع إلى قول الله تعالى وهو ينسب إلى نفسه إحياء الموتى قائلاً: ﴿فإن الله هو الولي وهو يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير﴾⁽²¹⁵⁾، ثم يقول في حق سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿وإذ تخرج الموتى بإذني﴾⁽²²⁶⁾ وكذلك ينسب شفاء المرضى إليه سبحانه وتعالى فيقول: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾⁽²³⁷⁾، ثم يقول في حق سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وتبرى الأكمه والأبرص بإذني﴾⁽²⁴⁸⁾ وينسب

⁽¹⁷¹⁾ سورة البقرة الآية (255).

⁽¹⁸²⁾ الأسماء والصفات للبيهقي ص (143).

⁽¹⁹³⁾ سورة الكهف الآية (65).

⁽²⁰⁴⁾ معالم النزول في التفسير (584/3).

⁽²¹⁵⁾ سورة الشورى الآية (9).

⁽²²⁶⁾ سورة المائدة الآية (110).

⁽²³⁷⁾ سورة الشعراء الآية (80).

⁽²⁴⁸⁾ سورة المائدة الآية (110).

الخلق إلى نفسه سبحانه وتعالى فيقول: ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾^{[25]1}، ثم يقول في حق سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني﴾^{[26]2} وليس ذلك فحسب بل بعد أن أمد الله سيدنا عيسى بتلك الصفات نراه يتكلم بلسان المدد الإلهي فينسب الأسباب إلى نفسه والفعل الحقيقي إلى مسببها فيقول: ﴿أني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله﴾^{[27]3}، وهذه الآية أكبر دليل على جواز إطلاق مثل هذه الألفاظ على من جعل الله المقدرات على يديه من باب المجاز الذي لا سبيل لإنكاره كما مر معنا في باب التوسل.

ثم إن هذا في الحقيقة أعظم من كلمة مدد في مضمونها ودلالاتها فالبركات والخيرات التي يمد الله تعالى بها أحداً من مخلوقاته يستفيد منها كل من حوله من المؤمنين فقد قال الله تعالى في حق سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك﴾^{[28]4}.

وأى وخيرات عظيمة عليك وعلى ذرية من معك من أهل السفينة^{[29]5}.

وقال القرطبي: دخل في هذا كل مؤمن إلى يوم القيامة^{[30]6}.

ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير»^{[31]7}.

[1]25 سورة آل عمران الآية (49).

[2]26 سورة المائدة الآية (110).

[3]27 سورة آل عمران الآية (49).

[4]28 سورة هود الآية (48).

[5]29 صفوة التفاسير (17/2).

[6]30 تفسير القرطبي (48/9).

[7]31 أخرجه البخاري (2101) ومسلم (6635) وأحمد (408/4) وابن حبان (561) والطيالسي موقوفاً (515) والقضاعي (1380)

عن أبي موسى وأخرجه أيضاً البغوي (3483).

وما يمد الله سبحانه وتعالى به رسله وأنبياءه إنما هو في سبيل إقامة الحجة ونشر الدعوة وقد علمنا أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الأنبياء على الإطلاق كما قال صاحب الجوهرية رحمه الله تعالى:

وأفضل الخلق على الإطلاق	نبينا فمّل عن الشقاق
-------------------------	----------------------

وبهذا يكون المدد المعطى له صلى الله عليه وآله وسلم من الله سبحانه وتعالى أرقى وأعظم من جميع ما أعطيه سائر الأنبياء والمرسلين لأن الله بعث كل نبي مبلغا وداعيا لقومه ولكن بعثة الحبيب المصطفى كانت للخلق كافة.

قال أحد الصالحين: إن الإمداد الذي يفرضه الله على أنبيائه كالأمانة المستعارة عندهم ليعلموا بواسطتها هداية الخلق إلى طاعة ربهم ألم يقل الله تعالى في حق نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾^[321]، وقال أيضا سبحانه وتعالى في حقه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾^[332].

فما دام سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حاملا الرحمة والرأفة الإلهية للعالمين وأسرار التزكية للعالم باجمعه فهذا يعني أنه يمد الخلق بإذن الله بالرحمة والرأفة والآية الكريمة واضحة في كلمة ﴿ويزكيهم﴾ واستطاع بفضل الله وبواسطة عطاء الله له تزكية من اتبعه وأطاعه فأصلح من كانوا أشر الناس في الجاهلية وأفظهم قتلا وكفرا فأصبحوا بعدها ألطف الناس وأحسنهم أخلاقا ودينا وإيماناً.

وإن الله تعالى أعطى سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم المقدرة والإمداد ليرشد الخلق. وهو يحمل في صدره المبارك مددا نورانيا يمد به عباد الله بإذن الله وقال القاضي البيضاوي في تفسير الآية الكريمة ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾^[343] قال: (إن استخلافه سبحانه وتعالى ليس مبنيًا

^[321] سورة الشورى الآية (52).

^[333] سورة الجمعة الآية (2).

^[344] سورة البقرة الآية (30).

على العجز والاحتياج ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل هو مبني على قصور المستخلف عليه ..
فمعاملته تعالى في إفاضة الكمالات والمعارف على خلقه إنما هي بحسب استعداداتهم فمن كان
مستعدا لاستفاضتها بلا واسطة يفيض عليه بنفسه بلا واسطة ملك ومن كان لا يقبلها إلا من كان
من جنسه يفيض عليه بواسطة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإن الأنبياء قوتهم النظرية فائقة على
قوى سائر الأنام من حيث إنهم يتمكنون بقواهم على استنباط أنوار العلوم والمعارف لكونهم
اعطوا مصباح البصيرة المودع في زجاجة القلب الكائنة في مشكاة الجسد الموقدة تلك الزجاجية من
زيت الروح الصافية عن الكدرات بحيث يكاد زيتها لغاية صفائه يضيء ولو لم تمسسه نار .⁽³⁵¹⁾ أه
انتهى كلام البيضاوي .

فالممدد إذاً هو النور الرباني الذي يفيضه الله تعالى على قلوب أنبيائه وأوليائه من الرحمات والبركات
والأسرار وفي الحقيقة إن كل دليل ذكرناه في معرض إثبات التوسل عامة وبالغائبين والأموات
خاصة يصلح لأن يكون دليلاً لإثبات المدد وسنذكر هنا بعضها ونزيد عليها إن شاء الله تعالى فمن
ذلك ما رواه سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى قال : «إذا انفلتت دابة
أحدكم في أرض فلاة فليناد : يا عباد الله احبسوا علي دابتي فإن الله في الأرض حاضرًا سيحبسه
عليكم»⁽³⁶²⁾ .

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى أنه جربه هو وبعض أكابر شيوخه ووجد أثره وجاء في الحديث
الشريف أيضا عن سيدنا عتبة بن غزوان رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم : «إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد غوثاً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أغيثوني يا
عباد الله أغيثوني فإن الله تعالى عباداً لا نراهم»⁽³⁷³⁾ وقال الحافظ : ولحديث عتبة شاهد من حديث

⁽³⁵¹⁾ حاشية تفسير القاضي البيضاوي (1/274 a27).

⁽³⁶¹⁾ أخرجه الطبراني في الكبير (10518) وأبو يعلى (5269) وذكره الهيتمي في مجمع الزوائد (17105).

⁽³⁷¹⁾ أخرجه الطبراني في الفتح الكبير (83/1).

ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله أعينوني^[381].

والإغاثة هنا ليست كإغاثة الله لخلقه إنما هي تعليم وتعريف وإرشاد ومساعدة بإذن الله.

وفي هذه الأحاديث دلالة على أن الله سبحانه وتعالى قد خص عباده بأسرار وإمدادات ليعملوا بها المؤمنون مهما كان بين الداعي والمجيب من مسافات شاسعة وذلك كله بأمر الله تعالى وهذا دليل صريح بجواز طلب المدد من عباد الله.

وهذا لا يتعارض مع حديث «إذا سألت فأسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»^[392] كما مر معنا في التوسل والاستغاثة.

(نظرة):

وما يقال في معنى المدد وطلبه من الله عن طريق الأحياء والمنتقلين يقال كذلك في معنى (النظرة) فإن من يقول لفظ (نظرة) وهو يتوسل أو يستغيث إنما يقصد أن يقول: انظر الي (يا رسول الله أو يا ولي الله) نظرة رحمة وإغاثة واشفع لي عند ربك يقضي حاجتي.

هذا هو نفس معنى (أغيثوني - أعينوني - يا محمد - يا محمداه) وغيرها من الألفاظ التي مرت معنا بصدد الكلام عن الأدلة.

وطالبو المدد من الأنبياء والصالحين لا يدفعهم إلى ذلك إلا اعترافهم بتقصيرهم في أداء ما افترض الله عليهم على الوجه الكامل وعدم وصولهم لمقامات الإحسان فطلبوا الإمداد والمساعدة من الله بواسطة المصطفين الأخيار والأولياء الأبرار لما لهم من قوة ومقدرة كبيرة بفضل الله على الطاعة والصدق والصفاء والعبادة والإخلاص والمعرفة بأداب العبودية وما هذا إلا اقتداء بما أمر الله به صحابة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا﴾^[403] فالآية المباركة ترشدنا إلى أدب

[381] قال الشيخ عبدالقادر أرناؤوط: وقال الحافظ: هذا حديث حسن الإسناد، الأذكار للنووي (0 192).

[391] أخرجه الترمذي (2516) وقال حديث حسن صحيح وأحمد (293/1).

[401] سورة النساء الآية (64).

السؤال والطلب فأمر أولاً بالمجيء إلى رسول الله ثم استغفار المذنب بنفسه بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم اعترافه بعدم أهليته للطلب من الله لسواد صحيفته مع الله فيطلب من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يستغفر له وما ذلك إلا لأن استغفار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهم أفضل واقرب قبولاً منهم لما عنده من إخلاص وصفاء قلب وقوة في الطاعة أعظم مما عند السائل المستغفر فالسائل يسأل ربه أولاً ومن ثم يطلب المدد ممن هو أرفع منه اعترافاً بتقصيره وبأنه ليس أهلاً لإجابة دعائه وبهذا يكون ملتزماً بالكتاب والسنة حالاً ومقالاً.

فقول السائل: **مدد يا رسول الله** أي استغفر لي وعلمني مما علمك الله بإذن الله وكذلك إذا قال: مدد يا أولياء الله أي يطلب منهم التوسط له عند سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بطلب الشفاعة والمغفرة والإحسان، فكل إنسان مبتدئ في أمور الدين والتزكية يحتاج إلى علم من سبقه في هذا المجال.

والذي يذهب إلى الطبيب ويستغيث به بقوله: يا طبيب خلصني من آلامي هل يكون مخطئاً لأنه يستغيث بإنسان ليمده بالشفاء بواسطة العقاقير بالطبع لا لأن الله جعل الوسائط والأسباب بين خلقه وسعي العباد لكسب الأرزاق وكذلك معالجة المرأة العاقر بالعقاقير والأدوية مع العلم يقينا أن الله سبحانه هو رازق العباد بالأموال والبنين لا ينافي قول الله ﴿وَيَمُدِّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾⁽⁴¹¹⁾ وما لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى بحكمته قد سخر الخلائق بعضها لبعض، وليفيد بعضها بعضاً بإذنه تعالى، فكل نوع يفيد نوعه، فالشمس تعكس نورها على القمر في الليل، والقمر يعكس ضوءه على الأرض ويقال لهذه الظاهرة: (مدد انعكاس).

فمن هنا نرى بأن الإنسان يستفيد من هذه الأنوار المخلوقة بوسائط ووسائل، فالله عز وجل قادر أن ينير الأرض بدون شمس ولا قمر وهو ليس بحاجة لهما ولا لغيرهما من مخلوقاته.

قال تعالى ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا﴾ فالشمس والقمر ليسا أعظم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي وهبه قوة أعظم من الشمس والقمر تضيء بنور سراج قلبه عالم

(411) سورة نوح الآية (12).

القلوب بإذن ربه لقوله تعالى ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه
وسراجا منيرا﴾^{[[42]1]}.

فإن طلب المرید المدد من شيخه ما هو إلا انعكاس قلب الولي الكامل الذي هو أفضل عند الله من
الشمس والقمر على قلب المرید ولا شك أن الشيخ هو أحد وراث النبي صلى الله عليه وآله وسلم
حيث قال «إن العلماء ورثة الأنبياء» وقال في الحديث نفسه «وفضل العالم على العابد كفضل القمر
على سائر الكواكب»^{[[43]2]}. قال «كفضل القمر» لأنه صلى الله عليه وآله وسلم هو الشمس المضيئة
كما أن الشمس تعكس نورها على القمر والقمر يعكس نوره على الأرض كذلك فإن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يعكس نوره على قلوب الأولياء وهم يعكسون ذلك النور على المریدين.
وإذا ثبت الاستمداد بين الجمادات فيما بينها، فيكف يتنفي بين المخلوقات البشرية والله خلق
الإنسان في أحسن تقويم وكرم بني آدم؟!!

قال المحدث الورع الفقيه الإمام ابن أبي جمرة الأندلسي رضي الله عنه في شرحه لحديث الإفك: ...
ولهذا المعنى جعل صلى الله عليه وآله وسلم لقيما المؤمن لأخيه المؤمن ببشاشة الوجه صدقة لأن
المؤمن يستمد من أخيه بحسب ما يظهر على ظاهره، كما أن أهل البواطن يستمد بعضهم من بعض
بحسب ما يكون في بواطنهم...^{[[44]3]}.

وقد أورد الإمام الفقيه محمد أمين أفندي المشهور بابن عابدين في رسالته: (الفوائد المخصصة)
حيث يقول: ... وقد رأيت فيها رسالتين الأولى لعمدة المحققين فقيه النفس أبي الإخلاص الشيخ
حسن الشرنبلي الوفائي رحمه الله تعالى وشكر سعيه والثانية لحضرة الأستاذ من جمع بين علمي
الظاهر والباطن مرشد الطالبين ومربي السالكين سيدي عبدالغني النابلسي قدس الله تعالى سره
وأعاد علينا من بركاته آمين فأردت أن أذكر حاصل ما في هاتين الرسالتين مستعينا بالله تعالى
مستمدا من مدد هذين الإمامين الجليلين ...

^{[[42]1]} سورة يونس الآية (5).

^{[[43]2]} رواه ابن حبان (88/1) وأبو داود (3641) وابن ماجه (223) والدارمي (98/1) وأحمد (196/5) والترمذي (2682).

^{[[44]3]} بمحجة النفوس (62/3 - 63).

فهذا الإمام الجليل ابن عابدين الذي لا يخفى على أحد من طالبي العلم الشريف مكانته العلمية يستمد من أمداد الصالحين وهو رحمه الله تعالى يعلم يقينا أن أمد هؤلاء الأكارم إنما هو الله سبحانه وهو يطلب مدد ربه بواسطة صلاح وتقوى هؤلاء الأكارم والأمثلة على ذلك كثيرة جدا ومن هنا يتبين لنا جواز الاستمداد من الأولياء (أي طلب المدد منهم) بشرط أن يعتقد المرء عند الطلب أن ما من شيء يجري في هذا الكون إلا بإذن الله تعالى ومشيئته وعلمه .

وإن الولي إذا أمد الطالبين فإنما يمدهم مما أمده الله به فهو لا يفيد الناس بشيء من دون الله إنما الضار والنافع في الحقيقة هو الله تعالى فجميع الفوائد التي ظهرت على أيدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء رضي الله عنهم من عجائب المعجزات وغرائب الكرامات ما هي إشارات على نعم المنعم العظيم سبحانه التي أظهرت على يد من أنعم عليه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وإن إمداد الله لرسله وأوليائه يكون حسب ما يريد الله ويشاء وإمداد الرسل والأولياء لباقي العباد يكون أيضا حسب ما يريد الله ويشاء هذا ولم ترد آية أو حديث بتكفير من يستمد من الأنبياء والصالحين الاستمداد الشرعي الصحيح ومن ادعى يلزمه الدليل: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾⁽⁴⁵¹⁾ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المولد

قال الله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾⁽¹¹²⁾ وقال صلى الله عليه وآله وسلم «إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا»⁽²¹³⁾ وقال أيضا: «إنما أنا رحمة مهداة»⁽³¹⁾ فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو

⁽¹⁴⁵¹⁾ سورة البقرة الآية: (111).

⁽²¹¹⁾ سورة الأنبياء الآية (107).

⁽³¹²⁾ ذكره السيوطي في الجامع الصغير (2583) ورمز لصحته.

الرحمة العظمى وقد أذن الله لنا بالفرح والسرور بمولد تلك الرحمة قال تعالى ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾⁽⁴²⁾ فقد قال السيوطي في تفسير هذه الآية ناقلا عن ابن عباس رضي الله عنهما : «فضل الله العلم ورحمته محمد صلى الله عليه وآله وسلم»⁽⁵³⁾.

وقال تعالى أيضا : ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾⁽⁶⁴⁾ يظهر من ذلك أن الحكمة في قصص أنباء الرسل عليهم السلام تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا شك اننا اليوم نحتاج إلى تثبيت أفئدتنا بأنبائه وأخباره أشد من احتياجه هو صلى الله عليه وآله وسلم. وإن المولد الشريف يحث على الصلاة والسلام المطلوبين بقوله تعالى : ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾⁽⁷⁵⁾ وما كان يبعث على المطلوب شرعا فهو مطلوب شرعا.

وقال تعالى ﴿قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا ولآخرنا وارزقنا وأنت خير الرازقين﴾⁽⁸⁶⁾ فنزول المائدة اعتبر عيدا لأهل الأرض للأولين والآخرين ليظهروا فرحهم فما أحرانا أن نفرح بمولده صلى الله عليه وآله وسلم وهو الرحمة العظمى للعالمين قال تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾⁽⁹⁷⁾، إن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف تعبير عن الفرح والسرور بالمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وقد انتفع به الكافر به صلى الله عليه وآله وسلم فقد جاء أنه يخفف عن أبي لهب كل يوم اثنين بسبب عتقه لثوية جاريته لما بشرته بولادة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم⁽¹⁰⁸⁾ وقال إمام القراء الحافظ شمس الدين بن الجزري رحمه الله تعالى في كتابه (عرف التعريف بالمولد الشريف) : قد رؤي أبو لهب بعد موته في

⁽¹³⁾ أخرجه الحاكم في مستدركه (100/1).

⁽²⁴⁾ سورة يونس الآية (58).

⁽³⁵⁾ الدر المنثور (308/2).

⁽⁴⁶⁾ سورة هود الآية (120).

⁽⁵⁷⁾ سورة الأحزاب الآية (56).

⁽⁶⁸⁾ سورة المائدة الآية (114).

⁽⁷⁹⁾ سورة الأنبياء (107).

⁽¹⁰¹⁾ أخرجه البخاري (363/3) والسهيلي في الروض الأنف (192/5) وفتح الباري (124/1).

النوم فقيل له: ما حالك فقال: في النار إلا أنه يخفف عني كل ليلة اثنين بإعتاقي ثوبية عندما بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإيرضاعها له فإذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه يخفف عنه العذاب كل ليلة اثنين بسبب فرحه بمولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فما حال المسلم الموحد من أمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي سر بمولده ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته صلى الله عليه وآله وسلم إنه سيكون له أجر عظيم عند الله عز وجل ويقول في ذلك الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي :

إذا كان هذا كافرا جاء ذمه	تبت يدها في الجحيم مخلدا
أتى أنه في يوم الاثنين دائما	يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي كان عمره	بأحمد مسرورا ومات موحدا

وإنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعظم يوم مولده ويشكر الله تعالى فيه على نعمته الكبرى عليه إذ سعد به كل موجود وكان يعبر عن ذلك التعظيم بالصيام كما جاء في الحديث عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: «فيه ولدت وفيه أنزل علي»⁽¹¹¹⁾ وهذا في معنى الاحتفال به إلا أن الصورة مختلفة ولكن المعنى موجود سواء كان ذلك بصيام أو إطعام طعام أو اجتماع على ذكر أو صلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو سماع شائله الشريفة .

وإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يلاحظ ارتباط الزمان بالحوادث الدينية العظمى التي مضت وانقضت فإذا جاء الزمان الذي وقعت فيه كان فرصة لتذكرها وتعظيم يومها لأجلها ولأنه ظرف لها .

وقد أصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه القاعدة بنفسه كما صح في الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم : لما وصل إلى المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء سأل عن ذلك فقيل له: إنهم

(111) أخرجه مسلم (2738) وأبو داود (2425) والترمذي (749) والنسائي (2382) وفي الكبرى تحفة الأشراف (12118/9) وابن ماجه (1713) وأحمد (296/5) وابن خزيمة (2087) وابن حبان (3642) والبيهقي (286/4) وابن أبي شيبة (78/3) والبعوي (1789) .

يصومونه لأن الله نجى فيه نبيهم وأغرق عدوهم فهم يصومون شكرا لله على هذه النعمة فقال صلى الله عليه وآله وسلم «نحن أولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه»^[121].

(وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عق عن نفسه بعد النبوة) مع انه قد ورد أن جده عبدالمطلب عق عنه في سابع ولادته والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على أن الذي فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم إظهار للشكر على إيجاده رحمة للعالمين وتشريع لأُمَّته كما كان يصلي على نفسه كذلك^[132].

ويؤخذ من قوله صلى الله عليه وآله وسلم في فضل يوم الجمعة وعد مزاياه وفيه ولد آدم تشریف الزمان الذي ثبت أنه ميلاد لأي نبي كان من الأنبياء عليهم السلام فكيف باليوم الذي ولد فيه افضل النبيين وأشرف المرسلين.

ويكون الفرح والسرور أحيانا في ذكرى الإحياء للحوادث التاريخية الخطيرة ذات الإصلاح المهم في تاريخ الإنسانية كما يؤخذ تعظيم المكان الذي ولد فيه نبي من أمر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصلاة ركعتين بيت لحم ثم قال له: (أتدري أين صليت؟ قال: صليت بيت لحم حيث ولد عيسى)^[143].

وإن المولد أمر استحسنة العلماء والمسلمون في جميع البلاد وجرى به العمل في كل صقع فهو مطلوب شرعا للقاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود الموقوف الذي ذكره أبو نعيم عند ترجمته قال: (ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح). وإن معرفة شئائله ومعجزاته وإرهاصاته تستدعي كمال الإيمان به عليه الصلاة والسلام وزيادة في المحبة إذ الإنسان مطبوع على حب الجميل خُلُقًا وخُلُقًا علما وعملا حالا واعتقادا ولا أجمل ولا

^[121] أخرجه البخاري (3943) ومسلم (2651) (2444) وابن ماجه (1734) وأحمد (340/1) والبيهقي (989/4) والطبراني في الكبير (12442) وابن خزيمة (2084) وابن أبي شيبة (56/3) وعبدالرزاق (7843) والنسائي في الكبرى تحفة الأشراف (5450) والدارمي (1708) والبعوي (1782) والطحاوي (75/2) والحميدي (515).

^[132] الحاوي للفتاوى (292/1).

^[143] أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (356/2).

أكمل ولا أفضل من أخلاقه وشأنه صلى الله عليه وآله وسلم وزيادة المحبة وكمال الإيمان
مطلوبان شرعا فما كان يستدعيهما مطلوب كذلك.

وإن الاحتفال بالمولد إحياء لذكرى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وذلك مشروع عندنا في
الإسلام فأنت ترى ان أكثر أعمال الحج إنما هي إحياء لذكريات مشهورة ومواقف محمودة فالسعي
بين الصفا والمروة ورمي الجمار والذبح بمنى كلها حوادث ماضية سابقة يحيى المسلمون ذكراها
بتجديد صورتها في الواقع.

وكل ما ذكرناه سابقا من الوجوه في مشروعية المولد إنما هو في المولد الذي خلا من المنكرات
المذمومة التي يجب الإنكار عليها أما إذا اشتمل المولد على شيء مما يجب الإنكار عليه كاختلاط
الرجال بالنساء وارتكاب المحرمات وكثرة الإسراف مما لا يرضى به صاحب المولد الشريف صلى
الله عليه وآله وسلم فهذا لا شك في تحريمه ومنعه لما اشتمل عليه من المحرمات لكن تحريمه حينئذ
يكون عارضا لا ذاتيا كما لا يخفى على من تأمل ذلك.

أول من أحدث المولد:

وأول من أحدث ذلك صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبري ابن زين الدين علي بن
بكتكين أحد الملوك الأجداد والكبراء الأجواد .. قال ابن كثير في تاريخه : كان يعمل المولد الشريف
في ربيع الأول ويحتفل به احتفالا هائلا وكان شجاعا عاقلا عادلا رحمه الله وأكرم مثواه.⁽¹⁵¹⁾

(151) الحاوي للفتاوى (1/2929).

أقوال العلماء في مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

- 1 - قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : ... فتعظيم المولد واتخاذة موسما قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصد وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.⁽¹⁶¹⁾
- 2 - وقد قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى : والحاصل أن البدعة الحسنة متفق على ندها وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك أي بدعة حسنة.
- 3 - ومن ثم قال الإمام أبو شامة شيخ الإمام النووي رحمهما الله تعالى : ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وآله وسلم من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان للفقراء مشعر بمحبته صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكرا لله على ما من به من إيجاد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أرسله رحمة للعالمين.
- 4 - وقال السخاوي: لم يفعله أحد من السلف في القرون الثلاثة وإنما حدث بعد، ثم لا زال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم.⁽¹⁷²⁾
- 5 - وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى : من خواصه أنه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام.⁽¹⁸³⁾
- 6 - وقال السيوطي رحمه الله تعالى : هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف.⁽¹⁹⁴⁾
وقال أيضا: يستحب لنا إظهار الشكر بمولده صلى الله عليه وآله وسلم والاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات.⁽²⁰⁵⁾

^[16] السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي (83/1 - 84) وذكره ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم

^[17] السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي (83/1 - 84).

^[18] السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي (83/1 - 84).

^[19] الحاوي للفتاوى (292/1).

^[20] الحاوي للفتاوى (196/1).

وقال أيضا: ما من بيت أو محل أو مسجد قرئ فيه مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا حفت الملائكة أهل ذلك المكان وعمهم الله تعالى بالرحمة والرضوان: ⁽²¹⁾.

7 - وقال ابن الحاج رحمه الله تعالى: فكان يجب أن نزداد يوم الاثنين الثاني عشر في ربيع الأول من العبادات والخير شكرا للمولى على ما أولانا من هذه النعم العظيمة وأعظمها ميلاد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ⁽²²⁾.

8 - وقال ابن الحاج رحمه الله تعالى: ومن تعظيمه صلى الله عليه وآله وسلم الفرح بليلة ولادته وقراءة المولد: ⁽²³⁾.

9 - وقال الحافظ العراقي رحمه الله تعالى: إن اتخاذ الوليمة وإطعام الطعام مستحب في كل وقت فكيف إذا انضم إلى ذلك الفرح والسرور بظهور نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الشهر الشريف ولا يلزم من كونه بدعة كونه مكروها فكم من بدعة مستحبة بل قد تكون واجبة: ⁽²⁴⁾.

10 وقال شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها فمن تحرى في عملها المحاسن وجنب ضدها كان بدعة حسنة وإلا فلا وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشورا فسألهم فقالوا هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرا لله تعالى فيستفاد منه الشكر لله على ما من به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك

⁽¹⁾ الوسائل في شرح المسائل للسيوطي.

⁽²⁾ المدخل (361/1).

⁽³⁾ الدرر السنية ص (190).

⁽⁴⁾ شرح المواهب اللدنية للزرقاني.

اليوم وعلى هذا فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من التلاوة والإطعام وإنشاد شيء من المدائح النبوية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للأخرة وأما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك فينبغي أن يقال: ما كان من ذلك مباحا بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به وما كان حراما أو مكروها فيمنع وكذا ما كان خلاف الأولى⁽²⁵¹⁾.

11 وقال ابن عابدين في شرحه على مولد ابن حجر: اعلم أن من البدع المحمودة عمل المولد الشريف من الشهر الذي ولد فيه صلى الله عليه وآله وسلم: وقال أيضا: فالاجتماع لسماع قصة صاحب المعجزات عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات من اعظم القربات لما يشتمل عليه من المعجزات وكثرة الصلوات.

12 وقال الشيخ حسنين محمد مخلوف شيخ الأزهر رحمه الله تعالى: إن إحياء ليلة المولد الشريف وليالي هذا الشهر الكريم الذي أشرق فيه النور المحمدي إنما يكون بذكر الله تعالى وشكره لما أنعم به على هذه الأمة من ظهور خير الخلق إلى عالم الوجود ولا يكون ذلك إلا في أدب وخشوع وبعد عن المحرمات والبدع والمنكرات ومن مظاهر الشكر على حبه مواساة المحتاجين بما يخفف ضائقتهم وصللة الأرحام والإحياء بهذه الطريقة وإن لم يكن مأثورا في عهده صلى الله عليه وآله وسلم ولا في عهد السلف الصالح إلا أنه لا بأس به وسنة حسنة⁽²⁶²⁾.

13 وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله تعالى: وإكراما لهذا المولد الكريم فإنه يحق لنا أن نظهر معالم الفرح والابتهاج بهذه الذكرى الحبيبة لقلوبنا كل عام وذلك بالاحتفال بها من وقتها...⁽²⁷³⁾.

⁽¹⁾[251] الفتاوى الكبرى (196/1).

⁽²⁾[261] فتاوى شرعية (131/1).

⁽³⁾[271] على مائدة الفكر الإسلامي ص (295).

14 وقال المبشر الطرازي^(1[28]) رحمه الله تعالى : إن الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف أصبح واجبا أساسيا لمواجهة ما استجد من الاحتفالات الضارة في هذه الأيام.

(1[28]) شيخ الإسلام السابق في تركستان.

قصة عتق ثوبية

يذكر العلماء في كتب الحديث والسيرة قصة عتق أبي هلب لجاريته ثوبية لما أخبرته بولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأن العباس بن عبدالمطلب رأى أبا هلب في النوم بعد وفاته فسأله عن حاله فقال: لم ألق خيرا بعدكم غير أني سقيت في هذه بعتاقتي ثوبية وإنه ليخفف علي في كل يوم اثنين: (291).

قلت: هذا الخبر رواه جملة من أئمة الحديث والسير مثل الإمام عبدالرزاق الصنعاني والإمام البخاري والحافظ ابن حجر والحافظ البيهقي وابن هشام والسهيلي والحافظ البغوي وابن الدبيع والأشعر والعامري وسأين ذلك بالتفصيل:

فأما الإمام عبدالرزاق الصنعاني فقد رواه في المصنف (478/7) وأما الإمام البخاري فقد رواه في صحيحه بإسناده إلى عروة بن الزبير مرسلا في كتاب النكاح باب ﴿وأمهاتكم اللاتي ارضعنكم﴾ وأما ابن حجر فقد ذكره في الفتح وقال: إنه رواه الإسعيلي من طريق الذهلي عن أبي اليان ورواه عبدالزاق عن معمر وقال: وفي الحديث دلالة على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح في الآخرة لكنه مخالف لظاهر القرآن قال الله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ وأجيب أولا بأن الخبر مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدثه به وعلى تقدير أن يكون موصولا فالذي في الخبر رؤيا منام فلا حجة فيه ولعل الذي رآها لم يكن إذ ذاك أسلم بعد فلا يحتج به وثانيا على تقدير القبول فيحتمل أن يكون ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم مخصوصا من ذلك بدليل قصة أبي طالب أنه خفف عنه فنقل من الغمرات إلى الضحضاح وقال البيهقي: ما ورد من بطلان الخير للكفار فمعناه أنهم لا يكون لهم التخلص من النار ولا دخول الجنة ويجوز أن يخفف عنهم من العذاب الذي يستوجبونه على ما ارتكبوه من الجرائم سوى الكفر بما عملوه من الخيرات.

(1[291]) أخرجه البخاري (5101) في النكاح والسهيلي في الروض الأنف (192/5) فتح الباري (124/1).

وأما عياض فقال: انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب وإن كان بعضهم أشد عذابا من بعض قلت: وهذا لا يرد الاحتمال الذي ذكره البيهقي فإن جميع ما ورد من ذلك فيما يتعلق بذنب الكفر، وأما ذنب غير الكفر فما المانع من تخفيفه؟ وقال القرطبي: هذا التخفيف خاص بهذا وبمن ورد النص فيه، وقال ابن المنير في الحاشية: هنا قضيتان: أحدهما محال وهي اعتبار طاعة الكافر مع كفره لأن شرط الطاعة أن تقع بقصد صحيح وهذا مفقود من الكافر والثانية: إثابة الكافر على بعض الأعمال تفضلا من الله تعالى وهذا لا يحيله العقل فإذا تقرر ذلك لم يكن عتق أبي لهب لثوية قرابة معتبرة ويجوز أن يفضل الله عليه بما شاء كما تفضل على أبي طالب والمتبع في ذلك التوقيف نفيا وإثباتا.

قلت وتتمة هذا أن يقع التفضل المذكور إكراما لمن وقع من الكافر البر له ونحو ذلك والله أعلم.⁽³⁰¹⁾

وأما الحافظ عبدالرحمن بن الديبع الشيباني صاحب الأصول فقد رواه في سيرته وقال معلقا: قلت: فتخفيف العذاب عنه إنما هو كرامة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كما خفف عن أبي طالب لا لأجل العتق لقوله تعالى ﴿وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾⁽³¹²⁾ ﴿﴾⁽³²³⁾.

وأما الحافظ البغوي فقد رواه في شرح السنة (76/9).

وأما العامري فقد رواه في بهجة المحافل وقال شارحه الأشخر قيل: هذا خاص به إكراما له صلى الله عليه وآله وسلم كما خفف عن أبي طالب بسببه وقيل لا مانع من تخفيف العذاب عن كل كافر عمل خيرا⁽³³⁴⁾.

⁽³⁰¹⁾ فتح الباري (145/9).

⁽³¹¹⁾ سورة هود الآية (16).

⁽³²¹⁾ حقائق الأنوار في السيرة (134/1).

⁽³³¹⁾ شرح البهجة (41/1).

وأما السهيلي فقد رواه في الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام وقال بعد نقل الخبر: فنفعه ذلك وهو في النار كما نفع أخاه أبا طالب أن هذا النفع إنما هو نقصان من العذاب وإلا فعمل الكافر كله محبط بلا خلاف أي لا يجده في ميزانه ، ولا يدخل به جنة^[341].

وحاصل البحث أن هذه القصة مشهورة في كتب الأحاديث وفي كتب السير ونقلها حفاظ معتبرون معتمدون ويكفي في توثيقها كون البخاري نقلها في صحيحه المتفق على جلالته ومكانته وكل ما فيه من المسند صحيح الثبوت بلا خلاف حتى المعلقات والمرسلات فإنها لا تخرج عن دائرة المقبول ولا تصل إلى المردود وهذا يعرفه أهل العلم المشتغلون بالحديث والمصطلح . ثم إن هذه المسألة من المناقب والفضائل والكرامات التي يذكرها العلماء في كتب الخصائص والسير ويتساهلون في نقلها ولا يشترطون فيها الصحيح بالمعنى المصطلح عليه ولو ذهبنا إلى اشتراط هذا الشرط لما أمكننا ذكر كثير من حوادث سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة وبعد البعثة مع أنك تجد كتب الحفاظ الذين عليهم العمدة وعلى صنيعهم المعول والذين منهم عرفنا ما يجوز وما لا يجوز ذكره من الحديث الضعيف نجد كتبهم مملوءة بالمقطوعات والمراسيل وما أخذ عن الكهان وأشبهاهم في خصائص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن ذلك مما يجوز ذكره في هذا المقام.

أما قول من قال: إن هذا الخير يعارض قوله تعالى ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ فهذا قول مردود بما قاله العلماء ونقلناه عنهم سابقا وتحرير الكلام في هذا المقام هو أن الآية تدل على أن أعمال الكفار لا ينظر إليها وليس فيها أنهم سواء في العذاب وأنه لا يخفف عن بعضهم العذاب كما هو مقرر عند العلماء وكذلك الإجماع الذي حكاه عياض فإنه في عموم الكفار وليس فيه أن الله تعالى لا يخفف العذاب عن بعضهم لأجل عمل عملوه ولهذا جعل الله تعالى جهنم دركات والمنافقون في الدرك الأسفل منها.

^[341] (الروض الأنف (192/5)).

ثم إن هذا الإجماع يردده النص الصحيح ولا يصح إجماع مع مخالفة النص كما هو معلوم للطلبة وذلك أنه ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمة العباس حين سأله عن عمه أبي طالب وما هو جزاؤه إذ كان يحوطه ويغضب له فقال: إنه لفي ضحضاح من النار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل^[35].

فها هو أبو طالب قد نفعه دفاعه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخرجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أجل ذلك من غمرات النار إلى ضحضاح منها .

فالتخفيف عن أبي لهب من هذا الباب أيضا لا منكر فيه والحديث يدل على أن الآية المذكورة فيمن لم يكن لهم عمل يوجب التخفيف وكذلك الإجماع وفي حديث أبي طالب المذكور دلالة على ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتصرف الآن وقبل يوم القيامة في أمور الآخرة ويشفع لمن تعلق به ودافع عنه .

وأما قول من قال: إن هذا الخبر رؤيا منام لا يثبت بها حكم فإن هذا القائل هداه الله للصواب لا يفرق بين الأحكام الشرعية وغيرها أما الأحكام الشرعية فإن الخلاف واقع بين الفقهاء هل يجوز أخذ الأحكام وتصحيح الأخبار برؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام أم لا ؟ وأما غيرها فإن الاعتماد على الرؤيا في هذا الباب لا شيء فيه مطلقا وقد اعتمد عليها الحفاظ وذكروا ما جاء في رؤيا أهل الجاهلية قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنذرة بظهوره وأنه سيقضي على الشرك وما هم عليه من فساد وكتب السنة مملوءة بهذا وفي مقدمتها كتاب دلائل النبوة وعدوها من الإرهاصات التي لا مانع من الاستدراك في شأنها بالرؤيا ولولا ذلك لما ذكروها .

فقول القائل في شأن رؤيا العباس: إنها ليست بحجة ولا يثبت بها حكم ولا خبر خروج عن عمل الأمة من الحفاظ وغيرهم والمراد به التهويل لا غير وما هكذا يكون شأن الباحث عن الحق والأمر لله .

[35] أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف كتاب ذكر النار حديث (42).

وأما من قال: إن الرائي والمخبر هو العباس في حال الكفر والكفار لا تسمع شهادتهم ولا تقبل أخبارهم فإن هذا القول مردود لا رائحة للعلم فيه وهو باطل ذلك لأنه لم يقل أحد أن الرؤيا من باب الشهادات مطلقا وإنما هي بشارة لا غير فلا يشترط فيها دين ولا إيمان بل ذكر الله تعالى في القرآن معجزة يوسف عليه السلام عن رؤيا ملك مصر وهو وثني لا يعرف ديننا سماويا مطلقا ومع ذلك جعل الله تعالى رؤيته المنامية من دلائل نبوة يوسف عليه السلام وفضله وقرنها بقصته ولو كان ذلك لا يدل على شيء لما ذكرها الله تعالى لأنها رؤيا مشرك وثني لا فائدة فيها لا في التأييد ولا في الإنكار.

ولهذا ذكر العلماء أن الكافر يرى الله تعالى في المنام ويرى في ذلك ما فيه إنذار له وتوبيخ وتقريع والعجب كل العجب من قول القائل: إن العباس رأى ذلك في حال كفره والكفار لا تسمع شهادتهم ولا تقبل أخبارهم فإن هذا القول يدل على عدم المعرفة بعلم الحديث إذ المقرر في المصطلح أن الصحابي أو غيره إذا تحمل الحديث في حال كفره ثم روى ذلك بعد إسلامه أخذ ذلك عنه وعمل به وانظر أمثلة ذلك في كتب المصطلح لتعرف بعد صاحب هذا عن العلم وإنما الهوى هو الذي حمل المعترض على الدخول فيما لا يتقنه^[361].

القيام في نهاية المولد:

مفهوم خاطئ: يظن بعض من يحضر المولد النبوي ويقوم مع القائمين أن الناس يقومون معتقدين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدخل إلى المجلس في تلك اللحظة بجسده الشريف حقيقة وأن البخور والطيب الذي يوضع هو له فهذه الظنون باطلة لا أصل لها.

نعم نحن نعتقد أنه صلى الله عليه وآله وسلم حي حياة برزخية كاملة لائقة بمقامه وإن روحه جواره في ملكوت الله سبحانه وتعالى ويمكن أن تحضر مجالس الخير وكذلك أرواح الأولياء والصالحين من أتباعه وقد قال مالك: بلغني أن الروح مرسله تذهب حيث شاءت وقال سلمان الفارسي: أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت^[372].

^[361] مفاهيم يجب أن تصحح ص (315) وما بعدها.

^[371] الروح لابن القيم ص (144).

وإن القيام في المولد ليس سنة ولا واجبا وإنما هي حركة جرت عادة الناس بها واستحسن ذلك من استحسنه من أهل العلم يقول البرزنجي مؤلف أحد الموالد النبوية ما نصه: وقد استحسن القيام عند ذكر مولده الشريف أئمة ذوو رواية وروية فطوبى لمن كان تعظيمه صلى الله عليه وآله وسلم غاية مرامه ومرماه.

ويقول أيضا:

وقد سن أهل العلم والفضل والتقى	قياماً على الأقدام مع حسن إمعان
بتشخيص ذات المصطفى وهو حاضر	بأي مقام فيه يذكر بل دان

فأنت تراه يقول: وقد سن أهل العلم ولم يقل سن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الخلفاء الراشدون ولم يقل: سنة مطلقة بل قال: وقد سن أهل العلم وبعدها يقول: بتشخيص ذات المصطفى أي أن هذا القيام لتصور شخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الذهن وهذا التصور شيء محمود ومطلوب بل لا بد من أن يتوفر في ذهن المسلم الصادق في كل حين ليكمل اتباعه له صلى الله عليه وآله وسلم وتزيد محبته فيه صلى الله عليه وآله وسلم ويكون هواه تبعاً لما جاء به فالناس يقومون احتراماً وتقديراً لهذا التصور الواقع في نفوسهم عن شخصية ذلك الرسول العظيم مستشعرين جلال الموقف وعظمة المقام وهو أمر عادي كما تقدم ولذلك فإن من لم يقيم لا شيء عليه ولا يكون أثماً شرعاً.

فالقيام كما قدمنا أمر استحسنه العلماء شرقاً وغرباً والقصد فيه تعظيم صاحب المولد وجرى به العمل في سائر البلاد وما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن كما مر في حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

وقال الشيخ علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي: وقد وجد القيام عند ذكر اسمه صلى الله عليه وآله وسلم من عالم الأمة ومقتدى الأئمة دينا وورعا الإمام تقي الدين السبكي اجتمع عنده جمع كثير من علماء عصره فأنشد قول البوصيري في مدحه صلى الله عليه وآله وسلم:

قليل مدح المصطفى الخط بالذهب	على ورق من خط أحسن من كتب
------------------------------	---------------------------

فعند ذلك قام السبكي رحمه الله وجميع من في المجلس فحصل أنس كبير بذلك المجلس ويكفي مثل ذلك في الاقتداء^[381].

كيفية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

إن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ليست له كيفية مخصوصة لا بد من الالتزام وإلزام الناس بها بل إن كل ما يدعو إلى الخير ويجمع الناس على الطاعة ويرشدهم إلى ما فيه منفعتهم في دينهم ودنياهم يحصل به تحقيق المقصود من المولد النبوي ولذلك فلو اجتمعنا على شيء من المدائح التي فيها ذكر الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم وفضله وجهاده وخصائصه ولم نقرأ قصة المولد النبوي التي تعارف الناس على قراءتها واصطلحوا عليها حتى ظن بعضهم أن المولد النبوي لا يتم إلا بها ثم استمعنا إلى بعض المواعظ والإرشادات وقراءة القرآن الكريم فإن ذلك داخل تحت الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

شبهات وردت حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

الشبهة الأولى: قول القائل: إن الاحتفال بالمولد لم يفعله السلف ولم يكن في الصدر الأول فهو بدعة محرمة يجب الإنكار عليها.

فالجواب على ذلك: أنه ليس كل ما لم يفعله السلف ولم يكن في الصدر الأول فهو بدعة محرمة ولو كان الأمر كذلك لحرم جمع أبي بكر وعمر وزيد رضي الله عنهم القرآن وكتبه في المصاحف خوفاً على ضياعه بموت الصحابة القراء رضي الله عنهم ولحرم جمع عمر رضي الله عنه الناس على إمام واحد في صلاة القيام مع قوله: نعمت البدعة هذه^[392]، وحرمة التصنيف في جميع العلوم النافعة واتخاذ الربط والمدارس والمستشفيات والإسعاف ودار اليتامى والسجون بل يجب أن يعرض ما أحدث على أدلة الشرع فما اشتمل على مصلحة فهو واجب أو على محرم فهو محرم أو على مكروه

^[381] السيرة الحلبية (83/1 - 84) والسيرة النبوية لزيني دحلان ص (51).

^[391] أخرجه البخاري (2010) ومالك (114/1 - 115).

فهو مكروه أو على مباح فهو مباح أو على مندوب فهو مندوب وللوسائل حكم المقاصد فكل ما تشمله الأدلة الشرعية ولم يقصد بإحداثه مخالفة الشريعة وليشتمل على منكر فهو من الدين ومن ثم قيد العلماء حديث «كل بدعة ضلالة»⁽⁴⁰¹⁾، بالبدعة السيئة ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء⁽⁴¹²⁾.

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: ما أحدث وخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو أثراً، فهو البدعة الضالة وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئاً من ذلك فهو المحمود.

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: البدعة في الشرع هي إحداث ما لم يكن في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهي منقسمة إلى حسنة وقبيحة ويدل على ذلك أيضاً قول سيدنا عمر رضي الله عنه السابق: نعمت البدعة هذه⁽⁴²³⁾.

الشبهة الثانية: قول القائل: إن الاحتفال بمولده صلى الله عليه وآله وسلم في شهر ربيع الأول وهو نفس الشهر الذي توفي فيه فلماذا يكون الفرح بولادته ولا يكون الحزن بوفاته؟..

والجواب على ذلك: كما قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى: أن ولادته عليه الصلاة والسلام أعظم النعم علينا ووفاته أعظم المصائب لنا والشريعة حثت على إظهار الولادة ولم يأمر عند الموت بذبح ولا بغيره فدللت قواعد الشرعية على أنه يحسن في هذا الشهر إظهار الفرح بولادته صلى الله عليه وآله وسلم دون إظهار الحزن.

الشبهة الثالثة: قول القائل: إن الاحتفال بمولده نوع من الإطراء والتقدیس له صلى الله عليه وآله وسلم مما يؤدي إلى رفع مقامه عن كونه بشراً وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد الله ورسوله»⁽⁴³¹⁾.

⁽⁴⁰¹⁾ أخرجه أحمد (126/4 - 127) وأبو داود (4607) والترمذي (2676) وقال حسن صحيح وابن ماجه (43) والدارمي (95) والبعوي (102) والحاكم (95/1 - 96) وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي (541/6) والطحاوي في مشكل الآثار (69/2) والأجري في الشريعة ص (46) وابن عاصم (279).

⁽⁴¹¹⁾ أخرجه مسلم (2348) والنسائي (2553) وأحمد (357/4) مختصراً والترمذي (2675) وابن ماجه (203).

⁽⁴²¹⁾ تهذيب الأسماء واللغات للنووي ((22/1)).

فالجواب: أن هذا الاستدلال غير صحيح لأن الإطراء المنهني عنه هو المشابه لإطراء النصارى بأن المسيح هو ابن الله حاشاه تعالى من ذلك أما إطراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الاحتفال بمولده فلا يعدو عن ذكر فضائله النبوية وأخلاقه المحمدية وقد مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم اناس من الصحابة وأثنوا عليه في حياته وبعد مماته ولم ينكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أحد منهم ذلك بل وربما أيدهم فهذا كعب بن زهير لما قال أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قصيدته المشهورة : (بانت سعاد فقلبي اليوم متبول) واتمها نجد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد خلع عليه عباءته وألبسه إياها جزاء لصنيعه وهذا عبدالله بن رواحة يقول مادحا النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

وينا رسول الله يتلو كتابه	إذا انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا	به موقنات أن ما قال واقع

وكذلك استقبال أهل المدينة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منشدين : طلع البدر علينا... فهل كان مدح هؤلاء الصحابة وغيرهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثنائهم عليه أمرا مخالفا للشرع؟ وإذا كان كذلك فهل يسكت عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فإذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يرضى عن مدحه فكيف لا يرضى عن جمع شائله الشريفة؟!

كبار علماء الأمة ومصنفاتهم في المولد النبوي الشريف:

- الحافظ محمد بن ابي بكر بن عبدالله القيسي الشافعي المعروف بالحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي المولود سنة (777هـ) والمتوفى سنة (842هـ) قال عنه الحافظ ابن فهد في لحظ الألاحظ ذيل تذكرة الحفاظ: هو إمام مؤرخ له الذهن الصافي السليم تولى مشيخة أهل دار الحديث بالأشرفية بدمشق وترجم الحافظ جمال الدين عبدالهادي الحنبلي في كتابه (الرياض البانعة) لابن ناصر الدين وقال معظما للشيخ ابن تيمية محبا له مبالغا في محبته قد صنف في

(¹⁴³¹) أخرجه أحمد (153/1).

المولد النبوي الشريف أجزاء عديدة ذكرها صاحب كشف الظنون ص (319) ومنها جامع الآثار في مولد النبي المختار ومنها اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق.

الحافظ العراقي : وهو الإمام الكبير عبدالرحيم بن حسين بن عبدالرحمن المصري الشهير بالحافظ العراقي المولود سنة (725هـ) المتوفى سنة (808هـ) برع في الحديث والإسناد والحفظ وهو العلامة الحجة صنف مولدا شريفا سماه (المورد الهني في المولد السنني) ذكره ضمن مؤلفاته.

الحافظ السخاوي: وهو محمد بن عبدالرحمن القاهري المعروف بالسخاوي المولود سنة (831هـ) المتوفى سنة (902هـ) بالمدينة المنورة وترجم له الشوكاني في كتابه البدر الطالع وقال عنه: من الأئمة الكبار وقال عنه ابن فهد: لم أر في الحفاظ المتأخرين مثله وقال عنه الشوكاني لو لم يكن له من التصنيف إلا كتاب (الضوء اللامع) لكان دليلا على إمامته وقال صاحب كشف الظنون : للحافظ السخاوي جزء في المولد الشريف.

الحافظ ملا علي القاري بن سلطان بن محمد الهروي: المتوفى سنة (1014هـ) صاحب شرح المشكاة ترجم له الشوكاني في (البدر الطالع) وقال: أحد مشاهير الأعلام ومشاهير أولي الحفظ والإفهام وقد صنف في مولد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كتابا قال صاحب اكشف الظنون اسمه (المورد الروي في المولد النبوي).

الحافظ ابن كثير: وهو عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير صاحب التفسير ققال الذهبي في المختص : الإمام المحدث البارع ثقة متقن محدث متفنن وترجم له العسقلاني في كتابه (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة) فقال: اشتغل بالحديث ومتونه ورجاله وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه وامتحن بسببه كثرت تصانيفه في البلاد صنف الإمام ابن كثير مولدا نبويا طبع أخيرا بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد.

الحافظ ابن الديبع: وجيه الدين بن عبدالرحمن بن علي بن محمد الشيباني اليمني الزبيدي الشافعي والديبع بلغة السودان: هو لقب جده الأعلى ولد في محرم سنة (866هـ) وتوفي يوم

الجمعة ثامن رجل الفرد سنة (944هـ) وكان أحد أئمة الزمان حدث بالبخاري أكثر من مائة مرة وصنف مولدا مشهورا حققه الشيخ محمد علوي المالكي رحمه الله.

التبرك

معاني البركة :

للبركة معان شتى تختلف باختلاف سياقها من الآية أو الحديث أو الأثر أو الموضوع ومن معانيها الزيادة والنماء وهما يشملان المحسوسات والمعنويات جميعا والحقيقة أن البركة سر إلهي وفيض زاده الله تعالى ونمى به أعمال البر بملازمة القربات الكريمة فكانت البركة بهذا ثمرة من ثمرات العمل الصالح يحقق الله بها الآمال ويدفع السوء ويفتح بها مغالق الخير من فضله فالبركة بهذا المعنى لون من الرحمة والفضل الرباني والخير الشامل والفائدة واللطف الخفي الذي يحب به الله أعمال أوليائه وأحبابه الأبرار ثم إن الله تعالى بارك القرآن في ذاته فقال ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك﴾⁽¹¹¹⁾ وبارك المنازل فقال ﴿وقل رب أنزلني منزلا مباركا﴾⁽¹²²⁾ وبارك اسمه الكريم فقال ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾⁽¹³³⁾ وبارك الله الأسرة النبوية من سيدنا إبراهيم فقال: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾⁽¹⁴⁴⁾ وتبارك في نفسه تعالى فقال: ﴿تبارك الله رب العالمين﴾⁽¹⁵⁵⁾ وبركاته كثيرة جدا في جميع ما خلق سبحانه وتعالى.

(111) سورة ص الآية (29).

(122) سورة المؤمنين الآية (29).

(133) سورة الرحمن الآية (78).

(144) سورة هو الآية (73).

(155) سورة العراف الآية (54).

ولما كان (التبرك بالشيء) هو طلب البركة بذلك الشيء من الله تعالى، (والبركة) هي الزيادة والنماء كان معنى التبرك بآثار الصالحين طلب الزيادة من الخير من الله عز وجل بجاههم ومنزلتهم عنده. ولقد تكلم كثير من فقهاء المذاهب الأربعة في كتبهم الفقهية عن التبرك في مناسبات عديدة وأقروه بشرط أن لا يتجاوز حدود الشريعة الإسلامية واستعمل هؤلاء الفقهاء أنفسهم التبرك تأسيا بسلفهم الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وعنا بجاههم. والتبرك في الحقيقة ليس هو إلا توسلا إلى الله سبحانه وتعالى بذلك المتبرك به سواء أكان أثرا أو مكانا أو شخصا أما الأعيان فلاعتقاد فضلها وقربها من الله سبحانه وتعالى مع اعتقاد عجزها عن جلب خير أو دفع شر إلا بإذنه تعالى. وأما الآثار والأماكن فلأنها منسوبة إلى تلك الأعيان فهي مشرفة بشرفها ومكرمة ومعظمة ومحبوبة لأجلها.

التبرك بسور القرآن:

عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيده لبركتها)⁽⁶¹⁾.

وفي رواية قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا مرض أحد من اهله نفث عليه بالمعوذات)⁽⁷²⁾.

وعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (فاسترقوا لها فإن بها نظرة) ⁽⁸³⁾ آ أ اطلبوا لها من يرقها.

وعنها أيضا رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (بها نظرة فاسترقوا لها) ⁽⁹⁴⁾ يعني بوجهها صفرة.

⁽¹⁶⁾ أخرجه البخاري (5748) ومسلم (5679) وأبو داود (3902) وابن ماجه (3529) ومالك في كتاب العين رقم (99).

⁽¹⁷⁾ أخرجه مسلم (5678).

⁽¹⁸⁾ أخرجه البخاري (5739).

⁽¹⁹⁾ أخرجه مسلم (5689).

التبرك بقبر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم :

عن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر فأخذ برقبته وقال: أتدري ما تصنع؟ قال: نعم فأقبل عليه، فإذا هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقال: نعم جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم آت الحجر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله) ⁽¹⁰¹⁾.

والحديث فيه التجاء أحد الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتمسحه بقبره الشريف . وقال القاضي عياض: رؤي ابن عمر رضي الله عنهما واضعاً يده على مقعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه.

وروى القاضي عياض عن أبي قسيط والعتبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامينهم ثم يستقبلون القبلة يدعون.

وقال الملا علي القاري شارح الشفا: رواه ابن سعد عن عبدالرحمن بن عبدالقاري ⁽¹¹²⁾.

وروى ذلك الشيخ ابن تيمية أيضاً عن الإمام أحمد أنه رخص في التمسح بالمنبر والرمانة وذكر أن ابن عمر وسعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد من فقهاء المدينة كانوا يفعلون ذلك . ⁽¹²³⁾ أهـ

ولما حضرت الوفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لابنه عبدالله: (انطلق إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل: يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل: أمير المؤمنين فإني لست اليوم بأمر المؤمنين وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه قال: فاستأذن وسلم ثم دخل عليها وهي تبكي فقال: يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي فلما أقبل قيل: هذا عبدالله بن عمر قد جاء فقال: ارفعوا فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت ، فقال الحمد لله ما كان شيء أهم الي من ذلك

⁽¹⁰¹⁾ أخرجه الحاكم في المستدرک (8571) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

⁽¹¹¹⁾ (2/518).

⁽¹²²⁾ اقتضاء الصراط المستقيم ص (367).

فإذا أنا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل يستأذن عمر فن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين⁽¹³¹⁾.

وقال إبراهيم الحربي: يستحب تقبيل حجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال صاحب غاية المنتهى الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي ما نصه: (ولا بأس بمس قبر بيد لاسيما من ترجى بركته).

وقال المرادوي في الإنصاف ما نصه: (يجوز لمس القبر من غير كراهية).

وقال السمهودي في وفاء الوفاء ما نصه: لما قدم بلال رضي الله عنه من الشام لزيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتى القبر فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه.

وقد ورد أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده اليمنى على القبر وأن بلالا رضي الله عنه وضع خديه عليه.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأسود جواز تقبيل يد الأدمي.

وسئل الإمام أحمد عن تقبيل منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبره فلم ير به بأساً⁽¹⁴²⁾.

ونقل عن ابن أبي الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف واجزاء الحديث وقبور الصالحين.

ونقل الطيب الناشري عن المحب الطبري أنه يجوز تقبيل القبر ومسه وقال وعليه عمل العلماء الصالحين⁽¹⁵³⁾.

التبرك بشعره صلى الله عليه وآله وسلم :

ومن حديث أنس رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتى منى فأتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونحر وقال للحلاق خذ وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ثم جعل يعطيه الناس.

⁽¹³¹⁾ أخرجه البخاري (1392).

⁽¹⁴²⁾ البداية والنهاية (8/2).

⁽¹⁵³⁾ المقالات السننية ص (128 - 129).

وقد جاء في رواية حفص بلفظ : «فبدأ بالشق الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ثم بالأيسر فصنع مثل ذلك»

ومن حديث أنس رضي الله عنه أيضا قال: لما رمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجمرة نحر نسكه ثم ناول الخالق شقه الأيمن فحلقه فأعطاه أبو طلحة لأم سليم بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم ناوله شقه الأيسر فحلقه فقال أقسم بين الناس⁽¹⁶¹⁾.

وعن محمد بن سيرين قال: قلت لعبيدة: عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصبناه من قبل أنس - أو من قبل أهل أنس، فقال: (لأن تكون عندي شعرة منه أحب الي من الدنيا وما فيها).

وعن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدر من ماء فجاءت بجلجل من فضة فيه شعر من شعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مخضبة قال: فاطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمراء⁽¹⁷²⁾.

قال الإمام الحافظ ابن حجر في الفتح: وقد بينه وكيع في مصنفه فقال: كان جلجلا من فضة صيغ صونا لشعرات النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي كانت عند أم سلمة والجلجل هو شبه الجرس يتخذ من الفضة أو الصفر أو النحاس، وقد تنزع منه الحصاة التي تتحرك فيه فيوضع فيه - ما يحتاج إلى صيانتها⁽¹⁸³⁾.

وقال الإمام العيني: وبيان ذلك على التحرير: أن أم سلمة رضي الله عنها كان عندها شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حمر في شيء مثل الجلجل وكان الناس عند مرضهم يتبركون بها ويستشفون من بركتها ويأخذون من شعره ويجعلونه في قدح من الماء فيشربون الماء الذي فيه الشعر فيحصل لهم الشفاء وكان أهل عثمان أخذوا منها شيئا وجعلوه في قدح من فضة فشربو الماء الذي فيه

⁽¹⁶¹⁾ أخرجه مسلم (31242) وأبو داود (1982) والترمذي (912) وأحمد (111/3) والحميدي (1220) وابن خزيمة (2928) والنسائي في الكبرى تحفة الأشراف (1456) والبغوي (1962) وابن حبان (3879) والبيهقي (134/5) وفي رواية عن أنس أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره أخرجه البخاري (171).

⁽¹⁷¹⁾ أخرجه البخاري (5896) ورواه مسلم (83/1).

⁽¹⁸³⁾ كذا في فتح الباري (3539/1).

فحصل لهم الشفاء ثم ارسولا عثمان بذلك القدح إلى أم سلمة ووضعتة في الجلبجل فاطلع عثمان في الجلبجل فرأى فيه شعرات حمراء.

قوله: (وكان إذا أصاب الإنسان إلى آخره): كلام عثمان بن عبدالله بن موهب أي كان اهلي كذا فسرهُ الكرمانى وقال بعضهم وكان إذا أصاب الإنسان أي منهم والذي قاله الكرمانى أصوب يبين به أن الإنسان إذا أصابه عين أو شيء من الأمراض بعث أهله إليها أي إلى أم سلمة مخضبة بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الضاد المعجمة والباء الموحدة وهي الإجانة ويجعل فيها ماء وشيئا من الشعر المبارك ويجلس فيها فيحصل له الشفاء ثم يرد الشعر إلى الجلبجل⁽¹⁹¹⁾.

وعن جعفر بن عبدالله بن الحكم أن خالد بن الوليد قد فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال اطلبوها فلم يجدوها فقال اطلبوها فوجدوا فإذا هي قلنسوة خلقة أي ليست بجديدة فقال خالد اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة فلم أشهد قتالا وهي معي إلا رزقت النصر⁽²⁰²⁾.

وفي سير أعلام النبلاء⁽²¹³⁾ للذهبي ما نصه: قال عبدالله بن أحمد: رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيضعها على فيه يقبلها وأحسب أني رأيت يوضعها على عينيه ويغمسها في الماء البارد ويشربه ويستشفى به ورأيت يشرب من ماء زمزم يستشفى به ويمسح به يديه ووجهه. وقد ثبت أن عبدالله سأل أباه عمن يلمس رمانة منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويمس الحجر النبوية فقال: لا أرى بذلك بأسا.

وفي البداية والنهاية لابن كثير ما نصه: قال أحمد فعند ذلك قال لي: يعني قال له المعتصم حين طالبه بالقول بخلق القرآن فامتنع أحمد لعنك الله طمعت فيك أن تجيبني فلم تجبني ثم قال خذوه واخلعوه واسحبوه قال أحمد: فأخذت وسبحت وخلعت وجيء بالعاقبين والسياط وأنا انظر وكان معي

⁽¹⁹¹⁾ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (79/18).

⁽²⁰¹⁾ ذكره الهيثمي في مجمع الزائد (349/9) وابن حجر في المطالب العالية (90/4) وفيه يقول خالد (فما وجهت من جهة الافتح لي).

⁽²¹¹⁾ سير أعلام النبلاء (212/11) وروى القصة ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد.

شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مصرورة في ثوبي فجروني منه وصرت بين العاقين⁽²²¹⁾.

وقال ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى في طهارة الشعر (إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرق شعره بين أصحابه قال أنس : لما رمى النبي صلى الله عليه وآله وسلم جمرة العقبة ونحر نسكه ناول الخالق شقه الأيمن فحلقه ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه إياه ثم ناوله شقه الأيسر قال : احلقه وأعطاه أبا طلحة فقال اقسمه بين الناس⁽²³²⁾).

التبرك بعرقه صلى الله عليه وآله وسلم :

عن سيدنا أنس رضي الله عنه أن سيدتنا ام سليم رضي الله عنها (كانت تبسط للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قطعا فيقبل عندها على ذلك النطع قال فإذا نام النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذت من عرقه وشعره فجمعته في قارورة ثم جمعته في سك وهو نائم قال فلما حضر أنس بن مالك الوفاة أوصى إلى أن يجعل في حنوطه من السك قال : فجعل في حنوطه⁽²⁴³⁾).

وفي رواية: دخل علينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال عندنا فجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلك العرق فيها فاستيقظ فقال: أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك تجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب⁽²⁵⁴⁾.

وفي رواية: عرق فاستنقع عرقه على قطعة أديم عتيده فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها فأفاق فقال: ما تصنعين؟ قالت: نرجوا بركته لصبياننا فقال: أصبت⁽²⁶⁵⁾.

وفي رواية أبي قلابة: فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير فقال: ما هذا؟ قالت: عرق أدوف به طيب⁽²⁷⁶⁾.

⁽¹⁾[22] البداية والنهاية (334/10).

⁽²⁾[23] تقدم تخريجه.

⁽³⁾[24] أخرجه البخاري (6281).

⁽⁴⁾[25] أخرجه مسلم (6009) وأحمد (136/3) وعبد بن حميد (1268).

⁽⁵⁾[26] أخرجه مسلم (6010) وأحمد (221/3).

⁽⁶⁾[27] أخرجه مسلم (6011) وأحمد (276/6) وأدوف بمعنى أبل به طيب.

ويستفاد من هذه الروايات إطلاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم على فعل أم سليم وتصويبه ولا معارضة بين قولها إنها كانت تجمعه لأجل طيبه وبين قولها للبركة بل يحتمل على أنها كانت تفعل ذلك للأمرين معا^[281].

التبرك بجلده الشريف صلى الله عليه وآله وسلم :

عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال: كان أسيد بن حضير رضي الله عنه رجلا صالحا ضاحكا مليحا فبينما هو عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحدث القوم ويضحكهم قطعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خاصرته فقال: أوجعتني قال صلى الله عليه وآله وسلم اقتص قال: يا رسول الله إن عليك قميصا ولم يكن علي قميص قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قميصه فجعل يقبل كشحه فقال: يا أبي أنت وأمي يا رسول الله! أردت هذا^[292].

وعن حبان بن واسع عن أشياخ من قومه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قرح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية رضي الله عنه حليف بني عدي بن النجار وهو مستنصل من الصف أي خارج قطعنه في بطنه بالقرح وقال: / استويا سواد فقال يا رسول الله! أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني فكشف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن بدنه فقال: استقد فاعتنقه فقبل بطنه فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله! حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخير^[303].

وعن الحسن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقي رجلا مختضبا بصفرة وفي يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم جريدة: فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم خط ورس قطعن بالجريدة بطن الرجل وقال: ألم أنك عن هذا؟ فأثر في بطنه دما أدماه، فقال: القود يا رسول الله! فقال الناس: أمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقتص؟ فقال: ما لبشرة أحد فضل على بشرتي فكشف النبي صلى الله عليه وآله وسلم

[281] فتح الباري الجزء الحادي عشر ص 72.

[292] أخرجه أبو داود (5224) والحاكم (288/2) وصححه ووافقه الذهبي وأخرجه الطبراني في الكبير (557).

[303] أخرجه ابن إسحاق كذا في البداية (271/3).

وسلم عن بطنه ثم قال: اقتصر فقبل الرجل بطن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: أدعها^[31] لك أن تشفع لي يوم القيامة^[32].

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «زاهر باديتنا ونحن حاضرته وكان صلى الله عليه وآله وسلم يحبه فمشى صلى الله عليه وآله وسلم يوماً إلى السوق فوجده قائماً فجاء من قبل ظهره وضمه بيده إلى صدره فأحس زاهر بأنه رسول الله قال: فجعلت أمسح ظهري في صدره رجاء بركته. وفي رواية: فاحتضنه من خلفه ولا يبصره فقال: أرسلني من هذا؟ فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعل لا يألوما ألصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينه عرفه - فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من يشتري العبد فقال له زاهر: يا رسول الله! إذا تجديني كاسدا. فقال صلى الله عليه وآله وسلم " «أنت عند الله غال».

وفي رواية أخرى: لكن عند الله لست بكاسد أو قال أنت عند الله غال^[33].^[34]
التبرك بلباسه أو بجبته صلى الله عليه وآله وسلم:

عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه في البردة التي استوهبها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلامه الصحابة على طلبها فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلني أكفنها^[35].

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفون بها^[36].

[31] وقوله - أدعها لك: أي أترك المقاصصة.

[32] أخرجه عبد الرزاق (466/9) وكذا في الكنز (91/15).

[33] أخرجه أحمد (161/3) والترمذي في الشمائل (239) وأبو يعلى (3456) والبخاري (2735) والبيهقي (169/6) والبغوي (3604) وعبد الرزاق في المصنف (19688) وابن حبان (5790) والهيتمي في المجمع (368/9-369) وصححه الحافظ في الإصابة (523/1).

[34] المواهب اللدنية (297/1).

[35] أخرجه البخاري (6036).

[36] أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة (145/3).

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه على الصحيح (44/14) وفي هذا الحديث دليل على استحباب التبرك بآثار الصالحين وثيابهم .

وفي شرح الإحياء للحافظ الزبيدي⁽³⁷¹⁾ ما نصه: عن الشعبي قال: حضرت عائشة رضي الله عنها : وهي تقول (إني قد أحدثت حدثا ولا أدري ما حالي عنده فلا تدفنوني معه فإني أكره أن أجاور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا أدري ما حالي عنده ثم دعت بخرقة من قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: ضعوا هذا على صدري وادفئوها معي لعلي أنجو من عذاب القبر).

وقال الحافظ الزبيدي في الإتحاف⁽³⁸²⁾ ما نصه

ويروى أن آخر خطبة خطبها معاوية إذ قال: أيها الناس إن من زرع قد استحصد وإني قد وليتكم ولن يليكم أحد من بعدي إلا وهو شر مني كما كان من قبلي خيرا مني ويا يزيد - يعني ولده - إذا وفي أجلي فول غسلي رجلا لبيا فإن اللبيب من الله بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد - أي أقصد - إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقرضة من شعره وأظفاره فاستودع القراظة أنفي وعيني واجعل الثوب على جلدي دون أكفاني.

التبرك بموضع فمه صلى الله عليه وآله وسلم :

عن سيدنا أبي بردة قال: قدمت المدينة فلقيني عبدالله بن سلام فقال لي: (انطلق إلى المنزل فأسقيك في قدح شرب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتصلي في مسجده)⁽³⁹³⁾.

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل إلى أم سليم وفي البيت قربة معلقة فشرب من فيها - أي من فم القربة - وهو قائم قال أنس : فقطعت أم سليم فم القربة فهو عندنا⁽⁴⁰⁴⁾.

[371] إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (333/10).

[382] إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (321/10).

[393] أخرجه البخاري (7342).

[404] أخرجه أحمد (70/22).

والمعنى: أن أم سليم قطعت فم القربة الذي هو موضع شربه صلى الله عليه وآله وسلم واحتفظت به في بيتها للتبرك بأثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

التبرك بيده وبموضعها صلى الله عليه وآله وسلم :

عن محمد بن عبد الملك بن أبي محذورة عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله علمني سنة الأذان قال: فمسح مقدم رأسه قال: «تقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر ترفع بها صوتك...»⁽⁴¹¹⁾ الحديث. وفي رواية: فكان أبو محذورة يجز ناصيته لا يفرقها لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسح عليها⁽⁴²²⁾. وعن صفية بنت مجرة: (أن أبا محذورة كانت له قصة في مقدمة رأسه إذا قعد أرسلها فتبلغ الأرض فقالوا له ألا تحلقها؟ - فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسح عليها بيده فلم اكن لأحلقها حتى أموت).

وعن موسى بن عقبة قال: رأيت سالم بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق فيصل في فيها ويحدث أن أباه كان يصلي فيها وأنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في تلك الأمكنة قال موسى: وحدثني نافع أن ابن عمر كان يصلي في تلك الأمكنة⁽⁴³³⁾.

وعن يزيد بن الأسود في حديث حجة الوداع قال: فلما صلى الصبح انحرف جالسا فاستقبل الناس بوجهه وذكر قصة الرجلين الذين لم يصلوا قال ونهض الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونهضت معهم وأنا يومئذ أشب الرجال وأجلدهم قال: فما زلت أراحم الناس حتى وصلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذت بيده فوضعها إما على وجهي أو على صدري قال: فما وجدت شيئا أطيب ولا أبرد من يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: وهو يومئذ بمسجد الخيف. وفي رواية: ثم ثار الناس يأخذون بيده ويمسحون بها وجوههم⁽⁴⁴⁴⁾.

⁽⁴¹¹⁾ أخرجه أحمد (408/3؛ 409) وبيو داود (500) والنسائي (632) وابن حبان (1682) والبيهقي في السنن (394/1) والبعوي في شرح السنة (408) وابن خزيمة في صحيحه (378).

⁽⁴²²⁾ رواه أبو داود (501).

⁽⁴³³⁾ أخرجه البخاري (483).

⁽⁴⁴⁴⁾ أخرجه أحمد (161/4).

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بأنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا وغمس يده فيها فربما جاؤوا في الغداة الباردة فيغمس يده فيها^(1[45]).

وعن نافع أن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى حيث المسجد الصغير الذي دون المسجد الذي يشرف الروحاء وقد كان عبد الله يعلم المكان الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ثم عن يمينك حين تقوم في المسجد تصلي وذلك المسجد على حافة الطريق اليمنى وأنت ذاهب إلى مكة بينه وبين المسجد الأكبر رمية بحجر أو نحو ذلك^(2[46]).

التبرك بموضع قدمه صلى الله عليه وآله وسلم :

عن أبي مجلز أن أبا موسى كان بين مكة والمدينة فصلى العشاء ركعتين ثم قام فصلى ركعة أو تر بها فقرأ فيها بمائة آية من النساء ثم قال: ما ألوت أن أضع قدمي حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدميه وأنا أقرأ بها فقرأ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(3[47]).

التبرك بالأمكنة:

قال العلامة ابن حجر رحمه الله تعالى: يتأكد ندب احترام نحو المدارس والربط ومحال العلماء والصلحاء وكل محل علم أنه صلى الله عليه وآله وسلم نزله أو صلى فيه فله فضل عظيم على غيره على ممر الدهر فيتأكد الاعتناء به بتحري نزوله والتبرك به كما كان ابن عمر وغيره رضي الله عنهم يفعلون بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم^(4[48]).

وما يقال من أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قطع شجرة بيعة الرضوان لتحريم التبرك بقبور الأنبياء والصالحين فليس في ذلك دليل لهم:

(1[45]) أخرجه مسلم (5996).

(2[46]) أخرجه البخاري (485).

(3[47]) أخرجه النسائي (1727).

(4[48]) الفتاوى الكبرى لابن حجر (119/2).

فإنه محمول على أنه تخوف أن يأتي زمان قد يعبد الناس تلك الشجرة وليس مقصوده تحريم التبرك بآثار الرسول ولو كان الأمر كما ظنوا ما كان ابنه عبدالله ينزل تحتها أي تبركا وكان يسقيها الماء كي لا تيسس^[491] ولا شك أن عبدالله بن عمر أفهم بسيرة أبيه من غيره.

التبرك بدار مباركة:

عن محمد بن سوقة عن أبيه قال: (لما بنى عمرو بن حريث داره أتيت له لأستأجر منه فقال ما تصنع منه؟ فقلت: أريد أن أجلس فيه وأشتري وأبيع قال: قلت: لأحدثك في هذه الدار بحدث إن هذه الدار مباركة على من سكن فيها مباركة على من باع فيها واشترى وذلك أني أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده مال موضوع فتناول بكفه منه دراهم فدفعها إلي وقال: هاك يا عمرو هذه الدراهم حتى تنظر في أي شيء تضعها فإنها دراهم أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذتها ثم مكثنا ما شاء الله حتى قدمنا الكوفة فأردت شراء دار فقالت لي أُمي: يا بني إذا اشتريت دارا وهيأت ما لها فأخبرني ففعلت ثم جئتها فدعوتها فجاءت والمال مضوع فأخرجت شيئًا معها فطرحته في الدراهم ثم خلطتها بيدها فقلت يا أمه! أي شيء هذه؟ قالت: يا بني! هذه الدراهم التي جئني بها فزعمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطاكها بيده فأنا أعلم أن هذه الدار مباركة لمن جلس فيها مباركة لمن باع فيها واشترى)^[502].

التبرك بفضل وضوئه صلى الله عليه وآله وسلم:

عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قبة حمراء ورأيت بلالا أخرج وضوءا فرأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء فمن اصاب منه شيئًا تمسح به ومن لم يصب منه أخذ من بلل صاحبه^[513] وفي رواية (شهدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالبطحاء وأتى بلال بفضله وضوئه فابتدره الناس فنلت منه شيئًا)^[524].

[149] أخرجه ابن حبان في صحيحه (7074).

[250] أخرجه أبو يعلى (111/4).

[351] أخرجه البخاري (376) ومسلم (503) وأحمد (308/4).

[452] أخرجه النسائي (137).

التبرك بتقبيل يد من مس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

عن عبدالرحمن بن رزين قال: (مررنا بالربوة فقيل لنا ههنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ، فأتينا فسلمنا عليه فأخرج يديه فقال: بايعت بهاتين نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخرج كفا له ضخمة كأنها كف بعير فقمنا اليها فقبلناها)⁽⁵³¹⁾.

وعن ابن جدعان : قال ثابت لأنس رضي الله عنه (أمسست النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيدك؟ قال: نعم، فقبلها).

وعن صهيب قال: رأيت عليا رضي الله عنه يقبل يد العباس رضي الله عنه ورجله⁽⁵⁴²⁾.

وعن يحيى بن الحارث الذماري قال: لقيت وائلة بن الأسقع رضي الله عنه فقلت: بايعت بيدك هذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: نعم قلت: أعطني يدك أقبلها، فأعطانيها فقبلتها⁽⁵⁵³⁾.

وعن يونس بن ميسرة قال: دخلنا على يزيد بن الأسود عائدتين فدخل عليه وائلة الأسقع رضي الله عنه فلما أن نظر اليه مديده فأخذ يده فمسح بها وجهه وصدرة لأنه بايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: يا يزيد! كيف ظنك بربك؟ فقال: حسن فقال ابشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي إن خيرا فخير وإن شرا فشر⁽⁵⁶⁴⁾.

وعن ثابت قال: كنت إذا أتيت أنسا يخبر بمكاني فأدخل عليه وأخذ يديه وأقبلها وأقول: بأبي هاتين اليدين اللتين مستا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقبل عينيه وأقول بأبي هاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم⁽⁵⁷⁵⁾.

تبرك الخلفاء الراشدين بخاتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمحافظة عليه:

⁽⁵³¹⁾ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (973) وأخرجه ابن سعد في الطبقات (306/4).

⁽⁵⁴²⁾ أخرجهما البخاري في الأدب المفرد ص (144).

⁽⁵⁵³⁾ ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (42/8).

⁽⁵⁶⁴⁾ أخرجه أبو نعيم في الحيلة (306/9).

⁽⁵⁷⁵⁾ ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (111/2).

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: اتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتما من ورق وكان في يده ثم كان بعد في يد أبي بكر ثم كان بعد في يد عمر ثم كان في يد عثمان حتى وقع بعد في بئر أريس نقشه محمد رسول الله.^[581]

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: جاء في رواية: (أنه التمس فلم يوجد).^[592]

وجاء في رواية ابن سعد: (أنه كان في يد عثمان ست سنين).^[603]

وقال العيني: وبئر أريس حديقة بقرب مسجد قباء.^[614]

وهذه البئر صارت معروفة اليوم ببئر الخاتم وهو خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي سقط فيها أيام خلافة عثمان وقد اجتهد ثلاثة أيام في استخراجها بكل ما وجدته سبيلا فلم يلقه.^[625]
التبرك بآثار الأنبياء السابقين:

عن نافع أن عبد الله بن عمر أخبره أن الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الحجر أرض ثمود فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين فأمرهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يهريقوا ما استقوا ويعلفوا للإبل العجين وأمرهم أن يستقوا من البئر الذي كانت تردها الناقة.^[636]
وقال النووي في شرحه على هذا الحديث من فوائد هذا الحديث جواز التبرك بآثار الصالحين.
التبرك بآثار الصالحين:

جاء الإمام السبكي رحمه الله تعالى لزيارة الإمام النووي - رحمه الله تعالى - فوجده قد توفى فأتى إلى دار الحديث وسأل عن مكان جلوس الإمام النووي فدل عليه فصار يمرغ وجهه وحيته عليه وأنشد:

وفي دار الحديث لطيف معنى	أصلي في جوانبها وآوي
لعلي أن أمس بحر وجهي	مكانا مسه قدم النواوي

[1581] أخرجه البخاري (5528/5).

[2591] أخرجه النسائي (5232).

[3601] فتح الباري (313/10).

[4611] عمدة القاري (31/22).

[5621] المغامم المطابة في معالم طابه للفيروز آبادي ص (26).

[6631] أخرجه مسلم (7391).

وعن الربيع بن سلمان قال: إن الشافعي رحمه الله تعالى خرج إلى مصر فقال: لي: يا ربيع خذ كتابي هذا فامض به وسلمه إلى أبي عبدالله (أحمد بن حنبل) وأتني بالجواب قال الربيع فدخلت بغداد ومعني الكتاب فصادفت أحمد بن حنبل في صلاة الصبح فلما انتقل من المحراب سلمت إليه الكتاب وقلت له: هذا كتاب أخيك الشافعي من مصر فقال لي أحمد: نظرت فيه؟ فقلت: لا فكسر الخاتم فقرأ وتغرغرت عيناه فقلت له: إيش فيه يا أبا عبدالله؟ فقال: يذكر فيه أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقال له: (اكتب إلى أبي عبدالله فقرأ عليه السلام وقل له إنك ستمتحن وتدعى إلى خلق القرآن فلا تجبهم فسيرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة) قال الربيع: فقلت له: البشارة يا أبا عبدالله فخلع أحد قميصه الذي يلي جلده فأعطانيه فأخذت الجواب وخرجت إلى مصر وسلمته إلى الشافعي فقال: إيش الذي أعطاك؟ فقلت: قميصه فقال الشافعي: ليس نفعك به ولكن بله وادفع الي الماء لأتبرك به⁽⁶⁴¹⁾. وفي رواية: قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: لا نبتاعه منك ولا نستهديه ولكن اغسله وجئنا بهائه قال: فغسلته فحملت ماءه إليه فتركته في قنية وكنت أراه في كل يوم يأخذ منه ويمسح على وجهه تبركا بأحمد بن حنبل⁽⁶⁵²⁾.

وروي عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى (أنه غسل قميصاً للشافعي وشرب الماء الذي غسله به) ⁽⁶⁴²⁾ كان هذا تعظيمهم لأهل العلم فكيف بمقادير الصحابة؟ أو كيف بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟!

وجاء في كتاب (الحكايات المنثورة) للإمام الحجة ضياء الدين المقدسي رحمه الله تعالى قال: (سمعت الشيخ الإمام أبا محمد عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي يقول: خرج في عضدي شيء يشبه الدممل وكان يبرأ ثم يعود ودام بذلك زماناً طويلاً فسافرت إلى أصبهان وعدت إلى بغداد وهو بهذه الصفة فمضيت إلى قبر الإمام أحمد رضي الله عنه وأرضاه ومسحت به القبر فبرأ ولم يعد⁽⁶⁶³⁾).

⁽⁶⁴¹⁾ أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق (170/7).

⁽⁶⁵¹⁾ أخرجه ابن الجوزي في مناقب أحمد بن حنبل ص (456).

⁽⁶⁶¹⁾ الحكايات المنثورة (3834).

والشواهد كثيرة وإنما أردت بها ذكرته الاستشهاد والاستدلال ولم أرد الاستقصاء ومن لم ينفعه القليل
لا ينفعه الكثير والله أعلم.

الخاتمة

والحاصل من هذه الأحاديث والآثار هو أن التبرك به صلى الله عليه وآله وسلم وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه وكذلك التبرك بالصحابة والصالحين وكل ما هو منسوب إليهم سنة مرغوبة وطريقة حمودة مشروعة ويكفي في إثبات ذلك فعل خيار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وتأييد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لذلك بل وأمره مرة وإشارته أخرى إلى فعل ذلك وقد تبين أن كثيرا من الصحابة الكرام كانوا على هذا المسلك كسيدنا ابن عمر والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم - آآآ سلمة وخالد بن الوليد ووائلة بن الأسقع وسلمة بن الأكوع وأنس بن مالك وأم سليم وأسيد بن حضير وسواد بن غزية وسواد بن عمرو وعبدالله بن سلام وأبو موسى وعبدالله بن الزبير وسفيته مولى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسرة خادم أم سلمة ومالك بن سنان وأسما بنت أبي بكر وأبو محذورة ومالك بن انس وأشياخه من أهل المدينة كسعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد وأحمد بن حنبل والشافعي رضي الله عنهم أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الحضرة

* الحضرة: هي حضور القلب مع الله .

* وهي الركن الهام في طريق القوم.

وهذا الركن هو الاجتماع على ذكر الله عز وجل تحت إمامة الشيخ أو وكيله المسمى بالمقدم يبدأ بتلاوة القرآن الحكيم ، ثم تنشأ أناشيد من أقوال العارفين بالله المأخوذة بما فيها من القرآن والسنة وأفهام العلماء بالله مثل الشيخ عبدالغني النابلسي وابن الفارض ثم تقوم الجماعة للذكر ويقون على حالة

الذكر حتى يأذن الشيخ أو المقدم بختامها وبعد ذلك يقرأ أحد الإخوة بعض الآيات من القرآن الحكيم ويتم تفسيرها من قبل الشيخ أو وكيله.

وإن الحضرة منقولة ومتوارثة عن كبار الأشياخ العاملين فهي مقررة في كتبهم ومظهر من مظاهر التصوف في سلوك طريقهم عند سيدي أحمد الرفاعي (انظر البرهان المؤيد) والجنيد والجيلاني والشاذلي والشعراني والحاتمي والقشيري وغيرهم رضي الله عنهم.

الأصل فيها ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾⁽¹¹⁾.

والاصطلاح على كفيتهما هو من باب البدعة الحسنة.

• وفي كتاب (النصرة النبوية لأهل الطريقة الشاذلية للشيخ مصطفى حبش المدني)⁽¹²⁾:

إن القوم لما كان جل قصدهم ذكر الله في سائر أوقاتهم أوجب لهم اشتغال أنواره في بواطنهم وأجسادهم فجعلوا حلقة الذكر والجهر به دواء لحالهم وسببا لنشاطهم واسر تواحوا لقلوبهم وزيادة على السير إلى مقصودهم ولسريان المدد بينهم وجمع الهمة على محبوبهم ورداء الكسل والفتور والنوم وسدا لباب الغفلة الموجب للمعاصي وجعلوا حلقة الذكر الجهري كيفية وشروطا وآدابا.. أه باختصار.

• وكل ذلك معروف عند من سلك طريق القوم.

وجواز حلق الذكر شرعا بشكل جماعي جهرا وقياما مأخوذ من قوله تعالى ﴿الذين يذكرون الله

قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾⁽³³⁾ فالذين تدل على الجماعة وقياما تدل على جواز الذكر واقفا.

وقال تعالى في الذكر الجماعي ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة

وأصيلا﴾⁽⁴⁴⁾.

• وأما الأحاديث التي وردت في فضيلة الذكر فكثيرة منها ما يلي:

(11) سورة آل عمران الآية (191).

(12) 0 (173).

(33) سورة آل عمران الآية (191).

(44) سورة الأحزاب الآية (41 - 42).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ليبعثن الله أقواما يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء فجثا أعرابي على ركبته وقال: يا رسول الله حلهم لنا نعرفهم فقال عليه الصلاة والسلام هم المتحابون في الله من قبائل شتى ومن بلاد شتى يجتمعون على ذكر الله»⁽⁵¹⁾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فقالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر»⁽⁶²⁾.

وورد في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول «إن لله ملائكة سياحين يتطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليها حفوا بها فيقول الله: غشوههم برحمتي فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم».

• وفي الرواية المطولة: «إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاً يتبعون مجالس الذكر، فإن وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضاً بأجنتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين سماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك في الأرض يسبحونك ويهللونك ويمجدونك وفي رواية البخاري ويمجدونك ويسألونك...»⁽⁷³⁾.

• ويستفاد من هذا الحديث أيضاً: أن المقصود من الذكر هو ما فسرتة الملائكة من التسبيح والتهليل والتحميد وليس المراد العلم كما يظنه بعض المسلمين.

وعن سيدنا معاوية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا قال: آله ما أجلسكم إلا ذلك، قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذلك قال: أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة⁽⁸⁴⁾.

⁽¹⁵¹⁾ أخرجه الطبراني بإسناد حسن وانظر الترغيب والترهيب (2/406-21/4).

⁽²⁶⁾ أخرجه أحمد (3/150) والترمذي (3510) وقال حديث حسن غريب وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (2/407 - 408).

⁽³⁷⁾ أخرجه البخاري (6408) ومسلم (6780) والترمذي (3600) وأحمد (251/1).

⁽⁴⁸⁾ أخرجه مسلم (6797) والترمذي (3379) والنسائي (5441) وأحمد (92/4).

وعن ثابت البناني قال: إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله وإن عليهم الآثام أمثال الجبال وإنهم ليقومون من ذكر الله تعالى ما عليهم من شيء.

صلى الله عليه وآله وسلم: «ما جلس قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة...»⁽⁹¹⁾.

وسئل الإمام السيوطي عن حلق الذكر والجهر في المساجد فقال: لا كراهة فيه وجوز ذلك العز بن عبدالسلام والبلقيني وغيرهم كثير.⁽¹⁰²⁾

والحاضرة: لفظ اصطلاح عليه أهل التصوف ومعنى الحاضرة: حضور القلب مع الله تعالى وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (حلق الذكر) وسماها أيضا (مجالس الذكر) كما مر معنا ويأتي أناس يسمونها كذا وكذا وهذا لا يهم فلا مشاححة في المصطلحات المهم أن يكون مجلس الذكر أو حلقة الذكر أو الحاضرة خالية من المخالفات الشرعية وربنا سبحانه وتعالى قال ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ فلم يقيد أحدا بحالة معينة وقال أيضا ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ وبهذه الآية: جعل الذاكرين في راحة كاملة لم يقيدهم بحالة واحدة وتكلم بلسان الجمع فيمكن أن يذكروا الله جماعة قياما وقعودا وعلى جنوبهم على حسب الهيئة التي تناسب الذاكرين ولم يقيدهم بحالة مخصوصة ويوم مخصوص وبساعة مخصوصة فإذا فتح ربنا باب الذكر على مصراعيه فلماذا يأتي أحدهم ويقيد باب الذكر بحالة مخصوصة...؟

فالله وحده أعلم وأرحم.⁽¹¹³⁾

ويقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى: والذين يتداعون إلى هذه الحلقات ويحضرونها يحتجون بالعموم الذي يدل عليه قول الله عز وجل: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾⁽¹²⁴⁾.

وهو عموم بين لا يخرج عن نطاقه إلا إذا أخرجه نص آخر من طريق الاستثناء والتخصيص.

⁽¹⁹⁾ أخرجه مسلم (2700) والترمذي (3378) وأحمد (447/2) وأبو يعلى (1252) وعبدالرزاق (20577).

⁽¹⁰⁾ حقيقة الصوفية.

⁽¹¹⁾ السلفية للدكتور محمد سعيد البوطي ص 192.

⁽¹²⁾ سورة آل عمران الآية (191).

وكما أنه لم يرد نص بتحديد حالة أو وقت معين له كذلك لم يرد نص يأمر بتجنب حالة مخصوصة أو وقت محدود له⁽¹³¹⁾.

• والخلاصة:

أن غالب طرق التربية والإرشاد لا تخلو من الحضرة كمظهر من مظاهرها وذلك للنفع الحاصل فيها من ذكر الله عز وجل ومراقبته ونزول الرحمات بذكر الصالحين فيها والإرشاد الحاصل بالسماع والإنشاد والبركة الحاصلة بالحركة فهي مما سنه السادات العارفون ولا دليل لمنكرها لأن الأصل في الأشياء الإباحة حيث لا تعارض أصلاً بل هي سبيل لتحريك القلب والتوجه به نحو ربه سبحانه⁽¹⁴²⁾.

الحركة في الذكر

تمهيد:

الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد وعندما برزت الأجساد إلى عالم الوجود أودعت تلك الأرواح فيها.

والروح من طبعها السمو والتعالي عن صفات البشرية بل هي من مرافقات الملائكة فمن صفت روحه من شوائب الأغيار وطهرت من دنس الأوزار كان قريباً إلى العالم الروحاني الذي لا يغفل فيه عن ربه ولا يلتفت إلا إليه .

⁽¹³¹⁾ كتاب السلفية ص (92).

⁽¹⁴²⁾ كتاب الإبريز (180/2).

ومن انكسفت أنوار روحه وغشتها ظلمات الوهم والشهوات هوى في واد سحيق عميق من أودية
البهيمية قال تعالى : ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾⁽¹¹¹⁾.

وحينما يقرأ العبد القرآن أو يذكر الله تستمد الروح من ذلك طاقات فعالة وتكتسب قوة وصفاء
فتهتز في الجسم وتضطرب شوقاً لمن ألفتهم من يوم ﴿ألست بربكم﴾⁽¹²²⁾.
وهذا هو سبب تحريك الإنسان رأسه حال الذكر وتلاوة القرآن فكأن الروح تشتاق إلى القرب من
حضرة ربها إذا سمعت كلامه أو اسمه فتكاد تلحق بعالمها وأفقها السماوي الروحاني حيث الملاء
الأعلى وتتجرد من ظلمة هذا الجسد وتتخلص من عوائقه ولكن الذي يعوقها ضعفها وكدورتها
والقيود التي قيدها بها الجسد من شهوات وغيرها.

فكم من رجال ملائكيين بأرواحهم ربانيين بأخلاقهم لا يقدرّون على تثبيت أنفسهم أثناء الذكر
لشدة اضطراب أرواحهم في أجسادهم وانفعال نفوسهم وربما غابوا عن إدراكهم وسبحت
أرواحهم في عالم الملكوت.

قال بعض العارفين: سبب اضطراب الإنسان بالصوت الحسن أن الروح تتذكر لذيد الخطاب يوم
(ألست بربكم) حين أخرجت من صلب آدم وخوطبت بذلك فتحن لما تتذكر ذلك⁽¹³³⁾.

ومن الأمور المسلم بها أن الإنسان يتأثر بالكلمة الطيبة ويهتز للصوت الرخي ويضطرب للنغمة
الحلوة والإيقاع الموزون ويأسره المنظر البهيج ولا يدري كيف تتم هذه الأمور في نفسه؟ وأين محالها
في ذاته؟ فإن أراد التعبير عنها باللغة الموضوعية للتخاطب جاء تعبيره ناقصاً وتخونه العبارة إذا أراد
أن يفصح عما يشعر به إفصاحاً واقعياً لأنها أمور لا تنال إلا بالذوق ويقف الحس أمامها مبهوراً
حائراً قد لا يستطيع ضبط نفسه عن ذلك التأثير فتصدر عنه أصوات أو حركات دون إرادته وقد
ينتقده الآخرون عليها وينفعل بذلك ولكنه لا يملك التحكم بمشاعره وانفعالاته.

(111) سورة الفرقان الآية (44).

(122) سورة الأعراف الآية (172).

(133) تنبيه الفكر إلى حقيقة الذكر ص (51).

وهكذا يستولي حب الذكر على قلب صاحبه استيلاء قويا ويتمكن منه تمكنا لا يستطيع ضبط نفسه عنده وهذا ما عبر عنه العلماء (الوجد والتواجد) فالوجد كما قال الشيخ أمين الكردي في (تنوير القلوب) وارد يرد على القلب من كشف أسرار الذات وأنوارها فيدهش الروح أو يظهر ذلك على الجوارح فيهتز الرأس والبدن قال تعالى ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾⁽⁴¹⁾.

وورد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صعد أحدا يوما ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فاهتز الجبل فرحا وتحرك طربا وزهوا بمن علاه فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برجله وقال (أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان) وقال (إن أحدا جبل يحبنا ونحبه)⁽⁵²⁾.

إن الجبال الرواسي قد طربت واهتزت فرحا برسول الله ومحبة فيه فكيف حال المؤمن الصادق الذي وله بذكر محبوبه واستولى حبه على قلبه؟ وعلينا تحسين الظن بالناس وكل أعلم بنفسه ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾⁽⁶³⁾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾⁽⁷⁴⁾ ﴿﴾⁽⁸⁵⁾.

* أدلة الحركة في الذكر من القرآن الكريم

يقول الله تعالى ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾⁽⁹⁶⁾.

قال الألوسي في تفسيره عند قوله تعالى ﴿يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ بعد كلام طويل⁽¹⁰⁷⁾: وعليه فيحمل ما حكى عن ابن عمر رضي الله عنهما وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله عنهم من أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم ، أما قال الله تعالى ﴿يذكرون الله قياما وقعودا﴾ فقاموا يذكرون الله تعالى على أقدامهم على أن مرادهم بذلك التبرك بنوع موافقة للآية في ضمن فرد من أفراد مدلوها.

⁽¹⁴⁾ سورة الحديد الآية (16).

⁽²⁵⁾ أخرجه مطولا ومختصرا مالك (889/2) في الجامع البخاري (2889) a(2893) a(3367) a(6363) a(7333) ومسلم (1393) وأحمد (140/3- 149) والترمذي (3922) وابن ماجه (3115) وعبدالرزاق (17170).

⁽⁶⁾ سورة القيامة الآية (14).

⁽⁷⁾ تنبيه الفكر ص (57).

⁽⁸⁾ سورة الحجرات الآية (12).

⁽⁹⁾ سورة آل عمران الآية (191).

⁽¹⁰⁾ تفسير الألوسي الكبير روح المعاني (140/4).

ويقول العلامة الكتاني: غاية الرقص عند القوم ذكر من قيام وهو مشروع بنص القرآن الكريم ﴿يذكرون الله قياما وقعودا﴾ والتمايل والاهتزاز منقول عن الصحابة فقد روى أبو نعيم عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى أنه قال: (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا ذكروا الله تمايلوا كما تمايل الشجرة بالريح العاصف إلى أمام ثم تراجع إلى وراء)⁽¹¹¹⁾.
 ويقول سبحانه وتعالى ﴿فإذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾⁽¹¹²⁾.
 وقال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن: ذكر الله تعالى ثلاث هيئات لا يخلو ابن آدم منها في غالب أمره فكأنها تحصر زمانه ومن هذا المعنى قول عائشة رضي الله عنها (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكر الله على كل أحيانه)⁽¹¹³⁾... إلى أن قال فذاكر الله تعالى على حالاته مثاب مأجور إن شاء الله⁽¹¹⁴⁾.⁽¹¹⁵⁾

• أدلة الحركة في الذكر من السنة الشريفة:

1 - عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر (أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم في الأرض أبدا) فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده وقال حسبك يا رسول الله ألححت على ربك فخرج وهو يثب بالدرع وهو يقول ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾⁽¹¹⁶⁾⁽¹¹⁷⁾.

⁽¹¹¹⁾ الترتيب الإدارية للعلامة عبدالحكي الكتاني (143/2).

⁽¹¹²⁾ سورة النساء الآية (103).

⁽¹¹³⁾ أخرجه مسلم (824) وأبو داود (18) وابن ماجه (302) وأحمد (70/6) وابن خزيمة (207) وأبو يعلى (4699) والبيهقي (90/1) وأبو عوانة (217/1) والبغوي (274) والبخاري (407/1) تعليقا وابن حبان (802) وقال: (قول عائشة يذكر الله على كل أحيانه أرادت به أن الذكر هو غير القرآن).

⁽¹¹⁴⁾ تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (311) 10/4.

⁽¹¹⁵⁾ فالاستدلال بعموم الآية الأولى والثانية التي تنص على جواز ذكر الله تعالى قياما وقعودا وعلى جنوبهم المراد من ذلك أنهم يذكرون الله على كل الأحيان والحالات كما ورد ذلك في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها كان يذكر الله على كل أحيانه وهذا من باب إطلاق النصوص وعموماتها ولم يوجد نص آخر يخص هذا العموم أو يقيد هذا الإطلاق فيعمل بالمطلق على إطلاقه وبالعام على عمومته حتى يريد نص يخصه فإذا لم يرد نص يخصه لا يجوز إخراج فرد من أفراد مدلوله إلا بدليل وإخراج فرد من أفراده بدون دليل تحكم وتهمج على كتاب الله تعالى وتخصيص له بالرأي دون دليل.

⁽¹¹⁶⁾ سورة القمر الآيات (45-46).

⁽¹¹⁷⁾ أخرجه البخاري (3953) وفي تفسير ابن كثير (266/2) وأحمد (329/1).

الشاهد في جواز قراءة كلام الله سبحانه وتعالى في حالة الوثب وهو الظفر والقفز فجوزا ذكر الله تعالى في هذه الحالة من باب أولى.

2 - وعن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً على

باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد... إلى أن قالت: وهو صلى الله عليه وآله وسلم

يقول: «دونكم يا بني أرفده» حتى إذا مللت قال: «حسبك» قلت: نعم قال (فاذهبي)⁽¹⁸⁾.

وفي رواية عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: (كان الحبشة يرقصون بين يدي رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم ويقولون بكلام لهم: محمد عبد صالح فقال صلى الله عليه وآله وسلم (ماذا

يقولون؟) فقليل: يقولون: محمد عبد صالح)⁽¹⁹⁾.

قال ابن حجر العسقلاني عند شرحه: دونكم يا بني أرفدة: يقولون دونكم بالنصب على الظرفية

بمعنى الإغراء والمغزى به محذوف وهو لعبهم بالحراب وفيه إذن وتنهض لهم وتنشط⁽²⁰⁾.

ونقل العلامة الكتاني بعد أن ذكر عدداً من أحاديث رقص الحبشة قوله فيها دلالة على أنواع من

الرقص:

الأول: اللعب ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب.

والثاني: قوله عليه الصلاة والسلام: «دونكم يا بني أرفدة» وهذا أمر باللعب والتماس له فكيف

يقرر كونه حراماً.

والرابع: منعه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الإنكار والتغيير وتعليقه بأنه يوم عيد أو وقت

سرور.

والخامس: وقوفه طويلاً في مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة رضي الله عنها⁽²¹⁾.

⁽¹⁸⁾ أخرجه البخاري (949) ومسلم (2062).

⁽¹⁹⁾ أخرجه الإمام أحمد (152/3) وابن حبان (5870) وإسناده صحيح.

⁽²⁰⁾ فتح الباري (444/2).

⁽²¹⁾ التراتيب الإدارية (145 æ 44/2) وهو كلام الإمام الغزالي في الإحياء.

وقال العلامة الكتاني أيضا : (وحيث لم ينههم بل أقرهم وأغراهم فهو ذكر قصد به التعبد والطاعة وإظهار الفرح بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم فلذلك أقرهم عليه الصلاة والسلام وعجب من فعلهم ونالوا غاية الرضى منه)⁽²²¹⁾.

ونقل العلامة الكتاني من قول القاضي عياض ما نصه (فيه أقوى دليل على إباحة الرقص إذ زاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على إقرارهم أن أغراهم نقله المواق⁽²³¹²⁾ في سنن المهتدين والونشر يسي⁽²⁴³⁾ في المعيار وأقراه)⁽²⁵⁴⁾.

3 - وعن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت (جاء حبش يزفنون في يوم عيد في المسجد فدعاني النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوضعت رأسي على منكبيه انظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي انصرف عن النظر إليهم)⁽²⁶⁵⁾.

قال النووي في شرح صحيح مسلم عند شرح: (جاء حبش يزفنون في يوم عيد في المسجد (هو بفتح الياء وإسكان الزاي وكسر الفاء ومعناه يرقصون وحمله العلماء على التواثب بسلاحهم ولعبهم بحراهم على قريب من هيئة الراقص)⁽²⁷⁶⁾.

وقال حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى (والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط ولو كان حراما لما نظرت عائشة إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم يزفنون)⁽²⁸⁷⁾.

4 - عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الطريق إلى مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال: «سيروا هذا جمدان ، سبق المفردون» قالوا: وما المفردون يا رسول الله ؟ قال: «الذاكرون الله كثيرا»⁽²⁹¹⁾).

⁽¹²²¹⁾ الترتيب الإدارية (143/2).

⁽²²³¹⁾ المواق: هو محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدي الغرناطي أبو عبد الله المواق فقيه مالكي وكان عالم غرناطة وإمامها وصالحها في وقته . توفي عام (897هـ).

⁽³²⁴⁾ الونشر يسي هو أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني أبو العباس فقيه مالكي.

⁽⁴²⁵⁾ الترتيب الإدارية (143/2).

⁽⁵²⁶⁾ أخرجه مسلم في صحيحه (2063).

⁽⁶²⁷⁾ شرح صحيح مسلم للنووي (486/6) (425-426).

⁽⁷²⁸⁾ إحياء علوم الدين (304/2).

وفي رواية (يا رسول الله وما المفردون؟ قال «المستهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا»^{[30]2}).

(والمستهترون بصيغة اسم الفاعل: هم المولعون بالذكر المداومون عليه لا يبالون ما قيل فيهم ولا فعل بهم)^{[31]3}.

5 - وعن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكر الله في كل أحيانه^{[32]4}.

6 - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (أكثرُوا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون) وفي رواية (حتى يقال إنه مجنون)^{[33]5} الشاهد فيه أن الذكر لله تعالى إن كان ساكنا لا موجب لقول الناس عنه مجنون لو لم ير بحالة وهيئة تدفع غيره من الغافلين إلى إلقاء تهمة الجنون عليه.

7 - عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (اختصم علي وجعفر وزيد ابن حارثة في ابنة حمزة فقال لعلي: أنت مني وأنا منك فحجل علي وقال لجعفر بن أبي طالب أشبهت خلقي وخلقي فحجل وقال لزيد بن حارثة أنت أخونا ومولانا فحجل زيد... الحديث)^{[34]6}.

قال العلامة الكتاني (والحجل بحاء فجيم فلام رقص على هيئة مخصوصة)^{[35]7}.

^{[1]29} أخرجه مسلم في صحيحه (6749) وأحمد (411/2) (323/2) كما في صحيح ابن حبان (858) والحاكم (495/1) والبيهقي في شعب الإيمان (314/1) والطبراني في الأوسط (2794).

^{[2]30} أخرجه الترمذي (3596) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (16759).

^{[3]31} وقد يقول قائل: إن النبي ﷺ، والصحابة والتابعين لم يفعلوا ذلك وعد فعلهم دليل على عدم جوازه والجواب على ذلك انه قد مر إثبات جواز ذلك بالكتاب والسنة قولاً في حديث الحبشة لأنه عليه الصلاة والسلام أغرمهم وقال (دونكم يا بني أرفدة) وفعلوا في حديث عائشة: (كان يذكر الله على كل أحيانه) وإقراراً في حديث الحبشة وحجل سيدنا علي وجعفر وزيد ثم إن النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة ﷺ كانوا منصرفين للجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الإسلام والفتوح ولم يكن وقتهم متسعاً لفعل كل مفردات هذه الكليات فيكفي أنهم فعلوا بعضها وأقروا بعضها وجاء ذكر عمومها في القرآن الكريم.

^{[4]32} مر تخريجه في الباب نفسه.

^{[5]33} أخرجه أحمد (68/3) وابن حبان (817) والحاكم (499/1) وصححه ووافقه الذهبي كما في كشف الخفاء (187/1) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (16761) وأخرجه ابن عدي في الكامل (980/3) وابن السني (4) وعبد بن حميد (925).

^{[6]34} أخرجه أحمد (108/1) (98/1).

^{[7]35} الترتيب الإدارية (149/2).

وقال ابن حجر العسقلاني عند شرح الحديث: (وحجل بفتح المهملة وكسر الجيم أي وقف على رجل واحدة وهو الرقص بهيئة مخصوصة)^[361].

وقال فقيه السادة الشافعية بمكة المكرمة العلامة أحمد زيني دحلان رحمه الله تعالى في كتابه المشهور في السيرة النبوية عند ذكره الحديث ما نصه (فرقص يعني جعفر - رضي الله عنه من لذة هذا الخطاب فلم ينكر عليه صلى الله عليه وآله وسلم وجعل ذلك أصلا لرقص الصوفية عندما يجدون لذة المواجيد في مجالس الذكر والسماع)^[372].

8 - وروى أبو نعيم عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى أنه قال: (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا ذكروا الله تمايلوا يميناً وشمالاً كما تمايل الشجرة بالريح العاصف إلى أمام ثم إلى وراء)^[383].

9 - وعن أبي أراكة يقول: صليت مع علي رضي الله عنه صلاة الفجر فلما انتقل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قدر رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال: (والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فما أرى اليوم شيئاً يشبههم لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبراً بين أعينهم كأمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يترأفون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا فذكروا الله ما دوا كما يמיד الشجر في يوم الريح وهملت عيونهم حتى تبل ثيابهم...)^[394].

أقوال العلماء في الحركة في الذكر:

• الإمام السيد الكبير أحمد الرفاعي قدس الله سره:

قال رضي الله عنه: القوم سمعوا وطابوا ولكنهم سمعوا أحسن القول فاتبعوه وسمعوا غير الحسن فاجتنبوه تحلقوا وفتحوا مجالس الذكر وتواجدوا وطابت نفوسهم وصعدت أرواحهم

[361] فتح الباري (504/7).

[371] السيرة النبوية والآثار الحمديدية لزيني دحلان على هامش السيرة الحلبية (252/2).

[381] التراتيب الإدارية (141/2).

[391] كذا في البداية والنهاية لابن كثير (6/8) وأخرجه أبو نعيم في الحيلة (76/1) وابن عساكر في الكنز (219/8) كما في حياة الصحابة (49/1).

لاحت عليهم بوارق الإخلاص حالة ذكرهم وسماعهم وترى أن أحدهم كالغائب على حال الحاضر كالحاضر على حال الغائب يهتزون اهتزاز الأغصان التي تحركت بالوارد لا بنفسها يقولون لا إله إلا الله ولا تشغل قلوبهم بسواه.

يقولون: هو وبه لا غيره يتباهون إذا غناهم الحادي يسمعون منه التذكار فتعلوا همتهم في الأذكار. ولك أن تقول يا أخي: الذكر عبادة فما الذي أوجب أن يذكر في حلقة كلام العاشقين وأسماء الصالحين؟

ولكن يقال لك: الصلاة أجل العبادات يتلى فيها كلام الله وفيه الوعد والوعيد ويقال في تحية الصلاة (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) ما أشرك المصلي ولا خرج عن بساط عبادته ولا عن حد عبوديته وكذلك الذائر سمع الحادي يذكر اللقاء فطاب بطلب لقاء ربه.

(من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه)⁽⁴⁰¹⁾.

سمع الحادي يذكر الفراق فتأهب للموت وتفرغ من حب الدنيا: (حب الدنيا رأس كل خطيئة)⁽⁴¹²⁾.

سمع الحادي يذكر الصالحين فتقرب بحب أحباب الله إلى الله هذه من الطرق إلى الله التي هي بعدد أنفاس الخلائق:

غنى بهم حادي الأجابة في الدجى	فأطار منهم أنفسا وقلوبا
فأراد مقطوع الجناح بشينة	وهو أرادوا الواحد المطلوبيا

سمى القوم الهز بالذكر رقصا!! إذا كان وارد الهزة من الروح فنسبه الرقص للروح لا للجسم وإلا

فأين الراقصون؟ وأين الذاركون؟

طلب هؤلاء حق وطلب هؤلاء ضلال؟

⁽⁴⁰¹⁾ أخرجه البخاري (6507) ومسلم (6761) والترمذي (2307) والنسائي (1837).

⁽⁴¹¹⁾ أخرجه البيهقي في الحدي والسبعين من الشعب ، بإسناد حسن إلى الحسن البصري رفعه مرسلا وهو أبي نعيم في مكاييد الشيطان له عن مالك بن دينار وقيل إنه من قول جندب البجلي .

الراقصون كذابون والذاكرون مذكورون بين الملعون والمحجوب بون^(1[42]) عظيم إذا دخلتم مجالس الذكر فراقبوا المذكور واسمعوا بأذن واعية.

وإذا ذكر الحادي أساء الصالحين فألزموا أنفسكم اتباعهم لتكونوا معهم (المرء مع من أحب)^(2[43]) أوجبوا عليكم التخلق بأخلاقهم خذوا عنهم الحال والوجد الحق الوجد الحق : وجدان الحق .
فها هو سيد الطائفة قد بين لنا صدق قصد الذاكرين حينما يهتزون في الذكر متبرئا بذلك من كل ما ينسب إليه والى أتباعه من الظنون الكاذبة والدعاوي الباطلة.

• الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى:

سئل الحافظ ابن حجر المحدث الكبير عن رقص الصوفية وهل له أصل وهل رقص أحد بحضرة الرسول صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه؟

قال: نعم ، إن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قال له : أشبهت خلقي وخلقي وذلك من لذة الخطاب ولم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو في مصطلح الحديث إقرار والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يسكت عن حرام أو مكروه.

وأفتى بجواز الرقص عند سؤال أحد الحاضرين في مجلسه فقال: يجوز الرقص بدليل فعل الحبشة في المسجد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان رقصهم بالوثبات والوجد وإنشاد الشعر جائز بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصل هذه الطرائق من الكتاب والسنة الحاثين على كثرة ذكر الله والاجتماع على محبة الله أما سب المشايخ وتكفيرهم فكفر شرعا بلا خلاف^(3[44]).

• الإمام خير الدين الرملي رحمه الله تعالى:

(1[42]) البون: البعد (مختار).

(2[43]) رواه البخاري (6168) ورواه مسلم (2640) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكره أبو داود (5127) والترمذي

(3535) بروايات مختلفة زيادات عن أنس وأبي موسى وأبي ذر وصفوان بن عسال.

(3[44]) السيف القاطع للسيوطي والإلهامات الإلهية للشيخ محمود أبي الشامات.

سئل العلامة خير الدين الرملي عما اعتاده الصوفية من حلق الذكر والجهر في المساجد ونشر

القصاصد وغير ذلك من عوائدهم فأجاب : إن الأمور بمقاصدها والأعمال بالنيات.⁽¹⁴⁵⁾

• الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى :

جاء في الحاوي للفتاوى ما يلي : مسألة : في جماعة صوفية اجتمعوا في مجلس ذكر ثم إن شخصا من الجماعة قام في المجلس ذاكرا واستمر على ذلك الوارد الذي حصل له فهل له ذلك سواء باختيار أم لا؟ وهل لأحد منعه وزجره من ذلك؟

فالجواب: لا إنكار عليه في ذلك ، وقد سئل عن هذا السؤال بعينه شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني⁽¹⁴⁶⁾ فأجاب بأنه لا إنكار عليه في ذلك وليس لمانع التعدي بمنعه ويلزم المتعدي بذلك التعزيز وسئل عنه العلامة برهان الدين الأنباسي فأجاب بمثل ذلك وزاد أن صاحب الحال مغلوب والمنكر محروم ما ذاق لذة التواجد ولا صفا له المشروب إلى أن قال في آخر جوابه: وبالجملة فالسلامة في تسليم حال القوم.

واجاب أيضا بمثل ذلك بعض أئمة الحنفية والمالكية كلهم كتبوا على هذا السؤال بالموافقة من غير مخالفة أقول وكيف ينكر الذكر قائما والقيام ذاكرا وقد قال الله تعالى ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾⁽¹⁴⁷⁾ وقالت عائشة رضي الله عنها (كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذكر الله على كل أحيانه)⁽¹⁴⁸⁾ وإن انضم إلى هذا القيام رقص أو نحوه فلا إنكار عليهم فذلك من لذات الشهود أو المواجيد وقد ورد في الحديث رقص جعفر بن أبي طالب بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما قال له (أشبهت خلقي وخلقي)⁽¹⁴⁹⁾ وذلك من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكان ذلك اصلا في رقص الصوفية لما يدركونه من لذات المواجيد

⁽¹⁴⁵⁾ حقيقة الصوفية ص (108 - 109).

⁽¹⁴⁶⁾ هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكتاني العسقلاني الأصل ثم البلقيني المصري الشافعي أبو حفص سراج الدين،

⁽¹⁴⁷⁾ سورة آل عمران الآية (191).

⁽¹⁴⁸⁾ تقدم تخرجه في هذا الباب (178).

⁽¹⁴⁹⁾ تقدم تخرجه في هذا الباب (182).

وقد صح القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من كبار الأئمة منهم شيخ الإسلام العز بن عبد السلام⁽⁵⁰¹⁾.

• العلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى:

يقول الإمام ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى (وكل حركة في العالم العلوي أو السفلي فأصلها المحبة...)

فلولا الحب ما دارت الأفلاك وتحركت الكواكب النيرات ولا هبت الرياح المسخرات ولا مرت السحب الحاملات ولا تحركت الكواكب النيرات ولا تحركت الأجنة في بطون الأمهات ولا انصدع عن الحب أنواع النبات واضطربت أمواج البحار الزاخرات ولا تحركت المدبرات والمقسمات ولا سبحت بحمد فاطرها الأرضون والسموات وما فيها من المخلوقات⁽⁵¹²⁾.

وقال أيضا: (والتكلف والتعامل في أوائل الطريق والسلوك لا بد منه إذ لا يطالب صاحبه بما يطالب به صاحب الحال ومن تأمله بنية حصول الحقيقة لمن رصد الوجد لا يذم والتواجد يكون بما يتكلفه العبد من حركات ظاهرة)⁽⁵²³⁾.

• الإمام النووي رحمه الله تعالى:

ينص الإمام النووي عمدة المذهب الشافعي رحمه الله تعالى في كتابه (منهاج الطالبين وعمدة المفتين) بعد أن ذكر عددا من المحرمات نفى منها الرقص فيقول ما نصه:

(لا الرقص إلا أن يكون فيه تكسر كفعل المخنث).

فيقول الرملي⁽⁵³⁴⁾ في كتاب نهاية المحتاج في شرح المنهاج: (لا الرقص) فلا يحرم ولا يكره لأنه مجرد حركات على استقامة واعوجاج وإقراره صلى الله عليه وآله وسلم الحبشة في مسجده يوم عيد.

⁽⁵⁰¹⁾ الحاوي للفتاوى (128/7).

⁽⁵¹¹⁾ الجواب الكافي لابن القيم الجوزية ص (38).

⁽⁵²¹⁾ مدارج السالكين للإمام ابن القيم الجوزية (69/3).

⁽⁵³¹⁾ شمس الدين الرملي (919 - 1004هـ) مُجَدِّدٌ بن أحمد بن حمزة شمس الدين الرملي فقيه الديار المصرية في عصره ومرجعها في الفتوى يقال له: الشافعي الصغير ومولده ووفاته بالقاهرة ولي إفتاء الشافعية وجمع فتاوى أبيه وصنف شروحا وحواشي كثيرة.

ويقول عند قول النووي: (إلا أن يكون فيه تكسر^[541]) كفعل المخنث بكسر النون وهذا أشهر وهو أفصح فيحرم على الرجال والنساء وهو من يتخلق بخلق النساء حركة وهيئة^[552]).

وقال النووي في الروضة (والرقص ليس بحرام)^[563].

وتجدر الإشارة إلى خطأ من وقف عند كلمة: تكسر وأغمض عينيه عما قبلها وبعدها وفسر بانثناء الركبة فلو كان انثناء الركبة محرماً لذاته لحرم الرمل في الطواف والهرولة في السعي لأنه يتعذر على الإنسان المشي بدون ثني ركبة فكلمة تكسر استعملها الفقهاء لعدم وجود أي دليل يجرم الرقص مطلقاً من كتاب الله أو السنة المطهرة وإنما علة التحريم هي التشبه بالمخنثين والعلة تدور مع المعلول وجوداً أو عدماً والفقهاء عرفوا المخنث بأنه من يتخلق بخلق النساء حركة وهيئة كما ذكره الرملي في نهاية المحتاج.

غير أني لم أجد هذا المعنى المتعسف في أمهات اللغة العربية كلسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس وغيرها.

وجاء في المعجم الوسيط: (ويقال لان فيه تخنث وتكسر: تفكك ورأيته متكسراً فاتراً) والقاعدة الأولية تقول: إذا تعارض معنى شرعي ومعنى لغوي قدم المعنى الشرعي ولذا فلا يلتفت إلى هذا الادعاء.

• الإمام العلامة محمد السفاريني الحنبلي:

(نقل إبراهيم بن عبدالله القلانسي أن الإمام أحمد رضي الله عنه قال عن الصوفية: لا أعلم أقواماً أفضل منهم قيل: إنهم يستمعون ويتواجدون قال دعوهم يفرحون مع الله ساعة، قيل: فمنهم من يموت ومنهم من يغش عليه فقال: وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ذكره العلامة في الفروع)^[574].

[541] يفسر التكسر بالثني: وهو أن المرأة من عادتها إذا مشت في بيتها وامام زوجها أن تنثني يمينا ويسارا لأجل أن تلتفت نظر زوجها إليها بحركاتها كما تلتفت نظره إليها بجمالها ولباسها.

[551] 2) نهاية المحتاج في شرح المنهاج للرملي (8/282؛ 283).

[561] 3) روضة الطالبين للإمام النووي (11/229).

[571] 4) غداء الألباب لمحمد السفاريني (1/129).

• الإمام السيد أبو مدين رضي الله عنه :

يقول رحمه الله تعالى في بعض أبياته:

وقل للذي ينهى عن الوجد أهله	إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا
إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى اللقا	نعم ترقص الأشباح يا جاهل المعنى
أما تنظر الطير المقفص يا فتى	إذا ذكر الأوطان حن إلى المغنى
يفرج بالتغريد ما بفوائده	فتضطرب الأعضاء في الحس والمعنى
كذلك أرواح المحبين يا فتى	تهزها الأشواق للعالم الأسنى
أنلزمها بالصبر وهي مشوقة	وهل يستطيع الصبر من شاهد المعنى
فيا حادي العشاق قم واشد قائماً	وزمزم لنا باسم الحبيب وروحنا

• الإمام الشيخ السنوسي رحمه الله تعالى:

قال الشيخ السنوسي في نصره الفقير وغيره: (وقد تواتر النقل عن الصوفية قديماً وحديثاً شرقاً وغرباً أنهم كانوا يجتمعون لذكر الله ويقومون ويرقصون ولم يبلغنا عن أحد من العلماء المعتبرين^[581] أنه أنكر عليهم. وقد رأيت بفاس بزواوية الصقليين جماعة يذكرون ويرقصون من صلاة العصر يوم الجمعة إلى المغرب مع توفر العلماء فلم ينكر أحد عليهم وقد بلغني أن شيخنا شيخ الجماعة سيدي التاودي^[592] بن سودة كان يحضر معهم في بعض الأحيان)^[603].

• الإمام العلامة الكتاني رحمه الله تعالى:

يقول الإمام الكتاني رحمه الله تعالى في باب رقص الحبشة في المسجد النبوي أمامه عليه الصلاة والسلام ما نصه:

[581] بل لو استقرأنا تراجم العلماء منذ نشأة التصوف إلى الآن لوجدنا أكثرهم أو كلهم قد اتخذ مبدأ التصوف وعمل به والى فيه وكان من أتمته ولا يعتبر من شذ لعدم اطلاعه أو لعناده وجهله.
[592] هو محمد بن الطالب بن علي بن سودة التاودي (1111 - 1209هـ) المري الفاسي فقيه المالكية في عصره وشيخ الجماعة بفاس ذات شهرته بعد رحلة قام بها إلى مصر والحجاز.
[603] الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية ص (282 - 283).

(وقال القاضي عياض⁽⁶¹¹⁾): فيه أقوى دليل على إباحة الرقص إذ زاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على إقرارهم أن أغراهم) نقله المواق في سنن المهتدين والونشريسي في المعيار وأقراه.
وقال أيضا: (فإن الرقص الذي أثبتته الصوفية ليس قصدهم منه اللهو وحاشاهم من قصد ذلك وإنما قصدهم به الاجتماع على الذكر والإقبال عليه بالقلب والقالب واستغراق الجوارح كلها فيه)⁽⁶²²⁾.

• الإمام ابن ليون التجيبي⁽⁶³³⁾ رحمه الله تعالى:

وقال ابن ليون التجيبي ما نصه: (وأما الرقص في المسجد ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (جاء حبش من الحبشة يزفنون يوم عيدهم في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوضعت كفي على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم) قال ابن عيينة فثبت أن الرقص في أصله مباح ولو كان حراما لذاته ما رقصوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)⁽⁶⁴⁴⁾.

• الإمام العلامة ابن عابدين رحمه الله تعالى:

قال العلامة المرحوم محمد أمين عابدين في حاشيته الشهيرة (رد المحتار على الدر المختار):
بعد كلام ما نصه: (وخلاصة ما أجاب به العلامة النحرير ابن كمال باشا بقوله:

ولا التهايل إن أخلصت من بأس	ما في التواجد إن حققت من حرج
دعاه مولاه أن يسعى على الراس	فقمتم تسعى على رجل وحق لمن

الرخصة فيما ذكر من الأوضاع عند الذكر والسماع للعارفين الصارفين أوقاتهم إلى أحسن الأعمال
السالكين المالكين لضبط أنفسهم عن قبائح الأحوال فهم لا يستمعون إلا من الإله ولا يشاقون

⁽⁶¹¹⁾ القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو الحصري السبتي أبو الفضل عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم ولي قضاء سبته ومولده فيها ثم قضاء غرناطة وتوفي بمراكش عام (544هـ).

⁽⁶²²⁾ الترتيب الإدارية (1432/2).

⁽⁶³³⁾ هو سعيد بن أحمد بن ليون التجيبي أبو عثمان فقيه مالكي من علماء الأندلس وأدبائها المتقدمين له أكثر من مئة مصنفة توفي نحو عام (750).

⁽⁶⁴⁴⁾ الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية ص (282).

إلا له إن ذكره ناحوا وإن شكروه باحوا وإن وجدوه صاحوا وإن شهدوه استراحوا وإن سرحوا في حضرة قربه ساحوا إذا غلب عليهم الوجد بغلباته وشرّبوا من موارد إراداته فمنهم من طرقه بوارق الهيبة فخر وذاب ومنهم من برقت له بوارق اللطف فتحرك وطاب ومنهم من طبع عليه الحب من مطلع القرب فسكر وغاب هذا ما عن لي في الجواب والله أعلم بالصواب^[65].

وميز العلامة ابن عابدين في رسالته (شفاء العليل) بين الصوفية الصادقين السائرين على قدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبين الدخلاء المارقين وندد بالدخلاء على الصوفية واستعرض بدعهم ومنكراتهم في الذكر وحذر منهم ومن الاجتماع بهم ثم قال: (ولا كلام لنا مع الصدق من ساداتنا الصوفية المبرئين من كل خصلة ردية فقد سئل إمام الطائفتين سيدنا الجنيد: إن أقواما يتواجدون ويتمايلون؟ فقال: دعوهم مع الله تعالى يفرحون... إلى ان قال: ولا كلام لنا مع من اقتدى بهم وذاق من مشربهم ووجد من نفسه الشوق والهيام في ذات الملك العلام بل كلامنا مع هؤلاء العوام الفسقة اللثام...^[66]).

• الشيخ عبدالغني النابلسي رحمه الله تعالى:

قال الشيخ عبدالغني رحمه الله (حديث علي صريح بأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتحركون حركة شديدة في الذكر فثبت مطلقا إباحة الاهتزاز بهذا الأثر على ان الرجل غير مؤاخذ حين يتحرك ويقوم ويعقد على أي نوع كان حيث لم يأت بمعصية ولم يقصدها).

• الشيخ محمد سعيد البرهاني رحمه الله تعالى:

وقال العلامة المرحوم الشيخ محمد سعيد البرهاني في تعليقاته على الهدية العلائية: (ولا شك أن التواجد هو تكلف الوجد وإظهاره من غير أن يكون له وجد حقيقة ففيه تشبه بأهل الوجد الحقيقي وهو جائز بل مندوب شرعا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم (من تشبه بقوم فهو

^[65] حاشية الدر المختار لابن عابدين (259/3).

^[66] مجموعة رسائل ابن عابدين - الرسالة السابقة - شفاء العليل وبل العليل لخاتمة محققي الحنفية ابن عابدين رحمه الله تعالى ص (172 i

منهم)⁽¹⁶⁷⁾. وإنما كان المتشبه بالقوم منهم لأن تشبهه بهم يدل على حبه إياهم ورضاه بأحوالهم وأفعالهم وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم (إن الرجل إذا رضي هدي الرجل وعمله فله مثل عمله)⁽¹⁶⁸⁾. وذكر النووي رحمه الله تعالى أن في هذا الحديث فضل حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وحب الصالحين والأحياء والأموات إن لم تكونوا مثلهم فتشبهوا إن التشبه بالكرام فلاح... إلى أن قال: والحاصل أن تكلف الكمال من جملة الكمال والتشبه بالأولياء لمن لم يكن منهم امر مطلوب مرغوب فيه على كل حال)⁽¹⁶⁹⁾.

⁽¹⁶⁷⁾ أخرجه الطبراني في الأوسط (8323).

⁽¹⁶⁸⁾ أخرجه الطبراني في الكبير (922/17).

⁽¹⁶⁹⁾ هامش الهدية العلائية ص (234) باختصار.

وبعد فهذه الأدلة المستوفية والقاطعة الملزمة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قولاً وفعلاً وتقريراً وأخبار الصحابة وأعمالهم رضي الله عنهم وأقوال السادة العلماء سلفاً وخلفاً كافية شافية لشرح الصدر بالحركة في الذكر هذا وبالإضافة إلى أن الأمر بالذكر مطلق يشمل جميع الأحوال فمن ذكر الله تعالى قائماً أو قاعداً متحركاً أو ساكناً ماشياً أو واقفاً فقد قام بالمطلوب ومن المعلوم أن الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم من مشي تارة وركوب تارة أخرى ودعوة وغزوات وإلى غير ذلك من أعماله صلى الله عليه وآله وسلم كان يذكر الله فيها ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾⁽⁷⁰¹⁾.

والذي يدعي تحريم الحركة في الذكر أو كراهتها هو المطالب بالدليل لأنه يخصص بعض الحالات المطلقة دون غيرها بحكم خاص وعلى كل حال فإن الغاية من حلقات الذكر هي القيام بنوع من أنواع عبادة الله ألا وهي الذكر الذي استفاضت الأوامر الإلهية به وإن الحركة في ذلك ليست شرطاً ولكنها وسيلة للنشاط في تلك العبادة وتشبهاً بأهل الصفاء والوجد مع خلوص النبوة:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم	إن التشبه بالكرام فلاح
----------------------------	------------------------

والحمد لله رب العالمين

تقبيل اليد

عن سيدنا صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه: أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله قال: لا تقل نبي فإنه إن يسمعك تقول له نبي كانت له أربع أعين - كناية عن شدة

(701) سورة الحشر الآية (7).

سروره لأن السرور يزيد في حدة البصر والله أعلم - فأتيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألا عن قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾⁽¹¹⁾ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لا تشركوا بالله شيئا ولا تنزوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان - وفي رواية بدون ذي - فيقتله ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم اليهود خاصة ألا تعتدوا في السبة) فقبلا يديه ورجليه وقالوا: نشهد أنك نبي قال (فما يمنعكم أن تسلموا؟ قالوا إن داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي وإنما نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا اليهود)⁽¹²⁾.

وعن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان في سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فحاص الناس حيصة⁽³³⁾ فكنت فيمن حاص، قال فلما برزنا قلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟ قلنا: ندخل المدينة فنثبت فيها ونذهب ولا يرانا احد قال فدخلنا فقلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن كانت لنا توبة أقمنا وإن كان غير ذلك ذهبنا قال فجلسنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل صلاة الفجر فلما خرج قمنا إليه فقلنا نحن الفرارون فأقبل الينا فقال: (لا بل أنتم العكارون)⁽⁴⁴⁾ قال فدنونا فقبلنا يده فقال (أنا فئة المسلمين)⁽⁵⁵⁾.

وعن أم أبان بنت الوارع بن زراع عن جدها زراع رضي الله عنه وكان في وفد عبد القيس قال: لما قدمنا المدينة جعلنا نتبادر من رواحنا فنقبل يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورجله⁽⁶⁶⁾.

(11) سورة الإسراء الآية (101).

(12) أخرجه الترمذي (3144) وأحمد (239/4) وابن ماجه (2705).

(33) يقال: حاص الرجل إذا حاد عن طريقه أو انصرف عن وجهه إلى جهة أخرى.

(44) العكارون: العائدون إلى القتال.

(55) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (972) والترمذي (1716) وقال حديث حسن وابن ماجه (3704) وأحمد (23/2) والحميدي

(687) والبيهقي (101/7) مختصرا وابن أبي شيبه (536/12) وأبو يعلى (5597) وابن سعد (107/2/4).

(66) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (975) وفي التاريخ الكبير (447/3) وفي خلق أفعال العباد (28) وأبو داود (5225) والطبراني في

الكبير (5313) وأحمد (70/2) وحكم الحافظ في الفتح على الإسناد بأنه جيد (57/11).

وعن ابن جدعان قال ثابت لأنس: أمسست النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيدك؟ قال: نعم فقبلها⁽⁷¹⁾.

وعن سيدنا حبان بن واسع عن أشياخ من قومه رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدل الصفوف يوم بدر وفي يده قدح فمر بسواد بن غزية فطعن في بطنه فقال أوجعتني فأقدي فكشف صلى الله عليه وآله وسلم فاعتقه وقبل بطنه فدعا له بخير⁽⁸²⁾.

وعن سيدنا جابر رضي الله عنه أن سيدنا عمر رضي الله عنه قبّل يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم⁽⁹³⁾.

وعن الشعبي: أن زيد بن ثابت رضي الله عنه صلى على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فأخذ بركابها فقال زيد ابن ثابت رضي الله عنه خل عنك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال سيدنا ابن عباس رضي الله عنه هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقَبّل زيد بن ثابت يد عبدالله وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم⁽¹⁰⁴⁾.

وعن ثابت قال: كنت إذا أتيت أنسا رضي الله عنه يخبر بمكاني فأدخل عليه فأخذ بيديه فأقبلها فأقول: بأبي هاتين اليدين اللتين مستا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقبل عينيه وأقول: بأبي هاتين العينين اللتين رأتا رسول الله⁽¹¹⁵⁾.

وعن أبي مالك الأشجعي قال: قلت لابن أبي أوفى رضي الله عنه ناولني يدك التي بايعت بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فناولنيها فقبلتها⁽¹²⁶⁾.

⁽¹⁷⁾ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (974) وأحمد (111/3).

⁽²⁸⁾ أخرجه الإمام أحمد (427/2 - 488).

⁽³⁹⁾ أخرجه الحافظ ابن المقرئ الأصبهاني في جزء تقبيل اليد مخطوط (È/166).

⁽¹⁰⁾ أخرجه الحاكم (5808) وابن المقرئ في تقبيل اليد (مخطوط È/166).

⁽¹¹⁾ ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (111/2).

⁽¹²⁾ أخرجه الحافظ أبو بكر ن المقرئ الأصبهاني في جزء تقبيل اليد (مخطوط È/166).

وعن سيدنا الوزاع بن عامر رضي الله عنه قال: قدمنا فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذنا بيديه ورجليه وقبلها⁽¹³¹⁾.

وعن صهيب قال: رأيت عليا يقبل يد العباس ورجليه⁽¹⁴²⁾.

وقال حيان أبو النصر: قال لي وائلة بن الأسقع: قدني إلى يزيد بن الأسود فإنه بلغني أنه ألم به أي مرض فقدته فلما دخل عليه قلت: إنه ثقيل قد وجهه إلى القبلة وذهب عقله - غاب من سكرات الموت - فقال: نادوه فقلت هذا أخوك وائلة فجعلتها في يده فجعل يقبل كفه ويضعها مرة على فؤاده ومرة على وجهه وعلى فيه.

وعن عبدالرحمن بن رزين قال: مررنا بالربذة فقبل لنا ههنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه فأتيته فسلمنا عليه فأخرج يده فقال: بايعت بهاتين نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخرج كفاله ضخمة كأنها كف بعير فقمنا إليها فقبلناها⁽¹⁵³⁾.

وجاء في (فتح الباري) للعسقلاني: أن أبا لبابة وكعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم قبلوا يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين تاب الله عليهم⁽¹⁶⁴⁾.

وقال ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) في فتح بيت المقدس على يد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه... فلما وصل عمر بن الخطاب إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء كخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان فترجل أبو عبيدة وترجل عمر فأشار أبو عبيدة ليقبل يد عمر فهم عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة فكف أبو عبيدة فكف عمر⁽¹⁷⁵⁾.

من أقوال فقهاء المذاهب الأربعة

⁽¹³¹⁾ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (975).

⁽¹⁴²⁾ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (976).

⁽¹⁵³⁾ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (973).

⁽¹⁶⁴⁾ فتح الباري (48/11).

⁽¹⁷⁵⁾ البداية والنهاية (55/7).

المذهب الشافعي: قال العلامة العسقلاني في كتابه (فتح الباري) قال الإمام النووي: تقبيل يد الرجل لزهده وصلاحه وعلمه أو شرفه أو نحو ذلك من الأمور الدينية لا يكره بل يستحب فإن كان لغناه أو شوخته أو جاهه عند أهل الدنيا فمكروه شديد الكراهة⁽¹⁸¹⁾.

وقال العلامة البادوري في حاشيته "... ويسن تقبيل اليد لصلاح ونحوه من الأمور الدينية كعلم وزهد ويكره ذلك لغني ونحوه من الأمور الدنيوية كشوكة ووجاهه⁽¹⁹²⁾.

المذهب الحنفي: قال العلامة ابن عابدين في حاشيته: ولا بأس بتقبيل يد الرجل العالم المتورع على سبيل التبرك وقيل: سنة قال الشرنبلاني: وعلمت أن مفاد الأحاديث سنيتها أو ندبه كما أشار إليه العيني⁽²⁰³⁾.

وقال العلامة الطحاوي في حاشيته: .. وفي غاية البيان عن الواقعات: تقبيل يد العالم أو السلطان العادل جائز وورد في أحاديث ذكرها البدر العيني.. ثم قال: فعلم من مجموع ما ذكرناه إباحة تقبيل اليد...⁽²¹⁴⁾.

وقال العلامة الزيلعي في كتابه (تبين الحقائق): ... وفي الجامع الصغير: ورخص الشيخ الإمام شمس الأئمة السرخسي وبعض المتأخرين تقبيل يد العالم أو المتورع على سبيل التبرك.. وقال سفيان الثوري: تقبيل يد العالم أو يد السلطان العادل سنة⁽²²⁵⁾.

المذهب الحنبلي: قال العلامة الاسفاريني في كتابه (غذاء الألباب) قال المروزي: سألت أبا عبد الله - الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله عن قبلة اليد ، فقال: إن كان على طريق التدين فلا بأس وإن كان على طريق الدنيا فلا.

وقال أيضا: وفي الآداب الكبرى: وتباح المعانقة وتقبيل اليد والرأس تدينا وتكرما واحتراما مع أمن الشهوة.

[181] فتح الباري (48/11).

[192] حاشية الباجوري (116/2).

[203] حاشية ابن عابدين (254/5).

[214] حاشية الطحاوي (209).

[225] تبين الحقائق (25/6).

وقال أيضا: وقال الحافظ ابن الجوزي في مناقب أصحاب الحديث: ينبغي للطالب أن يبالغ في التواضع للعالم ويذل له، قال: ومن التواضع تقبيل يده وقبل سفيان بن عيينة والفضيل بن عياض أحدهما يد الحسين بن علي الجعفي والآخر رجله.

وقال أيضا: وقال أبو المعالي في شرح الهداية: أما تقبيل يد العالم والكريم لرفده فجائز⁽²³¹⁾، وقد علمت أن الصحابة قبلوا يد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند قدومهم من غزوة مؤتة⁽²⁴²⁾.

المذهب المالكي: قال العلامة العسقلاني في كتابه (فتح الباري) قال الإمام مالك: إن كانت على وجه التكبر والتعظيم فمكروهة وإن كانت⁽²⁵³⁾ على وجه القربة إلى الله لدينه أو لعلمه أو لشرفة فإن ذلك جائز⁽²⁶⁴⁾.

الأحاديث المعارضة للتقبيل والجواب عليها:

هناك أحاديث تدل بظاهرها على النهي عن التقبيل وهي:

عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله الرجل منا يلقي أخاه أو صديقه أينحنى له؟ قال: لا قال: أفيلترمه ويقبله؟ قال لا قال: فأياخذ بيده ويصافحه؟ قال: نعم⁽²⁷⁵⁾.

وأخرج الطبراني وأبو يعلى وابن عدي عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس إلى البزار فاشترى سراويل بأربعة دراهم وكان لأهل السوق وزان فقال له صلى الله عليه وآله وسلم «زن وأرجح؟» فقال الوزان: إن هذه الكلمة ما سمعتها من أحد قال أبو هريرة فقلت له: كفى بك من الوهن والجفاء ألا تعرف نبيك فطرح الميزان ووثب إلى يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يريد تقبيلها فجذب يده منه وقال هذا إنما تفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل منكم.

⁽²³¹⁾ الرفد: بكسر الراء العطاء والصلة.

⁽²⁴²⁾ غذاء الألباب (287/1).

⁽²⁵³⁾ أي قبلة يد الرجل.

⁽²⁶⁴⁾ فتح الباري (84/11).

⁽²⁷⁵⁾ أخرجه الترمذي (2728).

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه مرفوعاً: قبله المسلم أخاه المصافحة⁽²⁸¹⁾.
 فالجواب على هذه الأحاديث أنها ضعيفة لا تصلح للمعارضة: أما الحديث الأول منها فقد نقل
 الحافظ العراقي تضعيفه في المغني عن أحمد والبيهقي.
 وأما الحديث الثاني: فقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات وعن الدارقطني أنه قال: في الإراد:
 الحمل فيه على يوسف بن زياد لأنه مشهور بالأباطيل ولم يروه عن الإفريقي⁽²⁹²⁾ غيره، وعن ابن
 حبان أنه قال في الإفريقي: يروي الموضوعات عن الأثبات⁽³⁰³⁾.
 وأما الحديث الثالث: فقد قال ابن عدي عنه أنه غير محفوظ وأعله بأن عمراً روى عن عمه مناكير.
 وبما أن الأحاديث السابقة لم يثبت منها حتى حديث واحد فلا حاجة للعناء في تأويلها.
 وفيما ذكرناه كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

السيادة

ولنبداً من الأدلة بذكر قول الله عز وجل مطلقاً على سيدنا يحيى عليه الصلاة والسلام لفظ (سيد)
 حيث قال ﴿أن الله يشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيدا وحضوراً﴾⁽¹⁴⁾ أفصح إطلاق لفظ
 [السيد] على سيدنا يحيى عليه الصلاة والسلام دون سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفضله
 عليه وعلى بقية الأنبياء وسائر المخلوقات معلوم من الدين بالضرورة؟!
 على أننا لو نظرنا إلى عموم الآيات لوجدناها داعية إلى احترامه وتقديره عليه الصلاة والسلام
 ومنها قوله جل جلاله: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾⁽²⁵⁾ وهذا أمر منه

⁽¹²⁸⁾ ذكره السيوطي في الجامع الصغير (6090).

⁽²⁹⁾ أحد رواة الحديث.

⁽³⁰⁾ أي عن الثقات.

⁽¹¹⁾ الآية (39) من سورة آل عمران.

⁽¹²⁾ الآية (63) من سورة النور.

جل جلاله ولئن لم يكن الأمر للوجوب فلا أقل من أن يكون للندب وما تسويده صلى الله عليه وآله وسلم إلا ضرب من أضرب احترامه وتقديره وقد قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظاما لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك قال مجاهد وسعيد بن جبير وقال قتادة: أمر الله تعالى أن يهاب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأن يجل ويعظم وأن يسود (سيد) وقال مقاتل ومثله مالك عن زيد بن أسلم أمرهم أن يشرفوه⁽³¹⁾.

وأما ما ورد من الأحاديث فيها هو صلى الله عليه وآله وسلم يطلق على نفسه لفظ السيادة في الدنيا وينبئ عن سيادته يوم القيامة بشكل ظاهر جلي لا يقبل التأويل ولا التبديل فيما ينقله عنه:

1 - سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه قائلا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة)⁽⁴²⁾ وفي رواية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بزيادة: ولا فخر⁽⁵³⁾.
وفي رواية للبيهقي: «أنا سيد العالمين».

وفي رواية عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه: «أنا سيد الناس يوم القيامة»⁽⁶⁴⁾.

2 - وعن سيدنا سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: مررنا بسيل فدخلت فاغتسلت فيه فخرجت محموا فنمي ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لا رقى إلا في نفس أو حمة أو لدغة)⁽⁷⁵⁾.

فقد ناداه سيدنا سهل بلفظ يا سيدي ولم ينكر عليه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهذا دليل الإقرار وحاشا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقر أصحابه على ما فيه مخالفة شرعية.

⁽¹³⁾ تفسير ابن كثير (3/3060).

⁽²⁴⁾ رواه الإمام مسلم (5899) وأبو داود (4673) وأحمد (540/2).

⁽³⁵⁾ رواه الإمام أحمد (2/3) مطولا والترمذي (3148) مختصرا وأخرجه ابن ماجه (4308).

⁽⁴⁶⁾ رواه الإمام البخاري (3340) ومسلم (479) والترمذي (2434) وأحمد (331/2) وابن ماجه (2307) وفي الشمايل (167) وابن أبي شيبة (444/11) وابن خزيمة في التوحيد ص (242 - 244) وابن حبان (6265) والبعوي (4332) والنسائي في الكبرى تحفة الأشراف (14957/10).

⁽⁵⁷⁾ رواه الإمام أحمد (486/3) وأبو داود (3888) والنسائي في عمل اليوم والليلة (257) والحاكم (413/4) وقال صحيح وأقره

الذهبي.

- 3 - هذا وقد صح إطلاقه صلى الله عليه وآله وسلم لفظ السيادة على عدد من أصحابه وأتباعه فمن ذلك ما روته سيدتنا عائشة رضي الله عنها في قصة مجيء سعد بن معاذ ليحكم في بني قريظة قالت: قال صلى الله عليه وآله وسلم: «قوموا إلى سيدكم فأنزلوه...»⁽⁸¹⁾.
- قال الخطابي في شرح هذا الحديث: وفيه من العلم أن قول الرجل لصاحبه: يا سيدي غير محذور إذا كان خيرا فاضلا وإنما جاءت الكراهة في تسويد الرجل الفاجر.
- وفي رواية عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: (قوموا لسيدكم) من غير لفظة (أنزلوه)⁽⁹²⁾ وهذا القيام كان تعظيما لسيدنا سعد رضي الله عنه ولم يكن من أجل كونه مريضا وإلا قال: قوموا إلى مريضكم ولم يقل إلى سيدكم ولم يأمر الجميع بالقيام بل كان يأمر البعض.
- 4 - وعن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر والحسن بن علي على جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: إن ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)⁽¹⁰³⁾.
- 5 - وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالا⁽¹¹⁴⁾.
- وقال سيدنا أبي بكر يوم البيعة: بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ بيده وبايعه الناس⁽¹²⁵⁾.
- 6 - وورد في صحيح مسلم أن السيدة أم الدرداء تقول: أخبرني سيدي أبو الدرداء أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجاب⁽¹³⁶⁾.
- 7 - وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة⁽¹⁴⁷⁾.

⁽¹⁸⁾ رواه الإمام أحمد بسند صحيح (22/3) والبخاري (046.) وفي الأدب المفرد (945) ومسلم (4571) وأبو داود (5215).

⁽²⁹⁾ رواه الإمام البخاري (3043) وأبو داود (5215) وأحمد (22/3).

⁽¹⁰⁾ رواه الإمام البخاري (31/3) والترمذي (3773).

⁽¹¹⁾ رواه البخاري (32/3).

⁽¹²⁾ رواه البخاري (11/3).

⁽¹³⁾ رواه مسلم (39/15).

⁽¹⁴⁾ رواه الترمذي (3768) وقال حديث حسن صحيح ورمز له السيوطي بالصححة.

8 - وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين⁽¹⁵¹⁾.

9 - وقال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم : الحلیم سيد في الدنيا وسيد في الآخرة⁽¹⁶²⁾.

10 وقال صلى الله عليه وآله وسلم للسيدة الكريمة فاطمة الزهراء رضي الله عنها : (أما ترضين أن تكوني سيدة نساء الجنة)⁽¹⁷³⁾.

11 قال المقبري: كنا مع أبي هريرة رضي الله عنه فجاء الحسن بن علي رضي الله عنها فسلم فرد عليه القوم ومضى ومعنا أبو هريرة لا يعلم فقيل له: هذا حسن بن علي يسلم فلحقه فقال: وعليك يا سيدي فقيل له: نقول: يا سيد؟ فقال: أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إنه سيد)⁽¹⁸⁴⁾.

وحيث أطلق صلى الله عليه وآله وسلم لفظ السيد على السيدة فاطمة وعلى سيدنا سعد وسيدنا الحسن والحسين رضي الله عنها وسيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وعلى الحلیم مطلقا فإطلاقنا إياها عليه صلى الله عليه وآله وسلم أحق وأولى.

ولما مر من الأدلة قال جمهور المتأخرين من علماء أهل السنة والجماعة بجواز إطلاق لفظ السيادة على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل قال بعضهم: أنه مندوب وحيث لم يأت ما يخص هذه الأدلة والنصوص أو تقيدها فإنها تبقى على عمومها وإطلاقها فتشمل جميع الأوقات من صلاة وغيرها.

وها هو الإمام الفقيه ابن عابدين رضي الله عنه يقول في حاشيته موافقة لصاحب الدر وابن ظهيرة والرملی الشافعي في شرحه على منهاج النووي وغيرهم من العلماء قال: والأفضل الإتيان بلفظ السيادة.

⁽¹⁵¹⁾ رواه الترمذي (3664).

⁽¹⁶²⁾ ذكره السيوطي في الجامع الصغير (3831).

⁽¹⁷³⁾ أخرجه الترمذي (3781).

⁽¹⁸⁴⁾ أخرجه الطبراني في الكبير (2596) ورجاله ثقات كما في مجمع الزوائد (15049).

وورد في كتاب الأذكار للإمام النووي رحمه الله تعالى في صفحة (4) وروينا عن السيد الجليل أبي علي الفضيل بن عياض رحمه الله قال: ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

الشاهد: حقق هذا الكتاب وخرج أحاديثه عبد القادر أرناؤوط: في أسفل ص 4 رقم (2) حيث يقول: (2) فيه إطلاق السيد على غير الله تعالى وهو جائز وقيل بكرهته إذا كان بأل وهذا دليل على جواز إطلاق السيد على غير الله تعالى وهذا ما أقره الشيخ عبد القادر أرناؤوط في كتاب الأذكار طبعة 1971 دار الملاح.

ويستحب أن يقول المصلي في التشهد وفي الصلاة الإبراهيمية (سيدنا) قبل ذكر اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونقول في الصلاة الإبراهيمية لفظ /سيدنا/ ذلك: لأن السنة لا تؤخذ من فعله صلى الله عليه وآله وسلم فقط بل تؤخذ أيضا من قوله وقد ثبتت السيادة بأحاديث كثيرة من سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد ناداه الصحابي الجليل ابن مسعود في صيغة الصلاة حيث قال: (إذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرن لعل ذلك يعرض عليه قال: فقالوا له: فعلمنا قال، قولوا: اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك... الخ^[19]). واستدل به على جواز إحداث ذكر في الصلاة غير مأثور إذا كان غير مخالف للمأثور. وقد جاء في الدر المختار ورد المحتار ما ملخصه: وندب السيادة لأن زيادة الإخبار الواقع هو عين سلوك الأدب فهو أفضل من تركه ذكره الرمي الشافعي أي في شرحه على منهاج النووي وذكر ذلك غيره أيضا أهـ.

وزيادة لفظ (سيدنا) فيها تأدب معه صلى الله عليه وآله وسلم والله تعالى يقول: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^[20].
والتعزير: التوقير والتعظيم^[21].

[19] أخرجه ابن ماجه في سننه (293/1).

[20] سورة الأعراف الآية (157).

فإثباتها مع ورودها في السنة موافق للقرآن الكريم واستدل قوم على ذلك أيضا بأن التأدب خير من الامتثال وهو استدلال حسن ودلائله من السنة ثابتة في البخاري ومسلم من ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم لسيدنا علي (امح رسول الله) قال سيدنا علي لا والله لا أمحوك أبدا⁽²²²⁾.
ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر رضي الله عنه : «ما منعك أن تثبت إذ أمرتك قال: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»⁽²³³⁾.
وما يتناقله الناس من قولهم (لا تسيدوني في الصلاة) فهو موضوع مكذوب مفترى وليس بحديث قال الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة لا أصل له.
وهو لحن أيضا لأنه واوي العين من ساد يسود⁽²⁴⁴⁾، فالأصح أن تقول (تسودوني).
وفي هذا القدر كفاية لمن يقبل الدليل والحمد لله رب العالمين.

القيام

• أدلة القيام:

أ - من القرآن الكريم : قال تعالى ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾⁽¹⁵⁾.
وقال أيضا: ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾⁽²⁶⁾.

⁽¹⁾[21] مختار الصحاح مادة (نَوَّ).

⁽²⁾[22] أخرجه البخاري (499/7) ومسلم (1409/3).

⁽³⁾[23] أخرجه البخاري (167/2 فتح) ومسلم (316/1).

⁽⁴⁾[24] المقاصد الحسنة (4630 برقم 1292).

⁽⁵⁾[11] سورة الحجر الآية (88).

⁽⁶⁾[2] سورة الحج الآية (32).

فإذا كان تعظيم شعائر الله - وهي البدن المهداة للبيت المعظم - من التقوى وكمال الإيمان، فالأولى تعظيم المؤمن الذي هو أفضل من الحرم ، بل أفضل من الكعبة قال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مخاطبا الكعبة: «ما أعظمك وأعظم حرمتك! والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك»⁽¹³¹⁾.

ومن وجوه تعظيم المؤمن القيام له.

✦ - من السنة الشريفة:

عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد هو ابن معاذ بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان قريبا منه فجاء على حمار فلما دنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (قوموا لسيدكم) وفي رواية قوموا إلى خيركم أو إلى سيدكم، قال: (أه) هؤلاء نزلوا على حكمك) قال فيني أحكم أن تقتل المقاتلة وأن تسبي الذرية قال: (لقد حكمت فيهم بحكم الملك)⁽¹⁴²⁾.

وعن سيدنا كعب بن مالك رضي الله عنه في حديث تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك قال فيه بعد كلام طويل: (... وانطلقت أتأمم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتلقاني الناس فوجا فوجا يهتفون بالتوبة ويقولون لي: لتهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يهرول حتى صافحني وهنأني..⁽¹⁵³⁾).

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحدا كان أشبه سمته وهديا ودلا وقال الحسن حديثا وكلاما (ولم يذكر الحسن السمته والهدي والدل) برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من

⁽¹³¹⁾ أخرجه ابن ماجه (3932).

⁽¹⁴²⁾ أخرجه البخاري (3023) وفي الأدب المفرد (945) ومسلم (4571) وأبو داود (5215) وأحمد (23/3) وعبد بن حميد (995) والطبراني في الكبير (5323) وأبو يعلى (1188) والبيهقي (57/6 - 58) وابن حبان (7026) وابن سعد (424/3) والبخاري (2718) وأبو نعيم (171/3).

⁽¹⁵¹⁾ أخرجه البخاري (4418) ومسلم (6947) وأبو داود (2202) مختصرا ، والسنائي (2423) مختصرا وأحمد (456/3) والأدب المفرد (944) والروايات مطولة ومختصرة.

فاطمة كرم الله وجهها: كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها⁽⁶¹⁾.

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيتي ففرع الباب فقام إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عريانا⁽⁷²⁾ يجر ثوبه فاعتنقه وقبله)⁽⁸³⁾.

وأخرج مالك في قصة سيدنا عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه أنه لما فر إلى اليمن يوم الفتح ورحلت امرأته إليه حتى أعادته إلى مكة مسلما فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وثب إليه ورمى عليه رداءه.

وفي قصة سيدنا جعفر لما قدم من الحبشة قام له النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبل عينيه والتزمه وقال: «ما أدري بأيها أسر بفتح خبير أم بقدم جعفر». (سيرة ابن هشام ص 159). وعن سيدنا ابن عباس رضي الله عنه قال: (حدثني أُمِّي أم الفضل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى العباس قادمًا فقام إليه وقبل ما بين عينيه وأقامه عن يمينه ثم قال: (هذا عمي فمن شاء فليباه بعمه)⁽⁹⁴⁾).

وعن سيدنا عمر بن السائب أنه بلغه: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جالسا فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له ثوبه فقعد عليه، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من الجانب الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأجلسه بين يديه)⁽¹⁰⁵⁾.

⁽⁶¹⁾ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (947) وأبو داود (5217) والترمذي (3872) في عشرة النساء (355) والبيهقي (101/7) والطبراني في الكبير (22 / برقم 1038) مختصرا وابن حبان (6953) والحاكم (272/4 - 273) وصححه ووافقه الذهبي.

⁽⁷²⁾ عريانا: من غير ما بين السرة والركبة.

⁽⁸³⁾ أخرجه الترمذي (2732).

⁽⁹⁴⁾ ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (272/9).

⁽¹⁰⁵⁾ أخرجه أبو داود (5145) مرسلا ويجوز الاحتجاج بالمرسل عن أكثر الفقهاء.

وعن سيدنا عبدالله بن عمر رضي الله عنها أنه كان في سرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص فلما نفرنا قلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟! فقلنا: ندخل المدينة فنثبت فيها لنذهب ولا يرانا أحد قال: فلما دخلنا المدينة قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن كان لنا توبة أقمنا وإن كان غير ذلك ذهبنا قال: فجلسنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل صلاة الغداة فلما خرج قمنا إليه فقلنا: نحن الفرارون فأقبل علينا وقال: لا، بل أنتم العكارون⁽¹¹¹⁾ قال فدنونا فقبلنا يده فقال: أنا فئة المسلمين)⁽¹¹²⁾.

وروي عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه إنه إذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحدثهم فقام قاموا حتى يرى أنه دخل إلى بعض أزواجه. وهذا الأثر يدل على القيام عند الانصراف أما ما سبقه من أحاديث فإنها تدل على القيام عند القدوم.

ج- من أقوال العلماء:

1 - من أقوال شراح الحديث وأصحاب السير:

قال البدر العيني في (عمدة القاري) عند شرحه لحديث أبي سعيد (قوموا لسيدكم)⁽¹³³⁾ وقال الخطابي في حديث الباب (قوموا لسيدكم) جواز إطلاق السيد على الخبر الفاضل وفيه أن قيام المرؤوس للرئيس الفاضل والإمام العادل والمتعلم للعالم مستحب وإنما يكره لمن كان بغير هذه الصفات. وعن أبي الوليد بن رشد أن القيام على أربعة أوجه:

• الأول: محذور وهو أن يقع لمن يريد أن يقام إليه تكبرا وتعظما على القائم إليه.

⁽¹¹¹⁾ العكارون: مفردها عكار: وهو الذي يفر إلى إمامه لينصره ليس يريد الفرار من الزحف.

⁽¹¹²⁾ أخرجه الباري في الدب المفرد (972) والترمذي (1716) وقال حديث حسن وابن ماجه (3704) وأحمد (23/2) والحميدي

(687) والبيهقي (101/7) مختصرا وابن أبي شيبة (536/12) وأبو يعلى (5597) وابن سعد (107/2/4).

⁽¹¹³⁾ أخرجه البخاري (3043) وفي الأدب المفرد (945) وأبو داود (5215) ومسلم (4571) وابن حبان (7026) وعبد بن حميد

(995) والطبراني في الكبير (5323) وأبو يعلى (1188) والبيهقي (57/6 - 58).

- والثاني: مكروه ، وهو ما يقع لمن لا يتكبر ولا يتعاضم على القائمين ولكن يخشى أن يدخل نفسه شيء بسبب ما يحذره ولما فيه من التشبه بالجبابرة.
 - والثالث: جائز وهو أن يقع على سبب البر والإكرام لمن لا يريد ذلك ويؤمن معه التشبه بالجبابرة.
 - والرابع: مندوب وهو أن يقوم لمن قدم من سفر فرحا بقدمه ليسلم عليه أو إلى من تجددت له نعمة فيهنئه بحصولها ، أو مصيبة فيعزيه بها
- وقال البيهقي: القيام على وجه البر والإكرام جائز كقيام الأنصار لسعد وطلحة لكعب ولا ينبغي لمن يقام له أن يعتقد استحقاقه لذلك حتى إن ترك القيام له حتى⁽¹⁴¹⁾ عليه أو عاتبه أو شكاه⁽¹⁵²⁾.
- وقال المناوي في كتابه (فيض القدير) في شرح الحديث السابق (قوموا) خطابا للأنصار ولجميع من حضر منهم ومن المهاجرين (إلى سيدكم) سعد بن معاذ القادم عليكم لما له من الشرف المقتضي للتعظيم وقيل معناه: قوموا لإعانتته في النزول عن الدابة لما به من الجرح الذي أصاب أكحله يوم الأحزاب وأيده التوربشتي بأنه لو أراد تعظيمه لقال: قوموا لسيدكم ورد الطيبي بأن (إلى) في هذا المقام أفخم من اللام كأن قيل: قوموا إليه تلقيا وإكراما ويدل له ترتب الحكم على الوصف المناسب المشعر بالعلية فإن قوله (إلى سيدكم) علة للقيام له وفيه ندب وإكرام أهل الفضل من عالم أو صالح أو ذي شرف بالقيام لهم إذا أقبلوا والتنبه على شرف ذوي الشرف والتعريف بأقدارهم وتنزيلهم منازلهم . وقد قام المصطفى لعكرمة بن أبي جهل لكونه من رؤساء قريش ولعدي بن حاتم لكونه سيد بني طيء يتألفها به. أهـ كلام المناوي⁽¹⁶³⁾.
- وقال الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي تعليقا على هذا الحديث: وقد استدل عامة العلماء بهذا الحديث وغيره على مشروعية إكرام الصالحين والعلماء بالقيام اليهم في المناسبات الداعية إلى ذلك عرفا يقول الإمام النووي في تعليق على هذا الحديث فيه إكرام أهل الفضل وتلقيهم بالقيام قال

⁽¹⁴¹⁾ حنق: اغتاظ، والحنق الغيظ وجمعها حناق - كجبل وجمبال - .

⁽¹⁵¹⁾ عمدة القاري في شرح صحيح البخاري للبدر العيني ص (493 - 494).

⁽¹⁶¹⁾ فيض القدير (530/4).

القاضي: (وليس هذا من القيام المنهي عنه وإنما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس ويمثلون قياما طول جلوسه⁽¹⁷¹⁾).

قلت: القيام للقادم من أهل الفضل مستحب وقد جاء فيه أحاديث ولم يصح في النهي عنه شيء صريح⁽¹⁸²⁾.

وقال العلامة السفاريني في كتابه: (غذاء الألباب) ... (وفي مسند الإمام أحمد رضي الله عنه : قوموا إلى سيدكم فأنزلوه) لكن ينصر كون الأمر للقيام له آخر الخبر: وكان رجال بني الأشهل يقولون: قمنا له على أرجلنا صفيين يحييه كل رجل منا حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في السيرة الشامية⁽¹⁹³⁾.

وقد ذكر هذا الخبر العلامة علي بن برهان الدين الحلبي في كتابه السيرة الحلبية⁽²⁰⁴⁾. كما ذكره أيضا مفتي السادة الشافعية بمكة المشرفة العلامة أحمد زيني دحلان في كتابه السيرة النبوية والآثار المحمدية⁽²¹⁵⁾.

2 - من أقوال السلف الصالح:

عن سيدنا حماد بن زيد رضي الله عنه قال: كنا عند أيوب فجاء يونس فقال حماد: قوموا لسيدكم أو لسيدنا⁽²²⁶⁾.

وعن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه أتاه أبو إبراهيم الزهري فسلم عليه فلما رآه أحمد وثب قائما وأكرمه فلما مضى قال له ابنه عبدالله: يا أبت! أبو إبراهيم شاب وتقوم إليه؟! فقال: يا بني لا تعارض في مثل هذا ألا أقوم إلى ابن عبدالرحمن بن عوف؟!!

⁽¹⁷¹⁾ وليس هذا على إطلاقه أيضا وسيأتي التنويه عليه في قصة يحيى بن سعيد القطان.

⁽¹⁸²⁾ فقه السيرة النبوية للدكتور البوطي ص (333).

⁽¹⁹³⁾ غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للعلامة السفاريني الحنبلي (276/1).

⁽²⁰⁴⁾ السيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي (329/2).

⁽²¹⁵⁾ السيرة النبوية والآثار المحمدية (131/2).

⁽²²²⁾ الترخيص بالقيام ص (30 - 13).

وقال الإمام أبو عبدالرحمن السلمي في كتابه (آداب الصحابة) ويقوم لإخوانه إذا أبصرهم مقبلين ولا يقعد إلا بقعودهم وأنشد:

فلما بصرنا به مقبلا	حللنا الحبا وابتدرنا القيام
فلا تنكرن قيامي له	فإن الكريم يجلب الكرام

وقد أنشد أبو موسى الأصبهاني لبعضهم:

قيامي والعزير اليك حق	وترك الحق ما لا يستقيم
فهل أحد له عقل ولب	ومعرفة يراك ولا يقوم؟!

وقال الشيخ عبدالباسط العلموني رحمه الله تعالى في كتابه (المعيد في أدب المفيد والمستفيد): (...)
وروي أن يحيى بن سعيد القطان كان يصلي العصر، ثم استند إلى أصل منارة المسجد فوقف بين يديه علي بن المديني والشاذكوني وعمرو بن علي وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم يسألونه عن الحديث وهم قيام على أرجلهم إلى أن تحين صلاة المغرب لا يقول لواحد منهم اجلس ولا يجلسون هيبة له وإعظاما قلت: وهذا القيام بين يديه لله لا له، وإنما لما خصه الله من العلم... فلا يدخل في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار»^[231] لأنه لا يجب ذلك لنفسه وإنما للسر المودع فيه من العلم ولتهذيب أخلاق الطلبة وصونهم عن التكبر وتخليقهم بالتواضع والله أعلم.

ثم ذكر آداب المتعلم مع شيخه فقال: (... ومنها: أن يقوم بقيام الشيخ ولا يجلس وهو قائم ولا يضطجع وهو قائم أو قاعد بل لا يضطجع بحضرة مطلقا إلا أن يكون وقت نوم ويأذن له ويقوم له كلما ورد عليه ولو تكرر لزيادة التوقير والإعظام والاحترام)^[242].

3 - من أقوال فقهاء المذاهب الأربعة:

^[231] أخرجه أحمد (91/4) وعبد بن حميد (413) والبخاري في الأدب المفرد (977) وأبو داود (5229) والترمذي (2755).

^[242] (المعيد في أدب المفيد والمستفيد ص (63 - 65)).

المذهب الشافعي: قال العلامة الشربيني في كتابه: (مغني المحتاج) ويسن القيام لأهل الفضل من علم وصلاح أو شرف أو نحو ذلك ولا رياء وتفخيا قال في الروضة: وقد ثبتت فيه أحاديث صحيحة^(1[25]).

وقال العلامة الباجوري في حاشيته: ويسن القيام لأهل الفضل إكراما لا رياء وتفخيا بخلاف غير أهل الفضل فلا يطلب القيام لهم إلا حاجة أو ضرورة وخرج بالقيام نحو الركوع بين يدي الأمراء فهو حرام ولو مع الطهارة واستقبال القبلة كما قال العلامة ابن حجر. وقال الإمام الغزالي الشافعي رحمه الله: القيام مكروه على سبيل الإعظام إلا على وجه الإكرام^(2[26]).

المذهب الحنفي: قال العلامة ابن عابدين في حاشيته: (وفي الوهبانية يجوز، بل يندب القيام تعظيما للقدام كما يجوز القيام ولو للقارئ بين يدي العالم (قال في القنية: قيام الجالس في المسجد لمن دخل عليه تعظيما وقيام قارئ القرآن لمن جيء تعظيما لا يكره إذا كان ممن يستحق التعظيم) وفي مشكل الآثار (القيام لغيره ليس بمكروه لعينه إنما المكروه محبة القيام لمن يقام له فإن قام لمن لا يقام له لا يكره قال ابن وهبان: أقول: وفي عصرنا ينبغي أن يستحب ذلك - أي القيام - لما يورث تركه من الحقد والبغضاء والعداوة ولاسيما إذا كان في مكان اعتيد فيه القيام. وما ورد من التواعد عليه، في حق من يجب القيام بين يديه كما يفعله الترك والأعاجم)^(3[27]).

المذهب المالكي: قال القرافي في كتابه (الفروق): (اعلم أن الذي يباح من إكرام الناس قسما: القسم الأول: ما وردت به النصوص الشرعية من إفشاء السلام وإطعام الطعام، وتشميت العاطس والمصافحة عند اللقاء ...).

القسم الثاني: ما لم يرد في النصوص ولا كان في السلف لأنه لم تكن أسباب اعتباره موجودة حينئذ وتجددت في عصرنا فتعين فعله لتجدد أسبابه لأنه شرع مستأنف وتأخر الحكم لتأخر سببه، ووقوعه عند وقوع سببه لا يقتضي تجديد شرع ...

^(1[25]) مغني المحتاج (135/3) .

^(2[26]) حاشية الباجوري (116/2).

^(3[27]) حاشية ابن عابدين (254/5).

وهذا القسم هو ما في زماننا من القيام للداخل من الأعيان وإحناء الرأس له.. وهو جائز مأمور به مع كونه بدعة: ولقد حضرت يوماً عند الشيخ عز الدين بن عبدالسلام وكان من اعيان العلماء وأولي الجد في الدين والقيام بمصالح المسلمين خاصة وعامة والثبات على الكتاب والسنة لا تأخذه في الله لومة لائم فقدمت إليه فتياً فيها: ما تقول أئمة الدين وفقهم الله في القيام الذي أحدثه أهل زماننا مع أنه لم يكن في السلف هل يجوز أم لا يجوز أو يحرم؟ فكتب إليه في الفتيا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً»⁽²⁸¹⁾، وترك القيام في هذا الوقت يفضي للمقاطعة والمدابرة فلو قيل بوجوبه ما كان بعيداً⁽²⁹²⁾.

المذهب الحنبلي: قال ابن قدامة المقدسي الحنبلي في كتابه (مختصر منهاج القاصدين) والقيام على ضربين:

- 1 - قيام على رأسه وهو قاعد فهذا منهى عنه قال صلى الله عليه وآله وسلم «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار»⁽³⁰³⁾. وهذه عادة الأعاجم والمنتكبين.
 - 2 - قيام عند مجيء الإنسان فقد كان السلف لا يكادون يفعلون ذلك. وقد قال العلماء: يستحب القيام للوالدين والإمام العادل وفضلاء الناس وقد صار هذا كالشعار بين الأفاضل فإذا تركه الإنسان في حق من يصلح أن يفعل في حقه لم يأمن أن ينسبه إلى إهانتة والتقصير في حقه فيوجب هذا حقداً واستحباب هذا في حق القائم لا يمنع الذي يقام له أن يكره ذلك ويرى أنه ليس بأهل لذلك⁽³¹⁴⁾.
- أقوال العلماء في أحاديث النهي عن القيام:

⁽¹²⁸⁾ أخرجه البخاري (5718) ومسلم (2559) والترمذي (1935).

⁽²²⁹⁾ الفروق للقراي (250/2؛ 251).

⁽³³⁰⁾ تقدم تخرجه ص (210).

⁽⁴³¹⁾ مختصر منهاج القاصدين ص (251 - 252).

هناك بعض الأحاديث التي تدل على النهي عن القيام منها: حديث سيدنا أنس رضي الله عنه قال: (لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك)⁽³²¹⁾.

وحديث سيدنا معاوية رضي الله عنه: من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار⁽³³²⁾.

وحديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متوكئاً على عصا فقمنا إليه فقال: «لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً»⁽³⁴³⁾. وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: بعد أن أورد هذه الأحاديث في كتابه (الترخيص بالقيام): (أما الحديث الأول: وهو أقرب ما يحتج به للنهي فالجواب عنه من وجهين:

الجواب الأول: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاف عليهم وعلى من بعدهم الفتنة بإفراطهم في تعظيمه صلى الله عليه وآله وسلم كما قال صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الآخر «لا تطروني»⁽³⁵⁴⁾ كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم⁽³⁶⁵⁾ فكره صلى الله عليه وآله وسلم قيامهم له لهذا المعنى ولم يكره قيام بعضهم لبعض بل قام صلى الله عليه وآله وسلم لبعضهم وقاموا لغيره بحضرة ولم ينههم عن ذلك بل أقره وأمر به في حديث القيام لسعد.

الجواب الثاني: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان بينه وبين أصحابه من الأئس وكمال المودة والصفاء ما لا يحتمل زيادة الإكرام فلم يكن بالقيام مقصود بخلاف غيره. أهـ⁽³⁷⁶⁾

⁽¹³²¹⁾ أخرجه الترمذي (2754) وقال حسن صحيح غريب والبخاري في الأدب المفرد (946).

⁽²³³¹⁾ تقدم تحريجه ص (210).

⁽³³⁴⁾ أخرجه أبو داود (5230).

⁽⁴³⁵¹⁾ من الإطراء: وهو المدح والمقصود مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه، وإطراء الصالحين وصفهم بما يصرفهم عن بشرتهم إلى ما فوق البشرية.

⁽⁵³⁶¹⁾ أخرجه البخاري (3435) وأحمد (23/1) والدارمي (2682) وابن حبان (6239) وذلك لأن النبي ﷺ خاف أن يصل بالأمة من

تعظيمهم لنبيهم ما وصل إليه النصارى من العبادة لعيسى عليه السلام ورحم الله البوصيري إذ يقول:

واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

دع ما دعت النصارى في نبيهم

⁽⁶³⁷¹⁾ الترخيص بالقيام للنووي ص (24 - 29).

وقال الشيخ منصور علي ناصيف في كتابه (التاج): وحديث أنس يمكن تأويله بأن هذا كان من النبي صلى الله عليه وآله وسلم زيادة في التواضع وخوفا على الأمة من زيادة تعظيمه فربما جرهم إلى ما وقع فيه بعض اليهود والنصارى الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾^[381].

وربما جرهم إلى عمل الأعاجم من السجود لرؤسائهم .. بل قال الجمهور: إن القيام لأهل الفضل مستحب للحديثين الأولين: حديث القيام لسعد وحديث القيام لفاطمة وعمل السف والخلف على القيام من غير تكبير وهذا هو الحق^[392].

وقال الإمام الباجوري رحمه الله تعالى في كتابه (المواهب اللدنية): لم يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك وإنما كرهه تواضع أو شفقة عليهم وخوفا عليهم من الفتنة إذا أفرطوا في تعظيمه وكان لا يكره قيام بعضهم لبعض ولذلك قال: (قوموا لسيدكم) يعني سعد بن معاذ سيد الأوس فأمرهم بفعله لأنه حق لغيره فوفاه حقه وكره قيامه له لأنه حقه فتركه تواضعا... وقد قام صلى الله عليه وآله وسلم لعكرمة بن أبي جهل لما قدم عليه وكان يقوم لعدي بن حاتم كلما دخل عليه كما جاء ذلك في حديثين وهما وإن كانا ضعيفين يعمل بهما في الفضائل فزعم سقوط الاستدلال بهما وهم وقد ورد أنهم قاموا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيناقض ما هنا. إلا أن يقال في التوفيق أنهم إذ رأوه من بعد غير قاصد لهم لم يقوموا له، أو أنه إذا تكرر قيامه وعوده إليهم لم يقوموا فلا ينافي أنه إذا قدم عليهم أولا قاموا وإذا انصرف عنهم قاموا^[403].

وقال الإمام النووي معلقا على الحديث الثاني من الأحاديث الثلاثة السابقة: (وأما الحديث الثاني فقد أولع أكثر الناس بالاحتجاج به والجواب عنه من أوجه: الأصح والأولى والأحسن بل الذي لا حاجة إلى ما سواه أنه ليس فيه دلالة وذلك أن معناه الصريح الظاهر منها الزجر الأكيد والوعيد الشديد للإنسان أن يجب قيام الناس له وليس فيه تعرض للقيام بنهي ولا غيره وهذا متفق عليه

^[381] سورة التوبة الآية (30).

^[391] التاج (270/5 - 271).

^[401] المواهب اللدنية للباغوري ص (153).

وهو أنه لا يحل للآتي أن يجب قيام الناس له والمنهي عنه هو محبته للقيام ولا يشترط كراهته لذلك وخطور ذلك بباله حتى إذا لم يخطر بباله ذلك فقاموا له أو لم يقوموا فلا ذم عليه وإذا كان معنى الحديث ما ذكرناه فمحبته أن يقام له محرمة فإذا أحب فقد ارتكب التحريم سواء قيم له أو لم يقيم فمدار التحريم على المحبة ولا تأثير لقيام القائم ولا نهي في حقه بحال فلا يصح الاحتجاج بهذا الحديث.

فإن قال من لا تحقيق عنده: إن قيام القائم سبب لوقوع هذا في المنهي عنه قلنا: هذا سؤال فاسد لا يستحق سائله جواباً... عن أحمد بن المفلح قال: قال أبو نصر بشر بن الحارث وقد ذكرت بين يديه حديث (لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك)⁽⁴¹¹⁾.

فقال: الحديث إنما كره القيام على طريق الكبر وأما على طريق المودة فلا وقد قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عكرمة بن أبي جهل وألقى ثوبه لظئره وقال قوموا إلى سيدكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار»⁽⁴²²⁾ من أحب أن تقوم له فلا تقم له... وأما أبو موسى الأصبهاني فقال: معنى الحديث أن يقوم الرجال على رأسه وهو قاعد كما يقام بين يدي الملوك أو أن يأمرهم بذلك ويلزمهم إياه على مذهب الكبر والنخوة⁽⁴³³⁾.

وقال ابن بطال رحمه الله تعالى: وأجاب عنه الطبري بأن هذا الخبر إنما فيه نهي من يقوم له إكراماً له وأجاب عنه ابن قتيبة بأن معناه من أراد أن يقوم الرجال على رأسه كما يقام بين ملوك الأعاجم وليس المراد به نهي الرجل عن القيام لأخيه إذا سلم عليه⁽⁴⁴⁴⁾.

⁽⁴¹¹⁾ تقدم تخريجه ص (212).

⁽⁴²²⁾ تقدم تخريجه ص (210).

⁽⁴³³⁾ الترخيص بالقيام ص (24 - 29).

⁽⁴⁴⁴⁾ فتح الباري (50/11).

وقال الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى في كتابه (فقه السيرة النبوية) بعد أن أورد أدلة القيام معلقا على هذا الحديث: (... واعلم أن هذا كله لا يتنافى مع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار) لأن مشروعية إكرام الفضلاء وتوقيرهم لا تستدعي السعي منهم إلى ذلك أو تعلق قلوبهم بمحبته قبل من أبرز صفات الصالحين والفضلاء أن يكونوا متواضعين لإخوانهم زهادا في طلب هذا الشيء رأيت إلى الفقير المحتاج؟ إن الأدب الإسلامي يوصيه ويعلمه الترفع عن المسألة وإظهار الفاقة والحاجة للناس ولكن هذا الأدب الإسلامي نفسه يوصي الأغنياء بالبحث عن هؤلاء الفقراء المتعفين ويأمرهم بإكرامهم وإعطائهم من فضول أموالهم فلكل أحب ووظيفة ولا ينبغي أن نخلط بينهما أو ننسخ الواحد بالآخر فإن ذلك من أسوأ مظاهر التسرع والجهل^[45]).

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في الحديث الثالث: (وأما الحديث الثالث: فالجواب عنه من وجهين ظاهرين حسنين: أحدهما: جواب الإمامين أبي بكر بن أبي عاصم وأبي موسى الأصبهاني أنه حديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به.

والثاني: أن الحديث في نفسه بين المقصود منه ومن غيره وهو أن الذم لمن قام على طريق التعظيم كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا وهذا لاشك في ذمه والله أعلم^[46]).

ومن خلال أقوال العلماء والمحدثين في تفسير الأحاديث السابقة نرى أن المنهي عنه هو حب القيام لما يورث من الكبر البغيض والأمر بالقيام - عدا أمر المعلم تلاميذه والوالد أولاده للتعليم والتربية والتهديب والقيام على رأس القاعد تشبها بملوك الفرس والروم من الأعاجم كما قال بعضهم وإلى هذا يشير الحديث الذي رواه سيدنا جابر رضي الله عنه إذ قال (اشتكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصلينا وراءه وهو قاعد وأبو بكر يسمع الناس تكبيره فالتفت إلينا فرآنا قياما فأشار إلينا فقعدنا فصلينا بصلاته فعودا فلما سلم قال: «إن كدتم لتفعلوا فعل فارس والروم يقومون على

[45]1) فقه السيرة النبوية ص (334).

[46]2) الترخيص بالقيام ص (29).

ملوكهم وهم قعود : فلا تفعلوا ائتموا بأئمتكم إن صلى قائمًا فصلوا قيامًا وإن صلى قاعدا فصلوا قعودا»^[471].

ولكن يستثنى من هذا النهي جواز القيام في حال قدوم رسل للعدو إلى الإمام أو الخليفة فقد ورد في حديث صلح الحديبية حينما جاء عروة بن مسعود يكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكلما تكلم أخذ بلحيته والمغيرة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي واقف والنبي جالس ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضرب يده بنصل السيف وقال له: آخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابه (زاد المعاد) معلقا على هذه الحادثة: وفي قيام المغيرة بن شعبة رضي الله عنه على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسيف ولم يكن عادته أن يقام على رأسه وهو قاعد سنة يقتدي بها عند قدوم رسل العدو ومن إظهار العز والفخر وتعظيم الإمام وطاعته ووقايته بالنفوس وهذه هي العادة الجارية عند قدوم رسل المؤمنين على الكافرين وقدوم رسل الكافرين على المؤمنين . وليس هذا من النوع الذي ذمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار) ^[48] كما أن الفخر والخيلاء في الحرب ليسا من هذا النوع المذموم في غيره^[49].

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى : وقال أبو محمد البغوي (كذلك تجوز إقامة الإمام والوالي الرجل على رأسه في موضع الحرب ومقام الخوف)^[50].

وقال الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى في كتابه (فقه السيرة النبوية) معلقا على الحادثة السابقة تحت عنوان : حكم الوقوف على الإنسان وهو قاعد (لقد علمت مما سبق أن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه كان واقفا على رأس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه السيف وكلما

^[147] أخرجه البخاري في الأدب المفرد (948).

^[248] تقدم ترجمته ص (210).

^[349] زاد المعاد (304/3).

^[450] الترخيص بالقيام للنووي ص (23).

أهوى عروة بن مسعود بيده إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضرب يده بنصل السيف قائلاً:
 آخر يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد كنا ذكرناه فيما مضى عند الحديث عن
 غزوة بني قريظة أنه لا يشرع القيام على رأس أحد وهو قاعد وأن ذلك من مظاهر التعظيم الذي
 تعارفه الأعاجم فيما بينهم وأنكره الإسلام . فكيف كان الأمر على خلاف ذلك هنا؟ والجواب أن
 يستثنى من عموم المنع مثل هذه الحالة بخصوصها أي في حالة قدوم رسل العدو إلى الإمام أو
 الخليفة فلا بأس حينئذ من قيام حرس أو جند على رأسه إظهاراً للعزة الإسلامية وتعظيماً للإمام
 وطاعة ووقاية له مما قد يفاجأ من سوء أحوال في أعم الأحوال فلا يجوز ذلك لمخالفته مقتضى التوحيد
 والعقيدة الإسلامية دون أية ضرورة إليه .

ويشبه هذا ما مر بيانه عند الحديث عن أبي دجانة في غزوة أحد فقد قلنا: إن ما يدل على الكبر أو
 التجبر في المشي ممنوع شرعاً ولكنه جائز في حالة الحرب بخصوصها بدليل قوله صلى الله عليه وآله
 وسلم عن مشية أبي دجانة (إنها لمشية يكرها الله إلا في مثل هذا الموضع)^([511]).

القيام للجنائز

• حكم القيام للجنائز : اختلف الفقهاء والمحدثون في حكم القيام للجنائز وذلك لتعارض
 الأدلة في ذلك فعن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 قال: «إذا رأيت الجنائز فقوموا فمن تبعها فلا يقعد حتى توضع»^([522]).

وعن سيدنا عبدالرحمن بن أبي ليلى رضي الله عنه قال: كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد بن
 عبادة بالقادسية فمر عليهما بجنائز فقاما فقبل لهما إناهما من أهل الأرض أي من أهل الذمة لأن
 المسلمين لما فتحوا البلاد أقروهم على عمل الأرض وحمل الخراج فقالا مُرَّ على رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم بجنائز فقام فقبل له: إنه يهودي فقال: أليست نفساً^([533])! وتعارض هذان
 الحديثان بحديث سيدنا علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قام للجنائز ثم قعد فذهب

^([511]) أخرجه الطبراني في الكبير (6508) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (10071).

^([522]) أخرجه البخاري (1310) ومسلم (959) وأبو داود (13172) والنسائي (1917) والترمذي (1042).

^([533]) أخرجه البخاري (1312) تعليقا ومسلم (2222) والنسائي (1920) والبيهقي (27/4).

الشافعي ومالك وأبو حنيفة إلى أن حديث علي ناسخ للأمر بالقيام ولكنه في الحقيقة ليس نصا في النسخ لاحتمال أن قعوده صلى الله عليه وآله وسلم كان لبيان الجواز. قال النووي رحمه الله تعالى: والمختار أنه مستحب ولم ينسخ حديث الأمر بالقيام وهذا هو الرأي الراجح فقد روى البيهقي من حديث أبي هريرة وغيره: «أن القائم كالحامل في الأجر»⁽¹⁵⁴⁾.

الذكر الجهري

قال الله تعالى ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾⁽¹¹²⁾.
وقال تعالى ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾⁽²³⁾.
وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا﴾⁽³⁴⁾.

أحاديث وآثار تبين استحباب الذكر بالذكر والحث عليه

إما تصرّحا أو التزاما

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يتلمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك ويمجدونك قال فيقول: هل رأوني؟ قال فيقولون لا

⁽¹⁵⁴⁾ أخرجه أبو داود (3175) والترمذي (1044).

⁽²¹⁾ سورة آل عمران الآية (191).

⁽³²⁾ سورة الأحزاب الآية (35).

⁽³³⁾ سورة الأحزاب الآية (41-42).

والله ما رأوك قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيذا وأكثر لك تسبيحا قال يقول فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة قال: يقول: وهل رأوها؟ قال يقولون لا والله يا رب ما رأوها قال يقول فكيف لو أنهم رأوها؟ قال فيقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة قال فمم يتعودون؟ قال: يقولون من النار قال يقول وهل رأوها؟ قال يقولون لا والله ما رأوها قال يقول فكيف لو رأوها؟ قال يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة قال فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»⁽¹⁴¹⁾.

وفي رواية عن جابر رضي الله عنه قال: خرج علينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا أيها الناس إن الله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض فارتعوا في رياض الجنة قالوا وأين رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر فاغدوا وروحوا في ذكر الله وذكروا أنفسكم من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه⁽¹⁵²⁾.

2 - وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر»⁽⁶³⁾.

3 - وعن معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده فقال: إنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة»⁽⁷⁴⁾.

4 - وعن عبدالرحمن بن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في بعض أبياته ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة

⁽¹⁴¹⁾ أخرجه البخاري (107/8) ومسلم (68/8) والترمذي (3600) وأحمد (251/2).

⁽¹⁵¹⁾ أخرجه الحاكم في المستدرک وصححه (1820) والبيزار (3064).

⁽¹⁵²⁾ تقدم ترجمته .

⁽¹⁷¹⁾ أخرجه أحمد (205/14) والترمذي (3379).

والعشي ﴿١٨١﴾، فخرج يلتمسهم فوجد قومه يذكرون الله تعالى منهم نائر الرأس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد فلما رأهم جلس معهم وقال «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم» (١٩٢).

وفي رواية لأحمد في الزهد عن ثابت قال: كان سلمان في عصابة يذكرون الله فمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكفوا فقال: «ما كنتم تقولون؟ قلنا نذكر الله قال: إني رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم فيها ثم قال: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم». فكف سيدنا سلمان وأصحابه عن الذكر لقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم دليل على أنهم كانوا يجهرون فيه قبل قدومه وهذا دليل الجهر به.

5 - وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: قال ابن الأدرع: انطلقت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة، فمر برجل بالمسجد يرفع صوته قلت: يا رسول الله عسى أن يكون ذلك مرثياً؟ قال: لا ولكنه أواه وفي رواية عن عقبه بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لرجل يقال له ذو البجادين: إنه أواه وذلك أنه كان يذكر الله (١٠٣).

وقال الحسن بن مسلم: كان رجل من أهل نجد إن دعا رفع صوته وإن صلى رفع صوته وإن قرأ رفع صوته فشكاه أبو ذر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إن هذا الأعرابي قد أذاني لئن دعا ليرفعن صوته ولئن قرأ ليرفعن صوته فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «دعه فإنه أواه» (١١٤).

6 - وعن ابن الزبير رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سلم من صلاته قال بصوته الأعلى: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله) (١٢٥).

(١٨١) سورة الكهف الآية (28).

(٢٩١) الحاوي للفتاوى للإمام السيوطي مجلد 2 27 رقم 1.

(٣١٠) أخرجه أحمد (159/4).

(٤١١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف (6559).

(٥١٢) رواه مسلم (594) والترمذي (299).

7 - وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وبني له بيتا في الجنة» وفي بعض طرقه (فنادى) ⁽¹³¹⁾.

8 - وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال: هل فيكم غريب يعني (أهل الكتاب) قلنا: لا يا رسول الله فأمر بغلق الباب فقال: ارفعوا أيديكم فقولوا لا إله إلا الله فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده ثم قال: «الحمد لله اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة إنك لا تخلف الميعاد ثم قال أبشروا فإن الله قد غفر لكم» ⁽¹⁴²⁾.

9 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أنا عند ظن عبدي بي .. وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه» ⁽¹⁵³⁾ والذكر في الملاء لا يكون إلا عن جهر.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ⁽¹⁶⁴⁾.

10 - وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «ما من قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده» ⁽¹⁷⁵⁾.

11 - وأخرج بقية من مخرج عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر بمجلسين أحدهما يدعو الله ويرغبون إليه والآخر يعلمون العلم فقال: «كلا

⁽¹³¹⁾ أخرجه الحاكم (1974).

⁽¹⁴²⁾ أخرجه الحاكم (1844).

⁽¹⁵³⁾ أخرجه البخاري (6970) ومسلم (2675) وأحمد (268/14) والترمذي (2388).

⁽¹⁶⁴⁾ أخرجه البخاري (805 - 806).

⁽¹⁷⁵⁾ تقدم تخريجه ص (173).

- المجلسين خيرا وأحدهما أفضل من الآخر» فأقراره صلى الله عليه وآله وسلم لمجلس الدعاء والذكر الذي يفهم منه الجهر فيما بالخيرية دليل على جواز الجهر فيهما.
- 12 وعن عبدالله بن معضل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات »⁽¹⁸¹⁾ والاجتماع على ذكر الله دليل الجهرية.
- 13 وأخرج الأصبهاني في الترغيب عن أبي رزي العقيلي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له: «ألا أدلك على ملاك الأمر الذي تصيب به خيري الدنيا والآخرة؟ قال: بلى، قال: عليك بمجالس الذكر وإذا خلوت فحرك لسانك بذكر الله».
- 14 وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يقول الرب تعالى يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم، قيل: ومن أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: أهل مجالس الذكر في المساجد»⁽¹⁹²⁾.
- 15 وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «لأن أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ولأن أذكر الله مع قوم بعد صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إلي من الدنيا وما فيها»⁽²⁰³⁾.
- 16 وعن أبي الجوزاء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أكثروا ذكر الله حتى يقول المنافقون إنكم مراؤون»⁽²¹⁴⁾.
- 17 وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون»⁽²²⁵⁾.

⁽¹⁸¹⁾ أخرجه أحمد (202/14) وأبو يعلى (4141) والبخاري (3061) والطبراني في الأوسط (1579) والهيثمي في مجمع الزوائد (16764).

⁽²¹⁹⁾ أخرجه أحمد (2059/14) وأبو يعلى (1046) وابن حبان (816) والهيثمي في مجمع الزوائد (16763).

⁽²⁰³⁾ ذكره السيوطي في الجامع الصغير (7199) ورمز لحسنه.

⁽²¹⁴⁾ ذكره السيوطي في الجامع الصغير (1398).

⁽²²⁵⁾ تقدم تخريجه ص (182).

18 وعن السائب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «جائني جبريل فقال: مر أصحابك يرفعوا أصواتهم بالتكبير»^[231].

وأخرج المروزي في كتاب العيدين أنه كان كل من عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما يأتیان السوق أيام العشر فيكبران لا يأتينا السوق إلا لذلك. وكذلك نقل عن سيدنا عمر أنه كان يكبر في قبته فيكبر أهل المسجد فيكبر أهل السوق حتى ترتج منى تكبيرا.

وقال ميمون بن مهران: أدركت الناس وإنهم ليكبرون في العشر حتى كنت أشبهها بالأمواج من كثرتها.

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن سيدنا ابن عباس في قوله تعالى ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾^[242] قال: إن المؤمن إذا مات بكى عيه من الأرض الموضع الذي كان يصلي فيه ويذكر الله فيه.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي عبيد قال: (إن المؤمن إذا مات نادى بقاع الأرض: عبد الله المؤمن مات فتبكي الأرض والسماء فيقول الرحمن ما يبكيكما على عبدي؟ فيقولون: ربنا لم يمش في ناحية مناقط إلا وهو يذكرك) فلو لم يكن الذكر جهرا لما سمعته الأرض والجبال.

وقد صح أن سيدنا أبا بكر كان يسر في قراءة القرآن وكان سيدنا عمر يجهر فيها فلما سألهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن السبب أجاب سيدنا أبو بكر بمآثره الإسرار لمجاهدة النفس وتعليمها طرق الإخلاص وأن من يناجيه يسمع كلامه وأجاب سيدنا عمر بمآثره الجهر لإيقاظ الوجدان وطرد الشيطان وإرضاء الرحمن.

وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يأمر من يقرأ القرآن في المسجد أن يسمع قراءته.

^[123] أخرجه أحمد (180/11) وأبو داود (1814) والترمذي (829) وصححه النسائي (2752) وابن ماجه (2923) والحاكم (1653) وابن خزيمة (2628).
^[24] سورة الدخان الآية (29).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يأمر رجلا يقرأ عليه وعلى أصحابه وهم يستمعون لأنه أكثر عملا وأبلغ في التدبر ونفعه متعدد لإيقاظ قلوب الغافلين.

وذكر ابن الجزري في كتاب الحصن الحصين (أن كل ذكر مشروع أي مأثور به في الشرع واجبا كان او مستحبا لا يعتد بشيء منه حتى يتلفظ به ويسمع نفسه).

وقال الإمام السيوطي رحمه الله أنه وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر واحاديث تقتضي استحباب الإسرار به والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ثم قال: إذا تأملت ما أوردنا من الأحاديث عرفت من مجموعها أنه لا كراهة البتة في الجهر بالذكر بل فيه ما يدل على استحبابه إما تصيحاً أو التزاماً وأما معارضته بحديث (خير الذكر الخفي) فهو تظهر فيه معارضة احاديث الجهر بالقرآن بحديث (المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة) وقد جمع النووي بينهما بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام والجهر أفضل من غير ذلك لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته تتعدى ويترد النوم ويزيد في النشاط وقال بعضهم (يستحب الجهر ببعض القراءة والإسرار لأن المسر قد يمل فيأنس بالجهر والجاهر قد يكل فيستريح بالإسرار).

وقال الشيخ عبدالوهاب الشعراني رحمه الله تعالى (وأجمعوا على انه يجب على المريد الجهر بالذكر بقوة تامة بحيث لا يبقى منه متسع إلا ويهتز من فوق رأسه إلى إصبع قدميه)^[251].

وقال الشيخ ابن عطاء الله: وينبغي إن كان الذاكرون جماعة فالأولى في حقهم رفع الصوت بالذكر مع توافق الأصوات بطريقة موزونة فذكر الجماعة على قلب واحد أكثر تأثيراً وأشد قوة فيرفع الحجب عن القلب وأما أن هذا معارض بقوله تعالى ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية ودون الجهر من القول﴾^[262] فالحق ما بينه الإمام السيوطي في كتابه (نتيجة الفكر في الجهر بالذكر) حيث قال: إن الجواب عن هذه الآية يكون من ثلاثة أوجه: الأول: إنها مكية لأنها من الأعراف وهي

[251] الأنوار القدسية (38/1).

[262] سورة الأعراف الآية (205).

مكية كآية الإسراء ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾⁽²⁷¹⁾ وقد نزلت حين كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجهر بالقرآن فيسمعه المشركون فيسبون القرآن ومن أنزله فامرّه الله بترك الجهر سدا للذريعة كما نهى عن سب الأصنام في قوله: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾⁽²⁸²⁾ وقد زال هذا المعنى.

والثاني: أن جماعة من المفسرين منهم عبدالرحمن بن يزيد بن أسلم شيخ مالك وابن جرير حملوا الآية على الذكر حال قراءة القرآن وأنه أمره بالذكر على هذه الصفة تعظيما للقرآن الكريم أن ترفع الأصوات عنده ويقويه اتصاله بقوله تعالى ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون﴾⁽²⁹³⁾ قلت: وكأنه لما أمر بالإنصات خشى من ذلك الإخلاد إلى البطالة فنبه على أنه وإن كان مأمورا بالسكوت باللسان إلا أن تمكين الذكر بالقلب باق حتى لا يغفل عن ذكر الله ولذا ختم الآية بقوله ﴿ولا تكن من الغافلين﴾⁽³⁰⁴⁾.

الثالث: ما ذكره علماء الصوفية من أن الأمر في الآية خاص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأما غيره فمن هو محل الوسوس والخواطر فمأمور بالجهر لأنه أشد تأثيرا في دفعها وأما قوله تعالى ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾⁽³¹⁵⁾ فالجواب عنه من وجهين: إحداهما: أنه الراجح في تفسيره أنه تجاوز المأمور أو اختراع دعوة لا أصل لها في الشرع فعن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه أنه سمع ابنه يقول: (اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول «يكون في الأمة قوم يعتدون في الدعاء والطهور»⁽³²⁶⁾ وقرأ هذه الآية فهذا تفسير صحابي وهو أعلم بالمراد).

⁽¹⁾[27] سورة الإسراء الآية (110).

⁽²⁾[28] سورة الأنعام الآية (108).

⁽³⁾[29] سورة الأعراف الآية (204).

⁽⁴⁾[30] سورة الأعراف الآية (205).

⁽⁵⁾[31] سورة الأعراف الآية (55).

⁽⁶⁾[32] أخرجه ابن ماجه (3864) والحاكم في مستدركه وصححه (1979).

الثاني: على تقدير التسليم فالآية في الدعاء لا في الذكر والدعاء بخصوصه الأفضل فيه الإسرار لأنه أقرب إلى الإجابة ولذا قال تعالى ﴿إِذ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾⁽¹³³¹⁾.

هذا وقد نص الإمام النووي رحمه الله في فتاويه على أن الجهر بالذكر حيث لا محذور شرعا مشروع مندوب إليه بل هو أفضل من الإخفاء في مذهب الإمام الشافعي وهو ظاهر مذهب الإمام أحمد وإحدى الروايتين عن الإمام مالك بنقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري وهو قول قاضيخان في فتاويه وقد قال العلامة الطحاوي في حاشيته على مراقي الفلاح (لا يمنع من الجهر بالذكر في المساجد احترازا عن الدخول تحت قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾⁽¹³⁴²⁾ (1353).

وقال الشيخ حسنين مخلوف رحمه الله تعالى : (الأحاديث الصحيحة مع إثباته مشروعية الجماعة وفضلها في الذكر تثبت الجهرية (ايضا) وفضله فيه لأنه هو الذي صيرهم جماعة (كما هو المعهود لغة وعرفا).. إلى أن قال: (وبالتأمل في عموم الآيات والأحاديث وما نقله الألوسي في آية الدعاء تعلم انه لا وجه للقول بكراهة الجهر بالذكر جماعة) إذا خلا من الموانع الشرعية ولم يكن فيه إخلال بشيء من آدابه المعروفة.

وقال الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى : والذكر جائز في انفراد وفي اجتماع بشرط أن لا يكون من الذاكرين جهر يتأذى به الجيران والنائمون والعالمون والعابدون.

حكم الذكر بالاسم المفرد

⁽¹³³¹⁾ سورة مريم الآية (3).

⁽¹³⁴²⁾ سورة البقرة الآية(114).

⁽¹³⁵¹⁾ مراقي الفلاح ص (208) وانظر حاشية ابن عابدين.

(أما ما ورد في الذكر بالاسم المفرد (الله) من آيات فكثيرة منها قول الله تبارك وتعالى ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً﴾⁽¹¹¹⁾).

وقوله تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قل الله ذم ذرهم﴾⁽²²⁾.

وقوله تعالى: ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً﴾⁽³³⁾.

• وقد وردت أحاديث مشروعية الذكر باسم الله الأعظم منها:

ما رواه أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله، الله».

وفي رواية أخرى عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله، الله»⁽⁴⁴⁾.

فها هو اسم الله المفرد يرد ذكره مكرراً في هذا الحديث.

قال العلامة علي القاري في شرح هذا الحديث: أي لا يذكر الله فلا يبقى حكمة في بقاء الناس ومن هذا يعرف أن بقاء العالم ببركة العلماء العاملين والعباد الصالحين وعموم المؤمنين⁽⁵⁵⁾.

وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن ثابت رضي الله عنه قال: كان سلمان في عصابة يذكرون الله فمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكفوا فقال: ما كنتم تقولون؟ قلنا: نذكر الله، الله، فقال: إني رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم فيها ثم قال: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر معهم⁽⁶⁶⁾.

وللعلماء في هذا الباب أقوال كثيرة تؤيد مشروعيته فقد قال العلامة ابن عابدين في حاشيته الشهيرة عند شرح البسملة وتبخته عن لفظ (الله) روى هشام عن محمد عن أبي حنيفة أنه أي الله اسم الله

(111) سورة المزمل الآية (8).

(22) سورة الأنعام الآية (91).

(33) سورة الإنسان الآية (25).

(44) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (374).

(55) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري ج 5 226 0.

(66) الحاوي للفتاوى مجلد 2 27 0 الحديث رقم 1.

الأعظم وبه قال الطحاوي : وكثير من العلماء وأكثر العارفين حتى أنه لا ذكر عندهم لصاحب مقام فوق الذكر به كما في شرح التحرير لابن أمير حاج⁽¹⁷¹⁾.

وقال العلامة المحدث المناوي رحمه الله تعالى شارحا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله تعالى يقول: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه⁽⁸⁾²: فهو مع من يذكره بقلبه ومع من يذكره بلسانه ولكن معيته مع الذكر القلبي أتم وخص اللسان لإفهامه دخول الأعلى بالأولى لكن محبته وذكره لما استولى على قلبه وروحه صار معه وجليسه ولزوم الذكر عند أهل الطرق من الأركان الموصلة إلى الله تعالى وهو ثلاثة أقسام:

ذكر العوام باللسان وذكر الخواص بالقلب وذكر خواص الخواص بفنائهم عند ذكرهم عند مشاهدتهم المذكورهم حتى يكون الحق مشهودا في كل حال قالوا: وليس للمسافر إلى الله في سلوكه أنفع من الذكر المفرد القاطع من الأفتدة الأغيار وهو الله وقد ورد في حقيقة الذكر وآثاره وتجلياته ما لا يفهمه إلا أهل الذوق⁽⁹⁾³.

وقال العلامة الخادمي رحمه الله واعلم أن اسم الجلالة (الله) هو الاسم الأعظم عند أبي حنيفة والكسائي والشعبي وإسماعيل بن إسحاق وأبي حفص وسائر جمهور العلماء وهو اعتقاد جماهير مشايخ الصوفية ومحققي العارفين فإنه لا ذكر عندهم لصاحب مقام فوق مقام الذكر باسم الله مجردا قال الله لنيه المصطفى عليه الصلاة والسلام: ﴿قل الله ثم ذرهم﴾.

وقال الإمام الجنيد رضي الله عنه : ذاك هذا الاسم (الله) ذاهب عن نفسه متصل بربه قائم بأداء حقه ناظر إليه بقلبه قد أحرقت أنوار الشهود صفات بشريته.

(171) حاشية ابن عابدين ج 1 50 - 7.

(218) أخرجه البخاري (410/4) تعليقا ، ووصله في خلق أفعال العباد (436) والإمام أحمد (540/2) في مسنده والحاكم (496/1) في مستدركه وصححه ووافقه الذهبي وابن ماجه (3792) والبعوي (242).

(319) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج 2 359.

وقال الإمام ابن عجيبة رضي الله عنه فالاسم المفرد (الله) هو سلطان الأسماء وهو اسم الله الأعظم ولا يزال المرید يذكره بلسانه ويهتز به حتى يمتزج بلحمه ودمه وتسري أنواره في كلياته وجزئياته ..) ⁽¹⁰¹⁾.

وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه ليكن ذكرك (الله، الله) فإن هذا الاسم سلطان الأسماء وله بساط وثمره فبساطه العلم وثمرته النور وليس النور مقصودا لذاته بل لما يقع به من الكشف والعيان فينبغي الإكثار من ذكره واختياره على سائر الأذكار لتضمنه جميع ما في (لا إله إلا الله) من العقائد والعلوم والآداب والحقائق... ⁽¹¹²⁾.

ويقول فضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى : ولكن عامة المسلمين من غيرهم أي الذين ينكرون الذكر بالاسم المفرد (الله) لا يجدون حرجا من ان يذكروا الله بأي من أسمائه وصفاته المفردة أو يذكروه بشيء من الصيغ أو الجمل الدالة على معنى يتضمن حكما من أحكام التوحيد أو التنزيه ودليلهم على ذلك صريح قول الله عز وجل ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا﴾ ⁽¹²³⁾.

ومن المعلوم أن أول أسمائه تعالى الله.

وقال تعالى ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ ⁽¹³⁴⁾.

وذكر الله في النفس أعم من أن يقيد بمدلول جملة ذات معنى متكامل يتضمن حكما من أحكام التوحيد أو التنزيه فإن الجملة من مستلزمات التراكيب اللفظية والذكر النفسي قد لا يعتمد على شيء من هذه التراكيب وإنما يكون بإجراء اسم الجلالة أو أي صفة من صفات الله تعالى كخالق

⁽¹⁰¹⁾ تجريد ابن عجيبة على شرح متن الأجرومية ص 15.

⁽¹¹¹⁾ نور التحقيق ص 174.

⁽¹²⁾ سورة الأعراف الآية (25).

⁽¹³⁾ سورة الأعراف الآية (205).

الرزاق المصور الحكيم الخ على القلب بحيث يكون يقظا لشهود الله تعالى ففي اسمه المفرد أو أي صفة من صفاته المعروفة^[14].

ثم إنه قد وردت آيات وأحاديث كثيرة مطلقة عامة عدا ما مر فيها من أدلة ظاهرة جلية في ذكر اسم الله المفرد تحت على ذكر الله عز وجل من غير تعيين نوع معين من الذكر أو تحريم نوع آخر منه فيتبين لنا من هذا عدم ورود أي دليل يدل أو يشير إلى حرمة الذكر باسم الله المفرد. ومما يعترض على الذكر باسم الله المفرد أنه لا يؤلف جملة مفيدة تامة يحسن السكوت عليها كقولنا الله غفور والجواب : أن الذاكر باسم الله المفرد إنما يخاطب الله وحده وهو جل جلاله عالم بما في نفسه مطلع على سريرته فلا يشترط في الخطاب معه ما يشترط في الخطاب مع البشر من جعل الكلام تاما مفيدا يحسن السكوت عليه.

وقول (الله ، الله) إنما هو نداء بحذف أداة النداء وأصله (يا الله، يا الله) كقوله تعالى ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾^[15] وأصله يا يوسف ثم إن المنادى عند النحويين مفعول به لفعل محذوف وأصل الكلام (أدع الله) وقد يكون المبتدأ الله والخبر الله أو اسم من أسماء الله عز وجل ويكون هناك في القلب (العفو، الرحيم..) وذلك كما أراد أحدهم أن يشبهه شجاعة زيد بشيء آخر فلم يستطع فقال: زيد زيد.

وكذلك من حاول تشبيهه الإمام شعبة بشخصية عظيمة تقربه لذهن المخاطب فلم يجد إلا أن يقول: شعبة شعبة.

على أن الذكر باسم الله المفرد أسرع في قلع جذور النفس من منابتها من السكين الحاد فهو يزيل علائق الخلق من القلب ويفرغه من الأكوام فترحل عن قلوب الذاكرين الغفلة حتى يكون السلام ساريا في عروقهم ممزوجا بأرواحهم ويكون المذكور تجاههم لا يغفلون إذا غفل الناس وعندها

[14] كتاب السلفية لفضية الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى ص 193 - 194.

[15] سورة يوسف الآية (29).

يتحققون بمقام الإحسان الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله «... الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه...»⁽¹⁶¹⁾.

وفي نهاية الباب أقول: وأما ما ذهب إليه بعضهم من عدم جواز الذكر بالاسم المفرد فلا دليل له على ذلك بل إن نصوص القرآن الكريم تخالفهم كقوله تعالى ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾⁽¹⁷²⁾.

وقوله تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾⁽¹⁸³⁾ وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقوم الساعة وعلى الأرض من يقول الله الله⁽¹⁹⁴⁾ وقول سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه حين كان يعذبه أمية بن خلف أشد العذاب تحت حر شمس مكة: أحد أحد⁽²⁰⁵⁾ وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم يسمع قوله ولا ينكر عليه وسكوته عليه الصلاة والسلام إقرار وهذه كلها أدلة على جواز الذكر بالاسم المفرد فإذا كانت قدوتنا وأسوتنا الشريعة المطهرة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف نترك الأدلة الصريحة ونتبع عقولنا إنه لشيء عجاب!!

وهل يوجد دليل من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهانا عن ذكر الله عز وجل.

إنه لشيء عجاب!!

⁽¹⁶¹⁾ مر تخرجه (0) 160.

⁽¹⁷¹⁾ سورة الأنعام الآية (91).

⁽¹⁸¹⁾ سورة لقمان الآية (25).

⁽¹⁹¹⁾ مر تخرجه في أول الباب (227).

⁽²⁰¹⁾ كتاب سيدنا محمد ﷺ ص 88.

التلقين الفردي

1 - عن سيدنا جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: (بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إقام صلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم)⁽¹¹⁾.

وفي رواية: (بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة فلقنني: (فيما استطعت) والنصح لكل مسلم)⁽¹²⁾.

2 - وعنه رضي الله عنه أيضا قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبائع فقلت: يا رسول الله! ابسط يدك حتى أبايعك واشترط علي فأنت أعلم بالشرط قال: (أبايعك على أن تعبد الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتناصح المسلمين وتفارق المشركين)⁽¹³⁾.

3 - وعن سيدنا بشير بن الخصاصية السدوسي رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبأيعه قال: فاشترط علي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن أقيم الصلاة وأن أؤدي الزكاة وأن أحج حجة الإسلام وأن أصوم شهر رمضان وأن أجاهد في سبيل الله فقلت: يا رسول الله! أما اثنان فو الله ما أطيقهما: الجهاد والصدقة فإنهم زعموا أنه من ولي الدبر فقد باء بغضب من الله فأخاف إن حضرت تلك خشعت نفسي وكرهت الموت والصدقة فو الله مالي إلا غنيمة وعشر ذود وهو رسل أهلي وحمولتهم قال: فقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده ثم حرك يده ثم قال: (فلا جهاد ولا صدقة! فلم تدخل الجنة يا رسول الله!) قال: قلت: يا رسول الله! أنا أبايعك عليهن كلهن⁽¹⁴⁾.

وأخرج الطبراني والبخاري عن سيدنا علي كرم الله وجهه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: يا رسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها على عباده وأفضلها عنده تعالى فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «عليك بمداومة ذكر الله سرا وجهرا» فقال علي: كل الناس ذاكرون

⁽¹¹⁾ أخرجه البخاري (57) والترمذي (1925) وأحمد (360/4) والحميدي (795) وابن خزيمة (2259) والدارمي (2445).

⁽¹²⁾ أخرجه البخاري (7204) ومسلم (199) والنسائي (4200) وأحمد (364/4) والحميدي (798).

⁽¹³⁾ أخرجه النسائي (4188) وأحمد (365/4).

⁽¹⁴⁾ أخرجه أحمد (244/5) والأوسط مجمع البحرين ص 7، وابن عساكر في تاريخ دمشق (169/10-170) وصححه الحاكم (79/2)

(80- ووافقه الذهبي).

فخصني بشيء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله ولو أن السماوات والأرضين في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهم ولا تقوم القيامة وعلى وجه الأرض من يقول: لا إله إلا الله» ثم قال علي: فكيف أذكر؟ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «غمض عينيك واسمع مني لا إله إلا الله ثلاث مرات ثم قلها ثلاثاً وأنا أسمع» ثم فعل ذلك برفع الصوت.

مبايعة الصحابة لخلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

1 - عن إبراهيم بن المنتشر عن أبيه عن جده قال: (كانت بيعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين أنزل الله عليه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾⁽⁵¹⁾ التي بايع الناس عليها البيعة لله والطاعة للحق وكانت بيعة أبي بكر رضي الله عنه (تبايعوني ما أطعت الله)، وكانت بيعة عمر رضي الله عنه ومن بعده كبيعة النبي)⁽⁶²⁾.

2 - وعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: (قدمت المدينة وقد مات أبو بكر رضي الله عنه واستخلف عمر رضي الله عنه فقلت لعمر: ارفع يدك ابايعك على ما بايعت عليه صاحبك قبلك وعلى السمع والطاعة فيما استطعت)⁽⁷³⁾.

ثم نهج الوراث من مرشدي سلوك منهج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم في أخذ البيعة في كل عصر فقد ذكر الأستاذ الندوي في كتابه (رجال الفكر والدعوة في الإسلام): (أن الشيخ عبدالقادر الجيلاني فتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه يدخل فيه المسلمون من كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي يجددون العهد والميثاق مع الله ويعاهدون على ألا يشركوا ولا يكفروا ولا يفسقوا ولا يبتدعوا ولا يظلموا ولا يستحلوا ما حرم الله وقد دخل في هذا الباب - وقد فتحه الله على يد الشيخ عبدالقادر الجيلاني - خلق لا يحصيهم إلا الله وصلحت احوالهم وحسن إسلامهم وظل الشيخ يرببهم ويحاسبهم ويشرف عليهم وعلى تقدمهم فأصبح

(15) سورة الفتح الآية (10).

(6) الإصابة (458/3).

(7) حياة الصحابة (237/1).

هؤلاء التلاميذ الروحيون يشعرون بالمسؤولية بعد البيعة والتوبة وتجديد الإيمان) وقد ذكر العلامة ابن حجر الهيتمي في فتاويه في باب الشهادات وأتى بأوجه له أيضا .
وما ثبت من الأدلة الصريحة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم يتبين لنا أنه يجب على مرید الوصول إلى الكمال أن يلتحق بمرشد مربي يتعهد بالإرشاد والتوجيه إلى الطريق المستقيم وينور قلبه حتى يعبد الله على بصيرة ونور وهدى فيبايع المربي المرشد ويعاهده على السير معه في طريق التخلي عن العيوب والرذائل والتحلي بالصفات الحسنة والفضائل ويرقى في المقامات النورانية الإيمانية ويتحقق بركن الإحسان ويصاحب أهل الصدق والإيمان وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ [81].

التلقين الجماعي

• عن سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنه - وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : (هل فيكم غريب؟) - يعني من أهل الكتاب - فقلنا : لا يا رسول الله ! فأمر بغلق الباب وقال «ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله» فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده ثم قال : «الحمد لله اللهم بعثني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وإنك لا تخلف الميعاد» ثم قال : «أبشروا فإن الله قد غفر لكم» [12].

[81] سورة التوبة الآية (199).

[12] أخرجه أحمد (124/4) والطبراني في الكبير (7163) والبخاري (10) والحاكم (501/1) ورجاله موثقون في مجمع الزوائد (23).

الدف

وأما ما جاء من الأدلة على جواز ضرب الدف فقد أخرج البخاري عن خالد ابن ذكوان قال:
قالت الربيع بنت معوذ: جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخل علي صبيحة عرسي فجلس على
فراشي كمجلسك مني فجعلت جويرات لنا يضر بن بالدف ويندبن من قتل آبائي يوم بدر إذ قالت
إحدهن: وفينا نبي الله يعلم ما في غد، فقال صلى الله عليه وآله وسلم «دعي هذا وقولي ما كنت
تقولين»⁽¹¹⁾.

وقوله: دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين: فيه إشارة إلى جواز سماع المدح، مما ليس فيه مبالغة
تقضي إلى الغلو.

ويستفاد من هذا الحديث مشروعية إعلان النكاح بالدف والغناء المباح.
وأخرج البخاري أيضا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها زفت امرأة إلى رجل من
الأنصار فقال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم يا عائشة ما كان معكم هو؟ فإن الأنصار يعجبهم
اللهو⁽²²⁾.

وفي رواية شريك: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:
«فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني؟ قلت: تقول ماذا؟ قال: تقول:

أتيناكم أتيناكم	فحيانا وحياكم
ولولا الذهب الأحمر	ما حلت بواديكم

⁽¹¹⁾ أخرجه البخاري (4001) α (5147) وأبو داود (4922) والترمذي (1090) والطبراني (698/24) والبيهقي (289/7) وأحمد (359/6 - 360) وابن ماجه (1897) وابن حبان (5878).

⁽²²⁾ أخرجه البخاري (5162) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (9/203).

وفي الحديث دلالة على جواز اللهو في وليمة النكاح كضرب الدف والغناء لإعلان النكاح وإظهاره وانتشاره حتى تثبت الحقوق فيه.

وسئل مالك عن اللهو يكون فيه البوق فقال: إن كان كبيرا مشتهرا فإني أكرهه وإن كان خفيفا فلا بأس بذلك وقال مالك: لا بأس بالدف في وليمة العرس.

وقال اصبح من المالكية: ولا يجوز الغناء في العرس ولا في غيره إلا مثل ما يقول نساء الأنصار أو رجز خفيف⁽⁴²⁾.

ودخل الشعبي رحمه الله تعالى إلى وليمة فأقبل على أهلها فقال: مالكم كأنكم اجتمعتم على جنازة!! أين الغناء والدف؟ [إن الله عز وجل ليؤيد حسان بروح القدس ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله]⁽⁵³⁾.

ودليل الغناء مع الدف وقت النكاح لإعلانه وتشجيعه قوله عليه الصلاة والسلام (فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح)⁽⁶⁴⁾.

وكذلك متفق على إباحة الدف بقوله عليه الصلاة والسلام «اعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغربال»⁽⁷⁵⁾.

وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف»⁽⁸⁶⁾ وهو

مباح في النكاح وغيره أي ضرب الدف لأنه روى الإمام الترمذي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن امرأة جاءتته فقالت: إني نذرت إن رجعت من سفرك سالما أن أضرب على رأسك بالدف

⁽¹³⁾ عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (1 / 1490) وأخرجه الطبراني في الأوسط (3289) والهيتمي في مجمع الزوائد (5737).

⁽²⁴⁾ المفصل (4 / 630).

⁽⁵⁾ أخرجه البخاري (3212) ومسلم (6334) والترمذي (2846) وأحمد بن حنبل (222/5) وأبو داود (5013) مختصرا والنسائي (718).

⁽⁶⁾ أخرجه الترمذي (1088) وقال حديث حسن والنسائي (3369) وابن ماجه (1896) وأحمد (418/3).

⁽⁷⁾ أخرجه ابن ماجه (1895) وأبو نعيم (265/3).

⁽⁸⁾ أخرجه الترمذي (1089) والسيوطي في الجامع الصغير (1198).

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أوفي بندرك»⁽⁹¹⁾ ولو كان مكروها لم يأمرها به وإن كان منذورا⁽¹⁰²⁾.

وأخرج ابن ماجه عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر ببعض المدينة فإذا هو بجوار يضر بن بدفهن ويتغنين ويقلن:

يا حبذا محمد من جار	نحن جوار من بني النجار
---------------------	------------------------

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «الله يعلم أي أحبكن»⁽¹¹³⁾.
وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف»⁽¹²⁴⁾.

قالوا: لا بأس بضرب الدف يوم العيد لما روي عن عائشة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدفان وتضربان والنبي صلى الله عليه وآله وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن وجهه فقال: «دعها يا أبا بكر فإنها أيام عيد»⁽¹³⁵⁾ وتلك الأيام أيام منى.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعثت قالت: وليستا بمغنيات⁽¹⁴⁶⁾.

وقد نص الفقهاء على جواز الدف والضرب به لعرس وختان وقدوم غائب وولادة وعيد وشفاء مريض وغير ذلك وإن كان فيه جلاجل لإطلاق الخير ودعوى أنه لم يكن فيه جلاجل تحتاج إلى إثباته والجلاجل إما نحو حلق تجعل داخله كدف العرب أو صنوج عراض من صفر تجعل من

⁽¹⁹⁾ رواه أبو داود (3212).

⁽²⁰⁾ المفصل (71/41).

⁽¹¹⁾ سنن ابن ماجه (1899) وقال: (إسناده صحيح ورجاله ثقات).

⁽¹²⁾ أخرجه الترمذي (1089) والسيوطي في الجامع الصغير (1198).

⁽¹³⁾ أخرجه مسلم (2060).

⁽¹⁴⁾ أخرجه البخاري (952) ومسلم (2058) وابن ماجه (1891) وأحمد (99/6) والبيهقي (1111) والبيهقي (224/10) وابن

حبان (5877).

خروق دائرته كدف العجم وكلها جائزة ومن قال بالكراهة فقولته مردود وسواء ضرب به رجل أو أنثى وتخصيصه بالنساء مردود أيضا كما أفاده السبكي⁽¹⁵¹⁾.

• وما جاء من أقوال وحكم للعلماء في الدف:

حكى الإمام البيهقي عن شيخه الإمام الحلبي ولم يخالفه إذا أبحنا الدف فإنما نبينه للنساء خاصة أه.

وعبارة منهجه: وضرب الدف لا يحل لغير النساء لأنه في الأصل من أعماهن وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتشبهين بالنساء . أه.

ونازعه السبكي في الحلبيات بأن الجمهور لم يفرقوا بين الرجال والنساء.

قال: فتفريق الحلبي بينهما ضعيف والأصل اشتراك الذكور والإناث في الأحكام إلا ما ورد الشرع فيه بالفرقة ولم يرد هنا.

وليس ذلك مما يختص بالنساء ليقال: يحرم على الرجال التشبه بهن فيه فينبه على العموم وقد جاء: «اعنلوا النكاح واضربوا عليه بالدف»⁽¹⁶²⁾.

وقال الإمام الغزالي رضي الله عنه في الإحياء: يباح في العرس والعيد وقدم الغائب وكل سرور حادث⁽¹⁷³⁾. وهنا الدليل واضح بقوله صلى الله عليه وآله وسلم (اضربوا) فالواو لجمع المذكر السالم ولو كان القصد فقط النساء لقال: (اضربن عليه بالدفوف) فهذا ظاهر في الجواز للرجال والله أعلم.

ويقول الشيخ ابن حجر الهيتمي في رسالته كف الرعاع: المعتمد من مذهبنا أنه حلال بلا كراهة في عرس وختان وتركه أفضل وهكذا حكمه في غيرهما فيكون مباحا أيضا على الأصح في المنهاج بلا كراهة وظاهر ندبه لكل سرور مطلوب⁽¹⁸⁴⁾.

⁽¹⁵¹⁾ نيل الأوطار للشوكاني (337/6-338).

⁽¹⁶²⁾ أخرجه الترمذي (1089).

⁽¹⁷³⁾ الزواجر ج 2 291.

⁽¹⁸⁴⁾ كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع / 290 - 291 / 0.

وذكر الشيخ عبدالرؤوف المناوي رحمه الله في شرحه الكبير على الجامع الصغير للسيوطي رحمه الله تعالى : عند قوله عليه الصلاة والسلام : «أعلنوا النكاح واجعلوه بالمسجد واضربوا عليه بالدفوف» وقد أفاد الخبر حل ضرب الدف في العرس ومثله كل حادث سرور ومذهب الشافعية: أن الضرب فيه مباح مطلقا ولو بجلاجل وقد وقع الضرب به في حضرة شارع الملة ومبين الحل من الحرمة وأقره ولا فرق بين ضربه من امرأة أو رجل على الأصح⁽¹⁹¹⁾.

وسئل أبو يوسف رحمه الله تعالى عن الدف أكرهه في غير العرس قال: لا أكرهه⁽²⁰²⁾.

وقال الإمام الجليل بهاء الدين الرواس رحمه الله وقدس سره :

نعم إن السماع قد تكاثرت فيه الأقوال وتباينت عليه الأحوال إثباتا ونفيا فمنهم من يلحقه بالفسق ومنهم من يشهد أنه واضح الحق فيتجاذبون بين الإفراط والتفريط والحق الاقتصاد وهو التفصيل في المسموع أما أصوات الملاهي فغير ما هو من شعار أهل الشرب منها مثل الدف ونحوه فعند الإمام الشافعي الأعظم رضي الله عنه فسحة وللقول فيها تفاصيل حررتها بقصيدة لي وهي :

اضررب الدف وجانب جاهلا	حكمة الشرع لغني ما درى
قد أباح الدف قدما مالك	وعن الأصحاب يروي الخبرا
والإمام الشافعي المنتقى	تبع القول وقوى الأثرا
وكذا النعمان قد قيده	لنكاح أو لعيد وجرى
وأتى عن أحمد بينهما	خبر خذ نصه معتبرا
إن يكن في العيد أو في مثله	من دواعي الخير زين لا مرا
وحكى فيه ثوبا بينا	لطباق جاء عن خير الورى
نكتة الإجماع إن جاءت على	حكم نص أبدا لن تنكرا
هذه الأخبار عن أربعة	لبقاء الدين أفنوا العمرا

(191) إيضاح الدلالات في سماع الآلات ص 54 - 55.

(202) الفتاوى الهندية ص 352.

ولشأن النص سر آخر	نثر الأقوام منه الدررا
كل ما حرك قلبا ساكنا	ودعا العقل به معتبرا
وأجال الروح في برزخها	تذكر الله وتبغي مظهرها
فهو بر والذي يفعله	فعل البر والله سرى
إن في الدف وفي رنته	نغمة يعرفها من ذكرا
صوته ذكر وفي بحته	أنة تذكر أوقات السرى
نضرب الدف ومنه عندنا	ذاكرا نسمعه لن يفترا
وبهذا اللف من دورته	دورة الكوكب إن ما أبدرا
يرفع العزم إلى الله وقد	يحكي معنى كيف تقضي العمرا
كم صباح دار بالليل وكم	من هلال بالليالي انحدرنا
وبه معنى رقيق مخبر	كيف شق الهاشمي القمرنا
وبه رق إلى الرق عزي	كل نفس طيشها قد كبرا
وبه الدفة تروي خبرال	سدفة الملساء عمن قبرا
ويريك الجلد منه ميتا	أذهب العين وأبقى الأثرا
ويريك الخشب الملوي في	ه بأن الفقد يلوي الشجرا
دورة في نسجها دائرة	تبرز النقطة فافهم ما جرى
وبرن الجلد من ضاربه	طلب الهمة ممن قدرا
فإذا يترك يغدو ساكنا	وإذا يضرب طورا احضرا
لك هذا الرق من قلبك إن	لم ترعه خلته ما ذكرا
وإذا هز بحال ضارب	داوم الذكر وخاف الخطرا
قام في الدف مناد كامن	إن رأى الكف بدا واشتهرا
خذ به الكف عن الدنيا وقم	بيد الذكر له مستظهرا

وافهم من جلده معنى إذا	أنت حققت كما الجسم يرى
رق حتى طاب منه صوته	بعد شد فافهم ما أضمر
واعمل الرقة خلقا ثم شد	لها العزم لتعطي مظهرا
وانظر اللوح الذي دار به	قد غدا في جلده مستترا
فاستر الكامن من حال وكن	لمحيط ساتر مفتقرا
واحذر المس لنار بالذي	خالف الشرع لتكفي الغيرا
جلدة الدف إذا النار بها	عبثت تدخل في نوع الثرى
يذهب الستر وتبقى خشبا	ما بها صوت ولا السر يرى
فاحذر النار وكن ذا فطنة	دائما مستشعرا مستبصرا
وافهم الحكم بهذا عيدنا	عن نبي هابه ليث الشرى
سيد قد أيد الدين به	وبه قد شرفت أم القرى
فاضرب الدف على حكمته	ودع اللاهي بما فيه افترى
ومن الأشياء خذ تسبيحها	مثل ما في الآي نصا ذكرا
وارشد العالم واهجر جاهلا	نظر الشمس كأن ما نظر
واهمل الحاسد في حيرته	عرف الحق وولى مدبرا
ولدي كن مهدي المرتقى	أحمدي واستدق النظرا
إن موسى من أولي العزم وقد	لخفاء الحكم لام الخضرا
فاحكم استدلالك الدهر وكن	ثابت العزم مكينا وقرا
قد نظمنا حكمة الدف لمن	قلبه سر التدلي وقرا
وكتبناه سطورا لفتى	فهم النظم وللسطر قرا
جاء شعرا مهديا رمزه	بمعانيه أطاش الشعرا
راح في طي مباين نظمه	درنا منسلكا منتثرا

عنه آيات المعاني أحكمت	خبرا يجيي قلوب الفقرا
وطوى معنى لطيفا سائغا	كلما أورد سرا أصدرا ^[21]

• وقال الشيخ عبدالغني النابلسي:

وأما ضرب الدف والرقص فقد جاءت الرخصة في إباحته للفرح والسرور في أيام الأعياد والعرس و قدوم الغائب والوليمة والعقيقة وقد ثبت جواز ذلك بالنص^[22].

ومن ذلك كله يتبين أن الغناء في الأفراح والأحزان جائز ولكن ضمن القيود والضوابط التي وضعها العلماء لهذه الإباحة وسيأتي الكلام عنه مفصلاً في باب الإنشاد والسماع إن شاء الله تعالى. ويقول الدكتور وهبة الزحيلي في كتابه الفقه الإسلامي وأدلته (3 / 5750) يجوز الغناء المباح وضرب الدف في العرس والختان بقوله صلى الله عليه وآله وسلم «أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغربال» (وتحرم الأغاني المهيجة للسرور والمشتعلة على وصف الجمال والفجور ومعاقرة الخمر في الزفاف وغيره).

وفي مجموع رسائل الشيخ محمد الحامد في الكلام على الدف ما نصه (630):

(اللهو في العرس هو الضرب بالدف والغناء السالم من الفسوق).

وقال الشيخ كريم راجح حفظه الله تعالى: قلت للشيخ ملا رمضان البوطي رحمه الله لماذا لا نحرم الدف فقال الشيخ ملا رحمه الله: كيف نحرم شيئاً أحله الشرع؟! وهذا مسعته من الشيخ كريم راجح حفظه الله تعالى.

وفي هذا القدر كفاية لطالب الحق والدليل والحمد لله رب العالمين.

^[21] طي السجل ص 139 - 142.

^[22] إيضاح الدلالات ص 66.

السبحة

تعريف السبحة في اللغة: قال الإمام محي الدين النووي في تهذيب الأسماء واللغات (سبحة بضم السين وإسكان الباء الموحدة خرزات منظومة يسبح بها معروفة يعتادها أهل الخير مأخوذة من التسبيح والمسبحة: بضم الميم وفتح السين وكسر الباء المشددة الإصبع السبابة وهي التي تلي الإبهام وسميت بذلك لأن المصلي يشير بها إلى التوحيد والتنزيه أه).

وفي المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للشهاب الفيومي: التسبيح: التقديس والتنزيه ويكون بمعنى الذكر والصلاة فريضة كانت أو نافلة ويسبح على راحلته أي يصلي النافلة عليها وصلى سبحة الضحى أي صلاة الضحى ومنه ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾⁽¹¹⁾ أي من المصلين والسبحة خرزات معروفة منظومة قال الفارابي وتبعه الجوهرى: كلمة مولدة وجمعها سبوح مثل غرفة وغرف. أه.⁽²²⁾

وفي القاموس: السبحة خرزات للتسبيح تعد والدعاء وصلاة التطوع.

وفي شمس العلوم⁽³³⁾: السبحة: الصلاة يقال قضيت سبحتي والسبحة الخرزات التي يسبح بها وجمعها سُبُح.⁽⁴⁴⁾

• مشروعية اتخاذ السبحة:

1 - عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعقد التسبيح بيده.⁽⁵⁵⁾

(11) سورة الصافات الآية (143).

(22) نقل شارح القاموس عن شيخه أنها ليست من اللغة في شيء ولا تعرفها العرب وإنما حدثت في الصدر الأول إعانة على الذكر وتذكيرا أو تنشيطا.

(33) للإمام أبي الحسن نشوان بن سعيد بن فثوان اليميني الحميري الفقيه اللغوي المحقق المؤرخ الشاعر المتوفى سنة (573) هـ باليمن.

(44) نزعة الفكر ص 8 - 9.

(55) رواه الترمذي (3411) وأبو داود (3486) وأبو داود (1502) والنسائي (79/3) والحاكم (547/1) والبيهقي (253/2) وأحمد

(160/2) وابن حبان (843) والبغوي (1268).

وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النساء بال عقد بأصابعهن فقال: «عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس واعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولات ومستنطقات»⁽⁶¹⁾.

2 - وعن صفية قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين يدي أربعة آلاف نواة أسبح بنه فقال: ما هذا يا بنت حبي؟ قلت: قد سبحت منذ قمت على راسك أكثر من هذا قلت: علمني يا رسول الله قال قولي سبحان الله عدد خلقه⁽⁷²⁾.

3 - وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن يونس بن عبيد عن امه قالت: رأيت أبا صفية رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان جارنا قالت فكان يسبح بالحصى.

4 - وأخرج أحمد في الزهد: عن عبدالرحمن قال: كان لأبي الدرداء رضي الله عنه نوى العجوة في كيس فكان إذا صلى الغداة أخرجهن واحدة واحدة يسبح بهن حتى ينفذن.

5 - وأخرج أبو داود في باب (ما يكره من ذكر الرجل ما يكون من إصابة أهله) من كتاب النكاح عن أبي نضرة حدثني شيخ من طفاوة⁽⁸³⁾ قال تثويت أبا هريرة بالمدينة فلم أر رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشد تشميرا ولا أقوم على ضيق منه ، فبينما أنا عنده يوما وهو على سرير له معه كيس فيه حصى أو نوى وأسفل منه جارية له سوداء وهو سبح بها حتى إذا نفذ ما في الكيس القاه إليها فجمعته فأعادته في الكيس فرفعته إليه فقال: ألا أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحديث⁽⁹⁴⁾.

قال السيوطي في مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود معنى تثويت : تضيفت ونزلت عنده ضيفا أهـ⁽¹⁰⁵⁾.

⁽⁶¹⁾ أخرجه أبو داود (1501) والترمذي (3583) وأحمد (370/6) والطبراني في الكبير (73/25 "181") وابن أبي شيبة في المصنف (289/10) وصححه الذهبي في المختصر وحسنه الحافظ ابن حجر في أمالي الأذكار والنووي في الأذكار.
⁽²⁷¹⁾ رواه الترمذي (3554).

⁽³⁸¹⁾ أبو نضرة : هو المنذر بن مالك تابعي جليل وطفاوة بضم الطاء حي من قيس عيلان.

⁽⁴⁹¹⁾ رواه أبو داود (2174).

⁽¹⁰¹⁾ زهة الفكر ص 12.

- 6 - وكذلك أخرج ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري أنه كان يسبح بالحصى وكذلك صح أنه كان لأبي هريرة أيضا خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به.
- 7 - وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن مولاة لسعد أن سعدا كان يسبح بالحصى أو النوى.
- 8 - وأخرج ابن سعد أن سعد بن أبي وقاص كان يسبح بالحصى.
- 9 - وأخرج أيضا عن أبي هريرة أنه كان يسبح بالنوى المجزع : أي ما فيه سواد وبياض.
- 10 وأخرج أيضا عن فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب أنها كانت تسبح بخيط معقود فيها.

11 وورد في الأثر: نعم المذكر السبحة.

• أقوال العلماء في اتخاذ السبحة:

ورد في حديث مسلسل أن الحسن البصري كان يستعمل السبحة وكان هو في عصر الصحابة.

وقال عمر المكي: رأيت أستاذي الحسن البصري وفي يده سبحة فقلت له: يا أستاذ مع عظم شأنك وحسن عبادتك أنت إلى الآن مع السبحة؟ فقال لي: هذا شيء كنا استعملناه في البدايات ما كنا نتركه في النهايات إني أحب أن أذكر الله بقلبي ويدي ولساني.

وقال محمد الأمير في رسالته: قال الشيخ أبو العباس الرواد: تبين من قول الحسن أن السبحة كانت موجودة في زمن الصحابة لأن بدايته في زمنهم⁽¹¹¹⁾.

وفي الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر المكي الهيثمي الشافعي: يحل نحو الجلوس على الحرير بحائل ولو رقيقا ومن استعماله المحرم التدثر به ويحل جعل الطارز منه على الكم إذا كان بقدر أربعة أصابع وخيط السبحة⁽¹²²⁾ وعلم الرمح وكيس المصحف.

وقال ابن علان وقد أفردت السبحة بجزء لطيف سميته (إيقاد المصابيح في اتخاذ المسابيح) وأوردت فيه ما يتعلق بها من الأخبار والآثار والاختلاف في تفاصيل الاشتغال بها أو بعقد الأصابع في الأذكار وحاصل ذلك أن استعمالها في أعداد الأذكار الكثيرة التي يلهي الاشتغال بها

(111) نزهة الفكر في سبحة الذكر للإمام اللكنوي (160 - 18 - 36).

(122) أي يحل خيط السبحة وما عطف عليه إذا كان من الحرير.

عن التوجه للذكر أفضل من العقد بالأنامل ونحوه... ، إلى آخر كلامه وقال عند قوله صلى الله عليه وآله وسلم «وأن يعقدن الأنامل فإنهن مسؤولات مستنطقات بعد كلام (ولهذا اتخذ أهل العبادة وغيرهم السبحة)⁽¹¹³⁾».

وفي شرح المشكاة لابن حجر: ويستفاد من الأمر المذكور في الحديث ندب اتخاذ السبحة وزعم أنها بدعة غير صحيح...

وقال ابن الجوزي: إن السبحة مستحبة لما في حديث صفية أنها كانت تسبح بنوى أو حصى وقد أقرها صلى الله عليه وآله وسلم على فعلها والسبحة في معناها إذ لا يختلف الغرض عن كونها منظومة أو منثورة.

وقال عكرمة: قد اتخذ السبحة سادات يشار إليهم مؤخذ عنهم ويعتمد عليهم كأبي هريرة كان له خيط فيه ألفا عقدة فكان لا ينام حتى يسبح به ثنتي عشرة ألف تسبيحة وفي الدر المختار (في مذهب الحنفية) لا بأس باتخاذ السبحة لغير رياء كما بسطه في البحر.

وقال الإمام السيوطي: وقد أخذ السبحة سادات يشار إليهم ويؤخذ عنهم ويعتمد عليهم فلو لم يكن في اتخاذها غير موافقة هؤلاء السادة والدخول في مسلكهم لكفى.

وذكر القاضي أبو العباس أحمد بن خلكان في وفيات الأعيان أنه روي في يد أبي القاسم الجنيد بن محمد يوما سبحة فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة؟ قال: طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه⁽¹¹⁴⁾.

وقد قال العلامة ابن عابدين في حاشيته المشهورة: لا بأس باتخاذ السبحة ودليل الجواز ما رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد عن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به فقال

(113) من الفتوحات الربانية على الأذكار النووية للعلامة محمد بن علان الصديقي المتوفى سنة (1057هـ) (11 0 251 - 252).

(114) الحاوي (21 / 370 - 40).

«أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا أو أفضل فقال: سبحان الله عدد ما خلق في السماء وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض وسبحان الله عدد ما بين ذلك»⁽¹⁵¹⁾.

فلم ينهها عن ذلك وإنما أرشدها إلى ما هو أيسر وأفضل ولو كان مكروها لبين ذلك ولا تزيد السبحة على مضمون هذا الحديث إلا بضم النوى في خيط ومثل ذلك لا يظهر تأثير المنع فلا جرم أنه نقل اتخاذها والعمل بها عن جماعة من الصوفية الأخيار وغيرهم⁽¹⁶²⁾.

وقال علي القاري في المرقاة في شرح حديث سعد المذكور: هذا أصل صحيح لتجويز السبحة بتقريره صلى الله عليه وآله وسلم تلك المرأة إذ لا فرق بين المنظومة والمنثورة ولا يعتد بقول من عدها بدعة وقد قال المشايخ إنها سوط الشيطان⁽¹⁷³⁾.

وقال بعض العلماء: عقد التسبيح بالأنامل أفضل من السبحة ولكن يقال: إن المسيح إن أمن الغلط كان عقده بالأنامل أفضل وإلا فالسبحة أولى.

• الشبهات في اتخاذ السبحة:

شبهة: لو كان فيها حسن لاتخذها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهدى الصحابة إليها.

وجوابه: أنه ليس كل ما لم يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه فهو ليس بحسن فإن ما رغب فيه أو قرر عليه أو على نظير له وجد بين يديه أيضا حسن⁽¹⁸⁴⁾.

والدليل على ذلك عقده صلى الله عليه وآله وسلم بالأنامل وأمره النسوة أن يعقدن بها كما في الأدلة في أول الباب.

شبهة: أن بعض الفقهاء قد حكم بأن مطلق العد بدعة فما بالك بالعد بالسبحة والأمر إذا دار بين الحسن والابتداع ترك حذار عن شبهة الاختراع.

⁽¹⁵¹⁾ أخرجه بلفظ (سبحان الله عدد ما هو خالق) في المرة الثالثة أبو داود (1500) والترمذي (3568) والطبراني في الدعاء (1738)

والبغوي (1279) وابن حبان (837) والحاكم (547/1 - 548) وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الحافظ ابن حجر في أمالي الأذكار.
⁽¹⁶²⁾ من حاشية ابن عابدين ج 1 / 4570 .

⁽¹⁷³⁾ إ: السوط الذي يزجر به ويطرد.

⁽¹⁸⁴⁾ وهنا قرر عنه النظر وهو التسبيح بالحصن.

وجوابه: أن قول من قال مطلق العد بدعة مردود ذلك بنص النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفعله وفعل أصحابه الأجلاء والأمر الدائر بين الحسن والابتداع إنما يترك إذا تساوى فيه طرفا الحسن والابتداع وههنا قد ترجح جانب الحسن بالوجوه العديدة فتكون العبرة له لا للشبهة السخيفة. وأما القول بأن السبحة منقولة عن الأديان أو الأوطان الأخرى فغير صحيح بعد ما قدمنا من نشوئها وتطورها في الوسط الإسلامي فإن اتفق وجه شبه بين هذا وذاك فليس معناه النقل والتقليد ولكنه نوع من توارد الخواطر والأفكار علما بأنه ليس كل نقل أو تقليد حرام!!..

ولو اتخذ السبحة من نوع جيد بنية تعظيم الذكر والمذكور سبحانه كان لا بأس به ولا حرج عليه فإن اتخذها من نوع غال بنية المفاخرة والشهرة ولفت النظر كانت حراما واتخاذ السبحة الكاملة أفضل من اتخاذ الثلث قولاً واحداً كما يحرم اتخاذ السبحة للهو واللعب والمفاخرة ومجرد اشتغال اليد لأنها أداة عبادة كما يحرم العد عليها من غير ذكر لأنه تشبه كاذب وعبث كما أفتى بذلك الإمام ابن الحاج رضي الله عنه وقد أفتى الشيخ العدوي بعدم اتخاذ السبح الكبار جدا اللافتة للأنظار ووضعها في العنق أو نحو ذلك نقول: لما في ذلك من طلب الشهرة والرياء وحب زعم الولاية واستغلال السبح واستغفال العامة والله الموفق للصواب.

ومن لطيف العبر ما حكاه الإمام السيوطي عن بعض الثقات أنه أخبره: أنه كان مع قافلة في درب بيت المقدس فقامت عليهم سرية عرب وجردوا القافلة جميعها وردوني معهم فلما أخذوا عماتي سقطت سبحة من رأس فلما رأوها قالوا: هذا صاحب سبحة فردوا علي ما كان أخذ مني وانصرفت سالماً منهم.

قال السيوطي: فانظر يا أخي إلى أهل الآلة المباركة الزاهرة وما جمع فيها من خيري الدنيا والآخرة

[191].

[191] زهة الفكر في سبحة الذكر للإمام الكنوي 25.

الخاتمة

ومن مجموع هذه الآثار نجد أن أصل اتخاذ السبحة قائم في الإسلام لإحصاء الذكر وإن الذي تطور إنما هو النوى والحصى وتطورت العقد في الخيط وعلى الأنامل إلى حبات مثقوبة على صورة العقد يجمعها خيط يحملها العابد فتذكره بربه وبورده.
وفي هذا القدر كفاية لمن أراد أن يكفني والحمد لله رب العالمين

الإنشاد والسماع

• الأدلة من القرآن الكريم:

لقد استدل القائلون بإباحة الغناء بكثير من الأدلة من القرآن الكريم منها:

قال الله تعالى ﴿يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾⁽¹¹⁾.

وقال ابن كثير نقلاً عن الإمام الزهري وابن جريج في قوله تعالى ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ يعني

حسن الصوت ورواه عن الزهري البخاري في الأدب المفرد⁽²²⁾.

وقال القرطبي في تفسير الآية: إنه حسن الصوت كما ذكر ابن كثير عن الزهري⁽³³⁾.

والى هذا المعنى ذهب أكثر المفسرين كالنسفي واليضاوي والهازم وغيرهم⁽⁴⁴⁾.

• الأدلة من السنة الشريفة:

⁽¹¹⁾ سورة فاطر الآية (1).

⁽²²⁾ تفسير ابن كثير (5/567).

⁽³³⁾ الجامع لأحكام القرآن القرطبي (14/320).

⁽⁴⁴⁾ تفسير البغوي بجامش تفسير الهازم (3/296).

عن سيدنا أنس رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في سفره وكان غلام يحدو بهن يقال له أنجشة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «رويدك يا أنجشة سوقك بالقوارير» قال أبو قلابة : يعني ضعفة النساء)⁽⁵¹⁾.

وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه أيضا قال: كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حاد يقال له أنجشة وكان حسن الصوت فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم (يا أنجش رويدك لا تكسر القوارير)⁽⁶²⁾.

قال قتادة : يعني ضعفة النساء .

وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: قال ابن بطال : القوارير كناية عن النساء اللاتي على الإبل التي تساق حينئذ فأمر عليه الصلاة والسلام الحادي بالرفق بالحداء لأنه حيث الإبل حتى تسرع فإذا أسرع لم يؤمن على النساء السقوط وإذا مشت رويدا أمن على النساء السقوط... إلى أن قال: نقل ابن عبد البر الاتفاق على إباحة الحداء وفي كلام بعض الحنابلة خلاف فيه ومن منعه محجوج بالأحاديث الصحيحة .

ويلتحق بالحداء هنا الحداء للحجيج المشتغل على التشوق إلى الحج يذكر الكعبة وغيرها من المشاهد ونظيره ما يحرص أهل الجهاد على القتال .

وعن سيدنا أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له : يا أبا موسى لقد أوتيت مزارا من مزامير آل داود⁽⁷³⁾.

وعن عامر بن سعد قال: دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود الأنصاري في عرس وإذا جوار يغنين فقلت أي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن أهل بدر يفعل هذا عندكم؟! ... فقالوا اجلس إن شئت فاستمع معنا وإن شئت فاذهب فإنه قد رخص لنا في اللهو عن العرس⁽⁸⁴⁾.

⁽¹⁵⁾ أخرجه البخاري في (6211) ومسلم (5994) والبيهقي (2027/10) والبخاري (3577) وابن حبان (5801).

⁽²⁶⁾ مر تخريجه .

⁽³⁷⁾ أخرجه البخاري (5048) وفي خلق أفعال العباد ص 33 ومسلم (1849) والترمذي (3855) .

⁽⁴⁸⁾ أخرجه النسائي (3383) .

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال
 نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم «يا عائشة ما كان معكم هو؟» فإن الأنصار يعجبهم اللهو».
 وفي رواية شريك : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «فهل بعثتم معها جارية تضرب
 بالدف وتغني؟ قلت: ماذا تقول؟ قال تقول:

أتيناكم ... أتيناكم	فحيانا وحياكم
ولولا الذهب الأحمر	ما حلت بواديكم
ولولا الحنطة السمراء	ما سمت عذارىكم ⁽⁹¹⁾

وعن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت : (دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعندي
 جاريتان تغنيان بغناء بُعث⁽¹⁰²⁾ فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهرني
 وقال: مزمارة الشيطان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم فقال: دعهما فلما غفل غمزتها فخرجتا وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب
 فإما سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإما قال: (تشتهين نظرين؟) قلت نعم ، فأقامني
 وراءه خدي على خده وهو يقول: (دونكم يا بني أرفدة حتى إذا مللت قال: (حسبك؟) قلت:
 نعم، قال: (فأذهبي).

وفي رواية قالت: (دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به
 الأنصار يوم بعثت قالت : وليستا بمغنيتين فقال أبو بكر أئبمزور الشيطان في بيت رسول الله صلى

[19] أخرجه البخاري في الصحيح (5162) والحاكم (184/2) والبيهقي (188/7) والأبيات هي من بحر الهزج وهو نوع من بحور الشعر
 خفيف الإيقاع ووزن الأبيات كالتالي:

أتيناكم أتيناكم	فحيانا وحياكم
أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ	فَحَيَانًا وَحَيَاكُمْ
مفاعيلن مفاعيلن	مفاعيلن مفاعيلن

[10] يوم بعثت: يوم كان الحرب بين الأوس والخزرج قبل الإسلام وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين على الأصح فتح البارقي لابن حجر
 (77/8).

الله عليه وآله وسلم وذلك يوم عيد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا»⁽¹¹¹⁾.

وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: أنشدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مئة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول (هيه هيه) ثم قال «إن كاد في شعره ليسلم»⁽¹¹²⁾.

وعن سيدنا بريدة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت: يا رسول الله إني كنت نذرت إن ردك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى قال لها: «إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا» فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحت إستها ثم قعدت عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إن الشيطان ليخاف منك يا عمر إني كنت جالسا وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف»⁽¹¹³⁾.

⁽¹¹¹⁾ فتح الباري، ط السلفية (445/2) وأحمد في مسنده (134/6) ومسلم (21/3) ط الحلبي وابن ماجه (612/1) والنسائي في سننه (196/3).

⁽¹¹²⁾ أخرجه مسلم (2255) والبخاري في الأدب (799).

⁽¹¹³⁾ أخرجه الترمذي (3690) ولقد نظم الشاعر حافظ إبراهيم هذه القصة النبوية في قصيدة شعرية رائعة تقول:

أرأيت تلك التي قد نذرت	أنشودة لرسول الله تهديها
قالت: نذرت لئن عاد النبي لنا	من غزوة لعلني دف أغنيها
وعمت حضرة الهادي وقد ملأت	أنوار طلعت أرجاء ناديا
واستأذنت ومشيت بالدف واندفعت	تشجي بألحائها ما شاء مشجيا
حتى إذا لاح من بعد لها عمر	خارت قواها وكاد الخوف يرديا
وخبأت دفها في ثوبها فرقا	منه وودت لو أن الأرض تطويا
قد كان حلم رسول الله يؤنسها	فجاء بطش أبي حفص يخشيا
فقال مهبط وحي الله مبتسما	وفي ابتسامته معنى يواسيا
قد فر شيطانها لما رأى عمرا	إن الشياطين تخشئ بأس مخزيا

وعن سيدنا قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت)⁽¹⁴¹⁾.

وعن سيدنا فضالة بن عبيد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لقينته»⁽¹⁵²⁾.

وقالت سيدتنا عائشة رضي الله عنها (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتناشدون عنده الشعر وهو يبتسم)⁽¹⁶³⁾.

وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر ببعض المدينة فإذا هو بجوار صغار يضربن بدفهن ويتغنين ويقلن:

نحن جوار من بني النجار	يا حبذا محمد من جار
------------------------	---------------------

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «الله يعلم إني لأحبكن»⁽¹⁷⁴⁾.

عن عبدالله بن الزبير قال: (ما أعلم رجلا من المهاجرين إلا قد سمعته يترنم)⁽¹⁸⁵⁾.

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل مكة وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله	اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله	ويذهل الخليل عن خليله
يا رب إني مؤمن بقيله	

فقال عمر رضي الله عنه يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي حرم الله تقول شعرا؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل⁽¹⁹¹⁾.

⁽¹⁴¹⁾ أخرجه الترمذي في الشمائل (3383) وزاد قوله (وكان نبيكم حسن الوجه وحسن الصوت).

⁽¹⁵²⁾ أخرجه ابن ماجه (176).

⁽¹⁶³⁾ أخرجه الترمذي (2850) وقال حديث حسن صحيح.

⁽¹⁷⁴⁾ أخرجه ابن ماجه (1899) وقال حديث صحيح ورواه ثقات.

⁽¹⁸⁵⁾ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (225/10).

وعن سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «إن من الشعر
حكمة»⁽²⁰²⁾.

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: قالت الأنصار يوم الخندق:

نحن الذين بايعوا محمدا	على الجهاد ما بقينا أبدا
------------------------	--------------------------

فأجابهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

لا عيش إلا عيش الآخرة	فانصر الأنصار والمهاجرة ⁽²¹³⁾
-----------------------	--

وعن سيدنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى
خير فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تسمعنا من هنيهاتك؟ وكان عامر
رجلا شاعرا فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا	ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اقتضينا	وثبت الأقدام إن لاقينا
وألقين سكينه علينا	إننا إذا صبح بنا أتينا
وبالصباح عولوا علينا	

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من هذا السائق) قالوا: عامر بن الأكوع قال (يرحمه
الله) الحديث⁽²²⁴⁾.

⁽¹⁹⁾ أخرجه الترمذي (2847) وقال حديث حسن صحيح والنسائي (2873) وأبو يعلى (3440) والبخاري (3404) والبيهقي (228/10) وأبو نعيم (292/6) وابن حبان (5788) وعبد بن حميد (1257).

⁽²⁰⁾ أخرجه البخاري (6145) وابن ماجه (3755) والدارمي (2604) وأبو داود (5010) والبخاري في الأدب المفرد (858) والطيالسي (556) والبيهقي (237/10) وعبدالرزاق (20499) وابن أبي شيبة (691/8) وأحمد (125/5) وابنه في زوائد المسند (126/5) والشافعي (188/2).

⁽²¹⁾ أخرجه البخاري (2961) وفي أماكن كثيرة ومسلم (1805) والترمذي (3857) وأحمد (170/3) والبيهقي (39/6) وفي مسند علي بن الجعد (1507).

⁽²²⁾ أخرجه البخاري (4196) مطولا و (2477) مختصرا ومسلم (4644) مطولا وابن ماجه (3195) بنحوه مختصرا وأحمد (47/4) - 48 مختصرا ومطولا وابن حبان (5276) والبيهقي (330/9) والبخاري (3850) والطبراني في الكبير (6294).

وعن سعيد بن المسيب قال: مر عمر في المسجد وحسان ينشد فلحظه عمر (أي نظر إليه نظرة إنكار) ثم التفت أي حسان إلى أبي هريرة فقال: (أنشدك بالله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول «أجب عني اللهم أيده بروح القدس» قال نعم^[231]).

وعن سيدتنا عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الشعر فقال: «هو الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام»^[242] .

«هو الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام»^[253].

• أقوال العلماء

1 - الإمام السفاريني رحمه الله تعالى:

يقول العلامة السفاريني شارح منظومة الآداب: (وفي رواية أبي بكر بن الأنباري أن كعب بن زهير لما جاء تائباً وقال قصيدته المشهورة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول	متيم إثرها لم يفد مكبول
إلى أن وصل إلى قوله:	
إن الرسول لسيف يستضاء به	مهند من سيوف الهند مسلول

رمى صلى الله عليه وآله وسلم إليه بردة كانت عليه وأن معاوية بذل فيها عشرة آلاف فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحدا فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته

[231] أخرجه البخاري (3212) ومسلم (6334) وأبو داود (5013) مختصرا والنسائي (715) وأحمد (222/5 ج 223).
 [242] أخرجه الترمذي (2846) وأحمد (72/6) وفي رواية إن روح القدس مع حسان أخرجه أبو داود (5015).
 [253] أخرجه أبو يعلى بإسناد حسن (4760/ 8 إ) وذكره الهيثمي (13317/8) والبيهقي في السنن الكبرى (339/10) وقال: وصله جماعة والصحيح عنه عن النبي ﷺ مرسلًا والدارقطني (155/4) وذكره في المطالب العالية (2578) وقال محققه سكت عليه البوصيري ويشهد له حديث عبد الله بن عمر وفي الأوسط (7692) قال: قال رسول الله ﷺ «الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام» وإسناده حسن كما في مجمع الزوائد (133/8) وأخرجه أيضا الدارقطني (156/4).

بعشرين ألفاً فأخذها منهم إلى أن قال: تحصل من إنشاد قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه البردة عدة سنن: إباحة إنشاء الشعر واستماعه في المسجد والإعطاء عليه^[261].

وقال العلامة السفاريني في منظومة الآداب: (قال في الإقناع وغيره وبياح الحداء الذي تساق به الإبل ونشيد الأعراب).

وقال أيضاً: (المذهب الإباحة من غير كراهية لما تضافرت به الأخبار وتضافرت به الآثار من إنشاد الأشعار والحداء في الأسفار وقد ذكر بعض العلماء الإجماع على إباحة الحداء)^[272].

وقال أيضاً في غذاء الألباب: والسمع مهيج لما في القلوب محرك لما فيها فلما كانت قلوب القوم معمرة بذكر الله تعالى صافية من كدر الشهوات محترقة بحب الله ليس فيها سواه كان الشوق والوجد والهيجان والقلق كامن في قلوبهم كمنون النار في الزناد فلا تظهر إلا بمصادفة ما يشاكلها فمراد القوم فيما يسمعون إنما هو مصادف ما في قلوبهم فيستثيره بصدمة طروقه وقوة سلطانه فتعجز القلوب عن الثبوت عن اصطدامه فتبعث الجوارح بالحركات والصرخات والصعقات لثوران ما في القلوب لأن السماع يحدث في القلوب شيئاً.

2 - الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى:

ذكر الإمام الشاطبي في كتابه (الاعتصام) أن أبا الحسن القرافي الصوفي يروي عن الحسن البصري رحمه الله أن أقواماً أتوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا يا أمير المؤمنين إن لنا إماماً إذا فرغ من صلاته تغنى فقال عمر رضي الله عنه من هو؟ فذكر الرجل فقال قوموا بنا إليه فإننا إن وجهنا إليه يظن أننا تجسسنا عليه أمره. قال: فقام عمر رضي الله عنه مع جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أتوا الرجل وهو في المسجد فلما نظر إلى عمر قام فاستقبله فقال يا أمير المؤمنين ما حاجتك؟ وما جاء بك؟ إن كانت الحاجة لنا كنا الأحق بذلك منك أن نأتيك وإن كانت الحاجة لله فأحق من عظمناه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عمر: ويحك بلغني عنك أمر ساءني قال: وما هو يا أمير المؤمنين قال: أتمجن في عبادتك؟ قال: لا يا أمير

[261] غذاء الألباب ص 155.

[272] غذاء الألباب (1/145).

المؤمنين لكنها عظة أعظ بها نفسي قال عمر قلها فإن كان كلاما حسنا قلته معك وغن كان قبيحا
نهيتك عنه فقال:

وفؤادي كلما عاتبته	في مدى الهجران يبغني تعبي
لا أراه الدهر إلا لاهيا	في تماديه فقد برح بي
يا قرين السوء يا هذا الصبا	فني العمر كذا في اللعب
ما أرجي بعده إلا الفنا	ضيق الشيب علي مطلبي
ويح نفسي لا أراها أبدا	في جميل لا ولا في أدب
نفس لا كنت ولا كان الهوى	راقبي المولى وخافي وارهبي

فقال عمر رضي الله عنه:

نفس لا كنت ولا كان الهوى	راقبي المولى وخافي وارهبي
--------------------------	---------------------------

ثم قال عمر رضي الله عنه: (على هذا فليغن من غنى)⁽²⁸¹⁾.

قال الإمام الشاطبي أيضا: والتطريب مد الصوت وتحسينه ففيها ان الشعر المغنى به قد اشتمل على
أمرين:

1 - ما فيه من الحكمة والموعظة وهذا يختص بالقلوب ففيها تعمل وبها تنفعل ومن هذه الجهة
ينسب السماع إلى الأرواح.

2 - ما فيه من النفحات المرتبة على النسب التلحينية وهو المؤثر في الطباع فيهيجهها إلى ما يناسبها
وهي الحركات على اختلافها فكل تأثير في القلب من جهة السماع تحصل عنه آثار السكون
والخضوع فهو رقة وهو التواجد ولا شك أنه محمود وكل تأثير يحصل عنه ضد السكون فهو
طرب لا رقة فيه ولا تواجد ولا هو عند شيوخ الصوفية محمود⁽²⁹²⁾.

2- الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:

* وقال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في بحثه عن الغناء:

⁽¹⁾[281] الاعتصام للإمام الشاطبي (220/1).

⁽²⁾[291] الاعتصام للإمام الشاطبي (175/1).

اعلم أن السماع هو أول الأمر ويشمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويشمر الوجد تحريك الأطراف إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب وإما موزونة فتسمى التصفيق أو الرقص . والقول بأن السماع حرام معناه أن الله يعاقب عليه وهذا الأمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص أو القياس إلى المنصوص ولم يستقم في هذا المجال نص ولا قياس وبهذا يبطل القول بتحريمه ويبقى فعلا لا حرج فيه كسائر المباحات بل إن هناك نصوصا تدل على إباحته فالغناء سماع صوت طيب مفهوم المعنى محرك للقلب وسماع الصوت الطيب بالنسبة لحاسة السمع كروية الخضرة والماء الجاري بالنسبة للعين فلا يحرم فإن أدى المنظر إلى الاطلاع على شيء حرام حرم النظر كالنظرة إلى العروة وكالنظر بشهوة وكذلك يحرم السماع إذا كان سماعا لشيء غير حلال أو أدى بطريق انحرف عن الحلال⁽³⁰¹⁾.

• الأصل في أقوال الإمام الغزالي:

منهج الإمام الغزالي في تحليل الغناء: يذكر الإمام الغزالي منهجه في تحليل الغناء بعد أن استعرض أقوال الفقهاء في حكم الغناء والمقصود سماع ماليس مجونا ولا فسادا، فمن الفقهاء من ذهب إلى تحريمه ومنهم من ذهب إلى كراهته ولكن الإمام الغزالي ينظر إلى الموضوع على أساس آخر ولا يوجد في الدين نص يحرم السماع ولا قياس على نص فيبقى النظر في السماع من حيث هو وهنا يأتي منهج الإمام الغزالي في تحليل الغناء إلى عناصره لمعرفة كل منها على حدته ثم النظر فيها مجتمعة فعند تحليل الغناء نجد أن فيه سماع:

1 - صوت طيب ، وهذا هو الوصف الأعم وسماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب حلال بالنص وهنا يذكر الإمام الغزالي بعض الأحاديث كغناء الجاريتين وهو حلال بالقياس لأنه تلذذ حاسة السمع بإدراك ما هو مخصص بها كغيرها من الحواس وهذه فطرة مجبولة في الإنسان.

(301) الاعتصام للإمام الشاطبي (175/1).

- 2 - صوت طيب موزون والوزن شيء زائد على حسن الصوت فقد يكون الصوت حسنا غير موزون أو موزنا غير حسن ومن الأصوات الموزونة أصوات بعض ذات السجع من الطيور فهي مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك يستلذ سماعها ومنها أصوات بعض الآلات الموسيقية فلا حرمة في ذلك إلا ما نهي عنه من آلات أهل المجون أو الشراب وما يؤدي إليه وهو أمر عارض⁽³¹¹⁾.
- 3 - كلام موزون مفهوم وهو الشعر وليس فيه من زيادة إلا كونه مفهوما والكلام المفهوم غير حرام والحق في ذلك ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله وهو أن الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح⁽³¹²⁾ وإذا كانت العناصر كل منها على حدة مباحة أيضا فإن الجملة مباحة أيضا إلا إذا تضمن المجموع محظورا لا تتضمنه الأحاد وليس هنا شيء محظور.
- 4 - كون السماع محركا للقلب مهيجا لما هو الغالب عليه وهنا يطرح الإمام الغزالي مسألة هامة لم يهتم بها أحد قبله يقول : الله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى إنها لتؤثر فيها تأثيرا عجيبا فمن الأصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنا يا ينوم ومنا ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس.
- ويؤكد الإمام الغزالي إلى قيمة هذا الانفعال الإنساني امام الجمال فيقول: من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج وليس له علاج.
- ومن ثم يشير الإمام إلى تأثير الغناء في صرف الطفل عما يبكيه والجمال ثقل ما تحمله ثم يزيد رأيه تأكيدا بقوله : إن تأثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم فإنها جميعا تتأثر بالنغمات الموزونة⁽³³³⁾.

⁽³¹¹⁾ إحياء علوم الدين (2/392-240).

⁽³¹²⁾ إحياء علوم الدين (2/412-242).

⁽³³³⁾ إحياء علوم الدين (2/242).

وإذا كان الأمر متعلقاً بتأثير السماع في القلب الإنساني فإن الحكم في أمره بالإباحة أو التحريم لا يصح أن يكون مطلقاً بل يراعى فيه اختلاف الأحوال والأشخاص وطرق الأنعام نفسها والغاية منها.

ثم بعد هذا يذكر الإمام الغزالي أن الترجم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد في مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي ستة مواضع:

أ - غناء الحجاج لما فيه من الشوق إلى حج بيت الله وإذا كانت عناصر الغناء والألحان كثيرة متنوعة كان التأثير أبلغ⁽³⁴¹⁾.

ب - والغناء والألحان من وسائل تحريض الغزاة والمجاهدين إذا كان مع الألحان شعر يدعو إلى الشجاعة والتضحية ومن ذلك رجزيات التشجيع في أنواع المباريات وذلك إذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان أوقع في النفس وكل ما في الأمر أن يكون القتال مشروعاً وأن تكون الألحان نفسها عاملاً على تقوية النفس لا على حل عقدة الشجاعة وإضعاف صرامتها⁽³⁵²⁾.

ج - أصوات النباحة ونغماتها وتأثيرها في تهييج الحزن والبكاء وملازمة الكآبة وشرطة ذلك ألا تكون على ما فات و نفذ فيه قضاء الله وإنما تكون على ما فات من تقصير الإنسان وما فرط منه وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لأنه يبعث على التشمير للتدارك والمبدأ العام عند الإمام الغزالي أن المفضي إلى المحمود محمود.

أ - ولم ينس الإمام الغزالي حاجات النفس الإنسانية وما يصاحب شعورها بالسرور في أوقاته مثل أيام الأعياد والأعراس و قدوم الغائب وولادة مولود ونحو ذلك وهذه مناسبات يباح فيها السرور لذلك يقول: ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على

[341] إحياء علوم الدين (243/2).

[351] إحياء علوم الدين (244/2).

السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا الله داع.

والإمام الغزالي يدرك تماما الطبيعة البشرية فيقرر السماح بالتعبير المتنوع من السرور بالغناء بالشعر بالرقص والحركات في حدود آداب الدين^[36] ويؤكد الإمام الغزالي صحة ما ذهب إليه بأدلة نقلية كحديث عائشة حينما كانت تنظر إلى الحبشة ولعبهم في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتشجيع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم بقوله: «دونكم يا بني أرفدة» وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة «تشتهين أن تنظري»^[37] ثم قال «فهذه الأحاديث في الصحيحين وهي نص صريح في أن الغناء واللعب ليس بحرام»^[38].

هـ- سماع العشاق تحريكا للشوق وتمهيجا للعشق وتسلية للنفس فإن كان في مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة وإن كان في المفارقة فالغرض تمهيج الشوق كل هذا يكون في عشق مباح.

والإمام الغزالي يقدر نفسية العاشق ويتفهمها ويعرف ما يريح قلبه فيقول: إن الشوق وإن كان ألما فيه نوع لذة إذا أضيف إليه الوصال، فإن الرجاء لذيد واليأس مؤلم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشيء المرجو فهذا السماع تمهيج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر في الوصال مع الإطناب فيوصف حسن المحبوب وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته فيقضي إلى غنائها لتضاعف لذته في لقاءها فيحظى بالمشاهدة البصر والسمع الأذن ويفهم لطائف معاني الوصال والفرق القلب فتترادف أسباب اللذة فهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الدنيا وما الحياة الدنيا إلا هو ولعب . وهذا منه.^[39]

[36]1 إحياء علوم الدين (2/244).

[37]2 تقدم ترجمه ص 179.

[38]3 إحياء علوم الدين (2/245-246).

[39]4 إحياء علوم الدين (2/246).

٢٢ - سماع من أحب الله تعالى واشتاق إلى لقاءه فصار لا ينظر إلى شيء إلا رأى آلاء الله فيه ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه فالسماع في حقه مؤكد لحبه مهيج لشوقه ومور زناد قلبه ومستخرج منه أحوالا من المكاشفات والملاحظات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن تذوقها وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجدا مأخوذا من الوجد والمصادفة أي صادف من نفسه أحوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ثم تكون تلك الأحوال أسباب لروادف وتوابع لها تحرق القلوب بنيرانها وتنقيه من الكدورات كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات هي غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها فالمضي إليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي.^[401]

ومن هذا المنطلق يؤكد الإمام الغزالي رضي الله عنه من جديد إمكان محبة الإنسان لله تعالى لأنه مصدر الموجودات لها فيقول (ولا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا هو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه بل كل حسن وجمال في العالم أدرك بالعقول والأبصار والأسماع وسائر الحواس فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من أنوار حضرته)^[412].

• وقال الغزالي والعز بن عبد السلام من أئمتنا: إنه سنة إن حرك لحال سني مذكرا للآخرة. وبه يعلم أن كل شعر فيه الأمر بالطاعة أو كان حكمة أو كان في مكارم الأخلاق أو الزهد ونحو ذلك من خصال البر كحث على طاعة أو سنة أو اجتناب معصية يكون من إنشائه وإنشاده وسماحه سنة كما صرح به غير واحد من أئمتنا وهو ظاهر إذ وسيلة الطاعة طاعة. وقال الإمام الغزالي أيضا: (النصوص التي وردت في السماع والدف تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر إلى رقص الحبشة والزنج في اوقات السرور كان قياسا على يوم العيد فإنه وقت سرور)^[423].

^[401] إحياء علوم الدين (2/246 247).

^[411] إحياء علوم الدين (2/247).

^[421] إحياء علوم الدين (2/288).

3 - الإمام السهروردي رحمه الله تعالى:

قال الإمام السهروردي: المنكر إما جاهل بالسنن والآثار وإما جاهل الطبع لا ذوق له وأشار بالسنن إلى ما صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان له شعراء يصنعون اليهم في المسجد وغيره منهم حسان بن ثابت وابن رواحة رضي الله عنهما واستنشد أمية بن الصلت واستمع إليه كما في مسلم⁽⁴³¹⁾.

4 - الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى:

قال العز بن عبد السلام: أما سماع الإنشاد المحرك للأحوال السننية المذكر للأمور الأخروية فلا بأس به بل يندب عند الفتور وسامة القلب ولا يحظر إلا لمن في قلبه هوى خبيث فإنه يحرك ما في القلب⁽⁴⁴²⁾.

وتم قال العز في تفسيره: وأما الأشعار والتشبيهات فمأذون بها وقد أنشد كعب رضي الله عنه عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بانث سعاد القصيدة المشهورة فاستمعها ولم ينكر عليها شيئاً وفيها الاستعارات والتشبيهات حتى شبه الريقة بالخمرة وكانت حرمته. ولكن تحريمها لم يمنع عندهم طيبها بل تركوها مع الرغبة فيها والاستحسان بها وكان ذلك أعظم لأجرهم.

وذكر الروياني في البحر أن سعاد كانت زوجته وبنت عمه وأنه أنشد فيها هذه القصيدة لطول غيبته عنها بهروبه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وحكي عن العز بن عبد السلام رحمه الله ورضي عنه أنه كان يرقص في السماع⁽⁴⁵³⁾.

5 - الإمام الماوردي رحمه الله تعالى:

⁽⁴³¹⁾ الزواج (274/2).

⁽⁴⁴¹⁾ الزواج (273/2).

⁽⁴⁵¹⁾ الزواج (282/2).

قال الأذرعي : وما أحسن قول الماوردي: الشعر في كلام العرب مستحب إن حذر من الدنيا أو رغب في الآخرة أو حث على مكارم الأخلاق ومباح وهو ما سلم من فحش وكذب ومحذور وهو ما اقترن بأحدهما.

وقد روي أنه ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشعر فقال: هو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح⁽⁴⁶¹⁾.

6 - الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى:

قال ابن عبد البر: لا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولا من أولي النهى وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر أو تمثل به أو سمعه فرضيه وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على جوازه إن كان كذلك⁽⁴⁷²⁾.

7 - الإمام أبو بكر بن العربي المالكي رحمه الله تعالى:

قال أبو بكر بن العربي المالكي شارح سنن الترمذي : لا بأس بإنشاد الشعر في المسجد إذا كان في مدح الدين وإقامة الشرع.

وقال ابن العربي: أما الاستعارات والتشبيهات فمأذون بها وإن استغرق الحد وتجاوزت المعتاد واستدل بإنشاد كعب بن زهير النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين جاء تائباً حيث قال:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول	متيم إثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا	إلا أغن غضيض الطرف مكحول
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت	كأنه منهل بالراح معسول

فجاء في القصيدة من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يسمع ولا ينكر حتى في تشبيهه ريقها بالراح⁽⁴⁸³⁾.

⁽⁴⁶¹⁾ الزواجر (275/2) والحديث أخرجه أبو يعلى (4760/8) والبيهقي (339/10) والدارقطني (156/4) .

⁽⁴⁷¹⁾ فتح الباري (155/13).

⁽⁴⁸¹⁾ أحكام القرآن (1434/3).

وقال أبو بكر بن العربي أيضا: وأما الغناء فإنه من اللهو المهيج للقلوب عند أكثر العلماء منهم مالك بن أنس وليس في القرآن ولا في السنة دليل على تحريمه أما في الحديث الصحيح فالدليل على إباحته فإن أبا بكر دخل على عائشة وعندها جاريتان حاديتان من حاديات الأنصار ثم ساق الحديث بتمامه وقال: فلو كان الغناء حراما ما كان في بيت رسول الله وقد أنكره أبو بكر بظاهر الحال فأقره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفضل الرخصة والرفق بالخليقة في إجماع القلوب ⁽¹⁾[49]. ثم قال: وكل حديث يروى في التحريم، أو آية تتلى فيه فإنه باطل سندًا باطل معتقدا خبرا وتأويلا وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رخص في الغناء في العيدين وفي البكاء على الميت من غير نوح ⁽²⁾[50].

8 - الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى:

ورد ابن حزم على الذين تمسكوا بأحاديث الجارية المغنية أنه لا يحل بيعها حيث قال: طالما أنه يجوز وطؤها بالبيع فكيف لا يجوز سماع أصواتهن ولو غناء ثم رد على الآخرين الذين تمسكوا بالآية الكريمة ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾ ⁽³⁾[51]. فقال: وهذه صفة من فعلها كان كافرا بلا خلاف إذا اتخذ سبيل الله هزوا ولو أن امرأ اشترى مصحفا ليضل به عن سبيل الله ويتخذ هزوا لكان كافرا فهذا هو الذي ذمه الله تعالى وما ذم قط عز وجل من اشترى لهو الحديث ليملى به ويروح نفسه لا يضل عن سبيل الله تعالى فبطل تعلقهم بقول كل من ذكرنا ⁽⁴⁾[52].

9 - الإمام المحاسبي رحمه الله تعالى:

قال أبو عثمان النيسابوري: أنشد قوال بين يدي الحارث المحاسبي هذه الأبيات:

أنا في الغربة أبكي	ما بكت عين غريب
--------------------	-----------------

⁽¹⁾[49] أحكام القرآن لابن العربي (9/3).

⁽²⁾[50] أحكام القرآن لابن العربي (10/3).

⁽³⁾[51] سورة لقمان الآية (6).

⁽⁴⁾[52] المحلى لابن حزم الأندلسي (60/9).

لم اكن يوم خروجي	من بلادي بمصيب
عجبا لي ولتركي	وطنا فيه حبيبي

فقام يتواجد ويبكي حتى رحمه كل من حضره.^[531]

10 الإمام أبو حفص النيسابوري رحمه الله تعالى:

قال رجل لأبي حفص النيسابوري إن فلانا من أصحابك أبدا يدور حول السماع فإذا سمع هاج وبكى ومزق ثيابه فقال أبو حفص: إيش يعمل الغريق؟! يتعلق بكل شيء يظن نجاته فيه.^[542]

11 العلامة الشيخ عبدالغني النابلسي رحمه الله تعالى:

يقول الشيخ عبدالغني النابلسي رحمه الله تعالى (إن السماع ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1 - منه ما هو حرام محض: وهو لأكثر الناس من الشباب ومن غلبت عليهم شهواتهم ولذاتهم وملكهم حب الدنيا.

2 - والقسم الثاني منه مباح: وهو لمن لاحظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن واستدعاء السرور والفرح أو يتذكر غائبا أو ميتا.

3 - والقسم الثالث منه مندوب: وهو لمن غلب عليه حب الله تعالى والشوق إليه فلا يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة وتضاعف الشوق إلى الله تعالى وهذا القسم الثالث هو سماع

الصوفية أهل الصدق والإخلاص في كل زمان.^[553]

ويقول في موضع آخر: (وأما المباح من ذلك فهو إذا كان المجلس خاليا من الخمر والزنا واللواط والمس بشهوة والتقبيل والنظر بشهوة لغير الزوجة والأمة وكان لذلك السامع قصد حسن ونية صالحة وباطن نظيف طاهر من الهجوم على الشهوات المحرمة وكان قادرا على ضبط قلبه وحفظ خاطره من ان يخطر فيه شيء مما حرمه الله تعالى عليه فإنه يجوز له أن يسمع هذا السماع المذكور حيثئذ بأنواعه كلها ولا يجرم عليه شيء من ذلك ولا يكره له ما دام موصوفا بما ذكرناه فهو مباح له

^[531] طبقات الصوفية للسلمي المتوفى (412هـ) بتحقيق نور الدين شريعة ص (60).

^[542] طبقات الصوفية ص (119).

^[553] إيضاح الدلالات ص (77).

إن لم يكن من أهل المعرفة بالله تعالى بأن كان عاميا جاهلا غافلا وأما إذا كان من أهل المعرفة والشهود فيصير السماع المذكور حيثئذ في حقه مستحبا مندوبا إليه يثاب عليه⁽¹⁾.
ويقول أيضا: ومعلوم أن هذه الآلات المطربة بجميع أنواعها ليست حرمتها من حيث ذاتها وصورتها المخصوصة ولا من حيث ما يصدر عنها من الأصوات المطربة وإلا لكان كل صوت مطرب حراما وهو باطل لأن أصوات الطيور والشحارير المطربة ليست بحرام إجماعا - كما سيأتي - بل حرمتها لاقتران اللهو بها ولكونها ملاهي واللهو بهذا التفسير المذكور يمكن زواله عنها وتعريبها عنه فتصير خارجة عن كونها ملاهي ويزيل اللهو عن سامعها بها وإلا لكان العبد مكلفا في الشرع بما ليس في قدرته ومطلوبا منه ما لا يمكنه والله تعالى يقول: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾⁽²⁾.⁽³⁾

12 الإمام أبو نصر السراج رحمه الله تعالى:

قال أبو نصر السراج: السماع على ثلاث طبقات فقوم يرجعون فيما يسمعون إلى مخاطبات أحوالهم ومقامهم وأوقاتهم فهم مرتبطون بالعلم ومطالبون بالصدق فيما يشيرون به لله من ذلك وقوم هم الفقراء المجردون الذين قطعوا العلائق ولم تتلوث قلوبهم بمحبة الدنيا والجمع والمنع فهم يسمعون لطيبة قلوبهم ويليق بهم السماع فهم اقرب الناس إلى السلامة. وأسلمهم من الفتنة وكل قلب ملوث بحب الدنيا فسماعه سماع طبع وتكلف.

13 الإمام ابن البطال رحمه الله تعالى:

قال ابن بطال: ما كان في الشعر والرجز ذكرا لله تعالى وتعظيها له ووحدانيته وإيثار طاعته والاستسلام له فهو حسن مرغب فيه وهو المراد من الحديث (إن من الشعر لحكمة) وما كان كذبا

⁽¹⁾ إيضاح الدلالات في سماع الآلات ص (131 - 133).

⁽²⁾ سورة البقرة آية (286).

⁽³⁾ إيضاح الدلالات في سماع الآلات ص (40 - 41).

وفحشا فهو مذموم... إلى ان قال: ومحصله: أن الحداء بالرجز والشعر لم يزل يفعل في الحضرة النبوية وليس هو إلا أشعارا توزن بأصوات طيبة وألحان موزونة⁽¹⁵⁹⁾.

14 الإمام النحلاوي رحمه الله تعالى :

قال الفقيه خليل النحلاوي الدمشقي في كتابه (الخطر والإباحة) : الباب السبعون: الغناء وهو السماع قال في الفتاوى الخيرية (167/2) بعد نقل أقوال العلماء واختلافهم في مسألة السماع : (وأما سماع السادة الصوفية رضي الله عنهم فبمعزل عن هذا الخلاف بل ومرتفع عن درجة الإباحة إلى رتبة المستحب كما صرح به غير واحد من المحققين)⁽⁶⁰²⁾.

ولما كانت الغاية من الإنشاد الإرشاد والمواظ والمواعظ والفوائد حيث إن من طبيعة سماعه إثارة كوامن النفوس وتمهيج مكنونات القلوب بما فيها من الأنس بالحضرة القدسية والشوق إلى الأنوار المحمدية مما اتصف به ساداتنا الصوفية الذين لم يحتجوا بالأصوات لهوا ولا يجتمعون عبثا وهم في واد والناس في واد آخر والسر أنهم سمعوا ما لم يسمع الناس وعرفوا ما لم يعرف الناس فسماعهم يثير أحوالهم الحسنة ويظهر وجدهم ويبعث ساكن السوق ويحرك القلب ولما كانت قلوبهم بربهم متعلقة وعليه عاكفة وفي حضرة قربه قائمة فالسماع يسقي أرواحهم ويسرع في سيرهم إلى الله تعالى خلافا لسماع الفسقة اللثام يجتمعون على اللهو وآلات الطرب فيبعث ما في قلوبهم من الفحش والفسق وينسيهم واجباتهم تجاه الله تعالى وعلى ذلك لا يمكن قياس الأبرار بالفجار ولا الصالحين على الطالحين وفي معرض الحديث عن فوائد الاستماع لدى ساداتنا الصوفية يطيب للنفس ذكر بعض الشواهد المروية عنهم فمنها:

قال مسلم السواري: ونزلوا على الساحل ذات ليلة فهيات لهم طعاما ودعوتهم إليه فجاؤوا الي ولما وضعت الطعام بين أيديهم قال قائل:

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم	ولذة نفس غيها غير نافع
----------------------------	------------------------

⁽¹⁵⁹⁾ فتح الباري (10 / 442).

⁽⁶⁰¹⁾ الدرر المباحة في الخطر والإباحة للشيخ خليل بن عبدالقادر الشيباني الشهير بالنحلاوي ص (93).

فصاح عتبة الغلام صبيحة وخر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعت الطعام من بين أيديهم وما ذاقوا
والله لقمته منه⁽⁶¹¹⁾.

ولما ورد ذو النون المصري ببغداد جاءه قوم من الصوفية بقواهم وطلبوا منه أن يأذن له بأن يقول
فأذن له فأنشد:

صغير هواك عذبني	فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت في قلبي	هوى قد كان مشتركا
أما ترثي لمكتئب	إذا ضحك الخلي بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه⁽⁶²²⁾.

وروي أن أبا الحسين النوري كان مع جماعة في دعوة فجرى بينهم مسألة في العلم وأبو الحسين
ساكت ثم رفع رأسه وأنشدهم:

رب ورقاء هتوف في الضحى	ذات شجو صدحت في فنن
ذكرت إلفا ودهرا صالحا	وبكت حزنا فهاجت حزني
فبكائي ربما أرقها	وبكاها ربما أرقني
ولقد أشكو فما أفهمها	ولقد تشكو فما تفهمني
غير أني بالجوا أعرفها	وهي أيضا بالجوى تعرفني

قال فما بقي أحد من القوم إلا قام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه
وإن كان العلم جدا وحقا⁽⁶³³⁾.

وقال أبو القاسم الجنيد قدس الله سره: (السمع لا يحدث في القلوب شيئا وإنما هو مهيج ما فيها
فتراهم يهيجون من وجدهم وينطقون من حيث قصدهم ويتواجدون من حيث كامنات سرائرهم
لا من حيث قول الشاعر ولا يلتفتون إلى الألفاظ لأن الفهم سبق إلى ما يتخيله الذهن وشاهد ذلك

⁽⁶¹¹⁾ الإحياء (152/2).

⁽⁶²²⁾ الإحياء (250/2).

⁽⁶³³⁾ الإحياء (263/2).

كما حكى: أن أبا حكمان الصوفي سمع رجلا يطوف وينادي (يا سعتري) فسقط وغشي عليه فملا أفاق قيل له في ذلك فقال سمعته وهو يقول (اسمع تربي) ألا ترى أن حركة وجده من حيث هو فيه لا من قول القائل ولا قصده.

وكما روي عن بعض الشيوخ أنه سمع قائلاً يقول: (الخيار عشرة بحبة) فغلبه الوجد فسئل عن ذلك فقال (إذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الأشرار؟).

فالمحترق بحب الله تعالى لا تمنعه الألفاظ الكثيفة عن فهم المعاني اللطيفة حيث لم يكن واقفاً مع نعمة ولا مشاهدة صورة فمن ظن أن السماع يرجع إلى رقة المعنى وطيب النعمة فهو بعيد من السماع.

وقالوا: وأما الحال الذي يلحق المتواجد فمن ضعف حاله عن تحمل الوارد وذلك لازدحام أنوار اللطائف في دخول باب القلب فيلحقه دهش فيعبث بجوارحه ويستريح إلى الصعقة والصرخة والشهقة وأكثر ما يكون ذلك لأهل البدايات وأما أهل النهايات فالغالب عليهم السكون والثبوت لانشرح صدورهم واتسع سرائرهم للوارد عليهم فهم في سكونهم متحركون في ثبوتهم متقلقلون كما قيل لأبي القاسم الجنيد رضي الله عنه (ما لنا نراك لا تتحرك عند السماع؟). فقال

﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب﴾^[641].^[652]

· أقوال الفقهاء:

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: (الشعر كلام فحسنة حسن وقبيحة قبيح).

قال الإمام النووي من الشافعية: ويباح قول الشعر والإنشاده إلا أن يهجو أو يفحش أو يعرض بامرأة معينة.

وقال أيضاً: (لا بأس بإنشاد الشعر في المسجد إذا كان مدحاً للنبوة أو الإسلام أو كان حكمة أو في مكارم الأخلاق أو الزهد ونحو ذلك من أنواع الخير).

^[641] سورة النمل الآية (88).

^[651] غداء الألباب (1/137).

وقال الإمام ابن عابدين من الحنفية في حاشيته: جواز القول بالشعر وإنشاده ما لم يذكر فيه ما لا يحل كصفة الذكور والمرأة المعينة الحية ووصف الخمر المهيج اليها، والهجاء لمسلم أو ذمي وشرط كذلك السادة الحنفية أن لا يكون الغالب عليه هو الشعر بحيث يلهيه عن ذكر الله تعالى وعن أداء الواجبات وطلب العلم.

وقال أيضا في حاشيته: إن التغني المحرم ما كان في اللفظ ما لا يحل كصفة الذكور والمرأة المعينة الحية ووصف الخمر المهيج اليها والحانات والهجاء لمسلم أو ذمي إذا أراد المتكلم هجاءه لا إذا أراد إنشاده للاستشهاد به أو ليعلم فصاحته وبلاغته وكان فيه وصف الزهريات المتضمنة وصف الرياحين والأزهار والمياه فلا وجه لمنعه على هذا⁽⁶⁶¹⁾.

وقال العلامة ابن جزئ من السادة المالكية: الشعر ليس مذموما على الإطلاق ثم قال: إن الشعر أربعة أقسام: أحدها حسن وهو الجذ والحكمة والثاني ممنوع مطلقا وهو الهجو والثالث المدح والرثاء فإن كان حقا فهو مكروه وإن كان باطلا فهو ممنوع والرابع التغزل فإن كان فيمن لا يحل له فهو حرام وإلا فلا⁽⁶⁷²⁾.

وقال العلامة ابن قدامة المقدسي من السادة الحنبلية: الشعر كالكلام حسنه كحسنة وقبيحه كقبيحه ثم قال: وليس في إياحة الشعر خلاف وقد قاله الصحابة والعلماء، والحاجة تدعو إليه لمعرفة اللغة العربية والاستشهاد به في التفسير وتعرف معاني كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويستدل به أيضا على النسب والتاريخ وأيام العرب ويقال الشعر ديوان العرب⁽⁶⁸³⁾.
وبعد:

فإن هذه الأدلة تبين لنا بجلاء تام أن الإسلام لم يكن موقفه من الشعر سلبيا بل العكس في ذلك واليك الآن نماذج من سماع الصحابة والتابعين والسلف الصالح رضي الله عنهم:
الغناء والسماع عند الصحابة رضي الله عنهم:

⁽⁶⁶¹⁾ حاشية ابن عابدين (305/5).

⁽⁶⁷¹⁾ قوانين الأحكام الشرعية لمحمد بن جزئ المالكي ص (465).

⁽⁶⁸¹⁾ المغني للإمام ابن قدامة (178 æ77/9).

عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر بالهداء⁽⁶⁹¹⁾ ويقول: الغناء زاد الراكب⁽⁷⁰²⁾ وكان إذا سمع الحادي قال: لا تعرض بذكر النساء⁽⁷¹³⁾.

وقد حكى الزهري قال السائب بن يزيد: بينا نحن مع عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه في طريق الحج ونحن نؤم مكة اعتزل عبدالرحمن بن عوف الطريق ثم قال لرباح بن المعترف: غننا يا أبا عبدالرحمن وكان حسن النصب (بسكون الصاد المهملة ضرب من الغناء عند العرب أرق من الهداء) فبينما رباح يغنيهم أدرتهم عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - في خلافته فقال ما هذا؟ فقال عبدالرحمن: لا بأس نلهو ونقصر عنا فقال عمر: فإن كنت آخذًا فعل يك بشعر ضرار بن الخطاب.

وكان لا يفضل على شعر ضرار إلا أن يغني الإنسان بشعر من شعره لأنه يكون فيه أصدق عاطفة وأسمى إحساسا.

فعن خوات بن جبير قال: خرجنا حجاجا مع عمر فسرنا في ركب منهم أبو عبيدة بن الجراح وعبدالرحمن بن عوف قال فقال القوم إننا يا خوات فغناهم فقالوا غننا من شعر ضرار بن الخطاب فقال عمر: دعوا أبا عبدالله يغني من بنيات فؤاده يعني من شعره فما زلت أغنيهم حتى إذا كان السحر قال عمر: لسانك يا خوات فقد أسحرنا⁽⁷²⁴⁾.

وكذلك البغوي رحمه الله تعالى في تهذيبه وصاحب المهذب وغيرهما: أن عبدالرحمن استأذن على عمر فسمعه يترنم فقال عمر: أسمعني يا عبدالرحمن؟

فقال: نعم فقال: إنا إذا خلونا في منازلنا نقول كما تقول الناس وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يترنم بالبيت والبيتين.

⁽⁶⁹¹⁾ مصنف ابن أبي شيبة (177/1).

⁽⁷⁰¹⁾ المغني (175/9) وسنن البيهقي (68/5).

⁽⁷¹¹⁾ سنن البيهقي (68/5).

⁽⁷²¹⁾ موسوعة فقه عمر بن الخطاب (عصره وحياته تأليف الدكتور محمد رواس قلعه جي دار النفائس سلسلة موسوعات فقه السلف ط 3 /

1986 / 0 671).

عثمان بن عفان رضي الله عنه :

أما سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد قال الماوردي في الحاوي وصاحب البيان وغيرهما (كان له جاريتان تغنيان له فإذا كان وقت السحر قال لهما: أمسكا فإن هذا وقت الاستغفار)⁽⁷³¹⁾.

علي بن أي طالب⁽⁷⁴²⁾ رضي الله عنه :

إذا كان الغناء حلالا بشروط فإن من شرط حله عن سيدنا علي رضي الله عنه ألا يعتاده المرء قال سيدنا علي رضي الله عنه (بئس البيت لا يُعرف إلا بالغناء)⁽⁷⁵³⁾.

عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه :

ذكر أهل الأخبار أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى دار عبدالرحمن فسمعه يتغنى بالركبانية⁽⁷⁶⁴⁾ شعرا:

وكيف مثواي بالمدينة بعد ما	قضى وطرا منها جميل بن معمر
----------------------------	----------------------------

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

روى ابن قتيبة بسنده إلى سليمان بن يسار أنه سمع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يتغنى بين مكة والمدينة فقال سليمان: سبحان الله!! أتفعل هذا وأنت محرم؟ .. فقال سعد: يا ابن أخي: وهل تسمعي أقول هجرا.

أبو سعيد عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه :

روى البيهقي بسنده أن أبا سعيد عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه وكان قد شهد بدرًا مر وهو على راحلته وهو أمير الجيش رافعا عقيرته يتغنى بالنصب.

بلال الحبشي رضي الله عنه :

⁽¹⁷³⁾ إيضاح الدلالات في سماع الآلات ص (80).

⁽²⁷⁴⁾ موسوعة فقه علي بن أبي طالب تأليف الدكتور محمد رواس قلعه جي سلسلة موسوعات فقه السلف دار الفكر ط 1/983.

⁽³⁷⁵⁾ الروض النضير : (430/5).

⁽⁴⁷⁶⁾ الركبانية: غناء للعرب فيه مد وتمطيط.

روى البيهقي بسنده عن وهب بن كيسان قال قال عبدالله بن الزبير تغنى بلال وكان متكئا فقال له الرجل: تغنى بالنصب؟ فاستوى جالسا ثم قال: وأي رجل من المهاجرين والأنصار لم نسمعه يتغنى بالنصب.

عبدالله بن الأرقم رضي الله عنه :

ذكر ابن عبدالبر والبيهقي أن عبدالله بن عتبة سمع عبدالله بن الأرقم رافعا عقيرته يتغنى قال عبدالله لا والله ما رأيت رجلا قط ممن رأيت وأدركت أراه كان أخشى لله من عبدالله بن الأرقم وكان عبدالله بن الأرقم من كبار الصحابة رضي الله عنهم⁽⁷⁷¹⁾.

حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه :

ثبت في الصحيحين أنه كان عنده قينة تغنيه رضي الله تعالى عنه⁽⁷⁸²⁾.

عبدالله بن عمر رضي الله عنه :

روى ابن قتيبة بسنده أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما كان يدعو عبدالله بن أسلم وخالد بن أسلم فيغنيان له وقال ابن أبي الدم الحموي في شرح الوسيط: أن العلماء رووا أن أشعب دخل على عبدالله بن عمر رضي الله عنه وهو في حائط المدينة فسأله أن يوفر له تمرا في غرارة ففعل ثم سأله أن يأمر غلمانهم أن يكبوا ما يعونه فيها ثم سأله أن يغني له وكان أشعب طيب الصوت جيد الغناء فامتنع من أدبه فألح عليه فأذن له فغنى وأطربه.

البراء بن مالك رضي الله عنه :

حكى الحافظ أبو نعيم أنه كان يميل إلى السماع ويستلذ بالترنم.

عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه :

قال ابن عبدالبر في الاستيعاب إنه كان لا يرى بالغناء بأسا وقال الأستاذ أبو منصور البغدادي في مؤلفه في السماع: كان عبدالله بن جعفر مع كبر شأنه يصوغ الألحان لجواريه ويسمعه منهن على

(1771) إيضاح الدلالات ص (81 | 82).

(2781) ولا شك أن هذه القينة كانت تغنيه الغناء المباح وأنها أمتة فيجوز له سماعها.

أوتاره وكان أمير المؤمنين إذ ذاك علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسماع عبدالله بن جعفر مشهور مستفيض نقله عنه كل من أمعن في المسألة من الفقهاء والحفاظ وأهل التاريخ الأثبات⁽¹⁷⁹¹⁾.

المغيرة بن شعبة رضي الله عنه :

وأما المغيرة بن شعبة فقد حكى سماع الغناء عنه أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه (قوت القلوب) والشيخ تاج الدين الفزاري وغيرهما.

عامر الشعبي رحمه الله تعالى :

وهو من أكابر التابعين علما وعملا وقد حكى عنه الأستاذ أبو منصور أنه كان يقسم الأصوات إلى الثقيل الأول والى الثقيل الثاني وما بعدها من المراتب.

عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى :

وهو من أكابر التابعين وهو مع علمه وعبادته وزهده ومعرفته بالسنن والآثار فقد قال عنه الأستاذ أبو منصور: إنه كان يقسم الأصوات إلى الثقيل الأول والى الثقيل الثاني وما بعدهما من المراتب ونقل ابن قتيبة أن عطاء بن أبي رباح ختن ولده وعنده الأبحر يغني فكان إذا سكت وإذا لحن رد عليه.

عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى :

قال ابن قتيبة : سئل إسحاق عنه فقال: ما طن في سمعه شيء بعد أن أفضت إليه الخلافة وأما قبلها فكان يسمع من جواريه خاصة ولا يظهر عنه إلا الجميل وربما صفق بيده وتمرغ على فراشه طربا وضرب برجليه.

• الغناء والسماع عند السلف رضي الله عنهم

عبدالله بن جريج رحمه الله تعالى :

وهو من العلماء والحفاظ العباد المجمع على عدالته وجلالته وكان يسمع الغناء ويعرف الألحان وحكى عنه الأستاذ أبو منصور أنه كان يصوغ الألحان ويميز البسيط والنشيد والخفيف.

(1791) إيضاح الدلالات ص (82 - 83).

وقال ابن قتيبة : حُكي عن ابن جريج أنه كان يروح إلى الجمعة فيمر على مغن فيدق بابه عليه فيخرج فيجلس معه على الطريق ويقول: غن فيغنيه أصواتا فتسيل دموعه على لحيته ثم يقول: (أ) من الغناء لما يذكر الجنة⁽⁸⁰¹⁾.

أبو حنيفة النعمان رحمه الله تعالى:

حكى ابن قتيبة عنه وغيره: أنه كان له جار كل ليلة يغني ويقول شعرا:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا	ليوم كريمة وسداد ثغر
------------------------	----------------------

وكان يستمع إليه وإنه فقد صوته فسأل عنه فقيل له: إنه وجد بالليل وسجن في سجن عيسى الأمير فلبس عمامته وتوجه إلى الأمير وتحدث معه فقال: لا أعرف اسمه فقال أبو حنيفة رضي الله عنه اسمه عمرو فقال الأمير: أطلقوا كل من اسمه عمرو فأطلق الرجل فلما خرج قال له أبو حنيفة رحمه الله تعالى: أضعناك يا فتى؟ قال بل حفظت فتضمنت هذه الحكاية أنه كان يستمع إليه ولم ينهه عن الغناء.

الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

قال الغزالي رحمه الله تعالى: ليس تحريم الغناء من مذهبه وحكى عنه الأستاذ أبو منصور البغدادي أن مذهبه إباحة السماع بالقول والألحان إذا سمعه من رجل أو جارية أو امرأة يحل له النظر إليها في داره أو دار صديقه ولم يسمعه على قارعة الطريق ولم يقترن بشيء من المنكر ولم يضع الصلاة عن وقتها ولم يضيع بشهادة لزمه أداؤها⁽⁸¹²⁾.

الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى:

قال أبو الوفاء بن عقيل في كتابه المسمى (بالفصول) صحت الرواية عن أحمد أنه سمع الغناء عند ابنه صالح وقال شارح المقنع روي عن أحمد أنه سمع قوالا فلم ينكره فقال له ابنه: يا أبت كنت تكرهه فقال قيل إنهم يستعملون المنكر معه!!.. وقد قال ابن الجوزي إنه يحمل قوله وفعله على ما كان يغنى له في زمنه من القصائد الزهديات.

⁽⁸⁰¹⁾ إيضاح الدلالات ص (90 - 91).

⁽⁸¹¹⁾ إيضاح الدلالات ص (94 - 95).

وسأل الإمام أحمد رجل فقال: يا أبا عبدالله هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار أي شيء تقول فيها؟ فقال مثل أي شيء؟ قال يقولون:

إذا ما قال لي ربي	أما استحييت تعصيني
وتخفي الذنب عن خلقي	وبالعصيان تأتيني

فقال: فدخل بيته ورد الباب فسمعت نحيبه من داخل البيت يردده وهو يقول هذه الأشعار.
سفيان بن الحرث رحمه الله تعالى:

حكى عنه تلميذه الفقيه العالم الحافظ الزبير بن بكار في الموفقيات والماوردي في الحاوي: أنه لما قدم ابن جامع مكة بهال جم قال سفيان لأصحابه علام يعطى ابن جامع هذه الأموال؟ قالوا على الغناء قال: ما يقولون فيه؟ قالوا يقول شعرا:

أطوف بالبيت مع من يطوف	وأرفع من مئزري المسبل
------------------------	-----------------------

قال هي السنة ثم ماذا فقالوا: يقول شعرا:

وأسجد بالليل حتى الصباح	وأتلو من المحكم المنزل
-------------------------	------------------------

قال: أحسن وأصلح ثم ماذا؟ فقالوا: يقول شعرا:

عسى فارغ الهم عن يوسف	يسخر لي ربة المحمل
-----------------------	--------------------

قال: أفسد الحبيب ما أصلح سخرها الله له.

الإمام ابن مجاهد رحمه الله تعالى:

قال أبو طالب المكي رحمه الله تعالى في كتابه (قوت القلوب) كان ابن مجاهد لا يجيب دعوة إلا أن يكون فيها سماع⁽⁸²¹⁾.

فها هو ذا سماع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة والتابعين والسلف الصالح وهو كما رأينا سماع هادف لنوع مخصص من الغناء والنشيد والحداء إنه غناء يحيي في النفس جذوة الإيمان

(821) إيضاح الدلالات في سماع الآلات ص (97 - 99).

ويوقظ في العقل قبس الفكر أو هو من اللهو المباح الذي يروح به عن النفس في ساعة الضيق ولكن دون الخروج عن قانون الشريعة الإسلامية أو تحط حدود الشارع سبحانه وتعالى .
والغناء الإسلامي الهادف: أحد الفنون الإنسانية التي يلجأ إليها الإنسان يروي بها ظمأ روحه العطشى إلى السكينة والأمان وقد يلوي عليها ليثبت في نفسه جوا من الفرح والسرور والأنس والطرب.

وقد نظر الإسلام إلى الحياة نظرة جادة فاعلة خلاقة منشئة وجعل من كل مخلوقات الله ما هو مسخر لهذا الهدف النبيل والوجود الأمثل الذي خلق المسلم من أجله. والغناء أحد هذه الأمور التي أراد لها الإسلام أن تكون هادفة مسخرة لقوى المسلم في خصم صراعاته مع الحياة والناس. ولقد عُني بعض من شعراء الدعوة الإسلامية بنظم قصائد مغناة وأناشيد هادفة تعبر خير تعبير عن الغناء الإسلامي الهادف والذي رما إليه الإسلام ولعل أشهر أنواع هذا الغناء الإسلامي الهادف:

1 - النشيد الديني:

وهو الذي فيه ذكر الله ووصف الجنة والنار وحب الله ورسوله والتعشق لوصالهم والحظوة بقربهم ولعل (الموالد النبوية) زاخرة بمثل هذه الأمور التي يكثر ذكرها والتغني بها ومثاله قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (رحمك):

ورضاك قصدي فاستجب لدعائي	رحمك يا رب العباد رجائي
منك الرضا فجد بولائي	وحماك أبغي يا إلهي ضارعا
إن لم تجبني فمن يجيب دعائي	ناديت باسمك يا إلهي ضارعا
فلقد عييت من العباد النائي	أنت الكريم فلا تدعني تائها
فلئن رددت فمن سواك رجائي	مالي سوى أعتاب جودك موئل
متذلا أن لا ترد رجائي	ولقد رجوتك يا إلهي ضارعا

ومنه كذلك هذه القصيدة بعنوان (إلهنا ما أعدلك):

إلهنا ما أعدلك	مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك	لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك	والليل لما أن حلك
والسباحات في الفلك	على مجاري المنسلك
ما خاب عبد أملك	أنت له حيث سلك
لولاك يا رب هلك	كل نبي وملك
يا مخطئا ما أغفلك	عجل وبادر أجلك
واختم بخير عملك	لبيك إن الملك لك
والحمد والنعمة لك	والعز لا شريك لك

2 - نشيد الحب والمنأجة:

وفي هذا النشيد نلمح الحب المطلق ذلك الذي يتجاوز كل شيء إنه حب لا محدود حب الله ورسوله وملائكته وخلقته وبديع صنعه ذلك الحب الذي يتخذ في بعض الأحيان أشكالا رمزية تعطي الألفاظ مدلولات أشمل وأرحب.

ولعل أجمل ما في هذه الأناشيد هو ذلك الحب المثالي حب المطلق (الله جل جلاله) الذي يعشقه الشاعر فيسبغ على محبته ألفاظا رقيقة ومعان عذبة فتارة هو ليلي ومرة سعدى ولعل رابعة العدوية وتحفة الزاهدة وابن الفارض والحلاج ... وغيرهم خير ممثل لهذا الاتجاه الرمزي الصوفي العميق الذي بلغ شأنا عظيما ومدرسة مستقلة بذاتها.

ومثاله قول الشاعر:

فما المنازل لولا أن تحل بها	وما الديار وما الأطلال والخيم
لولاك ما شاقني ربع ولا طلل	ولا سعت بي إلى نحو الحمى قدم
في كل جارحة عين أراك بها	مني وفي كل عضو للثناء فم
فإن تكلمت لم أنطق بغيركم	وإن سكت فشغلي عنكم بكم

ويا سروري من موتي لكم بكم	إن مت في حبكم شوقا فيا شرفي
فبانكساري وذلي قد أتيتكم	أنا المقر بذنبي فاصفحوا كرما
وصرت بين الورى أدعى بعبدكم	لا تطردوني فإني قد عرفت بكم

3 - النشيد النبوي:

وهو النشيد الذي فيه ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته العطرة ومعجزاته وحب الصحابة والمؤمنين له ووصفه عليه الصلاة والسلام كاملا من ناحية خَلْقِيَّة و خُلُقِيَّة وتشوق المؤمنين لرؤيته وورود الحوض معه يوم القيامة ثم العيش معه في جنة الخلد ولعل أكثر الموالد النبوية هي التي تأخذ بهذا الشأن الذي يكتر من حب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والحديث عنه بشوق وهيام.

ومنه قول الشاعر في قصيدة بعنوان : (ناشر الإيمان):

بهر الدنيا وعز البشر	ناشر الإيمان مبعوث السما
قد تنادى الناس حيرى تنظر	يا رسول الله المجد يا فخر الحمى
فيه خير وجمال عطر	أيها المرسل للكون بما
حجبتة قدرة تستتر	أنت مصباح ينير الظلما
ونبي لم يلاق الوهنا	مرسل أرسله رب الأنام
نغما يحمل طيبا ومنى	ينشر الرحمة في قوم نيام
ضاقت النفس وجل الخطر	مر يا ذكرى علينا كلما
وينادينإ إليه القدر	إننا نشتاق ذلك النغما

4 - نشيد الحكمة والموعظة:

وهو نوع من الشعر ينطلق صاحبه بموعظة إسلامية أو حكمة بالغة مستقاة إما من صميم شريعتنا أو من وحي تجارب الحياة وصراعاتها وهو شعر كثير على أن أكثر المنشدين يعرضون عنه لخلوه من

العنصر الموسيقي في معظم الأحيان ومثاله قول الشاعر في قصيدة مليئة بالرضى والطمأنينة والحكمة وهي بعنوان (علمتني الحياة):

علمتني الحياة أن أتلقى	كل ألوانها رضا وقبولا
ورأيت الرضا يخفف أثقا	لي ويلقي على المآسي سدولا
وأنا راض بكل ما كتب الله	ومزج إليه حمدا جزيلا
لست اخشى من اللئيم اذاه	لا ولن أسأل النبيل قتيلا
في فؤادي لكل ضيق مكان	فكن الضيف مؤنسا أو ثقيلا
علمتني الحياة أن لها طعة	ممين مرا وسائغا معسولا
قد تسري الياة عني فتبدي	سخريات الورى قببلا قببلا
فأراها موعظا ودورسا	ويراها سواي خطبا جليلا
أمعن الناس في مخادع النفس	س وضلوا بصائرا وعقولا
عبدوا الجاه والنضار وعينا	من عيون المها وخدا أسبلا
علمتني الحياة أني إن شعـ	ت لنفسي أعش حقيرا هزبلا
علمتني الحياة أني مهما	أتعلم فلا ازال جهولا

• القرآن وأثر البالغ في النفوس:

القرآن وأثره البالغ في نفوس المؤمنين : نزل القرآن على العرب الفصحاء فأثر فيهم وترك آثارا لا زالت إلى اليوم وستبقى إلى يوم الدين على أن المسلمين الأول وعوا معاني القرآن من صميم كلماته فكان تأثيره أكبر في نفوسهم وسماعه أعذب في آذانهم ومما يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع قارئاً يقرأ ﴿والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع﴾^[831] فارتكن إلى جدار ثم عاد إلى بيته يعوده الناس شهرا كاملا.

[831] سورة الطور الآيات من (1 - 8).

هكذا سمع الصحابة سماع الله سبحانه وتعالى فكان أن هيمنوا على العالم القديم بكل كيانه ونفوذ
هذا القرآن العظيم هو كلام الله الأزلي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهيئات أن
يأتي بمثله بشر أو أي مخلوق كان.

ولقد تحدى القرآن المشركين والمعاندين على أن يأتوا بقرآن مثله تحداهم مرة أن يأتوا بمثله كاملا
فقال: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا﴾^[841].

ثم تحداهم بما هو أيسر من هذا (أن يأتوا بعشر سور) فقال: ﴿أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر
سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾^[852].

ثم سهل لهم المهمة أكثر من ذلك بكثير ليظهر لهم عجزهم فقال: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾^[863].

لقد سحر القرآن العرب من اول يوم سمعته آذانهم حتى إن المشركين أنفسهم كانوا يتناصحون
فيما بينهم بعد سماعه كيلا يسحرهم ويؤثر فيهم.

وما قصة الوليد بن المغيرة إلا شاهدا حيا على عظمة القرآن وروعة كلماته وعظمتها فعندما سمع
الوليد من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شيئا من القرآن أصغى بكل كيانه فإذا به يتيه في بلاغته
فقالت قريش: صبأ والله الوليد ولتصبون قريش كلها فأرسلوا إليه أبا جهل يثير كبرياءه واعتزازه
بنسبه وماله ويطلب إليه ان يقول في القرآن قولا يعلم به قومه أنه له كاره قال فماذا أقول فيه؟ فوالله
ما منكم رجل أعلم مني بالشعر ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقوله
شيئا من هذا والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه ليحطم ما تحته وإنه ليعلو وما يعلى عليه

^[841] سورة الإسراء الآية (88).

^[852] سورة هو الآية (13).

^[863] سورة البقرة الآية (23).

وإن أعلاه لمثمر وأسفله لمغدق فقال أبو جهل : والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه . قال : فدعني أفكر فيه فلما فكر قال : إن هذا السحر يؤثر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله ومواليه⁽¹⁸⁷⁾ .

هكذا وعى الأقدمون القرآن فهموا معانيه وتشربوا أحكامه واليوم صار القرآن وقفا على الموتى وشفير القبور فما عدنا نسمع الآيات تتلى إلا إذا أمنا دارا فيها ماتم أو شيعنا جنازة إلى قبرها عند ذلك نسمع القرآن هكذا صار القرآن يتلى على الأموات في حين أنه بعث للأحياء ﴿ لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ﴾⁽¹⁸⁸⁾ .

هذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في رواية : (فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت فدخلت الإسلام) ويقال عنه في رواية أنه قال : (ما أحسن هذا الكلام وأكرمه) .

ثم هذا القرآن يصف لنا أثره في نفوس المؤمنين به وكذلك نفوس الذين أوتوا العلم من قبله يقول : ﴿ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾⁽¹⁸⁹⁾ . ﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله وإذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ﴾⁽¹⁹⁰⁾ .

لقد اشتركت المعاني والألفاظ في القرآن لتجعل منه منهاج شريعة المسلمين وحدثهم في حلهم وترحالهم وفي ليلهم ونهارهم في جدهم وهزلهم وإذ هو يحكم في كل قضاياهم المصيرية والعادية على السواء .

(أما طريقته في ذلك فكانت هي الطريقة العامة طريقة التصوير والتشخيص التخيل والتجسيم في هذا المنطق اشتركت الألفاظ المعبرة والتعبيرات المصورة والصور الشاخصة والمشاهد الناطقة والقصص الكثيرة... وكل ما عرض من مشاهد القيامة وصور النعيم والعذاب يعد في جملة هذا

⁽¹⁸⁷⁾ عن السيرة لابن هشام .

⁽¹⁸⁸⁾ سورة يس الآية (70) .

⁽¹⁸⁹⁾ سورة الزمر الآية (23) .

⁽¹⁹⁰⁾ سورة الإسراء الآية (108) .

المنطق الذي يلمس الحس ويوقظ الخيال فيلمس البصيرة ويوقظ الوجدان ويهيء النفس للاقتناع والإذعان⁽⁹¹¹⁾.

هذا هو القرآن الذي ينبغي علينا أن نلبسه حلة الخلود في نفوسنا وضائنا وأسماعنا لأنه الكتاب الخالد في أحاسيسنا ويجب أن يبقى كذلك لأنه تنزيل من عزيز حميد. وهل هناك من غناء أو كلام هو أفضل في مقياس الجمال من كلام الله سبحانه وتعالى هذا هو كلام الخالق وإنه لكلام رائع باهر يحي في النفس صور الحياة المثلى ليعبر بها إلى دار الخلود.

هل تكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الشعر من المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نشأ في بيئة بني سعد موطن الفصاحة والبلاغة ولكن لم تذكر لنا كتب التاريخ والأدب انه قال شعرا قبل النبوة ولا نظمه بعد النبوة كالشعراء علماء انه كان أفصح بني آدم كما تحدث بذلك هو عن نفسه حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم «أنا أعربكم أنا من قريش ولساني لسان بني سعد بن بكر»⁽⁹²²⁾.

وتتجلى حكمة منعه صلى الله عليه وآله وسلم من القول بالشعر كما قال تعالى ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾⁽⁹³³⁾ ، حكمة ذلك لما كان الله قد ادخر من جعل فصاحة القرآن معجزة له ودلالة على صدقه لما هو عليه من أسلوب البلاغة وعجيب الفصاحة الخارجة عن أنواع كلام العرب البلغاء الفصح المتشدين كما سلب عنه الكتابة وأبقاه على حكم الأمية تحقيا لهذه الحالة وتأكيدها وذلك قوله تعالى ﴿وما ينبغي له﴾ لأجل معجزته والتي صفتها من صفته ثم هي زيادة عظمى على علو مرتبته⁽⁹⁴⁴⁾.

وقد اختلف في جواز تمثل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشيء من الشعر وإنشاده حاكيا عن غيره فالصحيح جوازه.

⁽⁹¹¹⁾ التصوير الفني في القرآن : 177 - 178.

⁽⁹²²⁾ ذكره السيوطي في الجامع الصغير (2696) ورمز لصحته.

⁽⁹³³⁾ سورة يس الآية (69).

⁽⁹⁴⁴⁾ أحكام القرآن لابن عربي (1597/4).

وقد روي عن شريح عن أبيه قلت لعائشة أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان يتمثل من شعر ابن رواحة: ويأتيك بالأخبار من لم تزود⁽⁹⁵¹⁾.
وأما ما وقع منه في غزوة حنين (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب)⁽⁹⁶²⁾ فقد وقع منظوما من غير قصد منه إلى ذلك.

وروي عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبنى المسجد وعبدالله بن رواحة يقول: أفلح من يعالج المساجد فيقولها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول ابن رواحة: يتلو القرآن قائما وقاعدا فيقولها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وفي هذا وفي غيره يؤيد أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يجوز له أن يحكي الشعر عن ناظمه⁽⁹⁷³⁾.
وأنشد يوما وقد قيل له من أشعر الناس فقال: (الذي يقول:

ألم ترياني كلما جئت طارقا	وجدت بها وإن لم تطيب طيبا
---------------------------	---------------------------

وأنشد يوما حينما جاءه العباس بن مرداس قال له: أنت القائل:

أتجعل نهبى ونهب العبيد	يد بين الأقرع وعيينة
------------------------	----------------------

فقال أبو بكر بين عيينة والأقرع فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (هما واحد) فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾⁽⁹⁸⁴⁾.⁽⁹⁹⁵⁾
وإصابته للوزن أحيانا لا يوجب أنه يعلم الشعر وكذلك يأتي أحيانا من نثر كلامه ما يدخل في وزن كقوله يوم حنين وغيره:

هل أنت إلا أصبع دميت	وفي سبيل الله ما لقيت. ⁽¹⁰⁰¹⁾
----------------------	--

⁽¹⁹⁵¹⁾ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (867) والترمذي (2848) و في الشمائل (241) والنسائي في عمل اليوم والليلة (997) وأحمد (138/6).

⁽²⁹⁶⁾ أخرجه البخاري (293) ومسلم (4591) وأحمد (280/4) والترمذي (1688) وفي الشمائل (245) والنسائي في عمل اليوم والليلة (605).

⁽³⁹⁷⁾ فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (158/13).

⁽⁴⁹⁸⁾ سورة يس الآية (69).

⁽⁵⁹⁹⁾ سيرة ابن هشام (294/2).

قال الإمام القرطبي تعليقا على تلك الأبيات التي أوردناها : ولا نلزم منه ان يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم عالما بالشعر ولا شاعرا إن التمثل بالبيت النزر وإصابة القافيتين من الرجز وغيره لا يوجب أن يكون قائلها عالما بالشعر ولا يسمى شاعرا باتفاق العلماء كما أن من خاط خيطا لا يكون خيطا قال أبو إسحاق الزجاج معنى ﴿وما علمناه الشعر﴾ أي : وما علمناه أن يشعر أي ما جعلناه شاعرا وهذا لا يمنع أن ينشد شيئا من الشعر قال النحاس : وهذا من أحسن ما قيل في هذا. الألغاز في الشعر والإنشاد:

قد اختار بعض الصوفية الألغاز والإشارة والتحجبة باستعمال المجاز والكناية والاستعارات والرموز اللغوية تعبيرا عن أذواقهم ومواجيدهم وأشواقهم حتى اقتصوا بذلك وعرفوا بأهل الإشارة لأسباب منها: عدم مساعفة الألفاظ المألوفة والعبارات المألوفة لتصوير مداركهم ومشاعرهم فكان اللجوء إلى الإشارة والرمز ضرورة لقربها من حسن عرض المشاعر والأحاسيس وتصويرها والتعبير عنها.

ثم إن لكل علم مصطلحا مستحدثا وهذا اصطلاحهم الخاص بهم فلماذا يؤخذون على أنهم استقلوا بنوع من الاصطلاح ولا يؤخذ بقية أصحاب العلوم والفنون والحرف وغيرها. وأما معاني المصطلحات فتطلب من كتبهم وخصوصا ما كتبه فيها الشيخ ابن عجيبة والشيخ علي وفا ومن قبلهم وبعدهم ردود على أدلة التحريم

وأما أدلة التحريم التي تمسك بها القائلون بتحريم الغناء والاستماع إليه فلقد ناقشها القائلون بالإباحة مناقشة علمية وحللوها تحليلا بحيث يزيل اللبس والإشكال ويضع النقاط على الحروف فقالوا:

[100] أخرجه البخاري (2802) وأحمد (313/312/4) والبيهقي في دلائل النبوة (44/43/7) والبغوي (3401) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (299/4) والترمذي (3345) والطربراني في الكبير (1703) ومسلم (4630) وابن حبان (6577) والحميدي (776) وابن أبي شيبة (716/8).

1 - إن الآية الكريمة التي تمسك بها القائلون بالتحريم ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾⁽¹⁰¹⁾.

فقالوا عن لهو الحديث أنه الغناء مستشهدين برواية عن ابن مسعود وغيره من الصحابة إلا أن العلماء المحققين ذهبوا إلى ضعف الرواية مستدلين بما جاء في سنن الترمذي أن هذه الآية نزلت في مثل حديث (لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمرهن حرام)⁽¹⁰²⁾ كما قال الإمام الترمذي نفسه بعد إيراده لهذا الحديث.

ثم إن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث لأنه يشتري كتب الأعاجم رستم واسفنديار فكان يجلس بمكة فإذا قالت قريش إن محمدا قال كذا ضحك منه وحدثهم باحاديث ملوك الفرس ويقول: حديثي هذا أحسن من حديث محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته. فيقول: أطمعته واسقيه وغنيه ويقول: هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه. وهذا الرأي قد ذكره أكثر المفسرين.⁽¹⁰³⁾

ثم إذا أمعنا النظر في منطوق الآية لوجدنا أن احتجاجهم يبطل بها لأن فيها ﴿ليضل عن سبيل الله بغير علم﴾ وهذا القيد متفق عليه كما مر من كلام ابن حزم رضي الله عنه في تفسيرها.

2 - وأما الآية الكريمة الثانية التي احتجوا بها وهي قوله تعالى ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون﴾...

﴿وأنتم سامدون﴾⁽¹⁰⁴⁾.

ويقول ابن عباس هو الغناء بلغة حمير . فنقول : ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا لأن الآية تشتمل عليه فإن قيل : إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لإسلامهم فهذا أيضا

(101) سورة لقمان الآية (6).

(102) أخرجه الترمذي (3195).

(103) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (335/13).

(104) سورة النجم الآية (58 - 61).

مخصوص بأشعارهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين وكما قال تعالى ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾^{[105]1} وأراد به شعر الكفار ولم يدل على ذلك تحريم نظم الشعر في نفسه^{[106]2}.

3 - وكذلك الآية الثالثة التي احتجوا بها وهي قوله تعالى ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾^{[107]3}.

فقالوا: هو الغناء وعن ابن عباس قال: كداع إلى المعصية ومن المعلوم أن الغناء من أعظم الدواعي إلى المعصية ولهذا فسر صوت الشيطان به وقول مجاهد إنه الغناء الباطل . ورواية أخرى عنه: صوته هو المزامير^{[108]4}.

نقول: وذهب أكثر المفسرين إلى القول بصوتك: وصوته كل داع يدعو إلى معصية الله تعالى لذلك فلا وجه للتخصيص بالغناء فقط وإنما بكل وسيلة تكون سببا إلى معصية الله.

4 - قال الحافظ أبو بكر البغدادي: من تمسك بتسمية أبي بكر مزار الشيطان فقد اخطأ وأساء الفهم من وجوه منها:

تمسكه بقول أبي بكر مع رد النبي صلى الله عليه وآله وسلم له قوله وزجره عن عنفه لهن ورجوع أبي بكر إشارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنها: إعراض هذا القائل عن إقراره صلى الله عليه وآله وسلم واستماعه الذي لا احتمال فيه إلا أنه يقتضي الحل والإطلاق إلى لفظ أبي بكر ومحال أن يعتقد أبو بكر تحريم أمر حضره المصطفى وأقره عليه مع علم الصديق أنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يقر على باطل والصحيح أنه يفهم من قول أبي بكر ما يليق به وهو أنه رأى ضرب الدف وإنشاء الشعر لعبا من جملة المباح الذي ليس فيه عبادة مما حمله على تنزيه حضرته صلى الله عليه وآله وسلم عن صورة اللعب ورأى أن الاشتغال بالذكر والعبادة في ذلك الموطن الكريم أولى فزجر عنه احتراما لا تحريما فرد عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنكاره لأمرين:

[105]1 سورة الشعراء الآية (224).

[106]2 إحياء علوم الدين للغزالي (351/2).

[107]3 سورة الإسراء الآية (64).

[108]4 إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية (255/1).

إحدهما: أن لا يعتقد تحريم ما أبيع من شرعه توسعة لأتمته ورفقا بها وتفسحا في بعض الأوقات.
والثاني: إظهار الشارع مكارم الأخلاق وسعة الصدر لأهله وأتمته فتستريح ببعض المباح فيكون
انشط لهم في العودة إلى وظائف العبادة.⁽¹⁰⁹¹⁾

5 - وأما حديث الجارية السوداء التي نذرت أن تضرب الدف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتتغنى وكان ذلك بحضرة جملة من أصحابه إلى أن حضر عمر رضي الله عنه فكفت فقال صلى الله عليه وآله وسلم «إن الشيطان ليخاف منك يا عمر»⁽¹¹⁰²⁾ فادعوا بأنه دليل على تحريم الغناء، لأن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم شبه المغني بالشيطان ولكن الحقيقة غير هذا لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أظهر لأصحابه منقبة من مناقب عمر⁽¹¹¹³⁾ هذا من جهة ومن جهة ثانية أن الجارية السوداء كانت قد نذرت بضرب الدف والتغني بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن هو عاد سالما من سفره والرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وافقها فالإقرار دليل الجواز حيث لا نذر في معصية الله كما جاء في الحديث الشريف «ثم إنه كان جالسا يسمع لها هو وأبو بكر وعثمان وعلي ولم ينكر عليها فهب أن سيدنا عمر لم يأت يومها فهل يقرها على معصية الله أم أنه يؤدي الأمانة أمام بعض الصحابة ويكتمها أمام الآخرين!!! حاش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يفعل هذا».

6 - وكذلك دعواهم بأن الصحابة والتابعين لم يسمعوا الغناء ولا جلسوا في مجالسه ولم يثبت عنهم أبدا والجواب عن هذا نقول: إن كثيرا من الأخبار جاءت في الكتب الموثوقة - كالإصابة في تمييز الصحابة والاستيعاب في معرفة الأصحاب، وكذلك نيل الأوطار وذكروا طرفا من أخبار بعض الصحابة الذين كانوا يسمعون الغناء ولكن ليس في مجالس

^[1091] التراتيب الإدارية ونظام الحكومة النبوية لعبد الحي الكتاني (122/2- 123) وانظر منهل الحديث: موسى شاهين وعبدالعال أحمد عبدالعال (89/3).

^[1102] تقدم ترجمته ص (377).

^[1111] والحديث أخرجه الترمذي في باب مناقب عمر (3690).

الفحش والمعصية كما جاء في الإصابة لابن حجر في ترجمة حسان بن عكرمة عن ابن عباس قال: مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحسان ومعه أصحابه وساطين وجارية له يقال لها سيرين وهي تغنيهم فلم يأمرهم ولم ينههم^{[[112]]} وكذلك من مر معنا ذكره من الصحابة والتابعين في الحديث عن الغناء والسماع عند الصحابة والتابعين رضي الله عنهم. الإمام الشعبي الفقيه الشهير الرواية الموثوق به كان يجعل من داره مكانا لابن سريج يغني فيه عندما استقدمه أهل العراق من الحجاز^{[[113]]}.

ورب سائل يسأل فيقول: إن الآيات الواردة في سورة الشعراء والتي يقول فيها ربنا عز وجل ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا...﴾^{[[114]]}.

أليس هذا دليلا واضحا على تحريم الشعر والقول به؟

وللإجابة على هذا التساؤل نقول: إن المفسرين ذكروا أن هذه الآيات إنما نزلت في الكفار كما ذكر ذلك الإمام القرطبي في تفسيره.

حيث روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه حينما نزلت هذه الآيات جاء حسان وكعب بن مالك وابن رواحة يبكون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يا نبي الله أنزل الله تعالى هذه الآية وهو تعالى يعلم أنا شعراء فقال (اقرأوا ما بعدها) ﴿إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات﴾ أنتم ﴿وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾ أنتم ولا تذكروا الآباء والأمهات^{[[115]]}.

وأما الإشكال الآخر فهو الذي ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «لأن يمتلى جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير من أن يمتلى شعرا»^{[[116]]}.

^{[[112]]} الترتيب الإدارية ونظام الحكومة النبوية لعبد الحي الكتاني (132/2) ونيل الأوطار للشكوكاني (265/2) وما بعدها والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (211/3).

^{[[113]]} الترتيب الإدارية ونظام الحكومة النبوية لعبد الحي الكتاني (132/2 - 133).

^{[[114]]} سورة الشعراء الآية (244 - 227).

^{[[115]]} فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (165/13).

^{[[116]]} أخرجه مسلم (5855).

قال علماءنا إن فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع ذلك الشاعر لما علم من حاله فلعل هذا الشاعر كان مما عرف من حاله أنه اتخذ الشعر طريقاً للكسب فيفطرط في المديح إذا أعطى وفي الهجو والذم إذا لم يعط فيؤذي الناس في أموالهم وأعراضهم ولا خلاف في أن كل من كان على مثل هذا الحال فكل ما يكسبه بالشعر حرام وكل ما يقوله من ذلك حرام عليه ولا يحل الإصغاء إليه بل يجب الإنكار عليه ثم يتابع الإمام القرطبي قوله في تأويل معنى الحديث (لأن يمتلي) وهذا الحديث أحسن ما قيل فيه وفي تأويله إنه الذي قد غلب عليه الشعر وامتلاً صدره منه دون علم سواه يخوض به في الباطل ويسلك به مسالك لا تحمد عقباهما كالمكثر اللفظ والهذر والغيبة والنميمة وقبيح القول⁽¹¹⁷¹⁾.

ولقد تابعه في هذا القول الإمام ابن حجر في الفتح حيث قال في حديث (لأن يمتلي) ولكن وجهه عندي أن يمتلي قلبه من الشعر حتى يغلب عليه فيشغله عن القرآن وعن ذكر الله فيكون الغالب عليه وأما إذا كان القرآن والعلم الغالبين عليه فليس جوفه ممتلئاً من الشعر.

ولعل ما جاء في الإجابة للإمام الزركشي يوضح الإشكال أكثر فأكثر حيث جاء فيه أن السيدة عائشة رضي الله عنها استدركت حديث أبي هريرة رضي الله عنه (لأن يمتلي) فقالت: لم يحفظ أبو هريرة الحديث إنما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لأن يمتلي جوف احدكم قيحا ودما خيراً له من أن يمتلي شعراً هجيت به)⁽¹¹⁸²⁾.⁽¹¹⁹³⁾

ولدى التأمل يتضح لنا من خلال هذا الاستدراك أن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن لون معين من الشعر وهو فيما يتعلق بهجائه صلى الله عليه وآله وسلم أو ما يكون مشابهاً للهجاء ومن المعلوم أن هجاء الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو هجاء للدعوة الإسلامية وهذا اللون لا خلاف في تحريمه⁽¹²⁰⁴⁾.

[1171] الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (153/13).

[1182] أخرجه البخاري (6615) وسلم (5853).

[1193] فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (167/13).

[1204] الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة: 679 (O) وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني

(161/13).

وفي هذا القدر كفاية لمن يخضع لقول الله وقول رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والله الهادي إلى
سواء السبيل والحمد لله رب العالمين

وصول ثواب القرآن

الأدلة النقلية والعقلية (القياس)

عن سيدنا معقل بن يسار رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «يس قلب
القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له أقرؤها على موتاكم»⁽¹¹⁾.
والمراد من (موتاكم) أي الميتين حقيقة وليس المحتضرين وقال الشوكاني والمحِب الطبري في شرح
موتاكم الواردة في الحديث اللفظ نص في الأموات وتناوله للمحتضرين مجاز فلا يصار إليه إلا
لقرينة⁽¹²⁾.

وحيث لا توجد قرينة تصرف ظاهر اللفظ عن حقيقته إلى المجاز فلا يصار إلى المجاز أي لتفسير
كلمة (موتاكم) الواردة في الحديث بالمحتضرين لعدم القرينة الصارفة ويبقى معنى موتاكم الميتين
حقيقة ومعلوم لدينا ان الأموات إنما هم أحياء في قبورهم يسمعون قراءتنا ودعاءنا وقد مر معنا
التفصيل في هذا في باب التوسل والاستغاثة في بداية فصل التوسل بالأموات (المنتقلين) فليراجع
هناك.

⁽¹¹⁾ أخرجه أبو داود (3121) وابن ماجه (1448) والنسائي في عمل اليوم والليلة (1074) وأحمد (26/5) والحاكم (565/1)
والبغوي (1464) وابن أبي شيبة (237/3) والطبراني في الكبير (20 برقم 510) والبيهقي (383/3) وذكره السيوطي في الجامع الصغير
(1344) ورمز لحسنه والطيالسي (931) وابن حبان (3002) عن ابي هريرة وأبي ذر قالا قال رسول الله ﷺ « ما من ميت يموت فيقرأ عند
يس إلا هون الله عز وجل عليه » أخرجه الديلمي (6099) .

⁽¹²⁾ نيل الأوطار (25/3) .

عن عبدالرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه قال لي أبي اللجلاج : (يا بني إذا أنا مت فالخدي لحدافإن وضعتني في لحددي فقل : بسم الله وعلى ملة رسول الله ثم سن التراب علي سنا ثم اقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها فيإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذلك)⁽³¹⁾. وقال البعض : إن هذا الحديث مرسل وإنما لو سلمنا أنه مرسل فجمهور الفقهاء والأصوليين نصوا على الاستدلال بالحديث المرسل .

قال ابن كثير في كتابه الباعث الحثيث : قال ابن الصلاح والاحتجاج بالمرسل مذهب مالك وأبي حنيفة وأصحابهما قلت : أي ابن كثير - وهو محكي عن الإمام أحمد بن حنبل في رواية «الباعث الحثيث مصطلح الحديث ص 48 .

وقولهم مرسل : مردود لأن الحديث متصل وهذا سنده : قال الطبراني : حدثني الحسين بن إسحاق التستري ثنا علي بن حجر ثنا مبشر بن إسماعيل حدثني عبدالرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه قال أبي اللجلاج أبو خالد (يا بني إذا أنا مت ... الحديث)⁽⁴²⁾ .

وأخرج الحافظ السيوطي وأبو القاسم في قواعدهم (من دخل المقبرة فقرأ الفاتحة وأهاكم التكاثر وقل هو الله أحد ثم قال : إني جعلت ثواب ما قرأته من كلامك لأهل القبور من المؤمنين والمؤمنات كانوا شفعاء له يوم القيامة) .

وعن سيدنا ابن عمر رضي الله عنه (يستحب أن يقرأ على القبر بعد الدفن أول سورة البقرة وخاتمتها)⁽⁵³⁾ .

وعن سيدنا أبي الدرداء وأبي ذر رضي الله عنهما : (ما من ميت يموت فتقرأ عنده يس إلا هون الله عليه)⁽⁶⁴⁾ .

⁽¹³⁾ أخرجه الطبراني في الكبير (13613) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (2442) وقال رجاله موثوقون .

⁽²⁴⁾ الرد المحكم المتين للشيخ عبدالله الصديق ص 283 ونصب الراية للزيلعي (302/2) .

⁽³⁵⁾ الأذكار للنووي ص 123 .

⁽⁴⁶⁾ أخرجه الديلمي (6099) .

وعن أبي الشعثاء صاحب ابن عباس: أنه يستحب قراءة سورة الرعد وأن ذلك يخفف عن الميت وفيه عن الشعبي قال: كانت الأنصار يستحبون أن تقرأ عند الميت سورة البقرة⁽¹⁷¹⁾.

وعن الإمام أحمد قال: حدثنا ابن المغيرة حدثنا صفوان قال: كانت المشيخة يقولون: إذا قرئت أي يس عن الميت خفف عنه بها⁽⁸²⁾.

مذهب السادة الشافعية:

قال الحافظ السيوطي في شرح الصدور ما نصه: باب قراءة القرآن للميت أو على القبر اختلف في وصول ثواب القرآن للميت فجمهور السلف والأئمة الثلاثة قالوا بالوصول وخالف ذلك إمامنا الشافعي مستدلاً بقوله تعالى ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ثم أقر ذلك لقوله رحمه الله تعالى ... وأما القراءة على القبر فجزم بمشروعيتها أصحابنا وغيرهم قال الزعفراني: سألت الشافعي رحمه الله تعالى عن القراءة عند القبر؟ فقال: لا بأس بها قال الإمام النووي في كتابه رياض الصالحين (باب الدعاء للميت بعد دفنه):

قال الشافعي رحمه الله: ويستحب أن يقرأ عنده شيء من القرآن وإن ختموا القرآن عنده كان حسناً⁽⁹³⁾.

وقال النووي رحمه الله في شرح المهذب: يستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسر من القرآن ويدعو لهم عقبها نص عليه الشافعي واتفق عليه الأصحاب وزاد في موضع آخر: وإن ختموا القرآن على القبر كان أفضل.

وقال القرطبي: وقد استدل بعض علمائنا على قراءة القرآن على القبر بحديث: العسيب والرطب الذي شقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم باثنين ثم غرس على قبر نصفاً وعلى قبر نصفاً وقال لعله

(171) ذكره الشوكاني في نيل الأوطار (25/3) وورد في سبل السلام (91/2).

(281) تفسير ابن كثير (563/3) والتلخيص (104/2).

(391) المجموع للنووي (294/5) ورياض الصالحين (947).

يخفف عنهما ما لم ييبسا⁽¹⁰¹⁾ قال يستفاد من هذا غرس الأشجار وقراءة القرآن على القبور وإذا خفف عنهم بالأشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن.

وقال النووي : استحب العلماء قراءة القرآن عن القبر واستأنسوا لذلك بحديث الجريدتين وقالوا : إذا وصل النفع إلى الميت بتسبيحها حال رطوبتها فانتفاع الميت بقراءة القرآن عند قبره أولى فإن قراءة القرآن من إنسان أعظم وأنفع من التسبيح من عود وقد نفع القرآن بعض من حصل له ضرر في حال الحياة فالميت كذلك.

قال ابن الرفعة: الذي دل عليه الخبر بالاستنباط أن بعض القرآن إذا قصد به نفع الميت وتخفيف ما هو فيه نفعه إذ ثبت أن الفاتحة لما قصد بها القارئ نفع المددوغ نفعته وأقر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بقوله (وما يدريك أنها رقية)⁽¹¹²⁾ وإذا نفعت الحي بالقصد كان نفع الميت بها أولى⁽¹²³⁾ وتبعه السبكي في ذلك.

وقال في شرح الروض في كتاب الإجارة فرع الإجارة للقراءة على القبر مدة معلومة أو قدرا معلوما جائزة للانتفاع بنزول الرحمة حين يقرأ القرآن ويكون الميت كالحي الحاضر سواء أعقب القرآن بالدعاء أو جعل أجر قراءته له أم لا فتعود منفعة القرآن إلى الميت في ذلك ولأن الدعاء يلحقه وهو بعدها أقرب إجابة وأكثر بكرة ولأنه إذا جعل أجره الحاصل بقراءته للميت فهو دعاء بحصول الأجر له فينتفع به فقول الشافعي إن القراءة لا تصل إليه محمول على غير ذلك.

وقال الإمام النووي: عن القاضي حسين في الفتاوى أن الاستئجار لقراءة القرآن على رأس القبر مدة جائز كالاستئجار للأذان وتعليم القرآن واعلم أن عود المنفعة إلى المستأجر شرط فيجب عودها في هذه الإجارة إلى المستأجر أو الميت فالمستأجر لا ينتفع بقراءة غيره ومعلوم أن الميت لا يلحقه ثواب القراءة المجرد فالوجه تنزيل الاستئجار على صورة انتفاع الميت ذكر الشيخ

⁽¹⁰¹⁾ أخرجه البخاري (218) ومسلم (1675) وأبو داود (20) والترمذي (709) والنسائي (31) وابن ماجه (347) وأحمد (225/1) وابن أبي شيبة (375/3) والبيهقي في السنن (104/1) وابن خزيمة (56) والدارمي (739) وعبد بن حميد (620).
⁽¹¹¹⁾ أخرجه البخاري (2276) ومسلم (5697) وأبو داود (3418) والترمذي (2064) وابن ماجه (2156) وأحمد (2/3) والنسائي في عمل اليوم والليلة (1028) والداقطنى (64/3) والبيهقي (124/6) والطحاوي (126/4-127).
⁽¹²⁾ المقالات السننية ص (170-172) وإتحاف السادة المتقين (3699/10).

عبدالكريم الشالوسي أنه إن نوى القارئ بقراءته أن يكون ثوابها للميت لم يلحقه وإن قرأ ثم جعل ما حصل من الأجر له فهذا دعاء بحصول ذلك الأجر للميت فينتفع الميت .

قال النووي ظاهر كلام القاضي حسين صحة الإجارة مطلقا وهو المختار فإن موضع القراءة موضع بركة وبه تنزل الرحمة وهذا مقصود ينفع الميت والله اعلم.⁽¹³¹⁾

وفي الرمي على المنهاج في باب الوصايا: أن الدعاء بوصول ثواب القراءة للميت مقبول قطعاً فإنه إذا كان مقبولاً بما لاحق فيه للداعي فكيف بما لاحق فيه ولا عمل؟ أي فهو مقبول من باب أولى وقال ابن الصلاح وينبغي الجزم بنفع قوله اللهم أوصل ثواب ما قرأناه لأنه إذا نفعه الدعاء بما ليس للداعي فماله أولى ويجري هذا في سائر الأعمال وقال الشبرمليسي على الرمي: إنه إن نوى ثواب قراءته أو دعا عقبها بحصول ثوابها للميت أو قرأ عند قبره حصل له ثواب القراءة وحصل للقارئ أيضاً الثواب فإذا سقط ثواب القارئ لمسقط كأن غلب الباعث الدنيوي فينبغي أن لا يسقط مثله بالنسبة إلى الميت فيها إذا كانت القراءة بأجرة وينبغي أن تكفي نية القارئ الثواب للميت ولو لم يدع واختار السبكي وابن حجر والرملي وغيرهم جواز إهداء القراءة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قياساً على الصلاة عليه .

وفي شرح المنهاج لابن النحوي: والمختار الوصول إذا سأل الله إيصال ثواب قراءته وينبغي الجزم به لأنه دعا فإذا جاز الدعاء للميت بما ليس للداعي فلأن يجوز ما هو له أولى.⁽¹⁴²⁾

وفي باب الإجارة من فتاوى شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ما نصه: سئل عن إجارة من يقرأ لحي أو ميت بوصية أو نذر أو غيرهما ختمة هل يصح ذلك من غير تعيين زمان أو مكان أو لا بد من التعيين حتى يمتنع ذلك فيمن أوصى بالقراءة ثم مات غريقاً أو لا يعرف له قبر؟ وإذا قلت بالاول فهل تصح الإجارة لقراءة قرآن بالتعيين المذكور أو لا؟ وإذا فرغ القارئ من القراءة فما صورة ما يدعو به؟ هل يقول: اللهم اجعل ثواب ما قرأته لفلان أو مثل ثوابه؟ وهل يهديه أو لا للأتباع والصالحين ثم للمستأجر له أو يهديه أو لا له ثم لهم؟ فأجاب: بأن الإجارة تصح لقراءة ختمة من

(131) روضة الطالبين للنووي (191/5).

(142) نيل الأوطار (105/4) سبل السلام (118/2 - 119).

غير تقدير بزمان وتصحح قراءة قرآن بتقدير ذلك سواء عين مكانا أم لا وقد افتى القاضي حسين بصحتها بقراءة القرآن على رأس القبر مدة كالإجارة للأذان وتعليم القرآن قال الرافعي والوجه تنزيله على ما ينفع المستأجر له إما بالدعاء عقب القراءة وهو بعدها أقرب إجابة وأكثر بركة وإما بجعل ما حصل من الأجر له والمختار كما قاله النووي صحة الإجارة مطلقا كما هو ظاهر كلام القاضي لأن محل القراءة محل بركة وتنزل الرحمة وهذا مقصود بنفع المستأجر له وبذلك علم انه لا فرق بين القراءة على القبر وغيره وصورة ما يدعوه به: اللهم اجعل مثل ثواب ذلك الخ إذ المعنى على مثل ثواب ذلك كما لو أوصى لزيد بنصيب ابنه فإنه يصح على معنى مثل نصيب ابنه ، وإن كان المعنى على ذلك فله أن يهدي ثواب ذلك للأنبياء والصالحين ثم للمستأجر له بل هو أولى لما فيه من التبرك بتقديم من يطلب بركته وهو أحب للمستأجر غالبا.

وقال العسقلاني عندما سئل عن وصول ثواب القراءة للميت ما يلي: هي مسألة مشهورة والحاصل ان اكثر المتقدمين من العلماء نصوا على الوصول وان المختار الوقف عن الجزم على المسألة مع استحباب عمله والإكثار منه⁽¹⁵¹⁾.

وقال العلامة الشربيني في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾⁽¹⁶²⁾.

ما يلي: وأن ليس للإنسان كائنا من كان إلا ما سعى فلا بد أن يعلم الحق في أي جهة فيسعى فيه ودعاء المؤمنين للمؤمن من سعيه بموداته ولو بموفقته لهم في الدين فقط وكذا الحج عنه والصدقة ونحوها فكذلك وتضحية النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أمته أصل كبير في ذلك فإن من تبعه واده وهو أصل في التصديق عن الغير وإهداء ماله من الثواب في القراءة ونحوها إليه وقال ابن عباس رضي الله عنهما هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة أي وإنما هو في صحف موسى وإبراهيم عليهما السلام بقوله ﴿الحقنا بهم ذريتهم﴾⁽¹⁷³⁾ فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء وقال عكرمة إن ذلك لقوم موسى وإبراهيم عليهما السلام أما هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما

⁽¹⁵¹⁾ الرسائل المنبرية (41/4).

⁽¹⁶²⁾ سورة النجم الآية (39).

⁽¹⁷³⁾ سورة الطور الآية (219).

يروى أن امرأة رفعت صبيا فقالت: يا رسول الله ألهذا حج فقال: (نعم ولك أجر)⁽¹⁸¹⁾ وقال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إن أمتي افتللت نفسها⁽¹⁹²⁾ وأراها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال نعم⁽²⁰³⁾.

وقال السيد الألوسي في تفسير الآية السابقة ما نصه: (وقال بعض أجلة المحققين إنه ورد في الكتاب والسنة ما هو قطعي في حصول الانتفاع بعمل الغير وهو ينافي ظاهر الآية فتقيد بما لا يهينه العامل).

وقال الشيخ محمد العربي معقبا على قول الألوسي السابق: على أن المحققين من المفسرين قالوا: أمة سعي غيره لما لم ينفعه إلا مبني على سعي نفسه (وهو أن يكون مؤمنا) كان سعي غيره كأنه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه ولأن سعي غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه ولكن إذا نواه به فهو به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه.

وقد قال تعالى ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾⁽²¹⁴⁾ ولو آمنوا لانتفعوا بشفاعة إخوانهم المؤمنين وكذلك سعي المؤمن لأخيه المؤمن لو لم يكن مؤمنا لا انتفع به فإيمانه هو سبب قبول شفاعة أخيه وسعيه وحيث إن إيمانه من سعيه وعليه ترتب قبول سعي غيره له دخل ذلك تحت نطاق قوله تعالى ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾⁽²²⁵⁾. حيث قد سعى بإيمانه في قبول سعي الغير له.

ويدل على ذلك حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده⁽²³⁶⁾: أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة وأن هشاما ابنه نحر عنه حصته خمسين وأن عمرا ابنه سأل النبي صلى

⁽¹⁸¹⁾ أخرجه مسلم (3241) وأبو داود (1736) والنسائي (2646) وأحمد (219/1) ومالك (422/1) والحميدي (504) وابن خزيمة (3049) والبيهقي (155/5) والطحاوي في مشكل الآثار (229/2) وفي شرح معاني الآثار (256/2) وابن الجارود في المنتقى (411) والبعثي (1852) والطبراني في الكبير (12176) والطيالسي (2707) والشافعي في مسنده (289/1) وابن حبان (144).
⁽¹⁹²⁾ افتللت نفسها: ماتت وأراها بضم الهمزة أي أظنها.

⁽²⁰³⁾ أخرجه البخاري (2760) ومسلم (2323) وأبو داود (2881) والنسائي (3651) وابن ماجه (2717) وأحمد (51/6) والحميدي (243) وابن خزيمة (2499) والبيهقي (277/6) والبعثي (169) وابن حبان (2353) ومالك (760/2).

⁽²¹¹⁾ سورة المدثر الآية (48).

⁽²²²⁾ سورة النجم الآية (39).

⁽²³³⁾ وقد حقق ابن القيم في إعلام الموقعين صحة مسند عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

الله عليه وآله وسلم عن ذلك فقال له: (أما أبوك فلو كان أقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك)⁽²⁴¹⁾.

مذهب السادة الحنفية:

قال العلامة المرغيناني في كتابه (الهداية) في أول باب الحج عن الغير ما نصه: (الأصل في هذا الباب أن الإنسان له أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صوما أو صدقة أو غيرها عند أهل السنة والجماعة لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أنه ضحى بكبشين أملحين أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته ممن أقر بوحدانية الله وشهد له بالبلاغ)⁽²⁵²⁾.

وقال العلامة البدر العيني في شرحه على كنز الدقائق ما نصه: يصل إلى الميت جميع أنواع البر من صلاة أو صوم أو حج أو صدقة أو ذكر أو غير ذلك.⁽²⁶³⁾

وقال العلامة الزيلعي في شرحه على الكنز أيضا في باب الحج عن الغير ما نصه: الأصل في هذا الباب أن الإنسان له أن يجعل ثواب عمله لغيره عند أهل السنة والجماعة صلاة كان أو صوما أو حجا أو صدقة أو قراءة قرآن أو الأذكار إلى غير ذلك من جميع أنواع البر ويصل ذلك إلى الميت وينفعه... فقد ورد في الأثر إن من البر بعد الموت أن تصلي لهما - أي الوالدين - مع صلاتك وأن تصوم لهما مع صومك.

وورد أيضا: من مر على المقابر وقرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ثم وهب أجرهما للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات.

﴿أ:﴾ من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات. وورد أنه: يصل ثواب من يهدي اليهم ويفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أهدي إليه. وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اقرؤوا على موتاكم سورة يس.⁽²⁷¹⁾

⁽²⁴¹⁾ أخرجه أحمد (182/2).

⁽²⁵¹⁾ أخرجه أبو داود (2795) وأحمد (362/3) وأبو يعلى (1792/3) وذكره الهيثمي في المجمع (4/برقم 5969).

⁽²⁶¹⁾ تقدم تخريجه ص (293).

وعنه عليه الصلاة والسلام أنه ضحى بكبشين أملحين أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته. ⁽²⁸¹⁾ أ جعل ثوابه لأمته. وهذا تعليم منه عليه الصلاة والسلام ان الإنسان ينفعه عمل غيره والاقتداء به هو الاستمسك بالعروة الوثقى.

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك» ⁽²⁹³⁾.

ولهذا قال تعالى ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ ⁽³⁰⁴⁾ وما أمر الله به من الدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم وما ذكره في كتابه العزيز من استغفار الأنبياء والملائكة لهم حجة لنا عليهم لأن كل ذلك عمل الغير وأما قوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ ⁽³¹⁵⁾ فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما إنها منسوخة بقوله تعالى ﴿والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان﴾ ⁽³²⁶⁾ وقيل هي خاصة بقوم موسى وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام لأنه وقع حكاية عما في صحفهما بقوله تعالى ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى﴾ ⁽³³⁷⁾ وقيل: أريد بالإنسان الكافر وأما المؤمن فله ما سعى له أخوه.

وقال ابن عابدين رحمه الله تعالى: صرح علماءنا في باب الحج عن الغير بأن للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صوما أو صدقة أو غيرها واستدلوا بما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «وإذا تصدق بصدقة تطوعا فيجعلها عن أبويه فيكون لهما أجرها ولا ينقص من أجره شيئا» ⁽³⁴⁸⁾ بل قال بعضهم: إن الأفضل لمن يتصدق نفلا أن ينوي لجميع المؤمنين والمؤمنات لأنها تصل إليهم ولا ينتقص من أجره شيء وهو مذهب أهل السنة

⁽¹²⁷⁾ انظر نيل الأوطار للشوكاني (125/4).

⁽²²⁸⁾ أخرجه مسلم (5064) وأبو داود (2792) وأحمد (78/6) وقد تقدم تخريجه بلفظ مقارب.

⁽³²⁹⁾ أخرجه الإمام أحمد رقم (10202) وقال ابن كثير في تفسيره: إنساده صحيح.

⁽⁴³⁰⁾ سورة محمد الآية (19).

⁽⁵³¹⁾ سورة النجم الآية (39).

⁽⁶³²⁾ سورة الطور الآية (21).

⁽⁷³³⁾ سورة النجم الآية (36 - 37).

⁽⁸³⁴⁾ مسند أحمد بشرح البنا (101/8).

والجماعة وقال أيضا والذي حرره المتأخرون من الشافعية وصول القراءة للميت إذا كانت بحضرته أو دُعي له عقبها - ولو غائبا - لأن محل القراءة تنزل فيه الرحمة والبركة والدعاء عقبها أرجى للقبول ولهذا اختاروا في الدعاء : اللهم أوصل مثل ثواب ما قرأته إلى فلان وأما عند (الحنفية) فالواصل إليه الثواب نفسه.

وقال أيضا: وبهذا علم أنه لا فرق بين أن يكون المجمعول له ميتا أو حيا والظاهر أنه لا فرق بين أن ينوي به عند الفعل للغير أو يفعله لنفسه ثم بعد ذلك يجعل ثوابه لغيره وروي عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إن أُمِّي افْتَلَتَتْ نَفْسَهَا وَأَظْنَهَا لَوْ تَكَلَّمْتُ تَصَدَّقْتُ أَفَلَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ.^[351]

وعن سيدنا بريدة رضي الله عنه قال: بينا أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أُمِّي بجارية وإنما ماتت قال: فقال «وجب أجرك ورجعت اليك في الميراث». قالت: يا رسول الله إنه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها؟ قال «صومي عنها» قالت: إنها لم تحج قط أفأحج عنها؟ قال «حجي عنها»^[362] وقال أيضا وفي شرح اللباب للملا علي القاري ثم من آداب الزيارة (أي زيارة القبور) ما قالوا أنه يأتي الزائر من قبل رجلي المتوفى لا من قبل رأسه لأنه أتعب لبصر الميت بخلاف الأول لأنه يكون مقابل بصره هذا إذا أمكنه وإلا فقد ثبت أنه صلى الله عليه وآله وسلم (قرأ أول سورة البقرة عند رأس الميت وآخرها عن رجله)^[373].

ويقرأ يس لما ورد «من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها من حسنات»^[384].

مذهب السادة المالكية:

^[351] تقدم تخريجه ص (298).
^[361] أخرجه مسلم (2692) وأبو داود (1656) مختصرا، والتزمذي (667) مختصرا وابن ماجه (1759) مختصرا وأحمد (315/5) وانظر النووي في شرحه على مسلم (265/8 - 269).
^[371] أخرجه الطبراني في الكبير (13613) وأورده الهيثمي في المجمع (4242).
^[381] الحاشية (242/2).

قال القاضي عياض في شرحه على صحيح مسلم في حديث الجريدتين عند قوله صلى الله عليه وآله وسلم «لعله يخفف عنها مادامتا رطبتين»^[391] ما نصه: (أخذ العلماء من هذا الحديث استحباب قراءة القرآن على الميت لأنه إذا خفف عنه بتسييح الجريدتين وهما جماد فقراءة القرآن أولى). وقال ابن رشد في كتابه النوازل ما نصه: (وإن قرأ الرجل وأهدى ثواب قراءته للميت جاز ذلك وحصل للميت أجره).

وقال العلامة ابن الحاج في كتابه (المدخل) ما نصه: (لو قرأ في بيته وأهدى إليه لوصلت وكيفية وصولها: أنه إذا فرغ من تلاوته وهب ثوابها له أو قال: اللهم اجعل ثوابها له فإن ذلك دعاء بالثواب لأن يصل إلى أخيه والدعاء يصل بلا خلاف).

وقال العلامة عبدالحق الإشبيلي في كتابه (العاقبة) ما نصه: (واعلم أن الميت كالحى فيما يعطاه ويهدى إليه بل الميت أكثر وأكثر لأن الحى قد يستقل ما يهدى إليه ويستحقر ما يتحف به والميت لا يستحقر شيئاً من ذلك ولو كان مقدار جناح بعوضة أو وزن مثقال ذرة لأنه يعلم قيمته وقد كان يقدر عليه فضيعه وقد قال عليه الصلاة والسلام: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به»^[402]).

فهذا دعاء الولد يصل إلى والده وينتفع به وكذا أمره عليه الصلاة والسلام بالسلام على أهل القبور والدعاء لهم ما ذاك إلا لكون ذلك الدعاء لهم والسلام عليهم يصل إليهم ويأتيهم والله أعلم. وورد في الأثر أن: الميت في قبره كالغريق ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديقه فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها.

وقال صاحب كتاب مواهب الجليل ما نصه: ونقل ابن الفرات عن القرافي انه قال: الذي يتجه أنه لهم (الأموات) بركة القراءة كما يحصل لهم بركة الرجل الصالح يدفن عندهم أو يدفنون عنده ثم

[391] تقدم تخريجه ص (295).

[401] أخرجه مسلم (4199) وأبو داود (2880) والترمذي (1376) والنسائي (3653) والبخاري في الأدب لمفرد (38) وأحمد (372/2) وابن حبان (3016) والبعوي (139) والطحاوي (246) والبيهقي (278/6) وأبو يعلى (6457) والدارمي (565) وابن خزيمة (2494).

قال في مسألة وصول القراءة للميت ما نصه: وإن حصل الخلاف فيها فلا ينبغي إهمالها فلعل الحق هو الوصول⁽⁴¹¹⁾.

مذهب السادة الختابة:

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: الأمر الذي كان معروفا بين المسلمين في القرون المفضلة أنهم كانوا يعبدون الله بأنواع العبادات المشروعة فرضها ونفلها من الصلاة والصيام والقراءة والذكر وغير ذلك وكانوا يدعون للمؤمنين والمؤمنات كما أمر الله بذلك لأحيائهم وأمواتهم في صلاتهم على الجنائز وعند زيارة القبور وغير ذلك وروي عن طائفة من السلف: عند كل ختمة دعوة مجابة فإذا دعا الرجل عقيب الختم لنفسه ولوالديه ولمشايقه وغيرهم من المؤمنين والمؤمنات كان هذا من الجنس المشروع وكذلك دعاؤه لهم في قيام الليل وغير ذلك من مواطن الإجابة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه أمر بالصدقة عن الموتى من الأعمال الصالحة وكذلك ما جاءت به السنة في الصوم عنهم وبهذا وغيره احتج من قال من العلماء إنه يجوز إهداء ثواب العبادات المالية والبدنية إلى موتى المسلمين كما هو مذهب أحمد وأبي حنيفة وطائفة من أصحاب مالك والشافعي فإذا أهدي لميت ثواب صيام أو صلاة أو قراءة جاز ذلك.

وقال رحمه الله تعالى أيضا: من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة:

أحدها: أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير.

ثانيها: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشفع لأهل الموقف في الحساب ثم لأهل الجنة في دخولها ثم لأهل الكبائر في الخروج من النار وهذا انتفاع بعمل الغير.

ثالثها: أن كل نبي وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير.

رابعها: أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض وذلك منفعة بعمل الغير.

خامسها: أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم.

(411) مواهب الجليل (238/2).

سادسها: أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير.
سابعها: قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين (وكان أبوهما صالحا) فانتفعا بصلاح أبيهما وليس هو من سعيهما.

ثامنها: أن الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والإجماع وهو من عمل الغير.
تاسعها: أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير.
عاشرها: أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير.

حادي عشرها: أن المدين الذي امتنع صلى الله عليه وآله وسلم من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب وانتفع بصلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبردت جلده بقضاء دينه وهو من عمل الغير.

ثاني عشرها: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لمن صلى وحده (ألا رجل يتصدق على هذا فيصلني معه)⁽¹⁴²¹⁾ فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير.

ثالث عشرها: أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الخلق إذا قضاها قاض عنه وذلك انتفاع بعمل الغير.
رابع عشرها: أن من عليه تبعات ومظالم إذا حلل منها سقطت عنه وهذا انتفاع بعمل الغير.
خامس عشرها: أن الجار الصالح ينفع في المحيا والممات كما جاء في الأثر وهذا انتفاع بعمل الغير.
سادس عشرها: أن جليس أهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والأعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره.

سابع عشرها: الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه وهو عمل غيره.

ثامن عشرها: أن الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع للبعض بالبعض.

⁽¹⁴²¹⁾ أخرجه أحمد (5/3) والترمذي (220) وأبو داود (574) والدارمي (1341) وأبو يعلى (1057) والحاكم (109/1) وصححه ووافقه الذهبي.

تاسع عشرها: أن الله قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾^{[43]1} وقال تعالى ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾^{[44]2} ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾^{[45]3} فقد دفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير. عشرونها: أن صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يمونه الرجل فينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له.

حادي عشرينها: أن الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعي له ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى فكيف يجوز أن تتأول الآية على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة والمراد بالإنسان العموم.^{[46]4}

وقال الشيخ ابن القيم في كتاب الروح ما نصه: وقد ذكر عن جماعة من السلف أنهم أوصوا أن يقرأ عند قبورهم وقت الدفن قال عبدالحق: يروى أن عبدالله ابن عمر أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة وكان الإمام أحمد ينكر ذلك أولاً حيث لم يبلغه فيه أثر ثم رجع وقال الخلال في كتاب الجامع: القراءة عند القبور عن عبدالرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه قال: قال أبي إذا أنا مت فضعني في اللحد وقل: بسم الله وعلى سنة رسول الله وسن علي التراب سنا وقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها فإني سمعت عبدالله بن عمر يقول ذلك قال عباس الدوري: سألت أحمد بن حنبل قلت تحفظ في القراءة عند القبر شيئاً فقال: لا وسألت يحيى بن معين فحدثني بهذا الحديث قال الخلال: وأخبرني الحسن بن أحمد الوارق حدثني علي بن موسى الحداد وكان صدوقاً قال: كنت مع أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهري في جنازة فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد: يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة فلما خرجا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد بن حنبل: يا أبا عبدالله ما تقول في مبشر الحلبي؟ قال: ثقة قال: كتبت عنه شيئاً؟ قال نعم قال:

[43]1 سورة الأنفال الآية (33).

[44]2 سورة الفتح الآية (25).

[45]3 سورة الحج الآية (40).

[46]4 إسعاف المسلمين والمسلمات ص (50-53) وحاشية الصاوي على تفسير الجلالين (28/6).

فأخبرني مبشر عن عبدالرحمن بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له أحمد: فارجع وقل للرجل يقرأ (Al-Næ) مرفوعاً في بداية الباب).

وذكر الخلال عن الشعبي قال: كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرؤون عنده القرآن.

وعزا رحمه الله وصول ثواب العبادات البدنية للميت كالصلاة والصوم وقراءة القرآن والذكر للإمام أحمد وجمهور السلف وعدم الوصول إلى أهل البدع من علماء الكلام.

وقال رحمه الله وصول ثواب العبادات البدنية للميت كالصلاة والصوم وقراءة القرآن والذكر للإمام أحمد وجمهور السلف وعدم الوصول إلى أهل البدع من علماء الكلام.

وقال رحمه الله أيضاً في جواب عن قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾⁽¹⁴⁷¹⁾.

ما لفظه: وقالت طائفة أخرى: القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعي غيره وإنما نفى ملكه لغير سعيه وبين الأمرين من الفرق ما لا يخفى⁽¹⁴⁸²⁾، وأخبر تعالى أنه لا يملك إلا سعيه وأما سعي غيره فملك لساعيه فإن شاء أن يبذله لغيره وإن شاء أبقاه لنفسه وهو سبحانه لم يقل لا ينتفع إلا بما سعى وكان ابن تيمية يختار هذه الطريقة ويرجحها.

وقال رحمه الله في الجواب على شبه المانعين ما نصه: فصل وأما استدلالكم بقوله صلى الله عليه وآله وسلم (إذا مات العبد انقطع عمله)⁽¹⁴⁹³⁾.

فالاستدلال ساقط لأنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل انقطع انتفاعه وإنما أخبر عن انقطاع عمله وأما عمل غيره فهو لعامله فإن وهبه له فقد وصل إليه ثواب عمل العامل لا ثواب عمله هو فالمنقطع شيء والواصل إليه شيء آخر.

(1471) سورة النجم الآية (39).

(1482) فقد يسكنك صديقك في داره بلا أجر فقد انتفعت بما ليس لك فإن ادعت ملكيتها وأنها لك فهذا كذب وخطأ وبهذا يتضح أن

انتفاعك بما لا تملك قد يصح وبخلاف دعوى المالكية من غير سعيك فإنه لا يصح.

(1493) تقدم تخرجه ص (303).

وقال رحمه الله أيضا: وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعا بغير أجره فهذا يصل إليه كما يصل ثواب الصوم والحج فإن قيل فهذا لم يكن معروفا في السلف ولا يمكن نقله عن واحد منهم مع شدة حرصهم على الخير ولا ارشدهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليه وقد أرشدهم إلى الدعاء والاستغفار والصدقة والحج والصيام فلو كان ثواب القراءة يصل لأرشدتهم إليه ولكانوا يفعلونه: فالجواب أن مورد هذا السؤال إن كان معترفا بوصول ثواب الحج والصيام والدعاء والاستغفار قيل له: ما هذه الخاصية التي منعت وصول ثواب القرآن واقتضت وصول ثواب هذه الأعمال؟ وهل هذا الاتفريق بين المتماثلات؟ وإن لم يعترف بوصول تلك الأشياء إلى الميت فهو محجوج بالكتاب والسنة والإجماع وقواعد الشرع (وقد مرت معنا الأدلة واضحة جلية).

ثم إنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يبتدئهم بذلك بل خرج ذلك منه مخرج الجواب لهم فهذا سأله عن الحج عن ميتة فأذن له وهذا سأله عن الصيام عنه فأذن له وهذا سأله عن الصدقة فأذن له ولم يمنعهم مما سوى ذلك وأي فرق بين وصول ثواب الصوم الذي هو مجرد نية وإمساك وبين وصول ثواب القراءة والذكر؟ وقال رحمه الله ما نصه: وهذا عمل الناس حتى المنكرين في سائر الأعصار والأمصار من غير نكير من العلماء أهـ.

وقال الشيخ الإمام أبو محمد بن قدامة المقدسي في آخر كتاب الجنائز من (مغنيه) ما نصه: لا بأس بالقراءة عند القبر وقد روى عن أحمد أنه قال: (إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا آية الكرسي وثلاث مرات قل هو الله أحد ثم قل: اللهم إن فضله لأهل المقابر).

وقال الخلال: حدثني أبو علي الحسن بن الهيثم البزار شيخنا الثقة المأمون قال: رأيت أحمد بن حنبل يصلي خلف ضريح يقرأ على القبور وقد ورد في الأثر أنه من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم يؤمئذ وكان له بعدد من فيها حسنات وورد أيضا أنه «من زار والديه فقرأ عنده أو عندهما يس غفر له» ثم قال: فصل: وأي قربة فعلها وجعل ثوابها للميت المسلم نفعه ذلك إن شاء الله تعالى .

أما الدعاء والاستغفار والصدقة وأداء الواجبات فلا أعلم فيه خلافاً إذا كانت الواجبات مما تدخله النيابة وقد قال تعالى ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾^[501] وقال تعالى ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾^[512] ودعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي سلمة حين مات وللميت الذي صلى عليه في حديث عوف بن مالك ولكل ميت صلى عليه وسأل رجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إن أمتي ماتت أفينفعها إن تصدقت عنها؟ قال «نعم»^[523] وروي ذلك عن سعد بن عبادة رضي الله عنه وجاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال: «نعم»^[534].

وقال للذي سأله: إن أمتي ماتت وعليها صوم شهر أفأصوم عنها؟ قال «نعم»^[545] وهذه أحاديث صحاح وفيها دلالة على انتفاع الميت بسائر القرب لأن الصوم والحج والدعاء والاستغفار عبادة بدنية وقد أوصل نفعها إلى الميت وكذلك ما سواها مع ما ذكرنا من الحديث في ثواب من قرأ يس وتخفيف الله تعالى عن أهل المقابر بقراءته وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمر بن العاص (لو كان أبوك مسلماً فأعتقتم أو تصدقتم عنه أو حججتم عنه بلغه ذلك)^[556] وهذا عام في حج التطوع وغيره ولأنه عمل بر وطاعة فوصل نفعه وثوابه كالصدقة والصيام والحج الواجب ثم قال: والدليل لنا ما ذكرناه وأنه إجماع المسلمين فإنهم في كل عصر ومصر يجتمعون ويقرؤون القرآن ويهدون ثوابه إلى موتاهم من غير نكير ولأن

[501] سورة الحشر الآية (10).

[511] سورة محمد الآية (19).

[521] تقدم تخريجه ص (298).

[531] أخرجه البخاري (1513) ومسلم (2238) وأبو داود (1809) والنسائي (2633) وأحمد (219/1) ومالك (359/1) والحميدي (2507) والدارمي (1777) وابن خزيمة (3031) والبيهقي (328/4) والطبراني في الكبير (18/ برقم 722) والبعوي (1854) وابن حبان (3989).

[541] أخرجه البخاري (1953) ومسلم (688) وأبو داود (3310) وأحمد (224/1) والبيهقي (255/4) والدارقطني (195/2) والبعوي (1774) والطيالسي (2630) والطبراني في الكبير (12329) وابن حبان (3570).

[551] تقدم تخريجه ص (299).

الحديث صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه»⁽⁵⁶¹⁾ والله أكرم من أن يوصل عقوبة المعصية إليه ويحجب عنه الثواب. أهـ.

وقال صاحب الروض المربع شرح زاد المستنقع ما نصه: ولا تكره القراءة على القبر...

وصح عن ابن عمر (أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عنده بفاتحة البقرة وخاتمتها) ثم قال: وأي قرينة من

دعاء واستغفار وصلاة وصوم وحج وقراءة وغير ذلك فعلها مسلم وجعل ثوابها لميت مسلم

أوحي نفعه، قال أحمد: (الميت يصل إليه كل شيء من الخير للنصوص الواردة فيه)، وذكره المجد

وغيره حتى ولو أهداها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم جاز ووصل إليه ثوابها⁽⁵⁷²⁾.

وقال الشيخ محمد المنبجي الحنبلي في كتابه (تسليية أهل المصائب): أما احتجاج بعض من خالف

من اصحاب الشافعي ومالك بهذه الآية: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾⁽⁵⁸³⁾ على أن الميت لا

ينتفع بثواب من سعي غيره لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا مات الإنسان انقطع

عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»⁽⁵⁹⁴⁾.

قالوا: لأن نفع العبادة لا يتعدى فاعلها. فيقال لهم: قد ثبت بالسنة المتواترة وإجماع الأمة أن الميت

يصلى عليه ويدعى له ويستغفر له وهذا من سعي غيره.

والرد بالنسبة للآية: روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ

آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾⁽⁶⁰⁵⁾ فأدخل الأبناء بصلاح الآباء.

ولا خلاف بين العلماء في مشروعيتها تلقين من حضره الموت لا إله إلا الله للحديث الصحيح «لقنوا

موتاكم لا إله إلا الله» وأما تلقينه بعد الدفن على القبر فاستحبه الشافعية والأكثر من الحنابلة

والمحققون من الحنفية والمالكية لحديث أبي أمامة.

^[156] أخرجه البخاري (1286) ومسلم (1446) والنسائي (1857) والبيهقي (73/4) والبخاري (1537) وعبد الرزاق (6675)

والشافعي في المسند (1 برقم 558) وابن حبان (3136).

^[257] الروض المربع (153/1).

^[358] سورة النجم الآية (39).

^[459] تقدم ترجمته (303).

^[560] سورة الطور الآية (21).

وقال المحقق ابن المهام: ولا مانع من حمل موتاكم في الحديث الصحيح على حقيقته فيشمل التلقين على القبر وهذا نص كيفية التلقين: عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم عليها التراب فليقم أحدكم على رأس القبر ثم ليقل: يا فلان بن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ثم يقول: يا فلان بن فلانة فإنه يستوي قاعدا ثم يقول: يا فلان بن فلانة فإنه يقول: أرشدنا رحمك الله ولكن لا تشعرون فليقل: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وانك رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول: انطلق بنا ما نعد عند من لقن حجته فيكون الله حجيجه دونهما قال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف أمه؟ قال: (ينسبه إلى حواء - يا فلان بن حواء) ⁽⁶¹¹⁾ وقالوا: ويكون تلقينه بعد انصراف المشيعين بصوت بين الجهر والإسرار والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين

زيارة القبور

مقدمة

قد أمرنا بزيارتها وزارها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة الكرام رضوان الله عليهم جميعاً قال تعالى ﴿ولا تصل على أحد منهم﴾ أي من المنافقين ﴿مات أبداً ولا تقم على قبره﴾ ⁽¹¹²⁾، معنى هذا

⁽⁶¹¹⁾ أخرجه الطبراني في الكبير (7979) والهيتمي في الجمع (4248) وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (135/2) إسناده صالح وقد قواه الضياء في أحكامه ونقل الكلام الحافظ ابن حجر عن الإمام النووي في المجموع ج 5 2430.
⁽²¹¹⁾ سورة التوبة الآية (84).

أن يقوم الرسول على غير قبور المنافقين كقبور الصالحين وقد فعل هذا مع المرأة التي كانت تقم المسجد.

وأما شد الرحال فالممنوع شدها إلى المساجد لا إلى القبور وفرق كبير بين المساجد والقبور فتأمل بعمق على أنه مما ثبت عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه قال: (لو أن مسجد قباء في طرف الدنيا لشددنا إليه الرحال) مما يؤكد أن حديث شد الرحال ليس على إطلاقه والصوفية لا ييأسون من الموتى ﴿كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾⁽²¹⁾ وهم يرون أن الموت مرحلة من مراحل السفر الإنساني الكادح إلى الله فالميت عندهم حي حياة برزخية وللميت علاقة أكيدة بالحي بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحاديث رد الميت السلام على الزائر ومعرفته بتشريع السلام على الميت عند قبره ومخاطبته صلى الله عليه وآله وسلم الموتى (القليب يوم بدر) كما وردت في عدة أحاديث ثابتة مما سيأتي معنا إن شاء الله تعالى .

ومن القرآن حسبك قوله تعالى ﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾⁽³²⁾ فهناك علاقة مؤصلة بين الحي والميت وإلا كان الدعاء والسلام على الميت موجها إلى الحجار!! وإلا فما معنى زيارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأهل البقيع والسلام عليهم وتكليمهم والدعاء لهم . والصوفية يعتقدون - بحق - أن الولي في الدنيا ولي بخصائصه الروحية ومواهبه الربانية وا لخصائص والمواهب من متعلقات الأرواح ولا ارتباط لها بالأجسام البتة فالولي حين يموت ترتفع خصائصه ومواهبه مع روحه إلى برزخه ولروحه علاقة كاملة بقبره . بدليل ما سيمر معنا من السلام عليه ورده السلام ... الخ .

ومن هنا جاء تكريم هؤلاء السادة الصالحين من أصحاب القبور:
وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضع حجرا على قبر بعض الصحابة وهو عثمان ابن مظعون رضي الله عنه وقال (أتعرف به قبر أخي)⁽⁴³⁾ .

(12) سورة الممتحنة الآية (13) .

(23) سورة آل عمران الآية (170) .

(43) أخرجه أبو داود (3206) وابن ماجه (1561) .

وكان هذا الحديث بعد حديث علي رضي الله عنه بتسوية القبور المشرفة فاستدلوا به على جواز اتخاذ ما يدل على القبر وعلى فضل صاحب القبر بلا إغراق ولا مبالغة رجاء استمرار زيارته والدعاء له والاقتران به والصدقة عليه وحفظ أثره..

ومن هنا جاء نقل الميت من مكان إلى مكان أفضل كما صحح في حديث جابر وغيره. وقد أصلح الناس القبور بحسن نية من جانب وخوف اندثار القبر من جانب آخر فأنخذ الأمر بتصوير الصورة التي تراها ولكن الأمر يدور مع علته وقد كانت علة تسوية القبور والمنع الأول من زيارتها هي مخافة الانتكاس والعودة إلى الشرك وقد استقر الإيذان والتوحيد في قلوب الناس فلا بأس بعمل ما يذكر بالصالحين للقدوة والاعتبار والقيام بحق صاحب القبر من الزيارة وغيرها. وهذه هي وجهة النظر عندهم بصفة عامة وقد مرت مئات السنين على هذه الأضرحة فما عُبِدَ منها ضريح من دون الله ولا صلى مسلم لولي ركعة والمثل العلمي مضروب بقبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقبور كبار الأئمة.

وما وراء القبور إلا الحياة البرزخية وهي ليست كحياتنا هذه بل هي حياة خاصة لا ثقة بهم وبالعالم الذي هم فيه ولأن حياتنا أقل وأضيق وأضعف. فالإنسان فيها بين عبادة وعادة وطاعة ومعصية وواجبات مختلفة لنفسه وأهله ولربه وأنه تارة يكون على طهارة وتارة يكون على ضد ذلك وتارة يكون في المسجد وتارة يكون في غفلة وإنه لا يدري بم يختم له؟؟! فقد يكون بينه وبين الجنة ذراع ثم ينقلب الأمر فيصير من أهل النار وبالعكس أما في البرزخ فإنه إن كان من أهل الإيذان فإنه قد جاوز قنطرة الامتحان التي لا يثبت عندها إلا أهل السعادة ثم إنه قد انقطع عنه التكليف وأصبح روحاً مشرقة طاهرة مفكرة سياحة سباحة جواله في ملكوت الله وملكه سبحانه وتعالى لا هم ولا حزن ولا بأس ولا قلق لأنه لا دينار ولا عقار ولا ذهب ولا فضة فلا حسد ولا بغي ولا حقد ولا غيره.

أدلة زيارة القبور من السنة الشريفة والآثار:

- 1 - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»⁽⁵¹⁾.
وفي رواية: فزوروها فإنها تذكر الآخرة⁽⁶²⁾.
- وفي رواية: «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة»⁽⁷³⁾.
وفي رواية: «وترق القلب وتدمع العين فلا تقولوا هجرا»⁽⁸⁴⁾.
وفي رواية: «فزوروا القبور فإنها تذكر بالموت»⁽⁹⁵⁾.
- 2 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي»⁽¹⁰⁶⁾.
وفي رواية أخرى «زار النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله»⁽¹¹⁷⁾.
ولا يلزم من البكاء عند القبر عذابها وكفرها بل يمكن تحققه مع النجاة والإسلام فبكاؤه صلى الله عليه وآله وسلم لمزيد شفقتة على والديه وقيامه بحقوقهما حق القيام.
- 3 - عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ما من أحد يمر بقبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام»⁽¹²⁸⁾.
- 4 - وعن سيدنا أبي طلحة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قام على القليب قليب بدر وفيه قتلى المشركين فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان بن فلان قال: «إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا» ز! فقال سيدنا عمر: يا رسول الله ما تكلم

⁽¹⁵⁾ أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (46/7) والنسائي (73/4) والحاكم في المستدرک (1386) .

⁽²⁶⁾ أخرجه الترمذي (159/4).

⁽³⁷⁾ أخرجه ابن ماجه (501/1) والحاكم (1387).

⁽⁴⁸⁾ أخرجه الحاكم من حديثه مع الزيادة (1393).

⁽⁵⁹⁾ أخرجه أبو داود (3235).

⁽¹⁰⁾ أخرجه مسلم في صحيحه (2023) والحاكم (1391) وابن حبان في صحيحه (3169).

⁽¹¹⁾ أخرجه مسلم (2256) والحاكم في المستدرک (1390).

⁽¹²⁾ أورده الحافظ السيوطي في الحاوي (170/2) وكذلك ابن تيمية في الفتاوى وقال قال ابن المبارك: ثبت ذلك عن النبي ﷺ وصححه

عبدالحق صاحب الأحكام الفتاوى (331/24) والحافظ عبدالحق إمام في العلل كما قال الذهبي في تذكرة الحفاظ.

من أجساد لا أرواح لها؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»^{[[131]]}.

5 - ومنها أحاديث كيفية السلام على الأموات وذلك عند زيارتهم ومنها ما روته سيدتنا عائشة وجاء فيه وكيف أقول يا رسول الله؟ قال:؟ قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين وإنا إن شاء الله تعالى بكم للاحقون^{[[142]]}.

6 - ومنها حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وآله وسلم قال «ما من احد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد السلام»^{[[153]]}.

وهذا الحديث يتناول السلام عليه عند زيارته صلى الله عليه وآله وسلم .

7 - ومنها حديث الصحابي الذي ضرب خبائه ليلا على قبر فسمع من القبر قراءة ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾^{[[164]]} إلى آخره فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: هي المانعة هي المنجية^{[[175]]}.

8 - ومنها ما رواه نافع أن ابن عمر كان يزور قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقول «السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه»^{[[186]]}.

9 - ومنها حديث سيدنا أنس رضي الله عنه قال (مرَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقال «اتقي الله واصبري» قالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه فقيل

^{[[131]]} أخرجه البخاري (3757) ومسلم (2875) والنسائي (2073).

^{[[142]]} أخرجه مسلم (2253) وأحمد (221/6) والنسائي (2038) وفي عمل اليوم والليلة (1092) والبيهقي (79/4) وابن السني في عمل اليوم والليلة (597) وابن حبان (3172).

^{[[153]]} أخرجه أبو داود (2041) وأحمد (311/14-312) ، الفتح الرباني.

^{[[164]]} سورة الملك الآية (1).

^{[[175]]} أخرجه الترمذي (2890) وحسنه السيوطي.

^{[[186]]} أخرجه عبدالرزاق في مصنفه بسند صحيح (6724).

لها: إنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأتته فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك فقال: «إنها الصبر عند الصدمة الأولى»⁽¹⁹¹⁾.

10 - ومنها قول سيدنا أبي بكر عند ما يزور قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم: بأبي أنت وأمي

يا نبي الله لا جمع الله عليك موتتين⁽²⁰²⁾.

11 - ومنها ما رواه البيهقي عن سيدنا أبي هريرة أنه صلى الله عليه وآله وسلم وقف على مصعب

بن عمير حين رجع من أحد وعلى أصحابه فقال: «أشهد أنكم أحياء عند الله فوزوهم

وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلمن عليهم احد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة».

12 - ومنها ما رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق والبيهقي عن سعيد بن المسيب قال: دخلنا مقابر

المدينة مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فنادى: (يا أهل القبور السلام عليكم ورحمة

الله.... الخ).

13 - وأخرج ابن أبي الدنيا في كتابه (من عاش بعد الموت) عن العطف بن خالد قال: حدثتني

خالتي قالت: ركبت يوماً إلى قبور الشهداء وكانت لا تزال تأتيهم قالت: فنزلت عند قبر

حمزة رضي الله عنه فصليت عنده وما في الوادي داع ولا مجيب فلما فرغت من صلاتي قلت:

السلام عليكم فسمعت رد السلام علي يخرج من تحت الأرض أعرفه كما أعرف أن الله خلقني

وكما أعرف الليل والنهار فاقشعرت كل شعرة مني.

14 - وأخرج ابن أبي الدنيا أيضاً عن ابن مينا قال: دخلت الجبانة فصليت ركعتين خفيفتين ثم

اضطجعت إلى قبر فوالله إني لنبهان إذ سمعت قائلاً في القبر يقول: قم فقد آذيتني إنكم

لتعملون ولكن لا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل فوالله لأن أكون صليت مثل ركعتيك

أحب إلي من الدنيا وما فيها.

15 - وأخرج الذهبي في تاريخه أن أحمد بن نصر الخزاعي أحد أئمة الحديث دعاه الواثق إلى القول

بخلق القرآن فأبى فضرب عنقه وصلب رأسه ببغداد ووكل بالرأس من يحفظه ويصرفه عن

⁽¹⁹¹⁾ أخرجه البخاري (1283) ومسلم (926).

⁽²⁰²⁾ أخرجه البخاري (1241) والنسائي (1840) وأحمد (117/1).

القبلة وبرمح فذكر الموكل به انه رآه بالليل يستدير إلى القبلة بوجهه فيقرأ سورة يس بلسان
طلق قال الذهبي: رويت هذه الحكاية من غير وجه ومن طرقها عن إبراهيم بن إسماعيل بن
خلف قال: كان أحمد بن نصر خالي قد قتل في المحنة وصلب وأخبرت أن الرأس يقرأ القرآن
فمضيت فبت قريبا منه فلما هدأت العيون سمعت الرأس يقرأ ﴿الم﴾، أحسب الناس أن
يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴿211﴾. فاقشعر جلدي.

أقوال العلماء في زيارة القبور:

• درجة مشروعيتها: أما درجة مشروعية زيارة القبور فهي الاستحباب والسنية لورود

الأمر بها:

1 - الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى:

وقد روى ابن قدامة في المغني أن الإمام أحمد سئل عن زيارة القبور وهل تركها أفضل أو زيارتها؟
فقال: زيارتها أفضل^[22].

2 - الإمام النووي رحمه الله تعالى:

استحباب زيارة القبور للرجال: قال الإمام النووي: قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها^[23] هذا من أحاديث التي تجمع الناسخ والمنسوخ وهو
صريح في نسخ نهي الرجال عن زيارتها وأجمعوا على أن زيارتها سنة لهم^[24].

وقال النووي أيضا في المجموع: اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على أنه يستحب للرجال
زيارة القبور وهو قول العلماء كافة ونقل العبدري فيه إجماع المسلمين ودليله مع الإجماع الأحاديث
الصحيحة المشهورة^[25].

[21] سورة العنكبوت الآية (1 - 2).

[22] المغني (565/2).

[23] أخرجه مسلم (46/7).

[24] صحيح مسلم بشرح النووي (46/7 - 47).

[25] المجموع للنووي (281/5).

حتى إن ابن حزم قال بوجوب زيارتها ولو مرة في العمر ولورد الأمر بها كما نقل ذلك عنه الحافظ ابن حجر في شرح صحيح البخاري (148/3).

3 -الإمام الرواس رضي الله عنه :

قال الإمام الرواس رضي الله عنه بويعت على زيارة القبور والدعاء لأموات المسلمين والدعاء عند مقابرهم فإن الدعاء عند مقابر المسلمين مستجاب لأنها محل الرحمات⁽²⁶¹⁾.

4 -وقال أبو عبدالله القوري رحمه الله تعالى :

إذا كانت الرحمة تنزل عند ذكرهم فما ظنك بمواطن اجتماعهم على ربهم ويوم قدومهم عليه بالخروج من هذه الديار وهو يوم وفاتهم فزيارتهم فيه تهنئة لهم وتعرض لما يتجدد من نفحات الرحمة عليهم⁽²⁷¹²⁾.

5 -الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله :

وقال الدكتور محمد سعيد البوطي عن والده: اتجه والدي قاصدا إلى جبلة لزيارة إبراهيم بن أدهم رحمه الله وبعض الصالحين من الأحياء فيها وذهب إلى الرقة متجشما بعض الصعوبات لزيارة أويس القرني فيها وكان ذلك في شهر شباط (1972) وكان أبي يقول: كما تنزل الرحمات عند ذكر الصالحين فإنها تنزل في اماكن وجودهم سواء كانوا في الأحياء أو الأموات . وزار القدس ومسجد الخليل وزار سيدي الشيخ عبدلقادر الجيلاني والجنيد البغدادي والإمام أبا حنيفة وبعض من يمكن أن يراهم من الصالحين الأحياء .

وكان يحرص على زيارة قبر الإمام النووي رحمه الله في قرية نوى جنوب دمشق كلما أتبع له ذلك وكان عمل أبي في زيارة هؤلاء الموتى يتلخص في السلام عليهم بأدب تام كما لو كانوا في الحياة وربما تلى بعد ذلك شيئا من القرآن ثم إنه يدعو شاء الله أن يدعو لنفسه وللمسلمين .

⁽¹²⁶¹⁾ بوارق الحقائق ص (310).

⁽²⁷¹²⁾ قواعد التصوف القاعدة (154).

وقال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله أيضا: في الناس اليوم من ينكر قراءة القرآن على الموتى ويهون من امر زيارتهم وربما كان فيهم من ينكرها على الرغم من أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بها⁽¹²⁸⁾.

جواز زيارة النساء للقبور

تجوز الزيارة للنساء: وهذا قول أكثر العلماء وأدلتهم على ما ذهبوا إليه ما يأتي:

الدليل الأول: النساء دخلن في عموم الإذن بزيارة القبور المستفاد من قوله صلى الله عليه وآله وسلم «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزورها»⁽²⁹⁾.

وهذا الخطاب يتناول بعمومه النساء والرجال لأن النساء قد نهين عن الزيارة فيتناولهن الإذن بالزيارة وهذا إذا أمنت الفتنة في خروجهن لزيارة القبور⁽³⁰⁾.

الدليل الثاني: عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (مر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقال: اتقي الله واصبري قالت اليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه فقيل لها: إنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى)⁽³¹⁾ ووجه الدلالة بهذا الحديث انه صلى الله عليه وآله وسلم لم ينكر على المرأة قعودها عند القبر وتقريره صلى الله عليه وآله وسلم حجة ودليل⁽³²⁾.

الدليل الثالث: ومن حمل الإذن بالزيارة للرجال وللنساء السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقد روي عن عبدالله بن مليكة أنه رآها زارت قبر أخيها عبدالرحمن فقال لها (أليس قد نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك؟ قالت نعم كان قد نهى عنها ثم أمر بزيارتها)⁽³³⁾.

⁽¹²⁸⁾ كتاب هذا والدي ص (88 - 91).

⁽²⁹⁾ تقدم تخريجه ص (452).

⁽³⁰⁾ صحيح البخاري بشرح العسقلاني (148/3).

⁽³¹⁾ أخرجه البخاري (1283) ومسلم (926).

⁽³²⁾ صحيح البخاري بشرح العسقلاني (148/3).

⁽³³⁾ صحيح البخاري بشرح العسقلاني (149/3) والأثر أخرجه الحاكم في المستدرک (1392) وقال الذهبي في التلخيص حديث صحيح.

الدليل الرابع: ومما يؤيد جواز زيارة النساء للقبور الحديث المروي عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها وجاء فيه قلت (أي قالت عائشة) كيف أقول يا رسول الله؟ قال قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منكم ومننا والمستأخرين وإنا إن شاء الله تعالى بكم للاحقون⁽³⁴¹⁾.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث: فيه استحباب هذا القول لزائر القبور وفيه دليل لمن جوز للنساء زيارة القبور⁽³⁵²⁾.

الدليل الخامس: إن تعليل الإذن بزيارة القبور بأنها تذكر الآخرة هو مما يشترك في الحاجة إليه الرجال والنساء فالمرأة المسلمة تحتاج كما يحتاج الرجل المسلم إلى ما يذكرها بالآخرة ويزهدها في الدنيا فليس الرجال بأحوج من النساء فيما يذكر بالآخرة ويزهد بالدنيا⁽³⁶³⁾.

الدليل السادس: وأما حديث: لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زوارات القبور فقد قال الترمذي بعد أن رواه في جامعه قال: (وقد رأى بعض أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم في زيارة القبور فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء)⁽³⁷⁴⁾.
قال ابن عبد البر: يمكن أن يكون هذا - أي لعن زائرات القبور - قبل الإباحة بزيارتها⁽³⁸⁵⁾؛
الأحاديث الدالة على تحريم زيارة النساء للقبور محمولة على زيارتهن المقترنة بمحرم كالنوح وغيره⁽³⁹⁶⁾.

الدليل السابع: أن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده⁽⁴⁰⁷⁾.

⁽³⁴¹⁾ أخرجه مسلم (2253) وأحمد (221/6) والنسائي (2038) وفي عمل اليوم والليلة (1092) والبيهقي (79/4) وابن السني في عمل اليوم والليلة (597) وابن حبان (3172).
⁽³⁵¹⁾ صحيح مسلم بشرح النووي (41/7-42).
⁽³⁶¹⁾ عون المعبود في شرح سنن أبي داود (59/9).
⁽³⁷¹⁾ جامع الترمذي (160/4).
⁽³⁸¹⁾ عمدة القاري بشرح صحيح البخاري للعيني (69/8).
⁽³⁹¹⁾ تحفة الأحمدي بشرح جامع الترمذي (161/4).
⁽⁴⁰¹⁾ أخرجه الحاكم في المستدرک (1396) ورواه عن آخرهم ثقات.

حكم الذكر خلف الجنائز

جرت عادة المشي خلف الجنائز أنهم يشتغلون باللغو وبأحوال الدنيا فينبغي أن لا ينكر على المؤذن الذي يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ولا ينبغي لفقهاء أن ينكر ذلك إلا بنص أو إجماع فإن للمسلمين الإذن العام من الشارع بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله كل وقت شاؤوا يا لله!! العجب ممن ينكر مثل هذا وهو يرى المنكرات علنا ولا ينكر عليها وينكر شيئا سنه المسلمون على جهة القربة إلى الله ورأوه حسنا. فكيف ينكر ذلك؟ وقد فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا الباب لعلماء أمته وأباح لهم أن يسنوا ما استحسوه ويلحقوه بالشرعية بقوله صلى الله عليه وآله وسلم «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء»⁽⁴¹¹⁾ ولا إله إلا الله محمد رسول الله من أكبر الحسنات ولو كان ذكر الله تعالى في الجنائز منها عنه بلغنا ولو في حديث كما بلغنا في قراءة القرآن في الركوع وشيء سكت عنه الشارع في أوائل الإسلام لا يمنع منه في آخر الزمن وبالجملة فلا يجوز لأحد أن يمنع الناس من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله إلا أن يجد في ذلك حديثا يمنع ذلك . أهـ باختصار من شرح الطريقة المحمدية لسيد عبد الغني النابلسي قدس الله تعالى سره ورحمه⁽⁴²²⁾.

ما يقول زائر القبور:

عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : (أهـ) ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم قالت: قلت كيف أقول لهم يا رسول الله؟! قال : «قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين المسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن

⁽⁴¹¹⁾ أخرجه مسلم (2348) والنسائي (2553) وأحمد (357/4) مختصرا والترمذي (2675) وابن ماجه (203).

⁽⁴²²⁾ إسعاف المسلمين والمسلمات بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات للعلامة محمد العربي المغربي المكي ، طبعة ثالثة بإشراف الأستاذ محمد سعيد البرهاني ص (60 - 61).

شاء الله بكم للاحقون»⁽⁴³¹⁾ وفي رواية : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية)⁽⁴⁴²⁾.

وعن الحسن البصري رضي الله عنه قال: من دخل المقابر فقال: اللهم رب الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحا منك وسلاما مني استغفر له كل مؤمن مات منذ خلق الله آدم فالسلام على الأموات مشروع عند زيارتهم وكذا الدعاء لهم بالعافية وباستحباب ذلك قال جمهور العلماء.

وقال النووي رحمه الله : ويستحب للزائر أن يسلم على المقابر ويدعو لمن زيوره ولجميع أهل المقبرة والأفضل أن يكون الدعاء والسلام بما ثبت في الحديث ويستحب أن يقرأ من القرآن ما تيسر ويدعو له عقبها نص عليه الشافعي واتفق عليه الأصحاب والزائر بالخيار إن شاء زار قائما وإن شاء قعد كما يزور الرجل أخاه حال الحياة وروي القيام عند القبر عن عدد من الصحابة كأبي امامة والحكم بن الحارث وابن عمر وانس رضي الله عنهم وعن جماعة من السلف.

سماع أهل القبور

قد تطرقنا لهذا الموضوع باستفاضة في باب التوسل بالأموات ونذكر هنا بعض الأدلة مما يليق بالمقام اختصارا:

عن أبي طلحة وعمر وابنه عبد الله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فألقوا في طوى من أطواء بدر فناداهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسماهم (يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبه بن ربيعة يا فلان بن فلان ! أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا !!) فقال عمر : يا رسول الله! ما

⁽⁴³¹⁾ أخرجه مسلم (2253) والنسائي (2036) وأحمد (221/6) وفي عمل اليوم والليلة (1092) والبيهقي (79/4) وابن السني في عمل اليوم والليلة (597) وأحمد (180/6) وابن حبان (3172).

⁽⁴⁴¹⁾ أخرجه مسلم (2254) والنسائي (2039) وفي عمل اليوم والليلة (1091) وابن ماجه (1547) وأحمد (353/5) وابن أبي شيبه (340/3) وابن السني في عمل اليوم والليلة (594) والبيهقي (79/4) والبعوي (1555) وابن حبان (3173).

تكلم من اجساد لا أرواح فيها فقال عليه الصلاة والسلام «والذي نفسي بيده ما انتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يجيبون»⁽¹⁾[45].

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه حتى انه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه»⁽²⁾[46].

وذكر الحديث في سؤال القبر وسماع الميت خفق النعال وورد في عدة أحاديث منها الأحاديث الواردة في سؤال القبور وهي كثيرة منتشرة وفيها التصريح بسؤال الملكين له وجوابه بما يطالب حاله من سعادة أو شقاء ومنها ما شرعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأئمة من السلام على أهل القبور ومخاطبتهم بلفظ: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين».

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه (الروح) وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة المعدوم والجماد والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به... (ثم ذكر رحمه الله تعالى جملة من الآثار عنهم).

وعن زيد بن أسلم قال: مر أبو هريرة وصاحب له على قبر فقال أبو هريرة سلم فقال الرجل: أسلم على القبر؟ فقال أبو هريرة (إن كان رآك في الدنيا يوما قط إنه ليعرفك الآن)⁽³⁾[47].

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إن الميت ليسمع خفق نعالهم إذا ولو مدبرين)⁽⁴⁾[48].

وقد تطرقنا أيضا لبعض الأدلة فيما يثبت سماعهم للزائر في بداية هذا الباب عند الكلام عن الأدلة على زيارة القبور من السنة الشريفة والآثار.

إيذاء أهل القبور:

⁽¹⁾[45] أخرجه مسلم (7151) والنسائي (2073).

⁽²⁾[46] أخرجه البخاري (3979) ومسلم (2151) والنسائي (2075) وأحمد (38/2).

⁽³⁾[47] أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (577/3).

⁽⁴⁾[48] أخرجه ابن حبان (31709) وصححه وتقدم نحوه.

لا تؤذ الميت لثلا يؤذيك: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا قد اتكأ على قبر فقال له: «لا تؤذ صاحب القبر»^[491].

وعن ابن عمر بن حزم بلفظ: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبر فقال: (انزل عن القبر لا تؤذ صاحب القبر ولا يؤذيك)^[502].
صفاء الأرواح بزيارة قبور الصالحين:

قال الإمام فخر الدين الرازي في المطالب في الفصل الثالث عشر في بيان كيفية الانتفاع بزيارة القبور والموتى: إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس كامل الجوهر ووقف هناك ساعة حصل تأثير في نفسه من تعلقه بزيارة تلك التربة ولا يخفى أن لنفس ذلك الميت تعلقا بتلك التربة أيضا فحينئذ يحصل لنفس الزائر الحي ولنفس ذلك الإنسان الميت ملاقة بسبب اجتماعهما على تلك التربة فصارت هاتان النفسان شبيهتين صقيلتين متقابلتين بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف والبراهين والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخشوع لله تعالى والرضا بقضاء الله تعالى ينعكس منه نور إلى روح ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة والآثار القوية الكاملة فينعكس منه نور إلى روح هذا الحي الزائر وبهذه الطريقة نصير تلك الزيارة سببا لحصول المنفعة الكبرى والبهجة العظيمة لروح هذا الزائر فهذا هو السبب والأصل في مشروعية الزيارة ولا يبعد أن يحصل منها أسرار أخرى أدق وأخفى مما ذكرنا وتمام الحقائق ليس إلا عند الله تعالى .

فتوى ابن تيمية في موضوع السلام على أهل القبور

وسئل الشيخ عن الأحياء إذا زاروا الأموات هل يعلمون بزيارتهم؟ وهل يعلمون بالميت إذا مات من قرابتهم أو غيره؟ فأجاب:

الحمد لله نعم جاءت الآثار بتلاقيهم وتساؤلهم وعرض أعمال الأحياء على الأموات كما روى ابن المبارك عن أبي أيوب الأنصاري قال: إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها الرحماء من عباد الله كما يتلقون

[491] ذكره ابن تيمية في المنتقى (104/2) وكذا الحافظ ابن حجر في الفتح (1789/3) وقال: إسناده صحيح .

[501] أخرجه الطحاوي في معاني الآثار (296/1) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (61/3).

البشير في الدنيا فيقبلون عليه ويسألونه فيقول بعضهم لبعضهم: انظروا أحاكم يستريح فإنه كان في كرب شديد قال فيقبلون عليه ويسألونه ما فعل فلان وما فعلت فلانة هل تزوجت. الحديث. وأما علم الميت بالحي إذا زاره وسلم عليه ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام»⁽⁵¹¹⁾.

قال ابن المبارك: ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصححه عبدالحق صاحب الأحكام⁽⁵²²⁾.

وجاء في موضع آخر أيضا سئل الشيخ ابن تيمية: هل الميت يسمع كلام زائره ويرى شخصه وهل تعاد روحه إلى جسده في ذلك الوقت أم تكون ترفرف على قبره في ذلك الوقت وغيره وهل تجمع روحه مع أرواح أهله وأقاربه الذين ماتوا قبله؟ فأجاب:

الحمد لله رب العالمين نعم! يسمع الميت في الجملة كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه⁽⁵³³⁾. ... ثم ساق أحاديث متعددة في هذا المعنى ثم قال فهذه النصوص وأمثالها تبين أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي ولا يجب أن يكون السمع له دائما بل قد يسمع في حال دون حال كما قد يعرض للحي فإنه قد يسمع أحيانا خطاب من يخاطبه وقد لا يسمع لعارض قد يعرض للحي فهذا السمع يسمع إدراك ليس يترتب عليه جزاء ولا هو السمع المنفي بقوله:

﴿إنك لا تسمع الموتى﴾⁽⁵⁴⁴⁾ فإن المراد بذلك سماع القبول والامتثال فإن الله جعل الكافر كالميت الذي لا يستجيب لمن دعاه وكالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفقه المعنى فالميت وإن سمع الكلام وفقه المعنى فإنه لا يمكنه إجابة الداعي ولا امتثال ما أمر به ونهى عنه فلا يتتفع بالأمر والنهي

⁽⁵¹¹⁾ تقدم تخريجه .

⁽⁵²²⁾ مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية (321/24).

⁽⁵³³⁾ تقدم تخريجه ص (324).

⁽⁵⁴⁴⁾ سورة النمل الآية (80).

كذلك الكافر لا يتنفع بالأمر والنهي وإن سمع الخطاب وفهم المعنى كما قال تعالى ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم﴾^[551] وأما رؤية الميت فقد روي في ذلك آثار عن عائشة رضي الله عنها وغيرها.

أما قول القائل: هل تعاد روحه إلى بدنه ذلك الوقت أم تكون ترفرف على قبره في ذلك الوقت وغيره؟ فإن روحه تعاد إلى البدن في ذلك الوقت كما جاء في الحديث وتعاد أيضا في غير ذلك ومع ذلك فتتصل بالبدن متى شاء الله وذلك في اللحظة بمنزلة نزول الملك وظهور الشعاع في الأرض وانتباه النائم وهذا جاء في عدة آثار أن الأرواح تكون في افنية القبور قال مجاهد: الأرواح تكون في افنية القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت لا تفارقه فهذا يكون أحيانا وقال مالك بن أنس: بلغني أن الأرواح مرسله تذهب حيث شاءت والله أعلم.

وقال الشيخ ابن تيمية في موضع آخر: أما ما أخبر الله من حياة الشهيد ورزقه ما جاء في الحديث الصحيح من دخول أرواحهم الجنة فذهبت طوائف إلى أن ذلك مختص بهم دون الصديقين وغيرهم والصحيح الذي عليه الأئمة وجماهير أهل السنة أن الحياة والرزق ودخول الأرواح الجنة ليس مختصا بالشهيد كما دلت على ذلك النصوص الثابتة ويختص الشهيد بالذكر لكون الظان يظن أنه يموت فينكل عن الجهاد فأخبر بذلك ليزول المانع من الإقدام على الجهاد والشهادة كما نبى عن قتل الأولاد خشية الإملاق لأنه هو الواقع وإن كان قتلهم لا يجوز مع عدم خشية الإملاق^[562].

قصد القبور للدعاء

ومن الأدلة على قصد القبور للدعاء قصة سيدتنا عائشة عندما شكوا إليها القحط فقالت: انظروا قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال ففعلوا فمطروا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي

[551] سورة الأنفال الآية (23).

[561] مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية (332/362/24).

عام الفتق.⁽⁵⁷¹⁾ وفي رواية أنهم قحطوا فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال يا محمد استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا.⁽⁵⁸²⁾ ...

وورد أن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده.⁽⁵⁹³⁾

وذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة الحافظ عبدالغافر بن إسماعيل الفارسي يقول ابن عساكر: ودفن بنيسابور وقبره يزار وتجاب الدعوة عنده.

وروى الخطيب في تاريخه عن علي بن ميمون رضي الله عنه انه قال: سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: (إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم يعني زائراً فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما يبعد عنه حتى تقضى).

وروى أيضاً عن احمد بن جعفر القطيعي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال وهو شيخ الحنابلة في وقته يقول: (ما همني امر فقصدت قبر موسى بن جعفر يعني الكاظم وتوسلت به إلا سهل لي ما أحب).

وقال إبراهيم الحربي: قبر معروف ترياق مجرب ذكره الحافظ البغدادي في تاريخ بغداد وذكر الحافظ المحدث شيخ القراء شمس الدين بن الجزري في كتابه الحصن الحصين ان من مواضع إجابة الدعاء قبور الصالحين.⁽⁶⁰⁴⁾

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: قبر موسى الكاظم الترياق المجرب.⁽⁶¹⁵⁾

(1^[57]) أخرجه الدارمي في سننه برقم (92).

(2^[58]) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (31/12 - 32) والبخاري في تاريخه (304/7) والحافظ أبو يعلى الخليلي في الإرشاد ص (63) والبيهقي في دلائل النبوة (47/7) وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (495/2) إسناده صحيح وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (105/7) وفي التفسير (91/1) إسناده صحيح.

(3^[59]) أخرجه الحاكم في المستدرک (1396) ورواه عن آخرهم ثقات.

(4^[60]) المقالات السننية ص (1339).

(5^[61]) قواعد التصوف القاعدة (154).

وقال الحافظ عبدالغني المقدسي: (خرج في عضدي شيء يشبه الدميل وكان يبرأ ثم يعود ودام بذلك زمانا طويلا فسافرت إلى اصبهان وعدت إلى بغداد وهو بهذه الصفة فمضيت إلى قبر الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه ومسحت به القبر فبرأ ولم يعد)⁽⁶²¹⁾.

عذاب القبر

عن سيدنا أبي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن هذه الأمة تتبلى في قبورها فلولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه) ثم أقبل علينا بوجهه فقال: (تعوذوا بالله من عذاب النار) قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار فقال: (تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن) قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال (تعوذوا بالله من فتنة الدجال) قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال.⁽⁶³²⁾

زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:-

قال العلامة زين الدين بن حسين المراغي: ينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرابة للأحاديث الواردة ولقوله تعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا﴾⁽⁶⁴³⁾.

الدليل من السنة الشريفة

واعلم ان زيارة قبره الشريف صلى الله عليه وآله وسلم من اعظم القربات وارجى الطاعات والسبيل إلى أعلى الدرجات ومن اعتقد غير هذا فقد خالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام. وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى: زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغوب فيها فمن السنة المؤكدة قصد المدينة المنورة مهاجر الحبيب

⁽⁶²¹⁾ ذكرها الحافظ ضياء الدين المقدسي المتوفى سنة (643) في كتابه (الحكايات المنشورة) بخطه برقم (3834) الورقة (112) الوجه (A) السطر (10).

⁽⁶³¹⁾ أخرجه مسلم في صحيحه (7142).

⁽⁶⁴¹⁾ سورة النساء الآية (64) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية (596).

الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لمشاهدة الروضة المطهرة من رياض الجنة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي»⁽⁶⁵¹⁾. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «من زار قبري وجبت له شفاعتي»⁽⁶⁶²⁾. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة»⁽⁶⁷³⁾.

أ: «من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني».

وفي حديث ابن عدي والخطيب: «من وجد سعة ولم يقد الي فقد جفاني».

وإن هذه الزيارة للسيد الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بعد مماته كزيارته في حياته فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم «من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي»⁽⁶⁸⁴⁾.⁽⁶⁹⁵⁾

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ليسكن عيسى بن مريم حاجا أو معتمرا، أو بنتهما وليأتين قبري حتى يسلم علي ولأردن عليه»⁽⁷⁰⁶⁾.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «من جاءني زائرا لا تعلمه حاجة إلا زيارتي كان حقا علي ان اكون له شفيعا يوم القيامة»⁽⁷¹⁷⁾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي ومن مات في أحد الحرمين بعث من الأمنين يوم القيامة»⁽⁷²⁸⁾.

وروي أن سيدنا عمر رضي الله عنه خرج إلى المسجد فوجد معادا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكي فقال: ما يبكيك؟ قال: حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

⁽⁶⁵¹⁾ أخرجه البخاري (1196) ومسلم (3357).

⁽⁶⁶²⁾ أخرجه الدارقطني (278/2) والبخاري (1198) والطبراني في الكبير (3149) والهيثمي في مجمع الزوائد (5841).

⁽⁶⁷³⁾ ذكره السيوطي في الجامع الصغير (8716) ورمز لحسنه.

⁽⁶⁸⁴⁾ أخرجه الدارقطني (278/2) والطبراني في الكبير (13497) والأوسط (3400) وذكره الهيثمي في المجمع (5843).

⁽⁶⁹⁵⁾ زيارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهلوسلما وأثر محبته في رقي للمؤمنة ص ()

⁽⁷⁰⁶⁾ أخرجه الحاكم (4162) وصححه ووافقه الذهبي.

⁽⁷¹⁷⁾ أخرجه الطبراني في الكبير (13149) والأوسط (4543) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (5842).

⁽⁷²⁸⁾ أخرجه الدارقطني (278/2).

قال: (اليسير من الرياء شرك وإن من عادى ولي الله فقد بارز الله تعالى بالمحاربة وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة)⁽⁷³¹⁾.

وأخرج الديلمي في مسند الفردوس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجد كُتبت له حجتان مبرورتان).

آداب زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكيفيتها

كلام الإمام الشيخ سيدي عبدالقادر الجيلاني الحنبلي المتوفى سنة (561هـ): قال رضي الله عنه الله عنه في كتابه (الغنية) بعد الكلام على الحج والعمرة: فإذا من الله تعالى بالعافية وقدم المدينة فالمستحب له ان يأتي مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فليقل عند دخول المسجد: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وافتح لي أبواب رحمتك وكف عني أبواب عذابك الحمد لله رب العالمين ثم يأتي القبر وليكن بحدائه بينه وبين القبلة ويجعل جدار القبلة خلف ظهره والقبر أمامه تلقاء وجهه والمنبر عن يساره وليقم مما يلي المنبر وليقل: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته الله صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم آت سيدنا محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة والمقام المحمود الذي وعدته اللهم صل على روح محمد في الأرواح وصل على جسده في الأجساد كما بلغ رسالتك وتلا آياتك وصدع بامرك وجاهد في سبيلك وأمر بطاعتك ونهى عن معصيتك وعادى عدوك ووالى وليك وعبدك حتى أتاه اليقين اللهم أنت قلت في كتابك لنبيك ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيم﴾⁽⁷⁴²⁾ وإني أتيت نبيك تائباً من ذنوبي مستغفراً فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حال حياته فأقر عنده بذنوبه فدعا له نبيه فغفرت له ، اللهم إني أتوجه اليك بنبيك عليه سلامك نبي الرحمة يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربي ليغفر لي ذنوبي اللهم إني أسألك بحقه أن تغفر لي وترحمني اللهم اجعل محمداً أول الشافعين وأنجح السائلين وأكرم

⁽⁷³¹⁾ أخرجه ابن ماجه (3989) والحاكم (7933) .

⁽⁷⁴²⁾ سورة النساء الآية (64) .

الأولين والآخرين اللهم كما آمنا به ولم نره وصدقناه ولم نلقه فأدخلنا مدخله واحشرنا في زمرة
وأوردنا حوضه واسقنا بكاسه مشربا روياء سائغا هنيا لا نظماً بعده أبدا غير خزايا ولا ناكثين ولا
مارقين ولا جاحدين ولا مرتابين ولا مغضوبا عليهم ولا ضالين واجعلنا من اهل شفاعته ثم
يتقدم عن يمينه ثم ليقل: السلام عليكما يا صاحبا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورحمة الله
وبركاته السلام عليك يا أبا بكر الصديق السلام عليك يا عمر الفاروق اللهم اجزهما عن نبيهما
وعن الإسلام خيرا وغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا
ربنا إنك رؤوف رحيم ثم يصلي ركعتين ويجلس ويستحب ان يصلي بين القبر والمنبر في الروضة
وإن أحب أن يتمسح بالمنبر تبركا به والصلاة بمسجد قباء وأن يأتي قبور الشهداء والزيارة لهم فعل
ذلك وأكثر الدعاء هنالك ثم إذا أراد الخروج من المدينة اتى مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وتقدم إلى القبر وسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفعل كما فعل أولا وودعه وسلم
على صاحبيه كذلك ثم قال: اللهم لا تجعله آخر العهد مني بزيارة قبر نبيك وإذا توفيتني فتوفني
على محبته وسنته آمين يا أرحم الراحمين ، انتهت الغنية.

وهو وإن لم يصح فيها بالسفر بقصد الزيارة فهي مفيدة لذلك بذكر الاستغاثة به وسؤال الله تعالى
بحقه والاعتناء بزيارته أولا ثم العود إلى زيارته مرة أخرى ووداعه والدعاء عنده بحاجاته وقوله
اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارة قبر نبيك كل ذلك يفيد أنه رضي الله عنه يرى أن السفر لزيارته
صلى الله عليه وآله وسلم من احسن الطاعات وأقرب القربات كما هو الواقع وكون هذا هو بلا
شك مذهب هذا الغوث العظيم وعقيدته السننية السننية من الأمور البديهية لأنه من أكبر أئمة أهل
السنة من الفقهاء والمحدثين والصوفية وقد صرح ايضا بطلب الدعاء عند زيارة قبور
الشهداء^[75].

قال الإمام النووي الشافعي المتوفى سنة (676) هـ في إيضاح المناسك: قال رحمه الله تعالى:

^[75] شواهد الحق للنبهاني (93) وما بعدها.

الباب السادس في زيارة قبر سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشرف وكرم وعظم وما يتعلق بذلك:

اعلم أن لمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسماء خمسة : المدينة وطابة وطيبة والدار ويثرب وذكر سبب تسميتها بهذه الأسماء ثم قال: في الباب مسائل:

الأولى: إذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزيارة تربته صلى الله عليه وآله وسلم فإنه من أهم القربات وأنجح المساعي وقد روى البزار والدارقطني بإسنادهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «من زار قبري وجبت له شفاعتي»⁽¹⁷⁶¹⁾.

الثانية: يستحب للزائر أن ينوي مع زيارته صلى الله عليه وآله وسلم التقرب إلى الله تعالى بالسفر إلى مسجده صلى الله عليه وآله وسلم والصلاة فيه.

الثالثة: يستحب أن يكثّر من الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وآله وسلم في طريقه فإذا وقع بصره على أشجار المدينة وحرمتها وما يعرف بها زاد من الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وآله وسلم ويسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته وأن يتقبلها منها. الرابعة يستحب أن يغتسل قبل دخوله ويلبس أنظف ثيابه.

الخامسة: يستحضر في قلبه حينئذ شرف المدينة وأنها أفضل الدنيا بعد مكة عند بعض العلماء وعند بعضهم أفضلها على الإطلاق وان الذي شرفت به صلى الله عليه وآله وسلم خير الخلائق أجمعين وليكن من أول قدمه إلى أن يرجع مستشعرا لتعظيمه ممتلئ القلب من هيئته كأنه يراه صلى الله عليه وآله وسلم .

السادسة : إذا وصل إلى باب مسجده صلى الله عليه وآله وسلم فليقل ما قدمناه في دخول المسجد الحرام وهو أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم بسم الله والحمد لله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك

(1761) تقدم ترجمته ص (329).

وإذا خرج قال هذا إلا أنه يقول: وافتح لي أبواب فضلك ويقدم رجله اليمنى في الدخول واليسرى في الخروج وكذا يفعل في جميع المساجد ويدخل فيقصد الروضة الكريمة وهي ما بين المنبر والقبر فيصلي تحية المسجد بجانب المنبر وفي (إحياء علوم الدين) أنه يجعل عمود المنبر على حذاء منكبه الأيمن واستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد وسع المسجد بعده صلى الله عليه وآله وسلم وفي كتاب المدينة أن ما بين المنبر ومقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يصلي فيه حتى توفي أربع عشرة ذراعا وشبرا وأن ما بين المنبر والقبر ثلاثا وخمسون ذراعا وشبرا.

السابعة: إذا صلى التحية في الروضة أو غيرها من المسجد شكر الله تعالى هذه النعمة ويسأله إتمام ما قصده وقبول زيارته ثم يأتي القبر الكريم فيستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر ويبعد من رأس القبر نحو "أربعة أذرع وفي (إحياء علوم الدين) يستقبل جدار القبر على نحو أربعة أذرع من السارية التي عند رأس القبر في زاوية جداره ويجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه ويقف ناظرا إلى أسفل ما يستقبله من جدار القبر غاض الطرف في مقام الهيبة والإجلال فارغ القلب من علائق الدنيا مستحضرا في قلبه جلال موقفه ومنزلة من هو بحضرة صلى الله عليه وآله وسلم ولا يرفع صوته بل يقتصد فيقول: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا خير خلق الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا نذير السلام عليك يا بشير السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا نبي الرحمة السلام عليك يا نبي الأمة السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين السلام عليك يا خير الخلائق أجمعين السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى آلك وأهل بيتك وأزواجك وذريتك واصحابك أجمعين السلام عليك وعلى سائر الأنبياء وجميع عباد الله الصالحين جزاك الله يا رسول الله عنا أفضل ما جرى نبيا ورسولا عن أمته وصلى الله عليك كلما ذكرك ذاكر وغفل عن ذكرك غافل أفضل وأكمل وأطيب ما صلى على أحد من الخلق أجمعين أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله وخيرته من

خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة، ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده اللهم وآته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته وآته نهاية ما ينبغي أن يسأله السائلون اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

ومن عجز عن حفظ هذا وضاق وقته عنه اقتصر على بعضه وأقله : السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليك وسلم . وجاء عن ابن عمر من السلف رضي الله عنهم الاقتصار جدا فكان ابن عمر يقول (السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه) وعن مالك رحمه الله تعالى أنه كان يقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ثم إن كان قد أوصاه أحد بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليقل: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان أو فلان بن فلان يسلم عليك يا رسول الله أو نحو هذا من العبارات ثم يتأخر إلى صوب يمينه قدر ذراع فيسلم على أبي بكر رضي الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول: السلام عليك يا أبا بكر رضي الله عنه ثانيه في الغار جزاك الله عن أمة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم خيرا ثم يتأخر إلى صوب يمينه قدر ذراع للسلام على عمر رضي الله عنه فيقول: السلام عليك يا عمر أعز الله بك الإسلام جزاك الله عن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم خيرا ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتوسل به في حق نفسه ويتشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى ومن حسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له قال كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم

الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا ﴿٧٧١﴾ وقد جئتكم مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه	فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته	على الصراط إذا ما زلت القدم
وصاحبك فلا أنساها أبدا	مني السلام عليكم ما جرى القلم

قال: ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيناى فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقال: يا عتبي الحق الأعرابي وبشره بأن الله تعالى قد غفر له^(٧٧٢).

ثم يتقدم إلى رأس القبر فيقف بين القبر والأسطوانة التي هناك ويستقبل القبلة ويحمد الله تعالى ويمجده ويدعو لنفسه بما أهمه وما أحبه ولوالديه ولمن شاء من أقاربه وأشياخه وإخوانه وسائر المسلمين ثم يأتي الروضة فيكثر فيها من الدعاء والصلاة فقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي»^(٧٩٣) ويقف عند المنبر ويدعو.

الثامنة: لا يجوز أن يطاف بقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

التاسعة: ينبغي له مدة إقامته بالمدينة أن ينوي الاعتكاف فيه كما قدمناه في المسجد الحرام. العاشرة: يستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع خصوصا يوم الجمعة ويكون ذلك بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا انتهى إليه قال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين ونحن إن شاء الله بكم للاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد اللهم اغفر لنا ولهم ويزور القبور الظاهرة فيه كقبر إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعثمان والعباس والحسن بن علي وعلي بن

^(٧٧١) سورة النساء الآية (64).

^(٧٧٢) ذكرها ابن كثير في تفسيره (11 / 2650) والإمام النووي في الإيضاح الباب السادس ص (498) وابن قدامة في المغني (31 / 556)

وغيرهم.

^(٧٩٣) تقدم تخريجه ص (329).

الحسين ومحمد بن جعفر وجعفر بن محمد وغيرهم ويختم بقبر صافية رضي الله عنها عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد ثبت في الصحيحين فضل قبور البقيع وزيارتها في أحاديث كثيرة. الحادية عشر: يستحب ان يزور قبور الشهداء بأحد وأفضله يوم الخميس وابتدأه بحمزة عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويكر بعد صلاة الصبح بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يعود ويدرك جماعة الظهر فيه.

الثانية عشر: يستحب اسحبابا متأكدا أن يأتي مسجد قباء وهو في يوم السبت أولى ناويا التقرب بزيارته والصلاة فيه للحديث الصحيح في كتاب الترمذي وغيره عن أسيد بن ظهير رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «صلاة في مسجد قباء كعمرة»⁽⁸⁰¹⁾ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي مسجد قباء راكبا وماشيا فيصلي فيه ركعتين)⁽⁸¹²⁾، وفي رواية صحيحة (كان يأتيه كل سبت) ويستحب أن يأتي بئر أريس التي روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تفل فيها وهي عند مسجد قباء فيشرب من مائها. الثالثة عشر: يستحب أن يأتي سائر المشاهد بالمدينة وهي نحو ثلاثين موضعا يعرفها أهل المدينة فليقصد ما قدر عليه منها وكذا يأتي الآبار التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتوضأ منها ويغتسل فيشرب ويتوضأ وهي سبع آبار.

الثالثة عشرة: ينبغي له أن يلاحظ بقلبه في مدة مقامه بالمدينة جلالتها وأنها البلدة التي اختارها الله تعالى لهجرة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم واستيطانه ومدفنه وليستحضر تروده صلى الله عليه وآله وسلم فيها ومشيه في بقاعها.

الرابعة عشر: يستحب المجاورة بالمدينة بالشرط المتقدم بالمجاورة بمكة وهو قوله المختار: أ ã المجاورة بها مستحبة إلا أن يغلب على ظنه الوقوع في الأمور المحذورة.

(1801) أخرجه ابن ماجه (1411).

(2181) أخرجه البخاري (1134 - 1135 - 1136) ومسلم (1399).

عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال؟ من صبر على لأواء المدينة وشدتها كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة»⁽⁸²¹⁾.

الخامسة عشر: يستحب أن يصوم بالمدينة ما أمكنه وأن يتصدق بما أمكنه على جيران رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن ذلك من جملة بره صلى الله عليه وآله وسلم .

السادسة عشر: ليس له أن يستصحب شيئا من الأكر المعمولة من ترام حرم المدينة لا الأباريق ولا الكيزان ولا غير ذلك من ترابه واحجاره كما سبق في حرم مكة .

السابعة عشر: يحرم صيد حرم المدينة وقطع أشجاره على الحلال والمحرم كما سبق في حرم مكة وحد حرم المدينة ما بين عير إلى أحد وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : (لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها)⁽⁸³²⁾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ما بين لابتيها حرام»⁽⁸⁴³⁾ وكذا رواه جماعة من الصحابة في الصحيح واللابتان الحرتان والحررة في الأرض ذات الحجارة السود، والمدينة واقعة بين حرتين .

الثامنة عشر: إذا أراد السفر من المدينة والرجوع إلى وطنه أو غيره استحب أن يودع المسجد بركعتين ويدعو بما أحب ويأتي القبر ويعيد نحو السلام والدعاء المذكور في ابتداء الزيارة ويقول: اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك ويسر لي إلى الحرمين سبيلا سهلة وارزقني العفو والعافية في الدنيا والآخرة وردنا سالمين غانمين وينصرف تلقاء وجهه .

التاسعة عشر: في أشياء مهمة تتعلق بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومما ذكره: منها أن خارجة بن زيد قال: بنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعين ذراعا وذكر الزيادات ثم قال: فإذا عرفت حال المسجد فينبغي أن تعتني بالمحافظة على الصلاة فيما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن الحديث الصحيح (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف فيما سواه إلا

⁽⁸²¹⁾ أخرجه مسلم (1377) والترمذي (3918).

⁽⁸³¹⁾ أخرجه مسلم (1372) وابن حبان (3751) والترمذي (3921).

⁽⁸⁴¹⁾ أخرجه مسلم (1361) والترمذي (3921) وابن حبان (3751).

المسجد الحرام)⁽⁸⁵¹⁾ إنما يتناول ما كان في زمنه صلى الله عليه وآله وسلم لكن إذا صلى جماعة فالتقدم إلى الصف الأول ثم ما يليه أفضل فليتنظن .

انتهى كلام الإمام النووي باختصار قليل لفوائد تاريخية ولغوية ونحوها مما يلي لم أر ذكره لازماً وذكر أن زيارة الخليل عليه السلام قرابة مستقلة لا تعلق لها بالحج ولا بزيارة النبي ⁽⁸⁶²⁾ وبحذف بعض المسائل أيضاً .

الإمام كمال الدين بن الهمام الحنفي المتوفى سنة (861هـ):

قال رحمه الله تعالى في فتح القدير في آخر الكلام على الحج: المقصود الثالث في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال مشايخنا رحمهم الله تعالى: من أفضل المندوبات وفي مناسك الفارسي وشرح المختار إنها قريبة من الوجوب لمن له سعة .

وقال عليه الصلاة والسلام «من زار قبري وجبت له شفاعتي» ⁽⁸⁷³⁾ وعنه أيضاً عليه الصلاة والسلام «من جاءني زائراً لا تحمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة» ⁽⁸⁸⁴⁾ وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «من حج وزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي» ⁽⁸⁹⁵⁾ هذا والحج إن كان فرضاً فالأحسن أن يبدأ به ثم يشني بالزيارة وإن كان تطوعاً كان بالخيار فإذا نوى زيارة القبر فلينبو معه زيارة المسجد أي مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال ، وفي الحديث «لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» ⁽⁹⁰⁶⁾ وإذا توجه إلى الزيارة يكثر من الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مدة الطريق والأولى فيما يقع عند العبد الضعيف تجريد

⁽¹⁸⁵⁾ أخرجه البخاري (1133) ومسلم (1394) والنسائي (693).

⁽²⁸⁶⁾ شواهد الحق ص (93 وما بعدها).

⁽³⁸⁷⁾ تقدم تخريجه ص (329).

⁽⁴⁸⁸⁾ أخرجه الطبراني في الكبير (13149) والأوسط (4543) والهيثمى في مجمع الزوائد (5842).

⁽⁵⁸⁹⁾ تقدم تخريجه ص (330).

⁽⁶⁹⁰⁾ أخرجه البخاري (1765) ومسلم (1338) والنسائي (6999).

النية لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم إذا حصلت له أن قدم ينوي زيارة المسجد أو يستمنح فضل الله سبحانه في مرة أخرى ينويها فيها لأن في ذلك زيادة تعظيمه صلى الله عليه وآله وسلم وإجلاله ويوافق ظاهر ما ذكرناه من قوله عليه الصلاة والسلام «لا تعمله حاجة إلا زيارتي» وإذا وصل إلى المدينة اغتسل بظاها قبل أن يدخلها أو توضأ والغسل أفضل ، ولبس نظيف ثيابه والحديد أفضل وما يفعله بعض الناس من النزول بالقرب من المدينة والمشى على أقدامه إلى أن يدخلها حسن ولك ما كان أدخل في الأدب والإجلال كان حسنا وإذا دخلها قال : بسم الله ﴿رب أدخلني مدخل صدق﴾⁽⁹¹¹⁾، اللهم افتح لي أبواب رحمتك وارزقني من زيارة رسولك صلى الله عليه وآله وسلم ما رزقت أوليائك وأهل طاعتك واغفر لي وارحمني يا خير مستئول وليكن متواضعا متخاشعا معظما لحرمتها لا يفتر عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستحضرا أنها بلدته التي اختارها الله تعالى درا لهجرة نبيه ومهبطا للوحي والقرآن ومنبعا للإيمان والأحكام الشرعية قالت عائشة رضي الله عنها (كل البلاد فتحت بالسيف إلا المدينة فإنها افتتحت بالقرآن العظيم).

وليحضر قلبه أنه ربما صادف موضع قدمه صلى الله عليه وآله وسلم لهذا كان مالك رحمه الله ورضي عنه لا يركب في طرق المدينة وكان يقول استحي من الله أن أظأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحافر دابة وإذا دخل المسجد فعل ما هو السنة في دخول المساجد من تقديم اليمين ويقول: اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ويدخل من باب جبريل أو غيره ويقصد الروضة الشريفة فيصلي تحية المسجد مستقبلا السارية التي تحتها الصندوق بحيث يكون عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن إن أمكنه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما قيل قبل أن يغير المسجد وفي بعض المناسك يصلي تحية المسجد في مقامه عليه الصلاة والسلام . وقال الكرمانى وصاحب الاختيار ويسجد لله تعالى شكرا على هذه النعمة ويسأله تمامها والقبول وقيل ذرع ما بين المنبر وموقفه عليه الصلاة والسلام الذي كان يصلي فيه أربعة عشر ذراعا وشبر

(⁹¹¹) سورة الإسراء الآية (80).

وما بين المنبر والقبر ثلاثة وخمسون ذراعا وشبر ثم يأتي القبر الشريف فيستقبل جداره ويستدبر القبلة على نحو أربعة أذرع من السارية التي عند رأس القبر في زاوية جداره عن أبي الليث أنه يقف مستقبلا مردود بما روى أبو حنيفة رضي الله عنه في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (من السنة أن يأتي قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل القبلة وتجعل ظهره إلى القبلة وتستقبل القبر بوجهك ثم تقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) إلا أن تحمل على نوع ما من استقبال القبلة وذلك أنه عليه الصلاة والسلام في القبر الشريف المكرم على شقه الأيمن مستقبل القبلة وقالوا في زيارة القبور مطلقا: الأولى أن يأتي الزائر من قبل رجل المتوفى لا من قبل رأسه فإنه أتعب لبصر الميت لأنه يكون مقابلا بصره ناظرا إلى جهة قدميه إذا كان على جنبه فعلى هذا تكون القبلة عن يسار الوقف من جهة قدميه عليه الصلاة والسلام بخلاف ما إذا كان من جهة وجهه الكريم فإذا أكثر الاستقبال إليه عليه الصلاة والسلام لا كل الاستقبال فيكون استدباره القبلة أكثر من أخذه إلى جهتها وينبغي أن يكون وقوف الزائر على ما ذكرناه بخلاف تمام استدباره القبلة واستقباله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه يكون البصر ناظرا إلى جنب الواقف وعلى ما ذكرنا يكون مستقبلا وجهه عليه الصلاة والسلام وبصره فيكون أولى ثم يقول في موقفه: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا خير خلق الله السلام عليك يا خيرة الله من جميع خلقه السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا سيد ولد آدم السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته يا رسول الله إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله وأشهد أنك يا رسول الله قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وكشفت الغمة فجزاك الله عنا خيرا جزاك الله عنا أفضل ما جازى نبيا عن أمته اللهم اعط سيدنا عبدك ورسولك محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته وأنزله المنزل القرب عندك إنك سبحانه ذو الفضل العظيم ويسأل الله تعالى حاجته متوسلا إلى الله بحضرة نبيه عليه الصلاة والسلام وأعظم المسائل وأهمها سؤال حسن الخاتمة والرضوان والمغفرة ثم يسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الشفاعة فيقول: يا رسول الله أسألك الشفاعة يا رسول الله أسألك الشفاعة وأتوسل بك إلى الله في أن

أموت مسلماً على ملكك وستك ويذكر كل ما كان من قبيل الاستعطاف والرفق ويحتمب الألفاظ الدالة على الإدلال والقرب من المخاطب فإنه سوء أدب ، وعن ابن أبي فديك قال : سمعت بعض من أدركت يقول : بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتلا هذه الآية ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ⁽⁹²¹⁾ .

ثم قال : صلى الله عليك وسلم يا محمد سبعين مرة ناداه ملك وعليك يا فلان ولم تسقط له حاجة هذا وليبلغ سلام من أوصاه بتبليغ سلامه فيقول : السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان أو فلان بن فلان يسلم عليك يا رسول الله ويروى أن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله كان يوصي بذلك ويرسل البريد من الشام إلى المدينة الشريفة بذلك ، ومن ضاق وقته عما ذكرناه اقتصر على ما يمكنه وعن جماعة من السلف الإيجاز في ذلك جداً ثم يتأخر عن يمينه إن كان مستقبلاً قيد ذراع فيسلم على أبي بكر رضي الله عنه فإن رأسه حيال منكب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى ما ذكرنا يكون تأخره إلى ورائه بجانبه فيقول : السلام عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثانيه في الغار أبا بكر الصديق جزاك الله عن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم خيراً ثم يتأخر كذلك قدر ذراع فيسلم على عمر فيقول : السلام عليك يا أمير المؤمنين عمر الفاروق الذي أعز الله به الإسلام جزاك الله عن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم خيراً ثم يرجع إلى حيال وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيحمد الله ويثني عليه ويصلي ويسلم على نبيه ويدعو ويستشفع له ولوالديه ولمن أحب ويختم دعاءه بآمين والصلاة والتسليم وقيل ما ذكر من العود إلى رأس القبر الشريف لم ينقل عن الصحابة ولا التابعين وعن القاسم بن محمد قال : (دخلت عائشة رضي الله عنها فقلت : يا أمه اكشفي لنا قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبه فكشفت عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقدماً وأبا بكر رأسه بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمر رأسه عند رجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم) ⁽⁹³²⁾ .

⁽¹⁹²¹⁾ سورة الأحزاب الآية (56).

⁽²⁹³¹⁾ أخرجه الحاكم (1368).

وإذا فرغ من الزيارة يأتي الروضة فيكثر فيها من الصلاة والدعاء إن لم يكن في وقت تكره فيه

الصلاة ففي الصحيحين : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة »⁽⁹⁴¹⁾.

وفي رواية «قبري ومنبري»⁽⁹⁵²⁾ ويقف عند المنبر ويدعو ففي الحديث «إن قوائم منبري هذا رواتب

في الجنة»⁽⁹⁶³⁾ وكان السلف يستحبون أن يضع أحدهم يده على رمانة المنبر النبوي التي كان عليه

الصلاة والسلام يضع يده عليه عند الخطبة وهناك الآن قطعة تدخل الناس أيدهم من طاقة في

المنبر إليه يتبركون بها يقال: إنها من بقايا منبره عليه الصلاة والسلام ويجتهد أن لا يفوته مدة مقامه

صلاة في المسجد فقد ثبت أن صلاة في مسجده صلى الله عليه وآله وسلم تعدل ألف صلاة في غيره

على ما قدمناه وهذا التفضيل مختص بالفرائض وقيل في النفل أيضا⁽⁹⁷⁴⁾.

ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بقبع الغرقد فيزور القبور التي به خصوصا يوم الجمعة

ويبكر كي لا تفوته صلاة الظهر مع الإمام في المسجد فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يزوره وإذا

انتهى إليه قال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم إنا

إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد اللهم اغفر لنا ولهم ويزور القبور المشهورة

كقبر عثمان بن عفان رضي الله عنه وقبر العباس وهو في قبته المشهورة وفيها قبران الغربي منهما قبر

العباس رضي الله عنه والشرقي قبر الحسن بن علي زين العابدين وولده محمد الباقر وابنه جعفر

الصادق رضي الله عنهم كلهم في قبر واحد وعند باب البقيع عن يسار الخارج قبر صفية أم الزبير

عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه قبر فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما ويصلي في

مسجد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالبقيع وهو المعروف ببيت الأحران وقيل

قبرها فيه وقيل بل في الصندوق الذي هو أمام مصلى الإمام في الروضة الشريفة واستبعده بعض

العلماء وقيل إن قبرها في بيتها وهو في مكان المحراب المخشب الذي خلف الحجرة الشريفة داخل

⁽¹⁹⁴⁾ أخرجه البخاري (1888) ومسلم (1390) وابن حبان (37540) والنسائي (694) والترمذي (3916) .

⁽²⁹⁵⁾ تقدم ترجمته ص (329).

⁽³⁹⁶⁾ أخرجه النسائي (695) وابن حبان (3749).

⁽⁴⁹⁷⁾ شواهد الحق ص (100) وما بعدها.

الدرابزين قال وهو الأظهر وبالبقيع قبة يقال إن فيها قبر عقيل في داره وفيه حظيرة مستهدمة مبنية بالحجارة يقال إن فيها قبور من دفن من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورضي الله عنهن وفيه قبر إبراهيم ابن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مدفون إلى جنب عثمان بن مظعون ودفن إلى جنب عثمان بن مظعون عبدالرحمن بن عوف رضوان الله عنهم أجمعين وعثمان هذا أول من دفن بالبقيع في شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة ويأتي أحدا يوم الخميس مبكرا كي لا تفوته جماعة الظهر بالمسجد فيزور قبور شهداء أحد ويبدأ بقبر حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويزور جبل أحد نفسه ففي الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أحد جبل يحبنا ونحبه»⁽⁹⁸¹⁾ وفي رواية (إنه على ترعة من ترع الجنة وعَيْرٌ على ترعة من ترع النار)⁽⁹⁹²⁾. وستحب أن يأتي مسجد قباء يوم السبت اقتداء به صلى الله عليه وآله وسلم لأنه كان يأتيه في كل سبت راكبا وماشيا⁽¹⁰⁰³⁾ وهو أول مسجد في الإسلام وأول من وضع فيه حجرا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم وينوي زيارته والصلاة فيه ، فقد صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أن الصلاة فيه كعمرة ويأتي في قباء بئر أريس التي تفل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيها سقط خاتمه صلى الله عليه وآله وسلم من عثمان رضي الله عنه فيتوضأ ويشرب ويزور مسجد الفتح وهو على قطعة من جبل سلع من جهة الغرب فيركع فيه ويدعو.

وروى جابر : (أنه صلى الله عليه وآله وسلم دعا فيه ثلاثة أيام على الأحزاب فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين)⁽¹⁰¹⁴⁾.

والمساجد التي هناك منها مسجد يقال له: مسجد بني ظفر وفيه حجر جلس عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقال: (ما جلست عليه امرأة لتريد الولد إلا حبلت) ويقال إن جميع المساجد

⁽¹⁹⁸¹⁾ أخرجه البخاري (4083) ومسلم (1293) وابن حبان (3725) .

⁽²⁹⁹¹⁾ أخرجه ابن ماجه (3115) .

⁽³¹⁰⁰⁾ تقدم ترجمته .

⁽⁴¹⁰¹⁾ أخرجه أحمد (80/21) .

والمشاهد المفضلة التي بالمدينة ثلاثون يعرفها أهل المدينة ويقصد الآبار التي كان صلى الله عليه وآله وسلم يتوضأ منا ويشرب وهي سبعة: منها بئر بضاعة والله أعلم.

(فصل): وإذا عزم الرجوع إلى أهله، يستحب له أن يودع المسجد بصلاة ويدعو بعدها بما أحب وأن يأتي القبر الكريم فيسلم ويدعو بما أحب له ولوالديه وإخوانه وأولاده وأهله وماله ويسأل الله تعالى أن يوصله إلى أهله سالماً غانماً في عافية من بليات الدنيا والآخرة ويقول غير مودع يا رسول الله ويسأل الله تعالى أن يرده إلى حرمه وحرمة نبيه في عافية وليكثر دعاءه بذلك في الروضة الشريفة عقيب الصلوات وعند القبر ويجتهد في خروج الدمع فإنه من أمارات القبول وينبغي أن يتصدق بشيء على جيران النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم ينصرف متباكياً متحسراً على فراق الحضرة الشريفة النبوية والقرب منها^[102].

وقال الشيخ النبهاني رحمه الله تعالى: ثم نرجع إلى ما كنا بسبيله من زيارة القبور فيما ذكر من الآداب وهو في زيارة العلماء والصلحاء ومن يتبرك بهم وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيأتي إليهم الزائر ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة فإذا جاء إليهم فليتصف بالذل والانكسار والمسكنة والفقر والحاجة والاضطرار والخشوع ويحضر قلبه وخاطره إليهم وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره لأنهم لا يبيلون ولا يتغيرون ثم يثني على الله تعالى بما هو أهله ثم يصلي ويتروى عن أصحابه ثم يترحم على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ثم يتوسل إلى الله تعالى بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه ويستغيث بهم ويطلب حوائجه ويجزم الإجابة ببركتهم ويقوي حسن ظنه في ذلك فإنهم باب الله المفتوح وجرت سنته سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم ومن عجز عن الوصول إليهم فليرسل السلام عليهم ويذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه إلى غير ذلك فإنهم السادة الكرام والكرام لا يردون من سألهم ولا من توسل بهم ولا من قصدهم ولا من لجأ إليهم وهذا الكلام في زيارة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عموماً.

[102] شواهد الحق ص (103).

وأما زيارة سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه فكل ما ذكر يزيد عليه أضعافه أعني الانكسار والذل والمسكنة لأنه الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعته ولا يجيب من قصده ولا من استعان أو استغاث به إذ أنه عليه الصلاة والسلام قطب دائرة الكمال وعروس المملكة قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾^[103]. وقد قال علماءنا رحمة الله عليهم: أمة الزائر يشعر نفسه بأنه واقف بين يديه عليه الصلاة والسلام كما هو في حياته إذ لا فرق بين موته وحياته أعني في مشاهدته صلى الله عليه وآله وسلم لأتمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عنده صلى الله عليه وآله وسلم جلي لا خفاء فيه فإن قال قائل: هذه الصفات مختصة بالمولى سبحانه وتعالى فالجواب: أن كل ما انتقل إلى الآخرة من المؤمنين فهم يعلمون أحوال الأحياء غالباً وقد وقع ذلك في الكثرة بحيث المنتهى من حكايات وقعت منهم ويحتمل أن يكون علمهم بذلك حيث عرض أعمال الأحياء عليهم ويحتمل غير ذلك وهذه أشياء مغيبة عنا وقد أخبر الصادق عليه الصلاة والسلام بعرض الأعمال عليهم فلا بد من وقوع ذلك والكيفية فيه غير معلومة والله اعلم بها.

أقوال العلماء في زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى:

قال الإمام ابن حجر في شرحه على البخاري عند قوله: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)^[104] قوله إلا إلى ثلاثة مساجد المستثنى منه محذوف فيما أن يقدر فيصير: لا تشد الرحال إلى مكان في أي أمر كان إلا الثلاثة أو أحص من ذلك ولا سبيل إلى الأول لإفضائه إلى سد باب السفر للتجارة وصلة الرحم وطلب العلم وغيرها فتعين الثاني والأولى أن يقدر ما هو أكثر مناسبة وهو: لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه إلا إلى الثلاثة، فيبطل بذلك قول من منع شد الرحال إلى زيارة القبر الشريف وغيره من قبور الصالحين والله أعلم.

[103] سورة النجم الآية (18).

[104] تقدم تحريجه.

وقال السبكي الكبير: وقد التبس ذلك على بعضهم فزعم أن شد الرحال إلى الزيارة لمن في غير الثلاثة داخل في المنع وهو خطأ لأن الاستثناء إنما يكون من جنس المستثنى منه فمعنى الحديث: لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد أو إلى مكان من الأماكن لأجل ذلك المكان إلا إلى الثلاثة المذكورة وشد الرحال إلى زيارة أو طلب علم ليس إلى المكان بل إلى من في ذلك المكان والله أعلم⁽¹⁰⁵¹⁾.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»⁽¹⁰⁶⁾². رواه وصححه جماعة كعبد الحق والتقي السبكي وبلفظ: «من جاءني زائراً لا تحمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة»⁽¹⁰⁷⁾³ والمراد بقوله: لا تحمله حاجة إلا زيارتي اجتناب قصد ما لا تعلق له بالزيارة.

أما ما يتعلق بها من نحو قصد الاعتكاف في المسجد النبوي وكثرة العبادة فيه وزيارة الصحابة وغير ذلك مما يندب للزائر فعله فلا يضر قصده في حصول الشفاعة له فقد قال أصحابنا وغيرهم: يسن أن ينوي مع التقرب بالزيارة التقرب بشد الرحال للمسجد النبوي والصلاة فيه كما ذكره المصنف.

ثم الحديث يشمل زيارته صلى الله عليه وآله وسلم حياً وميتاً ويشمل الذكر والأنثى الآتي من قرب أو بعد فيستدل به على فضيلة شد الرحال لذلك وندب السفر للزيارة إذ للوسائل حكم المقاصد. وقد أخرج أبو داود بسند صحيح: (ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه)⁽¹⁰⁸⁾⁴.

[105]1 فتح الباري (66/3).

[106]2 تقدم تحريجه.

[107]3 تقدم تحريجه.

[108]4 أخرجه أحمد (311/14 - 312) الفتح الرباني، وأبو داود (2041).

فتأمل هذه الفضيلة العظيمة وهي رده صلى الله عليه وآله وسلم على المسلم عليه إذ هو صلى الله عليه وآله وسلم حي في قبره كسائر الأنبياء لما ورد مرفوعاً: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»^[109] ومعنى رد روحه الشريفة رد القوة المنطقية في ذلك الحين للرد عليه^[110].

الإمام الفيروز آبادي رحمه الله تعالى:

وقال الإمام شيخ الإسلام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي صاحب القاموس في كتابه (الصلوات والبشر): اعلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند قبره أكد فيستحب إعمال المطى لإدراك الفوز بهذا الشرف العظيم والمنصب الكريم قال القاضي ابن كج: (وهو القاضي يوسف بن أحمد بن كج) فيما حكاه الرافعي: إذا نذر أن يزور قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعندي أنه يلزمه الوفاء وجها واحداً ولو نذر أن يزور قبر غيره ففيه وجهان عندي وقد علم أنه لا يلزمه بالنذر إلا العبادات وممن صرح باستحبابها وكونها سنة من أصحابنا الرافعي في أواخر باب أعمال الحج والغزالي في الإيحاء والبغوي في التهذيب والشيخ عز الدين بن عبدالسلام في مناسكه وأبو عمرو بن الصلاح وأبو زكريا النووي رحمه الله تعالى. ومن الحنابلة: الشيخ موفق الدين والإمام أبو الفرج البغدادي وغيرهما. ومن الحنفية: صاحب الاختيار في شرح المختار له عقد لها فصلاً وعدها من أفضل المندوبات المستحبات.

وأما المالكية: فقد حكى القاضي عياض منهم الإجماع على ذلك وفي كتاب تهذيب المطالب لعبدالحق الصقلي عن الشيخ أبي عمران المالكي أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم واجبة قال عبدالحق: يعني من السنن الواجبة وفي كلام العبدى المالكي في شرح الرسالة: أن المشي إلى المدينة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس وأكثر عبارات الفقهاء أصحاب المذاهب تقتضي السفر للزيارة لأنهم استحَبوا للحاج بعد الفراغ من

[109] تقم تخريجه.

[110] من الإيضاح ص (488).

الحج الزيارة ومن ضرورتها السفر واما نفس الزيارة فالأدلة عليها كثيرة منها: قوله تعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا﴾⁽¹¹¹⁾. ولا شك أنه صلى الله عليه وآله وسلم حي وأن أعمال أمته معروضة عليه. ثم ذكر الشيخ جملة من أحاديث الزيارة⁽¹¹²⁾.

الإمام محمد بن علان الصديقي رحمه الله تعالى:

قال الشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي شارح الأذكار معلقا على قول النووي: (فإن زيارته أفضل القربات وأنجح المساعي): وكيف لا وقد وعد الزائر بوجوب شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم وهي لا تجب إلا لأهل الإيمان ففي ذلك التبشير بالموت على الإيمان مع ما ينضم إلى ذلك بسماحه صلى الله عليه وآله وسلم سلام الزائر من غير واسطة. وأخرج أبو داود وغيره عن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله إلي روعي حتى أرد عليه السلام»⁽¹¹³⁾. قال الحافظ: حديث حسن أخرجه أحمد والبيهقي وغيرهما وأثبت عن الشيخ السبكي في شفاء السقام قال: اعتمد جماعة من الأئمة على هذا الحديث في استحباب زيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم وهو اعتماد صحيح لأن الزائر إذا سلم عليه وقع الرد عليه من قرب وتلك فضيلة مطلوبة.

أقول: ورده عليه كذلك بنفسه ولو لم يكن للزائر من القرى إلا هذا الخطاب لكان فيه الغنى، وكيف وفيه الشفاعة العظيمة ومضاعفة الصلاة في ذلك الحرم الأسنى وقد أورد جملة من الأحاديث في ذلك التقي السبكي في شفاء السقام وابن حجر الهيثمي في الدر المنظم، وتلميذه الفاكهي في حسن الاستشارة في آداب الزيارة⁽¹¹⁴⁾.

الإمام الكرمانى رحمه الله تعالى:

(111) سورة النساء الآية (64).
(112) الصلاة والبشر في الصلوات على خير البشر للفيروز آبادي ص (1479).
(113) ورد في الفتح الرباني (311/14؛ 312) وأبي داود (2041).
(114) الفتوحات الربانية على الأذكار النووية (231/5) مفاهيم ص (269).

وقال الشيخ الكرمانى فى شرحه على البخارى عند قوله: (إلا إلى ثلاثة مساجد) : والاستثناء مفرغ فإن قلت فتقدير الكلام لا تشد الرحال إلى موضع أو مكان فيلزم أن لا يجوز السفر إلى مكان غير المستثنى حتى لا يجوز السفر لزيارة إبراهيم الخليل عليه السلام ونحوه لأن المستثنى منه فى المفرغ لا بد أن يقدر أعم العام.

قلت: المراد بأعم العام ما يناسب المستثنى نوعا ووصفا كما إذا قلت: ما رأيت إلا زيدا كان تقديره: ما رأيت رجلا أو واحدا إلا زيدا، لا ما رأيت شيئا أو حيوانا إلا زيدا فهنا تقديره: لا تشد إلى مسجد إلا إلى ثلاثة وقد وقع فى هذه المسألة فى عصرنا مناظرات كثيرة فى البلاد الشامية وصنف فيها رسائل من الطرفين لسنا الآن لبيانها⁽¹¹⁵⁾.

الإمام القاضى عياض رحمه الله تعالى:

وقال القاضى عياض رحمه الله تعالى فى شرحه للحديث الذى رواه مسلم عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى حجرها)⁽¹¹⁶⁾.

قال: وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: وهو يأرز إلى المدينة معناه: أن الإيمان أولا وأخرى بهذه الصفة لأنه فى أول الإسلام كان كل من خلى إيمانه وضح إسلامه أتى المدينة إما مهاجرا مستوطنا وإما متشوقا إلى رؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومتعلما منه ومتقربا ثم بعده هكذا فى زمن الخلفاء كذلك ولأخذ سيرة العدل منهم والافتداء بجمهور الصحابة رضوان الله عليهم فيها ثم من بعدهم من العلماء الذين كانوا سرج الوقت وأئمة الهدى لأخذ السنن المنتشرة بها عنهم فكان كل ثابت الإيمان منشرح الصدر به يرحل إليها ثم بعد ذلك فى كل وقت إلى زماننا لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم والتبرك بمشاهدة وآثار أصحابه الكرام فلا يأتيها إلا مؤمن⁽¹¹⁷⁾.

الإمام أبو محمد ابن قدامة إمام الحنابلة رحمه الله تعالى:

⁽¹¹⁵⁾ شرح الكرمانى (12/7).

⁽¹¹⁶⁾ أخرجه أحمد (115/1) ومسلم (1469).

⁽¹¹⁷⁾ شرح صحيح مسلم للنووي ص (177).

قال الشيخ موفق الدين عبدالله بن قدامة في كتابه المغني (ويستحب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما روى الدارقطني بإسناده عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حج قزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي»^[118]) وفي رواية «من زار قبري وجبت له شفاعتي»^[119] وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «ما من أحد يسلم علي عند قبري إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»^[120].

ويروى عن العتبي قال: كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا﴾^[121] وقد جئتك مستغفر لذنبي مستشفعا بك إلى ربي ثم أنشد يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه	فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فحملتني عيني فنمت فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقال: يا عتبي الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له^[122].

الإمام الشيخ بدر الدين العيني:

قال الشيخ العيني في شرح البخاري: وحكى الرافعي عن القاضي ابن كج أنه قال: إذا نذر أن يزور قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعندي أنه يلزمه الوفاء وجهها واحدا قال: ولو نذر أن يزور قبر غيره ففيه وجهان عندي وقال القاضي عياض وأبو محمد الجويني من الشافعية: أنه يحرم شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة لمقتضى النهي وقال النووي: وهو غلط والصحيح عند أصحابنا وهو الذي اختاره إمام الحرمين والمحققون أنه لا يحرم ولا يكره وقال الخطابي: لا تشد لفظه خبر

[118] تقدم تحريجه.

[119] تقدم تحريجه.

[120] تقدم تحريجه.

[121] سورة النساء الآية (64).

[122] المغني لابن قدامة (556/3).

ومعناه الإيجاب فيما نذره الإنسان من الصلاة في البقاع التي تبرك بها أي لا يلزم الوفاء بشيء من ذلكم حتى يشد الرحل له ويقطع المسافة إليه غير هذه الثلاثة التي هي مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فأما إذا نذر الصلاة في غيرها من البقاع فإن له الخيار في أن يأتيها أو يصلبها في موضعه ولا يرحل إليها وقال شيخنا زين الدين: من أحسن محامل هذا الحديث أن المراد منه حكم المساجد فقط وأنه لا يشد الرحل إلى مسجد من المساجد غير هذه الثلاثة فأما قصد غير المساجد من الرحلة في طلب العلم وفي التجارة والتنزه وزيارة الصالحين والمشاهد وزيارة الإخوان ونحو ذلك فليس داخلا في النهي وقد ورد ذلك مصرحاً به في بعض طرق الحديث فعن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لا ينبغي للمصلي أن يشد رحاله إلى مسجد يبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا»^{[[1231]]} وإسناده صحيح^{[[1242]]}.

الشيخ منصور بن يونس البهوتي الحنبلي رحمه الله تعالى :

قال الشيخ منصور البهوتي في كتابه (كشاف القناع عن متن الإقناع): فصل: وإذا فرغ من الحج استحباب له زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لحديث الدارقطني عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي».

وفي رواية: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»^{[[1253]]}.

تنبيه: قال ابن نصر الله: لازم استحباب زيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم استحباب شد الرحال إليها لأن زيارته للحاج بعد حجه لا تمكن بدون شد الرحال فهذا كالتصريح باستحباب شد الرحال لزيارته^{[[1264]]}.

^{[[1231]]} أخرجه أحمد (131 20) الفتح الرباني.

^{[[1242]]} عمدة القاري (254/7).

^{[[1253]]} تقدم تخريجه ص (329).

^{[[1264]]} كشاف القناع (598/2).

الشيخ ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى :

وقد ذكر الشيخ ابن القيم في قصيدته المعروفة بالنونية كيف تكون الزيارة وما هي الآداب المطلوبة فيها، وكيف ينبغي أن يكون شعور الزائر وهو واقف أمام المواجهة الشريفة وماذا ينبغي أن يحس به تجاه صاحب القبر وذكر في آخر تلك الأبيات أن الزيارة بهذا الإحساس والشعور وبتلك الكيفية هي من أفضل الأعمال فقال:

فإذا أتينا المسجد النبوي صل	سينا التحية أو لا ننتان
بتمام أركان لها وخشوعها	وحضور قلب فعل ذي الإحسان
ثم اثنينا للزيارة نقصد الـ	قبر الشريف ولو على الأجدان
فنقوم دون القبر وقمة خاضع	متدلل في السر والإعلان
فكأنه في القبر حي ناطق	فالواقفون نواكس الأذقان
وتفجرت تلك العيون بمائها	ولطالما غاصت على الأزمان
واتى المسلم بالسلام بهيبة	ووقار ذي علم وذي إيمان
لم يرفع الأصوات حول ضريحه	كلا ولم يسجد على الأذقان
كلا ولم يُر طائفاً بالقبر أسـ	سجوعاً كأن القبر بيت ثان
ثم اثنى بدعائه متوجها	لله نحو البيت ذي الأركان
هذي زيارة من غدا متمسكا	بشريعة الإسلام والإيمان
من أفضل الأعمال هاتيك الزيا	رة وهي يوم الحشر في الميزان

(انظر النونية المشهورة لابن القيم) وتدبر قوله رحمه الله تعالى الله : (من أفضل الأعمال هاتيك الزيارة).

الشيخ ابن عابدين رحمه الله تعالى :

وقال الشيخ صاحب الحاشية ابن عابدين عند قوله : (مندوبة) أي بإجماع المسلمين كما في اللباب قال في شرح اللباب: هل تستحب زيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم للنساء؟ الصحيح نعم بلا

كراهة بشر وطها على ما صرح به بعض العلماء أما على الأصح من مذهبنا وهو قول الكرخي من أن الرخصة في زيارة القبور ثابتة للرجال والنساء جميعا فلا إشكال وأما على غيره فكذلك نقول بالاستحباب لإطلاق الأصحاب والله أعلم بالصواب، وقال عند قوله ولينو معه زيارة مسجده) : قال ابن المهام: وفيما يقع عند العبد الضعيف تجريد النية لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام ثم يحصل له إذا قدم زيارة المسجد، أو يستمنح فضل الله تعالى في مرة أخرى ينوي زيارة المسجد فيها "لأن في ذلك زيادة تعظيمه صلى الله عليه وآله وسلم وإجلاله ويوافقه ظاهر ما ذكرناه من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من جاءني زائرا لا عمله حاجة إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا يوم القيامة»⁽¹²⁷¹⁾. ونقل الرحمتي عن العارف المتلاجامي أنه أفرد الزيارة عن الحج حتى لا يكون له قصد غيرها في سفره⁽¹²⁸⁾².

وقال الشيخ ابن عابدين أيضا: وهل تندب الرحلة للزيارة كما اعتيد من الرحلة إلى زيارة خليل الرحمن وأهله وأولاده وزيارة السيد البدوي وغيره من الأكابر الكبار؟ لم أر من صرح به من أئمتنا ومنع بعض أئمة الشافعية إلا لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم قياسا على منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة ورده الغزالي بوضوح الفرق فإن ماعدا المساجد الثلاثة مستوية في الفضل فلا فائدة في الرحلة إليها وأما الأولياء فإنهم متفاوتون في القرب من الله تعالى ونفع الزائرين بحسن معارفهم وأسرارهم ونقل عن ابن حجر في فتاويه قوله: ولا تترك الزيارة - لما يحصل عندها من منكرات ومفاسد كاختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك لأن القربات لا تترك لمثل ذلك، بل على الإنسان فعلها وإنكار البدع بل إزالتها إن أمكن قلت ويؤيده عدم ترك اتباع الجنائز وإن كان معها نساء نائحات، تأمل⁽¹²⁹⁾³.

وقال صحاب الدر المختار: وزيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم مندوبة بل قيل واجبة لمن له سعة وذكر أن الحاج يبدأ بالحج إن كان فرضا ثم يزور وإذا كان تطوعا فإنه مخير بين البدء بالحج أو

(1271) تقدم تحريجه.

(128) رد المختار لابن عابدين (2/263) 264.

(129) رد المختار (1/6319).

الزيارة ولينو مع زيارته زيارة مسجده عليه الصلاة والسلام لأنه عليه الصلاة والسلام أخبر أن الصلاة فيه خير من ألف صلاة في غير مسجده إلا المسجد الحرام وكذلك بقية القرب فإن كل قربة فيه بألف قربة في غيره.

الشيخ أبو عبدالله السامري الحنبلي: قال في كتاب (المستوعب) في باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما نصه:

وإذا قدم مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استحب له أن يغتسل لدخوله ثم يأتي مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقدم رجله اليمنى في الدخول ثم يأتي القبر فيقف ناحيته ويجعل القبر تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره والمنبر عن يساره ثم ذكر كيفية السلام والدعاء وأطال ومنه: اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك عليه الصلاة والسلام ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك...﴾^[130]، وإني قد أتيتك مستغفرا فأسألك ان توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حال حياته اللهم إني أتوجه إليك بنبيك وذكر دعاء طويلا ثم قال: وإذا أراد الخروج عاد إلى القبر فودع وكذلك ذكر أبو منصور الكرمانى من الحنفية أن يدعو ويطلب الدعاء عند القبر المكرم وفي مناسك الإمام أبي زكريا النووي ما نصه /: فصل في زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر كلاما مطولا ثم قال: فإذا صلى تحية المسجد أتى القبر فاستقبله واستدبر القبلة على نحو أربعة أذرع من جدار القبر وسلم مقتصدا لا يرفع صوته.

وقال الحصني: كان عمر بن عبدالعزيز يبعث بالرسول قاصدا من الشام إلى المدينة ليقري النبي صلى الله عليه وآله وسلم والسلام ثم يرجع.

وقالت الحنفية: إن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أفضل المندوبات والمستحبات صرح بذلك الإمام محمد الكرمانى أبو منصور في مناسكه والإمام عبدالله بن محمود في شرح المختار وقال الإمام أبو العباس السروجي.

[130] سورة النساء الآية (64).

وإذا انصرف الحاج من مكة شرفها الله تعالى فليتوجه إلى طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزيارة قبره فإنها من أنجح المساعي .

وقال ابن الخطاب محفوظ الكلواذي الحنبلي من أئمة الحنابلة في كتابه (الهداية) في آخر باب صفة الحج: استحباب له زيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه وعقد الإمام ابن الجوزي في كتاب مشير الغرم بابا في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام.

وقال أبو عمران المالكي: زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم واجبة . وقال العبد المالك في شرح الرسالة: إن المشي إلى المدينة لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من المشي إلى الكعبة وبيت المقدس^[131].

والحنابلة قد نصوا كغيرهم على كون زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنة قصدت بالسفر لأجلها أو لم تقصد بالسفر لأجلها وأما الحديث فمعناه الذي فهمه السلف والخلف أنه لا فضيلة زائدة في السفر لأجل الصلاة في مسجد إلا السفر إلى هذه المساجد الثلاثة لأن الصلاة تضاعف فيها إلى مئة ألف وذلك في المسجد الحرام وعلى ألف وذلك في مسجد الرسول وإلى خمسمائة وذلك في المسجد الأقصى .

والحديث المراد به السفر لأجل الصلاة ، يبين ذلك ما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده من طريق شهر بن حوشب من حديث أبي سعيد مرفوعا: «لا ينبغي للمطي أن تعمل إلى مسجد ينبغي فيه الصلاة إلا إلى المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا»^[132].

^[131] (المقالات السنوية ص (152 - 153).

^[132] (المقالات السنوية بتصرف (138) وفي الفتح الرباني ما نصه وقد أجاب الجمهور عن حديث شد الرحال أن القصر فيه إضافي باعتبار المساجد لا حقيقي قالوا والدليل على ذلك أنه قد ثبت بإسناد حسن في بعض ألفاظ الحديث (ولا ينبغي للمطي أن يشد رحالها إلى مسجد تبغى فيه الصلاة غير مسجدي هذا أو المسجد الحرام والمسجد الأقصى) فالزيارة وغيرها خارجة عن النهي (وأجابوا ثانية) بالإجماع على جواز شد الرحال للتجارة وسائر مطالب الدنيا وعلى وجوبه إلى عرفة للوقوف والمنى للمناسك التي فيها والى مزدلفة والى الجهاد والهجرة من دار الكفر وعلى استحبابه لطلب العلم وأجابوا عن ماروي (لا تتخذوا قبوري عيدا) بأنه يدل على الحث على كثرة الزيارة لا على منعها وأنه لا يُهمل حتى لا يزار إلا في بعض الأوقات كالعيدين ويؤيده قوله ولا تجعلوا بيوتكم قبورا أي لا تتركوا الصلاة فيها كذا قال الحافظ المنذري (وقال السبكي) معناه أنه لا تتخذوها وقتا مخصوصا ولا تكون الزيارة إلا فيه .

الموسوعة اليوسفية في بيان ادلة الصوفية

بداية الجزء الثاني

الذكر مع الجماعة

كثير من الآيات القرآنية تدل على الذكر الجماعي منها:

قال الله تعالى ﴿فاذكروني أذكركم﴾⁽¹¹⁾.

وقال تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾⁽²²⁾.

وقال تعالى ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾⁽³³⁾.

وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا﴾⁽⁴⁴⁾.

أحاديث شريفة تبين استحباب الذكر الجماعي والحث عليه

1 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إن لله ملائكة

يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى

حاجتكم. قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال: فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم -

ما يقول عبادي؟ قال: يقولون يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك ويمجدونك قال فيقول

(11) سورة البقرة الآية (152).

(22) سورة آل عمران الآية (191).

(33) سورة الأحزاب الآية (35).

(44) سورة الأحزاب الآية (41 - 42).

هل رأوني؟ قال فيقولون لا والله ما رأوك قال فيقول كيف لو رأوني؟ قال يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيذا وأكثر لك تسبيحا اقل يقول فما يسألوني؟ قال يسألونك الجنة قال يقول وهل رأوها؟ قال يقولون لا والله يا رب ما رأوها قال يقول فكيف لو أنهم رأوها؟ قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة قال: فمم يتعوزون؟ قال يقولون من النار قال يقول وهل رأوها؟ قال يقولون لا والله ما رأوها قال يقول فكيف لو رأوها؟ فقال: يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة قال فيقول فأشهدكم أي قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»⁽⁵¹⁾.

2 - وعن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن علينا قال: آله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة⁽⁶²⁾.

3 - وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر»⁽⁷³⁾.

4 - وعن عبدالرحمن بن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في بضع أبياته ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾⁽⁸⁴⁾ فخرج يلتمسهم فوجد قومه يذكرون الله تعالى منهم ثائر الرأس، وجاف الجلد وذو الثوب الواحد فلما رأهم جلس معهم وقال: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم»⁽⁹⁵⁾.

⁽¹⁵¹⁾ أخرجه البخاري (6408) والترمذي (36009) واحمد (251/2) α (251/2) والروايت مختصرة ومطولة.

⁽²⁶⁾ أخرجه مسلم (6797) والترمذي (3379) والنسائي (5441) وأحمد (92/4).

⁽³⁷⁾ أخرجه أحمد (150/3) والترمذي (3510) وذكره السيوطي في الجامع الصغير (859) ورمز لصحته .

⁽⁴⁸⁾ سورة الكهف الآية (28).

⁽⁵⁹⁾ الحاوي للفتاوى للإمام السيوطي مجلد /2/ 270 الحديث رقم 1.

5 - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يقول الله عز وجل يوم القيامة (سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم) فقيل ومن أهل الكرم يا رسول الله؟ قال «أهل مجالس الذكر»⁽¹⁰¹⁾.

6 - وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: إنا لعند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال: ارفعوا أيديكم قولوا لا إله إلا الله ففعلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم إنك بعثني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة إنك لا تخلف الميعاد ثم قال: ابشروا فإن الله قد غفر لكم⁽¹¹²⁾.

7 - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان عبدالله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: تعال نؤمن بربنا ساعة فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (يرحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة)⁽¹²³⁾.

8 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي... وغن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه)⁽¹³⁴⁾.

9 - وفي رواية البزار والبيهقي بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (عبدني إذا ذكرتني خاليا ذكرتك خاليا وإن ذكرتني في ملاء ذكرتك في ملاء خير منهم وأكثر).

⁽¹⁰¹⁾ أخرجه أحمد (68/3 - 76) وابن حبان (616).

⁽¹¹¹⁾ أخرجه الحاكم (1844) وأحمد (124/4) والطبراني في الكبير (7163) والبزار (10).

⁽¹¹²⁾ أخرجه أحمد بإسناد حسن (286/22).

⁽¹³¹⁾ أخرجه البخاري (6970) ومسلم (2675) وأحمد (268/14) والترمذي (2388) وابن ماجه (3822).

10 - وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
«لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم
السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»⁽¹⁴¹⁾.

11 - وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ما من قوم اجتمعوا
يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورا
لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات)⁽¹⁵²⁾.

12 - وأخرج بقي بن مخلد عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر بمجلسين
أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه والآخر يعلمون العلم فقال: (كلا المجلسين خير
واحدهما أفضل من الآخر).

13 - وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ليبعثن الله
أقواما يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء
قال فجنثا أعرابي على ركبتيه فقال: يا رسول الله: حلهم لنا - صفهم - نعرفهم؟ قال:
المتحابون في الله من قبائل شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه)⁽¹⁶³⁾.

14 - وأخرج الأصبهاني في الترغيب عن أبي رزي العقيلي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم قال له: (ألا أدلك على ملاك الأمر الذي تصيب به خير الدنيا والآخرة؟
قال: بلى، قال: عليك بمجالس الذكر وإذا خلوت فحرك لسانك بذكر الله).

15 - وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لأن أجلس مع قوم
يذكرون الله بعد صلاة الصبح إلى أن تطلع الشمس أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ولأن

⁽¹⁴¹⁾ أخرجه مسلم (2700) والترمذي (2378) وقال حديث حسن صحيح.

⁽¹⁵²⁾ رواه أحمد (202/14).

⁽¹⁶³⁾ أخرجه الطبراني بإسناد حسن انظر الترغيب والترهيب (21/4.406/2).

أجلس مع قوم يذكرون الله بعد العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إلي من الدنيا وما فيها»⁽¹⁷¹⁾.

من أقوال العلماء والعارفين في مشروعية الذكر الجماعي:

- 1 - قال العلامة ابن عابدين في حاشيته في معرض ذكر الله تعالى مع الجماعة: (وقد شبه الإمام الغزالي ذكر الإنسان وحده وذكر الجماعة بأذان المنفرد وأذان الجماعة قال: فكما أن أصوات المؤذنين جماعة تقطع جرم الهواء أكثر من صوت المؤذن الواحد كذلك ذكر الجماعة على قلب واحد أكثر تأثيراً في رفع الحجب الكثيفة من ذكر شخص واحد)⁽¹⁸²⁾.
- 2 - وقال الإمام الشعراي في (ذكر الذاكر للمذكور والشاكر للمشكور): (أجمع العلماء سلفاً وخلفاً على استحباب ذكر الجماعة في المساجد وغيرها من غير نكير إلا أن يشوش جهرهم على نائم أو مصلى أو قارئ)⁽¹⁹³⁾.
- 3 - ويقول الإمام السيد محمد بهاء الدين المشهور بالرواس رحمه الله تعالى: (كمال الأدب حالة ذكر الله سواء كان مع الإخوان أو بالانفراد فإن طريقنا يشمل الذكرين الجلي والخفي أما الجلي فمع الإخوان في حلق الذكر وأما الخفي فهو ورد المرء يخلو به مع الله تعالى ولا ينفع كلاهما بغير الأدب الصحيح وهو صحة الحضور مع المذكور ليذكره الذاكر معتبراً بآياته معظماً لجلال سلطانه ألا إلى الله تصير الأمور)⁽²⁰⁴⁾.
- 4 - يقول ابن المنير في كتابه (تحفة السالكين) في معرض ذكر جملة من آداب الذكر: (وعليهم مراعاة الوفاق في الأصوات علواً وخفضاً لأن في ذلك نشطة للنفس ولذة للروح وراحة للسر وقهراً للشيطان وفراراً ولا يكثروا أحدهم الالتفات ولا يعبث بلحيتيه ولا يلعب بيده ولا بشيء

⁽¹⁷¹⁾ ذكره السيوطي في الجامع الصغير (7199) ورمز لحسنه.

⁽¹⁸²⁾ حاشية ابن عابدين (263/5).

⁽¹⁹³⁾ حاشية الطحاوي على مراقبي الفلاح ص 208.

⁽²⁰⁴⁾ تنبيه الفكر إلى حقيقة الذكر ص 42.

من ثيابه لأنه مجلس الله عز وجل ولا ينظر بعضهم بعضاً لأنه مانع من الحضور بل يغمض عينيه).

ثم إن الجماعة قوة قال الله تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾^[211] والحجارة لا يستطيع كسرها إلا الجماعة وقد شبه الله تعالى القلوب القاسية بالحجارة في شدة قساوتها فقال عز من قائل: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾^[222] فكما أن الحجارة لا يستطيع كسرها إلا الجماعة فكذلك القلب القاسي يسهل تليينه إذا تساعدت عليه جماعة الذاكرين.

الحب في الله

(الرابعة الشريفة)

يقول محقق كتاب مكتوبات العارف بالله الشيخ خالد النقشبندي في مقدمته على كتاب المكتوبات ما نصه: (الإنسان لا يخلو من رابطة ما فمن مرابط لماله ومن مرابط لحرفته ومن مرابط للنساء ومن مرابط لأصحابه وأخذانه إلى غير ذلك فالرابطة في إصلاح الصوفية ليست إلا عبارة عن نفي هذه الروابط عن القلب وصرفه عنها وربطه بالشيخ وتخليه كأنه معه ومن المقرر أن إعمال الفكر في أمر من الأمور ربطه به على سبيل المحبة لاسيما إذا استولت هذه الخطرة على القلب يعمل في نفس الإنسان عمل مزاوله ذلك الأمر فإعماله في الأمور المحمودة محمود وفي الأمور المذمومة مذموم...).

[211] سورة آل عمران الآية (103).

[222] سورة البقرة الآية (74).

وقال الشيخ خالد النقشبندي: الرابطة هي من أعظم أسباب الوصول بعد التمسك التام بالكتاب العزيز وسنة الرسول⁽¹¹⁾.

وقال من الأئمة الشافعية الإمام الغزالي في الإحياء وفي باب تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن من الصلوات ما نصه: (وأحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشخصه الكريم وقل السلام عليك أيها النبي وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه). وقال منهم العلامة الشهاب ابن حجر المكي شيخ الشهاب الخفاجي في شرح العباب في بيان معاني كلمات التشهد ما نصه: وخوَّط صلى الله عليه وآله وسلم كأنه إشارة إلى أنه تعالى يكشف له عن المصلين من أمته حتى يكون كالحاضر معهم ليشهد لهم بأفضل أعمالهم وليكون تذكرو حضوره سبباً لمزيد الخشوع والخضوع ثم أيده بما مر عن الإحياء.

وقال منهم أيضاً محشي الأشباه: أحمد بن محمد الشريف الحموي في كتابه: (نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى والكرامة بعد الانتقال) ما خلاصته: (إن الأولياء يظهرون في صور متعددة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم وحمل على هذا المعنى ما في بعض روايات الحديث الصحيح حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: (ينادي من كل باب من أبواب الجنة بعض أهل الجنة) فقال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهل يدخل من تلك الأبواب كلها؟ فقال: (نعم وأرجو الله أن تكون منهم)⁽²⁾. والأنبياء يظهرون في صور متعددة أكثر من باب أولى كما حصل مع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حين مر بسيدنا موسى صلى الله عليه وآله وسلم في قبره فوجده يصلي ليلة إسرائه ثم صلى به في المسجد الأقصى ثم وجده في السماء السادسة وهو الذي كان سبباً في تخفيف الصلاة من الخمسين إلى خمس وأجساد الأنبياء لا تبلى وهم أحياء في قبورهم.

وقال منهم الحافظ الجلال السيوطي في رسالة حافلة ألفها في مثل هذه المادة سماها (كتاب المنجلي في تطور الولي) نقلاً عن الإمام السبكي الشافعي في (الطبقات الكبرى): (الكرامات أنواع... إلى أن

(11) الرسالة الخالدية في الطريقة النقشبندية (25).

(2) أخرجه البخاري (1789) ومسلم (1027) والترمذي (3674).

قال: الثاني والعشرون: التطور بأطوار مختلفة وهو الذي يسميه الصوفية المثال وبنوا عليه تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال واستأنسوا بقوله تعالى ﴿فتمثل لها بشرا سويا﴾⁽³¹⁾.

وقال منهم أيضا العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية في كتابه (الروح): إن للروح شأنًا آخر غير شأن البدن وتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة ببدن الميت بحيث إذا سلم على صاحبها رد السلام وهي من مكانها هناك انتهى نقلا عن الحافظ السيوطي في كتابه المنجلي.

وقد جاء في كتاب (رشحات عين الحياة) أيضا في معنى قوله تعالى ﴿وكونوا مع الصادقين﴾⁽⁴²⁾ أن الكينونة معهم معنيين: كينونة بحب الصورة وهي التزام مجالسة أهل الصدق ومصاحبتهم حتى ينور باطنه بأنوار صفاتهم وأخلاقهم بسبب دوام الصحبة معهم وكينونة بحسب المعنى وهو أن يلتزم طريق الرابطة بحسب الباطن بطائفة يستحقون الوساطة ولا تنحصر الصحبة في المجالسة الصورية والنظر بالعين بل ينبغي أن يجعل الصحبة دائمة وأن يتجاوز عن الصورة إلى المعنى حتى تكون الوساطة في نظره دائما ويكون المقصود الأصلي حاصلًا حقيقة بتلك الوساطة.

وقال الإمام الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) في باب تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة: فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه.

وأما الاعتدال قائمًا فإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطأطأًا منتكسًا وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيها على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن التروؤس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول المطلاع عن العرض للسؤال واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله عز وجل وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كائنه من رجل صالح من أهلك أو

(131) سورة مريم الآية (17).

(142) سورة التوبة الآية (119).

من ترغب في أن يعرفك بالصلاح فإنه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع وإذا أحسست من نفسك بالتهاusk عن ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها: إنك تدعين معرفة الله وحبه ألا تستحين من استجرائك عليه؟ مع توكيرك عبدا من عباده أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن يخشى؟ ولذلك لما قال أبو هريرة: كيف الحياء من الله؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم «تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك»⁽⁵¹⁾.

وقال الشهاب بن حجر في الفتاوى الصغرى إن الرابطة هي الطريقة السالمة من كدرات جهلة الصوفية وهي مندوبة لأنها من الوسائل الموجبة لدفع الخطرات ونفي الغفلة والوسائل لها حكم المقاصد والأمر الذي لم ينه عنه الشرع يسوغ فعله إما عن طريق الإباحة إن أدى إلى مباح أو الندب إن أوجب مندوبا أو الواجب إن حصل واجبا لا يحصل بغيره.

فقد حصل لنا بالتجربة أنا إذا تصورنا الرابطة انتفت عنا الأغيار كلها وبقي هذا الغير وحده فتعرض حينئذ وهذا مثل إنسان له أعداء فتودد إلى بعضهم وسلطه على باقيهم فإذا أهلكهم عنه لم يبق إلا واحد فيقدر على إزالته فيزيله وهذا وجه ينبغي للمنصف أن يتأمله فإنه ظاهر الحسن مطابق للواقع لأن الرابطة ليست مرادة لعينها بل مرادة لغيرها.

وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾⁽⁶²⁾، والوسيلة بالأعمال الصالحات ولا تكون الأعمال الصالحة إلا بالإخلاص ولا يكون العمل خالصا إلا إذا خلا من الشوائب وقد حصل بالتجربة أنا إذا اشتغلنا بالرابطة خلت أعمالنا من شوائب الغفلة والعمل في الغفلة غير معتد به لأنه لا يكتب للعبد من صلواته إلا ما عقل منها فهي من الوسائل الموجبة للغفلة وزوال الغفلة مقصود وما أوصل إلى المقصود فهو مقصود ومن لوازم زوال الغفلة الحضور وهو من أشرف الوسائل والرابطة لزوال الغفلة فهي أيضا من أشرف الوسائل الموجبة للخشوع والحضور ومن أوثق الأسباب لتذكر العبد أثناء الذكر أو غيره أنه عبد لله وأنه إنما يجلس بين يدي رب العزة

⁽¹⁵¹⁾ أخرجه الخرائطي والبيهقي في الشعب (العراقي على إحياء علوم الدين) (166/1).

⁽⁶²⁾ سورة المائدة الآية (35).

والجلال من بيده مقاليد أمره كله ومن لا يستطيع جميع الناس ولو اجتمعوا أن يلحقوا به ضرا أو نفعاً إلا بإذنه فهل يليق به بعد هذا كله أن يجالسه بجسده وقد شئت قلبه وفكره هنا وهناك وهو يعلم أنه يعلم السر وأخفى فتراه عندها يهرع إلى الرابطة وما ذاك إلا عملاً بقوله الصريح صلى الله عليه وآله وسلم «خير الوجوه من إذا رأيتك ذكرت الله»⁽⁷¹⁾ فينقطع بذلك كل ما يشوشه أو يعرقل تفكره في خالقه وجليسه جل وعلا وحسبنا هذا الحديث دليلاً لمن يرضى بقول الله وقول رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويخضع من خلالها للحق ويصم سمعه عن الافتراء ولسانه عن الجدل والمراء ويكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر يجمع بين المسلمين ولا يفرقهم.

ويقول الإمام الغزالي في الصحيفة (169) من الجزء الأول أيضاً عن الكلام على الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (واحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشخصه الكريم وقل: سلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين).

ويقول العارف بالله المرحوم الشيخ محمد أمين الكردي الإربلي الشافعي النقشبندي المتوفى سنة (1332) هـ صاحب كتاب (تنوير القلوب) في هذا عند بيان آداب الذكر عن السادة النقشبندية: (التاسع: رابطة المرشد: وهي مقابلة قلب المريد بقلب شيخه وحفظ صورته في الخيال ولو في غيبته وملاحظة أن قلب الشيخ كالميزان ينزل الفيض من بحره المحيط إلى قلب المريد المرابط واستمداد البركة منه لأنه الوساطة إلى التوسل ولا يخفى ما في ذلك من الآيات والأحاديث قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾⁽⁸²⁾.

وقال تعالى ﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾⁽⁹³⁾.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم «المرء مع من أحب»⁽¹⁰¹⁾.

⁽¹⁷¹⁾ ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد بلفظ [قال رجل يا رسول الله من أولياء الله؟ قال: الذين إذا رؤوا ذكر الله] (16779) وفي رواية [إن من الناس مفاتيح لذكر الله إذا رؤوا ذكر الله] (16780) ووراه أبو يعلى (2437) والطبراني في الكبير (10476) وابن المبارك في الزهد بإسناد صحيح (218) بلفظ [قيل يا رسول الله: أي جلسائنا خير؟ قال: من ذكركم الله رؤيته وزاد في علمكم منقطة وذكركم بالآخرة عمله].

⁽²⁸¹⁾ سورة المائدة الآية (35).

⁽³⁹¹⁾ سورة التوبة الآية (1199).

وقال العارفون : (كن مع الله فإن لم تستطع فكن مع من كان مع الله).

قال الشيخ الأكبر مولانا عبد الله الأحرار المشهور بخواجه أحرار: (إن الكينونة مع الصادقين المأمور بها في كلام رب العالمين على قسمين : كون بحسب الصورة ، وهي مجالستهم حتى تنطبع فيه صفاتهم ، وكون بسحب المعنى ثم فسر الكينونة بمعنى الرابطة)⁽¹¹²⁾.
فإن قال أحد : من أين لكم أن استحضار صورة رجل في الذهن - ولو كان من الصالحين - تحصل به هذه المطالب كلها؟

وإن استحضاركم بسبب تعلق القلب؟ وإنه جائز؟

والجواب عن هذا من وجوه: الأول : قولك من أين لكم أن استحضار صورة رجل في الذهن تحصل به هذه المطالب كلها؟

أقول: قال تعالى ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾⁽¹²³⁾ ، ألا ترى أنك إذا كبرت تكبيرة الإحرام اشتغلت برابطة التاجر الذي يعطيك زكاة أو صدقة أو برابطة الحاكم أو الزير الذي يعدك بمنصب أو عطية أو برابطة أهلك ومالك أو بكل في الركعة أو السجدة وتنسى من أنت واقف بين يديه ولا تستحي منه وتنسى نفسك وتخرج من الصلاة ولا تدري أي شيء قلت، أتذكر ذلك؟! ما أراك تجحد ذلك!! ومن المعلوم أن زوال الغفلة مطلوب وهو مفتاح السعادة أن الحضور روح العبادة وزال الغفلة لا يكون إلا بنزول رحمة الله تعالى على عبده ومن أسباب نزول الرحمة: ذكر الصالحين قال سفيان بن عيينة (عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة) وذكرهم من لوازم محبتهم ومحبتهم فرض لقوله عليه الصلاة والسلام [من أحب لله وابغض لله وأعطى لله فقد استكمل الإيمان]⁽¹³⁴⁾ ومحبتهم محبة الله لقوله صلى الله عليه وآله وسلم حاكيا عن الله تعالى : «حققت محبتي على المتحابين فيّ والمتزاورين فيّ والمتبازلين فيّ والمتصادقين

⁽¹¹⁰⁾ أخرجه البخاري (5817) ومسلم (2640) وأبو داود (5127) والترمذي (32529).

⁽¹¹¹⁾ تنوير القلوب ص (5179).

⁽¹¹²⁾ سورة الحج الآية (469).

⁽¹¹³⁾ ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (249/4).

فِيَّ»⁽¹⁴¹⁾ وعداوتهم محاربة لله تعالى لقوله على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب»⁽¹⁵²⁾.

وقال الشيخ صاحب الرسالة أيضا وهو يتكلم عن رابطة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأهميتها؟ ونفع السالك في الطريق الوصول إلى مراقبة الله عز وجل ونفي ما سواه: (واعلم أيها الأخ في الله - ألهمك الله رشدك إن رابطة الشيخ الكامل توصلك إلى رابطة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك من أجل النعم واوفر القسرم ﴿وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾⁽¹⁶³⁾ والفناء في النبي صلى الله عليه وآله وسلم موجب للولوج في حضرة القدس والهيجان في مفاوز الأنس والتعرض لتفحات الله تعالى مأمور به ومحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرض وروي عن أنس أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»⁽¹⁷⁴⁾.

والنفس تدخل في عموم قوله ﴿والناس أجمعين﴾ وقد وقع التنصيص بذكر النفس في حديث عبدالله بن هشام وهو أن عمر رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال عمر رضي الله عنه فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال صلى الله عليه وآله وسلم «الآن يا عمر»⁽¹⁸⁵⁾. ويكفيك قوله تعالى ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾⁽¹⁹⁶⁾.

⁽¹⁴¹⁾ رواه ابن حبان في صحيحه (5779) وأحمد (239/5) والترمذي في الزهد باب ما جاء في الحب في الله والطبراني (168/20) وأبو نعيم في الحيلة (121/5).

⁽¹⁵²⁾ رواه البخاري (61379).

⁽¹⁶³⁾ سورة فصلت الآية (359).

⁽¹⁷⁴⁾ أخرجه البخاري (159) ومسلم (449) والنسائي (5013).

⁽¹⁸⁵⁾ أخرجه البخاري (161) وأحمد (336) (333/4).

⁽¹⁹⁶⁾ سورة الأحزاب الآية (69).

فمن هو أولى بك من نفسك فكيف لا ينبغي أن يكون أحب إليك منها؟ قال سهل رضي الله عنه
(من لم يرَ ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جميع أحواله ويرَ نفسه في ملكه لا يذوق
حلاوة سنته)⁽²⁰⁾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «من أشد أمتي لي حبا
ناس يكونون بعدي يودُّ أحدهم لو رأني بأهله وماله»⁽²¹⁾.

وفي كتاب (الشفاء) سئل علي رضي الله عنه : كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال: كان والله أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البراد على الظمأ⁽²²⁾.
وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه : خرج عمر رضي الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت
عجوز تنفث صوفا وتقول:

صلى عليه الطيبون الأخيار	على محمد صلاة الأبرار
يا ليت شعري والمنايا أطوار	قد كنت قواما بكا بالأسحار
هل تجمعني وحببي الدار	

فجلس عمر رضي الله عنه يبكي⁽²³⁾.

وروي أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما خدرت رجله فقيل له: أذكر أحب الناس إليك يزل منك
فصاح (يا محمداه) فانتشرت⁽²⁴⁾.

قال: والعم أن من أحب شيئا أثره وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق
في حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تظهر علامات ذلك عليه.

⁽²⁰⁾1 الشفا للقاضي عياض (19/2).

⁽²¹⁾2 أخرجه مسلم (2832) وابن حبان في صحيحه (72319).

⁽²²⁾3 الشفا للقاضي عياض (22/2).

⁽²³⁾4 الشفا للقاضي عياض (239/2).

⁽²⁴⁾5 الشفا للقاضي عياض (23/2) والبخاري في الأدب المفرد (964).

وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل) ثم قال لي: (يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة)^[251].

وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين.

وقال بعضهم: المحبة دوام الذكر للمحجوب.

وقال آخر: الميل الدائم بالقلب الهائم.

وقال آخر: أن تمحو من القلب ما سوى المحجوب.

وقال آخر: إيثار المحجوب على جميع المصحوب.

وقال آخر: موافقة الحبيب في المشهد والمغيب.

وقال آخر: أن تهب كلك لمن أحببت.

وحقيقة الحب: الميل إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته له إما بإدراكه كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهاها أو استلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني شريفة باطنة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة، فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء.

وقال الشهاب ابن حجر في شرح الهمزية عند قول الناظم:

فاملاء السمع من محاسن يملئها	عليك الإنشاد والإنشاء
------------------------------	-----------------------

فإنها تحدث للسمع سكرًا وأريحية وطربًا وتحريكًا للنفس إلى جهة محبوبها فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيل المحجوب وإحضاره في الذهن وقرب صورته من القلب واستيلاؤها على الفكر فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب وألذ من عشاق الشواب!

[251] أخرجه الترمذي (2680).

ومن فوائد الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم محبة المصطفى عليه صلى الله عليه وآله وسلم بل زيادة المحبة المذكورة اللازمة لها ازدياد للشوق مع استحضر للمحاسن النبوية في القلب والحنان بحيث يمثل خياله به ولا يكاد يفتر عن ذكر القلب واللسان.

واعلم أنه يتأكد على المصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يتصور وقت الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم صورته النبوية الكريمة في مرآة قلبه كأنه بين يديه سائلا من الله الصلاة والسلام عليه لأنه إذا واظب المصلي على ذلك تدوم عليه أسرار أنواره الكريمة المحمدية. واعلم ان من ثمرات الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم انطباع صورته الكريمة في النفس انطبعا ثابتا متأصلا متصلا.

وقال القاضي في (الشفاء): (إن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله لأنت أحب الي من أهلي ومالي وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء فانظر إليك وإني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلتها لا أراك فانزل الله تعالى ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾^[261] فدعاه فقرأها عليه^[272].

وفي حديث آخر: (كان رجل عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال عليه الصلاة والسلام (ما بالك؟) قال: بأبي أنت وأمي: أتمتع بالنظر اليك ، فإذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله فأنزل الله الآية)^[283].

فقد تبين من المقالات السابقة: أن الرابطة كانت تحصل للصحابة رضي الله عنهم أجمعين من شدة محبتهم وكمال اتباعهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك كان حصوله للتابعين وأتباعهم من صحبة الخلفاء الراشدين والأئمة المرشدين ولما تهادى الزمان وتكدرت بالأشغال الدنيوية قلوب الأنام وفترت عزائمهم في المحبة بالإخلاص التام احتاجوا إلى التنبيه عليها

[261] سورة النساء الآية (69).

[271] الشفاء (20/2) وانظر أسباب النزول للواحدي ص (141 ab40).

[281] الشفاء (21/2).

والتصريح بها فأمر الخلفاء المرشدين شيوخ العلم والتربية السالكين بالتكليف بها لجمع قلوبهم وتلقيح أرواحهم بأرواحهم وتأليفها لأجل الاستفادة منهم ثم عبّروا عن هذه المحبة الروحانية الدينية الرابطة لأنّ العشق والمحبة يربط قلب المحب بالمحوب وبقيده به فيحصل الارتباط الروحاني بينهما وقد يسمونها - نسبة - لانتسابه وإضافته بها اليهم فصارت اصطلاحاً شائعاً فيما بينهم كما أن لكل قوم اصطلاحاً ولما كانت الرابطة من أخص أوصافهم وأعظم أركان طريقتهم ومدار امرهم اشتهروا بها بين الناس حتى سموهم مرابطين فلم يزلوا يسمونهم في بلاد العرب بهذا الاسم إلى يومنا هذا فيعنون به الصوفية المقربين والأولياء العارفين قدس الله أسرارهم وكذلك سميت طريقتهم طريق العشق والمحبة لأن مدار الأمر والعمدة فيه كما عرفت هو المحبة الدينية للرفيق الديني والواصل الموصل إلى الله العارف بأسرار السلوك في سبيل الله وفي الله وفي تحصيل رضى الله لا لغرض مما سواه وفي مثل هذه المحبة يقول الله عز وجل في الحديث القدسي «أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»⁽¹²⁹¹⁾ ومن الصورة الواضحة لمصادقية الرابطة الشريفة الطاهرة ما حصل مع سيدنا بلا الحبشي عند سكرات الموت عندما كانت تقول له زوجته واكرباه واحزنه وهو يقول: وا فرحتاه وا طرباه غدا ألقى الأحبة محمداً وصحبه فهل نقول أن سيدنا بلالا أشرك لأنه نسي الله في هذا المقام إنه لشيء عجاب!! وهل إذا تذكر الإنسان في صلواته أمور الدنيا أشرك أيضاً فلماذا بعد هذا كله تقولون إذا تذكر الشيخ وهو يذكر الله فيكون قد أشرك؟ لذلك لا بد ان نعرف ونميز بين الشرك والحب (أي الرابطة) لذلك قالوا: من قل علمه كثر اعتراضه، ومن كثر علمه قل اعتراضه.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يقول الله عز وجل: حقت محبتي للمتحابين فيّ والمتزاورين فيّ والمتبادلين فيّ والمتصادقين فيّ)⁽¹³⁰²⁾.

⁽¹²⁹¹⁾ أخرجه الإمام مالك في الموطأ (952/2) والإمام أحمد في مسنده (237/2) ومسلم (2566) وابن حبان في صحيحه (574).
⁽¹³⁰¹⁾ أخرجه ابن حبان في صحيحه (577) وأحمد (239/5) والترمذي في الزهد باب ما جاء في الحب في الله والطبراني (168/20) وأبو نعيم في الحلية (121/5).

وفي تفسير ابن مسعود عند قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽³¹¹⁾ i عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (أ) من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانتهم من الله تعالى) قالوا: يا رسول الله! خبرنا من هم وما أعمأهم لعلنا نحبهم قال: «هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام منهم، ولا أموال يعطونها فو الله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس»⁽³²²⁾.

وهذه المحبة الاختيارية وعقلية فإن العاقل إذا تيقن منفعته وسلامته في شيء يختاره لنفسه بحكم عقله ولو كان خلاف طبعه، كشرب المريض الدواء المر باختياره بخلاف ما تحبه النفوس بالميل الطبيعي كالمحبة الكائنة بين الآباء والأولاد أو الحاصلة من النظر إلى الأشياء العجيبة والصور الجميلة فإنه جبلة اضطرارية وقد تنقلب المحبة الاختيارية اضطرارية وذلك حين مشاهدة كمالات المحبوب بعد حصول الاتحاد الروحاني بينهما ثم إن الرابطة وإن كانت أصالة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنه لا شك في جوازها أيضا لأولياء الله العارفين والمشايخ الكاملين الذين هم مأمورون بتسليك العباد وإرشادهم فإنهم آله وأتباعه ونوابه وورثته عليه الصلاة والسلام الذين أمرنا بحبهم وإكرامهم والبر بهم كما وقعت الإشارة في الحديث السابق إليهم.

فكما جازت الصلاة والتسليم عليهم تبعا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم جازت الرابطة اليهم أيضا لأنها ليست من الخصائص النبوية بل هي من لوازم الدعوة وتتمة الإرشاد والتربية وهم يشاركون فيها وفي لوازمها من حيث كونهم أتباعه ونوابه إلى يوم القيامة فكيف لا؟ ألا ترى قوله تعالى ﴿قل هذه سبيل أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾⁽³³³⁾ فانظر كيف أشركهم به في الدعوة والإرشاد وامتنالا لقوله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾⁽³⁴⁴⁾ فهم أحق

⁽³¹¹⁾ سورة يونس الآية (62).

⁽³²²⁾ أخرجه نحوه أبو داود (3527) وابن حبان في صحيحه (573) وأحمد (343/5) والحاكم في المستدرک (170/4) وصححه ووافقه الذهبي.

⁽³³³⁾ سورة يوسف الآية (108).

⁽³⁴⁴⁾ سورة الأحزاب الآية (21).

الناس اقتداء به واتباعا وتأمل - أيضا - كيف أوجب لهم الطاعة علينا بقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾^[351].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»^[362] والأعمال بدنية وقلبية فالحركات والتصورات المباحة إذا نوى بها الإنسان الطاعة أو التقوي بها عليها فله ما نوى ولو لم يدرك مراده فكيف إذا تحقق حصول المراد؟! ولا يخفى أن قول الجائع للشبعان (أنت جائع) مثلا لا يوجب له جوعا فكذلك قول المعترض (ما نرى صحة ما ترونه) لا يوجب عدم صحة رؤيتنا فعليه أن يقول: ما تدعوناه حقا، فأنتم وشأنكم ولا يسوغ له غير ذلك إن نصح نفسه^[373]!!

وقال الفقهاء: يسن للمصلي أن لا يجاوز بصره إشارته وذلك لأنه أجمع للهّم وأدفع للتفرقة فكذلك الرابطة تستعمل لدفع الأغيار واستجلاب الحضور فحين القيام في الصلاة ينظر لموضع سجوده وحين الركوع ينظر لظاهر القدمين وحين الجلوس ينظر لحجره وحين السجود ينظر لأرنبه أنفه وحين التسلیم إلى منكبيه.

وقد ورد في الأثر إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحبون عباد الله إلى الله ويمشون في الأرض بالنصيحة.

فهذا الذي ذكر في الأثر هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله^[384].

إن قيل: كيف يتصور النبي صلى الله عليه وآله وسلم من لم يره أصلا وكيف يحضره في قلبه؟ فالجواب: (يكون هذا): بمطالعة شمائله الشريفة وضبط حليته المنيفة من كتب الأحاديث الصحيحة وقد ألف العلماء الكتب الكثيرة في هذا الشأن وبينوها بأوضح بيان وإن كان ممن تشرف

^[351] سورة النساء الآية (59).

^[362] رواه البخاري (157/1) وأبو داود (2201) والترمذي (1647) والنسائي (59/1 - 60).

^[373] السفر الأسنى في الرابطة الحسنی (74).

^[384] عوارف المعارف ص (73) المطبوع بملحق إحياء علوم الدين.

بزيارة قبره عليه الصلاة والسلام فيتصور في نفسه كانه حاضر في الروضة المطهرة ومشغول بزيارته فهذا أسهل من الأول.

وهل لو شعر الإنسان قلبيا بأن عليه حافظين كراما كاتبين في كل لحظة يكون قد أشرك؟! وهل ما يخطر على بال العبد من صور الملائكة والجن والعرش والتناثيل والأشخاص وغيرها في الصلاة ومختلف العبادات يعتبر شركا؟! خصوصا إذا جاء ذكرها فيما تلوه من القرآن؟! الأصل أن المرید يبدأ دخوله الحضرة الإلهية بتصور من كان سببا في صلته بالله وفاء له وتبركا به ثم هو يفنى بعد هذا في ذهنه وتصوره بمجرد اندماجه في الذكر فهو نوع من الاستصحاب الروحي المؤقت لطرد الشيطان والخواطر الصارفة استعدادا للقيام بحق الله والاستغراق في أنواره وهو ليس من الشروط الأكيدة في السلوك ولكنه نوع من العلاج ووسائل التصفية والتنقية وطرد الشيطان وبخاصة للمبتدئين.

فلا شرك ولا خوف من شرك بل هو التوحيد كل التوحيد.

ونصيحتي في الخاتمة لهذا الباب أن أقول:

بعد وضوح هذه الأدلة الساطعة يجب عليك إذا كنت ممن يرضى بما قال الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن تنقاد للحق وتخضع وتصم سمعك عن الافتراء ولا تصحب من كذب وافتري وأن تصون لسانك عن الجدل والمراء والكذب وأن تكون مفتاحا للخير مغلاقا للشر تجمع المسلمين ولا تفرقهم فقد قال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا»^[391] ولا داعي لمحاربة الذاكرين المحبين للصالحين وهذا نوع من انواع تحريش الشيطان بين المسلمين فلا تكن بريدا له وكن على حذر وإياك ان تقطع الناس عن طريق الذاكرين الصالحين فإن الخطب جلل فعندما تقطعهم عن أهل الذكر والصالح يتصيدهم الشيطان ومحاربة إبليس وجنوده وما نرى من الكبائر التي تهز عرش الرحمن أمامي وأمامك والتي تحصل عيانا ولا تنكر

^[391] أخرجه بهذا اللفظ مسلم (4500) وأبو داود (4835) وأخرجه البخاري بلفظ «يسر ولا تعسر وسكنوا ولا تنفروا» (96) .(6125).

وكانها جائزة فمحاربتها أولى وهذا ما يقوله أي إنسان فيه حرارة الإيمان الصادق والوعي
الناضح .

المبايعة

(أخذ العهد)

مقدمة

سر المبايعة وأهميتها:

قال العارف بالله السيد حسين برهان الدين الرفاعي قدس سره حين سئل عن سر البيعة: (حد من حدود الحق يقف عنده أهل الصدق الذين صدقوا ما بايعوا الله عليه وما عاهدوا الله عليه فخافوا سؤله وعظموا جلاله فتغلب على قلوبهم سلطان الهيبة وأخذهم من علة نفوسهم إلى حضرته العلية فانطمست قوايس أوهامهم بأشعة أنوار عظمته فإذا سول لهم الشيطان خروجاً أو دخولاً وقفوا على قدم الاستقامة ذاكرين الله قائلين ﴿إن العهد كان مسؤولاً﴾⁽¹¹¹⁾ أولئك ﴿الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾⁽²²⁾ وانحجبت بصائرهم عن غيره فأبصروه بها وعن الأغيار تعاموا وعلى طريق رضاه قعدوا والى داعيه قاموا وما البيعة إلا بيعة النفس وقطع علائقها والأعنة: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾⁽³³⁾. فإن انطبع المبايع على الصدق ودخل حضرة قوم تجردوا من علائق رطبهم ويابسهم فقد لوحظ من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمعونة ﴿النبي أولى بالمؤمنين

(111) سورة الإسراء الآية (34).

(22) سورة فصلت الآية (30).

(33) سورة التوبة الآية (111).

من أنفسهم ﴿٤١١﴾ وعلى هذا يقوم منار الأمر ويتم نظام الخير وتصح الوصلة إلى الله ويأخذ القلب عن الله ويصير العبد صفة من صفات الله يصل بالله ويقطع بالله ويتكلم عن الله ويستهدي بالله ويسير إلى الله ويعان من الله عز وجل قال الله لحبيبه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿٥١٢﴾ إن الذين يبايعونك إنما يبايعونك الله ﴿٥١٢﴾ وإن بيعة الإمام المين والصادق الأمين عليه الصلاة والسلام نافذة سارية باقية هي هي تتلقاها النفس السليمة وتعقد عليها الأكف الكريمة لا تبديل لكلمات الله وأهل الله نواب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿٦٣﴾.

الأدلة على مشروعية المبايعة (أخذ العهد):

أ - من القرآن الكريم:

- 1 - قال تعالى ﴿٧٤﴾ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴿٧٤﴾.
- 2 - قال أيضا ﴿٨٥﴾ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ﴿٨٥﴾.
- 3 - قال أيضا ﴿٩٦﴾ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً ﴿٩٦﴾.

ب - من السنة:

أولا بيعة الرجال:

- 1 - عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه (بايعوني على أن لا تشرکوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا

(14) سورة الأحزاب الآية (6).

(25) سورة الفتح الآية (10).

(36) السير والمساعي ص (222 - 224).

(47) سورة الفتح الآية (10).

(58) سورة النحل الآية (91).

(91) سورة الإسراء الآية (34).

فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه) فبايعناه على ذلك⁽¹⁰¹⁾.

2 - وعنه رضي الله عنه أيضاً أنه قال: (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع في الأمر أهله وأن نقول الحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)⁽¹¹²⁾.

ثانياً بيعة النساء:

1 - عن السيدة أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها أنها قالت: أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نسوة يبايعنه فقلنا: يا رسول الله نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزنى ولا نأتي بهتان نفترينه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيك في معروف قال (فما استطعتن وأطقتن) قالت: الله ورسوله أرحم بنا هلم نبايعك يا رسول الله! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة أو مثل قولي لامرأة واحدة»⁽¹²³⁾.

2 - وعن سيدنا عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تباعه على الإسلام فقال: «أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئاً ولا تسرقني ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي بهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا تنوحني ولا تبرجي تبرج الجاهلية الأولى»⁽¹³⁴⁾.

⁽¹⁰¹⁾ أخرجه البخاري (18) واللفظ له، ومسلم (4436) والترمذي (1439) والنسائي (4172) وأحمد (314/5) والحميدي (387) والدارمي (2362).

⁽¹¹¹⁾ أخرجه البخاري (7199) ومسلم (4745) واللفظ له والنسائي (4060) وابن ماجه (2866) وأحمد (316/5) ومالك (445/2 - 446) وابن حبان (4547) والبعوي (2456).

⁽¹¹²⁾ أخرجه الترمذي (1597) مختصراً وقال (حديث حسن صحيح) والنسائي (4192) واللفظ له وابن ماجه (2874) مختصراً وأحمد (357/6) والحميدي (341) ومالك (982/2 - 983) والبيهقي (146/8) والطيالسي (1621) وابن حبان (4553) والطبراني في الكبير (24 برقم 470) وصححه الحاكم (17/4) ووافقه الذهبي.

⁽¹³⁴⁾ أخرجه أحمد (196/2) ورجاله ثقات كذا في (مجمع الزوائد) (9858).

3 - وعن السيدة سلمى بنت قيس رضي الله عنها وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد صلت معه القبلتين وكانت إحدى نساء بني عدي بن النجار قالت: جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبايعته في نسوة من الأنصار فلما شرط علينا أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا ننزى ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف قال (ولا تغششن أزواجكن) قالت: فبايعناه ثم انصرفنا فقلت لامرأة منهن ارجعي فاسألني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما غشُّ أزواجنا؟ قالت: فسألته فقال: (تأخذ ماله فتحابي به غيره)⁽¹⁴¹⁾.

ثالثاً: بيعة من لم يحتلم:

1 - عن سينا محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بايع الحسن والحسين وعبدالله بن عباس وعبدالله بن جعفر رضي الله عنهم وهم صغار لم يبلغوا قال: ولم يبايع صغيراً إلا منا⁽¹⁵²⁾.

وعن سيدنا عبدالله بن الزبير وعبدالله بن جعفر رضي الله عنهما أنهما بايعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهما ابنا سبع سنين فلما رأهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبسم وبسط يده فبايعهما⁽¹⁶³⁾.

المرشد

أهمية المرشد

⁽¹⁴¹⁾ أخرجه أحمد (279/6 - 380) وأبو يعلى (7070) والطبراني في الكبير (24 برقم 751) ورجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد (9863).

⁽¹⁵¹⁾ أخرجه الطبراني في الكبير (2843) وهو مرسل ورجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد (9875).

⁽¹⁶¹⁾ أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط (3426) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (15538).

يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ولكل قوم هاد﴾⁽¹¹¹⁾ فدل على أن قضية المعلم الهادي والدليل المرشد ضرورة لزومية طبعاً وشرعاً ومن هنا أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾⁽²²²⁾ ولم يدع الناس لأفكارهم وحدها وإن سمت فإن العقل مهما بلغ فهو محل للخطأ ولأن العلم وحده قد يكون طريق الهلاك والأدلة شتى في تواريخ الفلاسفة والمفكرين بين العقليين وأصحاب المذاهب الاجتماعية المختلفة والواقع المكرر.

ومن هنا وجد الإشراف والتوجيه البشري في كل شيء سواء كان وظيفة أو تجارة أو تعليماً أو احترافاً أو إدارة أو غير ذلك.

ومن هنا جاء أمر الله باتخاذ القدوة الصالحة: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾⁽³³³⁾ ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه﴾⁽⁴⁴⁴⁾.

ولا تكون القدوة حسنة إلا إذا كان الله غايتها: ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾⁽⁵⁵⁵⁾ ﴿ولا تتبع سبيل المفسدين﴾⁽⁶⁶⁶⁾ ﴿يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد﴾⁽⁷⁷⁷⁾ ﴿اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون﴾⁽⁸⁸⁸⁾ وعندما ذكر الله أنماطاً من أهل القدوة الصالحة الداعية إليه تعالى في سورة الأنعام قال لرسوله: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾⁽⁹⁹⁹⁾.

ولو شاء الله لأنزل كتاباً بغير نبي ولكنه لم ينزل كتاباً إلا وأنزل معه نبيه ليبين للناس ما نزل إليهم.

(111) سورة الرعد الآية (7).

(222) سورة الإسراء الآية (15).

(333) سورة الأحزاب الآية (21).

(444) سورة الممتحنة الآية (4).

(555) سورة لقمان الآية (15).

(666) سورة الأعراف الآية (142).

(777) سورة غافر الآية (38).

(888) سورة يس الآية (21).

(999) سورة الأنعام الآية (90).

ربما كان الأخذ بالسليم عن الكتاب السليم فيه الأجر فقط أما الأخذ عن الشيخ ففيه الأجر وفيه الوصول معا لأن فيه سر الإمداد بالبركة وربط المريد بالحبل المحمدي وذلك اشبه بالتيار الكهربائي لا ينتقل الا بالموصل.

وفي قضية جبريل والنبي صلى الله عليه وآله وسلم معنى اتخاذ المرشد الهادي والدليل المعلم وإلا فربما كان يكفي النور الإلهي المنقذ في القلب المحمدي عن مصاحبة جبريل والأخذ عنه. وقد طلب سيدنا موسى الشيخ المعلم المرشد الهادي الدليل وسعى إليه حتى وجده في العبد الصالح وتلمذ عليه ولم يكتف بأنه كان كليم الله. وهل يمكن لأي إنسان أن يقرأ القرآن قراءة صحيحة بغير موفق خبير؟! وكذلك شأن جميع الصناعات والفنون.

إن اتخاذ الشيخ مما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كما رأيت طبعا وشرعا ومؤيدا بالواقع العلمي والتاريخي والموضوعية التي لا تقبل النقاش ومجال اتخاذ الشيخ إن خلا شغله الشيطان بيقين وقد أشار الله سبحانه إلى أهمية القدوة والمرشد بآيات كثيرة منها قوله تعالى ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾⁽¹⁰¹⁾ وقوله ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾⁽¹¹²⁾ وقوله ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾⁽¹²³⁾ وقوله ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾⁽¹³⁴⁾ وقوله ﴿الرحمن فاسأل به خبيرا﴾⁽¹⁴⁵⁾.

إذن فلا بد من هاد ذي قدرة ذي ذكر خبير بوسائل الفرار إلى الله والهجرة إليه وإن لم يكن للمريد شيخ في العلم ضل وافترسه الشيطان واستهواه وجعل إلهه هواه فهلك وما لم يكن للمرء معلم في بقية الصناعات لما أصاب ولما أجاد وربما هلك وهو يطلب الحياة ولا بد للسالك أيضا إلى الله من إمام يرشده ويوجهه ويسدده ويكشف له أحابيل الشيطان في العبادات والمعاملات والخطوات

[101] سورة الأنبياء الآية (7).

[111] سورة فاطر الآية (14).

[12] سورة الأنعام الآية (90).

[13] سورة لقمان الآية (15).

[14] سورة الفرقان الآية (59).

النفسية والإرادات القلبية التي قد تكون على صاحبها أخطر من الكفر الصريح لأن من أراد الله هدايته هيء له مرشداً وإلا فقد قال الله تعالى ﴿ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا﴾⁽¹⁵¹⁾. وإن المنهج التربوي يحتم وجود معلم ومتعلم والسلوك الصوفي يؤكد بشكل قطعي وجود المربي المعلم والمرشد ويشترط علماء التصوف في هذا المنهج وجود الشيخ المربي الذي سمت روحه إلى درجة الإحسان وعرجت نفسه في معارج الكمال وتهذبت أخلاقه وتنامت قدراته الروحية والعقلية إلى درجة القرب والأنس والطمأنينة الكاملة.

والرسول عليه الصلاة والسلام كانت له وظيفة كبرى قبل التعليم وهي التزكية قال تعالى ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾⁽¹⁶²⁾.

والمعلم دوره خطير في تزكية النفوس وتطهيرها من عيوبها وتخليصها من امراضها ثم الرقي بالنفس إلى مراحل متقدمة في السلوك الإسلامي الصحيح ومكانة المربي هي وراثه للقدوة المحمدية الكاملة ولذا قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «العلماء ورثة الأنبياء»⁽¹⁷³⁾. والشيخ العارف بالله والعالم بكتابه والمقتدي بسنة نبيه عليه الصلاة والسلام هو الصادق الذي لا بد لنا من الحياة معه والاسترشاد بمواعظه والتأدب في مجلسه وحسن الاستماع له والعمل بالوصايا التي يأمر بها وخاصة إن كانت متقيدة بالدليل الشرعي القاطع.

وهو من أولياء الله الذين قال عنهم في كتابه العزيز: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾⁽¹⁸⁴⁾.

وقد أمر الله تعالى المسلمين أن يعيشوا مع الصادقين قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾⁽¹⁹⁵⁾.

⁽¹⁵¹⁾ سورة الكهف الآية (17).

⁽¹⁶²⁾ سورة البقرة الآية (151).

⁽¹⁷³⁾ رواه البخاري معلقا (1 - 37) وأبو داود (3641) والترمذي (2683) وابن ماجه (223) وصححه ابن حبان (80).

⁽¹⁸⁴⁾ سورة يونس الآية (62 - 64).

⁽¹⁹⁵⁾ سورة التوبة الآية (119).

والصادقون في كتاب الله هم كما قال الله تعالى ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾⁽²⁰¹⁾.

ولذا نجد أن وجود المربي في العملية التربوية الروحية والسلوك الإيماني والتزكية النفسية حتم مطلوب شرعا وعقلا وعملا.

والدليل الشرعي لأهمية المربي والمعلم والمرشد هو قول الله تعالى ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾⁽²¹²⁾ فهو لاء الذين نفروا ليتفقهوا في الدين ولتعمقوا في السلوك التربوي السليم والذين تكاملت صفاتهم النفسية وازداد قربهم إلى الله تعالى سلوكا وفكرا ونضوجا فهم الذين يكونون قادرين على تزكية النفوس وتطهيرها من أمراضها المتعددة .

فالشيخ العارف بالله تعالى يختصر لك طريق السلوك فيعطيك خلاصة ما وصل إليه ويعينك على كشف خفايا نفسك وأمراضها لتتخلص منها ولا ريب في أنك بصحبة الشيخ تأخذ منه حالا ترتقي به ولذا قيل: لا تصاحب من لا ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله.

وقصة نبي الله موسى عليه السلام مع المعلم قد وردت بالتفصيل وترشد السالكين إلى درب العلم اللدني قال الله تعالى عن المعلم الذي اتخذه موسى عليه السلام: ﴿فوجدنا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما، قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا، قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا، قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا﴾⁽²²³⁾ وهذا دليل شرعي على حاجة الناس إلى المعلم والمربي الذي علم ما لم يعلموا وفقه ما لم يفقهوا.

وإن الارتباط الروحي بين الشيخ والمريد يولد الطاقة التربوية للعروج بالمريد السالك في مقامات واحوال السلوك الروحي الرفيع.

⁽¹²⁰⁾ سورة الحجرات الآية (15).

⁽²¹²⁾ سورة التوبة الآية (122).

⁽²²³⁾ سورة الكهف من الآية (65 - 69).

وقلما يعرف الرجل نقائص النفس وعلل الباطن وإذا عرفت وفهمت فقلما يعرف الرجل طرق علاجها وإصلاحها وإذا علم ذلك وعرف لتعسر إذن العمل به لصراع النفس ومن هنا يحتاج الإنسان إلى الشيخ الكامل لأنه هو الذي يعرفه بهذه الأمور بعدما يتفهمها ويتعرفها ثم يصف لها علاجاً وتدبيراً لها (231).

• شروط المرشد وصفاته:

من شروطه أن يكون عالماً بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وينبغي أن يكون موصوفاً بصفات أهل الكمال ويكون معرضاً عن حب الجاه والدنيا وما أشبه ذلك ويكون قد أخذ الطريق عن شيخ محقق تسلسلت متابعته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وارتاض بأمره رياضة بالغة من قلة الطعام والكلام والنوم وقلة الاختلاط مع الأنام وكثرة الصلاة والصيام والصدقة ونحو ذلك وبالجملة يكون متخلقاً بأخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ولا يصلح للتربية والمشیخة المجذوب فإنه وإن ذاق المقصود لكنه لم يذق الطريق إلى الله وكذا لا يصلح للمشيخة السالك فقط .

وكان أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى يقول: قد درج أشياخ الطريق كلهم على أن أحداً منهم لم يتصدر للطريق إلا بعد تبخره في علوم الشريعة ولم يكن أحد في عصر من العصور إلا وعلماء ذلك الزمان يتواضعون له ويعملون بإشارته (242).

وقال الإمام أبو العباس المرسي رحمه الله تعالى: من كان فيه خمس خصال لا تصح مشيخته:

- 1 - الجهل بالدين .
- 2 - وإسقاط حرمة المسلمين .
- 3 - والدخول فيما لا يعني .

(1[23]) بين التصوف والحياة ص (217).

(2[24]) الأنوار القدسية للإمام الشعراني ص (63).

4 - واتباع الهوى في كل شيء .

5 - وسوء الخلق من غير مبالاة .

وقال ابن عطاء السكندري رحمه الله تعالى : سمعت شيخنا أبا العباس المرسي رضي الله

عنه يقول : (العارف لا دنيا له ولا آخرة لأن دنياه لآخرته وآخرته لربه)^(1[25]) .

وعرفه الشيخ الاكبر ابن عربي قدس الله سره فقال : الشيخ نواب الحق في العالم كالرسل

عليهم الصلاة والسلام في زمانهم بل هم الورثة الذين ورثوا علم الشرائع عن الأنبياء

عليهم السلام غير انه لا يشرعون فلهم رضي الله عنهم حفظ الشريعة في العموم وليس لهم

التشريع ولهم حفظ القلوب ومراعاة الآداب في الخصوص وهم من العلماء بالله بمنزلة

الطبيب وقد جمع الشيخ بين الأمرين .

والشيخ هم العارفون بالكتاب والسنة قائلون بها في ظواهرهم متحققون بها في سرائرهم

يراعون حدود الله تعالى ويوفون بعهد الله قائلون براسم الشريعة لا يتأولون في الورع

أخذون بالاحتياط مجانبون لأهل التخليط مشفقون على الأمة لا يمقتون أحدا من العصاة

يجبون ما أحب الله ويبغضون ما أبغض الله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر المجمع

عليه يسارعون في الخيرات ويعفون عن الناس يوقرون الكبير ويرحمون الصغير يميطنون

الأذى عن الطريق طريق الله وطريق الناس يؤدون حقوق الناس يبرون عباد الله هينون

لينون رحماء بين خلق الله .

وشرط الشيخ يلقي المرید إليه نفسه :

ذوق صريح وعلم صحيح وهمة عالية وحالة مرضية وبصيرة نافذة فمن فيه ما مضى من

الوصف صحت مشيخته ويحق له التصدر للإرشاد أما إن كان جاهلا بالدين متهاونا

بحرمة المسلمين يتدخل فيما لا يعنيه متبعا للهوى في كل شيء سيء الخلق مجالسا

(1[25]) تاج العروس ص (90) .

للأحداث يطمع بما في أيدي الناس فهذا شيطان أخرس ليس له حظ في المشيخة والأولى أن يرشد نفسه^[261].

وقال سيدي السيد أحمد عز الدين الصياد قس سره: اعلم أن من تصدر للمشيخة في هذه الطريقة العلية الرفاعية فقد جلس على بساط النيابة عن شيخ الأمة سيدنا أحمد الرفاعي رضي الله عنه فيجب عليه أن يكون عالما بما أمره الله ونهاه عنه فقيها في الأمور التعبدية حسن الأخلاق طاهر العقيدة عارفا بأحكام الطريقة سالكا مسلكا كاملا شيخا زاهدا متواضعا حمولا للأثقال صاحب وجد وحال وصدق مقال ذا فراسة وطلاقة لسان في تعريف أحكام الطريقة متبرئا عن عوائق الشطح طارحا ربة الدعوى والعلو محبا لشيخه حافظا شأن حرمة في حياته وبعد مماته يدور مع الحق أين دار منصفنا في أقواله وأفعاله متكلا على الله في جميع أحواله.

وذكر شيخنا السيد محمد أبو الهدى رحمه الله تعالى في كتابه (العقد النضيد في آداب الشيخ والمريد) فقال: وينبغي أن يتصف الشيخ المسلك باثنتي عشرة صفة:

- ✓ صفتان من حضرة الله تعالى وهما: الحلم والستر.
- ✓ وصفتان من حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهما: الرأفة والرحمة.
- ✓ وصفتان من حضرة الصديق الأكبر رضي الله عنه وهما: الصدق والتصديق.
- ✓ وصفتان من حضرة الفاروق الأعظم رضي الله عنه وهما: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

✓ وصفتان من حضرة عثمان بن عفان ذي النورين رضي الله عنه وهما: الحياء والتسليم.

✓ وصفتان من حضرة علي الكرار رضي الله عنه وهما: الزهد الأتم والشجاعة. ومتى اتصف الشيخ بهذه الأوصاف وتمكنت قدمه وذكت شيمه صح أن يكون قدوة في الطريق.

^[261] حقيقة الصوفية ص (29 - 31).

وقد نقل نحو ذلك من حضرة السيد الشيخ عبدالقادر الكيلاني قدس الله سره ومن كلامه رضي الله عنه وأرضاه في وصف الشيخ المرشد في هذه الأبيات الشريفة:

وإلا فدجال يقود إلى جهل	إذا لم يكن للشيخ خمس فوائد
ويبحث عن علم الحقيقة عن اصل	عليم بأحكام الشريعة ظاهرا
ويخضع للمسكين بالقول والفعل	ويظهر للوراد بالبشر والقري
عليم بأحكام الحرام من الحل	فهذا هو الشيخ المعظم قدره
مهذبة من قبل ذو كرم كلي ⁽²⁷¹⁾	يهذب طلاب الطريق ونفسه

وقال الشيخ عبدالعزيز الدباغ قدس الله سره: ولشيخ التربية علامات ظاهرة وهي:

- ✓ أن يكون سليم الصدر على الناس.
 - ✓ أن يكون كريما إذا طلبته أعطاك.
 - ✓ وأن يحب من أساء إليه.
 - ✓ وأن يغفل عن خطايا المريدين.
 - ✓ وأن يكون الشيخ خاليا من الأهواء وأن يكون ذا بصيرة ولا يكون مغترا⁽²⁸²⁾.
- وقال الشيخ عبدالقادر عيسى رحمه الله تعالى في كتابه (حقائق عن التصوف) متحدثا عن الوارث المحمدي وشروطه: (ومما سبق يتبين أهمية صحة الوارث المحمدي للترقي في مدارج الكمال وتلقي دروس الآداب والفضائل واكتشاف العيوب الخفية والأمراض القلبية. ولكن قد يسأل سائل كيف الاهتداء إليه؟ والوصول إلى معرفته؟! وما هي شروطه وأوصافه؟! فنقول:

حين يشعر الطالب بحاجته إليه كشعور المريض بحاجته إلى الطبيب عليه ان يصدق العزم ويصحح النية ويتجه إلى الله تعالى بقلب ضارع منكسر يناديه في جوف الليل ويدعوه في سجوده وأعقاب صلواته: (اللهم دلني على من يدلني عليك وأوصلني إلى من يوصلني إليك).

^(1[27]) السير والساعي ص (208 - 211). ن.

^(2[28]) الإبريز ص (119 - 121).

ثم عليه ان يبحث في بلده ويفتش ويسأل عن المرشد بدقة وانتباه غير ملتفت لما يشيعه بعضهم من فقد المرشد المربي في هذا الزمن^(1[291]) فإذا لم يجد أحدا في مدينته فليبحث عنه في مدن أخرى ألا ترى المريض يسافر إلى بلدة ثانية للتداوي إذا لم يجد الطبيب المختص أو حين يعجز اطباء مدينته عن تشخيص دائه ومعرفة دوائه . ومداواة الأرواح تحتاج إلى أطباء أمهر من أطباء الأجسام وللمرشد شروط لا بد منها حتى يتأهل لإرشاد الناس وهي أربعة:

✓ أن يكون عالما بالفرائض العينية.

✓ وأن يكون عارفا بالله تعالى.

✓ وان يكون خبيرا بطرائق تزكية النفوس ووسائل تربيتها.

✓ وان يكون مأذونا بالإرشاد من شيخه.

1 - أما الشرط الأول: فينبغي أن يكون المرشد عالما بالفرائض العينية: كأحكام الصلاة والصوم

والزكاة إن كان مالكا للنصاب واحكام المعاملات والبيوع إن كان ممن يتعاطى التجارة...

وأن يكون عالما بعقيدة أهل السنة والجماعة في التوحيد فيعرف ما يجب لله تعالى وما يجوز وما

يستحيل إجمالا وتفصيلا وكذلك في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وهكذا سائر أركان

الإيمان.

(1[291]) يقول ابن عجيبة رحمه الله تعالى : (والناس في إثبات الخصوصية وفيها على ثلاثة أقسام:

1 - قسم اثبتوها للمتقدمين ونفوها عن المتأخرين وهم أفتح العوام.

2 - وقسم أقروها قديما وحديثا وقالوا إنهم أخفيا في زمانهم فحرمهم الله بركتهم.

3 - وقوم أقروا الخصوصية في أهل زمانهم مع إقرارهم بخصوصية السلف وعرفوهم وظفروا بهم وعظموهم وهم السعداء الذين أراد الله ان

يرحلهم إليه ويقربهم إلى حضرته وفي الحكم: (سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه).. وبهذا يرد على من زعم أن شيخ التربية انقطع فإن قدرة الله تعالى عامة وملك الله قائم والأرض لا تخلوا ممن

يقوم بالحجة حتى يأتي أمر الله) - البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (77/1) وبحضرتي في هذا الموضوع أبيات

لبعضهم يرد فيها على من يدعي أن المرشدين قد عدموا في هذا العصر أو قلوا قال:

يقول قوم عن هداهم ضلوا	قد عُدموا في عصرنا أو قلوا
فقلت: كلا إنما قد جلوا	عن أن تراهم أعين الجهال

وقد أدركنا والحمد لله في زماننا هذا رجالا عارفين مرشدين قد توفرت فيهم شروط التربية على الكمال ذوي همة وحال ومقال تخرج على أيديهم خلق كثير وانتفع بهم جم غفير ولكن الخفاف لا يستطيع أن يبصر النور.

- 2 - اما الشرط الثاني: فينبغي أن يتحقق المرشد بعقيدة أهل السنة والجماعة عملا وذوقا بعد أن عرفها علما ودراية، فيشهد في قلبه وروحه صحتها ويشهد أن الله تعالى واحد في ذاته واحد في صفاته واحد في أفعاله ويتعرف على حضرات أسماء الله ذوقا وشهودا ويرجعها إلى الحضرة الجامعة ولا يشتهبه عليه تعدد الحضرات إذ تعدد الحضرات لا يدل على تعدد الذات.
- 3 - وأما الشرط الثالث: فلا بد أن يكون قد زكى نفسه على يد مرب ومرشد فخبير مراتب النفس وأمراضها ووساوسها وعرف أساليب الشيطان ومدخله . وآفات كل مرحلة من مراحل السير وطرائق معالجة كل ذلك بما يلائم حالة كل شخص وأوضاعه.
- 4 - وأما الشرط الرابع: فلا بد للمرشد أن يكون قد أجزى من شيخه بهذه التربية وهذا السير فمن لم يشهد له الأخصائيون بعلم يدعيه لا يحق له أن يتصدر فيه بالإجازة: هي شهادة أهلية الإرشاد وحياسة صفاته وعليها أسست الآن فكرة المدارس والجامعات فكما لا يجوز لمن لا يحمل شهادة الطب أن يفتح عيادة لمداواة المرضى ولا يصح لغير المجاز في الهندسة أن يرسم مخططا للبناء وكما لا يجوز للذي لا يحمل شهادة أهلية التعليم أن يدرس في المدارس والجامعات فكذلك لا يجوز أن يدعي الإرشاد غير مأذون له به من قبل مرشدين مأذونين مؤهلين يتصل سندهم بالتسلسل إلى رسول الله⁽³⁰¹⁾.
- وكما أنه لا يصح من العاقل أن يتداوى عند جاهل الطب كذلك لا يجوز للمرء ان يركن إلى غير المرشد المأذون المختص بالتوجيه والإرشاد وكل من درس الوضع العلمي في الماضي يعرف قيمة الإجازة من الأشياخ وأهمية التلقي عندهم حتى إنهم اطلقوا على من لم يأخذ علمه من العلماء اسم (الصحفي) لأنه أخذ علمه من الصحف والمطالعة الخاصة.
- قال ابن سيرين رحمه الله تعالى (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم)⁽³¹²⁾.

[301] على غرار علماء الحديث الذين تناقلوا أحاديث رسول الله ﷺ بالسند رجلا عن رجل الى رسول الله ﷺ واعتبروا السند أساسا لحفظ السنة النبوية من الضياع والتحريف ولهذا قال ابن المبارك (الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء).

[311] 2) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه عن محمد بن سيرين (84/1) وابن حبان في المجروحين (22/1).

وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن عمر رضي الله عنهما بذلك فقال: «يا ابن عمر دينك دينك إنما هو لحمك ودمك ، فانظر عمن تأخذ خذ الدين عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا»⁽³²¹⁾.

وقال بعض العارفين: (العلم روح تنفخ لا مسائل تنسخ فليتنبه المتعلمون عمن يأخذون وليتنبه العالمون من يعطون).

ثم اعلم أن من علامات المرشد أموراً يمكن ملاحظتها:

- منها: أنك إذا جالسته تشعر بنفحة إيمانية ونشوة روحية لا يتكلم إلا بالله ولا ينطق إلا بخير ولا يتحدث إلا بموعظة أو نصيحة تستفيد من صحبته كما تستفيد من كلامه تنتفع من قربته كما تنتفع من بعده تستفيد من لحظه كما تستفيد من لفظه.
- ومنها: أن تلاحظ في إخوانه ومريديه صور الإيمان والإخلاص والتقوى والتواضع وتذكر وانت تخالطهم المثل العليا من الحب والصدق والإيثار والأخوة الخالصة وهكذا يعرف الطبيب الماهر بآثاره ونتائج جهوده حيث ترى المرضى الذين شفوا على يديه وتخرجوا من مصحّحه بأوفر قوة وأتم عافية.
- علماً أن كثرة المريدين وقتلتهم ليست مقياساً وحيداً وإنما العبرة بصلاح هؤلاء المريدين وتقواهم وتخلصهم من العيوب والأمراض واستقامتهم على شرع الله تعالى.
- فالظفر به يدفع الطالب للأخذ بيده والتزام مجالسه والتأدب معه والعمل بنصحه وإرشاده في سبيل الفوز بسعادة الدارين.⁽³³²⁾
- وإذا أردت أخي القارئ زيادة في شروط المرشد والمريد فارجع إلى باب الصحبة من هذه الموسوعة ففيه ما يغني بإذن الله تعالى والحمد لله رب العالمين.

⁽³²¹⁾ أخرجه الحافظ ابن عدي عن ابن عمر، كنز العمال (152/3).

⁽³³¹⁾ حقائق عن التصوف ص (76 - 81).

الصحة

الصحة: هي الطريق السوي والسبب الأقوى في حصول ثمرة السلوك وبها يصل المملوك إلى درجات المملوك.

وورد في الأثر: الصحة مع العاقل زيادة في الدين والدنيا والآخرة والصحة مع الأحمق نقصان في الدين والدنيا وندامة عند الموت وخسارة في الآخرة .

الأدلة على أهمية الصحة من القرآن العظيم:

قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾⁽¹¹¹⁾.

والصادقون: هم الصفوة من المؤمنين الذين عناهم الله تعالى بقوله ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾⁽²¹²⁾.

قال تعالى ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾⁽³¹³⁾.
الخطاب هنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبيل تعليم أمته وإرشادها.

وقال تعالى ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾⁽⁴¹⁴⁾.

وقال تعالى ﴿ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ، يا وييلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً ، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾⁽⁵¹⁵⁾

وقال تعالى ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾⁽⁶¹¹⁾.

(111) سورة التوبة الآية (119).

(212) سورة الأحزاب الآية (23).

(313) سورة الكهف الآية (28).

(414) سورة لقمان الآية (15).

(515) سورة الفرقان الآية (27 - 29).

الأدلة على أهمية الصحبة من السنة الشريفة:

- 1 - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إنما مثل المجلس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك (يعطيك) وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا متنتة»⁽⁷¹²⁾.
- 2 - عن حنظلة رضي الله عنه قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله ما تقول؟! قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكرنا بالجنة والنار رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضييعات نسينا كثير. قال أبو بكر رضي الله عنه (فوالله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنلت: نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «وما ذلك؟» قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأننا راى العين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والضييعات نسينا كثيرا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة - ثلاث مرات -»⁽⁸¹³⁾.
- 3 - عن سيدنا ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال»⁽⁹¹⁴⁾.
- 4 - عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه قال: يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل كعملهم؟ قال: (أنت يا أبا ذر مع من أحببت) قال فيني أحب الله ورسوله قال: «فإنك مع من أحببت» قال: فأعادها أبو ذر فأعادها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم⁽¹⁰¹⁵⁾.

⁽¹⁶⁾ سورة الزخرف الآية (67).

⁽²⁷⁾ أخرجه البخاري (5214) ومسلم (2628).

⁽³⁸⁾ أخرجه مسلم (2750).

⁽⁴⁹⁾ أخرجه أبو داود (4833).

⁽¹⁰¹⁾ أخرجه أبو داود (5126).

5 - عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أمة من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله» قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: «هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم على نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس» وقرأ هذه الآية ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾⁽¹¹¹⁾.⁽¹²⁾

6 - عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله أي جلسائنا خير؟ قال: «من ذكركم الله رؤيته وزاد في علمكم منطقه وذكركم في الآخرة عمله»⁽¹³⁾.

7 - وعن سيدنا أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»⁽¹⁴⁾.

8 - ومن السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه⁽¹⁵⁾.

9 - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي»⁽¹⁶⁾.

10 - وعن انس رضي الله عنه أن أعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: متى الساعة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ما أعددت لها؟» قال: حب الله ورسوله قال: «أنت مع من أحببت»⁽¹⁷⁾.

⁽¹¹¹⁾ سورة يونس الآية (63).

⁽¹²⁾ تقدم تخريجه.

⁽¹³⁾ أخرجه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح كما في مجمع الزوائد (226/10).

⁽¹⁴⁾ أخرجه البخاري (56/1) ومسلم (1031).

⁽¹⁵⁾ أخرجه البخاري (119/2) ومسلم (1013).

⁽¹⁶⁾ أخرجه الترمذي (2379) وأبو داود (4832) وصححه ابن حبان (2049).

⁽¹⁷⁾ أخرجه البخاري (462/10) ومسلم (2639) وأبو داود (5127) والترمذي (1386).

أقوال العلماء في أهمية الصحبة

1 - الإمام الرفاعي قدس الله سره:

قال السيد أحمد الكبير الرفاعي قدس الله سره: (ذكر الله يثبت في القلب ببركة الصحبة (المرء على دين خليله)^[18]).

وقال أيضا خطابا دالا على حرقته: ما الفائدة من علم بلا عمل؟ ما الفائدة من عمل بلا إخلاص؟ الإخلاص على حافة الطريق من ينهض بك إلى العمل! من يداويك من سم الرياء من يدلك على الطريق الأمين من بعد الإخلاص؟ ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾^[19] هكذا أنبأنا العليم الخبير.

وذكر رضي الله عنه صفة الصاحب فقال:

أصفى من الياقوت والجوهر	اصحب من الإخوان من قلبه
لم يظهر السر إلى المحشر	ومن إذا سرك أودعته
معتذرا عنك كمستغفر	ومن إذا أذنبت ذنبا أتى
أقلقه الشوق ولم يصبر	ومن إذا ما غبت عن عينه

أين هذا الأخ وأين الأخوة الحقيقية؟! ما هم إلا كعنقاء الزمان لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله فيلزم على الداخل تحت تربية المرشد أن يكون مراعيًا لإخوانه محبا لهم ولا يختص نفسه بشيء دونهم ويجب لهم ما يجب لنفسه ويعودهم إذا مرضوا ويسأل عنهم إذا غابوا وليبتدروهم بالسلام وطلاقة الوجه ويراهم خيرا منه يطلب منهم الرضا ولا يزاخمهم على أمر دنيوي ويوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم يتعاون معهم على حب الله وليجعل رأس ماله مسامحة إخوانه^[20].

2 - الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي قدس الله سره:

[18] تقدم ترجمه ص (294) بلفظ الرجل ...

[19] سورة النحل الآية (43).

[20] السير والمساعي ص (211-113) بتصرف يسير .

وقال الشيخ الأكبر محي الدين في كتابه (الوصايا): عليك بمجالسة من تنتفع بمجالسته في دينك من علم تستفيده منه، أو عمل يكون فيه أو خلق حسن يكون عليه فإن الإنسان إذا جالس من تُدَّكر مجالسته الآخرة فلا بد أن يتحلّى منها بقدر ما يوفقه الله لذلك.⁽²¹¹⁾

3 - الإمام الشيخ علي الخواص:

قال رضي الله عنه :

لا تسلكن طريقا لست تعرفها	بلا دليل فتهوي في مهاويها ⁽²²⁾
---------------------------	---

لأن الدليل والمرشد يوصل السالك إلى ساحل الأمان ويجنبه مزلق الأقدام ومخاطر الطريق وذلك لأن هذا الدليل المرشد قد سبق له سلوك الطريق على يد دليل عارف بخفايا السير واطلع على مجاهله ومآمنه فلم يزل مرافقا له حتى أوصله إلى الغاية المنشودة ثم أذن له بإرشاد غيره وإلى هذا أشار ابن البنا في منظومته:

وإنما القوم مسافرونا	لحضة الحق وظاعوننا
فافتقروا فيه إلى دليل	ذي بصر بالسير والمقيل
قد سلك الطريق ثم عاد	ليخبر القوم بما استفاد ⁽²³⁾

4 - الشيخ أبو مدين رضي الله عنه :

وقال سيدي أبو مدين : (من لم يأخذ الآداب من المتأدبين أفسد من يتبعه)⁽²⁴⁾.

5 - الشيخ أبو حامد الغزالي:

قال: يحتاج المرید إلى شیخ وأستاذ یقتدی به لا محالة لیهديه سواء السبیل فإن سبیل الدین غامض وسبیل الشیطان كثيرة ظاهرة فمن لم یکن له شیخ یهدیه قاده الشیطان إلى طرقة لا محالة فمن سلك سبیل البوادی المهلكة بغير خفیة فقد خاطر بنفسه وأهلكها ویكون المستقل بنفسه كالشجرة التي

⁽²¹⁾ كتاب الوصايا للشيخ ابن عربي ص (45).

⁽²²⁾ المنن للشعراني (51/1).

⁽²³⁾ أحمد بن محمد التحيبي المعروف بابن البنا الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية (142/1).

⁽²⁴⁾ النصرة النبوية ص (13).

تثبت بنفسها فإنها تجف على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر فمعتصم المرید شیخه
فلیتمسک به⁽²⁵¹⁾.

وقال أيضا رضي الله عنه : (كنت في مبدأ أمري منكر لأحوال الصالحين ومقامات العارفين حتى
صحبت شيخي (يوسف النساج) فلم يزل يصقلني بالمجاهدة حتى حظيت بالواردات فرأيت الله
تعال في المنام فقال لي : يا أبا حامد دع شواغلك واصحب أقواما جعلتهم في أرضي محل نظري
وهم الذين باعوا الدارين بحبي قلت : بعزتك إلا أذقتني برد حسن الظن بهم قال قد فعلت
والقاطع بينك وبينهم تشاغلك بحب الدنيا فاخرج منها مختارا قبل أن تخرج منها صاغرا فقد
أفضت عليك أنوارا من جوار قدسي فاستيقظت فرحا مسرورا وجئت إلى شيخي (يوسف
النساج) فقصصت عليه المنام فتبسم وقال : يا أبا حامد هذه ألواحنا في البداية بل إن صحبتني
ستكحل بصيرتك بإئتمد التأييد... الخ)⁽²⁶²⁾.

وقال أيضا : (إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم
تخف عليه عيوبه فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى
أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة
طرق :

الأول : أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه
ويتبع إشارات في مجاهداته وهذا شأن المرید مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه استاذه وشيخه
عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجها... الخ)⁽²⁷³⁾.

وقال أيضا مؤكدا على اتباع المرشد : (فما يجب في حق سالك طريق الحق أن يكون له مرشد
ومرب ليدله على الطريق ويرفع عنه الأخلاق المذمومة ويضع مكانها الأخلاق المحمودة ومعنى
التربية أن يكون المربي كالزارع الذي يربي الزرع فكلما رأى حجرا أو نباتا مضرا بالزرع قلعه

⁽¹²⁵¹⁾ الإحياء للغزالي (65/3).

⁽²²⁶¹⁾ شخصيات صوفية لطفه عبد الباقي سرور ص (154).

⁽³²⁷¹⁾ الإحياء للغزالي (55/3).

و طرحه خارجا ويسقي الزرع مرارا إلى أن ينمو ويتربى ليكون أحسن من غيره وإذا علمت أن الزرع محتاج للمربي علمت أنه لابد للسالك من مرشد البتة لأن الله تعالى أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام للخلق ليكونوا دليلا لهم ويرشدوهم إلى الطريق المستقيم وقبل انتقال المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى الدار الآخرة قد جعل الخلفاء الراشدين نوابا عنه ليدلوا الخلق إلى طريق الله وهكذا إلى يوم القيامة فالسالك لا يستغني عن المرشد البتة⁽²⁸¹⁾.

6 - الإمام ابن عطاء الله السكندري:

قال رضي الله عنه : (وينبغي لمن عزم على الاسترشاد وسلوك الرشاد أن يبحث عن شيخ من أهل التحقيق سالك للطريق تارك لهواه راسخ القدم في خدمة مولاه فإذا وجهه فليمثل ما أمر ، ولينته عما نهى عنه وزجر)⁽²⁹²⁾.

وقال أيضا: (لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله)⁽³⁰³⁾.

وقال أيضا : (ليس شيخك من سمعت منه وإنما شيخك من أخذت عنه وليس شيخك من واجهتك عبارته وإنما شيخك الذي سرت فيك إشارته وليس شيخك من دعاك إلى الباب وإنما شيخك الذي رفع بينك وبينه الحجاب وليس شيخك من واجهك مقاله وإنما شيخك الذي نهض بك حاله).

شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى شيخك هو الذي ما زال يحدو مرآة قلبك حتى تجلت فيها أنوار ربك أنهضك إلى الله فنهضت إليه وسار بك حتى وصلت إليه وما زال محاذيا لك حتى ألقاك بين يديه فرجَّ بك في نور الحضرة وقال: ها أنت وربك⁽³¹⁴⁾.

7 - الشيخ عبدالوهاب العشراني:

⁽¹²⁸¹⁾ خلاصة التصانيف في التصوف لحجة الإسلام الغزالي ص (18).

⁽²²⁹¹⁾ مفتاح الفلاح ص (30).

⁽³³⁰¹⁾ إيقاظ المهمل في شرح حكم ابن عطاء الله السكندري المتوفى سنة (709هـ) لأحمد بن عجيبة الحسيني (74/1).

⁽⁴³¹¹⁾ لطائف المنن ص (167).

قال رحمه الله تعالى في كتابه (العهود المحمدية) : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان نواظب على الركعتين بعد كل وضوء بشرط أن لا نحدث فيهما أنفسنا بشيء من أمور الدنيا أو بشيء لم يشرع لنا في الصلاة ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به حتى يقطع عنه الخواطر المشغلة عن خطاب الله تعالى ... فاسلك يا أخي على يد شيخ ناصح يشغلك بالله تعالى حتى يقطع عنك حديث النفس في الصلاة كقولك: أروح لكذا أفعل كذا، أقول كذا، أو نحو ذلك، وإلا فمن لازمك حديث النفس ولا يكاد يسلم لك منه صلاة واحدة ولا فرض ولا نفل فاعلم ذلك وإياك ان تريد الوصول إلى ذلك بغير شيخ كما عليه طائفة المجادلين بغير علم فإن ذلك لا يصح لك ابد.⁽³²¹⁾

وقال رضي الله عنه : (ولو أن طريق القوم يوصل إليها بالفهم من غير شيخ يسير بالطالب فيها لما احتاج مثل حجة الإسلام الإمام الغزالي والشيخ عز الدين بن عبد السلام أخذ أديهما عن شيخ مع أنها كانا يقولان قبل دخولهما طريق القوم : كل من قال: إن ثم طريقا للعلم غير ما بأيدينا فقد افتري على الله عز وجل) فلما دخلا طريق القوم كانا يقولان: قد ضيعنا عمرنا في البطالة والحجاب وأثبتنا طريق القوم ومدحاها)⁽³³²⁾.

وقال أيضا: (وكانت صورة مجاهداتي لنفسي من غير شيخ أنني كنت أطلع كتب القوم كرسالة القشيري وعوارف المعارف والقوت لأبي طالب المكي والإحياء للغزالي ونحو ذلك وأعمل بما ينقذ لي من طريق الفهم ثم بعد مدة يبدو لي خلاف ذلك فأترك الأول وأعمل بالثاني... وهكذا فكنت كالذي يدخل دربا لا يدري هل ينفذ أم لا ؟ فإن رآه نافذا خرج منه وإلا رجع ولو أنه اجتمع بمن يعرفه أمر الدرب قبل دخوله لكان بين له أمره وأراحه من التعب فهذا مثال من لا شيخ له فإن فائدة الشيخ إنما هي اختصار الطريق للمريد ومن سلك من غير شيخ تاه وقطع عمره ولم يصل إلى مقصوده لأن مثال الشيخ مثال دليل الحجاج إلى مكة في الليالي المظلمة)⁽³⁴³⁾.

⁽³²¹⁾ لوائح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية للعارف بالله عبدالوهاب الشعراي (51/1).

⁽³³¹⁾ لطائف المنن والأخلاق للإمام الشعراي (25/1).

⁽³⁴¹⁾ لطائف المنن والأخلاق (48/1-49).

وقال أيضا: (وكفى شرفا لأهل الطريق قول سيدنا موسى عليه السلام، للخضر: ﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾^[351]).

واعتراف الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه لأبي حمزة البغدادي بالفضل عليه واعتراف الإمام أحمد بن سريج رحمه الله تعالى لأبي القاسم الجنيد وطلب الإمام الغزالي له شيخا يدل على الطريق مع كونه كان حجة الإسلام وكذلك طلب الشيخ عز الدين بن عبد السلام له شيخا مع أنه لقب بسultan العلماء... وكان رضي الله عنه يقول: ما عرفت الإسلام الكامل إلا بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه فإذا كان هذان الشيخان قد احتاجا إلى شيخ مع سعة علمهما بالشريعة فغيرهما من أمثالنا من باب أولى^[362].

8 - الشيخ محمد الهاشمي:

قال رحمه الله تعالى: (فاسلك يا أخي على يد شيخ حي عارف بالله صادق ناصح له علم صحيح وذوق صريح وهمة عالية وحالة مرضية سلك الطريق على يد المرشدين وأخذ أدبه عن المتأدين عارف المسالك ليقمك في طريقك المهالك ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار من سوى الله ويسايرك في طريقك حتى تصل إلى اله يوقفك على إساءة نفسك ويعرفك بإحسان الله فإذا عرفته أحببته وإذا أحببته جاهدت فيه وإذا جاهدت فيه هداك لطريقه واصطفاك لحضرتة قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾^[373] فصحبة الشيخ والافتداء به واجب والأصل فيه قوله تعالى ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾^[384] وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾^[395] ومن شرطه أيضا أن يكون له الإذن في تربية الخلق من مرشد كامل ذي بصيرة نافذة ولا يقال: أين من هذا وصفه؟ لأننا نقول كما قال ابن عطاء الله السكندري في لطائف المنن: (لا يعوزك وجود الدالين وإنما يعوزك وجود الصديق في طلبهم) جد صدقا تجد مرشدا:

^[351] سورة الكهف الآية (66).

^[361] لطائف المنن والأخلاق (50/1).

^[371] سورة العنكبوت الآية (69).

^[381] سورة لقمان الآية (15).

^[391] سورة التوبة الآية (119).

وقال في لطائف المنن أيضا: إنها يكون الاقتداء بولي ذلك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته فألقيت إليه القيام فسلك بك إلى سبيل الرشاد... الخ.

وقال ابن عطاء الله في حكمه: (سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه)⁽⁴¹²⁾.

9 - الإمام ابن حجر الهيثمي:

قال رحمه الله تعالى في كتابه الفتاوى الحديثية: (والحاصل أن الأولى بالسالك قبل الوصول إلى هذه المعارف أن يكون مديما لما يأمره به أستاذه الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة فإنه هو الطبيب الأعظم فبمقتضى معارفه الذوقية وحكمه الربانية يعطي كل بدن ونفس ما يراه هو اللائق بشفائها والمصلح لغذائها)⁽⁴²³⁾.

10 الإمام فخر الدين الرازي:

قال رحمه الله تعالى في تفسيره عند تفسير سورة الفاتحة الباب الثالث في الأسرار العقلية المستنبطة من هذه السورة (الفاتحة) فيه مسائل... اللطيفة الثالثة: قال بعضهم إنه لما قال: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ لم يقتصر عليه بل قال ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ وهذا يدل على أن المريد لا سبيل له إلى الوصول إلى مقامات الهداية والكاشفة إلا إذا اقتدى بشيخ يهديه إلى سواء السبيل ويجنبه عن مواقع الأغاليط والأضاليل وذلك لأن النقص غالب على أكثر الخلق وعقولهم غير وافية بإدراك الحق وتمييز الصواب عن الغلط فلا بد من كامل يقتدي به الناقص حتى يتقوى عقل ذلك الناقص بنور عقل الكامل فحينئذ يصل إلى مدارج السعادات ومعارج الكمالات⁽⁴³⁴⁾.

⁽¹⁴⁰⁾ على وزن (قيل) مبني للمجهول.

⁽²⁴¹⁾ شرح شطرنج العارفين (14).

⁽³⁴²⁾ الفتاوى الحديثية ص (55).

⁽⁴⁴³⁾ تفسير مفاتيح الغيب (1/142).

11 الإمام ابن قيم الجوزية:

قال رحمه الله تعالى (فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟ فإذا كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطاً.. فينبغي للرجل ان ينظر في شيخه وقدوته واتباعه فإذا وجده كذلك فليبتعد عنه وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى ، واتباع السنة وأمره غير مفروط عليه ، بل هو حازم في امره فليستمسك بغرزه)^[441].

12 الشيخ أبو علي الثقفى:

قال رحمه الله تعالى (لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه عن أمر له وناه ويريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات)^[452].

13 الشيخ إبراهيم الباجوري:

قال رحمه الله تعالى عند شرحه كلام الشيخ إبراهيم اللقاني صاحب جوهرة التوحيد:

وكن كما كان خيار الخلق	حليف حلم تابعا للحق
------------------------	---------------------

(أي كن متصفا بأخلاق مثل الأخلاق التي كان عليها خيار الخلق... وإذا كانت المجاهدة على يد شيخ من العارفين كانت أنضج لقولهم: حال رجل في ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل في رجل فينبغي للشخص أن يلزم عارفا على الكتاب والسنة بأن يزنه قبل الأخذ عنه فإن وجده على الكتاب والسنة لازمه وتأدب معه فعساه يكتسب من حاله ما يكون به صفاء باطنه والله يتولى هداه)^[463].

14 الإمام الطيبي:

^[441] الوابل الصيب من الكلم الطيب ص (53).

^[451] طبقات الصوفية ص (365).

^[461] شرح جوهرة التوحيد ص (133).

قال رحمه الله تعالى (لا ينبغي للعالم ولو تبخر في العلم حتى صار أهدأ زمانه أن يقنع بما علمه وإنما الواجب عليه الاجتماع بأهل الطريق ليدلوه على الطريق المستقيم حتى يكون ممن يحدثهم الحق في سرائرهم من شدة صفاء باطنهم ويخلص من الأذناس وأن يتجنب ما شاب عليه من كدورات الهوى وحظوظ نفسه الأمانة بالسوء حتى يستعد لفيضان العلوم اللدنية على قلبه والاقْتباس من مشكاة أنوار النبوة ولا يتيسر ذلك عادة إلا على يد شيخ كامل عالم بعلاج أمراض النفوس وتطهيرها من النجاسات المعنوية وحكمة معاملاتها علماً وذوقاً ليخرجه من رعونات نفسه الأمانة بالسوء ودسائسها الخفية فقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان شيخاً له يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من دخول حضرة الله بقلبه ليصبح حضوره وخشوعه في سائر العبادات من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ولا شك أن علاج أمراض الباطن واجب فيجب على كل من غلبت عليه الأمراض أن يطلب شيخاً يخرجها من كل ورطة وإن لم يجد في بلده أو إقليمه وجب عليه السفر إليه)⁽⁴⁷¹⁾.

15 الشيخ ابن أبي جمرة:

شرح الإمام الحافظ المحدث الورع أبو محمد عبدالله بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال: (أحي والداك؟ قال: نعم قال: ففيها فجاهد)⁽⁴⁸²⁾ وبعد أن بين عشرة وجوه له قال في الوجه العاشر: (فيه دليل على أن الدخول في السلوك والمجاهدات السنة فيه أن يكون على يد عارف به فيرشد إلى ما هو الأصح فيه والأسد بالنسبة إلى حال السالك لأن هذا الصحابي رضي الله عنه لما أراد الخروج إلى الجهاد لم يستبد برأي نفسه في ذلك حتى استشار من هو أعلم منه وأعرف هذا ما هو في الجهاد الأصغر فكيف به في الجهاد الأكبر؟!)⁽⁴⁹³⁾.

16 الشيخ عبدالواحد بن عاشر:

⁽⁴⁷¹⁾ تنوير القلوب ص (44 - 45).

⁽⁴⁸²⁾ أخرجه ابن أبي شيبة (7 - كتاب 31 - باب 146 - رقم 2).

⁽⁴⁹³⁾ بمجة النفوس مختصر صحيح البخاري (146/3).

قال رحمه الله تعالى في منظومة العقائد وعبادات فقه مالك المسماة (المرشد المعين) مبينا ضرورة

صحبة الشيخ المرشد وما تفتح من آثار طيبة:

يقيه في طريقه المهالك	يصحب شيخا عارف المسالك
ويوصل العبد إلى مولاه	يذكر الله إذا رآه
ويزن الخاطر بالقسطاس	يحاسب النفس على الأنفاس
والنفل ربحه به يوالي	ويحفظ المفروض رأس المال
والعون في جميع ذا بره	ويكثر الذكر بصفو لبه
ويتحلى بمقامات اليقين	يجاهد النفس لرب العالمين
حرا وغيره خلا من قلبه	يصير عند ذاك عارفا به
لحضرة القدوس واجتباه	فحبّه الإله واصطفاه

قال شارح هذه المنظومة الشيخ محمد بن يوسف المعروف بالكافي في كتابه (النور المبين على المرشد

المعين): إن من نتائج صحبة الشيخ السالك ما يحصل لمريده من انه يذكره الله أي يكون سببا قويا

في ذكر المريد ربه إذا رأى الشيخ لما عليه من المهابة التي ألبسه الله إياه ويشهد لذلك ما ورد عن

سيدنا انس رضي الله عنه : «أفضلكم الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى لرؤيتهم»^[150].

ومن ثمرة صحبة هذا الشيخ السالك أيضا انه يوصل العبد إلى مولاه بسبب ما يريه من عيوب

نفسه ونصح به بالهروب من غير الله إلى الله تعالى فلا يرى لنفسه ولا لمخلوق نفعاً ولا ضراً ولا

يركن لمخلوق في دفع أو جلب بل يرى جميع الانقلابات والتصرفات في الحركات والسكنات لله

تعالى وهذا معنى الوصول إلى الله تعالى.

[150] أخرجه أبو يعلى (2437) بلفظ : قيل يا رسول الله أي جلسائنا خير؟ قال: «من ذكركم الله رؤيته» ومن زاد في علمكم منطقته وذكركم

بالآخرة عمله» وابن المبارك في الزهد (218) ورواه الطبراني (12325) ورجاله ثقات كما أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (16778).

ففائدة الشيخ مع المريد هي إظهار العيوب القاطعة عن الله تعالى للمريد في شخصها له ويريه دواءها ولا يتم هذا إلا مع مريد صادق ألقى مقاليد نفسه لشيخه وألزم نفسه ألا يكتم خاطرا ما عن شيخه وأما إذا كتبه ولو واحدا فلا ينتفع بشيخه البتة⁽⁵¹¹⁾.

17 الأمير عبدالقادر الجزائري:

قال رحمه الله تعالى في كتابه (المواقف) قال الله تعالى حاكيا قول موسى لخضر عليهما السلام: ﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾⁽⁵²²⁾ ، اعلم أن المريد لا ينتفع بعلوم الشيخ وأحواله إلا إذا انقاد له الانقياد التام ، ووقف عن أمره ونهيه مع اعتقاده الأفضلية والأكملية ولا يغني أحدهما عن الآخر كحال بعض الناس يعتقد في الشيخ غاية الكمال ويظن أن ذلك يكفيه في نيل غرضه وحصول مطلبه وهو غير متمثل ولا فاعل لما يأمره الشيخ به أو ينهاه عنه فهذا موسى عليه السلام مع جلالة قدره وفخامة أمره طلب لقاء الخضر عليه السلام وسأل السبيل إلى لقيه وتجشم مشاق ومتاعب في سفره كما قال: ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾⁽⁵³³⁾ ومع هذا كله لما لم يمتثل نهيا واحداً وهو قوله: ﴿فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا﴾⁽⁵⁴⁴⁾ . ما انتفع بعلوم الخضر عليه السلام مع يقين موسى عليه السلام الجازم ان الخضر اعلم منه بشهادة الله تعالى لقوله تعالى عندما قال موسى عليه السلام (لا أعلم أحدا أعلم مني: بلى عبدنا خضر) وما خص علما دون علم بل عمم وكان موسى عليه السلام أولا ما علم ان استعداه لا يقبل شيئا من علوم الخضر عليه السلام وأما الخضر عليه السلام فإنه علم ذلك أول وهلة فقال: ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا﴾⁽⁵⁵⁵⁾ وهذا من شواهد علمية الخضر عليه السلام فلينظر العاقل إلى أدب هذين السيدين قال موسى عليه السلام: ﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾ أي: هل تأذن في اتباعك لأتعلم منك؟ ففي هذه الكلمات من حلاوة الأدب ما يذوقها كل سليم الذوق قال الخضر عليه

⁽⁵¹¹⁾ النور المبين على المرشد المعين ص (178).

⁽⁵²²⁾ سورة الكهف الآية (66).

⁽⁵³³⁾ سورة الكهف الآية (62).

⁽⁵⁴⁴⁾ سورة الكهف الآية (70).

⁽⁵⁵⁵⁾ سورة الكهف الآية (67).

السلام: ﴿فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ وما قال: فلا تسألني وسكت فيبقى موسى عليه السلام حيران متعظاً بل وعده أنه يحدث له ذكراً أي: علماً بالحكمة فيما فعل، أو ذكراً بمعنى تذكيراً.

فأكملية الشيخ في العلم المطلوب منه المقصود لأجله لا تغني عن المريء شيئاً إذا لم يكن ممثلاً لأوامر الشيخ مجتنباً لنواهيها:

وما ينفع الأصل من هاشم	إذا كانت النفس من باهلة
------------------------	-------------------------

وإنما ينفع أكملية الشيخ من حيث الدلالة الموصلة إلى المقصود وإلا فالشيخ لا يعطي المريء إلا ما أعطاه له استعداداً واستعداداً منطوقاً فيه وفي أعماله كالطبيب الماهر إذا حضر المريض وأمره بأدوية فلم يستعملها المريض فما عسى أن تغني عنه مهارة الطبيب؟ وعدم امتثال المريض دليل على أن الله تعالى ما أراد شفاؤه من علته فإن الله إذا أراد أمراً هياً له أسبابه وإنما وجب على المريء طلب الأكمل والأفضل من المشايخ خشية أن يلقي قياده بيد جاهل بالطريق الموصل إلى المقصود فيكون ذلك عوناً على هلاكه.^[561]

18 الشيخ أحمد زروق:

قال رحمه الله تعالى: (أخذ العلم والعمل عن المشايخ أتم من أخذه دونهم: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾^[572]. ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾^[583] فلزمت المشيخة سيما والصحابة أخذوا عنه صلى الله عليه وآله وسلم وقد أخذ هو عن جبريل واتبع إشارته في أن يكون عبداً نبياً وأخذ التابعون عن الصحابة فكان لكل أتباع يختصون به كابن سيرين وابن المسيب والأعرج من أبي هريرة وطاوس ووهب ومجاهد لابن عباس إلى غير ذلك فأما العلم والعمل

^[561] (المواقف (305/1)).

^[571] سورة العنكبوت الآية (49).

^[581] سورة لقمان الآية (15).

فأخذته جلي فيما ذكروا كما ذكروا. وأما الإفادة بالهمة والحال، فقد أشار إليها أنس بقوله: (ما نفضنا التراب عن أيدينا من دفنه عليه الصلاة والسلام حتى أنكرنا قلوبنا).⁽¹⁵⁹¹⁾

فأبان أن رؤية شخصه الكريم كانت نافعة لهم في قلوبهم إذ من تحقق بحالة لم يخل حاضر وه منها فلذلك أمر بصحبة الصالحين ونهى عن صحبة الفاسقين.⁽¹⁶⁰²⁾

فالطبع يسرق من الطبع وما أسرع أن يسير الإنسان في الاتجاه الذي يهواه صاحبه وللعُدوى قانونها الذي يسري في الأخلاق كما يسري في الأجسام بل إن الروح الذي يسود المجلس قد يكون مصدره من شخص قوي يغمر من حوله بفيض مما يتفجر من باطنه.

وقد شوهد أن عدوى السيئات أشد سرينا وأقوى فتكا من عدوى الحسنات ففي أحيان كثيرة تنتقل عدوى التدخين من المصاب بها إلى البريء منها، ويندر أن يقع العكس.

فالصداقة يجب أن تعتمد على قوة العقائد وسمو الأعمال وخير من يستديم المرء عشرتهم ويستبقي للدنيا والآخرة مودتهم أولئك الذين عناهم الأثر: (من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته).⁽¹⁶¹³⁾

الفرقة الناجية

روى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)⁽¹¹¹⁾.

⁽¹⁵⁹¹⁾ أخرجه ابن ماجه (1631).

⁽¹⁶⁰¹⁾ قواعد التصوف لأحمد زروق القاعدة (65).

⁽¹⁶¹¹⁾ خلق المسلم ص 202 بتصرف.

وقد تكلم المحدثون في سند هذا الحديث وامتته وأعلوه فلم يصل عندهم إلى رتبة الصحة التي يسوغ معها الاحتجاج به علمياً وعلى تقدير صحة الحديث فإننا نقول:

إن من المسلم به أن تعدد السبل إلى المقصد الواحد أمر طبيعي وشرعي فلا ينسحب عليه حكم: (تعدد الفرق والعقائد) لأن الذي يطلق عليها تجاوزاً أو مجازاً اسم (الفرق) في الإسلام كلها دائرة في الكتاب والسنة فهي على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو وأصحابه فهي (مذاهب) ¤ (مشارب) ¤ (سبل) ¤ (سبل) ¤ تنبثق من الشهادتين وتنتهي عند حقها فالسادة الشافعية والمالكية والأحناف والحنابلة والزيدية والظاهرية والإمامية والهادوية والصوفية والسلفية والأشعرية والماتريدية والمعتزلة المعتدلون كل هؤلاء وأمثالهم يسرون في طريق واحد على أساليب مختلفة مع اتحاد المضمون وهذه نتيجة طبيعية للاستنباط والمقارنة والبحث والنقل والتلقي في حدود الكتاب والسنة.

هذه الأساليب هي السبل الشرعية التي هداهم الله إليها بقوله تعالى:

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾⁽²¹²⁾ والتي سماها الله تعالى ﴿سبل السلام﴾⁽³³⁾ وهي سبل الله الواحد كما جاء على لسان الأنبياء ﴿وقد هدانا سبلنا﴾⁽⁴⁴⁾...

ويلحق بهؤلاء جميعاً سائر الهيئات والجماعات الإسلامية السليمة المنتشرة في بقاع الأرض.

ثم لماذا؟ وبأي دليل؟ نطبق هذا الحديث على الطرق الصوفية وحدها ولا نطبقه على الجمعيات

والهيئات الإسلامية والروابط المعاصرة وفروعها الأخرى وهي أضعاف هذا العدد؟

وإنما ينطبق هذا الحديث على فرض صحته على أمثال غلاة الخوارج، والباطنية والقرامطة

والبهائية والقاديانية ونحو هؤلاء من الفرق التي ذكرها أصحاب كتب الملل والنحل ممن خالفوا

الأصول عمداً وأنكروا عمداً المعلوم من الدين بالضرورة.

(111) أخرجه ابن ماجه (3991).

(212) سورة العنكبوت (69).

(33) سورة المائدة الآية (16).

(44) سورة إبراهيم الآية (12).

ربما كان فيهم المقصرون أو المنحرفون أو العصاة وهذا لا يخرجهم من الدين ولا يسحب إليهم حكم الفرق الكافرة.

فبعض الفرق أشد غلوا وانحرافا وتطرفا وانحرافا مع هذا فهي مسلمة فالمعصية شيء والردة شيء آخر.

ثم إنه قد ذهب بعض العلماء إلى أن المقصود من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وتفترق أمتي) أمة الدعوة لا أمة الإجابة والفرق بينها أن أمة الدعوة هي من بعث إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم سواء آمن به أم كفر جنا وإنسا منذ بعثه إلى يوم القيامة فهو صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الرسل وشريعته ناسخة لما قبلها.

وأمة الإجابة: هي كالم من آمن به وأقر بأنه لا إله إلا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سواء الظالم منهم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات ولا يعارض هذا أن بعضهم يعذب عذاب تطهير وإعداد إن احتاج إليه ولم تشمله رحمة الله الواسعة ولا شفاعة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودليل ذلك قوله تعالى ﴿ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾ إلى قوله تعالى ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور﴾⁽¹⁵¹⁾.

وأخرج الطبراني عن أسامة بن زيد رضي الله عنه (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كلهم ناج وهي هذه الأمة». فأصحاب الجنة هم الذين فصلتهم آيات فاطر إلى ثلاثة ويدخل فيها جميع الفئات والمذاهب والجماعات التي لا تخالف أو تنكر معلوما من الدين بالضرورة وقد مر معنا ذكر بعض هذه

(151) سورة فاطر الآية (32) وما بعدها.

الجماعات في بداية البحث وكلهم داخلون في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «... ما عليه أنا وأصحابي»⁽⁶¹⁾.

وفي الرواية الأخرى: «كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة»⁽⁷²⁾.

وأصحاب النار في الآية هم الذين كفروا بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقرؤا بنسخ شريعته لما هم عليه وكونه بعث إليهم أيضا فهم يعتبرون بذلك من أمة الدعوة الإسلامية (المحمدية) لا من أمة الإجابة لأنهم لم يدخلوا الإسلام.

ولا يخفى على كل من علم أوليات أحكام الإسلام بأن ملة الكفر واحدة وملة الإسلام واحدة ولكن الحق واحد لا يتعدد والتعدد إنما وقع في ملة الكفر لا أمة الإجابة لقوله تعالى : ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾⁽⁸³⁾.

ويشهد له قوله صلى الله عليه وآله وسلم «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله ومن أبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»⁽⁹⁴⁾.
وإني أرى في هذا القول جمعا لشتات المسلمين وسدا لباب التكفير والتضليل بين صفوفهم وهذا ما ينبغي أن نسعى إليه في هذا الزمان الممزق.

الورد

⁽¹⁶⁾ أخرجه الطبراني في الكبير (410) والهيثمى في مجمع الزوائد (11293).

⁽²⁷⁾ أخرج هذه الرواية الترمذي (2641).

⁽³⁸⁾ سورة الأنعام الآية (153).

⁽⁴⁹⁾ أخرجه البخاري (6815).

تعريف الورد:

الورد بالكسر كما في المصباح: الوظيفة من قراءة ونحو ذلك والجمع أورد يطلقه الصوفية على أذكار يأمر الشيخ تلميذه بذكرها صباحا بعد صلاة الصبح ومساء بعد صلاة المغرب والوارد في اللغة: هو الطارق القادم يقال: ورد علينا فلان أي قدم وفي الاصطلاح: ما يتحفه الحق تعالى قلوب اوليائه من النفحات الإلهية فيكسبه قوة محرّكة وربما يدهشه أو يغيبه عن حسه ولا يكون إلا بغتة ولا يدوم على صاحبه.

والورد يضح ثلاثة صيغ من صيغ الذكر المطلوبة شرعا والتي دعا إليها كتاب الله عز وجل وبينت السنة الشريفة فضلها ومثوبتها:

1 - كلمة التوحيد بصيغة: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) مائة مرة مع التفكير بأنه لا خالق ولا رازق ولا نافع ولا ضار ولا قابض ولا باسط.. إلا الله وحده مع محاولة محو ما يسيطر على القلب من حب الدنيا والأهواء والشهوات والوساوس والشواغل والعلائق والعوائق الكثيرة حتى يكون القلب لله وحده لا لسواه.

ولهذا دعانا الله تعالى إلى هذا التوحيد الخالص فقال: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾⁽¹¹⁾ وكذلك رغبتنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الإكثار من ترداد كلمة التوحيد وبين أفضليتها ومثوبتها فقال: «أفضل الذكر لا إله إلا الله»⁽²²⁾.

ويقول العلامة ابن علان في شرح هذا الحديث: (إنها [أي لا إله إلا الله] تؤثر تأثيرا بينا في تطهير القلب عن كل وصف ذميم راسخ في باطن الذاكر وسببه أن (لا إله) نفي لجميع أفراد الآلهة و (إلا الله) إثبات للواحد الحق الواجب لذاته المنزه عن كل ما لا يليق بجلاله فيأدمان الذكر لهذه

(11) سورة محمد الآية (19).

(22) أخرجه الترمذي (3383) والنسائي في عمل اليوم والليلة (831) والحاكم (503/1) وصححه ووافقه الذهبي وابن ماجه (3800)

وابن حبان (846).

المقولة ينعكس الذكر من لسان الذاكر إلى باطنه حتى يتمكن فيه فيضيئه ويصلحه ثم يضيء

ويصلح سائر الجوارح ولذا أمر المرید وغيره بإكثارها والدوام عليها⁽³¹⁾.

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «جددوا إيمانكم

قيل يا رسول الله كيف نجدد إيماننا قال: اكثروا من قول لا إله إلا الله»⁽⁴²⁾.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضا: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله

الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة

ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما

جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»⁽⁵³⁾.

2 - الاستغفار: بصيغة [استغفر الله] مائة مرة بعد محاسبة النفس على الزلات لتعود صفحة

الأعمال نقية بيضاء وقد أمرنا الله تعالى بذلك بقوله ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه

عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾⁽⁶⁴⁾.

وقال تعالى أيضا ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم

بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾⁽⁷⁵⁾.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر من الاستغفار تعليما لأمته وتوجيها كما روى

سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه قوله: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين

مرة)⁽⁸⁶⁾.

وعن سيدنا عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا»⁽⁹⁷⁾.

⁽¹³⁾ أخرجه أحمد في المسند (359/2).

⁽²⁴⁾ أخرجه أحمد في المسند (359/2).

⁽³⁵⁾ أخرجه مسلم (2691) والترمذي (2390).

⁽⁴⁶⁾ سورة المزمل الآية (20).

⁽⁵⁷⁾ سورة نوح الآية (10 - 12).

⁽⁶⁸⁾ أخرجه البخاري (5948) وابن ماجه (3816).

⁽⁷⁹⁾ أخرجه ابن ماجه (3818) في الأدب وقال في الروايد إسناده صحيح ورجاله ثقات.

3 - الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصيغة: [اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم]⁽¹⁰¹⁾ مائة مرة مع استحضر عظمته صلى الله عليه وآله وسلم وتذكر صفاته وشأئله والتعلق بجنابه الرفيع محبة وتشوقا . ولا مانع أن يصلي عليه بأي صيغة كانت .

وقد أمرنا الله تعالى بذلك بقوله ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾⁽¹¹²⁾ .

وكذلك رغب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكثرة الصلاة والسلام عليه فقال: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا)⁽¹²³⁾ .

وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات»⁽¹³⁴⁾ .
درجات»⁽¹³⁴⁾ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضا: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة»⁽¹⁴⁵⁾ .
مع الملاحظة أن هذا الورد يكون في الصباح والمساء في جلسة يخلو فيها العبد بربه وبذلك يكون قد افتتح نهارها بذكر الله تعالى وختمه بذكره وطاعته ولعله يكون من الذين قال الله تعالى فيهم:
﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾⁽¹⁵⁶⁾ .

ولا ينبغي للسالك في طريق اهل الله أن يكون ورده مقصورا على العدد المذكور بل ينبغي له أن يزيد ذكره لله تعالى لأن قلب السالك في ابتداء سيره كالطفل الصغير فكما أن الطفل كلما كبر

⁽¹⁰¹⁾ رواه أبو داود (981) ورواه الحاكم (268/1) والبيهقي في السنن (146/2) وابن خزيمة (711) وابن حبان (1959) .

⁽¹¹¹⁾ سورة الأحزاب الآية (56) .

⁽¹²⁾ أخرجه النسائي (1296) .

⁽¹³⁾ أخرجه النسائي في (1296) .

⁽¹⁴⁾ أخرجه الترمذي (484) وابن حبان (911) .

⁽¹⁵⁾ سورة الأحزاب الآية (35) .

زيدت له كمية الغذاء كذلك كلما كبر المرید في سيره إلى الله تعالى زاد ذكره الله لأن الذكر غذاء لقلبه وحياة له . مع مراعاة إرشادات شيخه حتى يبقى دائما في حالة اطمئنان وسكينة وثبات . والورد كله بأمر من الله عز وجل وبأمر من سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الاستغفار ومن الصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن قول لا إله إلا الله فليس لأحد أن ينكره أو يتركه فمن انكر فلجهله ومن حرم الأوراد في بدايته حرم الواردات في نهايته فعليك بالأوراد ولو بلغت المراد .

والذكر مع وجود الغفلة سبب قلة الذكر فلا بد من كثرة الذكر حتى تنقل إلى الحضور ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾⁽¹⁶¹⁾ وهذا صعب وليس سهلا فلا بد من المجاهدة ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾⁽¹⁷²⁾ .

ولما كان الورد منهج وسبيل السالكين إلى الله تعالى وقف الشيطان في طريقهم يصددهم عن ذكر ربهم سبحانه بمغالط خفية وحجج شتى وتلبسات متنوعة فقد زين الشيطان لبعض الذاكرين أن يتركوا الذكر بحجة أن ذكرهم لا يسلم من الوسواس والذكر لا يفيد إلا إذا كان الذاكر حاضر القلب مع الله تعالى ، ولكن مرشدي الصوفية حذروا مرديهم من هذا المدخل الشيطاني الخطير . فقال أحد ساداتنا الإمام ابن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى : (لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه ، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز)⁽¹⁸³⁾ .

وقد يترك بعض المریدين قراءة أورادهم محتجين بكثرة أشغالهم وأعمالهم وعدم فراغهم لها ويوحى إليهم شيطانهم أن هذا عذر مشروع ومبرر مقبول وأنه لا بأس بتأجيل الأوراد لوقت

(161) سورة الأحزاب الآية (41) .

(172) سورة العنكبوت الآية (69) .

(183) إيقاظ الهمم في شرح الحكم (79/1) .

الفراغ ولكن المرشدين حذروا السالكين من الإهمال والتسوية وانتظار الفراغ لأن العمر سرعان ما ينتهي والمشاعل لا تزال في تجدد قال الإمام ابن عطاء الله رحمه الله تعالى في حكمه: (إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس) وأقال الشارح ابن عجيبة رحمه الله تعالى: (فالواجب على الإنسان أن يقطع علاقته وعوائقه ويخالف هواه ويبادر إلى خدمة مولاه ولا ينتظر وقتا آخر إذ الفقير (الصوفي) ابن وقته⁽¹⁹¹⁾).

وإقامة الورد في وقته عند إمكانه لازم لكل صادق فإذا عارضه عارض بما هو واجب من الأمور الشرعية لزم إنفاذه بعد التمسك بما هو فيه من غير إفراط مخل بواجب الوقت ثم يتعين تداركه بمثله لئلا يعتاد البطالة ولأن الليل والنهار خلفه والأوقات كلها لله فليس لك اختصاص وجه إلا من حيث ما خصص.

فمن ثم قال بعض المشايخ: ليس عند ربكم ليل ولا نهار يشير للكون بحكم الوقت لا كما يفهمه البطالون من عدم إقامة الورد وقيل لبعضهم وقد رؤيت بيده سبحة: أتعد عليه؟ قال لا ولكن له فكل مرید أهمل أوقاته فبطال وكل مرید تعلق بأوقاته دون نظر للحكم الإلهي فهو فارغ من التحقيق ومن لا يعرف موارد الأحوال عليه فغير حاذق بل هو غافل.

ولذلك قيل: من وجد قبضا أو بسطا لا يعرف له سبب فلعدم اعتنائه بقلبه وإلا فهما لا يردان دون سبب والله أعلم⁽²⁰²⁾.

وقد رأى رجل الإمام الجنيد رضي الله عنه وفي يده سبحة فقال له: (أنت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة؟! فقال: نعم سبب وصلنا به إلى ما وصلنا فلا نتركه أبدا).

وقال الإمام ابن عطاء الله رحمه الله تعالى: (لا يستحق الورد إلا جهول الوارد يوجد في الدار الآخرة والورد ينطوي بانطواء هذه الدار وأولى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده: الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه؟)⁽²¹³⁾.

⁽¹⁹¹⁾ إيقاظ المهمم ي شرح الحكم (/ 49).

⁽²⁰²⁾ قواعد التصوف للعلامة البرنسي المغربي ص (113).

⁽²¹¹⁾ شرح الحكم العطائية للشرنوبلي ص (92).

وإن المرید إذا ترك ورده بسبب من الأسباب السابقة ثم عاد إلى يقظته والتزم عهده فلا يقنط من رحمة ربه نتيجة تقصيره بل عليه أن يتوب إلى الله تعالى ثم يقضي ما فاتته من الأوراد لأنها تقضى كسائر العبادات والطاعات.

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى : (ينبغي لمن كان له وظيفة من الذكر في وقت من ليل أو نهار أو عقيب صلاة أو حالة من الأحوال ففاته أن يتداركها ويأتي بها إذا تمكن منها ولا يهملها فإنه إذا اعتاد الملازمة عليها لم يعرضها للتفويت وإذا تساهل في قضائها يسهل عليه تضييعها في وقتها). وعن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «من نام عن حربه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل»⁽¹⁾،⁽²⁾

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز مفتي المملكة العربية السعودية : الأفضل ان تقرأ بعد صلاة الفجر والمغرب التسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين والتكبير ثلاثا وثلاثين ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير تمام المئة ثم آية الكرسي ثم يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ و ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ ثلاث مرات وهذا ما نص عليه ابن باز مع أن (سورة الصمد والمعوذات ثلاثا ليس فيها نص شرعي صريح على قراءتها بعد الصلاة إنما اجتهاد منه وهكذا اجتهد العلماء وأهل السلوك نفعنا الله بهم جميعا.

الفرق بين الكرامة والاستدراج

⁽¹⁾ أخرجه مسلم (747).

⁽²⁾ الأذكار للنووي ص (13).

الأدلة على كرامات الأولياء

أ - من القرآن الكريم:

قال تعالى في قصة مريم ﴿وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾⁽¹¹⁾ فاخضر الجذع بعد أن كان يابساً وتساقط منه الرطب الجنى في غير أوانه.

وقال تعالى في قصة أصحاب الكهف ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا﴾⁽²²⁾ فقد بقوا طوال هذه المدة في حالة نوم أحياء محفوظين من كل الآفات.

وقال تعالى في قصة صاحب سليمان عليه السلام (الآصف بن برخيا): ﴿أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾⁽³³⁾ فجاءه بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين قبل ارتداد طرفه عليه السلام. وقال تعالى في قصة زكريا عليه السلام مع مريم: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله﴾⁽⁴⁴⁾.

أ - من السنة النبوية الشريفة:

عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لم يتكلم من المهد إلا ثلاثة: عيسى وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي فجاءته أمه فدعته فقال أجيبيها أو أصلي؟ فقالت اللهم لا تمته حتى تريه وجه المومسات. وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة وكلمته فابى فأتت راعيا فأمكنته من نفسها فولدت غلاما فقالت: من جريج فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ فقال: الراعي فقالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا إلا من طين وكان امرأة ترضع ابنا لها من بني إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال اللهم لا تجعلني مثله

(11) سورة مريم الآية (25).

(22) سورة الكهف الآية (25).

(33) سورة النمل الآية (40).

(44) سورة آل عمران الآية (37).

ثم اقبل على ثديها يمصه) قال ابو هريرة رضي الله عنه : كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمص أصبعه (ثم مر بأمه قالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك ثديها فقال: اللهم اجعلني مثلها: فقالت: ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة وهذه الأمة يقولون: سرقت زنت ولم تفعل⁽⁵¹⁾).

وعن سيدنا عبادة بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول «انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغقب قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بي المسير في طلب شيء يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغقب قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرت شيئا لا يستطيعون الخروج» قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «وقال الآخر» الله إنه كان لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأردتها على نفسها فامتنعت مني: حتى أملت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتخرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها) قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «وقال الثالث: اللهم استأجرت أجرا فأعطيتهم أجرا غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله! أد الي أجري فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال: يا عبد الله! لا تستهزيء بي. فقلت: إني لا استهزيء بك فأخذته كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرت الصخرة فخرجوا يمشون»⁽⁶²⁾.

⁽¹⁵¹⁾ أخرجه البخاري (2215) ومسلم (6884) وأحمد (307/2 - 308).

⁽²⁶⁾ أخرجه البخاري (369/4) ومسلم (2743).

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «بيننا رجل راكب على بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه البقرة فقالت: إني لم اخلق لهذا وإنما خلقت للحرث فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم!! فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر»⁽⁷¹⁾.

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لقد كان فيمن قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر»⁽⁸²⁾.

وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما كانا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حاجة حتى إذا ذهب من الليل ساعة وهي ليلة شديدة الظلمة خرجا وبيد كل واحد منهما عصا فأضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا في ضوئها حتى إذا افترت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله)⁽⁹³⁾.

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه: أن خبيبا كان أسيرا عند بني الحارث بمكة في قصة طويلة وفيها أن بنت الحارث تقول: (ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب لقد رأيت يأكُل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقا رزقه الله)⁽¹⁰⁴⁾.

وعن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: شكنا ناس من أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص إلى عمر (فبعث معهم يسأل عنه بالكوفة فطيف به في مساجد الكوفة فلم يقل له إلا خيرا حتى انتهى إلى مسدد فقال رجل يدعى أبا سعدة: أما إذ انشدتنا فإن سعدا كان لا يقسم بالسوية ولا يسير بالسرية ولا يعدل في القضية فقال سعد: اللهم عن كان كاذبا فأطل عمره واطل فقره وعرضه للفتن قال ابن عمير: فرأيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وقد افتقر يتعرض للجواري في الطريق يغمزهن فإذا قيل له: كيف انت؟ يقول: شيخ كبير مفتون أصابتنى دعوة سعد)⁽¹¹⁵⁾.

(171) أخرجه البخاري (2324) ومسلم (6136) والترمذي (3677).

(182) أخرجه البخاري (40/7) ومسلم (2398).

(193) أخرجه أحمد (137/3) وعبد بن حميد (1244) والنسائي في فضائل الصحابة (141).

(104) أخرجه البخاري تعليقا (602) وأحمد (197/1 - 198).

(115) أخرجه البخاري (755).

وفي صحيح البخاري تعليقا أن سيدنا أبا بكر الصديق كان عنده أضياف فقدم لهم الطعام فلما أكلوا منه ربا من أسفله حتى إذا شبعوا قال لامرأته : يا أخت بني فراس ما هذا؟ قالت: وقررة عين لهي [أي القصة] أكثر منها قبل أن يأكلوا... إلى آخر القصة.

وعن سيدنا عروة بن الزبير رضي الله عنه : (أن أروى بنت اويس ادعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئاً من أرضها فخاصمته إلى مروان بن الحكم فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:؟ من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوقه إلى سبع أرضين» فقال له مروان : لا أسألك بينة بعد هذا فقال اللهم إن كانت كاذبة فعم بصرها واقتلها في أرضها قال : فما ماتت حتى ذهب بصرها ثم بينما هي تمشي في أرضها إذا وقعت في حفرة فماتت) (121).

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: (رأيت من العلاء بن الحضرمي ثلاثة أشياء لا أزال أحبه أبدا رأيت قطيع البحر على فرسه يوم دارين وقدم من المدينة يريد البحرين فلما كانوا بالدهناء نفذ مأوئهم فدعا الله فنبع لهم من تحت رملة فارتووا وارتحلوا ونسي رجل منهم بعض متاعه فرجع فأخذه ولم يجد الماء وخرجت معه من البحرين إلى صف البصرة فلما كنا بلياس مات ونحن على غير ماء فأبدى الله لنا سحابة فمطرنا فغسلناه وحفرنا له بسيفونا ولم نلحد له فرجعنا لنلحد له فلم نجد موضع قبره.) (132).

وعن سيدنا أبي السفر رضي الله عنه قال: (نزل خالد بن الوليد الحيرة فقالوا له احذر السم لا تسقيه الأعاجم. فقال: اتئوني به فأخذه بيده وقال: بسم الله وشر به فلم يضره شيئاً) (143).

وعن سيدنا عثمان بن القاسم رضي الله عنه قال: (خرجت ام أيمن مهاجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مكة إلى المدينة وهي ماشية ليس معها زاد وهي صائمة في يوم شديد الحر

(121) أخرجه البخاري (3198) ومسلم (4110) واحمد (188/1).

(132) أخرجه ابن سعد (363/4).

(143) ذكرها ابن حجر في تهذيب التهذيب (125/3) وكذلك الذهبي في سير أعلام النبلاء.

فاصابها عطش شديد حتى كادت ان تموت من شدة العطش قال: وهي بالروحاء أو قريب منها فلما غابت الشمس قالت: إذ أنا بحفيف شيء فوق رأسي فرفعت رأسي فإذا أنا بدلو من السماء مدلى برشاء أبيض قالت: فدنا مني حتى إذا كان حيث أستمكن منه تناولته فشربت منه حتى رويت قالت: فلقد كنت بعد ذلك اليوم الحار أطوف في الشمس كي أعطش وما عطشت بعدها⁽¹¹⁵⁾.

وعن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضرب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله: إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فغذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر»⁽¹¹⁶⁾.

وأخرج البيهقي عن سيدنا قيس رضي الله عنه قال: (بينما ابو الدرداء وسلمان يأكلان من صحيفة إذ سبحت وما فيها).

وعن سيدنا محمد بن المنكدر رضي الله عنه ان سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ركبت البحر فانكسرت سفيتتي التي كنت فيها فركبت لوحا من الواحها فطرحتي اللوح في أجمة فيها الأسد فأقبل الي يريدني فقلت يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فطأ رأسه وأقبل الي فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة ووضعني على الطريق وهمهم فظننت أنه يودعني فكان ذلك آخر عهدي به)⁽¹¹⁷⁾.

وأخرج البيهقي عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: (دخلنا مقابر المدينة مع علي رضي الله عنه فنأدى يا أهل القبور السلام عليكم ورحمة الله ، تخبرونا بأخباركم ام نخبركم ؟ قال : فسمعنا صوتا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين خبرنا عما كان بعدنا فقال علي: أما أزواجكم

⁽¹¹⁵⁾ أخرجه أبو نعيم (67/2).

⁽¹¹⁶⁾ أخرجه الترمذي (2890).

⁽¹¹⁷⁾ أخرجه الحاكم (606/3) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وابن الجوزي في صفة الصفوة (671/1 - 672) وابو نعيم في الحلية (368/1).

فقد تزوجن وأما أموالكم فقد اقتسمت والأولاد قد حشروا في زمرة اليتامى والبناء الذي شيدتم فقد سكنه أعداؤكم فهذه أخبار ما عندنا فما أخبار ما عندكم؟ فأجابه ميت: قد تحرقت الأكفان وانتشرت الشعور وتقطعت الجلود وسالت الأحداق على الحدود وسالت المناخر بالقيح والصديد وما قدمناه وجدناه وما خلفناه خسرناه ونحن مرتنون).

وقال التاج السبكي رحمه الله تعالى: (كان عمر رضي الله عنه قد امر سارية ابن زعيم الخلجي على جيش من جيوش المسلمين وجهزه على بلاد فارس فاشتد على عسكره الحال على باب نهوند وهو يحاصرها وكثرت جموع الأعداء وكاد المسلمون ينهزمون وعمر رضي الله عنه بالمدينة فصعد المنبر وخطب ثم استغاث في أثناء خطبته بأعلى صوته: (يا سارية! الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم فأسمع الله تعالى سارية وجيشه أجمعين وهم على باب نهاوند صوت عمر فلجؤوا إلى الجبل، وقالوا: هذا صوت أمير المؤمنين فنجوا وانتصروا).

وذكر التاج السبكي رحمه الله تعالى في الطبقات وغيره: (أنه دخل على عثمان رضي الله عنه رجل كان قد لقي امرأة في الطريق فتأملها فقال له عثمان رضي الله عنه: يدخل أحدكم وفي عينيه أثر الزنا؟ فقال الرجل: أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال لا ولكنها فراسة المؤمن وإنما اظهر عثمان هذا تأديبا للرجل وزجرا له عن فعله).

من أقوال العلماء:

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه (العقيدة الواسطية): (ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات والمآثور عن سلف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة).

وقال أيضا: (وكرامات الأولياء حق باتفاق أئمة أهل الإسلام والسنة والجماعة وقد دل عليها

القرآن في غير موضع والأحاديث الصحيحة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين)⁽¹⁸⁾.

وقال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى في قصة أصحاب الكهف

﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمئة سنين وازدادوا تسعا﴾⁽¹⁹⁾: احتج أصحابنا الصوفية بهذه الآية على صحة

القول بالكرامات وهو استدلال ظاهر فنقول: الذي يدل على جواز كرامات الأولياء القرآن والاعخبار

والآثار، والمعقول....)⁽²⁰⁾.

وقال الإمام النسفي رحمه الله تعالى: نقض العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائز عند

أهل السنة.

وقال العلامة الياضي رحمه الله تعالى: (والناس في إنكار الكرامات مختلفون فمنهم من ينكر

كرامات الأولياء مطلقا وهؤلاء أهل مذهب معروف، عن التوفيق مصروف ومنهم من يكذب

بكرامات أولياء زمانه ويصدق بكرامات الذين ليسوا في زمانه كمعروف الكرخي والإمام الجنيد

وسهل التستري وأشباههم رضي الله عنهم فهؤلاء كما قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه والله ما هي

إلا إسرائيلية صدقوا بموسى وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم أدركوا منه ومنهم من

يصدق بأن الله تعالى أولياء لهم كرامات ولكن لا يصدق بأحد معين من أهل زمانه)⁽²¹⁾.

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: قال الإمام ابو المعالي إمام الحرمين والمرضي عندنا جواز

خوارق العادات في معارض الكرامات.⁽²²⁾

وقال الشيخ إبراهيم اللقاني رحمه الله تعالى في متن جوهره التوحيد:

وأثبتن للأولياء الكرامة	ومن نفاها فانبذن كلامه
-------------------------	------------------------

⁽¹⁸⁾ مختصر الفتاوى المصرية ص (600).

⁽¹⁹⁾ سورة الكهف الآية (25).

⁽²⁰⁾ التفسير الكبير (2/682).

⁽²¹⁾ روض الرياحين ص (42).

⁽²²⁾ بستان العارفين ص (95).

الفرق بين الكرامة والاستدراج:

الكرامة لا تكون إلا لولي والولي هو صاحب العقيدة الصحيحة المواظب على العمل الصالح والمتابعة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأما ما يجري على أيد بعض الزنادقة كطعن أجسادهم بالأسلحة الحادة وأكل النار والزجاج وغير ذلك مع كونهم مجاهرين بالمعصية منحرفين عن دين الله تعالى فهو من قبيل الاستدراج وإن الولي لا يستأنس بالكرامة ولا يتفاخر بها على غيره.

قال العلامة فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره الكبير: إن صاحب الكرامة لا يستأنس بتلك الكرامة بل عند ظهور الكرامة يصير خوفه من الله تعالى أشد وحذره من قهر الله أقوى فإنه يخاف أن يكون ذلك من باب الاستدراج وأما صاحب الاستدراج فإنه يستأنس بذلك الذي يظهر عليه ويظن انه إنما وجد تلك الكرامة لأنه كان مستحقا لها وحينئذ يحتقر غيره ويتكبر عليه ويحصل له أمن من مكر الله وقعابه ولا يخاف سوء العاقبة فإذا ظهر شيء من هذه الأحوال على صاحب الكرامة دل ذلك على أنها كانت استدراجا لا كرامة).

وقال أيضا: (إن من اعتقد في نفسه أنه صار مستحقا لكرامة بسبب عمله حصل لعمله وقع عظيم فيقلبه ومن كان لعمله وقع عند كان جاهلا ولو عرف ربه لعلم وقع عظيم فيقلبه ومن كان لعمله وقع عنده كان جاهلا ولو عرف ربه لعلم أن كل طاعات الخلق في جنب جلال الله تقصير وكل شكرهم في جنب آلائه ونعمائه قوصر وكل معارفهم وعلومهم في مقابلة عزته حيرة وجهل رايت في بعض الكتب أنه قرأ المقرئ في مجلس الأستاذ أبي علي الدقاق قوله تعالى ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾⁽²³¹⁾ فقال علامة أن الحق رفع عملك أن لا يبقى عندك (أي عملك) فإن بقي عملك في نظرك فهو مدفوع وإن لم يبق معك فهو مرفوع⁽²⁴²⁾.

وبناء على ذلك فإننا حين نرى أن أحدا من الناس يأتي بخوارق العادات لا نستطيع أن نحكم عليه بالولاية وأن نعتبر عمله هذا كرامة حتى نقيس أعماله على الكتاب والسنة.

^(1[23]) سورة فاطر الآية (10).

^(2[24]) التفسير الكبير للعلامة فخر الدين الرازي (692/5).

قال الإمام الجنيد رحمه الله تعالى : لو رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا حاله عند الأمر والنهي⁽²⁵¹⁾.

موقف الصوفية من الكرامات:

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى : قال المحققون (أكثر ما اتفق من الانقطاع عن حضرة الله إنما وقع في مقام الكرامات فلا جرم أن ترى المحققين يخافون من الكرامات كما يخافون من أنواع البلاء).

وقال الإمام الكبير أحمد الرفاعي رضي الله عنه : (ولا ترغب للكرامات وخوارق العادات فإن الأولياء يستترون من الكرامات كما تستتر المرأة من الحيض)⁽²⁶²⁾.

وقال الشيخ عبدالله القرشي رحمه الله تعالى : (من لم يكن كارها لظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصي فهو في حقه حجاب وسترها عليه رحمة فإن خرق عوائد نفسه لا يريد ظهور شيء من الآيات وخوارق العادات له بل تكون نفسه عنده أقل وأحق من ذلك فإذا فني عند إرادته جملة فكان له تحقيق في رؤية نفسه بعين الحقارة والذلة حصلت له أهلية ورود الألفاظ والتحقق بمراتب الصديقين)⁽²⁷³⁾.

وقال علي الخواص رحمه الله تعالى : الكُمَّل يخافون من وقع الكرامات على أيديهم ويزدادون بها وجلا وخوفا لاحتمال أن تكون استدراجا⁽²⁸⁴⁾.

ويجوز إظهار الكرامة عند الصوفية لغرضين احدهما نصره شريعة الله أمام الكافرين والمعاندين كما وقع مع الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى مع ذلك الفيلسوف الذي ينكر معجزات الأنبياء حيث يقول رحمه الله تعالى : حضر عندنا ستة وست وثمانين وخمسة فيلسوف النبوة على الحد الذي يثبتها المسلمون وينكر ما جاءت به الأنبياء من خرق العوائد وأن الحقائق لا تبدل وكان

⁽¹²⁵⁾1 الزواجر (285/2).

⁽²⁶²⁾2 البرهان للمؤيد (161).

⁽²⁷³⁾3 نور التحقيق 127.

⁽²⁸⁴⁾4 اليواقيت والجواهر (113/2).

زمن البرد والشتاء وبين أيدينا منقل عظيم يشتعل نارا فقال المنكر المكذب: إن العامة تقول: إن إبراهيم عليه السلام ألقى في النار فلم تحرقه والنار محرقة بطبعها الجسوم القابل للاحتراق وإنما كانت النار المذكورة في القرآن في قصة إبراهيم عليه السلام عبارة عن غضب نمرود وحنقه فهي نار الغضب فلما فرغ من قوله قال له الشيخ محي الدين بن عربي قدس الله سره: فإن أريتك أنا صدق الله في ظاهر ما قاله في النار أنها لم تحرق إبراهيم وأن الله جعلها عليه كما قال: بردا وسلاما وأنا أقوم لك في هذا المقام مقام إبراهيم في الذب عنه فقال المنكر: هذا لا يكون فقال له: أليست هذه النار محرقة قال نعم فقال تراها في نفسك ثم ألقى النار التي في المنقل في حجر المنكر وبقيت على ثيابه مدة يقبلها المنكر بيده فلما رآها لم تحرقه تعجب ثم ردها إلى المنقل ثم قال له: قرب يدك أيضا منها ف قرب يده فأحرقته: فقال له هكذا كان الأمر وهي مأمورة تحققر بالأمر وتترك الإحراق كذلك والله تعالى الفاعل لما يشاء فأسلم ذلك المنكر واعترف⁽²⁹¹⁾.

والغرض الثاني الذي يجوز إظهار الكرامة فيه عند الصوفية إبطال سحر الفسقة والمشعوذين الذين يضلون الناس عن دينهم كما ذكر العلامة ابن حجر الهيثمي رحمه الله تعالى: أو صوفيا ناظر برهميا والبارهمة قوم تظهر لهم خوارق لمزيد الرياضات فطار البرهمي في الجو فارتفعت إليه نعل الشيخ ولم تنزل تضرب رأسه وتصفعه حتى وقع على الأرض منكوسا على رأسه بين يدي الشيخ والناس ينظرون⁽³⁰²⁾.

وأما إظهار الكرامة بدون سبب مروع فهو مذموم لما فيه من خطر النفس والمفاخرة والعجب. قال الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى: ولا يخفى أن الكرامة عند أكابر الرجال معدودة من جملة رعونات النفس إلا إن كانت لنصر دين أو جلب مصلحة لأن الله تعالى هو الفاعل عندهم لا هم هذا مشهد هم وليس وجه الخصوصية إلا وقوع ذلك الفعل الخارق على يدهم دون

(1^[29]) الفتوحات الملكية (271/2).

(2^[30]) الفتاوي الحديثية ص (222).

غيرهم فإذا أحيأ كبشأ مثلاً أو دجاجة فإنها ذلك بقدرة الله لا بقدرتهم وإذا رجع الأمر إلى القدرة فلا تعجب⁽³¹¹⁾.

وإن أعظم الكرامات عند الصوفية الاستقامة على الشريعة.

قال أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى في رسالته : واعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والحفظ من المعاصي والمخالفات⁽³²²⁾.

وذكرت عند سهل بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى الكرامات فقال:

(وما الآيات وما الكرامات؟! أشياء تنقضي لوقتها ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خُلُقًا

مدموما من أخلاق نفسك بخلق محمود)⁽³³³⁾.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى : الكرامة الحقيقية إنما هي حصول الاستقامة

والوصول إلى كمالها ومرجعها أمران: صحة الإيمان بالله عز وجل واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم ظاهراً وباطناً فالواجب على العبد أن لا يحرص إلا عليها ولا تكون لهمة إلا في

الوصول إليها وأما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين إذ قد يرزق بها من لم تكتمل

استقامته وقد يرزق بها المستدرجون وقال إنما هي كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الإيمان بزيمد

الإيقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة فمن أعطيها

ثم جعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب ليس ذا حظ في العلم بالصواب كما أكرم بشهود الملك

على نعت الرضا فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع الرضا⁽³⁴⁴⁾.

وقال الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى : (واعلم أن الكرامة على قسمين حسية

ومعنوية ولا تعرف العامة إلا الحسية مثل الكلام على الخاطر والإخبار بالمغيبات الماضية والكائنة

والآتية والأخذ من الكون والمشى على الماء واختراق الهواء وطى الأرض والاحتجاب عن الأبصار

⁽³¹¹⁾ اليواقيت والجواهر (117/2).

⁽³²²⁾ الرسالة القشيرية ص (160).

⁽³³³⁾ كتاب اللمع للطوسي ص (400).

⁽³⁴⁴⁾ نور التحقيق لحامد صقر ص (128).

وإجابة الدعاء في الحال ونحو ذلك فالعامة لا تعرف الكرامة إلا مثل هذا وأما الكرامة المعنوية فلا يعرفها إلا الخواص من عباد الله تعالى والعامة لا تعرف ذلك وهي ان يحفظ على العبد آداب الشرعية وأن يوفق لفعل مكارم الأخلاق واجتناب سفاسفها والمحافظة على أداء الواجبات مطلقا في أوقاتها والمسارة إلى الخيرات وإزالة الغل والحقد من صدره للناس والحسد وسوء الظن وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الأنفسا ومراعاة حقوق الله تعالى في نفسه وفي الأشياء وتفقد آثار ربه في قلبه ومراعاة أنفاسه في دخولها وخروجها فيتلقاها بالأدب إذا وردت عليه ويخرجها وعليها حلة الحضور مع الله عز وجل فهذه كلها عندنا كرامات الأولياء المعنوية التي لا يدخلها مكر ولا استدراج⁽³⁵¹⁾.

وقال الشيخ أحمد الحارون رحمه الله تعالى : «كرامتان ليس بعدهما كرامة: الإيمان والاستقامة فإذا وجدتم رجلا مستقيما فلا تطلبوا منه كرامة»⁽³⁶²⁾.

• ليس صاحب الكرامة مفضلا على غيره عند الصوفية:

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : لا يلزم أن يكون كل من له كرامة من الأولياء أفضل من كل من ليس له كرامة منهم بل قد يكون بعض من ليس له كرامة منهم أفضل من بعض من له كرامة لأن الكرامة قد تكون لتقوية يقين صاحبها ودليلا على صدقه وعلى فضله لا على أفضليته وإنما الأفضلية تكون بقوة اليقين وكمال المعرفة بالله تعالى⁽³⁷³⁾.

• عدم ظهور الكرامة ليس دليلا على عدم الولاية عند الصوفية:

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في رسالته : (لو لم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدر عدمها في كونه وليا).

⁽³⁵¹⁾ الفتوحات المكية (369/2).

⁽³⁶²⁾ كرامات الأولياء لأبي محمد الخلال ص (15).

⁽³⁷³⁾ كتاب نشر المحاسن الغالية ص (119).

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في شرحه لرسالة القشيري عند هذا الكلام: (بل قد يكون أفضل ممن ظهر له كرامات لأن الأفضلية إنما هي بزيادة اليقين لا بظهور الكرامة)^{[38]1}.

الكرامة بعد الموت:

قد يستاءل البعض فيقول: هل تختص كرامات الأولياء بحال حياتهم؟ وهل يخرج الولي عن ولايته بالموت؟ والجواب على ذلك: أن كرامات الأولياء إنما هي تصرف بإذن الله تعالى لا بتأثير مؤثر ولا بقوة أخرى مودعة وإذا كانت كذلك لا تتغير بموتهم بل هي بعد الحياة أولى منها لأن النفس أصفى والروح أنقى وإظهارها أحوج وكم رُشيت لكثير من المستورين كرامات لم تظهر إلا بعد انقضاء حياتهم وبعضهم ظهرت قبيل موتهم بعد أن كان سرهم مع الله عز وجل فلما أظهرها اختاروا لقاءه كتبانا للسر ورغبة في السر ثم إنه لا ينعزل الولي عن ولايته بالموت ولا يخرج منها كالأنبياء في نبوتهم لأن الاختصاص باق كحال الحياة وليس معلقا بها لحاجة بل اختيار الله تعالى من شاء من خلقه لولايته امتياز باق ما بقي على العهد لا فرق بين حياة ومات أو إقامة وانتقال أو ظعن وسفر^{[39]2}.

ثم إذا فقدت مكانة الولي عند موته فما الفرق الكبير بينه وبين العاصي؟؟..

السطح

^{[38]1} الرسالة القشيرية ص (159).

^{[39]2} كرامات الأولياء لأبي نُجْد الخلال ص (14 - 15).

الشطح: هو عبارة عن كلمات تصدر من بعض الصوفية غير الكُمَّل في حالة الغيبوبة وغلبة شهود الله تعالى عليهم بحيث لا يشعرون حينئذ بغير الحق وهذه الكلمات لو صدرت عنه وعقله معه لأنكرها وهذه الحالة غير محمودة عند الصوفيين ولكن صاحبها معذور في ذلك لذهوله وعدم انضباط فكره حينئذ ولكن كما أنه لا جناح عليه بسبب هذا العذر فلا يجوز الاقتداء به لمن كان في حالة صحو ولا حمل كلامه وأفعاله على الصحة بل ينظر إلى ذلك على أنه شطحات يعفى عنها لأهل الأحوال والمواجيد الصحيحة كما حصل مع الرجل الذي أضل راحلته في الصحراء وعليها طعامه وشرابه ومتاعه وعندما وجدها أصابه حال سرور فأخطأ من شدة فرحه فقال : (اللهم أنت عبدي وأنا ربك)⁽¹¹⁾ فهذا قد فرح براحلته فكيف بالذي يفرح بالله وهذه العبارة وغيرها مما يصدر عن الذي خرجت عنه بغير صحو ويؤاخذ بها كل من ردها أو أيدها عقلا ممن لم يكن في مثل ذلك الحال والى هذا يشير الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه إذ يقول:

(هذه الكلمات ومثلها من الشطحات التي تتجاوز حد التحدث بالنعمة مثل صاحبها: كمثله رجل نام في بيت الخلاء فرأى في منامه أنه جلس على سرير سلطنة فلما استيقظ خجل وعرف مكانه: الله الله بالوقوف عند الحدود عضوا على سنة السيد العظيم صلى الله عليه وآله وسلم بالنواجذ).

مالي وألغاز زيد	ووهم عمرو
ووجه الشريعة أهدي	من سر ذاك وسري ⁽¹²⁾

⁽¹¹⁾ أخرجه البخاري (11 / 91 - 92) ومسلم (2748) وذكره النووي في رياض الصالحين (15).

⁽¹²⁾ كرامات الأولياء لأبي محمد الخلال ص (14 - 15).

وحدة الوجود

إن وجود الله عز وجل ذاتي أي لا تأثير لغيره به إذ أن الله تعالى هو الأول فليس قبله شيء وقد رُود في الحديث: «كان الله ولم يكن شيء غيره»⁽¹¹¹⁾.

أما وجود الموجودات فهو حاصل من إيجاد الله عز وجل لها ومستمر بإمداد الله تعالى لها بالوجود ولو انقطع الإمداد لعادت عدما.

وعليه فمن نظر الى الموجد الممد سبحانه وتعالى رآه هو الموجود حقيقة ومن لاحظ الإمداد رأى الأياء عدما لولاه سبحانه فوجودها ليس ذاتيا كوجوده الله عز وجل ولذلك قالوا: الوجود الحقيقي واحد وهو الله سبحانه وتعالى ووجود غيره لا يشابه وجوده.

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة ليبد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل»⁽¹²²⁾.

وقال أحدهم:

فالكلمة دون الله إن حقيقته	عدم على التفصيل والإجمال ⁽³³⁾
----------------------------	--

أي عدم حقيقة أصله موجود بمدد الله تعالى له وهذه هي واحدة الوجود.

وقال الشيخ عبدالقادر عيسى رحمه الله تعالى في كتابه (حقائق عن التصوف): إن الوجود نوعان: وجود قديم أزلي وهو واجبه هو الحق سبحانه وتعالى ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾⁽⁴⁴⁾ أي الثابت الوجود المحقق ووجود جائز عرضي ممكن وهو وجود من عده من المحدثات.

وإن القول بوحدة الوجود وأن الوجود واحد هو الحق تعالى يحتمل معنيين:

⁽¹¹¹⁾ أخرجه البخاري (3019/2).

⁽¹²²⁾ أخرجه البخاري (3628/2).

⁽³³⁾ شرح الصاوي ص (77).

⁽⁴⁴⁾ سورة الحج الآية (62).

أحدهما حق والثاني كفر ولهذا فالقائلون بوحدة الوجود فريقان: الفريق الأول أرادوا به اتحاد الحق وأنه لا شيء في هذا الوجود سوى الحق وان الكل هو وأنه هو الكل وأنه عين الشيء وفي كل شيء له آية تدل على أنه عينه... فقول هذا كفر وزندقة وأشد ضلالة من إباطيل اليهود والنصارى وعبد الأوثان وقد شدد الصوفية النكير على قائله وأفتوا بكفره وحذروا الناس من مجالسته. قال العارف بالله أبو بكر محمد بناني رحمه الله تعالى: فاحذر يا أخي كل الحذر من الجلوس مع من يقول: ما ثم غلا الله ويسترسل على الهوى فإن ذلك هو الزندقة المحضة إذ العارف المحقق إذا صح قدمه في الشريعة ورسخ في الحقيقة وتفوه بقوله: ما ثم إلا الله لم يكن صده من هذه العبارة إسقاط الشرائع وإهمال التكاليف حاشا لله ان يكون هذا قصده.⁽⁵¹⁾

الفريق الثاني: قالوا ببطلان وكفر ما ذكر من أن الخالق عين المخلوق وإنما أرادوا بوحدة الوجود القديم الأزلي وهو الحق سبحانه فهو لا شك واحد منزه عن التعدد ولم يقصدوا بكلامهم الوجود العرضي المتعدد وهو الكون الحادث نظرا لأن وجوده مجازي وفي أصله عدمي لا يضر ولا ينفع فالكون معدوم في نفسه هالك فإن في لك لحظة قال تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾⁽⁶²⁾. وإنما يظهره الإيجاد ويثبته الإمداد والكائنات ثابتة بإثابته ومحوه بأحديه ذاته وإنما يمسه سر القيومية فيه وهؤلاء قسامان: قسم اخذ هذا الفهم بالاعتقاد والبرهان ثم الذوق والعيان وغلب عليه الشهود فاستغرق في لجج بحار التوحيد ففني عن نفسه فلا عن شهود غيره مع استقامته على شرع الله تعالى وهذا قوله حق.

وقسم ظن أن ذلك علم لفظي فتوغل في تلاوة عبارته وتمسك بظواهر إشاراتهِ وغاب في شهودها عن شهود الحق فربما هانت الشريعة في عينيه لما يلتذ به من حلاوة تلك الألفاظ فيقع على أم رأسه ويتكلم بما ظاهره أن الشريعة في جهة يختص بها أهل الغفلة والحقيقة في جهة أخرى يختص بها أهل العرفان ولعمري إن هذا هو عين الزور والبهتان وما ثم إلا شريعة ومقام إحسان.⁽⁷³⁾

⁽¹⁵¹⁾ مدارج السلوك إلى ملك الملوك للعارف الكبير محمد بناني المتوفى سنة (1284هـ).

⁽²⁶⁾ سورة القصص الآية (88).

⁽¹⁷⁾ حقائق عن التصوف ص (553 - 556).

الاتحاد والحلول

أقوال العلماء في الاتحاد والحلول

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في تبرئة السادة الصوفية من هذه التهمة الباطلة ما نصه: ليس أحد من أهل المعرفة بالله يعتمد حلول الرب تعالى به أو غيره من المخلوقات ولا اتحاده به وإن سمع شيء من ذلك منقول عن بضع أكابر الشيوخ فكثير منه مكذوب اختلقه الأفاكون من الاتحادية الإباحية الذين أضلهم الشيطان وألحقهم بالطائفة النصرانية⁽¹¹⁾.

وقال أيضا: (كل المشايخ الذين يقتدى بهم في الدين متفقون على ما اتفق عليه سلف طالامة وأئمتها من أن الخالق سبحانه مبين للمخلوقات وليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته وأنه يجب إفراد القديم عن الحادث وتاميز الخالق عن المخلوق وهذا في كلامهم أكثر من أن يمكن ذكره هنا⁽²²⁾).

وقال الإمام الشعراني رحمه الله تعالى: (ولعمري إذا كان عباد الأوثان لم يتجرؤوا أن يجلووا آلهتم عين الله بل قالوا: ﴿ما نبعدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾⁽³³⁾).

فكيف يظن بأولياء الله تعالى أنهم يدعون الاتحاد بالحق على حد ما تتعقله العقول اضعيفة؟! هذا كالمحال في حقهم رضي الله عنهم إذ ما من ولي إلا وهو يعلم أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وأنها الخارجة عن جميع معلومات الخلائق لأن الله بكل شيء محيط⁽⁴⁴⁾.

⁽¹¹⁾ مجموع الفتاوى ("75 a34/11).

⁽²²⁾ مجموع الفتاوى (223/2).

⁽³³⁾ سورة الزمر الآية (3).

⁽⁴⁴⁾ البواقيت والجواهر (83/1).

وقد تحدث الإمام الغزالي عن هذه العقيدة الفاسدة وأظهر بطلانها فقال:

وأما القسم الرابع وهو الاتحاد: فذلك أيضا أظهر بطلانا لأن قول القائل: إن العبد صار هو الرب كلام متناقض في نفسه بل ينبغي أن ينزه الرب سبحانه وتعالى عن أن يجري اللسان في حقه بأمثال هذه المحالات ونقول قولاً مطلقاً: إن قول القائل: إن شيئاً صار شيئاً آخر محال على الإطلاق لأننا نقول إذا عقل زيد وحده وعمره وحده ثم قيل إن زيدا صار عمرا واتحد به فلا يخلو عند الاتحاد إما أن يكون كلاهما موجودين أو كلاهما معدومين أو زيد موجودا وعمره معدوماً أو بالعكس ولا يمكن قسم وراء هذه الأربعة فإن كانا موجودين فلم يصر عين أحدهما عين الآخر بل عين كل واحد منهما موجود وإنها الغاية أن يتحد مكانهما وذلك لا يوجب الاتحاد فإن العلم والإرادة والقدرة قد تجتمع في ذات واحدة ولا تتباين محالها ولا تكون القدرة هي العلم ولا الإرادة ولا يكون قد اتحد البعض ببعض وإن كانا معدومين فما اتحدا بل عدما ولعل الحادث شيء ثالث.

وإن كان أحدهما معدوماً والآخر موجوداً فلا اتحاد إذ لا يتحد معدوم بوجوده فالإتحاد بين شيئين مطلقاً محال وهذا جار في الذات المتماثلة فضلاً عن المختلفة فإنه يستحيل أن يصير هذا السواد كما يستحيل أن يصير هذا السواد ذلك البياض أو ذلك العلم والتباين بين العبد والرب أعظم من التباين بين السواد والعلم فأصل الاتحاد إذا باطل.

وأما القسم الخامس وهو الحلول: فذلك أن يتصور أن يقال: إن الرب تبارك وتعالى حل في العبد أو العبد حل في الرب تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين وهذا لو صح لما وجب الاتحاد ولا أن يتصف العبد بصفات الرب فإن صفات الحال لا تصير صفة المحل بل تبقى صفة للحال كما كان.

ووجه استحالة الحلول لا يفهم إلا بعد فهم معنى الحلول فإن المعاني المفردة إذا لم تدرك بطريق التصور لم يمكن أن يفهم نفيها أو إثباتها فمن لا يدري معنى الحلول فمن أي يدري أن الحلول موجود أو محال.

فنقول: المفهوم من الحلول أمران:

أحدهما: النسبة التي بين الجسم ومكانه الذي يكون فيه وذلك لا يكون إلا بين جسمين فالبريء عن معنى الجسيمة يستحيل في حقه ذلك.

والثاني: النسبة التي بين العرض والجوهر فإن العرض يكون قوامه بالجوهر فقد يعبر عنه بأنه حال فيه وذلك محال على كل ما قوامه بنفسه.

فدع عنك ذكر الرب تعالى وتقدس في هذا العرض فإن كل ما قوامه بنفسه يستحيل أن يحل فيما قوامه بنفسه إلا بطريق المجاورة الواقعة بين الأجسام فلا يتصور الحلول بين عبدین فكيف يتصور بين العبد والرب⁽⁵¹⁾.

وقال الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى في عقيدته الصغرى: تعالى الحق أن تحله الحوادث أو يحلها.

وقال في عقيدته الوسطى: اعلم أن الله تعالى واحد بالإجماع ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شيء أو يحل في شيء أو يتحد في شيء.

وقال في الباب التاسع والستين والمائة: القديم لا يكون قط محلا للحوادث ولا يكون حالا في المحدث⁽⁶²⁾.

وقال في الباب الثاني والستين ومئتين: من أعظم دليل على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم أن تعلم عقلا أن القمر ليس فيه من نور الشمس شيء وأن الشمس ما انتقلت إليه بذاته وإنما كان القمر محلا لها فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شيء ولا حل فيه.

وقال في الباب الرابع عشر وثلاثمائة: لو صح أن يرقى الإنسان عن إنسانيته وذلك عن ملكيته ويتحد بخالقه تعالى لصح انقلاب الحقائق وخرج الإله عن كونه إلهًا وصار الحق خلقًا والخلق حقا وما وثق أحد بعلم وصار المحال واجبا فلا سبيل إلى قلب الحقائق أبدا.

وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة بعد كلام طويل: وهذا يدل على أن العالم ما هو عين الحق ولا حل فيه الحق إذ لو كان عين الحق أو حل فيه لما كان تعالى قديما ولا بديعا.

(151) المقصد الأسنى ص (168).

(26) الفتوحات المكية كما في اليواقيت والجواهر (81 a80/1).

وقال في باب الأسرار: لا يجوز لعارف أن يقول: أنا الله ولو بلغ أقصى درجات القرب وحاشا العارف من هذا القول حاشاه إنما يقول: أنا العبد الذليل في المسير والمقيل⁽⁷¹⁾.

وقال في باب الأسرار أيضا: من قال بالحلول فهو معلول فإن القول بالحلول مرض لا يزول وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول.

وقال في باب الأسرار أيضا: الحاث لا يخلو عن الحوادث ولو حل بالحدث القديم لصح قول أهل التجسيم فالقديم لا يحل ولا يكون محلا.

وجاء في شعره ما ينفي الحلول والاتحاد كقوله:

ودع مقالة قوم قال عالمهم	بأنه الإله الواحد اتحدا
الاتحاد محال لا يقول به	إلا جهول به عن عقله شرذا
وعن حقيقته وعن شريعته	فاعبد إلهك لا تشرك به أحدا

وقال صاحب كتاب نهج الرشاد في الرد على أهل الوحدو والحلول والاتحاد: حدثني الشيخ كمال الدين المراغي قال: اجتمعت بالشيخ أبي العباس المرسي تلميذ الشيخ الكبير أبي الحسن الشاذلي وفاوضته في هؤلاء الاتحادية فوجدته شديد الإنكار عليهم والنهي عن طريقهم وقال: أتكون الصنعة هي عين الصانع؟!⁽⁸²⁾.

وأما ما ورد من كلام السادة الصوفية في كتبهم مما يفيد ظاهرة الحلول والاتحاد فهو إما مدسوس عليهم بدليل ما سبق من صريح كلامهم في نفي هذه العقيدة الضالة وإما لم يقصدوا به القول بهذه العقيدة الضالة ولكن المغرضين حملوا المشابهة من كلامهم على هذا الفهم الخاطيء ورموهم بالكفر والضلال أما العلماء المنصفون فقد فهموا كلامهم على معناه الصحيح الموافق لعقيدة أهل السنة والجماعة وأولوه بما يلائم ما ورد عنهم من نصوص صريحة موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة.

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى وأما قول الشاعر في شعره:

⁽¹⁷¹⁾ الفتوحات المكية كما في اليواقيت والجواهر (1/80 a 81).

⁽¹⁸²⁾ الحاوي للفتاوي (2/134).

أنا من أهوى	ومن أهوى أنا
-------------	--------------

فهذا إنما أراد به الشاعر الاتحاد المعنوي كاتحاد أحد المحبين بالآخر الذي يجب أحدهما ما يجب الآخر ويغض ما يبغضه ويقول مثل ما يقول ويفعل مثل ما يفعل وهذا تشابه وتمثال لا اتحاد العين بالعين إذ كان قد استغرق في محبوه حتى فني به عن رؤية نفسه كقول الآخر :

غبت بك عني	فظننت أنك أني
------------	---------------

فهذه الموافقة هي الاتحاد السائغ⁽¹⁹¹⁾.

وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابه " (مدارج السالكين) ما نصه : (.. الدرجة الثالثة من درجات الفناء: فناء خواص الأولياء وأئمة المقربين وهو الفناء عن إرادة السوى شائما برق الفناء عن إرادة ما سواه سالكا سبيل الجمع على ما يحبه ويرضاه فانيا بمراد محبوه منه عن مراده هو من محبوه فضلا عن إرادة غيره قد اتحد مراده بمراد محبوه أعني المراد الديني الأمري لا المراد الكوني القدري فصار المرادان واحدا... وليس في العقل اتحاد صحيح إلا هذا والاتحاد في العلم والخير فيكون المرادان والمعلومان والمذكوران واحدا مع تباين الإرادتين والعلمين والخبرين فغاية المحبة اتحاد مراد المحب بمراد المحبوب فهذا الاتحاد والفناء هو اتحاد خنواص المحبين وفناؤهم قد فنوا بعبادة محبوبهم عن عبادة ما سواه وبجبه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والاستعانة به واطلب منه عن حب ما سواه ومن تحقق بهذا الفناء لا يجب إلا في الله ولا يبغض إلا فيه ولا يوالي إلا إياه ولا يستعين إلا به فيكون دينه كله ظاهرا وباطنا لله ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فلا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب الخلق إليه بل :

يعادي الذي عادي من الناس كلهم	جميعا ولو كان الحبيب المصافيا
-------------------------------	-------------------------------

وحقيقة ذلك فناؤه عن هوى نفسه وحظوظها بمراضي ربه تعالى وحقوقه والجامع لهذه كله تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله علما ومعرفة وعملا وحالا وقصدا وحقيقة هذا النفي والإثبات التي تضمنته هذه الشهادة هو الفناء والبقاء فيفنى عن تأله ما سواه علما وإقرارا وتعبدًا ويبقى بتأله

(191) مجموع رسائل ابن تيمية ص (52).

وحده فهذا الفناء وهذا البقاء هو حقيقة التوحيد لذي انفقت عليه الرسل صلوات الله عليهم وأنزلت به الكتب وخلقت لأجله الخليفة وشرعت له الشرائع وقامت عليه سوق الجنة وأسس عليه الخلق والأمر وهذا الموضوع مما غلط فيه كثير من أصحاب الإرادة والمعصوم من عصمه الله وبالله المستعان والتوفيق والعصمة.

وقال أيضا: وإن كام مشمرا للفناء العالي وهو الفناء عن إرادة السوى لم يبق في قلبه مراد يزاحم مراده الديني الشرعي النبوي القرآني بل يتحد المرادان فيصير عين مراد الرب تعالى هو عين مراد العبد وهذه حقيقة المحبة الخالصة وفيها يكون الاتحاد الصحيح وهو الاتحاد في المراد لا في المرید ولا في الإرادة⁽¹⁰¹⁾.

وقال العلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه (الخواص للفتاوى) واعلم أنه وقع في عبارة بعض المحققين لفظ الاتحاد إشارة منهم إلى حقيقة التوحيد فإن الاتحاد عندهم هو المبالغة في التوحيد والتوحيد معرفة الواحد والأحد فاشتبه ذلك على من لا يفهم إشارتهم فحملوه على غير محمله فغلطوا وهلكوا بذلك..).

إن أصل الاتحاد باطل محال مردود شرعا وعقلا وعرفا بإجماع الأنبياء ومشايخ الصوفية وسائر العلماء والمسلمين وليس هذا مذهب الصوفية وإنما قاله طائفة غلاة لقله علمهم وسوء حظهم من الله تعالى فشابهوا بهذا القول النصارى الذين قالوا في عيسى عليه السلام اتحد ناسوته بلاهوته وأما من حفظه الله تعالى بالعناية فإنهم لم يعتقدوا اتحادا ولا حلولا وإن وقع منهم لفظ الاتحاد فإنما يريدون به محو أنفسهم وإثبات الحق سبحانه... وقد يذكر الاتحاد بمعنى فناء المخالفات وبقاء الموافقات وفناء حظوظ النفس من الدنيا وبقاء الرغبة في الآخرة وفناء الأوصاف الذميمة وبقاء الأوصاف الحميدة وفناء الشك وبقاء اليقين وفناء الغفلة وبقاء الذكر... وأما قول أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى الله تعالى: (سبحاني ما أعظم شأنني) فهو في معرض الحكاية عن الله وكذلك قول من قال: (أنا الحق) محمول على الحكاية ولا يظن بهؤلاء العارفين الحلول والاتحاد

(101) مدارج السالكين (1/91).

لأن ذلك غير مظنون بعامل فضلا عن المميزين بخصوص المكاشفات واليقين والمشاهدات ولا يظن بالعقلاء المتميزين على اهل زمانهم بالعلم الراجح والعمل الصالح والمجاهدة وحفظ حدود الشرع الغلط بالحلول والاتحاد كما غلط النصارى في ظنهم ذلك في حق عيسى عليه السلام وإنما حدث ذلك في الإسلام من واقعات جهلة المتصوفة وأما العلماء العارفون المحققون فحاشاهم من ذلك.. والحاصل أن لفظ الاتحاد مشترك فيطلق على المعنى المذموم الذي هو أخو الحلول وهو كفر ويطلق على مقام الفناء اصطلاحا اصطلاح عليه الصوفية ولا مشاحة في الاصطلاح إذ لا يمنع أحد من استعمال لفظ في معنى صحيح ولا محذور فيه شرعا ولو كان ذلك ممنوعا لم يجز لأحد أن يتفوه بلفظ الاتحاد وأنت تقول: بيني وبين صاحبي زيد اتحدا وكم استعمل المحدثون والفقهاء وغيرهم لفظ الاتحاد في معان حديثة وفقهية ونحوية كقول المحدثين: اتحد مخرج الحديث وقول الفقهاء اتحد نوع الماشية وقول النحاة: اتحد العامل لفظا أو معنى. وحيث وقع لفظ الاتحاد من محققي الصوفية فإنما يريدون به معنى الفناء الذي هو محو النفس وإثبات الأمر كله لله سبحانه لا ذاك المعنى المذموم الذي يقشعر له الجلد وقد أشار إلى ذلك سيدي علي بن وفا فقال من قصيدة له:

يظنوا بي حلولا واتحادا	وقلبي من سوى التوحيد خالي
فتبرأ من الاتحاد بمعنى الحلول وقال أبي أبيات أخر:	
وعلمك أن كل الأمر أمري	هو المعنى المسمى باتحاد

فذكر أن المعنى الذي يريدونه بالاتحاد إذا أطلقوه هو تسليم الأمر كله لله وترك الإرادة معه والاختيار والجري على مواقع أقداره من غير اعتراض وترك نسبة شيء ما إلى غيره⁽¹¹¹⁾. وقال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى ما نصه: (ولقد كان من تأثير التباس تلك الفلسفة الفكرية الجانحة بهذه الحالة الشهودية الوجدانية على كثير من الناس جهلهم بتلك التعابير والكلمات التي تطفح على ألسنة أصحاب تلك الأحوال كتلك الألفاظ التي اشتهرت عن

(¹¹¹) الحاوي للفتاوى (134/2).

أبي يزيد البسطامي رحمه الله فظنوا أن قوله (ما في الجبة إلا الله) عقيدة فكرية يتبناها الشيخ فهو يعتنق إذن عقيدة الحلول وينادي بها ولو أنهم تمهلوا وأمعنوا في حقيقة الأمر وواقعه ووقفوا عليتراجم هؤلاء الرجال وأحوالهم لما تسرعوا في الانجراف في هذا الفهم الباطل والتهمة الشنعاء! بل لعلموا أنه ما من مؤمن بالله حق الإيمان إلا وله حظ من هذا الفناء ولكنه ليس فناء الشعور عن كل ما سوى الله بل هو فناء الإرادة لكل ما عدا الله وهو يتمثل في اليقين بأن الله هو النافع والضار وفي صدق التوكل عليه والتفويض إليه واخضاع إرادته وحبه لما يحبه الله ويرضاه إلا أن هؤلاء الرجال رحمهم الله تعالى لما استرسلوا في هذا الحال وواصلوا مراقبتهم لله عز وجل وعودوا أنفسهم أن لا يبصروا شيئاً من مظاهر الكون إلا وتتجلى لهم صفات الله من خلاله تجاوزوا مرحلة ذلك الفناء الإرادي إلى الفناء الشعوري فمنهم من استمر على منهج التنسيق بين الجمع والفرق وذلك هو المقام السامي الذي بعث به الرسل والأنبياء وتحلوا به وهو الذي يجب أن يكون مطمح أبصار السالكين إلى الله عز وجل⁽¹²¹⁾. والحمد لله رب العالمين

حل الإشكالات حول الشيخ محي الدين بن عربي

ترجمة الشيخ محي الدين بن عربي قدس الله سره

560 – 638هـ، 1165 – 1240هـ

(121) السلفية ص (201 - 202).

هو محمد بن علي بن عربي، أبو بكر الطائفي الأندلسي المعروف بمحي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر من أشهر فلاسفة المتصوفة وأكبر أئمة المتكلمين في كل علم ولد بمريسة من الأندلس ونشأ بها وتلقى العلم فيها ثم انتقل إلى إشبيلية واختلف بعد ذلك إلى كثير من بلاد المشرق كمصر والحجاز وبغداد والموصل وأخذ عن كبار العلماء ثم رحل إلى بلاد الروم وأقام بها مدة طويلة ثم أتى إلى الشام وظل بها حتى مات ودفن هنا ونسب إليه الحي الذي دفن فيه فيقال: (حي الشيخ محي الدين) وفي هذا الحي مسجد عظيم دفن الشيخ قدس سره في غرفة ملحقة به اشتهر الشيخ بالتصوف وأخذ نفسه بالزهد في ملذات الحياة ليخلص إلى الله تعالى وكان في الفقه ظاهري المذهب حصل فنون العلم وأتقنها وله في الأدب الشأو الذي لا يلحق وله مؤلفات قيمة في التصوف والفلسفة والآداب لاسيما الشعر الصوفي ولو قيس بأمثاله من المتفلسفين كابن سينا والغزالي لبزهم⁽¹¹¹⁾ جميعا في ميدان التأليف فقد ألف نحو من مائتين وتسعة وثمانين كتابا ورسالة وقال الشعراني في الجواهر: بلغت أربعمئة كتاب وهو أخصب المؤلفين إنتاجا. عدّ طائفة من العلماء كتبه الصوفية من إشارات العارفين ورموز السالكين وعدّها طائفة من متشابه القول وأن ظاهرها كفر وباطنها حق وعرفان وأنها صحيحة في نفسها كبيرة القدر والصواب أنه مات على الحق فقد كان عالما بالآثار والسنن قوي المشاركة في العلوم وقولي أنا⁽²¹²⁾ فيه: يجوز أن يكون من أولياء الله تعالى الذين اجتذبهم الحق إلى جناته عند الموت وختم لهم بالحسنى ومن قوله في الله عز وجل:

يا من يراني ولا أراه	كم ذا أراه ولا يراني
فلما تسامع الناس بهذا القول أنكروه فزاد بيتين آخر فسراه وأزال غموضه:	
يا من يراني مذنبا	ولا أراه آخذا
كم ذا أراه منعما	ولا يراني لائذا

(111) بزهم: غلبهم .

(212) المقصود: هو الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني راجع لسان الميزان (311/5) وما بعدها.

فهدأت موجة اعتراضهم إذ رأوا القول ممكن التأويل ويكاد يكون معظم كلامه الذي اعترض به عليه من هذا القبيل اما ما نسب إليه مما لا يمكن تأويله فالراجح أنه مدسوس عليه كما سيمر بك إن شاء الله تعالى.

غلبه التوحيد علما واعتقادا وحالا وجمع بين العلوم الكسبية ومنح كثيرا من العلوم الوهبية وقد أثنى عليه أقرانه وعلماء وقته كابن النجار وابن نقطة وابن العديم والذكي المنذري ومازني في كلامهم طعن عليه وأجازه الكثير من العلماء الأعلام قال ابن المديني قدم بغداد سنة ثمان وستائة فكان يومى إليه بالفل والمعرفة غلب عليه طريق اهل الحقيقة قال ابن النجار صحب الصوفية وارباب القلوب وسلك طريق الفقر وحج وجاور⁽³¹⁾ وله أشعار حسان وكلام مليح وقد أطراه الكمال ابن الزمكاني ووصفه بأنه البحر الزاخر في المعارف الإلهية وقال ابن المنصور (وكان من أكابر علماء الطرق) وقد اشار بكراماته القشاش والشعراني والمناوي والنبهاني وقال الشيخ شمس الدين : توسع في علم الكلام⁽⁴²⁾ ولم يكن به بأس ولعل ذلك⁽⁵³⁾ وقع منه حال سكر⁽⁶⁴⁾.

دراسة لإشكالات أثرت حول الشيخ محي الدين بن عربي قدس سره:

إن الحقائق عندما تعالج ينبغي أن لا تعالج بالعواطف بل بالتجرد والعقل الذي يكون رائده الحق فنحن إزاء أي مشكلة لا ينبغي أن نعالجها حسب ميولنا ومصالحنا وأهوائنا بل نناقشها مناقشة من يبحث عن الحق ليظفر به فالحق أحق أن يتبع ذلك لأنه الميزان الجديد الذي توزن به الاعتبارات وميزان الحق لا يعول: وكثيرون هم الذين تكلموا عن الشيخ الأكبر وخاضوا في أحواله وتناولوه بالدراسات المختلفة ولكن هل كان رائد كل أولئك أن ينصفوه؟

[13] أي أقام بجواز الكعبة أو جاور في المدينة المنورة .

[24] علوم العقيدة والتوحيد.

[35] أي تكلمه بالشطحات.

[6] السُّكر غيبة بوارد قوي يغيب فيه العارف عن المميز فيشطح بكلمات لو صدرت عن قائلها وعقله معه لاعتبرناه ضالا وهذا الال ليس مرغوبا ولا هو وصف كمال بل غاية صاحبه أنه يكون معدورا لضعف عقله عن احتمال التمييز راجع أصفى الموارد في مكتوبات مولانا خالد لجامعها الشيخ أسعد صاحب ص (28 - 29) والرسالة القشيرية.

فمن تجرد من بحثه عن المؤثرات والأهواء رأى الشيخ عالماً جليلاً وولياً قائماً على حدود الشرع ملتزماً بالكتاب والسنة فيما يأتي ويذر ورأى عذراً في الشطحات ورآها أحوالاً خارجة عن إرادته تطراً عليه كظل سحابة ما يلبث أن يمر ثم يعود إلى صحوه فينكر ما قاله أثناء الغيبة ولا خلاف في أن حال الصحو أفضل من حال الشطح ولا يجوز لمن في حال الصحو أن يقتدي بأهل الشطح ولا اعتبار لأقوالهم هذه ولا يؤخذون عليها في ذلك الحال بسبب الذهول الذي يرافقهم في ذلك الحال ويسلبهم الإرادة وسيمر بك الآن شيء من كلام الشيخ عده منكره من عظام الأمور لكنه حينما يؤول يزول إشكاله ويسقط عنه حجاب الغموض والاستنكار.

فمن ذلك البيت الذي مر بك في ترجمته آنفاً:

يا من يراني مذنباً	ولا أراه آخذاً
كما إذا أراه منعماً	ولا يراني لائذاً

فينبغي أن لا نبادر بالإنكار على أصحاب هذه الحالات بل علينا ان نلتمس لهم الأعذار ما دام كلامهم ممكن التأويل فمن هذا القبيل ما سئل عنه أبو عثمان الخيري النيسابوري رضي الله عنه من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (أعوذ بك منك) ⁽⁷¹⁾ فقال: استعمل الصدق في اللفظتين يبلغ فهمك إلى هذه الكلمة وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم (أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك) ⁽⁸²⁾.

ومن ذلك دعوى أن الشيخ يقول في كتبه (لا موجود إلا الله) والجواب أن معنى ذلك بتقدير صحة القول عنه: أنه لا موجود قائم بنفسه إلا هو تعالى وما سواه قائم بغيره كما أشار إليه بيت لبيد المشهور (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) ⁽⁹³⁾، ومن كانت حقيقته كذلك فهو إلى العدم أقرب غذ هو وجود مسبق وعدم وفي حال وجود تردد بين وجود وعدم لا تخلص لأحد الطرفين فإن صح أن الشيخ قال: (لا موجود إلا الله) فإنما قال ذلك عندما تلاشت عنده الكائنات حين شهوده

⁽¹⁷⁾ أخرجه مسلم (542) والنسائي (13/3) والدارقطني (29/4).

⁽²⁸⁾ أخرجه أحمد في مسنده (96/1).

⁽³⁹⁾ البيت للبيد وكل نعيم لا محالة زائل.

الحق تعالى بقلبه كما قال أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه : (من شهد الحق تعالى بقلبه لم يهد الخلق)
وقد ذكر الشيخ في الباب السابع والخمسين وخمس مائة من الفتوحات المكية بعد كلام طويل ما
نصه: وهذا يدللك صريحا على ان العالم ما هو عين الحق تعالى ، إذ لو كان عين الحق تعالى ما صح
كون الحق تعالى بديعا .
ومن ذلك

دعوى المنكر أن الشيخ يقول بقبول إيمان فرعون وذلك كذب وافتراء عليه فقد صرح الشيخ في
الباب الثاني والستين من الفتوحات: بان فرعون من أهل النار الذين لا يخرجون منها أبد الآبدين
والفتوحات آخر مؤلفاته فإنه فرغ منها قبل موته بنحو ثلاث سنين .

قال شيخ الإسلام الخالدي رحمه الله تعالى : والشيخ محي الدين بتقدير صدور ذلك عنه لم ينفرد به
بل ذهب جمع كثير من السلف إلى قبول إيمانه لما حى الله عنه أنه قال: ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي
آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾⁽¹⁰¹⁾ ، وكان ذلك آخر عهده بالدنيا وقال أبو بكر
الباقلاني قبول إيمانه هو الأقوى من حيث الاستدلال ولم يردنا نص صريح أنه مات على كفره
ودليل جمهور السلف والخلف على كفره انه آمن عند اليأس وإيمان أهل اليأس لا يقبل .

ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ رحمه الله تعالى يقول بجواز إباحة المكث⁽¹¹²⁾ للجنب في المسجد
فإن صح ذلك عن الشيخ فهو موافق فيه لمولانا عبدالله بن عباس رضي الله عنه والإمام أحمد بن
حنبل رحمه الله تعالى وهو مذهب المزني وجماعة من التابعين والفقهاء فقول المنكر إن الشيخ محي
الدين خالف في ذلك الشريعة وأقوال الأئمة مردود .

ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ يقول: الولي أفضل من الرسول والجواب أن الشيخ لم يقل ذلك
وإنما قال: اختلف الناس في رسالة النبي وولايته أيهما أفضل والذي أقول به: إن ولايته أفضل
لشرف المتعلق ودوامها في الدنيا والآخرة بخلاف الرسالة فإنها تتعلق بالخلق وتنقضي بانقضاء
التكليف ووافقه على ذلك عز الدين بن عبدالسلام فإن الكلام في رسالة النبي صلى الله عليه وآله

⁽¹⁰¹⁾ سورة يونس الآية (90).

⁽¹¹¹⁾ المكث مثلثة الميم : اللبث.

وسلم مع ولايته لا في رسالته ونبوته مع ولاية غيره ذلك لأن الولاية نسبة ذاتية بين الله وبين عبده أي أنه اصطنعه لنفسه وأعدّه مظهراً لأسمائه وصفاته واصطفاه لمعرفة وتولاه بمحبته أما النبوة فهي نسبة إضافية بمعنى أنه سبحانه كلف هذا العبد أن يبلغ دعوته لخلقهم فلو فرض عدم المرسل إليهم ما حدث لهذا العبد اسم نبي ولا رسول ولكان يدعي بالولي فالنسبة الأولى أصل لا يمكن انفكاكها والنسبة الثانية فرع عارض ترتفع بارتفاع التكليف عند الانقلاب إليه تعالى فولاية كل نبي بهذا الاعتبار أفضل من نبوته لا أن مطلق الولاية أفضل من النبوة وكيف يذهب السادة الصوفية إلى تفضيل الأولياء على الأنبياء وفيهم (محمد) صلى الله عليه وآله وسلم وهم يعتقدون أنه أفضل الأنبياء وأشرف المخلوقات⁽¹²¹⁾، وفي (قوانين الاستشراق) ٥ (59) أن الشيخ الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى نقل عنه أنه لما سئل: هل يصل الولي إلى رتبة يزول عنه فيها كلفة التكليف؟ فأجاب بقوله: (قلنا يكون الولي أولاً يجد كلفة التعب فإذا وصل وجد بالتكليف الراحة والطرب من باب قوله صلى الله عليه وآله وسلم «أرحنا بها يا بلال»⁽¹³²⁾ وخلاصة الكلام أن ما نراه في كتب الصوفية من الأمور التي يخالف ظاهرها نصوص الشريعة واحكامها هي إما أن تكون مدسوسة عليهم من قبل الزنادقة والحسدة أعداء الإسلام كما بينا وإما أن تكون قابلة للتأويل كما في كثير من الكلام العربي فمن جملة التأويل الذي لا محيد عنه ما فيه هذه الآية الشريفة: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾⁽¹⁴³⁾ فإما أن نستعمل الصفات في معانيها المجازية وإما القول بهلاك ما أثبتته الله لذاته من الصفات سوى وجهه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً⁽¹⁵⁴⁾ وكما في تأويل هذا الحديث الشريف: «إن الله خلق آدم على صورته»⁽¹⁶⁵⁾. فإن عاد الضمير في (صورته) إلى الله وجب التأويل على ما هو معروف من مذهب الخلف وهناك غير هذه الاعتراضات موجودة في مظانها كاليواقيت والجواهر للإمام الشعراني أجوبتها وسيمر معنا الكلام عن هذا

⁽¹¹²⁾ مجلة الأنصار والصوفية لفضيلة العلامة الشيخ حسن رمضان علامة الفرات وشيخها.

⁽¹¹³⁾ أخرجه أبو داود (4985).

⁽¹¹⁴⁾ سورة القصص الآية (88).

⁽¹¹⁵⁾ ردود على شبهات السلفية لمحمد نوري الديرثوي.

⁽¹¹⁶⁾ أخرجه مسلم في صحيحه (2841).

امفصلا في باب السنة والبدعة وباب التأويل وإثبات المجاز عند السلف إن شاء الله تعالى
ولعمري إن قام المنكرون والمعرضون في وجه هذا العالم الجليل والولي الكامل فأنكروا كلامه
وتعرضوا له بالأذى والنكران وضروب التشويش والإزعاج وإثارة الجهلة والمغرضين عليه فقد
حدث مثل ذلك للأنبياء والصالحين على مدى الدهور وقد قال الله تعالى ﴿وجعلنا بعضكم
لبعض فتنة أتصبرون﴾⁽¹⁷¹⁾ وقد نقل الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه (التحدث بالنعمة)
ومما أنعم الله به علي أن أقام لي عدوا يؤذيني ويمزق عرض لتكون لي أسوة بالأنبياء والأولياء
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الصالحون»⁽¹⁸²⁾
فلا يخفى مقدار ما تحمله النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المنكرين والكافرين والأقرباء المقربين
قال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى : (ما كان كبير في عصر إلا كان له عدو من السفلة) $\text{D}\hat{\text{A}}$
الأشراف لم تزل تبتل بالأطراف فكان لآدم إبليس ولنوح حام ولداود جالوت ولسليمان صخر
ولإبراهيم النمرود ونسبوا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه إلى الرياء والنفاق في صلاته فصبوا على
رأسه ماء حميا فزلع⁽¹⁹³⁾ وجهه ورأسه وهو لا يشعر فلما سلم من صلته قال: ما شأني؟ فذكروا
له القصة فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل ومكث زمانا وهو يتألم من رأسه ووجهه وكان لابن
عباس رضي الله عنهما نافع الأزرق وكان يؤذيه أشد الأذى ويقول: إنه يفسر القرآن بغير علم
وكان لسعد بن أبي وقاص جهلة من جهال الكوفة يؤذونه مع أنه مشهود له بالجنة وأما الأئمة
المجتهدون فلا يخفى ما قاساه الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه من الضرب والحبس وما قاساه
الإمام البخاري حين أخرجوه من بخارى إلى خرتنك⁽²⁰⁴⁾، ونفوا أبا يزيد البسطامي سبع مرات
وشيعوا ذا النون المصري من مصر إلى بغداد مقيدا مغلولا وكذلك سمنون وسهل التستري
واسعد لخراز والجنيد ورويم وابن عطاء وآخرون لقوا عظام الأمور من المنكرين من الهزء

(171) سورة الفرقان الآية (20).

(182) أخرجه بهذا اللفظ الحاكم في المستدرک (3/343).

(193) زلع: انقشر الجلد عن اللحم.

(204) خرتنك قرية بينها وبين سمرقند ثلاثة فرساخ بما قبر إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري.

والسخرية والتنكير والإيذاء ومهما يكن فهذه سنة الكون التي لم يسلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها لأننا لو استعرضنا سيرته نجدكم لقي من قومه وأهله المقربين وصحابته أيضا نالهم حظهم من الإيذات والابتلاء ولقد لقي القوم ما لقوا حين نظر الناس في ظاهر عباراتهم ولم يستعينوا بهم على فهم معانيها وإدراك مراميها فلكل قوم لغة ولكل فئة اصطلاح والمتصوفة حين يكتبون إنما يفعلون ذلك تخاطبا فيما بينهم باصطلاحهم حسبما درجوا عليه وهم في هذا كما يكتبون منطقي لمنطقي أو عروضي لعروضي فإذا جاء غير المنطقي فربما ضحك حينما يجدهم يسمون الإنسان حيوانا ناطقا ويسمون أحقر الأشياء جوهرًا ويشاهد العروضي يستعمل البيت والوند والإقواء والتكاوس والتواتر فيأخذ العجب من هذه الكلمات ويبقى مدهوشا مستنكرا فهل يستقيم لنا ان نعترض عليهم لأنهم يتفاهمون فيما بينهم بهذه الاصطلاحات التي لا يفهمها غير المختص وفي الجملة فإن هذا الوضع أحوال ومنازل واصطلاحات وتعايير لا تنال بقراءة الأوراق بل بصحبة أهل الأذواق ولا بد لمن يريد الفهم من صحبتهم لمعرفة إشاراتهم وإدراك مصطلحاتهم لتتضح له مقاصدهم وتستنير سبلهم مثلما فعل إمامنا حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى .

عقيدة الشيخ محي الدين بن عربي قدس سره:

إن الذين رموا الشيخ الأكبر قدس سره بالحلولية تارة وبالزندقة تارة أخرى لو نظروا بعين الإنصاف في كل ما كتب لخرجوا من ذلك بما لا مجال فيه للشك أن الشيخ من أكابر الموحدين وان عقيدته واضحة لا لبس فيها وأن المعروف من حاله يخالف ما رمي به من عظام الأمور مما قيل عنه من اتحاد وحلول إن الشيخ وإن كان قد قال شيئا من هذه الأول ففي حال سكر وذهول عن الوعي والحالة السوية وسرعان⁽²¹¹⁾ ما يتبرأ من ذلك كما سيمر بك إن شاء الله والمعروف من اعتقاده أن الله لا يحل في شيء فهو مباين عن الحوادث بقدمه لكن الذي دفع أولئك إلى ما قالوا عن هذا الموحد الجليل والعالم الذكلمات دست عليه وعلى غيره من العلماء الأعلام فاعتبروا لازم هذه الأقوال حالا مصاحبا لكنهم لو أنصفوا لفرقوا بين حالي الصحو والسرك ، ولقد ثبت من أقوال

(211) سرعان: مثلثة السين أ ما أسرع ما فعلت كذا.

العارفين إن إحساسهم بشدة القرب من الحضيرة الإلهية يحجبهم عما حولهم تغمرهم انوار الفيوضات مستغرقين في الواردات استغراقا يسلبهم اليقظة والوعي لكن الله جلت قدرته لا يديم عليهم هذا الحال فاستغراقهم في هذه المواجهات ومضات وجيزة يعودون بعدها إلى حالهم الأول ولولا ذلك لما خلفوا لنا مما كتبوا هذه الأسفار الجلييلة من الآداب والسلوك والحكم وما كانوا أشدوا الناس بالحجة والبرهان أما أقوالهم تلك فيمكن تأويلها بكل يسر إن كان ثمة تجرد وإنصاف فإذا بها أقوال ليس فيها ما يخالف الشرع أو يستغرب أو يستنكر وفي الجملة فهذه عقيدة الشيخ بين يديك وأمام ناظريك فانظر فيها تشاهد التنزيه من أجلى مظاهره والتوحيد من أنقى معانيه اقرأ قوله في عقيدته الصغرى⁽¹²²¹⁾ : تعالى الحق ان تحله الحوادث او يحلها) وقال في عقيدته الوسطى : (اعلم أن الله تعالى واحد بالإجماع ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شيء أو يحل في شيء أو يتحد بشيء) وقال في الباب الثامن من الفتوحات (اعلم أنه ليس في أحد شيء من الله ولا يجوز ذلك بوجه من الوجوه) وقال في باب الأسرار (لا يجوز لعارف أن يقول: (أنا الله) ولو بلغ أقصى درجات القرب وحاشا العارف من هذا وحاشاه إنما يقول: (أنا العبد الذليل في المسير والمقيل) وقال في باب المائة والتاسع والستين (القديم لا يكون قط محلا للحوادث ولا يكون حالا في المحدث وإنما الوجود الحادث والقديم مربوط ببعض ربط إضافة وحكم لا بط وجود عين بعين فإن الرب لا يجتمع مع عبده في مرتبة واحدة⁽¹²³²⁾ هذه هي أيها القارئ عقيدة الشيخ مع ما مر معنا من اقواله التي اتخذناها شاهدا في باب الشطح والحلول والاتحاد فهي كاشفة عن حقيقة هذا الموحد الجليل ومظهرة أنه رضي الله عنه يتمتع بعقيدة طاهرة هي في أعلى مراتب التنزيه والتوحيد الخالص بعيدا عن التشبه والتعطيل وقد مر بك في ترجمته انه كان متخصصا في علم التوحيد بل إماما من ابرز أعلامه فإن غلبه الوجد في لحظة عابرة عند إحساسه بمقام القرب فسرعان ما يعود إلى وعيه وصفائه ويعود إليه حاله الطبيعي لذلك فالإنصاف والأدب أن نغض الطرف عن هذه

⁽¹²²¹⁾ العقيدة الصغرى والوسطى اسما كتابين للشيخ محي الدين وهما في العقيدة.

⁽¹²³²⁾ اليواقيت والجواهر للإمام الشعراي ص (4).

الحالات الطارئة إزاء هذا الرسوخ الإيماني في تنزيه واجب الوجود مما يستحيل عليه من صفات الحوادث وأعراضها).

واليك رأي كبار الشيوخ والعلماء في الشيخ محي الدين بن عربي وما دس عليه من كلام. فقد تناول العالم الجليل الشيخ عبدالوهاب الشعراني رحمه الله ما ورد من الفتوحات المكية للشيخ محي الدين بن عربي قدس سره من أقوال مستغربة لدى من لم يدرك معناها ممن لم يذق حميا القوم ولم تهبط على أفئدتهم الفيوضات وتغمرهم الواردات فعاغلج هذه الأقوال وناقشها بتؤدة العالم المنصف والباحث المطلع والناقد الموضوعي القدير بعيدا عن سطوة الهوى وتحكم العاطفة كما أورد الشيخ آراءهم فيه فأدرى الناس بالمرء معاصروه ممن هم في أحواله فقال: إني طالعت من كلام أهل الكشف ما لا يحصى من الرسائل فما رأيت أوسع عبارة من الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى لكني رأيت في كتابه (الفتوحات المكية) مواضع لم أفهمها فذكرتها لينظر فيها علماء الإسلام فلا تظن يا أخي أي ذكرتها لكني أعتقد صحتها فمعاذ الله أن أخالف جمهور المتكلمين (أما التفسير المزعوم والمنسوب إلى ابن عربي فقد وضعه عليه أحد الملاحدة وهو القاشاني الباطني الشهير فقد أقامه على منهج وحدة الوجود القائمة على اعتبار أن كل العالم بظواهره ومظاهره ما هو إلا مجال لوجود الحق أي الله تعالى وقد نسب هذا الكتاب إلى القاشاني المؤرخ حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون وكان شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى يقول (لا يخلو كلام الأئمة عن ثلاثة أحوال لأنه إما أن يوافق صريح الكتاب والسنة فهذا يجب اعتقاده جزما وإما أن لا يظهر لنا موافقته ولا مخالفته فأحسن أحواله الوقف وإما أن يخالف الكتاب والسنة ولا يمكن تأويله فمرفوض مردود لا يصح قبوله وقد أخبرني العارف بالله الشيخ أبو الطاهر المزني الشاذلي رضي الله عنه أن جميع ما في كتب الشيخ محي الدين مما خالف ظاهر الشريعة مدسوس عليه لأنه رجل كامل بإجماع المحققين والكامل لا يصح في حقه شطح عن ظاهر الكتاب والسنة فمن كلامه يعني الشيخ محي الدين بن عربي أن (من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك) وجميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة وما عليه الجمهور فهو مدسوس عليه

ولقد كانت عند الشيخ أبي طاهر المغربي نسخة من الفتوحات كان قد قابلها على نسخة الشيخ التي بخطه فلم أر فيها مما كنت قد توقعت فيه وإن هذا الإمام إن كان قد دُسَّ عليه فقد دس الزنادقة تحت وسادة الإمام أحمد بن حنبل في مرض موته عقائد زائفة ولولا أن أصحابه يعلمون منه صحة الاعتقاد لافتتنوا بما وجدوه تحت وسادته فهذا هو ابن الفراء يقول في طبقاته نقلا عن أبي بكر المرزوي ومسدد وحرب: أنهم رأوا الكثير من المسائل ونسبوا إلى الإمام أحمد بن حنبل ويضيق رجلين صالحين بلبا بأصحاب سوء: وهما جعفر الصادق وأحمد بن حنبل أما جعفر الصادق فقد نسبت إليه أقوال كثيرة دونت في فقه بعض الفئات الإسلامية على أنها له وهو منها بري وأما أحمد بن حنبل فقد نسب إليه بعض الحنابلة آراء في العقائد لم يقل بها^[241]، كما قال الإمام ابن حجر في فتاويه الحديثية^[252]: (إن عقيدة الإمام أحمد بن حنبل موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة وكل ما نسب إليه مما يخالفها كذب وافتراء وبهتان) وكذلك دسوا على مجد الدين الفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط كتابا في الرد على أبي حنيفة رضي الله عنه وتكفيره فأعلن الفيروز آبادي براءته من هذا الكتاب وأنه يجب حرقه وكذلك دسوا عليّ^[263] في كتابي المسمى بالبحر المورود، وأنا منه بريء: من جملة ما دس على الإمام الشعراي في كتابه الطبقات الكبرى (135/2) في ترجمة سيدي علي بن وحيش مالا أطيع كتابته من الفاحشة المنسوبة إلى هذا الرجل الصالح ولا بد أن هذا الدس قد حصل بعد وفاة الإمام الشعراي رحمه الله والوضع في هذه الفرية ظاهر وأراد مختلقها أن يحتال لها فيجعلها في حالة قد تنطلي على البسطاء والمغفلين فقال: إن هؤلاء يخيلون للناس هذه الأفعال وليس لها حقيقة وإنما إزاء هذا القول المختلق وأمثاله يكفيننا ردا ما هم عليه من الأحوال السامية والقهجمات الشريفة المستنيرة بضوء الكتاب والسنة.

[241] التصوف الإسلامي والإمام الشعراي لظه عبدالباقي سرور ص (82).

[251] الفتاوى الحديثية لابن حجر ص (148).

[261] المقصود هو الشيخ عبدالوهاب الشعراي مؤلف كتاب اليواقيت والجواهر.

ويتابع الشيخ الشعрани رضي الله عنه عنه فيقول: ولقد قال المجد الفيروز آبادي: والذي أقوله وأتحققه وأدين الله به أن الشيخ محي الدين كان شيخ الطريقة حالا وعلما وإمام التحقيق حقيقة ورسما الخ.

وكان سراج الدين المخزومي شيخ الإسلام بالشام يقول: إياكم والإنكار على شيء من كلام الشيخ محي الدين فإن لحوم الأولياء مسمومة وقد أثنى عليه العلماء امثال الشيخ قطب الدين الحموي ومن أثنى عليه الحافظ أبو عبدالله الذهبي والشيخ قطب الدين الشيرازي وكان مؤيد الدين الخجندي يقول: ما سمعنا بأحد من أهل الطرق اطلع على ما اطلع عليه الشيخ محي الدين وكذلك كان يقول الشيخ شهاب الدين السهروري والشيخ كمال الدين الكاشي مع أن هؤلاء الأشياخ كانوا من اشد الناس إنكارا على من يخالف ظاهر الشريعة ومن أثنى عليه أيضا الشيخ فخر الدين الرازي وقال كان الشيخ محي الدين وليا عظيما وسئل الإمام محي الدين النووي عن الشيخ محي الدين بن عربي فقال: تلك أمة قد خلت ولكن الذي عندنا أنه يحرم على كل عاقل أن يسيء الظن بأحد من أولياء الله عز وجل ويجب عليه أن يؤول أقوالهم وأفعالهم ما دام لم يلحق بدرجتهم ولا يعجز⁽²⁷¹⁾ عن ذلك إلا قليل التوفيق قال في شرح المهذب: (ثم إذا أوّل فليؤول كلامهم إلى سبعين وجها ولا نقبل تأويلا واحدا) ومن أثنى عليه الشيخ محمد المغربي الشاذلي شيخ الجلال السيوطي وقد صنف الشيخ سراج الدين المخزومي كتابا في الرد عن الشيخ محي الدين وأما قاضي القضاة المالكي فقد ترك القضاء وتبع طريقة الشيخ وانقطع لخدمته وبالجملة فما أنكر على الشيخ إلا الفقهاء الذين لا حظ لهم في شرب المحققين⁽²⁸²⁾ ونحن إزاء موضوع الدس لابد أن نعلم ان كثيرا من العلوم لم تسلم من آفة الدس والتحريف فلا يخفى أن بعض تفاسير القرآن يكاد ينوء بالاسرائليات ومله الحديث الشريف حين دسوا على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث جمّة لم يقلها وهي الأحاديث المعروفة بالموضوعة كأحاديث إسناد الجهة إلى الله تعالى مثل الفوقية وأحاديث التجسيم والتشبيه ونحو ذلك من العقائد الزائفة لكن الله تعالى قيص

[271] العجز: وهو من باب ضرب وسمع.

[281] اليواقيت والجواهر للإمام الشعрани ط (البابي الحلبي 1959) 0 (7) وما بعدها.

للرد على هؤلاء علماء مخلصين أزالوا كل شائبة عن هذين العلمين وإن الدس وإن يكن قد نال من هذين العلمين فإن التاريخ الإسلامي أيضا قد سرى إليه هذا الداء قديما كقصاص ألف ليلة وليلة وما فيها عن هارون الرشيد رحمه الله تعالى وحديثا ككتابات المستشرقين الحاقدين أمثال فيليب حتي وبركلمان وجرجي زيدان أما جرجي زيدان فقد شوه التاريخ الإسلامي حين صاغه في أسلوب روايات غرامية جردها من دوافعها الإيمانية وكذلك دس على أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه كما فعل الشريف الرضي علي بن الحسين على ما ذكره الذهبي حين قال: (وهو المتهم بوضع نهج البلاغة) ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه ففيه السب الصريح والخط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وفيه التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين والصحابة وغيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن أكثره باطل.^[29]

وكذلك دسوا على حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى فها هو الشيخ الشرعاني يقول: ومما دسوا على الغزالي وأشاعه بعضهم عنه أنه قال: (إن لله عبادا لو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقيمها وإن لله عبادا لو سألوه أن يقيم الساعة الآن لأقامها) فإن مثل ذلك كذب وزور على الإمام حجة الإسلام رحمه الله وإن وجد في بعض مؤلفات الإمام فذلك مدسوس عليه من بعض الملاحدة وقد رأيت كتابا كاملا مشحونا بالعقائد المخالفة لأهل السنة والجماعة صنفه بعض الملحدين ونسبه إلى الإمام الغزالي فاطلع عليه الشيخ بدر الدين بن جماعة فكتب عليه (كذب والله وافترى من أضاف هذا الكتاب إلى حجة الإسلام).^[30]

ورابعة العدوية رضي الله عنها لم تسلم من التقول عليها فقالوا بأنها قالت عن الكعبة (الصنم المعبود في الأرض) وقد كذب ابن تيمية هذا القول وقال إنه مدسوس عليها لما سألوه عنها فقال: (وأما ما ذكر عن رابعة العدوية من قولها عن البيت إنه الصنم المعبود في الأرض فهو كذب على

^[29] ميزان الاعتدال (124/3).

^[30] لطائف المنن والأخلاق للشيخ الشعراي (127/1).

رابعة العدوية المؤمنة التقية ولو قال هذا من قال لكان كافرا يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهو كذب فإن البيت لا يعبده المسلمون ولكنهم يعبدون رب البيت بالطواف والصلاة إليه⁽¹⁾.⁽²⁾

وقد سبق أن ذكرنا أن الشيخ الأكبر رضي الله عنه تناول أحواله بالدراسة كثيرون لكن لم يجعل كل أولئك نصب أعينهم أن ينصفوه فلم يلتمسوا له الأعذار فيا أيها القراء الكرام: أما وقد اطلعنا على جانب مهم من جوانب حياة هذا الشيخ الكبير والعالم الجليل والمرشد الرباني الكامل وعلمنا مقدار رسوخه في علم التوحيد ووقوفه عند النصوص التي أجمع عليها جمهور المتكلمين فينبغي أن لا نغدو أسارى دعاوى أضاليل قيلت من غير بهان وثيق او بناء على قناعات سابقة من غير تمحيص شأن المغرضين فعلى القارئ الذي يسعى نحو معرفة حقيقة هذا الحبر الجليل أن يسلك في دراسته طريقة التحقيق العلمي مع التماس الأعذار كما ورد بذلك الأثر: (التمس لأخيك سبعين عذرا) بعيدا عن دائرة جاذبية العاطفة أو الارتجال وما لم نعتق أنفسنا من تأثيرات الظنون الآثمة والعواطف الآسرة فلن نهتدي إلى سواء السبيل.

وحسبنا في هذا رادعا قول الله جل وعلا ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾⁽³⁾.

المجاهدة

تمهيد

⁽¹⁾ مجموعة الرسائل لابن تيمية (80/1) وما بعدها.

⁽²⁾ من كتاب الصوفية والتصوف للشيخ عدنان حقي حفظه الله ص 104.

⁽³⁾ سورة الإسراء الآية (26).

تعريف المجاهدة: قال الراغب الأصفهاني في كتابه (المفردات في ترغيب القرآن) ⁽¹¹¹⁾: الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو والجهاد ثلاثة أضرب : مجاهدة العدو الظاهرة ومجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ ⁽²¹²⁾ وقوله: ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ ⁽³¹³⁾.

ولا شك أن النفس الإنسانية قابلة لتغيير صفاتها الناقصة وتبديل عاداتها المذمومة وإلا لم يكن هناك فائدة من بعثة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ولا ضرورة لمن بعده من ورثته العلماء العاملين والمرشدين المصلحين.

وإذا كان كثير من سباع الطيور والبهائم قد امكن ترويضها وتبديل كثير من صفاتها فالإنسان الذي كرمه الله تعالى بالعقل وخلقه في احسن تقويم من باب أولى.

وليس المراد من مجاهدة النفس استئصال صفاتها بل المراد تصعيدها من سيء إلى حسن وتسييرها على مراد الله تعالى وابتغاء مرضاته.

فصفة الغضب مذمومة حين يغضب المرء لنفسه أما إذا غضب الله تعالى فعندها يصبح الغضب ممدوحا كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغضب إذا انتهكت حرمة الله أو عطل حد من حدوده ولكنه حين أؤذي في الله وضرب وأدمي عقبه يوم الطائف لم يغضب لنفسه بل دعا لمن آذوه بالهداية والتمس لهم العذر فقال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ⁽⁴¹⁴⁾.

وكذلك صفة الكبر فهي مذمومة حين يتكبر المسلم على إخوته المسلمين أما حين يتكبر على المتكبرين الكافرين فتصبح هذه الصفة محمودة لأنها في سبيل الله وضمن حدود شرعه.

وهكذا معظم الصفات المذمومة تحول بالمجاهدة وتصعد إلى صفات ممدوحة.

⁽¹¹¹⁾ المفردات في غريب القرآن (208) مادة جهد.

⁽²¹²⁾ سورة الحج الآية (78).

⁽³¹³⁾ سورة التوبة الآية (41).

⁽⁴¹⁴⁾ أخرجه البخاري (3477) ومسلم (1792) وأحمد (380/1 - 427) والطبراني (5694) وابن حبان (973) والفسوي في تاريخه

(338/1) والهيتمي في مجمع الزوائد (117/6).

فمجاهدة النفس فطمها وحملها على خلاف هواها المذموم وإلزامها تطبيق شرع الله تعالى أمرا ونهيا.

الأدلة على مشروعية المجاهدة:

أ - من القرآن الكريم :

قال تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾⁽¹⁵¹⁾.

قال العلامة المفسر القرطبي في تفسير هذه الآية (قال السدي وغيره : إن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال) وهذا يدل على أن المراد بالجهاد هنا هو جهاد النفس كما قال العلامة المفسر ابن جزري في تفسيرها: يعني جهاد النفس .

ب - من السنة الشريفة:

عن فضالة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «المجاهد من جاهد نفسه في الله»⁽⁶²⁾.

وفي رواية «في طاعة الله»⁽⁷³⁾.

حكم المجاهدة :

تزكية النفس فرض عين ولا تتم إلا بالمجاهدة ومن هنا كانت المجاهدة فرض عين أيضا من باب: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

قال الشيخ عبدالغني النابلسي رحمه الله : المجاهدة في النفس عبادة ولا تحصل لأحد إلا بالعلم وهي فرض عين على كل مكلف⁽⁸⁴⁾.

طريقة المجاهدة:

⁽¹⁵¹⁾ سورة العنكبوت الآية (69).

⁽²⁶⁾ أخرجه الترمذي (1621) وقال حديث حسن صحيح وأحمد (206) والطبراني في الكبير (797/18) وابن حبان (4706).

⁽³⁷⁾ أخرجه أحمد (21/6) والحاكم (10/1- 11) وصححه ووافقه الذهبي.

⁽⁴⁸⁾ شرح الطريقة المحمدية (323/1).

وأول مرحلة في المجاهدة عدم رضى المرء عن نفسه وإيما به بوصفها الذي أخبر عنه خالقها ومبدعها ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾⁽⁹¹⁾ وعلمه ان النفس اكبر قاطع عن الله تعالى⁽¹⁰²⁾ كما أنها أعظم موصل إليه وذلك ان النفس حينما تكون أمارة بالسوء لا تتلذذ إلا بالمعاصي والمخالفات ولكنها بعد مجاهدتها وتزكيتها تصبح راضية مرضية لا تسر إلا بالطاعات والموافقات والاستئناس بالله تعالى.

وإذا اكتشف المسلم عيوب نفسه وصدق في طلب تهذيبها لم يعد عنده متسع في الوقت للانشغال بعيوب الناس وإضاعة العمر في تعداد اخطائهم وإذا رأيت أحدا من الناس قد صرف وقته في إحصاء أخطاء الآخرين غافلا عن عيوب نفسه فاعلم أنه جاهل مكمور به قال ابو مدين:

ولا تر العيب إلا فيك معتقدا	عيبا بدا بينا لكنه استترا
-----------------------------	---------------------------

وقال بعضهم :

لا تلم المرء على فعله	وأنت منسوب إلى مثله
من ذم شيئا قد أتى مثله	فإنها دل على جهله

ولذا قالوا: لا تر عيب غيرك ما دام فيك عيب والعبد لا يخلو من عيب أبدا .

فإذا عرف المسلم ذلك أقبل على نفسه بفظمها عن شهواتها المنحرفة وعاداتها الناقصة ويلزمها بتطبيق الطاعات والقربات.

ويتدرج في المجاهدة على حسب سيره فهو في بادىء الأمر يتخلى عن المعاصي التي تتعلق بجوارحه السبعة وهي:

⁽¹⁹⁾ سورة يوسف الآية (53).

⁽¹⁰⁾ والقواطع عن الله تعالى أربعة: النفس والدنيا والشيطان والخلق أما عداوة النفس والشيطان فظاهرة وأما الخلق فملاحظة مدحهم وذمهم تعرقل سير السالك إلى ربه وأما الدنيا فالاهتمام بها وانشغال القلب بتقلباتها قاطع كبير عن الله تعالى ففي حالة الفقر تكثر هموم المرء فتشغله عن الله وفي حال الغنى ينشغل بزينتها وزخرفها عن الله تعالى ﴿إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ أما اذا أخرج حبه من قلبه فإنها لا تضره كما قال شيخ الصوفية سيدي عبدالقادر الجيلاني رحمه الله تعالى : أخرج الدينا من قلبك وضعها في جيبك أو في يدك فإنها لا تضرك.

اللسان والأذنان والعينان واليدان والرجلان والبطن والفرج⁽¹¹¹⁾ ثم يجلي هذه الجوارح السبعة بالطاعات المناسبة لكل منها⁽¹¹²⁾ فهذه الجوارح السبعة منافذ على القلب إما أن تصب عليه ظلمات المعاصي فتكدره وتمرضه وإما أن تدخل عليه أنوار الطاعات فتشفيه وتنوره. ثم ينتقل في المجاهدة إلى الصفات فيبدل صفاته الناقصة كالكبر والرياء والغضب... بصفات كاملة كال تواضع والإخلاص والحلم.

وبما أن طريق المجاهدة وعر المسالك متشعب الجوانب يصعب على السالك ان يلججه منفردا كان من المفيد عمليا صحبة مرشد خبير بعيوب النفس عالم بطرق معالجتها ومجاهدتها يستمد المزيد من صحبته خبرة عملية بأساليب تزكية نفسه كما يكتسب من روحانيته نفحات قدسية تدفع المرید لى تکمیل نفسه وشخصيته وترفعه فوق مستوى النقائص والمنكرات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المرشد الأول والمزكى الأعظم الذي ربي أصحابه الكرام وزكى نفوسهم بقاله وحاله كما وصفه الله تعالى بقوله ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾⁽¹³³⁾. والذي يحقق النفع للمريد هو استقامته على صحبة مرشده واستسلامه له كاستسلام المريض للطبيب فإذا ما أدخل الشيطان على قلب المرید داء الغرور والاكتفاء الذاتي فأعجب بنفسه

(111) لكل جارحة من الجوارح السبعة معاصي تتعلق بما: فمن معاصي اللسان: الغيبة والنميمة والكذب والفحش ومن معاصي الأذنين: سماع الغيبة والنميمة والأغاني الفاحشة ومن معاصي العينين: النظر للنساء الأجنبية وعورات الرجال ومن معاصي اليدين: إيذاء المسلمين وقتلهم واخذ أموالهم بالباطل ومصافحة النساء الأجنبية ومن معاصي الرجلين: المشي إلى محلات المنكرات والفجور. ومن معاصي البطن: أكل المال الحرام وأكل لحم الخنزير وشرب الخمر ومن معاصي الفرج: الزنا واللواط..

(112) فمن طاعات اللسان: قراءة القرآن الكريم وذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ومن طاعات الأذنين سماع القرآن الكريم والأحاديث النبوية والنصائح والمواظب ومن طاعات العينين النظر إلى وجوه العلماء والصالحين والنظر إلى الكعبة المشرفة والنظر التأمل لآيات الله في الكون ومن طاعات اليدين مصافحة المؤمنين وإعطاء الصدقات ومن طاعات الرجلين المشي إلى المساجد وإلى مجالس العلم وعبادة المريض والإصلاح بين الناس ومن طاعات البطن: تناول الطعام الحلال بنية التقوي على طاعة الله تعالى ومن طاعات الفرج النكاح المشروع بغية الإحصان وتكثير النسل.

(133) سورة الجمعة الآية (2). ومن هنا نجد أن التزكية شيء وتعليم الكتاب والحكمة شيء آخر لذا قال تعالى ﴿ ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ ففرق كبير بين علم التزكية وحالة التزكية كما يلاحظ الفرق الواضح بين علم الصحة وحالة الصحة إذ قد يكون الطيب الماهر الذي عنده علم الصحة فاقدًا حالة الصحة ومصابًا بالأمراض والعلة الكثيرة وكذلك الفرق ظاهر بين علم الزهد وحالة الزهد كالمسلم الذي عنده علم واسع بالآيات والأحاديث والشواهد المتعلقة بالزهد ولكنه يفقد حالة الزهد ويتصف بالطمع والشهوة والتكالب على الدنيا الفانية.

واستغنى عن ملازمة شيخه بآء بالفشل ووقف وهو يظن انه سائر وقطع وهو يظن أنه موصول⁽¹⁴¹⁾.

صور من مجاهدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته الكرام:

1 - عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (ما شبع آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض)⁽¹⁵²⁾.

2 - وعن رضي الله عنها قالت: (كان فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أدم⁽¹⁶³⁾ وحشوه ليف)⁽¹⁷⁴⁾.

3 - وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

يوما فوجدته جالسا مع أصحابه وقد عصب بطنه من الجوع فذهبت إلى أبي طلحة وهو زوج أم سليم بنت ملحان فقلت: يا أبتاه قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عصب بطنه بعصاة فسألت بعض أصحابه فقالوا: من الجوع فدخل أبو طلحة على أمي فقال: هل من شيء؟ قالت نعم عندي كسر من خبز وتمرات فإن جاءنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشبعناه وإن جاء آخر معه قل عنهم وذكر تمام الحديث)⁽¹⁸⁵⁾.

4 - وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لقد رأيتني وإني لأخرف فيما بين منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حجرة عائشة رضي الله عنها مغشيا علي فيجيء الجاني فيضع رجله على عنقي ويرى أني مجنون⁽¹⁹⁶⁾ وما بي من جنون ما بي إلا الجوع)⁽²⁰⁷⁾.

5 - وعن سيدنا فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة⁽²¹¹⁾ وهم اصحاب الصفة حتى

[141] حقائق عن التصوف ص (115 - 119).

[152] أخرجه البخاري (478/9) ومسلم (2970).

[163] أي جلد.

[174] أخرجه البخاري (5/11).

[185] أخرجه البخاري (429/6 - 432) ومسلم (2040).

[196] أي وتلك عادتهم بالمجنون حتى يفيق.

[207] أخرجه البخاري (7324) والترمذي (2367).

يقول الأعراب هؤلاء مجانين فإذا صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انصرف إليه فقال: (لو تعلمون ما لكم عند الله تعالى لأحببتم أن تزدواوا فاقة وحاجة)^[22].

6 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما فيهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم منها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته)^[23].

7 - وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية فدعوه فأبى أن يأكل وقال خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير^[24].

8 - وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم ما يجد من الدقل^[25] ما يملأ بطنه^[26].

من أقوال العارفين بالله في أهمية المجاهدة

1 - قال الإمام البركوي رحمه الله تعالى: المجاهدة: وهي فطم النفس وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات فهي بضاعة العباد ورأس مال الزهاد ومدار صلاح النفوس وتذليلها وملاك تقوية الأرواح وتصفيتها ووصولها إلى حضرة ذي الجلال والإكرام فعليك أيها السالك بالتشمير في منع النفس عن الهوى وحملها على المجاهدة إن شئت من الله الهدى قال الله تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾^[27] وقال أيضا ﴿ومن جاهد فإننا يجاهد لنفسه﴾^[28].

[21]1 الخصاص: الفاقة والجوع الشديد.

[22]2 أخرجه الترمذي (2368) وقال حديث حسن صحيح وصححه ابن حبان (724) واحمد (18/6) والطبراني في الكبير (18) برقم (798) وأبو نعيم (17/2).

[23]3 أخرجه البخاري (447/1).

[24]4 أخرجه البخاري (478/9).

[25]5 الدقل: تمر رديء.

[26]6 أخرجه مسلم (2978) والترمذي (2373).

[27]7 سورة العنكبوت الآية (69).

[28]8 سورة العنكبوت الآية (6).

- 2 - وقال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى : من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة وقال الله تعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ وعلم أنه من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة⁽²⁹¹⁾.
- 3 - وقال أبو عثمان المغربي رحمه الله تعالى : (من ظن أنه يفتح له بهذه الطريقة أو يكشف له عن شيء منها لا بلزوم المجاهدة فهو في غلط).
- 4 - وقال الإمام الجنيد رحمه الله تعالى : سمعت السري السقطي يقول: يا معشر الشباب جدوا قبل أن تبلغوا مبلغنا فتضعفوا وتقصروا كما ضعفت وقصرت. وكان في ذلك الوقت لا يلحقه الشباب في العبادة.
- 5 - وقال ابن عجيبة رحمه الله تعالى : لا بد للمريد في أول دخوله الطريق من مجاهدة ومكابدة وصدق وتصديق وهي مظهر ومجلاة للنهايات فمن أشرقت بدايته أشرقت نهايته فمن رأيناه جادا في طلب الحق باذلا نفسه وفلسه وروحه وعزه وجاهه ابتغاء الوصول إلى التحقق بالعبودية والقيام بوظائف الربوبية علمنا إشراق نهايته بالوصول إلى محبوبه وإذا رأيناه مقصرا علمنا قصوره عما هنالك⁽³⁰²⁾.
- 6 - وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى في تعليقاته على الرسالة القشيرية : أة
نجاة النفس أن يخالف العبد هواها ويحملها على ما طلب منها ربها.
رد الشبهات حول المجاهدة:
- إن قال قائل: إن رجال التصوف يرمون ما أحل الله من أنواع اللذائذ والمتع وقد قال الله تعالى ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾⁽³¹³⁾.
- وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ فنقول: إن رجال التصوف لم يجعلوا الحلال حراما إذ أسمى مقاصدهم هو التقييد

⁽²⁹¹⁾ الرسالة القشيرية ص (48 - 50).

⁽³⁰¹⁾ إيقاظ المهمل (370/2).

⁽³¹¹⁾ سورة الأعراف الآية (32).

بشرع الله ولكنهم حين عرفوا أن تزكية النفس فرض عين وان للنفس أخلاقا سيئة وتعلقات شهوانية توصل صاحبها إلى الردى وتعيقه عن الترقى في مدارج الكمال وجدوا لزاما عليهم ان يهذبوا نفوسهم ويحرروها من سجن الهوى.

وبهذا المعنى يقول الصوفي الكبير الحكيم الترمذي رحمه الله تعالى الله ردا على هذه الشبهة وجوابا لمن احتج بالآية الكريمة ﴿ قل من حرم زينة الله . . ﴾ فهذا الاحتجاج تعنيف ومن القول تحريف لأننا لم نرد بهذا التحريم ولكننا أردنا تأديب النفس حتى تأخذ الأدب وتعلم كيف ينبغي أن تعمل في ذلك ألا ترى إلى قوله جل وعلا ﴿ إنما حرم ربي الواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق ﴾⁽³²¹⁾ فالبغي في الشيء الحلال حرام والفخر حرام والمباهاة حرام والرياء حرام

والسرف حرام فإنما أوتيت النفس هذا المنع من أجل أنها مالت إلى هذه الأشياء بقلبها حتى فسد القلب فلما رأيت النفس تتناول زينة الله والطيبات من الرزق تريد بذلك تغنيا او مباهاة أو رياء علمت أنها خلطت حراما بحلال فضيقت الشكر وإنما رزقت لتشكر لا لتكفر فلما رأيت سوء أديها منعتها حتى إذا ذلت وانقمعت ورآني ربي مجاهدا في ذاته حق جهاده هداي سبيله كما وعد الله تعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾⁽³³²⁾ فصرت عنده بالمجاهدة محسنا فكان الله معي ومن كان مع الله فمعه الفئة التي لا تغلب والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يضل وقذف في القلب نورا عاجلا في دار الدنيا حتى يوصله إلى ثواب الآجل وتجافي عن دار الغرور بما قذف في قلبه من النور فأبصر به عيوب الدنيا ودواهيها وآفاتمها وخداعها وخرابها فغاب عن قلبه البغي والرياء والسمعة والمباهاة والفخر والخيلاء والحسد لأن ذلك إنما كان أصله من تعظيم الدنيا وحلاوتها في قلبه وحبها لها وكان سبب نجاته من هذه الآفات برحمة الله رياضته هذه النفس بمنع الشهوات منها⁽³⁴³⁾. وقد تسرع بعض الناس فزعموا جهلا أن التصوف في مجاهداته ينحدر من أصل بوذي أو براهمي ويلتقي مع الانحرافات الدينية في

[321] سورة الأعراف الآية (33).

[332] سورة العنكبوت الآية (69).

[343] كتاب الرياضة وأدب النفس للحكيم الترمذي ص (124).

النصرانية وغيرها التي تعتبر تعذيب الجسد طريقا إلى إشراق الروح وانطلاقها ومنهم من جعل التصوف امتدادا لنزعة الرهينة التي ظهرت في ثلاثة رهط سألوا عن عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما أخبروا عنها كأنهم تقالوها فقال أحدهم: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر وقال الثاني: أما أنا فأقوم الليل ولا أنام وقال الثالث: أما أنا فاعتزل النساء ولا أتزوج ولما عرض أمرهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صحح لهم أفكارهم وردهم إلى الصراط المستقيم والنهج القويم^(1[35]).

والجواب على ذلك أن التصوف لم يكن في يوم من الأيام شرعة مستقلة ولا دينا جديدا ولكنه تطبيق عملي لدين الله تعالى واقتداء كامل برسوله عليه الصلاة والسلام وإنما سرت الشبهة على هؤلاء المتسرعين لأنهم وجدوا في التصوف اهتماما بتزكية النفس وتربيتها وتصعيدها ومجاهدتها على أسس شرعية ضمن نطاق الدين الحنيف فقاوسوا تلك الانحرافات الدينية على التصوف قياسا أعمى دون تمحيص أو تمييز غائبين عن مواقف المجاهدة العظيمة التي مر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته الكرام مما لو سمع به أحد هؤلاء المنكرين ولم يعلم أنه موقف لرسول الله لاتهم صاحبه بأنه متنطع بالعبادة وأنه يشاد الدين ويحرم على نفسه ما أحل الله لها ولكنه ثمة فرق كبير بين المجاهدة المشروعة المقيدة بدين الله تعالى وبين المغالاة والانحراف وتحريم الحلال وتعذيب الجسد كما عليه البوذيون الكافرون.

ومن الظلم والبهتان أن يحكم على كل من جاهد نفسه وزكاها أنه ينحدر من أصل بوذي أو براهيمي كما يزعم المستشرقون ومن خدع بهم أو أنه يقتدي بهؤلاء الرهط الذين تقالوا عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يقوله المتسرعون السطحيون مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطأهم فرجعوا إلى هديه وسنته.

(1[35]) أخرجه البخاري (4776) ومسلم (1401).

وإذا وجد في تاريخ التصوف من حرم الحلال أو قام بتعذيب الجسد على غرار الانحرافات الدينية السابقة فهو مبتدع ومبتعد عن طريق التصوف لذا ينبغي التفريق بين التصوف والصوفي فليس بانحرافه ممثلاً للتصوف كما أن المسلم بانحرافه لا يمثل الإسلام.

والمعترضون لم يفرقوا بين الصوفي والتصوف وبين المسلم والإسلام فجعلوا تلازماً بينهما فوقعوا في الكاملين قياساً على المنحرفين.

وبعد فإن منتهى آمال السالكين ترقية نفوسهم فإن ظفروا بها وصلوا إلى مطلوبهم والنفس تترقى بالمجاهدة والرياضة من كونها أمانة إلى كونها لوامة وملهمة وراضية ومرضية ومطمئنة... الخ فالمجاهدة ضرورية للسالك في جميع مراحل سيره إلى الله تعالى ولا تنتهي إلا بالوصول إلى درجة العصمة وهذه لا تكون إلا للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام^[361] فالأولياء يصلون لدرجة الحفظ والأنبياء لدرجة العصمة.

إذا فالمجاهدة أصل من أصول طريق الصوفية وقد قالوا: (من حقق الأصول نال الوصول ومن ترك الأصول حرم الوصول).

الطريقة والحقيقة

معنى الطريقة والحقيقة

الشريعة اسم لمجموع الأحكام التكليفية وهي تحيط بالأعمال الظاهرة والباطنة جميعاً وكانوا يرون الفقه مرادفاً لها لدى المتقدمين كما أثر عن الإمام أبي حنيفة في التعريف بالفقه (معرفة النفس ما لها

[361] حقائق عن التصوف ص (124 - 127).

وما عليها) ثم جاء المتأخرون فأصبح في مصطلحهم العنصر من الشريعة الذي يخص الأعمال الظاهرة فقها وأما ما يخص الأعمال الباطنة من شعب الشريعة فصارت تصوفاً⁽¹¹⁾. إنه يقال لطرق هذه الأعمال الباطنة طريقة ثم ما يتولد من الصفاء والانجلاء في القلب لصالح هذه الأعمال الباطنة يتكشف به للقلب بعض الحقائق الكونية المتعلقة بالأعيان والأعراض وعلى الأخص الأعمال الحسنة والحقائق الإلهية من صفاتية وذاتية وعلى الأخص المعاملة التي بين الله وبين العبد ويقال لهذه المكشوفات حقيقة ويسمى الانكشاف معرفة ويدعى صاحب الانكشاف محققاً وعارفاً.

فجميع هذه الأمور تتبع للشريعة وأما ما شاع عند العامة من أن الشريعة إنما تدعى بها الأعمال الظاهرة والحقيقة تختص بالأعمال الباطنة فليس بمأثور عن أي رجل عالم وليس مفهومه عند العامة بسديد كذلك إذ هو اعتقاد لتضاد الظاهر والباطن⁽²²⁾.

من أقوال العلماء والعارفين في معنى الطريقة والحقيقة

1 - الإمام الرفاعي قدس الله سره: قال رضي الله عنه في البرهان المؤيد: الطريقة الشريعة

والشريعة الطريقة والفرق بينهما لفظي والمادة والمعنى والنتيجة واحدة.

2 - الإمام الرواس قدس الله سره: قال رضي الله عنه في قصيدة له مبينا أحكام الطريقة وآدابها

وأنها مستمدة من الكتاب والسنة:

طريقتنا تنجي الفؤاد من الغوى	وتحفظه من زيغه وتسلم
طريقتنا حال النبي وطوره	وعن سره للعارفين ترجم
طريقتنا صدق وزهد ورأفة	وذلل إلى المولى ونهج مقوم
طريقتنا أن لا يرى المرء نفسه	وفيها أخير القوم فهو المقدم
طريقتنا أن تصلح العبد صحبة	فنحن سكوت والهوى يتكلم
طريقتنا أن يجعل الشرع سلماً	أجل وبه السلاك ترقى وتعظم

(11) لكن هذين المصطلحين ليسا متخالفين ولا متضادين بل إن التالي تكميل للأول.

(22) بين التصوف والحياة ص (221 - 222).

طريقتنا قلب سليم ونية	مطهرة أنف المآمل ترغم
طريقتنا أن لا نرى الغير فاعلا	سوى أنه الرحمن يعطي ويحرم
طريقتنا حب النبي وآله	وأصحابه والذكر للخير عنهم
طريقتنا ذوق وشوق وعبرة	وعبرة عين دمعها كله دم
طريقتنا جد وجهد ولوعة	وخلوة صدق خالص وتكتم
طريقتنا أن لا نرى الشق للعصا	فإن موالة الجماعة ألزم
طريقتنا ود لكل موحد	وأن نسدي إحسانا لمن هو مسلم
طريقتنا بالآدميين رحمة	كما أمر الهادي الرسول المكرم
طريقتنا ان نشهد الخلق كلهم	بخير وان نزوي الأذية عنهم
طريقتنا محو الرياء وطرحه	وحفظ نظام الصدق إذ نتكلم
طريقتنا صون الجوارح كلها	فإن سؤال الحشر بالصون ملزم
طريقتنا أن نجذب القلب دائما	إلى الله بل في ذكره نترنم
طريقتنا دوم الهيام تولها	وهل مرتضى المحبوب إلا المهيم
طريقتنا وجه مع الناس حاضر	وقلب بذكر الله لا يتلثم
طريقتنا إعظام شأن محمد	كما هو فهو الهاشمي المعظم
طريقتنا نهج الرفاعي أحمد	فمنهاجه من جملة القوم اقوم
طريقتنا أن نملاً العين دمعة	إذ الناس في فرش البطالة نوم
طريقتنا أن نبدي في الله شدة	ونبغض فيه من به الزيف يرسم
طريقتنا نصر المحق وغوته	وإذلال من للناس يؤذي ويظلم
طريقتنا إكرام شيخ لسنه	ورحمة طفل إنما الطفل يرحم
طريقتنا الإيثار والبذل دائما	بلا ريبة والله أغنى وأكرم
طريقتنا هجر الكذوب وتركه	وحب صدوق هكذا القوم ألزموا

طريقتنا غسل الفؤاد من الهوى	ومن بعده وفقا له نتوسم
طريقتنا رد الفراسة للذي	به الشرع يقضي في الأمور ويبرم
طريقتنا إن جاء بالصدق وارد	نحكمه في أمرنا ونسلم
طريقتنا التحكيم للنص بالذي	به في الإشارات الغوامض نلهم
طريقتنا إعزاز من شاد سنة	بها ركن زيغ في البرية يهدم
طريقتنا أن لا نقول بوحدة	ولا بحلول والمصيبة أعظم
طريقتنا أن نحفظ الشرع ظاهرا	وهذا هو السر الخفي المطلسم
طريقتنا رد الشطوحات كلها	إذا لم يكن منها المؤول يفهم
طريقتنا أن يأخذ القلب عبرة	ولو من هبوب الريح إذ يتنسم
طريقتنا أن نتبع النص خضعا	وإن جاء طيشا غيره لا نسلم
طريقتنا أن البدايات كلها	بتصريف أمر الله تبدو وتختم

هذه طريقتنا التي سقنا القلوب اليها وعولنا في المسير إلى الله عليها وهي طريق المتمسكين بسنة سيد المرسلين: ⁽¹³¹⁾.

3 - الإمام ابن عابدين: قال رحمه الله تعالى: (الطريقة هي السيرة المختصة بالسالكين من قطع المنازل والترقي في المقامات) وقال في الصفحة التي تليها (فالحقيقة هي مشاهد الربوبية بالقلب ويقال: هي سر معنوي لا حد له ولا جهة والطريقة والشريعة متلازمة لأن الطريق إلى الله تعالى لها ظاهر وباطن فظاهرها الشريعة والطريقة وباطنها الحقيقة فبطون الحقيقة هي الشريعة والطريقة كبطون الزبد في لبنه ولا يظفر من اللبن بزبده بدون خضه والمراد من الثلاثة (الشريعة والطريقة والحقيقة) إقامة العبودية على الوجه المراد من العبد ⁽¹⁴²⁾).

⁽¹³¹⁾ رُفِر العناية ص (135 - 138).

⁽¹⁴²⁾ حاشية ابن عابدين (303/3).

4 - صاحب كشف الظنون: قال صاحب كشف الظنون في حديثه عن علم التصوف (ويقال: علم التصوف علم الحقيقة أيضا وهو علم الطريقة أي تزكية النفس عن الأخلاق الردية وتصفية القلب عن الأغراض الدنية وعلم الشريعة بلا علم الحقيقة عاطل وعلم الحقيقة بلا علم الشريعة باطل علم الشريعة وما يتعلق بإصلاح الظاهر بمنزلة العلم بلوازم الحج وعلم الطريقة بإصلاح الباطن بمنزلة العلم بالمنازل وعقبات الطريق فكما أن مجرد علم اللوازم ومجرد علم المنازل لا يكفيان في الحج الصوري بدون إعداد اللوازم وسلوك المنازل ومجرد علم المنازل لا يكفيان في الحج الصوري بدون إعداد اللوازم وسلوك المنازل كذلك مجرد العلم بأحكام الشريعة وآداب الطريقة لا يكفيان في الحج المعنوي بدون العمل بموجبيهما⁽⁵¹⁾.

5 - الشيخ عبدالله اليافعي: قال رحمه الله تعالى: (إن الحقيقة هي مشاهدة أسرار الربوبية ولها طريقة هي عزائم الشريعة فمن سلك الطريق وصل إلى الحقيقة فالحقيقة نهاية عزائم الشريعة ونهاية الشيء غير مخالفة له فالحقيقة غير مخالفة لعزائم الشريعة)⁽⁶²⁾.

6 - الحافظ محمد صديق الغماري: قال رحمه الله تعالى: (أما أول من أسس الطريقة فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي إذ هي بلا شك مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدما بينها واحدا واحدا دينا بقوله (فإنه جبريل اتاكم يعلمكم دينكم)⁽⁷³⁾ وهو الإسلام والإيمان والإحسان فالإسلام طاعة وعبادة والإيمان نور وعقيدة والإحسان مقام مراقبة ومشاهدة (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك..) ثم قال رحمه الله تعالى (فإنه كما في الحديث عبارة عن الأركان الثلاثة فمن أخل بهذا المقام (الإحسان) الذي هو الطريقة

⁽¹⁵¹⁾ كشف الظنون (413/1).

⁽²⁶⁾ نشر المحاسن الغالية (154/1).

⁽¹⁷⁾ جزء من حديث أخرجه مسلم (8) وأبو داود (2613) والترمذي (4695) والنسائي (97/8).

فدينه ناقص بلا شك لتركه ركنا من أركانه فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه هو مقام الإحسان بعد تصحيح الإسلام والإيمان⁽⁸¹⁾.

7 - الشيخ محمد متولي الشعراوي: قال رحمه الله تعالى (كل إنسان وصل إلى الله بطريق من الطرق أو صيغة من الصيغ يعتقد أن الطريق الذي سلكه إلى الله هو أقصر الطرق ولذلك اختلف الناس لأن وسائل عبادة الله متعددة فإذا دخل إنسان من باب وطريق وأحس أنه نقله وأوصله بادر إلى نقله لمن يجب).

ومن هنا فإن معنى أن هناك طرقا صوفية هو أن أناسا وصلوا إلى الصفاء من الله سبحانه وتعالى وجاءتهم الإشراقات والعلاقات التي تدل على ذلك في ذواتهم فعلموا ان الطريق الذي سلكوا فيه إلى الله صحيح وكلما زادوا في العبادة زاد الله في العطاء⁽⁹²⁾ وبعد هذا نرى من يتحامل على السادة الصوفية ويتهمهم زورا وبهتانا بأنهم يهتمون بالحقيقة فقط ويهملون جانب الشريعة فهذا كله افتراء باطل ويشهد على بطلانه كلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في فتاويه حيث قال متحدثا عن تمسك السادة الصوفية بالكتاب والسنة: (فاما المستقيمون من السالكين كجمهور مشايخ السلف مثل الفضيل بن عياض وإبراهيم بن ادهم وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والسري السقطي والجنيد بن محمد وغيرهم من المتقدمين ومثل الشيخ عبدالقادر الجيلاني والشيخ حماد والشيخ أبي البيان وغيرهم من المتأخرين فهؤلاء لا يسوغون للسالك لو طار في الهواء أو مشى على الماء أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين بل عليه أن يفعل المأمور ويدع المحذور إلى أن يموت وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، وهذا كثير في كلامهم⁽¹⁰³⁾. وفيما يلي نورد بعض أقوال السادة الصوفية التي تدل على تمسكهم بالكتاب والسنة تذكير وزيادة على ما أوردناه في باب التصوف من هذه الموسوعة.

1 - قال الإمام الجنيد رحمه الله تعالى: (مذهبا مقيد بأصول الكتاب والسنة).

⁽⁸¹⁾ الانتصار لطريق الصوفية ص (6).

⁽⁹²⁾ أصول الوصول ص 337 j 3387.

⁽¹⁰³⁾ مجموع فتاوى ابن تيمية (516/10 - 517).

وقال أيضا : (الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واتبع سنته ولزم طريقته فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه ⁽¹¹¹⁾). وذكر رجل عنده المعرفة فقال: (أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات (الأعمال) من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل) فقال الجنيد رحمه الله تعالى : إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال الصالحة التكليفية وهو عندي عظيمة والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى واليه رجعوا فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها⁽¹²⁾).

2 - قال الشيخ سهل بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى : (أصولنا سبعة أشياء التمسك بكتاب الله تعالى والافتداء بسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام والتوبة وأداء الحقوق)⁽¹³⁾.

3 - وقال الشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله تعالى : (كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة طر إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة، ادخل عليه ويدك في يد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم).

وقال أيضا: (ترك العبادات المفروضة زندقة وارتكاب المحظورات معصية ولا تسقط الفرائض عن أحد في حال من الأحوال)⁽¹⁴⁾.

4 - وقال الشيخ عبدالوهاب الشعراني رحمه الله تعالى : (إن طريق القوم محررة على الكتاب والسنة كتحرير الذهب والجوهر فيحتاج سالكها إلى ميزان شرعي في كل حركة وسكون)⁽¹⁵⁾.

⁽¹¹¹⁾ طبقات الصوفية للسلمي ص (159).

⁽¹²⁾ الرسالة القشيرية ص 22.

⁽¹³⁾ طبقات الصوفية للسلمي ص 210.

⁽¹⁴⁾ الفتح الرباني ص (29).

⁽¹⁵⁾ لطائف المنن والأخلاق (2/1).

- 5 - وقال ابو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى : (إذا عارض كشفك الصحيح الكتاب والسنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها لي في الكشف والإلهام)⁽¹⁶¹⁾.
- 6 - وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى : (كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل)⁽¹⁷²⁾.
- 7 - وقال ابو الحسن الوراق رحمه الله تعالى : (لا يصل العبد إلى الله إلا بالله وبموافقة حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم في شرائعه ومن جعل الطرق إلى الوصول من غير الاقتداء يضل من حيث ظن انه مهتد)⁽¹⁸³⁾.
- 8 - وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى : (لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجردونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة)⁽¹⁹⁴⁾.
- وقال رحمه الله تعالى في الصوفي : (هو الذي يأخذ كتاب الله بيمينه وسنة رسوله بشماله وينظر بإحدى عينيه إلى الجنة وبالأخرى إلى النار ويأتزر بالدنيا ويرتدي بالآخرة ويلبي من بينهما للمولى : لبيك اللهم لبيك)⁽²⁰⁵⁾.
- 9 - وقال الشيخ إبراهيم بن محمد النصر أباذي رحمه الله تعالى : (أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم الأخلاق الجميلة والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب ارضخ والتأويلات وما ضل أحد في هذا الطريق إلا بفساد الابتداء فإن فساد الابتداء يؤثر في الانتهاء)⁽²¹⁶⁾.

⁽¹⁶¹⁾ إيقاظ المهتم (302/2 - 303).

⁽¹⁷²⁾ الرسالة القشيرية ص 27.

⁽¹⁸³⁾ طبقات الصوفية ص 300.

⁽¹⁹⁴⁾ الرسالة القشيرية ص 16.

⁽²⁰⁵⁾ شطحات الصوفية ص 96.

⁽²¹⁶⁾ طبقات الصوفية ص 488.

10 - وقال الشيخ احمد زروق رحمه الله تعالى : في قواعده (وكل شيخ لم يظهر بالسنة فلا يصح

اتباعه لعدم تحقق حاله ، وإن صح في نفسه وظهر عليه ألف كرامة من أمره) ⁽¹²²⁾.

وقال ايضا : (لا تصوف إلا بفقته إذ لا تعرف احكام الله الظاهرة إلا منه ولا فقه إلا بتصوف إذ لا عمل إلا بصدق وتوجه لله تعالى ولا هما (التصوف والفقه) إلا بإيمان إذ لا يصح واحد منهما دونه فلزم الجميع لتلازمها في الحكم كتلازم الأجسام للأرواح ولا وجود لها إلا فيها كما لا حياة إلا بها فافهم) ⁽¹²³⁾.

ولقد جمع علماء الشريعة الإسلامية من الفقهاء والمحدثين بين الشريعة والطريقة والحقيقة مقتفين بذلك أثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد ذكر صاحب الدر المختار: أن أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى قال: (أنا أخذت هذه الطريقة من أبي القاسم النصر آبادي وقال أبو القاسم : أنا أخذتها من الشبلي وهو من السري السقطي وهو من معروف الكرخي وهو من داود الطائي وهو أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة رضي الله عنه وكل منهم اثنى عليه وأقر بفضله...) ثم قال صاحب الدر معلقا: (فيا عجباً لك يا أخي! ألم تكن لك أسوة حسنة في هؤلاء السادات الكبار؟ أكانوا متهمين في هذا الإقرار والافتخار وهم أئمة هذه الطريقة وأرباب الشريعة والحقيقة؟ ومن بعدهم في هذا الأمر فلهم تبع وكل ما خالف ما اعتمده مردود مبتدع) ⁽¹²⁴⁾.

وقال ابن عابدين رحمه الله تعالى في حاشيته معلقاً على كلام صاحب الدر السابق في حديثه عن ابي حنيفة رحمه الله تعالى : (هو فارس هذا الميدان فإن مبنى علم الحقيقة على العلم والعمل وتصفية النفس وقد وصفه بذلك عامة السلف فقال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في حقه: إنه كان من العلم والورع والزهد وإيثار الآخرة بمحل لا يدركه احد ولقد ضرب بالسياط ليلى القضاء فلم يفعل.

⁽¹²²⁾ قواعده التصوف للشيخ احمد زروق ص 76.

⁽¹²³⁾ قواعده التصوف للشيخ أحمد زروق قاعدة (3) 3.

⁽¹²⁴⁾ الدر المختار (43/1).

وقال عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى : ليس احد احق أن يقتدى به من أبي حنيفة لأنه كان إماما تقيا نقياً ورعاً عالماً فقيها كشف العلم كشفاً لم يكشفه أحد ببصر وفهم وفطنة وتقى : وقال الثوري لمن قال له : جئت من عند أبي حنيفة : لقد جئت من عند أعبد أهل الأرض^[251] .

فإن قيل : لو كان التصوف امراً مشروعاً لوضع فيه الأئمة المجتهدون كتباً !! وفي الجواب على ذلك يقول الإمام الشعراني رحمه الله تعالى : (إنما لم يضع المجتهدون في ذلك كتاباً لقلّة الأمراض في أهل عصرهم وكثرة سلامتهم من الرياء والنفاق ثم بتقدير عدم سلامة أهل عصرهم من ذلك فكان ذلك في بعض أناس قليلين لا يكاد يظهر لهم عيب وكان معظم همّة المجتهدين إذ ذاك إنما هي في جمع الأدلة المنتشرة في المدائن والثغور مع أئمة التابعين وتابعيهم التي هي مادة كل علم وبها تعرف موازين جميع الأحكام فكان ذلك اهم من الاشتغال بمناقشة بعض أناس في أعمالهم القلبية التي لا يظهر بها شعار الدين).

ولا يقول عاقل قط : إن مثل الإمام أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو احمد رضي الله عنهم يعلم أحدهم من نفسه رياء أو حسداً أو نفاقاً ثم لا يجاهد نفسه ولا يناقشها أبداً ولولا أنهم يعلمون سلامتهم من تلك الآفات والأمراض لقدّموا الاشتغال بعلاجها على كل علم^[262] .

حكمة تعدد الطرق

والتعدد والاختلاف في الطرق الشرعية ليس اختلافاً في الحقيقة والهدف وإنما الاختلاف هو في الوسيلة والأساليب والمناهج ليس إلا فالطرق الصوفية الشرعية على تعددها سبل تعددت إلى الله لتلائم حاجات كل سالك إليه فيجد فيها كل مريد ما يناسب طاقته ووقته ومزاجه وبيئته قطعاً لأعدار القاعدين عن الهجرة إلى الله عز وجل فليس كل الناس سواء في الطاقة والمزاج ولتأمل

[251] حاشية ابن عابدين (43/1).

[262] لطائف المنن والأخلاق (25/1 - 26).

بإمعان قوله تعالى : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾⁽²⁷¹⁾ إذن فهناك سبل شتى توصل إليه تعالى كما قال عز وجل : ﴿يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام﴾⁽²⁸²⁾ وهذه السبل المتعددة القويمة تضي متوازية متحاذاة في اتجاه واحد فكأنها طريق واحد ولذلك جاء في أكثر من آية بلفظ المفرد نحو (سبيلي أو سبيله أو سبيل ربك) لاتحاد البداية والنهاية فهي مجتمعة ضمن صراط الله المستقيم الواحد المتبع وذلك ان الطرق الشرعية جميعا تبدأ بالتوبة وتنتهي بالمعرفة فإذا تصورنا (دائرة ذات مركز) كانت لكل الطرق الشرعية خطوطا داخلية تصل ما بين محيط الدائرة ونقطة المركز وكيفما كان اتجاه نقطة البداية فلا خلاف في النهاية ولا في الأصول العامة ولكن في الفروع وكيفية الوصول.

ولهذا يندفع الاعتراض بقوله تعالى ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾⁽²⁹³⁾ فالمنهي عنه هو سبل الشيطان وأما سبل الرحمن فله ذكرها كما قدمنا ووعد المجاهدين فيه بهدايتهم إليها قال تعالى ﴿لنهديهم سبلنا﴾⁽³⁰⁴⁾ وسأها تعالى ﴿سبل السلام﴾⁽³¹⁵⁾ واعتز بها الأنبياء فقالوا: ﴿وقد هداانا سبلنا﴾⁽³²⁶⁾ فكلها متوازية متحاذاة وكلها شرائح يتكون فيها (سبيله) تعالى فهي وإن تعددت سبيل واحدة للاتحاد في البداية والنهاية والنية والهدف الأعظم أن الحق واحد لا يتعدد ولكن السبل تتعدد في إدراكه أو الوصول إليه شأن الناظرين إلى الشمس والقمر في كافة اقطار الدنيا تختلف موقع الطالب ويتعدد ولا يختلف المطلوب المحدد فعند الانتقال من مكان لآخر قريبا كان أو بعيدا يستطيع المرء أن يتخذ أية وسيلة نقل شاء ماشيا أو راكبا ، دابة أو سيارة ، طائرة أو سفينة ، وكلها سبل توصل إلى الحقيقة الواحدة التي لا تتعدد.⁽³³⁷⁾

⁽¹⁾(271) سورة العنكبوت الآية (69).

⁽²⁾(281) سورة المائدة الآية (16).

⁽³⁾(291) سورة الأنعام الآية (153).

⁽⁴⁾(301) سورة العنكبوت الآية (69).

⁽⁵⁾(311) سورة المائدة الآية (16).

⁽⁶⁾(321) سورة إبراهيم الآية (12).

⁽⁷⁾(331) أصول الوصول ص (262).

السنة والبدعة

• السنة

لغة: هي الطريقة .

قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى : هي العادة وهي الطريق التي تتكرر لتتسع لأنواع الناس مما يعدونه عبادة أو لا يعدونه عبادة⁽¹¹¹⁾.

• شرعا:

للسنة عدة تعريفات اتجه اليها العلماء وكل عرفها بحسب اختصاصه وعلمه من أصوليين وفقهاء ومحدثين وأقرب هذه التعاريف إلى الموضوع الذي أبحثه هنا هو ما قاله الأصفهاني من (مفردات القرآن) : سنة رسول الله وهي طريقته التي كان يتحراها أي طريقته في الفعل والأمر والقبول والرد.

البدعة

لغة: قال الراغب الأصفهاني في (مفردات القرآن) الإبداع إنشاء صنعة بلا احتذاء ولا اقتداء وإذا استعمل في الله تعالى فهو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان وليس ذلك إلا الله والبديع يقال للمبدع نحو قوله ﴿ بديع السماوات والأرض ﴾⁽²¹²⁾ ويقال للمبدع - بفتح الدال -

(111) كتاب الاقتضاء ص (76).

(212) سورة البقرة الآية (117).

نحو بديع وكذلك البدع يقال لها جميعا بمعنى الفاعل والمفعول وقوله تعالى ﴿ ما كنت بدعا من الرسل ﴾⁽¹³¹⁾ قيل معناه: مبدعا لم يتقدمني رسول وقيل: مبدعا فيما أقوله.

وقال الفيومي في (المصباح) أبدع الله تعالى الخلق إبداعا خلقهم لا على مثال وأبدعت الشيء وابتدعته: استخرجته وأحدثته .

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري عند شرح حديث: «وشر الأمور محدثاتها..»⁽¹⁴²⁾.

• البدعة لغة: كل شيء أحدث على غير مثال.

وقال أيضا عن شرح حديث «نعمت البدعة هذه»⁽¹⁵³⁾: البدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق.

• شرعا: قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في (تهذيب الأسماء واللغات): هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال الفيومي: هي الزيادة أو النقص في الدين لكن قد يكون بعضها غير مكروه فيسمى بدعة مباحة وهي ما شهد لجنسها أصل في الشرع أو اقتضتها مصلحة تندفع بها مفسدة. هذا وقد قسم العلماء البدعة إلى قسمين اثنين:

فقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: البدعة بدعتان: بدعة محمودة وبدعة مذمومة فما وافق السنة فهو محمود وما خالف السنة فهو مذموم.

وأخرج البيهقي عن الإمام الشافعي في مناقبه: المحدثات ضربان: ما أحدث يخالف كتابا أو سنة أو إجماعا فهو بدعة الضلالة وما أحدث في الخير لا يخالف شيئا من ذلك فهو محدثة غير مذمومة.

(131) سورة الأحقاف الآية (9).

(142) أخرجه مسلم من حديث طويل (2002) والنسائي (1577) وابن ماجه (45) والدارمي (2210) وأحمد (310/3) وابن خزيمة (1785) وأبو يعلى (2111) والبيهقي (206/3) والبغوي (4295) وابن حبان (10).

(153) أخرجه البخاري (1906) ومالك (114 / 1-115).

حتى إنه نفى اسم البدعة عما له أصل في الشرع فقال رضي الله عنه : كل ما له مستند من الشرع فليس ببدعة ولو لم يعمل به السلف لأن تركهم للعمل به قد يكون لعذر قام لهم في الوقت أو لما هو أفضل منه أو لعله لم يبلغ جميعهم علم به .

وقال الإمام النووي في (تهذيب الأسماء واللغات) عند كلامه عن البدعة: هي منقسمة إلى حسنة وقيحة .

وقال الحافظ ابن الأثير في (النهاية) البدعة بدعتان بدعة هدى وبدعة ضلال فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو من حيز الذم والإنكار وما كان واقعا تحت عموم مما ندب الله إليه وحض عليه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو في حيز المدح وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهو في الأفعال المحمودة ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به .

وقال الحافظ ابن العربي في شرحه على سنن الإمام الترمذي عند الكلام على حديث «إياكم ومحدثات الأمور»⁽⁶¹⁾، وقال عمر نعمت البدعة وإنما يذم من البدع ما خالف السنة ويذم من المحدثات ما دعا إلى ضلالة .

حتى إن بعض العلماء أوصلها إلى خمسة أقسام:

واجبة: تعلم النحو ، ونظم ادلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين .

مندوبة: الأذان على المنابر، وتصنيف كتب العلم وبناء المدارس وغير ذلك .

مباحة: استعمال المنخل والتوسع في المأكل والمشرب .

مكروهة: تزيين المصاحف وزخرفة المساجد .

محرمة: وهي ما أحدث لمخالفة السنة ولم تشمله أدلة الشرع العامة، ولم يحتو على مصلحة شرعية .

⁽⁶¹⁾ رواه الإمام أحمد (126/4 - 127) وأبو داود (4607) والترمذي (2676) وقال حسن صحيح وابن ماجه (43) والدارمي (95) والبعوي (102) والحاكم (95/1 - 96) وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي (541/6) والطحاوي في مشكل الآثار (69/2) وابن حبان (5) والطبراني في الكبير (18/ برقم 617) والآجري في الشريعة ص (46) وابن أبي عاصم (27) .

هذا وقد أثبت القرآن الكريم جواز ابتداء ما فيه خير وزيادة قربى إلى الله فقد قال أبو أمامة رضي الله عنه : (إن الله فرض عليكم صوم رمضان ولم يفرض قيامه وإنما قيامه شيء أحدثتموه فدوموا عليه فإن أناسا من بني إسرائيل ابتدعوا بدعا فعابهم الله بتركها فقال: ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ﴾⁽¹⁷¹⁾ ⁽⁸²⁾ .

وأما حديث : « كل بدعة ضلالة »⁽⁹³⁾ فهو من قبيل العام المخصوص .

فقد قال الإمام النووي رضي الله عنه : هذا عام مخصوص والمراد به المحدثات التي ليس في الشريعة ما يشهد لها بالصحة فهي المراد بالبدع .

وقال الحافظ ابن رجب في شرحه للحديث: المراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا وإن كان بدعة لغة .

وقال الحافظ ابن حجر: المراد بقوله (كل بدعة ضلالة) ما أحدث ولا دليل له من الشرع بطريق خاص ولا عام .

فليس هذا الحديث إذا كلية تقتضي شمول الضلالة لكل محدث بل هو من قبيل العام المخصوص أو العام الذي أريد به الخصوص .

وأمثلة ذلك كثيرة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك قول الله عز وجل : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾⁽¹⁰⁴⁾ واسم الموصول من حيث العموم ولكن مما لا شك فيه أن عيسى عليه السلام وأمه والملائكة عُبِدوا من دون الله لكنهم غير مقصودين في الآية فتبين أنه من العام الذي أريد به الخصوص .

ومنه قوله تعالى ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ﴾⁽¹¹⁵⁾ ، ومعلوم أن هناك أدلة كثيرة تثبت أن المسلم ينتفع بعمل غيره من إخوانه المسلمين ودعاء الملائكة كما قرر ذلك الشيخ ابن

(171) سورة الحديد الآية (27) .

(281) أخرجه الطبراني في الأوسط (7446) .

(391) تقدم تخرجه .

(410) سورة الأنبياء الآية (98) .

(511) سورة النجم الآية (39) .

تيمية وذكر أكثر من عشرين موضعا بدلائلها أولها صلاة الجنازة والصدقة عن الميت ثم دعاء المؤمنين⁽¹²¹⁾.

ومنه قوله تعالى ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾⁽¹³²⁾. فالمراد بالناس في الأول المخبرين وهم لاشك عدد محدود وفي الثاني أبو سفيان وجماعته من مشركي مكة الذين قاتلوا المسلمين في أحد.

ومنه قوله تعالى ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾⁽¹⁴³⁾ وأبواب الرحمة لم تفتح عليهم.

ومنه قوله تعالى ﴿وشاورهم في الأمر﴾⁽¹⁵⁴⁾.

فمن المعلوم أنه لا يشاورهم في التشريع والأحكام قال سيدنا ابن عباس رضي الله عنه : (وشاورهم في الأمر) أي في بعض الأمر.

ومنه قوله تعالى ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾⁽¹⁶⁵⁾.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم « لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها »⁽¹⁷⁶⁾ وهو من حيث العموم وقطعا ليس على عمومه فمن صلى في هذين الوقتين وترك بقية الصلوات لا يدخل في عموم هذا الحديث فهو من العام الذي أريد به الخصوص أو من العام المخصوص بالنصوص.

⁽¹²¹⁾ نقلها الشيخ الجمل في حاشيته على (الجلالين) عن ابن تيمية رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية (وقد أوردتها في باب وصول ثواب القرآن.

⁽²⁾⁽¹³⁾ سورة آل عمران الآية (173).

⁽³⁾⁽¹⁴⁾ سورة الأنعام الآية (44).

⁽⁴⁾⁽¹⁵⁾ سورة آل عمران الآية (159).

⁽⁵⁾⁽¹⁶⁾ سورة طه الآية (15).

⁽⁶⁾⁽¹⁷⁾ أخرجه مسلم (634) وابن حبان (1740) وقال إسناده صحيح وأبو داود (427) والنسائي (470) وأحمد (261/4) والبيهقي

(466/1) وابن أبي شيبه (386/2) وابن خزيمة (318) والبعوي (382).

ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام »^[181] وأجمع الشراح على أنه ليس على عمومته مع أن فيه الكلية (كل).

ويخصص حديث : (كل بدعة ضلالة) الحديث الذي روته سيدتنا عائشة رضي الله عنها عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »^[192]. قال ابن رجب : هذا الحديث يدل منطوقه على أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو مردود ويدل بمفهومه على أن كل عمل عليه أمره فهو غير مردود.

وقال الحافظ ابن حجر : هذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده فإن معناه : من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه.

مما تقدم تبين لنا أنه ليس معنى ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم للشيء هو أن ذلك الشيء لا يجوز فعله فإن القاعدة الأصولية مشهورة بين أهل العلم : (ترك الشيء لا يدل على حرمة) ونقصد بالترك أن يترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً لم يفعله أو تركه السلف الصالح من غير أن يأتي حديث أو أثر بالنهاي عن ذلك الشيء المتروك بمقتضى تحريمه أو كراهته. ثم إن للترك أنواع ومنها :

أن يكون تركه عادة كترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكل الضب في حديث سيدنا خالد أنه دخل مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيت ميمونة فأتي بضب محنوذ فأهوى إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده فقبل : هو ضب يا رسول الله فرفع يده فقلت : أحرام هو يا رسول الله؟ فقال : « لا ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه » قال خالد : فاجترته فأكلته والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ينظر.^[203]

[181] أخرجه البخاري (5364).
[192] أخرجه البخاري (2550) وفي خلق أفعال العبد (43) ومسلم (1718) وأحمد (73/6) في المسند، وابن ماجه (14) وأبو داود (4606) والداقطني (224/4 - 225) وابن حبان في صحيحه (26 - 27) وابن أبي عاصم في السنة (52) والبعوي (103) وأبو عوانه (18/4) والقضاعي في مسند الشهاب (359) والطيالسي (1422) وأبو يعلى (4594).
[203] أخرجه البخاري (5537) ومسلم (1945) وأبو داود (3794) وابن ماجه (3251) ومالك (968/2) والطبراني في الكبير (3816) والشافعي (174/2) والنسائي (4327).

والحديث يدل على أمرين :

- 1 - أن تركه للشيء ولو بعد الإقبال عليه لا يدل على تحريمه.
 - 2 - أن استقذاره الشيء لا يدل على تحريمه أيضا.
- أن يكون تركه نسيانا سها صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة فترك منها شيئا فستل : هل حدث في الصلاة شيء؟ قال «إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني»⁽²¹¹⁾.
 - أن يكون تركه مخافة أن يفرض كصلاة التراويح.
 - أن يكون تركه لعدم تفكيره فيه ولم يخطر على باله - مثل إحداث المنبر له صلى الله عليه وآله وسلم .
 - أن يكون تركه لدخوله في عموم آيات أو أحاديث كتركه كثيرا من المندوبات لأنها مشمولة في قوله تعالى : ﴿ وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾⁽²²²⁾ وغيرها.
 - أن يكون تركه خشية تغير قلوب بعض الصحابة قال صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة رضي الله عنها : (لولا أن قومك حديثوا عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزمته بالأرض وجعلت له بايين باب شرقيا وبابا غربيا فبلغت به أسس إبراهيم عليه السلام)⁽²³³⁾.
- والترك وحده إن لم يصحبه نص على أن المتروك محظور لا يكون حجة في ذلك بل غايته أن يفيد أن ترك ذلك الفعل مشروع.
- وهذه قاعدة في الأصول وأدلتها هي :
- أحدها: أن الذي يدل على التحريم ثلاثة أشياء:
- النهي نحو ﴿ ولا تقربوا الزنا ﴾⁽²⁴⁴⁾ ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾⁽²⁵¹⁾.

⁽¹⁾[21] أخرجه البخاري (1225) ومسلم (572) والدارقطني (375/1) وأبو داود (1020) والنسائي (1240) ومختصرا وابن ماجه (1211) وابن حبان (2662) وابن أبي شيبة (25/2) وأبو عوانة (202/2) وأحمد (379/1).

⁽²⁾[22] سورة الحج الآية (77).

⁽³⁾[23] أخرجه مسلم (1333) والنسائي (2903) وابن حبان (3818) وأحمد (179/6 - 180) وأبو يعلى (4628).

⁽⁴⁾[24] سورة الإسراء الآية (32).

لفظ التحريم نحو (من غشنا فليس منا)^{[26]2}.

والترك ليس واحدا من هذه الثلاثة فلا يقتضي التحريم.

• ثانيها: إن الله تعالى قال ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾^{[27]3}.

ولم يقل ما تركه فانتهوا عنه فالترك لا يفيد التحريم.

• ثالثها: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم

عنه فاجتنبوه»^{[28]4}.

ولم يقل ما تركته فاجتنبوه فكيف دل الترك على التحريم؟

• رابعها: أن الأصوليين عرفوا السنة بأنها قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفعله وتقريره ولم

يقولوا وتركه لأنه ليس بدليل.

• خامسها: تقدم أن الترك يشمل أنواعا غير التحريم والقاعدة الأصولية (أن ما دخله الإحتمال

سقط به الاستدلال).

• سادسها: أن الترك أصل، لأنه عدم فعل والعدم هو الأصل والفعل طارئ والأصل لا يدل

على شيء لغة ولا شرعا فلا يقتضي الترك تحريما^{[29]5}، فيعلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

لم يفعل جميع المندوبات المباحات لأنها كثيرة لا يستطيع بشر أن يستوعبها ولا اشتغاله بمهام

اعظم استغرقت معظم وقته من تبليغ للدعوة ومحاربة للمشركين ونقاش مع الكتابيين

والكفار وغيرها مما هو مهم لتأسيس الدولة الإسلامية.

[25]1 سورة البقرة الآية (188).

[26]2 أخرجه مسلم (102) والترمذي (1315) وابن ماجه (2224) والحاكم (9/2) والبيهقي (320/5) وابن منده في الإيمان (552) والبغوي (2120) وأحمد (242/2) وأبو داود (3452) وأبو عوانه (57/1) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (134/2) وابن حبان (4905).

[27]3 سورة الحشر الآية (7).

[28]4 أخرجه البخاري (7288) ومسلم (6068) وأحمد (258/2) والبغوي (199/1) وابن حبان (18).

[29]5 من كتاب إتقان الصنعة للشيخ عبدالله بن الصديق الغماري.

• بل إنه ترك بعض المندوبات عمدا مخافة أن تفرض على أمته أو يشق عليهم إذا هو فعلها ، فهذا هي سيدتنا عائشة تخبرنا بذلك فتقول: (إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يترك العمل وفعله أحب إليه خشية أن يستن به الناس فيفرض عليهم وكان يجب ما خفف عليهم)⁽³⁰¹⁾.
وقالت رضي الله عنها : (خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عندي مسرورا ثم رجع وهو كئيب فقال: «إني دخلت البيت وددت أني لم أكن فعلت إني أخاف أن أكون أتعبت أمتي بعدي» وفي رواية «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما دخلتها، إني أخاف أن أكون أتعبت أمتي من بعدي» وفي رواية: « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما دخلتها إني أخاف أن أكون شققت على أمتي»⁽³¹²⁾.

وقالت أيضا في قصة صلاته بعد العصر (وكان لا يصلحها في المسجد مخافة أن تثقل على أمته وكان يجب ما خفف عليهم).

وفي باب (يسروا ولا تعسروا) في البخاري قال: (وكان يجب أن يخفف على الناس ويسر عليهم). وهذا المعنى موجود في كثير من المواضع في السواك وفي تأخير صلاة العشاء إلى ثلث الليل: (لولا أن أشق على أمتي ...).

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال موضعا لنا هذا الإشكال: (ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم الله فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينس شيئا ثم تلا ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾⁽³²³⁾)⁽³³⁴⁾.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم « إذا امرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن أمر فاجتنبوه»⁽³⁴⁵⁾ ولم يقل: إذا تركت شيئا فاجتنبوه.

⁽¹³⁰¹⁾ أخرجه البخاري (1177).

⁽²³¹⁾ أخرجه أبو داود (1784) والحاكم (1762) وصححه ووافقه الذهبي.

⁽³³²⁾ سورة مريم الآية (64).

⁽⁴³³⁾ أخرجه الدارقطني (137/2) والبخاري (2231) والحاكم (3419) وصححه ووافقه الذهبي وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (11160)

وقال ورجاله ثقات.

⁽⁵³⁴⁾ تقدم تخريجه .

وكذلك ترك السلف لشيء - أي عدم فعلهم له - لا يدل على أنه محذور قال الإمام الشافعي :

(كل ما له مستند من الشرع فليس ببدعة ولو لم يعمل به السلف)، لأن تركهم العمل به قد يكون لعذر قام لهم في الوقت أو لما هو أفضل منه أو لعله لم يبلغ جميعهم علم به .

فإذا ليس كل ما لم يفعله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خارجا عن السنة بل إن الحوافز القولية الكثيرة لعمل الخير والترغيبات الكثيرة القولية بالفضائل العامة والخاصة هي أيضا من السنة كما أن التقارير الصادرة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما يحدث من الخير مما لا يخالف المشروع هي أيضا من السنة بل هي طريقة الرسول وسنته التي حث على اتباعها والتمسك بها .

من هذا المنطلق فعل كثير من الصحابة باجتهاداتهم أموراً فكانت سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وطريقته قبول ما كان من العبادة والخير ويتفق مع المشروع ولا يخالفه ورد ما كان مخالفاً لذلك فهذه سنته وطريقته التي سار عليها خلفاؤه وصحابته واقتبس منها العلماء رضوان الله عليهم قولهم: إن ما يحدث يجب أن يعرض على قواعد الشريعة ونصوصها فما شهدت له الشريعة بالحسن فهو حسن مقبول وما شهدت له الشريعة بالمخالفة والقبح فهو مردود وهو البدعة المذمومة وقد يسمون الأول بدعة حسنة من حيث اللغة باعتباره محدثاً وإلا فهو في الواقع ليس ببدعة شرعية بل هو سنة مستنبطة ما دامت شواهد الشريعة تشهد له بالقبول .

سماها بذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نفسه حين قال: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)^[351] .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : فيه الحث على الابتداء بالخيرات وسن السنن الحسنة والتحذير من الأباطيل والمستقبحات .

وفي هذا الحديث تخصيص قوله صلى الله عليه وآله وسلم « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » *à* المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة .

[351] أخرجه مسلم (2348) والنسائي (2553) وأحمد (357/4) مختصراً والترمذي (2675) وابن ماجه (203) .

وسن سنة أو استئناها يعني إنشائها باجتهاد واستنباط من قواعد الشرع أو عمومات نصوصه أي من أنشأ سنة حسنة مستندا في ابتداع ذاتها إلى دلائل الشرع كان له اجرها ومن أنشأ سنة سيئة مستندا في ابتداع ذاتها إلى ما تنكره الشريعة كان عليه إثمها وإثم من عمل بها^[36].

ولنورد الآن بعض الصور من عمل الصحابة في عهد النبوة وإيمانهم بما لم يروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل أو يقوله أو إقراره صلى الله عليه وآله وسلم على أفعالهم:

1 - عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: (كان الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا جاء الرجل وقد فاتته شيء من الصلاة أشار إليه الناس فصلى ما فاتته ثم دخل في الصلاة ثم جاء يوما معاذ بن جبل فأشاروا إليه فدخل ولم ينتظر ما قالوا فلما صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكروا له ذلك فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم « سن لكم معاذ»^[37]. وفي رواية سيدنا معاذ بن جبل: (إنه قد سن لكم معاذ فهكذا فاصنعوا)^[38].

2 - وعن العاص بن وائل قال: قدم بكر بن وائل مكة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر: « اتتهم فاعرض عليهم» وفيه: فأتاهم فعرض عليهم الإسلام فقالوا: حتى يجيء بنو ذهل بن شيبان فعرض عليهم أبو بكر قالوا: إن بيننا وبين الفرس حربا فإذا فرغنا فيما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فقال أبو بكر: أرأيت إن غلبتموهم أتبعنا على أمرنا؟ قالوا: لا نشترط لك ذلك علينا ولكن إذا فرغنا بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول، فلما التقوا يوم ذي قار مع الفرس قال شيخهم: ما اسم الذي دعاكم إلى الله؟ قالوا: محمد قال هو شعاركم فنصروا على القوم فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «بي نصروا»^[39].

فهذا منهم توصل باسمه صلى الله عليه وآله وسلم وقد أقرهم على ذلك بل قد قال مؤكدا قوله: « بي نصروا» وأقر سيدنا أبا بكر عندما قال لهم: (أرأيت ان غلبتموهم أتبعنا على أمرنا..). وذلك

[36] من كتاب إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة للشيخ عبدالله بن الصديق الغماري الحسيني.

[37] أخرجه الطبراني (271/20).

[38] أخرجه أحمد (233/5) وصححه ابن دقيق العيد وابن حزم (272/20).

[39] أخرجه الطبراني ورجاله ثقات رجال الصحيح (5520) كما في مجمع الزوائد (10361/6).

من كمال اعتقاده بأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو هو نفسه إن دعا لهم بالنصر فإن الله لن يخزيه لأنه يطلب ذلك لنشر دين الله وإعلاء كلمته .

3 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لبلال عند صلاة الفجر: « يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دُف نعليك في الجنة» قال: ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي⁽⁴⁰⁾ .

وفي رواية : قال لبلال: «بم سبقتني إلى الجنة؟ قال: ما أذنت قط إلا صليت ركعتين وما أصابني حدث قط إلا توضأت ورأيت أن الله علي ركعتين فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «بهما» أ أ نلت تلك المنزلة»⁽⁴¹⁾ .

وقال الحافظ ابن حجر في (الفتح) : يستفاد منه جواز الاجتهاد في توقيت العبادة لأن بلالاً توصل إلى ما ذكره بالاستنباط فصوبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

4 - وعن أبي سعيد الخدري قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد قال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله قال الله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك قال أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فآخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة⁽⁴²⁾ .

5 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا الناس يصلون في ناحية المسجد فقال صلى الله عليه وآله وسلم : «ما هؤلاء؟» فقليل : أناس ليس معهم قرآن وأبي ابن كعب يصلي بهم وهم يصلون بصلاته فقال: (أصابوا) أو قال: (نعم ما صنعوا)⁽⁴³⁾ .

^[140] أخرجه البخاري (1149) ومسلم (6274) وأحمد (333/2) والنسائي في فاضل الصحابة (132) والبيهقي (1011) وابن حبان (7085) وأبو يعلى (6104) وابن خزيمة (1208) .

^[2] أخرجه أحمد (354/5) وابن خزيمة (1209) والحاكم (313/1) وصححه ووافقه الذهبي والترمذي (3689) والطبراني في الكبير (1012/1) .

^[3] تقدم ترجمته في باب الذكر مع الجماعة وغيره ص (356) .

^[43] أخرجه ابن حبان في صحيحه (2541) وأبو داود (1377) وابن خزيمة (2208) والبيهقي مرسلًا (495/2) .

6 - وعن سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: (اعتمرنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عمرة اعتمرها فحلق شعره فاستبق الناس إلى شعره فاستبقت إلى الناصية فأخذتها فاتخذت منها قلنسوتي فجعلتها في مقدم القلنوسة فما وجهتها في وجهه إلا فتح علي).⁽⁴⁴⁾

7 - وعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحلاق يخلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل منهم.⁽⁴⁵⁾

8 - عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها فأتيت فقيل لها: هذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم نائم في بيتك على فراشك قال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففرغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (ما تصنعين يا أم سليم؟) فقالت يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا قال «أصببت»⁽⁴⁶⁾.

9 - وعن يزيد بن الأسود في حديث حجة الوداع قال: فلما صلى الصبح انحرف جالسا فاستقبل الناس بوجهه وذكر قصة الرجلين اللذين لم يصليا قال: ونهض الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونهضت معهم وأنا يومئذ أشب الرجال وأجلدهم قال فما زلت أزاحم الناس حتى وصلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذت بيده فوضعها إما على وجهي أو صدري قال: فما وجدت شيئا أطيب ولا أبرد من يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: وهو يومئذ بمسجد الخيف وفي رواية ثم ثار الناس يأخذون بيده ويمسحون بها وجوههم.⁽⁴⁷⁾

⁽⁴⁴⁾ أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة (111/2) وصححه الحاكم (299/3) وأخرجه الطبراني في الكبير (4044/4) وعزاه إلى أبي يعلى وفي سير أعلام النبلاء (374/1 - 375) فلم أشهد قتالا وهي معي إلا رزقت النصر كذا في المجموع.

⁽⁴⁵⁾ أخرجه مسلم (6010) وأحمد (221/3).

⁽⁴⁶⁾ أخرجه مسلم (1305).

⁽⁴⁷⁾ أخرجه أحمد (161/4).

10 وعن سيدنا أبي جحيفة رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قبة حمراء ورأيت بلالا أخرج وضوءا فرأيت الناس يتدرون ذلك الوضوء فمن أصاب منه شيء مسح به ومن لم يصب منه أخذ من بلل صاحبه⁽⁴⁸⁾.

وفي رواية : (شهدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالبطحاء وأتى بلال بفضله وضوئه فابتدره الناس فنلت منه شيئا)⁽⁴⁹⁾.

11 وعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بأنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا وغمس يده فيها فربما جاؤوا في الغداة الباردة فيغمس يده فيها⁽⁵⁰⁾.

12 وعن ام ثابت كبشة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت رضي الله عنهما قالت : (دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشرّب من قربة معلقة قائما فقامت إلى فيها فقطعته)⁽⁵¹⁾.

13 عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال : أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في آخر الليل فصليت خلفه فأخذ بيدي فجرني حتى جعلني حذاءه فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على صلاته خنست فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما انصرفت قال : (ما شأنك ؟ أجعلك حذائي فتخنس) فقلت : يا رسول الله أو ينبغي لأحد أن يصلي بحذائك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله ؟ قال : فأعجبه فدعا لي أن يزيدني الله علما وفقها⁽⁵²⁾.

14 وعن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرج رجلان في سفر فحضرت الصلاة وليس معها ماء فتيما صعيدا طيبا وصليا ثم وجد الماء في الوقت فأعاد أحدهما ولم يعد

⁽⁴⁸⁾ أخرجه البخاري (376) ومسلم (503) وأحمد (308/4) وأبو داود (688) والنسائي (72/2) وابن خزيمة (841) والبيهقي في السنن (270/2) وأخرجه الطيالسي (88/1) والشافعي (66/1 - 67) وعبدالرزاق (2314) وابن أبي شيبة (277/1) وابن حبان (1268) في صحيحه.

⁽⁴⁹⁾ أخرجه النسائي (137).

⁽⁵⁰⁾ أخرجه مسلم (5996).

⁽⁵¹⁾ أخرجه الترمذي (1892).

⁽⁵²⁾ أخرجه أحمد (330/1).

الآخر ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرا له ذلك فقال للذي لم يُعد: «أصبحت السنة وأجزأتك صلاتك» وقال للذي أعاد «لك الأجر مرتين»⁽⁵³¹⁾.

15 وعن سيدنا علي رضي الله عنه قال: كان أبو بكر يخافت بصوته إذا قرأ وكان عمر يجهر بقراءته وكان عمار إذا قرأ يأخذ من هذه السورة وهذه السورة فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لأبي بكر: «لم تخافت؟» قال: إني أسمع من أناجي وقال لعمر: «لم تجهر بقراءتك؟» قال: أفزع الشيطان وأوقظ الوسنان وقال لعمار: «لم تأخذ من هذه السورة وهذه السورة؟» قال: أتسمعي أخلط به ما ليس منه؟ قال: (لا) ثم قال: «فكله طيب»⁽⁵⁴²⁾.

16 عن سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنه لما بعث في غزوة ذات السلاسل قال: احتملت في ليلة باردة شديدة البرودة فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتميمت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح فلما قدمنا على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ذكروا له ذلك فقال: (يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟! فقلت: ذكرت قول الله تعالى ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾⁽⁵⁵³⁾ فتميمت وصليت فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقل شيئاً⁽⁵⁶⁴⁾.

17 وحديث سيدنا خباب رضي الله عنه أنه أول من سن الصلاة لكل مقتول صبراً ركعتين⁽⁵⁷⁵⁾.

18 وعن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم وفد الحبشة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلعبون في المسجد قال الزهري: وأخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال:

⁽¹⁾[53] أخرجه النسائي (431 - 432) وأبو داود (338) والدارمي (744).

⁽²⁾[54] أخرجه أحمد (1 - 109).

⁽³⁾[55] سورة النساء الآية (29).

⁽⁴⁾[56] أخرجه أبو داود (334) وأحمد (203/4 - 204) والدارقطني (178/1) وصححه الحاكم (177/1) ووافقه الذهبي والبيهقي (26/1) وابن حبان (1315) وعلقه البخاري (454/1) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (وهذا التعليق وصله أبو داود والحاكم ... وإسناده قوي).

⁽⁵⁾[57] أخرجه البخاري (3045) وأبو داود (2660) وأحمد (294/2 - 295) والطيالسي (2597) والبيهقي في دلائل النبوة (323/3)

- (325) والطبراني في الكبير (4191) وعبدالرزاق (9730) وابن حبان (7039) وأبو نعيم في الحلية (294/6).

دخل عمر .. والحبيشة يلعبون في المسجد فزجرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« دعهم يا عمر فإنما هم بنو أرفدة »^[581].

وفي رواية : « لتعلم يهود أن في ديننا فسحة »^[592].

19 وعن سعيد بن المسبب أن سينا بلالا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤذن بصلاة الفجر ،

ف قيل : هو نائم فقال : « الصلاة خير من النوم »^[603] فأقرت في صلاة الفجر .

وفي رواية (ما أحسن هذا فاجعله في أذانك)^[614].

وفي رواية : (أن المؤذن جاء إلى عمر يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائما فقال : الصلاة خير من النوم

فأقره عمر أن يجعلها في أذان الفجر)^[625].

20 عن سيدنا عمر رضي الله عنه قال : جاء رجل والناس في الصلاة فقال حين وصل إلى الصف :

الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا فلما قضى النبي صلى الله عليه وآله

وسلم صلاته قال : (من صاحب الكلمات ؟) قال الرجل : أنا يا رسول الله ، والله ما أردت بها

إلا الخير قال : (لقد رأيت أبواب السماء فتحت لهن) قال ابن عمر : فما تركتهن منذ

سمعتهن^[636].

21 وعن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : (أهل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فذكر التلبية مثل حديث ابن عمر قال : والناس يزيدون ذا المعارج ونحوه من الكلام والنبي

صلى الله عليه وآله وسلم يسمع فلا يقول لهم شيئا)^[647].

[158] أخرجه البخاري (2901) ومسلم (893) وأحمد (308/2) وابن حبان (5867) وعبدالرزاق (19724) والبيهقي (17/10)

والبغوي (1112).

[259] أخرجه أحمد (111/22) الفتح الرباني .

[360] أخرجه ابن ماجه بإسناد رجاله ثقات (707).

[461] أخرجه الطبراني (1081/1).

[562] أخرجه مالك في الموطأ (8/78).

[663] أخرجه مسلم (1357) والترمذي (3592) والنسائي (884) وأحمد (14/2).

[764] أخرجه مسلم (1285) وأبو داود (1813).

وفي رواية مسلم : واهل الناس بهذا الذي يهلون فلم يرد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا ولزم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلبيته^[651].

22 وعن سيدنا رفاعه بن رافع رضي الله عنه قال: كنا نصلي وراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما رفع راسه من الركعة قال (سمع الله لمن حمده) قال رجل وراءه ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف قال (من المتكلم؟) قال: أنا قال: «رأيت بضعة وثلاثين ملكا يتدرونها أيهم يكتبها»^[662].

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: (يستدل به على جواز إحداث ذكر في الصلاة غير مأثور إذا كان غير مخالف للمأثور وعلى جواز رفع الصوت بالذكر ما لم يشوش).

23 وعن سيدنا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلا قال ذات يوم ودخل في الصلاة: الحمد لله ملء السماء وسيح ودعا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قائلهن؟ فقال: أنا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «لقد رأيت الملائكة تلقي به بعضها بعضا»^[673].

24 وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحلقة إذ جاء رجل فسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى القوم فقال السلام عليكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته» فلما جلس قال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «والذي نفسي بيده لقد ابتدرها عشرة أملاك كلهم حريصون على أن يكتبوها فما دروا كيف يكتبونها فرجعوا إلى ذي العزة جل ذكره فقال «اكتبوها كما قال عبدي»^[684].

[651] أخرجه مسلم (1282).

[661] أخرجه البخاري (799) والنسائي (1016) وأبو داود (770) وأحمد (340/4) وابن خزيمة (614).

[671] أخرجه أحمد (179/3 - 180) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (2613).

[681] أخرجه أحمد ورجاله ثقات (158/3) كذا في مجمع الزوائد (16894).

25 وعن سيدنا رفاعه بن رافع رضي الله عنه قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعضت فقلت الحمد لله حمدا طيبا مباركا فيه مباركا عليه كما يحب ربنا ويرضى فلما انصرف قال: (من المتكلم؟ ثلاثا) فقلت أنا فقال: والذي نفسي بيده لقد ابتدرها بضعة وثلاثون ملكا أيهم يصعد بها⁽¹⁶⁹⁾.

26 وعن سيدنا علاقة بن صحار السليطي التميمي رضي الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم أقبل راجعا من عنده فمر على قوم عندهم رجل موثق بالحديد فقال أهله: إنه قد حدثنا أن صاحبكم قد جاء بخير فهل عندك شيء ترقيه؟ فرقيته بفاتحة الكتاب فبرأ فاعطوني مائة شاة فأثيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (خذها فلعمري لمن اكل برقية باطل قد اكلت برقية حق)⁽⁷⁰²⁾.

27 وعن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رهطا من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم انطلقوا في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوا فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذي نزل بكم لعله أن يكون عند بعضهم شيء فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ فسعينا له بكل شيء لا ينفعه شيء فهل عند أحدكم شيء؟ فقال بعضهم: نعمم والله إني لراق ولكن والله لقد استضيفناكم فلم تضيفونا فما انا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطع من الغنم فانطلق يتفل ويقرأ ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ حتى كأنها نشط من عقال فانطلق يمشي ما به قلبه قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم اقسموا وقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى تأتي رسول اله صلى الله عليه وآله وسلم

⁽¹⁶⁹⁾ أخرجه الترمذي (404).

⁽²⁷⁰⁾ أخرجه ابن حبان (6111) وأبو داود (3869) وأحمد (210/5 - 211).

فذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا به فقدموا على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فذكروا له فقال: (وما يدريك أنها رقية ثم قال: قد أصبتم أقسموا واضربوا لي معكم بسهم)⁽⁷¹¹⁾.

28 وعن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ على مبتل في أذنه فأفاق فقال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (ما قرأت؟) قال ﴿ أفحسبتم أنها خلقناكم عبثاً ﴾⁽⁷²²⁾ إلى آخر السورة فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « لو أن رجلاً مؤمناً قرأ بها على جبل لزال »⁽⁷³³⁾.

29 عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر على أعرابي وهو يدعو في صلاته: يا من لا تراه العيون ولا تحالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخش الدوائر ويعلم مثاقيل الجبال ومكاويل البحار وعدد قطر الأمطار وعدد ورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ولا تواري منه سماء سماء ولا أرض أرضاً ولا بحر إلا يعلم ما في قعره ولا جبل إلا يعلم ما في ورعه اجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم ألقاك فيه فوكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأعرابي رجلاً فقال: (إذا صلى فأتني به) وكان قد اهدي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذهب من بعض المعادن فلما أتاه الأعرابي وهب له الذهب وقال: (ومن أنت يا أعرابي) فقال من بني عامر بن صعصعة يا رسول الله قال يا أعرابي هل تدري لما وهبت لك الذهب قال: للرحم الذي بيني وبينك قال صلى الله عليه وآله وسلم « إن للرحم حقاً ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله »⁽⁷⁴⁴⁾.

30 عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحلقة ورجل قائم يصلي فلما ركع وسجد تشهد ودعا فقال في دعائه اللهم إني أسألك بأن لك

⁽⁷¹¹⁾ أخرجه البخاري (2156) ومسلم (2201) وأبو داود (3900) والترمذي (2064) والنسائي في عمل اليوم والليلة (1028) وابن ماجه (2156).

⁽⁷²²⁾ سورة المؤمنون الآية (115).

⁽⁷³³⁾ أخرجه أبو يعلى (5045/8) وابن السني في عمل اليوم والليلة (631) وأبو نعيم في الحلية (7/1) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (8469/5) وذكره الحافظ في المطالب العالية (349/2) برقم (2444) وذكره ابن كثير في التفسير (45/5).

⁽⁷⁴⁴⁾ أخرجه الطبراني في الأوسط (9444) ورجاله رجال الصحيح والهيثمي في مجمع الزوائد (17267/10).

الحمد لا إله إلا أنت بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لقد دعا باسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل أعطى »⁽⁷⁵¹⁾.

31 وعن السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال « سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ » فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أخبروه أن الله يحبهُ »⁽⁷⁶²⁾.

نبذة مما أحدثه الصحابة رضي الله عنهم بعد عهد النبوة
أخرج البزار بسنده : خرجنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في يوم عيد فسأله قوم من أصحابه عن الصلاة قبل العيد وبعدها فلم يرد عليهم شيئا ثم جاءه قوم فسألوه فلم يرد عليهم شيئا فلما انتهينا إلى الصلاة فصلى بالناس فكبر سبعا ثم خطب الناس ثم نزل فركب فقالوا: يا أمير المؤمنين هؤلاء قوم يصلون! قال: فما عسيت أن أصنع؟ سألتموني عن السنة إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يصل قبلها ولا بعدها فمن شاء فعل ومن شاء ترك أتروني امنع قوما يصلون فاكون بمنزلة من منع عبدا إذا صلى .

عن عبدالرحمن بن عبدالقاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسدد فإذا الناس اوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر رضي الله عنه : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر: نعمت البدعة هذه والتي ناموا عنها أفضل من التي يقومون يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله.⁽⁷⁷³⁾

⁽¹⁷⁵¹⁾ أخرجه الحاكم (1856) وقال: صحيح.

⁽²⁷⁶¹⁾ أخرجه البخاري (6940) ومسلم (1887) والنسائي (992) وفي عمل اليوم والليلة (703) وابن حبان (793).

⁽³⁷⁷¹⁾ تقدم تخريجه.

قال ابن الأثير في النهاية عند ذكر البدعة الحسنة: (ومن هذا النوع قول عمر رضي الله عنه: نعمت البدعة هذه لما كانت من أفعال الخير وداخلة في حيز المدح سماها بدعة ومدحها لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يسنها لهم وإنما صلاحها ليالي ثم تركها ولم يحافظ عليها ولا جمع الناس لها ولا كانت في زمن أبي بكر وإنما عُمر جمع الناس عليها وندبهم إليها فبهذا سماها بدعة وهي على الحقيقة سنة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم «فعلیکم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»⁽¹⁷⁸¹⁾ i وقوله: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»⁽¹⁷⁹²⁾، وعلى هذا التأويل يحمل الحديث الآخر «كل بدعة ضلالة»⁽⁸⁰³⁾ وإنما يريد ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة).

وعند البيهقي عن السائب بن يزيد رضي الله عنه بإسناد صحيح قال: كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب بعشرين ركعة وكانوا يتوكؤون على عصيهم في عهد عثمان من شدة القيام. وأخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول في التشهد بعد: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته: (السلام علينا من ربنا) فيزيد على اللفظ الذي رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفظة: (من ربنا).

وثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يلازم في أسفاره كلها القصر فيصلي الظهر والعصر والعشاء ركعتين ركعتين ولم يثبت قط أنه صلى الرباعية أربعا في السفر ومع ذلك فقد صلى عثمان رضي الله عنه في منى أربعا وأنكر عليه ابن مسعود ثم صلاها معه أربعا فلما قيل له قال: إني أكره الخلاف⁽⁸¹⁴⁾.

وأخرج ابن أبي شيبة عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال: ألا يقوم احدكم فيصللي أربع ركعات ويقول فيهن: (تم نورك فهديت فلك الحمد وعظم حلمك فغفوت فلك الحمد وبسطت برك فأعطيت فلك الحمد ربنا وجهك أعظم الوجوه وجاهك أعظم الجاه وعطيتك أفضل عطية

⁽¹⁷⁸¹⁾ تقدم تخريجه.

⁽²⁷⁹¹⁾ حديث صحيح أخرجه الترمذي (3663) وابن سعد (334/2) وأحمد (339/5) والطحاوي في مشكل الآثار (85/2) وابن ماجه (97) في المقدمة، والحاكم (75/3) والخطيب في التاريخ (20/12) وأبو نعيم في الحيلة (109/9) وابن حبان (6902).

⁽³⁸⁰¹⁾ تقدم تخريجه ص (149).

⁽⁴⁸¹¹⁾ أخرجه البخاري (1107) ومسلم (704).

وأهناها تطاع ربنا فتشكر وتعصى فتغفر وتجب المضطر وتكشف الضر وتشفي السقيم وتغفر

الذنب وتقبل التوب ولا يجزي بالآثك أحد ولا يبلغ مدحك قول قائل).

وعن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على

عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما كان عثمان رضي الله عنه

وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء وهي دار في سوق المدينة وسمي هذا الأذان ثالثا باعتبار

إضافته إلى الأذان الأول والإقامة ويقال له ثان بإسقاط اعتبار الإقامة^[821].

وقال أبي بكر رضي الله عنه لما نعي الزكاة واستباحة دمائهم حتى يُذعنوا له حتى قال قولته

المشهورة: (والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقاتلتهم

عليه مع قول عمر ومراجعتة له ثم إذعانه لرأيه فقال: فعلمت أنه الحق^[832]).

وعن سيدنا ابن عمر رضي الله عنه ان تلبية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لبيك اللهم لبيك

، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وكان عبدالله بن عمر يزيد

في تلبيته: لبيك لبيك وسعديك والخير بيدك لبيك والرغباء إليك والعمل^[843].

وعن ابن عمر رضي الله عنه أيضا: (أن عمر كان يقول هذه الزيادة في تلبيته)^[854] وكان سيدنا عمر

رضي الله عنه يزيد أيضا: (لبيك مرغوب إليك ذا النعماء والفضل الحسن)^[865].

وكان الناس يزيدون في التلبية (ذا المعارج)^[876].

وذكر الحافظ في المطالب العالية أنه كان سيدنا أنس رضي الله عنه يقول في تلبيته: (لبيك حقا حقا

تعبدا ورقا).

^[182] أخرجه البخاري (912) وابن ماجه (1135) وابن خزيمة (1773) وأبو داود (1087) واحمد (449/3) والنسائي (1391) والترمذي (516).

^[283] أخرجه البخاري (1399) ومسلم (124) والنسائي (2442) وأبو داود (1556) والترمذي (2607) واحمد (19/1).

^[384] أخرجه البخاري (170/2) ومسلم (1184) وأبو داود (1812) والنسائي (160/5) ومالك في الموطأ (219) وأحمد (34/2) - 4896.

^[485] أخرجه مسلم (1184).

^[586] أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح (4/ كتاب (112) باب (115) رقم (11)).

^[687] أخرجه أبو داود (1813) بإسناد صحيح وأحمد (320/3) وابن خزيمة (2626).

والذي ثبت عن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه عنه البخاري ومسلم وغيرهما أنه كان يستلم الركنين اليمانيين من الكعبة المشرفة ولم يستلم غيرهما وصح عن جماعة من الصحابة استلام الأركان الأربعة .

فعن أبي الطفيل قال قدم معاوية وابن عباس الكعبة فاستلم ابن عباس الأركان كلها فقال له معاوية إنما استلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الركنين اليمانيين ! قال ابن عباس : ليس شيء من البيت مهجورا^[88] .

وحكى ابن المنذر ذلك عن جابر وأنس والحسن والحسين رضي الله عنهم :
جاء سيدنا عمر بن الخطاب إلى سيدنا أبي بكر رضي الله عنه يقول له : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرى القتل قد استمر في القراء فلو جمعت القرآن في مصحف فيقول الخليفة : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فيقول عمر : إنه والله خير ولم يزل به حتى قبل فيبعثان إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه فيقولان له ذلك فيقول : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فيقولان له : إنه والله خير فلا يزالان به حتى شرح الله صدره كما شرح صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما^[89] .

وقد أقر الشاطبي بهذا العمل وأنه واجب وسماه مصلحة وأبى أن يسميه بدعة لأن البدعة عنده ما قصد بها الزيادة على الشارع ويعني بهذا البدعة السيئة .

وعن أبي مدينة الدارمي وكانت له صحبة قال : كان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر

﴿ [903] . [914]

[188] أخرجه البخاري (1608) والترمذي (828) والطبراني في الكبير (10631) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (3/ برقم 5474).

[289] أخرجه البخاري (4679) والترمذي (3103) وأحمد (10/1) والنسائي في فضائل القرآن (20).

[390] سورة العصر الآية (1 z 2).

[491] أخرجه الطبراني في الأوسط (5120).

ولما جمع زيد بن ثابت القرآن في مصحف وضعها عند أبي بكر فلما توفي كانت عند عمر فلما توفي كانت عند حفصة وفي أوائل خلافة عثمان رضي الله عنه حصل الاختلاف في قراءة القرآن فقال حذيفة بن اليمان لعثمان رضي الله عنهما: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة ، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب فيأتون بها لم يسمع أهل العراق وأهل العراق يقرؤون بقراءة عبدالله بن مسعود فيأتون بها لم يسمع أهل الشام فيكفر بعضهم بعضا فارسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي علينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وأرسل إلى كل أفق بمصحف وحبس واحدا بالمدينة وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة ان يحرق وتركوا القراءات الشاذة.

وهذا العمل وإن لم يكن على عهد النبوة لكنه يعد من أهم وأكبر حسنات سيدنا عثمان وأكثرها فائدة للإسلام والمسلمين.

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه : أنه شهد جنازة رجل من الأنصار قال: فأظهروا الاستغفار فلم ينكر ذلك أنس وأدخلوه من قبل رجل القبر⁽¹⁹²⁾.

وعن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فقال: اللهم إني أجت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرزاقين.

وأخرج الطبراني عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده ودعاهم.

وعن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان يوما فوجد رجلا واضعا وجهه على القبر فقال : أتدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب فقال: نعم جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم أت الحجر⁽¹⁹³⁾.

(192) أخرجه أحمد (8/ 58 - 59).

(193) تقدم تخريجه.

وعن سيدنا ابن عمر رضي الله عنه : أنه كان يقول في تشميت العاطس : يرحمنا الله وإياكم ويغفر الله لنا ولكم. والمأثور : فليقل له صاحبه : يرحمك الله فإذا قال له ذلك فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم^[94].

وأخرج أحمد في الزهد عن سيدنا أبي صفية رضي الله عنه - رجل من الصحابة كان خازنا - أنه كان يسبح بالحصى .

وأخرج ابن سعد أن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان يسبح بالحصى .

وسيدنا أبو هريرة رضي الله عنه أيضا صح عنه أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به . وقد قال رضي الله عنه : (إني لأستغفر الله عز وجل وأتوب إليه كل يوم اثني عشر ألف مرة وذلك على قدر ذنبي)^[95].

واخرج الطبراني في معجمه الأوسط عن سيدنا علي كرم الله وجهه أنه كان يعلم بصيغة جديدة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولها : (اللهم يا داحي المدحوات...).

وأورد الحافظ ابن حجر في المطالب العالية - ورمز بالصحة - عن ثوبة مولى بني هاشم قال : قلت لابن عمر : كيف الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال ابن عمر (اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير اللهم ابعثه يوم القيامة مقاما محمودا يغبطه الأولون والآخرون وصل اللهم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد).

وعن سيدنا الطفيل بن أبي بن كعب أنه كان يأتي عبدالله بن عمر فيغدو معه إلى السوق قال : فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبدالله على سفاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلا سلم عليه فقلت له : ما تصنع وأنت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السلع ولا تسوم بها ولا تجلس في مجالس

[94] أخرجه مالك في الموطأ موقوفا على ابن عمر (145/825).

[95] أورده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (94/4).

السوق؟ فقال: يا أبا بطن - وكان الطفيل ذا بطن - إنما نغدوا من أجل السلام لنسلم على من لقيناه⁽¹⁹⁶¹⁾.

وعن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما أن المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان مبنيًا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل فلم يزد فيه أبو بكر شيئًا وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باللبن والجريد وأعاد عمده خشبًا ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والفضة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج (خشب هندي).

وعن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت: إن المقام كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزمن أبي بكر ملتصقا بالبيت ثم آخره عمر.

وقال الحافظ في فتح الباري: ولم تنكر الصحابة فعل عمر ولا من جاء بعدهم فصار إجماعًا وكأن عمر رأى إبقاءه يلزم منه التضييق على الطائفتين أو على المصلين فوضعه في مكان يرتفع فيه الحرج وتهيأ له ذلك لأنه الذي كان أشار باتخاذ مصلى وأول من عمل عليه المقصورة الموجودة الآن.

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: (أول من أرزق المؤذنين إمام هدى عثمان ابن عفان).

وإن مما يعتقد بعض الناس بدعيته وهو ثابت في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

الاستعانة بالقرآن العظيم

أدلة الاستعانة بالقرآن العظيم

(¹⁹⁶¹) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (1006).

أ - من القرآن الكريم :

قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾⁽¹¹⁾ وقال أيضا ﴿ ونزل من القرآن ما هو شفاء ﴾⁽²²⁾ وقال أيضا ﴿ ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾⁽³³⁾ وقال أيضا ﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾⁽⁴⁴⁾ وقال أيضا ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾⁽⁵⁵⁾ وقال تعالى أيضا ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾⁽⁶⁶⁾.

ب - من السنة الشريفة :

عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: انطلق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفرة سافروها حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء فقال بعضهم لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعلمهم أن يكون عند بعضهم شيء فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه شيء فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله إني لأرقي ولكن استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطع من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقرأ ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ فكاننا نشط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبه قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم: اقتسموا

(11) سورة يونس الآية (57).

(22) سورة الإسراء الآية (82).

(33) سورة التوبة الآية (14).

(44) سورة المؤمنون الآية (97 - 98).

(55) سورة آل عمران الآية (173 - 174).

(66) سورة الأنبياء الآية (87 - 88).

فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى تأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنذكر له الذي كان
فننظر ما يأمرنا فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكروا له ذلك فقال: وما
يدريك أنها رقية ثم قال قد أصبتم اقتسموا واضربوا لي سهماً⁽¹⁷¹⁾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى: «
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى: حمدني
عبدي وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال: أثني علي عبدي، أو مجدني عبدي، وإذا قال العبد:
ملك يوم الدين قال فوض الي عبدي وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال فهذه بيني وبين
عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين قال فهذا عبدي ولعبدي ما سأل»⁽¹⁸²⁾.

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال:
يا رسول الله! ما لقيت من عقرب لدغني البارحة قال: أما لو قلت حين أمسيت: (أعوذ
بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك)⁽⁹³⁾.

وعن السيدة خولة بنت الحكيم السلمية رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يقول: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، ما يضره
شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»⁽¹⁰⁴⁾.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة،
جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما ﴿قل هو الله أحد﴾، و﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و﴿قل

⁽¹⁷¹⁾ أخرجه البخاري (178/10) ومسلم (2201) وأبو داود (3900) والترمذي (2064) والنسائي في عمل اليوم والليلة (1028)
وابن ماجه (2156).

⁽¹⁸²⁾ أخرجه البخاري (11) في القراءة خلف الإمام ومسلم (876) والترمذي (2953) وابن ماجه (3784) والنسائي (38) في فضائل
القرآن واحمد (241/2) والحميدي (973) وابن خزيمة (490) بنحوه وصححه وقال العلامة المبرد معلقاً على هذا الحديث (احتج بعضهم من
هذا الحديث على أنه ما قرأ أحد الفاتحة لقضاء حاجة وسأل حاجته إلا قضيت) الاستعانة بالفاتحة ص (19).

⁽¹⁹⁾ أخرجه مسلم (6819) ومالك (951/2).

⁽¹⁰⁾ أخرجه مسلم (2708).

أعوذ برب الناس ﴿ ثم يمسح بها ما استطاع من جسده يبدأ بها على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات⁽¹¹¹⁾ .

وعن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : (أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد اشتكيت ؟ قال : نعم فقال جبريل عليه السلام : بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك باسم الله أرقيك⁽¹²²⁾ .

وعن سيدنا عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعا يجده في جسده منذ أسلم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل : باسم الله ثلاث وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر⁽¹³³⁾) .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (إذا فزع أحدكم من النوم فليقل أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنه لن تضره⁽¹⁴⁴⁾) .

وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يعلمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل كتبها في صك ثم علقها في عنقه .

وعن سيدنا علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « خير الدواء القرآن⁽¹⁵⁵⁾ » وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول : « فاتحة الكتاب شفاء من كل⁽¹⁶⁶⁾ » .

⁽¹¹¹⁾ أخرجه البخاري (100/8) ومسلم (56/9) وأبو داود (3902) والترمذي (3399) .

⁽¹²²⁾ أخرجه مسلم (5664) والترمذي (972) وابن ماجه (3523) والنسائي في عمل اليوم والليلة (1005) واحمد (28/3) .

⁽¹³³⁾ أخرجه مسلم (5701) .

⁽¹⁴⁴⁾ أخرجه أبو داود (3893) والترمذي (3528) وقال حديث حسن .

⁽¹⁵⁵⁾ أخرجه ابن ماجه (3501) .

⁽¹⁶⁶⁾ ذكره السيوطي في الجامع الصغير (5827) .

وعن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي إذ سجد فلدغته عقرب في أصبعه فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: (لعن الله العقرب ما تدع نبيا ولا غيره قال: ثم دعا بإناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة في الماء والملح ويقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ والمعوذتين حتى سكنت⁽¹⁷¹⁾.
والأحاديث في هذا كثيرة متناثرة في كتب السنة الشريفة ولكن الدليل الواحد يكفي لمن كان اعتقاده متوقفا حقا على دليل من الكتاب والسنة.

من أقوال السلف الصالح:

قال مجاهد: لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض.
وقال أيوب: رأيت أبا قلابة كتب كتابا من القرآن ثم غسله بماء وسقاه رجلا كان به وجع.
وقال العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى:
ومن المعلوم أن بعض الكلام له خواص ومنافع مجربة فما الظن بكلام رب العالمين الذي فضله على كل كلام كفضل الله على خلقه الذي هو الشفاء التام والعصمة النافعة والنور الهادي والرحمة العامة الذي لو أنزل على جبل لتصدع من عظمته وجلالته قال تعالى ﴿ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾⁽¹⁸²⁾ (من) هنا لبيان الجنس لا للتبويض هذا أصح القولين كقوله تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾⁽¹⁹³⁾، فما الظن بفاتحة الكتاب التي لم ينزل في القرآن ولا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور مثلها؟ المتضمنة لجميع معاني كتب الله المشتملة على أصول أسماء الرب سبحانه ومجامعها وهي الله والرب والرحمن والرحيم .

⁽¹⁷¹⁾ أخرجه ابن أبي شيبة (5/ كتاب (16) باب (22) رقم (1) .

⁽¹⁸¹⁾ سورة الإسراء الآية (82) .

⁽¹⁹¹⁾ سورة الفتح الآية (29) .

وقال رحمه الله تعالى: ولقد مر بي وقت بمكة سقمت فيه وفقدت الطبيب والدواء فكنت أتعالج بها أخذ شربة من ماء زمزم وأقرأؤها عليها مرارا ثم أشربه فوجدت بذلك البرء التام ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع فأنتفع به غاية الانتفاع⁽²⁰¹⁾.

وقال رحمه الله تعالى: ... فما تضمنته الفاتحة من أعظم الأدوية الشافية الكافية وقد قيل: أة موضع الرقية منها ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ولا ريب أن هاتين الكلمتين من أقوى أجزاء الدواء...⁽²¹²⁾.

وقال رحمه الله تعالى أيضا: ... إن أم القرآن هي السبع المثاني والشفاء التام والدواء النافع والرقية التامة ومفتاح الغنى والفلاح وحافظة القوة ودافعة الهم والغم والخوف والحزن لمن عرف مقدارها وأعطاهما حقها واحسن تنزيلها على دائه وعرف وجه الاستشفاء والتداوي بها والسر الذي لأجله كان كذلك.

وقال أيضا رحمه الله تعالى: ومن ساعده التوفيق وأعين بنور البصيرة حتى وقف على أسرار هذه السورة وما اشتملت عليه من التوحيد ومعرفة الذات والأسماء والصفات والأفعال وإثبات الشرع والقدرة والمعاد وتجريد توحيد الربوبية الإلهية وكمال التوحيد والتفیوض إلى من له الأمر كله وله الحمد كله وبيده الخير كله واليه يرجع الأمر كله والافتقار إليه من طلب الهداية التي هي أصل سعادة الدارين وعلم ارتباط معانيها بجلب مصالحها ودفع مفسادها فإن العافية المطلقة التامة والنعمة الكاملة منوطة بها موقوفة على التحقيق بها: أغنته عن كثير من الأدوية والرقى، واستفتح بها من الخير أبوابه ودفع بها من الشر أسبابه.

وقال العلامة ابن المبرد رحمه الله: ... وقد شاهدت أنا من نجاح الأمور بها أمرا عظيما فقل حاجة من الحوائج تعرض لي من الحوائج الدنيوية والأخروية فأقرأؤها عليها إلا قضيت ونجح

⁽¹²⁰⁾ الطب النبوي (137 - 139) وزاد المعاد (121/3 - 122).

⁽²¹¹⁾ الطب النبوي (139 - 140).

أمرها وكم من حاجة تعسرت واستدت طرقها^(1[22]) وحالت دونها الموانع فقرأتها لنجاحها
فقضيت وعادت أتم ما كانت

ثم قال رحمه الله تعالى : وهي سورة عظيمة فعليك رحمك الله بالإكثار منها على أمورك
وحوائجك وأدوائك ومهماتك وكل ما عرض لك وتأمل ذلك تجد منه ما يظهر لك .
وقال رحمه الله تعالى أيضا معلقا على حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه : (قسمت الصلاة
بيني وبين عبدي ...) احتج بعضهم من هذا الحديث على انه : ما قرأ أحد الفاتحة لقضاء حاجة
وسأل حاجته إلا وقضيت^(2[23]) .

وقال العلامة محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى : في كتابه روح القدس في (محاسبة النفس) في
ترجمة فاطمة بنت أبي المثنى ما نصه : (كانت سورتها من القرآن الفاتحة قالت لي : أعطيت
الفاتحة أصرفها في كل أمر شئت^(3[24])) .

المذاهب الأربعة

إذا قال قائل

(فدين الإسلام واحد لا مذاهب فيه ولا طرق يجب اتباعها إلا طريق محمد صلى الله عليه وآله
وسلم) .

وقال أيضا:

^(1[22]) استدت طرقها : بمعنى سدت أي عميت عليه مذاهبها .

^(2[23]) الاستعانة بالفاتحة على نجاح الأمور ص (19) .

^(3[24]) روح القدس لابن عربي ص (84) .

(اعلم أن المذهب الحق الواجب الذهاب إليه والاتباع له هو مذهب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقل الإمام أبو حنيفة ولا مالك ولا أحد من الأئمة خذوا بقولي أو تمذهبوا بمذهبي بل ولا قال ذلك أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهم بل نهوا عن ذلك فإن كان الأصل هكذا فمن أين جاءت المذاهب؟ ولماذا شاعت وألزمت على ذمم المسلمين فتدبر وتأمل أنها ما شاعت إلا بعد خير القرون وما ألزمت إلا من الأمراء الغاشمين والحكام الجاهلين والعلماء الضالين).

فالجواب: إذا قلنا إن الاتباع ينبغي ان يكون للكتاب والسنة فقط أليس ذلك ينبغي ان يكون مبنيًا على فهم الصحابة والأئمة المجتهدين نعم إن أحدا من الصحابة لم يقل خذوا بقولي ولم يقل أحد أيضا بأن اتباع واحد بعينه دون الآخر فرض محتم ولكن اتباع الكتاب والسنة بناء على فهم الصحابة والأئمة المجتهدين لهما إنما يكون باتباع أقوالهم ولا شك أن هذا لا خلاف فيه وإنما الإشكال في كيفية اتباع أقوال الصحابة والأئمة المجتهدين رضي الله عنهم.

ففي الماضي اجتهد الصحابة رضي الله عنهم والأئمة الأوائل الذين جاؤوا بعدهم واعتمد بعضهم في اجتهاده على الدليل واعتمد البعض الآخر على الرأي المعتمد على القياس أو الأصول العامة في الشرع المجمع عليها نحو ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾⁽¹¹¹⁾. (لا ضرر ولا ضرار)⁽¹²⁾ وهكذا وذلك إما لعدم وصول دليل الغير إليه وعدم علمه بالدليل أو لأن لديه دليلا اعتمد عليه ووجده أقوى من دليل غيره أو لاختلافه مع غيره في تفسير النص أو لاختلافهم في نوع الحكم على المسألة هل هي فرض أو سنة مثلا بسبب اختلافهم في قواعد الاجتهاد ... وهكذا أما من لم يصله الدليل من الصحابة والأئمة المجتهدين واجتهد برأيه فراه ناقشه العلماء المجتهدون فيما بعد حينها صارت الأدلة متوفرة لدى الجميع أي بعد القرن الثالث فعلماء المذاهب فيما بعد على مر العصور ناقشوا هذه الآراء وأخذوا بما يدعمه الدليل منها

(111) سورة الحج الآية (78).

(12) أخرجه مالك (745/2) واحمد (110/15) وابن ماجه (2341) والطبراني (11 / رقم 11806) والدار قطني (227/4) والحاكم (2345) وقال صحيح الإسناد على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وتركوا ما يتعارض مع الأدلة وليس أدل على ذلك من مخالفة كثيرين من الأئمة في كل مذهب لقول الإمام أو لقول غيره عملاً بالدليل الأقوى وسنين ذلك إن شاء الله وهذا الوضع لم يشكل سبباً هاماً من أسباب نشوء المذاهب واستمرارها.

لكن الوضع الثاني وهو الحل الذي يكون كل طرف فيه معتمداً على دليل قوي يتمسك به أولاً رأي بدليل غيره أو تفسير أو حكم مختلف فيه عن تفسير غيره أو حكمه في المسألة أو له قواعد تختلف عن قواعد غيره في الاجتهاد هو السبب الأهم في نشوء المذاهب واختلاف الآراء.

ونضرب لذلك مثلاً في اختلاف الصحابة في تفسير قوله تعالى ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾⁽³¹⁷⁾ قال ابن عباس: إن اللمس والمس والمباشرة: الجماع ولكن الله يكتفي بما يشاء بما يشاء وقال بعده ابن جرير بذلك واحتج بحديث عائشة الصحيح: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتوضأ ثم يقبل ثم يصلي ولا يتوضأ».

أما عبدالله بن مسعود فقد قال: اللمس ما دون الجماع والقبلة من المس وفيهما الوضوء وروى مالك عن عبدالله بن عمر أنه كان يقول: قبلة الرجل امرأته وجسه بيده من الملامسة فمن قبل امرأته أو جسها بيده فعليه الوضوء.

وتابعهم على ذلك الشافعي وأصحابه ومالك وأحمد بن حنبل وقالوا: قد قرئ في هذه الآية - أي قراءة متواترة - (لامستم) ﴿لمستم﴾. واللمس يطلق في الشرع على الجنس في اليد قال تعالى ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم﴾⁽⁴¹²⁾ أي جسوه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما عزم حين أقر بالزنا يعرض له بالرجوع عن الإقرار (لعلك قبلت أو لمست) وفي حديث آخر (واليد زناؤها اللمس)⁽⁵³⁾.

وأنت تلاحظ أن الاختلاف هنا واقع بين الصحابة الذين كانوا في عصر واحد وفي بلد واحد وقد اختلفوا في تفسير النصوص وترجيح بعضها على بعض وكل منهم تسمك بدليله وتبعهم

(131) سورة المائدة الآية (6).

(142) سورة الأنعام الآية (7).

(153) أخرجه البخاري (6438).

على ذلك الأئمة الأربعة ولا شك أن كل طرف من أطراف الخلاف قد اطلع على دليل الآخر في هذه المسألة.

فالإمام مالك هو شيخ الشافعي والشافعي قرأ على محمد بن الحسن كبير أصحاب أبي حنيفة في العراق وهو أي الشافعي شيخ الإمام أحمد بن حنبل ومع ذلك نجد أن هؤلاء الأئمة اختلفوا في الحكم في هذه المسألة على افتراق الصحابة ولم يتفقوا على حكم واحد فيها .

وذكر هذه الأقوال وغيرها ابن كثير والقرطبي مثلاً فلم يقولوا : قال العلماء : إن سبب الخلاف بين الصحابة هنا هو عدم وصول الدليل إلى من قال إن لمس المرأة ينقض الوضوء ولا قالوا : بخطأ هذا القول وبعدم صحة العمل به كما يفعل بعضهم بل ذهب بعضهم إلى تأييد القول الأول وذهب البعض الآخر إلى تأييد القول الثاني على أنه أخذ بظاهر النص وهو مع ذلك متوافق مع القاعدة الأصولية عندهم والتي تقول : إنه يجوز استعمال الكلمة في كل من معناها الحقيقي والمجازي بآن واحد إذا كان ذلك ممكناً شرعاً وعقلاً .

والملازمة هنا تعني المس على المعنى الحقيقي والجماع على المعنى المجازي وفي هذه القاعدة خلاف بين الأصوليين .

والاختلاف في بعض قواعد الاجتهاد وقواعد الأخذ بالأدلة هو من الأسباب الهامة في اختلاف الاجتهادات ونشوء المذاهب في الأقوال .

فالأئمة من السلف الصالح رضي الله عنهم وضعوا قواعد وأصولاً لمعرفة أحوال الأدلة واستفادة الأحكام الشرعية منها وهذه القواعد إنما وضعوها ليبينوا المنهج العلمي الصحيح للاجتهاد وتفسير النصوص واستنباط الأحكام وليقطعوا الطريق على من يفهم من النصوص فهما لا يستقيم مع الشرع ولا يصح في الدين وأول من فعل ذلك هو الإمام الشافعي رضي الله عنه في (الرسالة) .

وهذه القواعد تنبثق من دلالات اللغة وفقهها والأساليب الصحيحة في فهم النصوص واستنباط الأحكام وهي بمثابة ميزان تستقيم عليه هذه الأمة في فهم الكتاب والسنة وتحكم إليه عند الاختلاف في تفسير النصوص وتأويلها وعند الاجتهاد والنظر في المبادئ والأحكام. ومعلوم ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا في غنى عن هذا المنهج لأنهم كانوا يجتهدون بناء على سليقتهم في اللغة وفطرتهم السليمة في فهم معاني النصوص وهم الذين عاشوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووقفوا على أسباب نزول الآيات القرآنية وورود الأحاديث النبوية الشريفة وعرفوا أسلوب الفهم الصحيح للدين فساغ لهم ذلك الاجتهاد.

أما الذين جاؤوا بعدهم فقد صاروا يعانون من شوائب العجمة وظهور الزندقة وظهور من يتاجرون بالشبهات والصناعة الجدلية وأساليب اللجاج للتشويش على المسلمين وإلحاق أسباب الريبة في الطريق إلى الفهم الصحيح للعقيدة والأحكام وهم ممن لا زالوا متأثرين بعقائدهم الفاسدة وأديانهم السابقة فكان لا بد من وضع هذا المنهج الذي سمي بعلم أصول الفقه وهذا مثال يوضح لنا صورة من صور اختلاف العلماء في بعض القواعد الأصولية مما أدى إلى اختلافهم في بعض الأحكام الفقهية مع وجود الأدلة:

يقول ابن حجر في الخيرات الحسان في معرض الدفاع عن أبي حنيفة والرد على من قال إنه خالف صرائح الأدلة من غير حجة:

وأما مخالفته (أعني خبر الواحد) لظاهر عموم القرآن لأن أبا حنيفة لا يرى تخصيص عمومه أي عموم القرآن بخبر الواحد لأن خبر الواحد ظني الثبوت والقرآن قطعي الثبوت وتقديم أقوى الدليلين واجب.

من ذلك خبر: (لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب)⁽⁶¹⁾ مخالف لعموم ﴿ فاقروا ما تيسر منه ﴾⁽⁷¹²⁾ لذلك جعل الحنفية قراءة أي آية من القرآن شرطاً لصحة الصلاة للنص المذكور: ﴿ فاقروا ما تيسر منه ﴾ وجعلوا قراءة الفاتحة واجبا من الواجبات فلو لم يقرأ شيئاً من القرآن في الصلاة لم

⁽⁶¹⁾ أخرجه البخاري (756) ومسلم (872) وأبو دود (822) والترمذي (247) والنسائي (910) وابن ماجه (837).

⁽⁷¹²⁾ سورة المزمل الآية (20).

تصح صلاته ولو قرأ شيئاً غير الفاتحة صحت مع الكراهة لأنه أنقص واجبا من واجبات الصلاة وهو تعيين قراءة الفاتحة وتعيين الفاتحة إنما اعتبروه من الواجبات لخبر الآحاد المذكور : مع مراعاة العمل بالدليل الثاني ولكنهم لم يجعلوا الدليل الثاني خبر الآحاد بمرتبة المتواتر بحيث لو ترك العمل به لم يصح العمل بالمتواتر لأنه ليس بدرجة في الثبوت.

أما الشافعية فإنهم يرون تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد لو كان دون المتواتر في المرتبة ولذلك جعلوا قراءة الفاتحة فرضاً مع أن الآية تفيد كفاية قراءة ما تيسر من القرآن وقالوا: آة الحديث يخصص الآية ولو كان دونها في الثبوت.

ثم يقول ابن حجر : (وأما مخالفة خبر الآحاد للسنة المشهورة لأن الخبر المشهور أقوى من خبر الآحاد كخبر الشاهد واليمين فإنه مخالف لعموم الخبر المشهور : (البينة على المدعي واليمين على من أنكر)^[81]) وأما كونه زائداً على القرآن كهذا فإن الذي في القرآن رجلان أو رجل وامرأتان فالشاهد واليمين زائد عليهما – أي على الخبر المشهور والقرآن – ولذلك رده).

ثم يقول ابن حجر (إذا تقرر ذلك علم منه نزاهة أبي حنيفة رحمه الله تعالى مما نسب إليه أعداؤه والجاهلون لقواعده بل لمواقع الاجتهاد من أصلها من تركه لخبر الآحاد بغير حجة وأنه لم يترك خبراً إلا للدليل أقوى عنده وأوضح).

وقال ابن حزم : (جميع الحنفية مجمعون على أن مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من الرأي فتأمل هذا الاعتداد بالأحاديث وعظيم جلالتها وموقعها عنده).

وهذا الحال بالنسبة للاهتمام بالأحاديث النبوية لم يكن ميزة أبي حنيفة وحده أو الأحناف الذين بنوا مذهبهم على هذه القاعدة وحدهم وإنما كان ميزة جميع أئمة المذاهب وعلمائها ولكن اجتهاداتهم في ترجيح الأدلة وطرق استفادة الأحكام منها هو سبب الاختلاف الذي وقع في أقوالهم.

[81] أخرجه البخاري (2526) ومسلم (1711) وأبو داود (2254).

وهكذا نرى مما مر من الأمثلة أن اختلاف الأئمة رضي الله عنهم قد كانت له أسباب علمية وموضوعية وجوهرية أدى إليها اجتهادهم الصحيح والمشروع والمبني على أساس الكتاب والسنة .

ذكر الدكتور إبراهيم سلقيني في كتابه (أصول الفقه الإسلامي) : أن الدارس لأصول الفقه يتعرف على الطريقة العلمية الصحيحة التي كتبها هذا التراث العظيم من الفقه الإسلامي والمعايير الدقيقة العميقة التي كانت متحكمة في أذهان كاتبه ومهيمنة على بحوثهم. فيطمئن الباحث إلى أنهم لم يكتبوا إرضاء لنزعة شخصية أو انبعاثا عن هوى متبع أو تحقيقا لمطلب دنيوي أو مجازاة لتسلط عابث ويتخذ من فقههم ومنهجهم فيه نموذجا يحتذي به ويتأكد الباحث أن أسباب الاختلاف بين الأئمة والمذاهب هي أسباب موضوعية علمية وليست أسبابا شخصية.

فإذا أدركنا أن أسباب الاختلاف بين الأئمة والمذاهب هي أسباب موضوعية علمية أدركنا أن هذا الاختلاف هو توسع في الاجتهاد وفسحة في الأحكام المستفادة من نصوص الكتاب والسنة ولا خروج عن مضمونها وأصولها فالاختلاف هنا هو نتيجة طبيعية للاجتهاد وأدركنا أن كل مجتهد مصيب بما وصل إليه من طريق الاجتهاد الذي أقرها الشارع عليه وذلك إذا عرف أدلة الغير وكان مقتنعا بدليله وبما أوصله إليه اجتهاده وبذلك لا يكون هذا النوع من الاجتهاد هو المقصود بالذم الذي ذم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المختلفين ولا هو المقصود من التحذير الذي حذر منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحديث الشريف : « وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بستني وسنة الخلفاء الراشدين المهديين »⁽⁹¹⁾.

ولكن الاختلاف الذي حذر منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي يخرج بأصحابه عن دائرة الإسلام لا الاختلاف الذي يدور ضمن هذه الدائرة وأن الفرق الضالة علامتها أنها تخرج عن الكتاب والسنة ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم : « فعليكم بستني وسنة الخلفاء

[191] أخرجه أبو داود (2678) وابن ماجه في المقدمة (4) وأحمد (126/4).

الراشدين المهديين» وسنة الخلفاء الراشدين شيء غير سنته ولكنه معتمد عليها وهنا ينبغي الإشارة الى أن سنته وسنة خلفائه إنما تفهم على ضوء ما يفهمه العلماء الثقات من الأمة كأئمة المذاهب ومن جاء بعدهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فتكون سنتهم كسنة الخلفاء الراشدين مبنية على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويمثلون بمجموعهم أهل السنة والجماعة.

ولذلك يقول شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رضي الله عنه : لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمجتهدين لنا ما أجمل في الكتاب والسنة لما قدر أحد منا على ذلك وهذا الذي بينوه من مجمل الكتاب والسنة بعضهم قال عنه فرض وبعضهم قال عنه واجب كقراءة الفاتحة في الصلاة وبعضهم قال : يصح العمل بتركه وبعضهم قال : لا يصح كالتنية في الوضوء مثلا وهكذا كانت اقوالهم مختلفة بحسب ما وصلت إليه اجتهاداتهم رضي الله عنهم .
والحاصل أن هذه القواعد التي وضعها السلف الصالح رضي الله عنهم وأولهم الشيخ الشافعي لاستنباط الأحكام من النصوص والاجتهاد في فهم الكتاب والسنة قد أخذوها من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وقواعد اللغة العربية وإجماعات الصحابة المدونة في كتب أصول الفقه هذه القواعد إما أن تكون صحيحة وإما أن تكون غير صحيحة فإذا كانت صحيحة فلا يسعنا إلا أن نقبل نتائجها التي وصل إليها المجتهدون عبر القرون الماضية بناء عليها ولو تسببت هذه القواعد في وقوع الاختلاف في الاجتهادات بينهم طالما أن هذا الاختلاف ناتج عن الاجتهاد والاجتهاد حق المجتهدين ولو سرنا عليها فلن نصل لغير ما وصلوا إليه وإن كانت غير صحيحة فكيف وضعها الأئمة وأولهم الشافعي رضي الله عنه ؟ وكيف سار عليها علماء الأمة عبر العصور الإسلامية؟

إننا إن أخذنا بهذه القواعد والموازن سلمنا لمن اخذ بها فيما وصل إليه من الاجتهاد في فهم الكتاب والسنة وقبول النصوص أو ردها لأن عمله هذا مبني في الأصل على الكتاب والسنة إذ أن هذه القواعد مستنبطة منها وإن لم نأخذ بها خرجنا عن منهج السلف وأئمة المسلمين عبر

عصور الإسلام في فهم الكتاب والسنة ونحن ندعي اتباعهم في فهمهم لها وهم إنما فهموها وضبطوا فهمها بناء على هذه الأصول.

هل نقحت المذاهب؟

فإن قال أحدهم " (ولما كان من أكبر أسباب الخلاف بين المذاهب الفقهية هو ظهور الفقيه ونشوؤه قبل استكمال جمع السنة وتدوينها ودراستها وتحقيقها وشرحها وكان من الواجب بعد أن تم للسنة الجمع والتمحيص والشرح والتحقيق أن يعاد النظر في آراء المذاهب المختلفة لتعدل وتنقح بناء على ذلك لكون تعصب كل قوم لمذهبهم وإمامهم وضيق صدرهم عن الرجوع عن قوله وضعف علمهم وكل ذلك حال دون إعادة النظر في كثير من المسائل الموجودة في كل مذهب مما ظهر بطلانه وتهافت دليله).

فالجواب: أن القول [بأن أئمة المذاهب بعد استكمال جمع السنة وتدوينها أي بعد نهاية القرن الثالث الهجري لم يقوموا بدراستها وتحقيقها وتمحيصها ولم يعيدوا النظر في أقوال أئمة مذاهبهم ولم ينقحوها بناء على ذلك ولكن قل قوم قد تعصبوا لإمامهم وضاق صدرهم عن الرجوع عن قوله وكان جهلة مما حال ذلك كله دون إعادة النظر في الكثير من المسائل الموجودة في كل مذهب مما ظهر بطلانه وتهافت دليله] باطل وغير صحيح وهذا الكلام إن دل على شيء فإنما يدل على أن المفكرين يرون أن أكثر علماء المذاهب والمحققين من أقوام الأئمة الأربعة كانوا متهمين في دينهم وأمانتهم وضربوا بالسنة عرض الحائط وأخذوا بالأقوال المخالفة لها ظلما وعدوانا وهذا كذب صريح على علماء المذاهب وشتم خطير لأمانتهم وصدقهم وطعن في الدين ليس مثله طعن فإن علماء المذاهب قد أعادوا النظر في أقوال أئمتهم ونقحوها ونظروا في أقوال وأدلة الغير أيضا وكانوا يرجعون عن أقوال أئمتهم لدى توفر الحديث والدليل والأقوى لديهم وليس أدل على ذلك من تعديل الكثير من أقوال المذاهب خلال عصور الاجتهاد ولم تثبت في المذاهب إلا الأحكام التي لها أدلتها والتي أقرها إمام المذهب بعد أن عرف أدلة الغير

فيها أو التي أقرها غيره من أئمة مذهبه وتعرضت للدراسة من آلاف الأئمة الكبار في كل مذهب ممن شهدت لهم الأمة عبر العصور بعلمهم وأمانتهم وعدالتهم].
حتى الأئمة الحنفية رضي الله عنهم الذين اشتهروا بأصحاب الرأي نجدهم يقدمون العمل بالحديث الضعيف « إذا لم يوجد لمسألة دليل غيره » على القياس .
ويقول الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله تعالى في رسالته (السهام الصائبة):
ومن راجع تخریج أحاديث الهداية للإمام الزيلعي - المتوفى سنة (763هـ) - يتحقق أن مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه هو أيضا مذهب أهل الحديث كباقي المذاهب إذ القاعدة عند جميعهم الاستدلال على المسألة من القرآن فإن لم يجد فيه دليلا لها فمن السنة فإن لم يوجد فمن الإجماع فإن لم يوجد فحينئذ يقيسون على أقرب المسائل اليها وأشبهها بها بما ثبت دليله بالكتاب أو السنة أو الإجماع .

وقد مر كلام ابن حجر الهيتمي عن ابن حزم بذلك ومثله يذكره ابن القيم في إعلام الموقعين حيث يقول إن أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله تعالى مجمعون على أن ضعيف الحديث مقدم على القياس والرأي وعلى ذلك بناء مذهبه .

وفي كتاب نصب الراية يعرض الإمام الزيلعي رضي الله عنه بعض أدلة المذهب الحنفي كما يعرض فيه أدلة الغير أيضا من الحديث ونجد فيه أن الحنفية اطلعوا على السنة اطلعا واسعا وأخذوا بها .

ويقول الشيخ المحقق محمد زاهد الكوثري في مقدمة له على كتاب نصب الراية:
(وكتاب الزيلعي هذا يجد فيه الحنفي صفة ما استدل به أئمة المذهب من أحاديث الأحكام، ويلقى المالكي فيه نقاوة ما خرجه ابن عبد البر في الـ (التمهيد) ⌘ (الاستذكار) وخلاصة ما بسط عبدالحق في كتبه في أحاديث الأحكام والشافعي يرى فيه غربلة ما خرجه البيهقي في (المسند والمعرفة) وغيرهما وتمحيص ما ذكره النووي في (المجموع) ⌘ (شرح صحيح مسلم) واستعراض ما بينه ابن دقيق العيد في (الإمام) ⌘ (الإمام) ⌘ (شرح العمدة) وكذلك الحنبلي

يلاقي فيه وجوه النقد في كتاب (التحقيق) لابن الجوزي و (تنقيح التحقيق) لابن عبد الهادي وغير ذلك من الكتب المؤلفة في أحاديث الأحكام بل يجد الباحث فيه سوى ما في الصحاح والسنن والمسانيد والآثار والمعاجم من ادلة الأحكام أحاديث في الأبواب من مصنف ابن أبي شيبة - أهم كتاب في نظر الفقيه ومصنف عبد الزاق ونحوهم مما ليس بمتناول يد كل باحث اليوم ثم يقول وهذا حافظ واحد من حفاظ الحنفية قام بمثل هذا العمل العظيم الذي وقع موقع الإعجاب الكلي بين طوائف الفقهاء كلهم في عصره وبعد عصره فمن قلب صحائف هذا الكتاب ودرس ما في الأبواب من الأحاديث تيقن أن الحنفية في غاية التمسك بالأحاديث والآثار في الأبواب كلها ولكن لا تخلو البسيطة من متعنت يتقول فيهم إما جهلاً أو عصبية جاهلية ... فمرة يتكلمون في أخذهم بالرأي عند فقدان النص مع أنه لا فقه بدون رأي ومرة يرمونهم بقلة الحديث وقد امتلأت الأمصار بأحاديثهم الخ .

ويقول الشيخ عبدالسلام عيرط: وقد حاولت أن انظر في بعض الأقوال التي يدعي اللامذهبيون أن الأئمة خالفوا الحديث الصحيح فيها أو أنها لم تصل إليهم ولا إلى أتباعهم فرأيت أن هذه الأحاديث قد وصلت إليهم وإلى أتباعهم وفهموا منها غير الذي فهمه دعاة اللامذهبية وبعضها وصل إليهم ولم يأخذوا به لمعارضته بعموم الكتاب أو أحاديث أخرى ولكن هؤلاء ليس عندهم قواعد في الأصول والترجيح يسرون عليها حتى يصلوا إلى الفهم الصحيح ويعرفوا الصواب .

وهذه كتب أهل المذاهب في الحديث والفقه والأصول أكبر دليل على أن علماء المذاهب قد حققوا مذاهبهم ونظروا في أدلة الغير وأخذوا بما هو أقرب للكتاب والسنة ولكن كل حسب اجتهاده وفهمه للنصوص وقواعد الاستنباط التي اعتمد عليها ورآها أفضل لفهم النصوص ومعرفة الأحكام وما هذه الشهادات التي مرت من هؤلاء العلماء وغيرهم بعد معرفتهم لكتبهم وأقوالهم وما استمرار الأئمة والعلماء والآلاف المؤلفة من أكابر هذه الأمة وصالحيتها

عبر القرون على هذه المذاهب إلا الدليل الأكبر والبرهان الأعظم على أن هذه المذاهب قد درست ونقحت وبينت على الكتاب والسنة من غير زيغ ولا انحراف. وإن الذي يقول غير ذلك إنما يحمله على ذلك القول جهله وقلة علمه وسوء ظنه بالمسلمين وإن من الغريب أن تجد أناسا من المسلمين يسيئون الظن بهذا الجمهور الواسع من أتباع المذاهب ويشككون بهم إلى الحد الذي يخالفون فيه النصوص التي شهدت لهذه الأمة وعلماؤها وهم يزعمون الدعوة إلى الإصلاح.

لقد قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾⁽¹⁰¹⁾.

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم.

وروي من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (فضلت هذه الأمة على سائر

الأمم)⁽¹¹²⁾ وقد ساق ابن كثير الأحاديث الكثيرة والمختلفة عن فضل هذه الأمة.

ومنها ما روي عن حصين بن عبدالرحمن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقبل لي: هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق الأحمر فنظرت فإذا سواد عظيم فقبل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب)⁽¹²³⁾.

ويقول ابن كثير: ومن الأحاديث الدالة على فضيلة هذه الأمة وشرفها وكرامتها على الله عز وجل وأنها خير الأمم في الدنيا والآخرة ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة» فكبرنا ثم قال: «

⁽¹⁰¹⁾ سورة آل عمران الآية (110).

⁽¹¹¹⁾ أخرجه الإمام أحمد (383/5).

⁽¹¹²⁾ أخرجه البخاري (6541) ومسلم (220) (374) والترمذي (2446) وابن منده (982- 983- 984) والبخاري (4322)

وابن حبان (6430).

ألا ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فكبرنا ثم قال «إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة»^[131].

ثم روي بعدة روايات كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (أهل الجنة يوم القيامة عشرون ومئة صف أنتم منهم ثمانون صفا)^[142] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (أنتم ثلث أهل الجنة أو نصف أهل الجنة)^[153].

وهل هذه الأمة المقصودة هنا إلا السلف من الصحابة والتابعين وأهل المذاهب الذين تتهمون علماءهم بالتعصب الموقع بالكفر من جراء ردهم للآية والحديث وأخذهم بقول مذهبهم المخالف.

أين أنتم من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها»^[164].

فهل حصل التجديد الذي يعنيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم لم يحصل؟ ومن الذي كان يقوم به؟ أليس علماء المذاهب الذين تطعنون بهم وتتهمونهم وتضللون من سار على مذاهبهم؟ وهل الأمة إلا أهل هذه المذاهب؟

أين أنتم من الحديث الذي رواه جمع من المحدثين عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريق الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»^[175].

^[131] أخرجه البخاري (528) والترمذي (2548) وابن ماجه (42183) وأبو يعلى (5386) وأحمد (386/1) وأبو نعيم في الحلية (152/4) وفي صفة الجنة (64) وأبو عوانة (87/1 - 88) والطبري في تهذيب الآثار في مسند ابن عباس (705) وابن منده في الإيمان (985) والطبري في تفسيره (112 / 17) وهناد بن السري في الزهد (195) و الطحاوي (360) والطيلسني (324) وابن حبان (7245).

^[141] أخرجه أحمد (453/1) وأبو يعلى (5358) والبزار (3534) والطبراني في الكبير (10350) وفي الأوسط (543) ورجالهم رجال الصحيح في مجمع الزوائد (18677) وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (365) وأبو نعيم في صفة الجنة (2329) مختصرا وابن أبي شيبه (471/5).

^[151] أخرجه الطبراني في الكبير (1902) وإسناده جيد كما في مجمع الزوائد (745/10) برقم (180680).

^[161] أخرجه أبو داود (4291) والحاكم (522/4) والطبراني في الأوسط (6523).

^[171] أخرجه البزار (143) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (601).

والذي قال النووي رحمه الله تعالى في شرحه: هذا إخبار منه صلى الله عليه وآله وسلم بصيانة هذا العلم وحفظه وعدالة ناقله وأن الله تعالى يوفق له في كل عصر خلفا من العدول يحملونه وينفون عنه التحريف فلا يضيع وهذا تصريح بعدالة حامله في كل عصر وهكذا وقع والله الحمد وهو من أعلام النبوة ولا يضر كون بعض الفساق يعرف شيئا من علم الحديث فإن الحديث إنما هو إخبار بأن العدول يحملونه لا أن غيرهم لا يعرف شيئا منه^[18].

ما رأيكم بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الأمة؟ وما رأيكم بقول الإمام النووي هذا؟ أليس هؤلاء العدول من كل عصر هم من أتباع المذاهب؟ أليست هذه شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالعدالة لهم ولمن تبعهم بإحسان أيضا؟! ألا ينبغي أيها الأخوة أن تنتبهوا إلى هذه النواحي وأن لا يحملكم الغرور والكبر والتعصب للرأي والثقة الزائدة بالنفس على اتهام الأمة وعلماؤها والطعن بمن شهد لهم الكتاب والسنة؟.

رأي المنكرين في علماء المذاهب

فإن قيل (لا تقل إنه وجد في كل مذهب على ممر القرون علماء محققون هذبوا المذاهب وحققوا أقوالها وتركوا ما فيها من ضعف وخطأ وهذا الإمام النووي مثلا رجح بعض الأقوال خلاف مذهبه الشافعي لا تقل ذلك لأننا نعلم أن أكثر علماء المذاهب والمحققين فيها لم يفعلوا ذلك بل كان كل عنايتهم وهمهم الدفاع عن مذاهبهم فقط وكانوا يبحثون في الأدلة بروح التعصب لمذاهبهم ويحاولون تقويتها بكل سبيل ولو كانوا أنفسهم غير مقتنعين به ولا يقبله المنهج العلمي أما الإمام النووي فهو واحد من مئات لم يفعلوا فعله ثم هو نفسه لم يسلك هذه الطريق ويترك رأي مذهبه في كل مسألة رأى فيها ضعف دليله بل فعل ذلك في مسائل قليلة وربما كان ذلك خوفا من الرأي العام المذهبي الذي كان يلهب بسياطه ظهر كل عالم يخرج على المعتاد والمتوارث ويحاول التفلت من قيود التعصب المذهبي وإنك لتلمس فرقا واضحا بين ما كتبه

[18] تهذيب الأسماء واللغات.

النووي في المجموع وبين ما كتبه في شرحه لصحيح مسلم حيث حاول أن يبحث الأمور بروح موضوعية متجردة (حرة)!!.

هذا هو رأي المنكرين في علماء الأمة الذين مروا على المذاهب عبر القرون عليه فإن اقل منكر من المنكرين هو أحرص على دين الله وأكثر غيرة على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من كل هؤلاء العلماء والأئمة فأنت ترى المنكر يتحرق على الانتصار للكتاب والسنة ويتفانى في سبيل التمسك بهما والذود عنهما وبينما ترى وللأسف آلاف الأئمة والعلماء والشيوخ من هذه الأمة يصرون على مخالفتهم للشريعة ويتعصبون زورا وبهتانا للأقوال المناقضة لها على الرغم من عدم قناعتهم بها ويتواطؤون على إقناع الناس بالخطأ من غير خوف من الله ولا وجل حتى الإمام النووي شيخ الإسلام هو نفسه لم يسلك طريقة المنكرين ولم يترك رأي مذهبه في كل مسألة رأى فيها ضعف دليله إلا في مسائل قليلة وما الكتاب الذي ألفه في الفقه الشافعي وهو يعلم أن الناس سيتلقونه عنه ويتعلمون دينهم منه إلا شاهد ودليل على أن النووي لم يكن موضوعيا في بحثه ولم يكن متجردا ولا حرا في نقله للعلم وتقريره للشرع. وإمام هذه النظرة التي تشمل معظم علماء الأمة والآلاف المؤلفة منهم يجد المسلم سؤالا يطرح نفسه ترى هل درس المنكرون تراجم كل هؤلاء الأئمة وكتبهم وأعمالهم قبل أن يحكموا عليهم بهذه التهمة؟ أم هل هذا بإمكانهم؟ لكنه ما إن ينظر في بعض التراجم لهؤلاء العلماء حتى يكشف كذب هذه التهمة الموجهة إليهم وجرأة هذا المتهم الذي يريد ان يشوه سيرتهم ويخيل للناس توأطأهم عبر القرون الطويلة على الكذب زاعما أنه ينتصر للكتاب والسنة وأنه جاء بعد كل هذه العصور ليدعو إلى ما تجاهلت الأمة الدعوة إليه وليصحح ما تغافلت الأمة عن تصحيحه.

ونتناول مثالا على ذلك مختصرا لترجمة الإمام النووي الشافعي وذلك نقلا عن تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي رحمه الله تعالى يقول الذهبي: (النووي الإمام الحافظ الأوحى القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الشافعي صاحب التصانيف

النافعة لازم الاشتغال والتصنيف ونشر العلم والعبادة والأوراد والصيام والذكر والصبر على المعيشة الخشنة في المأكل والملبس).

قال ابن العطار: ذكر لي شيخنا رحمه الله تعالى أنه كان لا يضيع وقتا في ليل ولا في نهار حتى في الطريق وأنه دام ست سنين ثم اخذ في التصنيف والإفادة والنصيحة وقول الحق قلت: مع ما هو عليه من المجاهدة بنفسه والعمل بدقائق الورع والمراقبة وتصفية النفس من الشوائب ومحققها من أغراضها .

كان حافظا للحديث وفنونه ورجاله وصحيحه وعليه رأسا في معرفة المذهب وقال ابن العطار: كلمته في الفاكهة - أي بأن ياكل من فواكه دمشق فلم يكن يأكل منها ورعا - فقال: دمشق كثيرة الأوقاف وملاك لمن تحت الحجر والتصرف لهم ولا يجوز إلا على وجه الغبطة لهم ثم المعاملة فيها على المساواة وفيها خلاف فكيف تطيب نفسي بأكل ذلك . وكان يواجه الملوك والظلمة بالإنكار ويكتب إليهم ويخوفهم بالله تعالى . وقال ابن فرج: الشيخ محي الدين قد صار إلى ثلاثة مراتب كل مرتبة لو كانت لشخص لشدت إليه الرحال : العلم والزهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقال الشيخ قطب الدين اليونيني : كان - أي النووي - أوحده زمانه في العلم والورع والعبادة والتقلل وخشونة العيش وفي دار العدل في قضية الغوطة لما أرادوا وضع الأملاك على بساطينها رد عليهم ذلك وقام على الملك الظاهر في مسائل غيرها فحيك عن الملك الظاهر أنه قال: (أنا أفزع منه) أهد كلام الذهبي وجاء في طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي : (الشيخ العلامة محي الدين أبو زكريا شيخ الإسلام أستاذ المتأخرين وحجة الله على اللاحقين والداعي إلى سبيل السالفين).

هذه هي صورة الإمام النووي عند أعلام الأمة فهو حافظ وقدوة ومحي الدين وصاحب النصايف النافعة يصنف ويفيد وينصح ويقول الحق مع ما هو عليه من المجاهدة بنفسه والعمل بدقائق الورع والمراقبة لله عزوجل ... وبعد ، فهل يتصور من رجل هذا حاله وهذه

سيرته أن يسير على رأيه ويقرره في كتبه ولا يتركه وهو يرى خطأه وضعف دليله وقد تحصل لديه الأصح؟!!

إذن فأين عمله بدقائق الورع؟ وأين مراقبته لله؟ وأين غيرته على الحق وأين نصحه وإفادته إذا كان يقرر في تصنيفاته وكتبه ما يراه مخالفاً للصحيح من الكتاب والسنة ولماذا سمي محققاً للمذهب الشافعي؟ ثم هل خدع به هؤلاء الذين يشهدون به هذه الشهادات؟ أم أنهم متهمون في دينهم وأقوالهم مثله لا شك أن هذا القول الثاني هو الذي يرجحه المنكرون ويعلمون ذلك بخوف الجميع من الرأي العام المذهبي الذي كان يلهب بسياطه ظهر كل عالم يخرج عن المعتاد المتوارث ويحاول التلفت من قيود التعصب المذهبي.

وليت شعري أين شجاعة النووي إذن؟ أين جرأته التي كان يواجه بها الملوك ويأمر بها بالمعروف وينهى عن المنكر؟ ويقوم على الملوك حتى يرد الحق إلى نصابه ويقف في وجه الباطل حتى يمنعه ومن أي شيء يخاف هذا الرجل إذا كان الملك يخاف منه ويفزع؟.

هل بقي ما يرده عن كلمة الحق عندما يريد أن يقوها؟ هل يتصور أن مثل هذا الرجل الذي لا يخاف في الله من الملوك والظلام يخاف من الناس والعوام وهو على هذه الدرجة العالية من النزاهة والتقوى والورع والعلم؟!!

ثم كيف يؤلف كتابه المجموع في الفقه الشافعي وهو مغلوب على أمره؟ فيقرر فيه ما ليس مقتنعا به وينقل فيه ما يخالف الصحيح من كتاب الله وسنة رسوله وهو يرى تلامذته من كبار العلماء ويعلم أنهم سوف ينقلونه عنه إلى الناس وكيف بقيت المواربة هذه خافية على علماء الأمة والمذاهب قروناً شتى؟ حتى جاء المنكرون اليوم فاكتشفوها وفضحوا أمرها إنها تساؤلات يجيبنا إليها العلماء الأكثر علماً من هؤلاء المنكرين والأئمة الأكثر معرفة وفهماً للشرع ولكلام النووي في المجموع وفي شرح صحيح مسلم فيطلون بها هذه التهم التي افتراها هؤلاء الناس على هذا الإمام الجليل والتي لا تليق إلا بالفساق والمتهاونين والمنافقين.

ويقول سيدنا الشيخ صالح الفرفور - رحمه الله تعالى - في شرحه على الأربعين النووية عند ترجمة الإمام النووي - رضي الله عنه - : (ومن أشهر ما كتب - أي النوازل - في الفقه الشافعي شرح المذهب للشيرازي المسمى (المجموع) وهو أعظم ما كتب - أي النووي - في الفقه ولم يصنف في مذهب الإمام الشافعي على مثل أسلوبه لكنه لم يكمله .
قال الأسنوي وابن الملتن : (ليته أكمله ونقصت كتبه كلها).

وقال ابن كثير في تاريخه : (إنه لو كمل لم يكن له نظير في بابه لأنه أبدع فيه وأجاد وأفاد وأحسن الانتقاء وحرر الفقه في المذهب وغيره وحقق الحديث على ما ينبغي وبحث في اللغة ولا أعرف في كتب الفقه (أي الفقه الشافعي) أحسن منه).

وقال في طبقات الشافعية متحدثاً عن المجموع : (سلك فيه طريقاً وسطاً سهلاً جامعاً لأشتات الفضائل وعيون المسائل ومذاهب العلماء ومفردات الفقهاء وتحرير الألفاظ وبيان صحة الحديث من سقمه وبالجملة فهو كتاب ما رأيت أحداً نسج على منواله من المتقدمين ولا أحداً على أمثاله مصنف من المتأخرين).

وقال العثماني : (إنه لا نظير له ولم يصنف مثله ولكنه ما أكمله ولا حول ولا قوة إلا بالله إذ لو أكمله ما احتجج إلى غيره - أي في فقه الشافعية - وبه عرف قدره واشتهر فضله).

وقد حاول السبكي تكملة شرح المذهب وقال في أول التكملة مترجماً للنووي رحمه الله :
(الشيخ الإمام العلامة علم الزهاد وقدوة العباد محي علوم الأولين وممهد سبل الصالحين)
ووصل في التكملة إلى كتاب التفليس .

وقال الحافظ السخاوي : ولم يتهياً إكمالاً لأحد من انتدب لذلك من العلماء لا إسماعيل الحسيني ولا التاج السبكي ولا الشهاب ولا ابن النقيب ولا السراج البلقيني ولا الزين العراقي ولا ولده وعد ذلك من كرامات مؤلفه .

وهكذا أخي المسلم يستبين لك من خلال ما مر جهل هؤلاء الناس بالفقه والحديث وقصورهم في العلم والفهم من خلال أقوالهم الشاذة التي يخالفون فيها من هو أوثق منهم ويخطئون فيها

من هو أصوب قولاً منهم يطعنون فيها بأصح ما اتفق عليه العلماء ويتحاملون فيها على الأكاابر والفضلاء.

وما اكثر ما يصدق على هؤلاء قول الشاعر:

إذا وصف الطائي بالبخل مادر	وعير قسا بالفهامة باقل
وقال السها للشمس أنت ضئيلة	وقال الدجى يا صبح لونك حائل
وطاولت الأرض السماء سفاهة	وفاخرت الشهب الحصا والجنادل
فيا موت زر إن الحياة ذميمة	ويا نفس جدي إن دهرك هازل

ولو قرأنا تاريخ المذهب الشافعي مثلا لوجدنا أنه قد مر على المذهب أئمة عظماء وكبار وأتقياء هم الذين وضعوا احكامه وحققوا أدلتها وبيّنوا اعتمادها على الكتاب والسنة وكانو محل ثقة الناس بهم واتبعاهم لهم وتمسكهم بهم واليك أمثلة عنهم من كل قرن^[191]. فهذا ابو العباس أحمد بن أبي أحمد الطبراني الشهير بابن القاضي صاحب التصانيف المشهورة – التخليص والمفتاح وأدب القاضي وله مصنف في أصول الفقه وكان إماما جليلا توفي سنة (225هـ). وهذا أبو العباس أحمد بن عمرو بن سريج: كان يفضل على جميع أصحاب الشافعي له مصنفات كثيرة يقال إنها بلغت (400 مصنف) توفي (306هـ). وهذا ابو عثمان بن سعيد الأنباطي الذي اشتهرت به كتب الشافعي وتوفي سنة (388). وأولئك هم بعض أصحابه في العراق أما أصحابه في مصر فهم: يوسف بن يحيى البويطي المصري وهو اكبر اصحاب الشافعي المصريين تفقه بالشافعي وحدث عنه وعن عبدالله بن وهب وغيرهما وله المختصر المشهور الذي اختصره من كلام الشافعي وكان الشافعي يعتمد في الفتيا ويحيل عليه إذا جاءته مسألة واستخلفه على أصحابه بعد موته فتخرج به أئمة تفرقوا في البلاد ونشروا علم الشافعي في الآفاق توفي سنة (231هـ).

[191] عن كتاب تاريخ التشريع الإسلامي لحضر بك باختصار وكتاب تاريخ التشريع للشيخ الدكتور عبدالطيف الرفور.

ومنهم ابو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني المصري - ولد سنة (175هـ) - وهو الذي ألف الكتب التي عليها مدار مذهب الشافعي وأخذ عنه كثيرون من علماء خراسان والعراق والشام - توفي سنة (264هـ).

ومنهم الربيع بن سليمان المرادي وحرملة بن يحيى التجيبي ويونس بن عبد الأعلى الصديقي وكلهم قد ألفوا في فقه الشافعي ونشروا عنه مذهبه.

ثم جاء بعدهم أئمة المذهب أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي إمام عصره في الفتوى والتدريس في القرن الثالث والرابع ، توفي (340هـ).

وهذا محمد بن سعيد بن أبي القاضي الخوارزمي صاحب كتاب الحاوي والعمدة القديمين في فقه الشافعية في نفس العصر وهذا ابو بكر أحمد بن إسحاق الضبي النيسابوري صاحب كتاب الأحكام توفي سنة (432هـ).

وهذا ابو السائب عتبة بن عبدالله بن موسى القاضي أحد العلماء الأئمة أول من ولي قضاء القضاة ببغداد توفي سنة (350هـ).

وهذا القاضي ابو حامد أحمد بن بشر المروزي صاحب كتاب الجامع وهو محيط بالأصول والفروع وهو عمدة عند أصحاب الشافعي توفي سنة (362هـ).

وهذا القفال أكبر فقهاء الشافعية بما وراء النهر وعنه انتشر فقه الشافعي بما وراء النهر توفي سنة (365هـ).

وهذا ابو حامد الإسفراييني انتهت إليه رئاسة بغداد في العلم في عصره والذي قال القدوري في حقه: هو أفقه من الشافعي توفي سنة (408هـ).

وهذا أحمد بن محمد الضبي صنف المجموع والمقنع واللباب توفي سنة (415هـ) وإبراهيم بن محمد الاسفراييني وطاهر بن عبدالله الطبري انتهت إليه رئاسة العلم في بغداد في عصره وعنه أخذ العراقيون العلم توفي (450هـ).

وهذا علي بن محمد الماوردي صاحب الحاوي والإقناع في الفقه توفي سنة (350هـ) وهذا أبو إسحاق الشيرازي وابن الضباع في القرن السادس وأبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني المعروف بإمام الحرمين وإمام المشرق صنف النهاية في الفقه لم يصنف في المذهب مثلها توفي سنة (487هـ).

وعبدالواحد بن إسماعيل الروياني صاحب كتاب البحر إمام أئمة المذهب. وحنة الإسلام الغزالي الذي قالوا عنه: بأنه مجدد القرن الخامس.

وهذا ابن أبي عصرون قاضي القضاة في دمشق وعبدالكريم بن محمد القزويني الرافي الذي قيل عن كتابه (فتح العزيز) لا مثل له وكان من افراد زمانه وكان في الفقه عمدة المحققين وصل إلى درجة الاجتهاد توفي سنة (623هـ).

وهذا شيخ الإسلام يحيى بن شرف النووي وقد مر الكلام عنه مفصلا وله في المذهب الشافعي كتب كثيرة منها المجموع والمنهاج توفي سنة (676هـ).

وهذا نقي الدين السبكي الفقيه الأصولي والمحدث وله كثير من المؤلفات وقد أكمل شيئا من كتاب المجموع للنووي توفي سنة (756هـ).

وهذا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الذي انتهت إليه رئاسة العلم في مصر له تأليف كثيرة في الفقه والحديث وغيرهما منها في الفقه (منهاج الطلاب) وشرحه المسمى (فتح الوهاب) وله (تحفة الباري شرح صحيح البخاري) توفي سنة (926هـ) وهذا شهاب الدين بن حجر الهيثمي كان بحرا في الفقه وقدوة الأئمة في زمانه له مؤلفات قيمة منها (تحفة المحتاج شرح المنهاج للنووي) (الزواجر عن اقتراف الكبائر) وغير ذلك توفي سنة (995هـ).

كل هؤلاء وغيرهم مروا عبر القرون العشرة الأولى وكانوا بحرا في العلم ومثالا في التقوى والورع والخافة من الله عز وجل وكتبهم وأقوالهم هي عمدة المذهب الشافعي.

وأمثال هؤلاء قد مروا على بقية المذاهب وكانت كتبهم واقوالهم واجتهاداتهم هي سبب نشوء المذاهب واستمرارها وتمسك الناس بها وبقاء الإسلام واستمراره، فهل هؤلاء الأئمة هم العلماء المضلون الذين يقصدهم المنكرون؟!!!

إنني كمسلم يخاف من الله ويغار على دينه ويصيبه كثير من الأسى والحزن عندما يرى مثل هذا الطعن يوجه إلى صميم الإسلام من خلال توجيهه إلى أئمتة وعلمائه وعمامة أهله وذلك بأيدي مسلمة أراني لا أجد ما أقوله هؤلاء الذين يزعمون ذلك إلا قولي: إن كانت عندكم مخافة من الله وإيمان باليوم الآخر وإن كنتم تحسبون حساباً للوقوف بين يد الله عز وجل فاتقوا الله ... اتقوا الله أيها المسلمون ... اتقوا الله في أوليائه ... اتقوا الله في أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا الله ولا تقفوا بين يديه خصوصاً هؤلاء الأئمة الكبار يوم القيامة لا تتهموا أئمة الإسلام لا تشكوا المسلمين بعلمائهم لا تشكوا المسلمين بدينهم وما وصلهم عن طريق هؤلاء الثقات وأسأل الله أن يجعل لرجائي هذا سبيلاً إلى قلوبكم.

هل يحرم التزام مذهب معين

اجتهد المنكرون في الحكم على من يقلد مذهباً معيناً بأنه يحرم عليه ذلك وأوجبوا عليه عدم التزام مذهب معين لعدة أمور رأوها أنه أدلة على ذلك الحكم.

قالوا: (إن التزام المذهب خطأ وبدعة في الدين لأمر منها: أن عدم التزام مذهب هو الأصل والأيسر والأقرب إلى الفهم الصحيح لمراد الله تعالى لأن الله تعالى حين أمر الجاهل بسؤال أهل الذكر لم يحدد واحد معيناً منهم بل أطلق ذلك ومن المعروف أن المطلق يبقى على إطلاقه حتى يأتي ما يقيدُه).

أقول: وهذا السبب كما يفهم منه عدم وجوب الأخذ من أكثر من واحد فالأمر مباح إن شاء اخذ المقلد أو المتبع من واحد وإن شاء اخذ من أكثر وليس هناك ما يوجب عليه أن يأخذ من أكثر من واحد والقول بأن الأصل كان كذلك مخالف للواقع.

وذكر الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في اللامذهبية ص (79) عن شذرات الذهب لابن العماد (148/1): ومعلوم أن اتباع مذهب معين لا يعتبر اتباعا لإمام المذهب فحسب وغنا هو اتباع لجمهور من العلماء ممن ساروا على هذا المذهب ودعوا إليه وألفوا فيه كتبهم وعلموها للناس فإذا عرفنا أنهم كانوا من خيرة الناس وهم معظم علماء هذه الأمة فكيف يستسيغ هؤلاء المنكرون تضليلهم وتسفيه عملهم والحكم عليه بأنه بدعة محرمة يجب الرجوع عنها!! ثم إن القول بأن الأيسر والأقرب إلى الفهم الصحيح لمعاد الله تعالى هو عدم التزام مذهب بعينه عكس الواقع تماما فإن الذي يجد أهل قريته أو بلده على مذهب واحد وحالة واحدة في العمل بالأحكام غير متفرقين بين أقوال هذا المجتهد وأقوال ذاك يسهل عليه معرفة أحكام دينه وتعلمها أكثر بكثير من أن يجد هناك أقوالا مختلفة بين المجتهدين لا يعرف أيها الأصح وأيها بإمكانه ان يختاره .

والذي يجد نفسه يسير على مثل ما يسير عليه الناس يكون أكثر راحة في نفسه من الذي يجد نفسه مخالفا لغيره في أعماله .

وستكلم فيما بعد عن عدم إمكانية توحيد الناس في مذهب واحد وعدم إمكانية تركهم ياخذون من أي مجتهد شاؤوا لما يترتب على ذلك من وقوع العنت والمشقة على الناس من جراء اختلاف أحوالهم وفعالهم وأن حصرهم في أربعة مذاهب أسهل بكثير من ترك كل واحد منهم على مذهب مختلف عن غيره .

أما السبب الثاني في عدم صحة اتباع مذهب معين فقد جاء عن المنكر: (وأن عدم التزام مذهب معين واجب للتفريق بين اتباع المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم واتباع غير المعصوم لأن من يلتزم اتباع مذهب ما يكون قد سوى في واقع الأمر بين اتباع النبي المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم وبين اتباع الفقيه الذي يخطئ ويصيب).

الرد: ذكرنا فيما مر ان اتباع النبي المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم إنما يكون باتباع أقوال أهل الذكر واتباع المذهب إنما هو اتباع لجمهرة كبيرة من العلماء فكيف لا يكون المتبع للمذهب

متبعا للمعصوم وهل يستطيع ان يرجع إلى نصوص الشرع لينظر فيها كما نظر فيها الذين يتبعهم وغيرهم ليكون متبعا للمعصوم تماما؟!!

ومن أين له ذلك؟ وقد كفاه ذلك من هو أقدر عليه منه وهم جمهرة العلماء في مذهبه وهو يتبعهم بناء على ذلك فإذا قلنا إنه لم يفعلوا ذلك فهذا كذب عليهم وافتراء وطعن بهم قد بيناه فيما مر وإذا عرفنا أنهم فعلوا ذلك عرفنا أن اتباعهم إنما هو اتباع للمعصوم ولكن بالصورة الصحيحة لا بالاجتهاد لجهل وغير علم.

ويقول الدكتور محمد سعيد حفظه الله في كتابه اللامذهبية (ولو أن الناس جميعا عرفوا كيفية اتباع المعصوم والوسيلة إلى فهم المراد من كلامه لما انقسموا إلى قسمين : مقلدين ومجتهدين ولما قال الله تعالى للصنف الأول ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾^[201] فقد امرهم باتباع أهل الذكر مع أنهم غير معصومين ولم يأمرهم بالرجوع إلى ألفاظ الكتاب والسنة مع أنها معصومان).

وقال أحد المنكرين

(وإن فعل الصحابة والسلف الصالح من أهل القرون الثلاثة الفاضلة الذين أمرنا بالافتداء بهم هو عدم الالتزام بمذهب معين فكان الذي لا يعرف استنباط الأحكام من الأدلة الشرعية فيهم يسأل أي واحد من العلماء دون تعيين).

الرد: مر معنا أن هذا لم يكن عاما بين الناس فقد كان هناك من يتبع واحدا بعينه أو جماعة بعينها ثم إن الظروف فيما بعد اختلفت عما كانت عليه وتطورت تطورا دعا الناس إلى الالتزام بالمذاهب وعدم الأخذ من أي مجتهد في أي مسألة.

فمعلوم أن الظروف والأوضاع التي كان عليها السلف رضي الله عنهم في بداية العصور الإسلامية كانت بسيطة وسهلة وان المسائل الحياتية كانت قليلة ومحدودة وان المجتهدين في البلاد الإسلامية كانوا قلائل ولذلك كان من السهل أن يسأل المسلم أي واحد من العلماء

[201] سورة النحل الآية (43).

ويأخذ من أي المجتهدين شاء لكن هذه الظروف الاجتماعية فيما بعد قد تطورت بتطور المجتمع الإسلامي وبدأت أمور الحياة تتعقد أكثر فأكثر والمسائل تزيد أكثر فأكثر والمعاملات بين الناس تتطور وتتغير والمستجدات تكثر وتتوسع وزاد العلماء والمجتهدون، وتوسعت آرائهم بسبب تطور الظروف وكثرة المستجدات وكثرت المذاهب بين الناس حتى صارت بالعثرات وكان هذا هو السبب الذي دعا بعض الحكام إلى أن يحمل الناس على مذهب أو على بعض المذاهب حرصا على اوضاع المجتمع لا بدافع الجور والغشم كما يصوره بعضهم وكان ذلك من اهم العوامل التي أحوجت الناس إلى الالتزام بمذهب معين من المذاهب المختلفة لئلا يختلف الناس اختلافا واسعا في أخذهم من المجتهدين وتطبيقهم لمسائل الشريعة ولئلا يصير لكل واحد منهم مذهب.

وسارت الأمة على هذا الحل وحسم ذلك الوضع الذي كان من المحتمل وقوعه وجعل الناس يلتزمون في بعض المذاهب ويتركون البعض الآخر مما تسبب في انقراض المذاهب الأخرى وكان في ذلك حكمة كبيرة حيث ضاقت شقة الخلاف بين المسلمين بصورة كبيرة فلم يتسبب حق الاجتهاد الشرعي في تفريق الناس وتبديد المجتمع الإسلامي بسبب سوء استعماله ولم يخسر المسلمون ثمرات هذا الحق في الوصول إلى معرفة أحكام الشرع في كل الأمور المستجدة والمختلفة عن طريق ما بقي من أقوال المجتهدين الثقات.

فإذا قال أحد: لا يجب على المسلم اتباع مذهب معين والالتزام وللمسلم أن يتبع في كل مسألة من شاء من المجتهدين.

نقول: هذا صحيح وقد ذكره العلماء ولكنه كما لا يصح أن نلزم أحدا باتباع مذهب معين فإنه لا يصح أيضا أن نمنع أحدا من التزام مذهب معين إذا شاء.

وهذه الأمور السابقة التي استنبطتم منها الحكم بحرمة التزام مذهب معين لا تصح أدلة على ذلك الحكم ولا نسلم لكم بهذا الاجتهاد الذي لم يقل به الأئمة والعلماء ولا نراه في نفس الوقت صحيحا.

ثم لنفترض أن الناس استجابوا لهذه الدعوة وصار كل واحد منهم يتبع في كل مسألة من شاء من المجتهدين فعند هذه المسألة يسأل مجتهدا وعند مسألة أخرى يسأل مجتهدا آخر أو يأخذ من قول مجتهد مضى والمسائل كثيرة والمجتهدون كثر والآراء مختلفة في كل مسألة فما الذي سينجم عن ذلك؟ إنه سينجم عنه صور كثيرة جدا ومختلفة يمكن أن يصل إليها الناس من خلال اعتماد كل واحد منهم على الأخذ ممن شاء من المجتهدين في كل مسألة .

وسرى الناس فيما بعد وليس فيهم واحد يطبق أحكاما في كل أموره الشرعية مشابهة لما يطبقه الآخر وسيبدو الناس وكأن لكل واحد منهم مذهباً يختلف عن غيره فيه وفي ذلك ما لا يخفى من الفساد سيما وأن الظروف كما قلنا تعقدت وتطورت والمسائل والمستجدات قد زادت وكثرت والآراء قد توسعت والمجتهدين قد كثروا ويمكن أن يزيدوا على حد قولكم ويقع الناس في مآزق اعقد وأخطر من التي حدثت في الماضي عندما وقعت هذه الحالة وكثرت المذاهب وتشعبت الآراء وسلم الله عز وجل الإسلام والمسلمين منها بثبات الناس على هذه المذاهب الأربعة وتمسكهم بها .

وتصور هذا الاختلاف الواسع في الآراء والتطبيق وذلك من كثرة الصور المحتملة من المسائل والاجتهادات وما يمكن ان يسببه للناس من عنت ومشقة وضياح .

توحيد المذاهب

فإذا قال قائل : يمكن ان نخرج من ذلك كله بتوحيد المذاهب في مذهب واحد .

كما قال بعضهم وذكر السبيل إلى ذلك قائلا

(نص المشروع : تؤلف لجنة تضم أكبر علماء المسلمين في العالم الإسلامي وتضم مختلف

الاختصاصات الشرعية وتكون مهمتها توحيد المذاهب الفقهية الإسلامية في مذهب واحد) .

نقول: كيف ندعو الناس إلى الاجتهاد ونطالب باحترام حق الاجتهاد والرأي لكل مجتهد ملك

الأهلية ثم نتصور أن بالإمكان توحيد الاجتهادات والآراء سواء فيما مضى من الأقوال أو فيما

يمكن أن يستجد اليوم؟

إن اقتراح قيام مؤتمر يجمع القادرين على الاجتهاد ولا نتصور من أصحابه المقدرة على الاتفاق في كل مسألة من المسائل على قول واحد لأن آرائهم في المسألة ستختلف على حسب قواعد كل منهم في تفسيرها وفهمها وطبقا لما وصله من العلم ولما ترجح لديه من الأدلة وأقوال الأئمة والعلماء السابقين وهؤلاء قد اختلفت اقوالهم وأدلتهم وقواعدهم فلا بد أيضا أن تختلف اجتهادات من بعدهم إذ أن أسباب اختلاف السابقين ستكون هي نفسها أسباب اختلاف اللاحقين مع وجود أسباب أخرى جديدة تنتج عن عدم وجود الكفاءة عند الجدد كما كانت عليه عند الذين سبقوا.

ولو كان بالإمكان الوصول إلى التحقق من القول الأصح في كل مسألة مختلف بها بين المذاهب لوصل إليه المتقدمون الذين كانوا أوسع علما وأكثر كفاءة وقدرة وأوسع معرفة واطلاعا على أدلة الغير وقواعدهم ولو جدناهم تجاوزوا أسباب الاختلاف هذه لو كان يصح تجاوزها وعدم اعتبارها.

إن الاختلاف بين المذاهب لم ينتج عن التعصب أبدا وإنما نتج عن هذه الأمور التي ذكرناها والتي لا تزال قائمة ولا نستطيع تجاهلها وعدم اعتبار دورها عند كل اجتهاد ولو ان واقع المذهب يتعارض مع مصلحة الدين ولا يعتبر نتيجة طبيعية لحق الاجتهاد الشرعي لما وسع الأئمة والعلماء السابقون إقراره والسير عليه ولما وجدناهم يؤلفون الكتب في مذاهبهم ويعلمونها الناس خدمة لدين الله عز وجل وعملا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بل ولما أباح الله تعالى الاجتهاد أصلا.

إن الأئمة رضي الله عنهم كانوا يرون أن مصلحة الدين هي في موافقة حكمة الله عز وجل في فتح باب الاجتهاد للمسلمين وترك المسلمين يتبعون ما شاؤوا من المذاهب طالما أن ذلك يحمي المسلمين من التشييت ويضيق شقة الاختلاف بينهم أكثر بكثير مما كان يمكن أن يحصل لو لم يلتزم المسلمون بهذه المذاهب وشيء آخر يدل على عدم إمكانية توحيد المذاهب أو آراء المجتهدين هو أن المنكرين الحاليين ممن يبيحون لأنفسهم الاجتهاد والأخذ من الكتاب والسنة

أو أقوال العلماء هم أنفسهم مختلفون في اجتهاداتهم ولا يسلم بعضهم للبعض الآخر برأيه ولا يرجع أحدهم عن قوله.

أحدهم قال في مناظرة جرت بينه وبين شيخنا الشيخ أديب الكلاس ردا على سؤال أظنه: كيف تنكرون علينا تمسكنا بأقوال أئمتنا علما أنكم أيضا لا تخرجون عن قول شيخكم؟ سمعته يومها يقول: أنا لا أتفق مع الشيخ (...). في كل مسألة وضرب مثلا على ذلك اختلافه معه فيمن استيقظ قبل طلوع الشمس بوقت لا يسعه فيه الوضوء والصلاة يتيمم ويدرك الوقت أم يتوضأ ولو فاته الوقت فذكر أن أحدهما يقول بقول والآخر يخالفه إلى القول الثاني وهذا خلاف شيخ وتلميذه لم يمكن التوصل فيه إلى الاتفاق وكل منهما يطرح دليلا لرأيه ولا يسلم لدليل مخالفه فما بالك بما قد يقع بين مجتهد من المشرق وآخر من المغرب لكل منهما ظرفه ومحيطه وعلمه ورأيه ودليله.

إذا كان هذا هو كلام هذا المنكر حول مخالفته لشيخه ... وذاك كلامه حول الدعوة إلى توحيد المذاهب فهل هذا إلا التناقض بعينه؟!!

ما حكم الاختلاف في الاجتهادات بين المذاهب

يقول العلماء: إن الذي انتهى إليه الأئمة من الاجتهاد يعتبر من الدين بدليل ثبوت الأجر عليه وبدليل وجوب التعبد به مادام صاحبه ثقة وغير متنبه إلى خطئه أو أن صاحبه يراه صحيحا ولا يقر بقول من خطأه بذلك وخاصة إذا جاء أئمة وعلماء أقروا بصحة اجتهاد هذا المجتهد ولم يؤيدوا من قال بخطئه ولو كان هناك من أيد من قال بخطئه فلكل اجتهاده والاجتهاد من الدين وما أدى إليه الاجتهاد فهو من الدين أيضا طالما قرره المجتهد ولم يعتبر قول من خالفه وهذا ما يحصل في الاجتهاد وهو ما يحصل بين الأئمة الأربعة في كثير من المسائل وتبعهم على ذلك من بعدهم فمثلا الإمام أبو حنيفة قال: إن لمس المرأة لا ينقض الوضوء وجاء بعده الإمام الشافعي وأحمد ومالك رضي الله عنهم فقالوا: ينقض وهم يعرفون دليله ولهم أدلتهم كما مر.

والمنكرون يقولون لا ينقض ويخطئون القائلين بأنه ينقض ويقولون : لا يكون القول ونقيضه

حقا فهل يكون القول بأن لمس المرأة ينقض الوضوء خطأ؟

إذن فكيف سار عليه هؤلاء الذين جاؤوا بعد أبي حنيفة وهم يعرفون الدليل الذي اعتمده

الأحناف ويرون أدن دليلهم أصح وأصوب ولا يرون أنفسهم مخطئين ولا يسلمون لمن

يخطئهم.

فإن قال قائل : إذن فكيف يكون القول ونقيضه صوابا؟

نقول : يكون القول ونقيضه صوابا بالنسبة لاجتهاد صاحبيه ولا يكون صوابا بالنسبة لقول

أحدهما فقط فالعمل وضده يكونان صوابا صحيحين باعتبارين إذ إن لمس المرأة ينقض

الوضوء بالنسبة لمن يعتبر أدلة المالكية والشافعية والحنابلة أرجح من أدلة الأحناف وهو لا

ينقض بالنسبة لمن يعتبر دليل الأحناف أرجح من أدلة أولئك ولكل اجتهاده وحقه في الاجتهاد

والعلم عند الله سبحانه والمتبعون إذا لم يثبت لهم خطأ إمامهم في المسألة بقي قوله صحيحا ولو

خالفه فيه غيره وهذا هو ما حصل بين أصحاب المذاهب في كل المسائل التي يختلفون فيها.

وقد ورد في السنة ما يؤيد صحة ما وصل إليه المجتهدون ولو تناقض هذا الذي وصلوا إليه فقد

روي أن صحابييين خرجا في سفر فحضرتهما الصلاة ولم يجدا ماء فتيما وصليا ثم وجدا الماء في

الوقت فأعاد أحدهما ولم يعد الآخر فلما قصا أمرهما على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أقر

كلا منهما على ما فعل فقال للذي لم يعد : «أصبت السنة وأجزأتك صلاتك» وقال للذي أعاد «

لك الأجر مرتين»^(1[21]) فإعادة الصلاة وعدم إعادتها أمران متناقضان وكل واحد منهما صحيح

بالنسبة لاجتهاد صاحبه.

والحاصل هو ان الاجتهاد من الدين وما أدى إليه الاجتهاد فهو من الدين أيضا ولو اختلف

المجتهدون.

(1[21]) أخرجه النسائي (431 - 432) وأبو داود (338 - 339) واللفظ له.

اما أن نعلل هذا الاختلاف باتهام الأئمة والعلماء بالتعصب ومخالفة الكتاب والسنة عن قصد وإصرار فهذا ما لم يقع ولا يصح أن يصدر عن مؤمن ومسلم في رجالات العلم وأئمة المسلمين.

وذكر أحد المنكرين : محتجا على الاختلاف الذي بين المذاهب بعد ان ذكر أمثلة عليه من أقوال بعض الأئمة في المذاهب أو من التي فعلها بعض المتعصبين ولم تكن معتمدة في المذاهب وهكذا شأنهم في تعميم كل حادثة جزئية ليجعلوا من هذه الجزئيات مبررا لرفضهم للمذاهب كعدم صلاة بعضهم خلف بعض أو عدم تزويج الحنفية من الشافعي مما لا تجده يعمل به ولا يعتبر هو القول المعمول به في المذهب : ذكر قوله (وليت أن اختلافهم المذكور انحصر ضرورة فيما بينهم ولم يتعد إلى غيرهم من أمة الدعوة إذن لمان الخطب بعض ويا للأسف تجاوزهم إلى غيرهم من الكفار في كثير من البلاد والأقطار فصدوهم بسبب اختلافهم عن الدخول في دين الله أفواجا فقد جاء في كتاب (ظلام من الغرب) للأستاذ الفاضل محمد الغزالي ص (200) ما نصه :
(حصل في المؤتمر الذي عقد في جامعة (بريستون) بأمریکا أن أثار أحد المتحدثين سؤالاً كثيراً ما يثار في أوساط المستشرقين والمهتمين بالنواحي الإسلامية قال: بأي التعاليم يتقدم المسلمون إلى العالم ليحددوا الإسلام الذي يدعون إليه؟ أبتعاليم الإسلام كما يفهمها السنيون؟ أم بالتعاليم التي يفهمها الشيعة من إمامية أو زيدية ثم إن كلا من هؤلاء واولئك مختلفون بينهم).
وقد يفكر فريق منهم في مسألة ما تفكيراً تقديمياً محدوداً بينما يفكر آخرون تفكيراً قديماً متمتماً والخلاصة أن الدعاة إلى الإسلام يتركون المدعويين في حيرة لأنهم هم أنفسهم في حيرة والجواب على هذا المنكر وعلى هذا المستشرق:

لقد كان هناك في الإسلام في الماضي ولا يزال فرق وجماعات دسها اعداء الإسلام ضمن المسلمين لإثارة الشك والفوضى في نفوس الناس تجاه الدين وصارت هناك أقوال وآراء مختلفة كلها ينسبها أصحابها إلى الإسلام فهل منع هذا أصحاب الصدق وانصاف من المسلمين وغير المسلمين أن يبحثوا عن القول الحق في دين الله وأن يتبعوه.

إن وجود الاختلافات بين العلماء في كل العلوم قديم فهل حمل ذلك الأوربيين على نبذ العلوم والتنكر للعلم بسبب ما يقوم بين اصحابها من خلاف؟؟ اليوم مثلاً: يوجد في علم الطب مدارس مختلفة وأساليب وطرق متعددة وآراء وأقوال متناقضة بين علماء هذا الفن وما تثبته جماعة تنفيه جماعات أخرى في بعض الأمور فهل حمل ذلك الناس على ترك علم الطب؟ ام ان كلا منهم يتبع مدرسة معينة أو طريقة معينة في المعالجة وكل حسب اجتهاده.

واليوم في علم الحياة يتصارع العلماء حول النظرية القائلة بأن أصل الإنسان قرد ومع ما ثبت من الأدلة والبراهين الكثيرة والمختلفة على بطلانها نجد أناساً من العلماء يحاولون عبثاً إثباتها من أجل أغراضهم واهوائهم ونجد في الوقت الذي يقول فيه بعض العلماء: إن أصل الإنسان قرد نجد أن أحد العلماء الألمان يقول: إن أصل القرد إنسان متقهقر وليس الإنسان قرداً مترقياً ويستخدم نفس الأدلة التي استخدمها داروين في إثبات قوله.

فهل رفض الناس وعابوا علم الحياة لوجود أمثال هذه التناقضات فيه؟ إن كل فروع العلم يدور فيها الخلاف والتناقض في الآراء ولم يستطع العلم ان يقول القول الفصل في كل مسألة فلماذا لا نعيب هذه العلوم؟ لماذا يريد هؤلاء المستشرقون أن يتخذوا من هذه الخلافات ذريعة للتهجم على الشريعة والمسلمين مع ان الشريعة علم واسع كبقية العلوم مفتوح فيها الباب للاجتهد ويمكن أن يقع فيها كما وقع في بقية العلوم من اختلاف الاجتهادات ويمكن بالدراسة والإنصاف أن يصل الإنسان إلى معرفة الحق من الباطل فيما ينسب اليها ويمكن بالدراسة والإنصاف أن يصل إلى التمييز بين الاجتهادات الصحيحة ولو تعددت وبين الافتراءات الكاذبة الخارجة عن أساس الكتاب والسنة ولو تعددت.

ثم يقول المنكر نفسه:

(وفي مقدمة رسالة (هدية السلطان إلى مسلمي بلاد جابان) للعلامة محمد سلطان المعصومي رحمه الله تعالى :

(إنه كان ورد علي سؤال من مسلمي بلاد جابان - يعني اليابان - من بلدة (طوكيو) (أوصاكا) في الشرق الأقصى حاصله: ما حقيقة دين الإسلام؟ ثم ما معنى المذهب؟ وهل يلزم من تشرف بدين الإسلام أن يتمذهب على أحد المذاهب الأربعة؟ أي ان يكون مالكيا أو حنفيا أو شافعيا أو غيرها أو لا يلزم؟

لأنه قد وقع هنا اختلاف عظيم ونزاع وخيم وحينما أراد عدة أنفار من متنوري الأفكار من رجال (يابوينا) أن يدخلوا في دين الإسلام وتشرفوا بشرف الإيمان فعرضوا ذلك على جمعية طوكيو، فقال جمع من أهل الهند: ينبغي أن يختاروا مذهب الإمام أبي حنيفة لأنه سراج الأمة وقال جمع من أهل أندونيسيا (جاؤوا): يلزم أن يكون شافعيا فلما سمع اليابانيون كلامهم تعجبوا جدا وتحيروا فيما قصدوا وصارت مسألة المذهب سدا في سبيل إسلامهم.

الرد: أمام ما في هذا العرض لهذه القصة من التهويل والتعقيد المزعوم يجد الإنسان نفسه متعجبا من تجاهل هؤلاء للمسألة أو جهلهم بها! وهو يعلم أن المسلم يكون شافعيا فيسكن في بلد اهله أحناف فيتابعهم على مذهبهم لقربه منهم او لتوفر من يعلمه المذهب الحنفي لديه لا عتقاده أن المذاهب كلها حق وأنها مبنية على الكتاب والسنة وأنها تمثل الجماعة الإسلامية لا لأن الإمام أبا حنيفة رحمه الله هو سراج هذه الأمة ويعلم أن الرجل يكون حنفيا فيحصل معه مثل ذلك فيصير شافعيا وأن المسألة لا تحتاج لكل هذا التعقيد الذي يصوره هؤلاء وأنها لا يتصور منها أن تقف سدا في سبيل إسلام هؤلاء أو غيرهم وكان بإمكانه أن يقول لهم: تعلموا على يدي أقرب العلماء اليكم، فإن لم يوجد لديهم علماء ارسلنا من يتوفر لدينا من العلماء القادرين على تعليمهم ايا كان مذهبهم وتنحل هذه المعضلة التي استعصت على المنكرين ومسلمي بلاد اليابان ورأوا فيها وبأمثالها مبررا لمحاربة المذاهب ويسع مسلمي اليابان ما وسع الأمة عبر العصور.

ولكن المنكر يعتقد بما يقوله شيخه الشيخ وهو : (إن كل الذي ندعوا ايه ترك اتخاذ المذاهب دينا ونصبها مكان الكتاب والسنة بحيث يكون الرجوع اليها عند التنازع أو عند إرادة استنباط أحكام جديدة لحوادث طارئة كما يفعل متفقهة هذا الزمان).

فالمذاهب في نظر هذا الشيخ وتلميذه شيء غير الكتاب والسنة وهي مخالفة لهما وهي تريد أن تحل مكانها ولذلك فإن الرجوع اليها عند التنازع أو عند إرادة استنباط احكام جديدة لحوادث طارئة هو خروج عن الكتاب والسنة بالطبع وقد تبين بطلان هذا الزعم.

أمور لا خلاف فيها

هناك أمور لا خلاف فيها لا بد من إبعادها عن دائرة البحث في أصل الدعوة الخطيرة الذي يذكرها المنكرون:

فأولها: أن المقلد لأحد المذاهب ليس ثمة ما يلزمه شرعا بالاستمرار في تقليده وليس ثمة ما يمنعه من التحول عنه إلى غيره فقد اجمع المسلمون أن للمقلد أن يقلد من شاء من المجتهدين إذا توصل إلى حقيقة مذاهبهم وآرائهم فله مثلا ان يقلد كل يوم إماما من الأئمة الأربعة ولئن ظهر في بعض العصور المتأخرة من استهجن تحول المقلد من مذهب إلى آخر فهو التعصب المقيت الذي أجمع المسلمون على بطلانه ومعلوم لكل باحث ان هذا الذي لا خلاف فيه هو غير دعوى أن على المقلد ان لا يلتزم مذهبا بعينه وان عليه أن يلون ويغير أي أن عدم وجوب الالتزام لا يستلزم حرمة الالتزام.

ثانيها: ان المقلد إذا ما تمرس في فهم مسألة من المسائل وتبصر بأدلتها من الكتاب والسنة وأصول الاجتهاد وجب عليه أن يتحرر من الأخذ بها من مذهب إمامه وحرم عليه التقليد فيها ما امكنه ان يجتهد فيها معتمدا على طاقته العلمية المتوفرة لديه أجمع على ذلك العلماء وأئمة المذاهب انفسهم وبديهي أنه يحرم عليه إذا ترجيح إمامه على ما هداه إليه اجتهاده في تلك المسألة التي توفر على دراستها والتعمق في فهم أدلتها وأصولها ولئن ظهر أيضا في بعض العصور المتأخرة من جنح إلى هذا التعصب وخرج بذلك عن إجماع المسلمين فإنه مظهر آخر من مظاهر

التعصب والتحزب البغيض الذي يجب التنبيه إليه والتحذير منه ومعلوم لكل باحث أيضا أن هذا الذي لا خلاف فيه لا يستلزم بحال دعوة المقلد الجاهل بأدلة الأحكام إلى نبذ التقليد والاعتقاد مباشرة على نصوص الكتاب والسنة .

ثالثها: إن جميع الأئمة الأربعة على حق بمعنى أن اجتهاد كل منهم جعله معذورا عند الله عز وجل إن هو لم يستيقن حقيقة الحكم الذي أراده الله عز وجل لعباده في تلك المسائل الاجتهادية فليس عليه إلا ان يسير فيه حسب ما هداه إليه اجتهاده. ومن هنا كان اتباع المقلد لمن شاء منهم اتباعا لحق وتمسكا بهدى وهو إذ يختار اتباع واحد منهم لا ينبغي أن يتصور أن الآخرين على خطأ ولذلك اجمع العلماء على صحة اقتداء الحنفي بالشافعي والمالكي والعكس ولقد ظهر أخيرا في بعض البلدان وعلى يد فريق من الناس ما يخالف هذا الحق المتفق عليه ولكنه أيضا امتداد للتعصب السيء الذي لا وجه له في الدين ويجب تحذير المسلمين منه بكل وسيلة إن تعدد المحاريب في المساجد وتسمية كل محراب منها باسم مذهب من المذاهب الأربعة أسوأ مظهر يتجسد فيه التحزب المقيت الذي لا معنى له ولا مسوغ وإن ما يفعله بعض العوام من الانزواء في طرف من المسجد وصلاة الجماعة قائمة تؤدى أمام عينيه ولا يمنعه من القيام إليها إلا ان الإمام ينتمي الي غير مذهبه فهو ينتظر إمامه الذي من حزبه لا يقتدي بغيره ولا يرى أن صلواته تصح إلا من ورائه نقول: إن هذا الذي شاع عند كثير من العوام أو من يتسم بسمه العلم شيء لا يتند إلى أي أصل من أصول الدين وما أجمع الأئمة والعلماء في عصر وزمن إلا على خلافه وما يمسك الناس على هذه العادة إلا شيئا اثنان: تعصب لا وجه له من هؤلاء الناس و (تنفيح) لأناس توارثوا مثل هذه الوظائف واعتادوا على نيل جراتها والاستفادة منها. هذه الأمور الثلاثة من الأمور المتفق عليها ولا نخالف منبها إليها أو مؤكدا لها. لطالما أثبتتها العلماء والأئمة رحمهم الله في أبحاثهم وسجلوها في كتبهم .

وكل ما أورده هذا المنكر من نصوص الإمام ابن القيم والعز بن عبدالسلام والشاه الدهلوي وغيرهم إنما يدور حول الأمور الثلاثة ولم يخالفهم فيها أحد ممن يعتد به وما ينبغي أن يخالفهم فيه أحد.

ولو أن هذا المنكر ركز كلامه عليها واقتدى في ذلك بما فعله أولئك الأئمة فشدد النكير على هذه الألوان من التعصب المقيت الذي لا وجه له لما وسعنا مخالفته والإنكار عليه. ولكن المنكر عمد إلى هذه النصوص والأدلة فشدّها إلى دعاوى أخرى لا علاقة لها بها واتخذ من الأدلة على حرمة مخالفة هذه الأمور المتفق عليها براهين على حرمة التزام مذهب من المذاهب الأربعة لأي أحد من الناس وأين هذا من ذاك؟

ولذلك جاءت أدلته هذه مناقضة لدعواه إذ استدل على صدق دعواه بكلام العز بن عبدالسلام والعز بن عبدالسلام شافعي المذهب واستدل بكلام الكمال بن الهمام وهو حنفي المذهب واستدل بكلام ابن القيم وهو حنبلي المذهب واستدل بكلام الدهلوي وهو حنفي المذهب لقد استدل المنكر بأقوال هؤلاء جميعاً على دعواه من حرمة التمدّ به بمذهب معين وهم أنفسهم متلبسون بهذا الذي يدعي حرمة!!

الجديد الذي يدعيه المنكر وأدلته والرد عليه والآن وبعد أن جردنا من كلام المنكر كل ما لا دخل له في النزاع وجردنا من كلامه أيضاً تلك النصوص التي أثبتت أربابها لتأكيد أمور متفق عليها لا نزاع فيها نجد خلف ذلك كله دعوى خطيرة وجديدة هي أصل ما رمى إليه المنكر ألا وهي دعوى أنه يحرم على المسلم أياً كان أن يتمسك بمذهب معين من المذاهب الأربعة وأن ذلك منه تعصب أعمى وضلال مبین وأن الذين فعلوا ذلك هم الذين فرقوا دينهم شيعاً.

فلنكشف عن وجه الحق في هذه الدعوة ولتسائل عن دليلها وأساسها بعد أن أبعدنا عنها الحجاب الذي كانت تستتر خلفه حجاب تلك الأمور الثلاثة المتفق عليها وما أثبتته الأئمة لها

من أدلة وبراهين فهي أمور لا علاقة لها من قريب أو بعيد بهذه الدعوى وليس لأرباب هذه الدعوة أن يستعيدوا لها شيئاً من أدلة تلك الأمور أو أن يقووها بها ويسندوها إليها.

ما هي الأدلة التي اعتمدها المنكر لدعواه هذه؟

تتلخص أدلته فيما يلي:

• الدليل الأول: دعوى أن الإسلام ليس أكثر من أحكام معدودة يسيرة يفهمها أي أعرابي أو مسلم مستدلاً لذلك بأحاديث ساقها وأن المذاهب ليست أكثر من آراء أهل العلم في فهمهم بعض المسائل وهذه الآراء لم يوجب الله تعالى ولا رسوله على أحد اتباعها.

ونقول: كان ينبغي لو صح أن أحكام الإسلام محصورة في تلك الأمور المعدودة التي ألقى بها الرسول إلى سمع ذلك الأعرابي ثم انطلق ان لا تفيض كتب الصحاح والمسانيد بآلاف الأحاديث المتناولة لشتى الأحكام المتعلقة بحياة الإنسان المسلم وكان ينبغي أن لا يقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم الساعات الطوال على قدميه يخالف بينهما من التعب يعلم وفد ثقيف أحكام الإسلام وواجبات الله في أعناقهم طوال عدة أيام.

إن تلقين الرسول الإسلام وأركانه للناس شيء وتعليمه إياهم كيفية تنفيذ تلك الأركان شيء آخر ذلك لا يحتاج إلى أكثر من دقائق وهذا يحتاج إلى جهد وتعلم ومراس.

ولذلك كان يتبع تلك الوفود المسلمة التي لم يكلفها الفهم الإجمالي لأركان الإسلام أكثر من بضع

دقائق برجال من اخص أصحابه ليتمكثوا فيهم ويعلموهم مختلف أحكام الإسلام وواجباته

فأرسل خالد بن الوليد إلى نجران وعلياً رضي الله عنه إلى اليمن وأباً موسى الأشعري ومعاذ بن

جبل إلى اليمن أيضاً وعثمان بن أبي العاص إلى ثقيف أرسل هؤلاء جميعاً ليعلموا أمثال ذلك

الأعرابي الذي استدل المنكر بسرعة فهمه للإسلام ليعلموهم تفاصيل الأحكام الشرعية بالإضافة

إلى ما كان يقوم به عليه الصلاة والسلام من التعليم والبيان.

أجل كانت المشكلات التي تتطلب من الإسلام حلولاً لها وبياناً لأحكامها قليلة في صدر الإسلام

بسبب ضيق رقعة الإسلام وبساطة المسلمين إذ ذاك ولكن هذه المشكلات كثرت فيما بعد مع

اتساع رقعة الدولة الإسلامية وظهور كثير من التقاليد والعادات والمصالح التي لم تكن من قبل وهي جميعا لا تخلو من أحكام تتعلق بها سواء كان مصدرها نصا في الكتاب أو حديثا من السنة أو إجماعا من الأمة أو قياسا على أصل فهذه كلها مصادر تنبثق من صميم الإسلام وحكمه وليس حكم الله عز وجل إلا ما هदानا إليه أحد من هذه المصادر حسب شروط معينة في فهمها والترتيب بينها وكيفية الاستنباط منها.

فكيف يفصل إذا بين الإسلام وما استنبطه الأئمة الأربعة وأمثالهم من هذه المصادر الأساسية للإسلام؟! ... كيف يقول المنكر: (أما المذاهب فهي آراء أهل العلم وأفهامهم في بعض المسائل واجتهاداتهم وهذه الآراء والاجتهادات والفهوم لم يوجب الله تعالى ولا رسوله على أحد اتباعها؟....)

وهل هذا إلا عين الباطل الذي تفوه به عن مكابرة وعناد المستشرق الألماني المعروف بحقده على الإسلام (شاخت).

يقول شاخت: إن الفقه الإسلامي الذي ألفه أئمة المذاهب ليس إلا عملا قانونيا أنتجته أدمغة قانونية ممتازة طاب لها أن تعزوه إلى الكتاب والسنة وكتابه في هذا هو الكتاب الأول الذي تدرسه جامعات أوروبا لطلابها.

وإذا كان كلام كل من المنكر والمستشرق الألماني شاخت كلاما صحيحا فمعنى ذلك أنه لا شيء يلزمنا شرعا بالتزام أكثر أحكام قانون الأحوال الشخصية لأنها لا تعدو أن تكون اجتهادات وآراء للمذاهب ولم يوجب الله ولا رسوله على أحد اتباعها على حد تعبير المنكر وكذلك لا شيء يلزمنا شرعا بالتزام قانون مدني إسلامي تؤولفه غدا لجنة من العلماء لأن أكثر أحكامه آراء واجتهادات لم يلزمنا الله ولا رسوله باتباع شيء منها!!

وإذا فكيف يصح لنا ان نقول بأن الإسلام دين ودولة؟!.... ولماذا لا نصحو إذا إلى خطئنا لنعلن كما يريد شاخت بأن الإسلام دين فقط.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعث إلى القبائل والبلدان من يمتاز من الصحابة
بجودة الحفظ والفهم والاستنباط ويكلفهم بتعليم الناس احكام الإسلام وأمور الحلال والحرام
وقد أجمعت الأمة أنهم كانوا يجتهدون إذا أعوزهم الدليل الصريح من الكتاب والسنة وأن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرهم على ذلك.

وروي عن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما بعث معاذًا إلى اليمن قال:
(كيف تصنع إن عرض لك قضاء) قال أفضي بما في كتاب الله قال « فإن لم يكن في كتاب الله »
قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « فإن لم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم » قال : اجتهد رأيي ولا ألو قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدري ثم
قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.⁽²²¹⁾
فهذه اجتهادات وفهوم من علماء الصحابة كانوا يحكمون بها ويسرون الناس بموجبها بموافقة
وإقرار من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يقال عنها : (أنها اجتهادات وفهوم لم يوجب الله
تعالى ولا رسوله على أحد اتباعها) ؛

وإذا فإن أحكام الإسلام ليست من اليسر في فهمها والقلة في عددها كما تصور المنكر مستدلاً بتلك
الأحاديث التي نوهنا عنها بل هي من السعة والشمول بحيث تتسع لكل ما يتعلق بشؤون الحياة
الخاصة والعامة في مختلف الظروف والأحوال وهي جميعاً تعود إلى الكتاب والسنة إما بدلالة
ظاهرها مباشرة أو بواسطة النظر والاجتهاد والاستنباط وبأي الوسيلتين فهم المسلم الحكم فهو
حكم الله عز وجل في حقه لا يسعه التحول عنه وهو أيضاً حكم الله فيمن جاء يستفتيه فافتاه به
وإلا لكانت بعثة الرسول واصحابه إلى القبائل والبلدان عبثاً ولصح لأولئك الناس أن يقولوا لهم :
لم يوجب الله ولا رسوله علينا اتباع فهمكم واجتهاداتكم!

• الدليل الثاني : إن أساس التمسك بالإسلام إنما هو التمسك بالكتاب والسنة وهما معصومان
عن الخطأ أما اتباع أئمة المذاهب فهو تحول عن الاقتداء بالمعصوم إلى الاقتداء بغير المعصوم.

^[221] أخرجه أبو داود (3592) والترمذي (1327) والدارمي (60/1) وأحمد (320/5) وابن سعد (107/2) بألفاظ متقاربة وهو في
نصب الراية للزيلعي (63/4) وجمع الفوائد (65/1) والتلخيص الحبير (182/4) وجامع الأصول (177/10).

ونقول تعليقا على هذا الكلام العجيب : من هم الذين تخاطبونهم بهذا الدليل وتحاكمونهم إليه .. إن كانوا أولئك الذين أوتوا القدرة على فهم الحكم من الكتاب والسنة والقياس عليها مباشرة بدون وساطة مفت وإمام فدليلكم صحيح إذ لا وجه لتقليده أقوال الأئمة وهو غير عاجز عن فهم قول الله ورسوله مباشرة ولكن هذا خارج عن محل البحث والنزاع كما اوضحنا فليس في المسلمين قديما وحديثا أحد يخاطبكم ويمجادلكم في هذا وإن كان الذين تخاطبونهم بهذا الكلام هم عامة الناس ومن لا يملك وسيلة الاجتهاد والاستنباط والتصبر بالأدلة ومفهوماتها فهو كلام عجيب حقا ولا يملك ان يستقيم له أي معنى .

فالمعصوم عن الخطأ في كلام الله هو ما أراده الله عز وجل بكلامه والمعصوم عن الخطأ في السنة هو ما أراده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بستته أما فهم الناس منها فهيهات أن يكون معصوما سواء كان هؤلاء الناس مجتهدين أو علماء أو جهالا (اللهم إلا نصا في كتاب أو سنة كان قطعي الدلالة والثبوت وكان الناظر فيه عربيا خليعا فعصمة الفهم منه تأتي من قطعية دلالتها) وإذا كانت وسيلة الأخذ بالكتاب والسنة هي الفهم وكان الفهم منها محاولة لا يمكن ان تتسم بالعصمة فيما عدا الصورة التي استثنيناها فما الفرق بين محاولة العامي الفهم ومحاولة المجتهد ذلك إلا أن تكون محاولة العامي أبعد عن العصمة من محاولة المجتهد؟ وما معنى دعوة العامي إلى نبذ التقليد بحجة ان القرآن معصوم والإمام المتبع غير معصوم؟. وهل كان الناس ينقسمون منذ القديم إلى عامي وعالم ومقلد ومجتهد لو أتيح للعامي أو الجاهل من الناس أن يتناول من نصوص القرآن الفهم المعصوم من الخطأ والذي هو المراد في علم الله عز وجل؟...

وكأني بالمنكر يتوهم أن مذاهب الأئمة تستمد اجتهادها من معين آخر غير الكتاب والسنة فهى مذاهب مستقلة عن مذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهى إنما ظهرت لتنافسه وتزاحمه فهو يريد أن يلفت نظر المخدوعين بها إلى المذهب الحق واستدل على ذلك بأن هذه المذاهب غير معصومة على حين أن مذهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم معصوم فكيف تتحولون عن

المعصوم إلى غيره ..؟ وفكر مهما شئت في معنى هذا الدليل الطريف فوالله لن تعثر له على وجه من المعنى إلا على هذا التقدير من الفهم والتصوير .

• الدليل الثالث: أنه لم يثبت أي دليل على أن الإنسان يسأل في قبره إذا مات عن المذاهب أو الطريق....

وهذا الاستدلال يوضح كما ترى أن المنكر يعتقد بأن ميزان معرفة الواجبات التي كلف الله الإنسان بها إنما هو أسئلة الملكين في القبر فكل ما يتعرض له الملكان بالسؤال عنه فهو الواجب المكلف به وكل ما لم يتعرض له فهو غير واجب ولا مشروع؟

ولست أدري هل ثبت في أي مصدر من مصادر العقيدة الإسلامية أن الملكين يسألان الميت عن الديون والذمم التي عليه للناس أو عن بيوعه التي لم تنعقد صحيحة ومعاملاته التي لم تكن مشروعة أو عن إهماله تربية أهله وأولاده أو عن أوقاته التي كان يقضيها في اللهو والعبث أو عن استغابته للمسلمين وتشكيكهم في دينهم وتفكيك أواصر المحبة والترابط والوحدة فيما بينهم؟! إذا كان ثمة ما يدل على أن الملكين يسألان الميت عن كل هذا وأمثاله فلننظر إذا أفسأله الملكان: لماذا قلد الشافعي ولم يجتهد ولماذا التزم اتباع إمام ومجتهد واحد ولم يغير ويلون؟... وإذا كان يسأله الملكان عن هذا فأشهد أن هذا المنكر على حق وأشهد أنني وسائر الباحثين والعلماء كنا على خطأ يوم كنا نحسب أن سؤال الملكين إنما يتناول كليات المبادئ الإسلامية المتمثلة في أسئلة معدودة بأعيانها كما ورد في الصحاح ولا بد أن مهمة الملكين مع الميت في قبره هي مهمة محاسبة تفصيلية شاملة!

ولكني لا أزال أقول كما يقول سائر العلماء والمسلمين بان الواجبات المنوطة بأعناق المسلمين في دنياهم أوسع بكثير مما تنحصر فيه أسئلة الملكين لهم في قبورهم ولن نجد أي معنى واضح لهذا الدليل الثالث أيضا إلا إذا تصورت مرة أخرى بأن المنكر يعتقد بأن مذاهب الأئمة في فهم الأحكام الشرعية من أدلة الكتاب والسنة إنما هي مذاهب تنافس وتزاحم مذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهؤلاء الأئمة إنما جاؤوا (على حد فهمه) مسابقين ومنافسين له وطبيعي أن الملكين

إنما يسألان الميت عن موقفه من هذا الرجل الذي أرسل فيهم أي عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ولن يسألاه عن شيء من المذاهب المنافسة الأخرى التي أخذت تروج نفسها فيهما بعد! وأرجو من القارئ الكريم أن لا يحسب أنني أصطنع بهذا الكلام أسلوب سخرية بالمنكر وتقريع له... فهذا والله ما فهمته ويفهمه كل متأمل في كلامه وقد صرح الرجل بهذا الذي هو معنى كلامه تصريحاً وذلك عندما قال: (اعلم أن المذهب الحق الواجب الذهاب إليه والاتباع له إنما هو مذهب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فحسب وهو الإمام الأعظم الواجب اتباعه ثم مذهب خلفائه الراشدين رضي الله عنهم وما من أحد أمرنا باتباعه بعينه إلا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فحسب لا غير وقد قال الله تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾^[231] وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين»^[242]. أفليس واضحاً من هذا الكلام أن المنكر يتصور أن ثمة عدداً من المذاهب ظهرت خلال التاريخ كل منها يروج لنفسه ويدعو الناس إليه والمذهب الحق من بينها هو مذهب سيدنا محمد أما الأخرى فباطلة؟

وأنت يا أيها القارئ مهتماً كانت ثقافتك بتاريخ التشريع الإسلامي قليلة وضعيفة أفيمكن للحقائق كلها ان تغيب عنك حتى تفهم هذا الفهم المقلوب العجيب؟.

ما هو الفرق بين مذاهب الأئمة الأربعة ومذهب زيد بن ثابت أو معاذ بن جبل أو عبدالله بن عباس في فهم بعض أحكام الإسلام؟ وما الفرق بين أرباب المذاهب الأربعة وأرباب مذهب الرأي في العراق وأرباب مذهب الحديث في الحجاز وقوام هذين المذهبيين خيرة الصحابة والتابعين وهؤلاء لهم مقلدون وأولئك لهم مقلدون؟!.

أفيقول المنكر إنها عشرات المذاهب وليست أربعة فقط كلها جاء تعارض وتنافس مذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن المذاهب الخارجة على الملة القسيمة لمذهب رسول الله إنما

[231] سورة الحشر الآية (7).

[242] تقدم تخرجه.

هي هذه الأربعة فقط أما مذاهب من قبلهم فمذاهب صحيحة جيدة تقوم على قدم المساواة جنباً إلى جنب مع مذهب رسول الله؟! .

لست أدري أي القولين يختار هذا المنكر ولكن الذي أعلمه أنها قولان أحلاهما مر ، وأفضلهما كذب وافتراء ومعاذ الله أن تكون اجتهادات الصحابة والتابعين أو بقية الأئمة المجتهدين أكثر من خدمة وشرح لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحيا من ربه ولكن بعض اجتهاداتهم وتفسيراتهم خالفت بعضها بعضاً فكانت تلك الاجتهادات المتخالفة مذاهب في فهم كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا مذاهب منافسة ومعارضة له؟ ... وكيف يكونون منافسين ومعارضين له والكل يستشهد بكلامه ويمعن في فهم مراده؟! .

• الدليل الرابع: كلام نقله المنكر عن كتاب الإنصاف للشاه ولي الله الدهلوي نقل عنه في غضونه قوله : (فمن أخذ بجميع أقوال أبي حنيفة أو جميع أقوال مالك أو أقوال الشافعي أو جميع أقوال أحمد أو غيرهم ولم يعتمد على ما جاء في الكتاب والسنة فقد خالف إجماع الأمة كلها واتبع غير سبيل المؤمنين).

أقول: لم يثبت هذا الكلام عن الدهلوي في حق المقلد العاجز عن الاجتهاد إطلاقاً لا في الإنصاف ولا في غيره من كتبه الأخرى بل الذي قال في أكثر من موطن عكسه تماماً .
يقول ولي الله الدهلوي في كل من كتاب الإنصاف ص (53) وحجة الله البالغة (132/1) :
الخيرية (ما نصه :

(إن هذه المذاهب الأربعة المدونة المحررة قد اجتمعت الأمة أو من يعتد به منها على جواز تقليدها الى يومنا هذا وفي ذلك من المصالح ما لا يخفى لاسيما في هذه الأيام التي قصرت فيها الهمم جدا وأشربت النفوس الهوى واعجب كل ذي رأي برأيه).

وأنا أتحدى هذا المنكر ومقلديه أن يثبتوا سطراً مما تقوله المنكر على الدهلوي في أي من كتبه ...!!
ويقول بعد ذلك في ص (124 - 125) موضحاً أنه لا مانع من التزام إمام بعينه : (كيف ينكر هذا أحد مع أن الاستفتاء والإفتاء لم يزل بين المسلمين من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا

فرق بين أن يستفتي هذا دائما أو يستفتي هذا حيناً وذاك حيناً بعد أن يكون مجمعا على ما ذكرناه كيف لا ولم نؤمن بفتواه أيا كان أنه أوحى الله إليه الفقه وفرض علينا طاعته أنه معصوم فإن اقتدينا بواحد منهم فذلك لعلمنا بانه عالم بكتاب الله وسنة رسوله فلا يخلو قوله إما أن يكون من صريح الكتاب والسنة أو مستنبطاً عنها بنحو من الاستنباط أو عرف بالقرائن أن الحكم في صورة ما منوطة بعلّة كذا واطمأن قلبه لتلك المعرفة ففاس غير المنصوص على المنصوص فكأنما يقول: ظننت أن رسول الله صلى قال: كلما وجدت هذه العلة فالحكم ثمة هكذا والمقيس مندرج في هذا العموم فهذا أيضا معزي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن في طريقة ظنون ولولا ذلك لما قلد مؤمن مجتهدا).

فتأمل في مناقضة هذا الكلام الذي يقوله الدهلوي الذي يقوله عليه هذا المنكر!... ولك ان تعود الى كتابه حجة الله البالغة والإنصاف لتتأكد من ألفاظه ومطابقتها للذي نقلناه عنه؟ ولا شك أن الدهلوي تحدث في هذا المجال عن حرمة التقليد في حق من بلغ رتبة الاجتهاد في مسألة من المسائل أو في عامة المسائل والأحكام ولكن كلامه في ذلك خارج عن محل النزاع والبحث كما أوضحنا ولا يمكن أن يستدل العاقل بشيء منه على دعوى حرمة التقليد أو حرمة التزام مذهب معين في حق من لم يستطع أن يكون مجتهدا فهذا شيء وذلك شيء آخر ولست أدري ما هو نوع الدافع الى الخلط بينهما.

• الدليل الخامس: كلام نقله المنكر عن العز بن عبدالسلام وعن ابن القيم وعن الكمال بن الهمام يستدل به على مدعاه وهو دعوى حرمة التمسك بمذهب معين ووجوب الأخذ من الكتاب والسنة مباشرة على الناس كلهم أو استمرار التنقل بين المجتهدين والأئمة دون الوقوف عند واحد منهم بعينه.

وكل ما نقله عن هؤلاء بمعزل عن هذه الدعوى الباطلة التي لا دليل عليها وكيف تكون تلك الأقوال دليلا على شيء من ذلك وأصحاب تلك الأقوال أنفسهم ملتزمون بمذاهب معينة لم يتحول واحد منهم عن مذهبه الذي عرف إلى سواه!!...

فالعز بن عبدالسلام شافعي وابن القيم حنبلي والكمال بن الهمام حنفي إن أقوال هؤلاء الأئمة كلها مستنبطة على تلك الأمور الثلاثة التي أخرجناها عن محل النزاع والتي لم يخاصم فيها أحد من العلماء المنصفين أما أن يكون شيء منها دليلا على ما يشتهي هذا المنكر أن يروجه ويجمع له الأنصار فهيات له ذلك .

واليك أولا ما يقول العز بن عبدالسلام

يقول في كتابه قواعد الأحكام (35/2) ما نصه : (... وليس لأحد أن يقلد من لم يؤمر بتقليده كالمجتهد في تقليد المجتهد أو في تقليد الصحابة وفي هذه المسائل اختلاف بين العلماء ويرد على من خالف ذلك قوله عز وجل : ﴿ إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾⁽²⁵¹⁾ . يستثنى من ذلك العامة فإن وظيفتهم التقليد لعجزهم عن التوصل إلى معرفة الأحكام بالاجتهاد بخلاف المجتهد فإنه قادر على النظر المؤدي إلى الحكم ومن قلد إماما من الأئمة ثم أراد تقليد غيره فهل له ذلك ؟ ... فيه خلاف والمختار التفصيل فإن كان المذهب الذي أراد الانتقال إليه مما ينقض فيه الحكم فليس له الانتقال إلى حكم يوجب نقضه فإنه لم يجب نقضه إلا لبطلانه فإن كان الأخذان متقاربين جاز التقليد والانتقال لأن الناس لم يزالوا من زمن الصحابة إلى أن ظهرت المذاهب الأربعة يقلدون من اتفق من العلماء من غير نكير من أحد يعتبر إنكاره ولو كان ذلكم باطلا لأنكروه وكذلك لا يجب تقليد الأفضل وإن كان هو الأولى لأنه لو وجب تقليده لما قلد الناس الفاضل والمفضول في زمن الصحابة والتابعين من غير نكير بل كانوا مسترسلين في تقليد الفاضل والأفضل ولم يكن الأفضل يدعو الكل إلى نفسه ولا المفضول يمنع من سألته عن وجود الفاضل هذا مما لا يرتاب فيه عاقل).

لقد نقلت لك كلامه هذا بطوله دون أن أترك منه حرفا لتعلم أن ما يقوله هذا الإمام ينطبق على نقيض ما يتقوله هذا المنكر على لسانه تماما فالعز رحمه الله يوجب على العامة التقليد والمنكر يلزمه باتباع المعصوم وترك غير المعصوم كما قد رأيت والعز رحمه الله يجعل الأصل في المقلد أن يلتزم

(^{1[25]} سورة يوسف الآية (40) .)

إماما بعينه ثم يفرع عنه البحث في حكم رغبته في الانتقال إلى مذهب آخر ويذكر في الخلاف ويجنح - كما قد رايت - إلى القول بجواز ذلك " لا بوجوبه " بشرط .

فالعز رحمه الله تعالى لا يرى مانعا من التزام المقلد مذهبا معيناً دون أن يتحول عنه هذا المنكر يفرض عليه ان يتنقل بين جميع المذاهب ويلزمه بذلك إلزاما والعجب العاجب أنه يتقول على العز رحمه الله تعالى الله هذه الأشياء وينطقه بها وهو إنما نطق بعكسها .

نعم أتبع العز بن عبدالسلام رحمه الله تعالى الله هذا الكلام الذي نقلته لك بكلام آخر مباشرة أنحى فيه باللأئمة على الفقهاء الذين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه ويسبر حقيقته ويدرك ما يتعلق به بحيث لا يجد لضعفه مدفعا ومع ذلك يقلد ويترك الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبه جمودا على تقليد إمامه وأطال العز في بيان خطورة ذلك وأجاد ولكن ما علاقة هذا بدعوى هذا المنكر؟! وما هو المسوغ لما يفعله هذا الرجل من اتخاذ مثل هذه النصوص ثوبا يكسو بها مزاعمه العارية؟ ... وهلا تبصر الكلام الطويل الآخر الذي يجاوز هذه الفقرة مجاورة مباشرة ليفهم معاني الكلام وأطراف البحث؟ وهل هو حقا لم يتبصره ولم يعثر عليه أم رآه وفهمه ولكنه تجاهله وعفى عليه ونسخه بما بعده ثم أنطق الرجل بما هو منه برئ؟! .

ثم إليك ما يقول ابن القيم

يقول في كتابه إعلام الموقعين (3/68 | :السعادة) ذكر تفصيل القول في التقليد وانقسامه إلى ما يحرم القول فيه والإفتاء به وإلى ما يجب المصير إليه وإلى ما يسوغ من غير إيجاب .

فأما النوع الأول فهو ثلاثة أنواع أحدها: الإعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات إليه اكتفاء بتقليد الآباء والثاني تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله والثالث التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المجتهد .

ثم أطال ابن القيم في سرد وشرح أضرار ومساوي التقليد المحرم الذي حصره في هذه الأنواع الثلاثة فكل ما أورد في كلامه الطويل من إنكاره التقليد وتسفيهه والتحذير منه فهو وارد على هذه الأنواع الثلاثة التي فرعها عن الأول .

وربما قرأ القارئ السطحي جزءاً من كلامه الطويل في ذلك دون أن يمسك بأصل البحث ومنطلقه فيتوهم أنه إنما ينكر التقليد مطلقاً ثم يذهب يستدل على بطلان التقليد مطلقاً بفقرات من كلامه الذي ساقه في خضم بحثه الطويل كما فعل هذا المنكر.

ولكن المتأمل يعلم أن ابن القيم إنما فرع كلامه الطويل ذاك على هذا التقسيم الذي جعله أصل بحثه وحسبك دليلاً قاطعاً على ذلك بالإضافة إلى النص الذي نقلته من كلامه قوله في غضون بحثه هذا: (فإن قيل: إنما ذم من قلد الكفار وآبائه الذي لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ولم يذم من قلد العلماء المجتهدين بل قد أمر بسؤال أهل الذكر وهم أهل العلم وذلك تقليد لهم فقال تعالى ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾^[261]).

وهذا أمر لمن لا يعلم بتقليد من يعلم – فالجواب أنه سبحانه ذم من أعرض عما أنزله إلى تقليد الآباء وهذا القدر من التقليد هو مما اتفق السلف والأئمة الأربعة على ذمه وتحريمه أما تقليد من بذل جهداً في اتباع ما أنزل الله وخفي عليه بعضه فقلد فيه من هو أعلم منه فهذا محمود غير مذموم ومأجور غير مأزور كما سيأتي بيانه عند ذكر التقليد وهو التقليد الواجب والسائغ إن شاء الله . ولقد أطال ابن القيم بعد ذلك في ذم أنواع التقليد الباطل وأنفق في ذلك ما يقارب مائة صحيفة ويبدو أنه نسي بعد حديثه المسهب الطويل هذا أن يعود فيتحدث عن النوع الثاني من التقليد وهو التقليد الواجب الذي وعد بالحديث عنه فانتقل منه إلى الحديث عن النصوص وحرمة الإفتاء بما يخالفها وموقع السنة من القرآن.

ومن تأمل أبحاث ابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين) وصبر على قراءتها بتمهل واستقصاء وجد فيه غرائب من هذا القبيل فهو تارة يفرع أصل البحث ويجزؤه ثم يبدأ فيتناول بعض أجزاءه ويطيل الشرح والبحث ويشفق له الاستطرادات المختلفة ثم يتجاوز البحث كله إلى غيره دون أن يعود إلى بقية فروعه وأجزائه بالنظر والبحث كما فعل هنا ، وهو تارة يقع في تناقضات عجيبة لا تدري سبب وقوعه فيها كتلك التناقضات التي وقع فيها أثناء حديثه المسهب جداً عن الحيل

[261] سورة النحل الآية (43).

واحكامها وعلى كل فقد تحدث الرجل عن مشروعية التقليد وضرورته لمن لم يبلغ رتبة الاجتهاد في مكان آخر من كتابه فقد عقد فصولا طويلة تتعلق بشروط الفتوى وآدابها ضمن كثيرا من أبحاثها ومسارها بيان ما ينبغي أن يكون عليه العامي والعالم الذي لم يبلغ رتبة الاجتهاد وأن عليه اتباع إمام يسترشد به ويقلده في أحكام الحلال والحرام وانه لا يجوز لمثل هذا الإنسان أن يفتي الناس ولو توفرت لديه كتب الحديث وأمكنه العثور فيها على حديث يتعلق بفتواه واليك مقاطع من كلامه في بيان هذا الأمر :

قال في (175/4) (الفائدة العشرون) : لا يجوز للمقلد أن يفتي في دين الله بما هو مقلد فيه وليس على بصيرة فيه سوى أنه قول من قلده دينه وهذا إجماع من السلف كلهم وصرح به الإمام احمد والشافعي رضي الله عنهما قال أبو عمرو بن الصلاح : قطع أبو عبدالله الحلبي إمام الشافعيين بما وراء النهر والقاضي أبو المحسن الروياني صاحب بحر المذهب وغيرهما بأنه لا يجوز للمقلد أي يفتي بما هو مقلد فيه .

ثم أطال ابن القيم في تأكيد هذا الحكم وبيان انه الحق .

وقال في (196/4) ما نصه : (الفائدة الحادية والعشرون) : إذا تفقه الرجل وقرأ كتابا من كتب الفقه أو أكثر وهو مع ذلك قاصر في معرفة الكتاب والسنة وآثار السلف والاستنباط والترجيح فهل يسوغ تقليده في الفتوى؟ فيه للناس أربعة أقوال... والصواب فيه التفصيل وهو أنه إن كان السائل يمكنه التوصل إلى رأي عالم يهديه السبيل لم يحل له استفتاء مثل هذا ولا يحل لهذا أن ينسب نفسه إلى الفتوى مع وجود هذا العالم وإن لم يكن غيره بحيث لا يجد المستفتي من يسأله سواه فلا ريب أن رجوعه إليه أولى من أن يقدم على العمل بلا علم..)

وقال في (215/4) ما نصه (الفائدة الثلاثون) : إن كان الرجل مجتهدا في مذهب إمام ولم يكن مستقلا بالاجتهاد فهل له أن يفتي بقول ذلك الإمام؟ على قولين: وهما وجهان لأصحاب الشافعي واحدا أحدهما الجواز ويكون متبعا مقلدا للميت لا له وإنما له مجرد النقل عن الإمام والثاني لا يجوز له أن يفتي لأن السائل مقلد له لا للميت وهو لم يجتهد له والسائل يقول له : أنا أقلدك فيما يفتي به.

وقال في (215/4) ما نصه (هل يجوز للحبي تقليد الميت والعمل بفتواه من غير اعتبارها بالدليل الموجب لصحة العمل بها؟ فيه وجهان لأصحاب الإمام أحمد: فمن منعه قال: يجوز تغيير اجتهاده لو كان حيا فإنه كان يجدد النظر عند نزول هذه النازلة... والثاني الجواز وعليه عمل جميع المقلدين في أقطار الأرض وخيار ما بأيديهم تقليد الأموات... والأقوال لا تموت بموت قائلها كما لا تموت الأخبار بموت رواها).

وقال في (234/4) (الفائدة الثامنة والأربعون): إذا كان عند الرجل الصحيحان أو أحدهما أو كتاب من سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مؤثق بما فيه فهل له أن يفتي بما يجده فيه... والصواب في هذه المسألة التفصيل فإن كانت دلالة الحديث ظاهرة بينة لكل من سمعه لا يحتمل غير المراد فله أن يعمل به ويفتي به ولا يطلب التزكية له من قول فقيه أو إمام بل الحجة قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... وإن كانت دلالاته خفية لا يتبين المراد منها لم يجز له أن يعمل ولا يفتي بما يتوهمه مرادا حتى يسأل ويطلب بيان الحديث ووجهه... ثم قال: وهذا كله إذا كان ثمة نوع أهلية ولكنه قاصر في معرفة الفروع وقواعد الأصوليين والعربية وإذا لم تكن ثمة أهلية قط ففرضه ما قال الله تعالى ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾⁽²⁷¹⁾.

وقال في (237/4) جوابا على سؤال: هل للمفتي أن يفتي بغير مذهب إمامه؟ ينقل عن أبي عمرو بن الصلاح: (ومن وجد حديثا يخالف مذهبه فإن كملت آلة الاجتهاد فيه مطلقا أو في مذهب إمامه أو في ذلك النوع أو في تلك المسألة فالعمل بذلك الحديث أولى وإن لم تكمل آفته ووجد في قلبه حزازة من مخالفة الحديث بعد أن بحث فلم يجد لمخالفته عنده جوابا شافيا فلينظر هل عمل بذلك الحديث إمام مستقل أم لا فإن وجد فله أن يتمذهب بمذهبه في العمل بذلك الحديث ويكون عذرا له في ترك مذهب إمامه في ذلك والله اعلم).

وقال بعد ذلك مباشرة: (الفائدة الخمسون): هل للمفتي المنتسب إلى مذهب إمام بعينه أن يفتي بمذهب غيره إذا ترجح عنده؟ إن كان سالكا سبيل ذلك الإمام في الاجتهاد ومتابعة الدليل فله أن

(¹²⁷¹) سورة الأنبياء الآية (7).

يفتي بما ترجح عنده من قول غيره وغن كان مجتهدا متقيدا بأقوال ذلك الإمام لا يعدوها إلى غيرها فقد قيل: ليس له أن يفتي بغير قول إمامه فإن اراد ذلك حكاة عن قائله حكاية محضة والصواب أنه إذا ترجح عنده قول غير إمامه بدليل راجح فلا بد ان يخرج على اصول إمامه وقواعده فإن الأئمة متفقون على أصول الأحكام ومتى قال بعضهم قولاً مرجوحاً فأصوله تدره وتقتضي القول الراجح فكل قول صحيح فهو يخرج على قواعد الأئمة بلا ريب فإذا تبين لهذا المجتهد المقيد رجحان هذا القول وصحة مأخذه على قواعد إمامه فله أن يفتي به. وبالله التوفيق.

فهذه مقاطع من كلامه في غضون حديثه عن الفتوى وشرطها وآدابها أفتراه كلام من يحرم التقليد ويلزم الناس جميعاً بالأخذ بالكتاب والسنة مباشرة أم تراه يحرم الالتزام بمذهب معين أم تراه يأمر المقلد بأن يظل عمره يقفز من مجتهد إلى آخر؟

أست ترى أن كل مقطع من هذه المقاطع تصريح بشكل لا يحتمل الريب بأن الجاهل لا يسعه إلا التقليد وأن المتمذهب بمذهب معين لا يجوز له أن يفتي الناس في مسألة ما بغير مذهبه إلا أن يكون مجتهداً فيها وأن تقليد الميت كتقليد الحي على السواء لأن الأقوال لا تموت بموت قائلها على حد تعبيره وإن الاعتماد على كتب الحديث وحدها لا تجعل من المقلد مجتهداً؟!.

وإذا كان ابن القيم يرى ما يراه هذا المنكر ومن أن تقليد الأئمة تقليد لغير المعصوم وتقليد الرسول تقليد للمعصوم فلا يجوز لأحد إلا الأخذ من المعصوم مباشرة فما باله يجعل من تقليد المذاهب الأربعة موضوعاً لبحثه وأساساً لتعريفاته وما باله يحجر على المقلد الأخذ من كتب الحديث ويمنعه من الافتاء ويمنع السائل من الاعتماد عليه ويحذره (الموقت) الذي يتهمون به عامة المسلمين المقلدين لمذاهب أئمتهم... عسى أن يسهل لهم هذا التعصب له إذا ما تأملوا في نصوصه هذه سبيل الرجوع إلى جادة الحق.

أما النص الذي وقع عليه اختيار ذلك المنكر من مجموع ما قاله ابن القيم في هذا الصدد واستله من كتابه دون غيره ليعتمد عليه فيما يدعي من حرمة المتذهب بمذهب معين فهو بعيد كل البعد عن دعواه ليس له إليها أي منفذ أو سبيل.

والنص الذي اختاره من مجموع كلامه هو قوله : (... بل لا يصح للعامي مذهب ولو تمذهب به فالعامي لا مذهب له فإذا قال : أنا شافعي أو حنفي أو حنبلي أو مالكي أو غير ذلك لم يصر كذلك بمجرد القول...)

والكلام الذي قبله وبعده بيان لما لا خلاف في حقيقته وهو عدم وجوب التزام المقلد لمذهب واحد في كل فروعه ومسائله وقد قلنا إن هذا محل وفاق واستبعدناه عن مجال البحث ولكن هذه الفقرة التي نقلناها من كلامه هي وحدها التي قد توهم تصديق ما يدعوا إليه المنكر من نبذ التقليد وحمل الناس جميعا على الأخذ من الكتاب والسنة غير أن العبارة ليست من هذا في شيء .

إن المقصود بهذا الكلام الذي قاله كثير من العلماء أن العامي إذا لقي مفتيا لمشكلته التي يبحث عن حكمها وسأله عنها فإن عليه أن يأخذ بما يقول وليس للعامي أن يطلب إليه افتاء فيها بموجب مذهب معين ذلك لأن المفتي مجتهد وإلا لم يجوز أن يسمى أو ينصب مفتيا والمجتهد إنما يجيب السائل حسب ما أداه إليه اجتهاده وليس له أن يقلد مجتهدا مثله ثم يفتيه بمذهبه في ذلك نعم للعامي أن يسأله عما يقول الشافعي في مشكلته وله أن يروي له ما يقول فيها على وجه النقل لا الفتيا أما أن يحمل العامي المجتهد على أن يفتيه بمذهب إمامه فليس له ذلك لأنه ليس أكثر من جاهل يدعي علما بمذهب إمام معين ونسبة إليه وهو لو كان كذلك لما احتاج إلى استفتاء هذا المجتهد وسؤاله وتعبيرا عن هذا المعنى الذي لا شك ولا إشكال فيه قال العلماء : مذهب العامي مذهب مفتيه وليس للعامي مذهب معين .

ولكن ما هو مصير العامي عندما يلتفت حوله فلا يرى مفتيا (أي مجتهدا مطلقا) ولا يرى إلا علماء مقلدين كل منهم يلتزم مذهبا معينا ومن يسمى مفتيا بينهم إنما أطلق عليه هذا الاسم تشبيها ومجازا؟ .. إن قاعدة (مذهب العامي مذهب مفتيه) لا تنطبق في هذه الحال إطلاقا كما هو واضح إذ لا مفتي له وإنما الذي يتعين عليه أن يستفتي واحدا من المجتهدين السالفين وقد مر بك أن العلماء قالوا وفي مقدمتهم ابن القيم : إن الأقوال لا تموت بموت قائلها فيجوز للحي تقليد الميت .

وخير من يستفتيه من المجتهدين السالفين الأئمة الأربعة بإجماع علماء هذه الملة بأسرها بسبب ما نالته مذاهبهم من الخدمة والتمحيص والتدوين وتوفر أسباب الطمأنينة في صحة إسنادها إلى أربابها كما لم يتوفر مثل تلك الأسباب بالنسبة لأي مذهب آخر فهو يسأل من شاء منهم عن طريق سؤال علمائه والمتفقيين فيه أو دراسة كتبه إن أمكنه ذلك ثم له أن يلتزم واحدا منهم لكل ما يعرض له من مسائل واحكام وله أن ينتقل من احدهم إلى الآخر بالشروط التي ذكرها العلماء والتي أوضحنا طرفا منها فيما مضى .

والعامي - وهو يفعل هذا - لم يخرج في الحقيقة عن قاعدة (مذهب العامي مذهب مفتيه) لأنه لما لم يجد من حوله مفتيا واضطر إلى استفتاء الشافعي مثلا فقد أصبح مذهب هو مذهب الشافعي نفسه بموجب نص القاعدة ذاتها .

فهذا هو معنى كلام ابن القيم تجده مفصلا واضحا في سائر كتب الأصول في باب الاجتهاد ارجع إلى أي منها شئت تجد تفصيل ذلك كله .

ثم إليك ما يقول الكمال بن الهمام في هذا الصدد:

قال في التحرير ما نصه : (وهل يقلد غيره أي غير من قلده أو لا) في غيره أي في غير ذلك الشيء ؟ المختار : نعم للقطع بأنهم كانوا يستفتون مرة واحدا ومرة غيره غير ملتزمين مفتيا واحدا فلو التزم مذهبنا معينا كأبي حنيفة أو الشافعي فقليل : يلتزم وقيل لا ثم أخذ شارح التحرير يرجح القول بعدم وجوب الالتزام وهو مذهب جمهور العلماء إذ لا واجب إلا ما أوجب الله والله ما أوجب على الجاهل إلا تقليد العالم المجتهد ولم يوجب عليه التزام واحد بعينه دائما والغريب أن صاحب الإنكار عزا إلى الكمال بن الهمام كلاما طويلا غير هذا لم يقله ولم يتفوه به إنما هو كلام ذكره ابن أمير حاج في شرحه للتحرير واسم كتابه (التقرير والتحبير) وقد اختلط الأمر على (العلامة) صاحب الإنكار فأسند الكلام الذي ساقه إلى ابن الهمام وهو لم يقله أصلا وأسند إليه كتابا اسمه التقرير والتحبير وهو لم يؤلف كتابا بهذا الاسم أصلا .

على أن ما قاله ابن أمير حاج في ذلك هو عين ما قاله ابن القيم عن العامي الذي جاء يستفتي المفتي مع أنه لا مذهب له وأن مذهبه مذهب مفتيه وقد ذكرنا معنى هذا الكلام وأوضحنا المقصود منه .

• الدليل السادس: زعم أن حدوث المذاهب الأربعة إنما كان بسبب السياسة الغاشمة واستيلاء الأعاجم ذوي الأغراض على الملك وعزا صاحب الإنكار زعمه هذا إلى مقدمة ابن خلدون فقال : (إن أردت الاطلاع على اسباب حدوث المذاهب والطرائق فعليك بمطالعة مقدمة تاريخ ابن خلدون فإنه قد أبدع في هذا البيان فجراه الله خيرا وأفاد أن المذاهب حدوثها وشيوعها إنما هي بسبب السياسات الغاشمة واستيلاء الأعاجم ذوي الأغراض على الملك).

أقول: وقد فعلنا ما أشار به صاحب الإنكار فرجعنا إلى مقدمة ابن خلدون وطالعناها وتبعنا كلامه عن نشأة المذاهب وأسبابها فما وقعنا في شيء من ذلك على هذا الزعم الذي اسنده إليه صاحب الإنكار وما وقفنا من كلامه في ذلك إلا على ما هو الحق المبين المتفق عليه من قبل جمهور المسلمين مما لا يُعجب صاحب الإنكار في قليل ولا كثير .

قال في (2160 | : بولاق) بصدد حديثه عن علم الفقه وكيفية نشأته ونشأة مذاهبه ما نصه:

(.... إن الصحابة كلهم لم يكونوا اهل فتيا ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم وغنا كان ذلك مختصا بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالاته بما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم او ممن سمعه منهم من عليتهم وكانوا يسمون لذلك القراء... وبقي الأمر كذلك صدر الملة ثم عظمت أمصار الإسلام وذهبت الأمية من العرب بممارسته الكتاب وتمكن الاستنباط وكمل الفقه وأصبح صناعة وعملا فبدلوا باسم الفقهاء والعلماء وانقسم الفقه فيهم إلى طريقتين :

أهل الرأي والقياس وهم اهل العراق وطريقة اهل الحديث وهم اهل الحجاز وكان الحديث قليلا في اهل العراق لما قدمناه فاستكثروا من القياس ومهروا فيه فلذلك قيل : أهل الرأي ومقدم جماعتهم الذي استقر المذهب فيه وفي أصحابه أبو حنيفة النعمان وإمام أهل الحجاز مالك بن أنس والشافعي من بعده ثم انكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به وهم الظاهرية وجعلوا

المدارك كلها منحصرة في النصوص والإجماع وردوا القياس الجلي والعلة المنصوصة إلى النص لأن النص على العلة نص على الحكم في جميع محالها وكان إمام هذا المذهب داود بن علي وابنه وأصحابها وكانت هذه المذاهب إذ ذاك هي مذاهب الجمهور المشتهرة بين الأمة).

وأوضح بعد ذلك أن مذهب الظاهرية درس بدروس أئمتته بتدوين الأصول وتقعيد قواعد الاستنباط من النصوص والرأي وبسبب إنكار الجمهور على منتحليه ثم قال: (ولم يبق إلا في بعض الكتب المجلدة وربما يعكف كثير من الطالبين ممن تكلف بانتحال مذهبه على تلك الكتب يروم أخذ فقههم منها ومذهبه فلا يأتي بطائل وبصير إلى مخالفة الجمهور وإنكارهم عليه وربما عد بهذه النحلة من اهل البدع بنقله العلم من الكتب من غير مفتاح المعلمين).

ثم أخذ ابن خلدون يترجم لكل من الأئمة الأربعة ويوضح مدى فضله وعلمه ، وكيفية اخذهم الفقه واصول بعضهم وكيف مزج أصحاب ابي حنيفة طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق فتلاقت المدرستان بذلك وبين مدى انتشار مذهب كل منهم والكمال الذي انتشر فيه ثم قال: (وسد الناس باب الخلاف وطرقه بعد ذلك لما كثر تشعب الاصطلاحات في العلوم ولما عاق عن الوصول إلى رتبة الاجتهاد ولما فشي من إسناد ذلك إلى غير أهله ومن لا يوثق برأيه ولا بدينه).

فهذه خلاصة ما قاله ابن خلدون عن المذاهب ونشأتها وكله مما لا يعجب صاحب الإنكار ومما لا يفيد أن يشد أزره به وأرجو من القارئ الكريم ان يعود إلى هذا البحث في مقدمة ابن خلدون فيقرأه بطوله ثم يجهد جهده أن يضع يده على كلمة واحدة يجدها تتحدث عن السياسات الغاشمة التي تدخلت في إنشاء المذاهب الأربعة على حد تعبير صاحب الإنكار وليسم القارئ بعد ذلك هذا العمل من حضرة صاحب الإنكار بالاسم الذي تطلقه اللغة العربية وغير العربية عليه وليعذرني إن لم أفعل انا ذلك ، فقد التزمت^[28] في مقدمة هذه الرسالة ان لا أتناول الموضوع إلا بالمعالجة العلمية المجردة وأن لا أحمل قلمي على أي تعبير أو وصف ينزل عن ذلك المستوى وإن كان كلامه هو محشوا بمثل هذه الأوصاف والتعابير .

[28] المقصود الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .

• الدليل السابع : قوله : (يقال للمقلد : على أي شيء كان الناس قبل أن يوجد فلان وفلان الذين قلدتموهم وجعلتم اقوالهم بمنزلة نصوص الشارع ... أفكان الناس قبل وجود هؤلاء على هدى أو ضلالة ؟ فلا بد أن يقرؤا بانهم كانوا على هدى فيقال لهم : فما الذي كانوا عليه غير اتباع القرآن والسنة والآثار وتقديم قول الله تعالى ورسوله وآثار الصحابة رضي الله عنهم على ما يخالفها والتحاكم إليها دون قول فلان وفلان برأيه ؟ وإذا كان هذا هو الهدى فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى يؤفكون؟! ...) الكراس .

ونحن نقول في الكشف عن هذا الدليل العجيب ونجيب عن المقلد الذي يسأله صاحب الإنكار هذا السؤال فنقول : كان الناس قبل وجود فلان وفلان يفعلون كما قال ابن خلدون في الفصل الذي اعتمدت أنت بنفسك على كلامه ألم يقل ابن خلدون في نفس ذلك الفصل : (إن الصحابة كلهم لم يكونوا اهل فتيا ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم وإنما كان ذلك مختصا بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالاته) . فما معنى هذا الكلام الواضح ؟ . إذا كان أهل الفتيا والاجتهاد من الصحابة عددا محصورا ومميزا فيهم كما يقول وكان الباقي منهم دون هذه المرتبة فعمن يتلقى هؤلاء الباقيون إذا دينهم ؟ ... لا جرم أنه يتلقونه من هذا العدد المحصور الممتاز عنهم بالقدرة على الاجتهاد والاستنباط وهل التقليد شيء آخر غير هذا ؟ .. إذا لم يختلف الأمر ولم يتبدل بين العهدين كان العوام في عصر الصحابة يقلدون من اشتهر في عصرهم بالفتيا والاجتهاد وكانوا في عصر التابعين أيضا يفعلون ذلك وفي العصر الذي يليه يفعلون ذلك أيضا وما الشافعي وأبو حنيفة وأحمد ومالك إلا طائفة من هؤلاء المجتهدين جاء للعوام ان يقلدوهم كما جاز لمن قبلهم من العوام أن يقلدوا مثلهم وكما جاز للعوام من الصحابة أن يقلدوا مجتهدة عصرهم من امثال ابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت والخلفاء الراشدين .

ألم يجمع كل علماء التاريخ وتاريخ التشريع على انه كان في عهد التابعين مذهبان عظيمان : مذهب أهل الحديث في الحجاز ومذهب أهل الرأي في العراق وأن عامة أهل الحجاز كانوا يقلدون

المذهب السائد عندهم وعامة أهل العراق يقلدون المذهب السائدة فيما بينهم وأنه كان لهذا المذهب أئمة وللذهب الآخر أئمة؟! .

فما الذي حدث مما يخالف هذا الواقع عندما ظهرت المذاهب الأربعة؟ لم يظهر جديد كل ما في الأمر أن أئمة هذه المذاهب الأربعة وضعوا منهجا للاستنباط فيما بينهم واشتقوه من أدلة الكتاب والسنة ضبطوا به الرأي والقياس السليم وميزوه عن الرأي والأقيسة الباطلة فتلاحم بذلك كل من مذهبي الرأي والحديث واختفى - تدريجيا كل من طرفي الإفراط والتفريط وكان هذا من أكبر العوامل لتبوء المذاهب الأربعة مكانة عليا في صعيد البحث والاجتهاد ولإقبال مختلف الفئات والطبقات على التزامها والأخذ منها وهذا الواقع شيء معروف ومدروس لا أظنني بحاجة إلى أن أنفق وقتا في سرد أدلة ونصوص عليه .

إذا فأي اختلاف حصل في جوهر واقع الاجتهاد والتقليد حتى يقول صاحب الإنكار: على أي شيء كان الناس قبل فلان وفلان وكأنه ألزم بذلك الخصم إلزاما لا مخلص منه؟! .. وأي ضلال وأي إفك وقع فيه مقلدوا المذاهب الأربعة وهم ليسوا في ذلك إلا كالذين قلدوا من قبلهم مذهب الرأي أو الحديث وكالذين قلدوا من قبلهم أئمة الصحابة ومجتهديهم؟! .
لا مناص من التقليد ولا مانع من اتباع مذهب معين ودليل ذلك:

لخصنا لك فيما مضى الأدلة التي قالها صاحب الإنكار على دعواه وأوضحنا بما لا يدع أي شك لمنصف أنها ليست أدلة إلا من حيث أن صاحب الإنكار اعتبرها كذلك فهي أقوال لا ينهض بها أي دليل أو جزء من دليل يقره العلم ويعتد به وتسمية صاحب الإنكار إياها (دليلا) لا يغير شيئا من حقيقة الأمر .

وما لم نتعرض له من كلامه بنقاش أو رد تفصيلي فكله منصب على تلك البنود الثلاثة المتفق عليها عند العلماء جميعا والتي أخرجناها من حيز الخلاف ولذلك لم نتعرض له بشيء ولم نجد ما يدعو إلى تضييع الوقت فيه ومع ذلك فما ينبغي أن نثبت عكس ما يدعيه صاحب الإنكار عن طريق تزييف

أدلته فقط بل لا بد أن نطالب أنفسنا من وراء ذلك ببراهين إيجابية جديدة تدل على فساد المزاعم الخطيرة التي يدعيها صاحب الإنكار وتثبيت عكسها تماما.

إن ما يحاول صاحب الإنكار تقريره ينحصر في أمرين اثنين لا ندري سبيلا للتوفيق بينهما بل ولا ندري كيف يتلاقيان معا في ذهب ذلك المنكر :

فالأمر الأول الذي يدعيه ويكرره في أكثر من مكان من كلامه هو حرمة التقليد مطلقا مستدلا بأن المجتهد غير معصوم والكتاب والسنة معصومان واتباع المعصوم أفضل من اتباع غير المعصوم وبأن الاجتهاد سهل لا يحتاج إلى أكثر من الموطأ والصحيحين وسنن أبي داود وجامع الترمذي. والأمر الثاني الذي يدعيه ويكرره أيضا هو أن المقلد ليس عليه أن يلتزم مذهبا بعينه وإذا فعل ذلك فهو ضال وهو من الحمر المستنفرة... .

ولست أدري ما هي وسيلة الجمع بين هذين الأمرين! .. إذا كان التقليد من أصله باطلا لأنه اتباع غير المعصوم فما معنى النهي عن نوع من التقليد بعينه وهو التزام مذهب معين؟! .. وإذا كان الباطل من التقليد هو هذا النوع فما معنى إطراح التقليد من أساسه والاستدلال له باتباع المعصوم وغير المعصوم؟! لست أدري صورة الحكم في مجموعه كما هو في ذهن صاحب الإنكار ولكنني سأضع أمام القارئ الدليل على أن التقليد أمر لا مناص منه بين المسلمين وأنه مشروع وثابت وعلى أن المقلد إذا شاء أن يلتزم مذهبا معيناً ولا يتحول عنه فله ذلك وليس مرتكبا لمنهجي ولا مقترفاً لمحرماً.

أولاً : لا مناص من التقليد وهو مشروع بإجماع المسلمين .

والتقليد هو اتباع قول إنسان دون معرفة الحجة على صحة ذلك القول وإن توفرت معرفة الحجة على صحة التقليد نفسه فالمقلد قد يعرف الحجة على صحة تقليده للعالم المجتهد ولكنه لا يعرف الحجة على صحة ما يقلد المجتهد فيه .

ولافرق بين أن تسمي هذا العمل تقليداً أو اتباعاً فكلاهما بمعنى واحد ولم يثبت أي فرق لغوي بينهما وقد عبر الله بالاتباع عن التقليد في أسوأ أنواعه فقال جل جلاله ﴿ إذ تبرا الذين اتبعوا من

الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبتروا منا ﴿^[291]﴾، فما من شك أن المراد بالاتباع هنا هو التقليد الأعمى الذي لا مسوغ له وسواء اصطلحت أنت على فارق جديد من المعنى بينهما في هذا المبحث أو لا فإن القسمة ثنائية على كل حال إذ الباحث إما أن يكون عالماً بالأدلة خبيراً بكيفية الاستنباط منها أو لا فهو مقلد للمجتهد وكثرة الألفاظ والاصطلاحات لا تغير من الواقع شيئاً .

فما الدليل على مشروعية التقليد ووجوبه عند عدم التمكن من الاجتهاد؟^[302]؛!

الدليل من وجوه

الوجه الأول : قوله جل جلاله ﴿ فاسألوا اهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾^[313] أجمع العلماء على أن الآية أمر لمن لا يعلم الحكم ولا دليله باتباع من يعلم ذلك وقد جعل عامة علماء الأصول هذه الآية عمدهم الأولى في أن على العامي تقليد العالم المجتهد ومثل هذه الآية في نفس الدلالة قوله تعالى ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾^[324] فقد نهى الله تعالى أن ينفر الناس كافة للغزو والجهاد وأمر ببقاء طائفة منهم يتفرغون للتفقه في دين الله حتى إذا عاد إخوانهم إليهم وجدوا فيهم من يفتيهم في أمر الحلال والحرام وبيان حكم الله عز وجل^[335] .

^[291] سورة البقرة الآية (166).

^[301] ينبغي أن يعلم بأن كلامنا إنما هو فيما يتعلق بالفروع من الأحكام أما الأمور الاعتقادية المتعلقة بأصول الدين فلا يجوز التقليد فيها بالإجماع والفرق أن الأمور الاعتقادية لا يغني فيها الظن وإنما سبيلها اليقين والقطع لقوله تعالى ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ ولقوله وهو ينكر على الذين اتبعوا الظن في اعتقادهم : ﴿ إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ ولا يوصل إلى اليقين إلا إشغال الفكر والاستقلال في النظر والبحث أما الأحكام الفرعية فقد تعبدنا الله فيها بالظن أي إنه جعل ظن المجتهد والباحث دليلاً شرعياً يلزمه العمل بمقتضاه والدليل على ذلك أنه ﷺ كان يبعث آحاد الناس لتعليم الناس أحكام الفروع من عبادات وغيرها ويلزمهم باتباع ما يقوله لهم هذا الواحد مع العلم بأن خبر الآحاد لا يفيد إلا الظن ... فكأنه يقول لهم إذا ظننتم - بموجب البحث أو تقليد العالم الباحث - أن الحكم كذا وجب عليكم تطبيقه والمصير إليه فهذا هو الفرق بين الواجبات الاعتقادية والأحكام العلمية .

^[311] سورة النحل الآية (43).

^[32] سورة التوبة الآية (122).

^[331] انظر تفسير الجامع لأحكام القرآن (293/8) (294).

الوجه الثاني : ما دل عليه الإجماع من أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتفاوتون في العلم ولم يكن جميعهم أهل فتيا - كما قال ابن خلدون - ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم بل كانوا فيهم المفتي المجتهد وهم قلة بالنسبة لسائرهم وفيهم المستفتي المقلد وهم الكثرة الغالبة فيهم ولم يكن المفتي من الصحابة يلتزم مع ذكر الحكم بيان دليل للمستفتي وقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يبعث الفقيه من الصحابة إلى المكان الذي لا يعلم سكانه من الإسلام إلا عقيدته والاعتقاد بأركانها فيتبعونه بكل ما يفتيهم بما هداه إليه الاجتهاد فيقلدونه في ذلك .

يقول الغزالي في المستصفى في باب التقليد والاستفتاء مستدلا على أن العامي ليس له إلا التقليد ما نصه : (ونستدل على ذلك بمسلكين أحدهما إجماع الصحابة فإنهم كانوا يفتون العوام ولا يأمر ونهم بنيل درجة الاجتهاد وذلك معلوم على الضرورة والتواتر من علمائهم وعوامهم)^[341]. وقال الأمدى في كتابه الأحكام : (وأما الإجماع فهو أنه لم تزل العامة في زمن الصحابة والتابعين قبل حدوث المخالفين يستفتون المجتهدين ويتبعونهم في الأحكام الشرعية العلماء منهم يبادرون إلى إجابة سؤاهاهم من غير إشارة إلى ذكر الدليل ولا ينهونهم عن ذلك من غير نكير فكان إجماعا على جواز اتباع العامي للمجتهد مطلقا)^[352].

وقد كان المتصدرون للفتوى في عصر الصحابة أفرادا محصورين عرفوا بين الصحابة بالفقه والرواية ومملكة الاستنباط وأشهرهم الخلفاء الأربعة وعبدالله بن مسعود وابو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت أما المقلدون لهؤلاء في المذهب والفتوى فكانوا فوق الحصر .

أما في عهد التابعين فقد استتعت دائرة الاجتهاد وسلك المسلمون في هذا العهد نفس الطريق الذي سلكه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن الاجتهاد تمثل في مذهبين

^[341] المستصفى للغزالي (385/2).

^[351] الأحكام للأمدى (171/3).

رئيسيين هما مذهب الرأي والحديث بسبب العوامل الاجتهادية التي ذكرناها عندما نقلنا كلام ابن خلدون.

ومن أقطاب مذهب الرأي في العراق: علقمة بن قيس النخعي ومسروق بن الأجدع الهمداني وإبراهيم بن زيد النخعي وسعيد بن جبير وقد كان عامة من في العراق وما حولها يقلدون هذا المذهب من دون أي نكير.

ومن أقطاب مذهب الحديث في الحجاز: سعيد بن المسيب المخزومي وعروة بن الزبير وسالم بن عبدالله بن عمر وسليمان بن يسار ونافع مولى عبدالله بن عمر وكان أهل الحجاز وما حولها يقلدون هذا المذهب دون نكير.

وقد كان بين اقطاب هذين المذاهبين مناقشات وخصومات حادة في بعض الأحيان ولكن العوام والمتعلمين ممن كانوا دونهم في العلم والفقهاء لم يكن يعينهم شأن تلك الخصومة إذ كانوا يقلدون من شأؤوا أو من كان قريبا منهم دون أي إنكار من أحد عليهم ومناقشة المجتهدين بعضهم لبعض لا تنعكس باي تبعية أو مسؤولية على الجاهل المعذور.

الوجه الثالث: الدليل القطعي (العقلي) البين ونعبر عنه بما قاله العلامة الشيخ عبدالله دراز: (...). والدليل المعقول هو أن من لم يكن عنده أهلية الاجتهاد إذا حدثت به حادثة فرعية فإما ان لا يكون متعبدا بشيء أصلا وهو خلاف الإجماع وإن كان متعبدا بشيء فإما بالنظر في الدليل المثبت للحكم أو بالتقليد والأول ممتنع لأن ذلك مما يفضي في حقه وحق الخلق أجمع إلى النظر في ادلة الحوادث والاشتغال عن المعاش وتعطيل الحرف والصناعات وخراب الدنيا بتعطيل الحرث والنسل ورفع التقليد راسا وهو منتهى الحرج فلم يبق إلا التقليد وانه هو المتعبد به عند ذلك الغرض^[361].

ولما رأى العلماء تكامل كل من دليل الكتاب والسنة والعقل على ان العامي أو العالم الذي لم يبلغ درجة الاستنباط والاجتهاد ليس له إلا أن يقلد مجتهدا متبصرا بالدليل.

^[361] انظر تعليق الشيخ عبدالله دراز على الموافقات للشاطبي (22/4) وانظر ما قاله في ذلك الآمدي والغزالي في المرجعين السابقين .

قالوا: إن فتوى المجتهد بالنسبة للعامة كدليل الكتاب والسنة بالنسبة للمجتهد لأن القرآن كما ألزم العالم به التمسك بدلائله وبراهينه فقد ألزم الجاهل بالتمسك بفتوى العالم واجتهاده في بيان ذلك يقول الشاطبي: (فتاوى المجتهدين بالنسبة إلى العوام كالأدلة الشرعية بالنسبة إلى المجتهدين والدليل عليه ان وجود الأدلة بالنسبة إلى المقلدين وعدمها سواء إذ كانوا لا يستفيدون منها شيئاً فليس النظر في الأدلة والاستنباط من شأنهم ولا يجوز ذلك لهم البتة وقد قال الله تعالى ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾⁽³⁷¹⁾، والمقلد غير عالم فلا يصح له إلا سؤاله أهل الذكر واليهام مرجعه في احكام الدين على الإطلاق فهم إذا القائمون له مقام الشرع واقوالهم قائمة مقام الشارع⁽³⁸²⁾.

هذا ولا بد أن أذكرك بالنصوص التي سقناها لابن القيم والدهلوي والعز بن عبدالسلام والكمال بن الهمام في معرض الرد على أدلة صاحب الإنكار وكلها تنطوي على أدلة مشروعية التقليد بالنسبة لمن قصرت رتبته العلمية عن القدرة على استنباط الأحكام والاجتهاد فيها . وإذا ظهر لك الدليل الواضح القائم على اساس النقل الصحيح والإجماع القطعي والبدهة العقلية على مشروعية التقليد بل ووجوبه عند القصور عن درجة الاستنباط والاجتهاد فاي فرق عندئذ بين ان يكون المجتهد المقلد واحدا من أفراد الصحابة أو واحدا من أئمة مذاهب الرأي او الحديث أو واحدا من أئمة المذاهب الأربعة ما داموا جميعا مجتهدين وما دام الآخر مقلدا جاهلا بكيفية الاستدلال والاستنباط؟! .

وما معنى القول بأن نشأة المذاهب الأربعة بدعة وأن اتباعها وتقليدها بدعة أخرى؟ لماذا تعتبر نشأة المذاهب الأربعة بدعة ولا تعتبر نشأة مذهب الرأي والحديث ايضا كذلك؟ ولماذا يكون مقلد الشافعي والحنفي مبتدعا ولا يكون مقلد النخعي في العراق وسعيد بن المسيب في الحجاز كذلك؟ بل لماذا يكون اتباع هذه المذاهب الأربعة ابتداعا ولا يكون مثله في الابتداع مذهب عبدالله بن عباس أو عبدالله بن مسعود أو عائشة أم المؤمنين؟! .

⁽³⁷¹⁾ سورة النحل الآية (43).
⁽³⁸²⁾ المطبوعات للشاطبي (290/4 - 292).

وماذا فعل أئمة المذاهب الأربعة من البدع حتى نصد العامة عن تقليدهم ونتهمهم بالابتداع إن هم التزموا اتباعهم؟ ... أي شيء زادوه على أسلافهم المجتهدين من الصحابة والتابعين؟! إن كل ما يعتبر جديدا من عملهم أنهم دونوا السنة والفقه من جانب ووضعوا أساسا ومنهجيا للاستنباط والبحث من جانب آخر فكان من نتيجة ذلك أن انكسرت حدة الخلاف بين مذهبي الرأي والحديث من قبلهما واصطلح الفريقان على تحكيم الميزان الجديد المستند هو أيضا بدوره إلى دلائل السنة والكتاب والإجماع فقويت بذلك أركان هذه المذاهب الأربعة ورسخت جذورها ودونت أصولها وفروعها وأولاهها العلماء العناية والتمحيص فكان سر امتداد أجلها وانتشار كتبها ودفاع العلماء في كل عصر من العصور عنها مع الاتفاق على أنه ليس لأي عالم فهم مدرك الحكم ودليله وكان لديه من ملكة الاستنباط والبحث ما يطمئن به إلى سلامة فهمه وعلمه ان يقلد أحدا من هؤلاء الأئمة في ذلك الحكم.

هذا هو الجديد الذي امتازت به المذاهب الأربعة عن المذاهب الأخرى فأبي بدعة تكتنفها واي ضلالة تحيق بأولئك الملايين الذين اتبعوها وبأي سبب علمي أو شبه علمي يدعي صاحب الإنكار هذا بأن هذه المذاهب أمور مبتدعة وأن التمهذب بها بدعة نشأت بعد القرن الثالث وبأي وجه شرعي يشبه المقلدين لهذه المذاهب بالحرر المستنفرة؟!!

حسبي بعد أن أوضحت حقيقة التقليد ودليله وموقع المذاهب الأربعة من المذاهب التي قبلها وواقع المسلمين في عصر هذه المذاهب وقبلها أن أضع أمام القارئ العاقل المنصف هذه الأسئلة التي تثير العجب العجيب من كلام هذا المنكر ولن أتبرع أنا بالجواب عن شيء من هذه الأسئلة فإن في إنصاف أي قارئ عاقل ما يقنعه بجنوح هذا الإنكار وصاحبه عن الحق البين النير الصريح.

ولنتقل بعد هذا إلى الدليل على الأمر الثاني

ثانيا: لا يحرم على المقلد التزام مذهب معين

فإذا انتهينا بعد حديثنا السابق إلى ان الجاهل المقصر عن رتبة الاجتهاد والاستنباط لا يسعه إلا التقليد وثبت لنا ذلك بالأدلة الواضحة التي عرضناها فإننا نسأل بعد ذلك هل على المقلد أن

يستبدل كل يوم بإمامه الذي يتبعه إماما جديدا؟ أو هل عليه أن يفعل هذا كل شهر أو كل سنة مثلا؟ ... وإذا كان هذا هو الحكم أي إذا كان عليه أن يلتزم تغيير إمامه المتبع بين كل حين وآخر فما هو الدليل الشرعي على ضرورة الالتزام؟

نقول في الجواب: إن واجب الجاهل بدليل الحكم أن يقلد كما ذكرنا والأمر في ذلك مطلق كما هو واضح من دلالة قوله تعالى ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾^[391]. فمهما سأل الجاهل أهل الذكر وقلدهم فيما أفتوا به وذهبوا إليه فقد طبق أمر الله بالنسبة لنفسه سواء التزم إماما بعينه أو لم يلتزمه وسواء أكان التزامه بسبب قربه منه أو سهولة اطلاعه على مذهبه أو لمزيد من الاطمئنان لديه إلى آرائه ومذهبه فإن اعتقد أن عليه أن يلتزم إماما بعينه لا يحيد عنه ولا يستبدل به غيره فهو مخطئ وإن اعتقد حكما من عند الله عز وجل دون أن يتبع في اعتقاده هذا مجتهدا قد أخطأ في اجتهاده كان آثما وإن اعتقد أن عليه ان يلتزم استبدال إمامه كل يوم أو بين كل حين وآخر فهو أيضا مخطئ وإن اعتقد حكما منزلا من الله عز وجل ولم يكن له عذر الانخداع براي من يتظاهر بمظهر الاجتهاد كان آثما أيضا إذ كل ذلك تزيد على أمر الله وحكمه.

إن عليه أن يعلم بأن واجبه اتباع مجتهد في كل ما لا يستطيع فهمه من الأدلة الأصلية ولم يكلفه الله تعالى أكثر من ذلك أي لم يكلفه باي التزام لا التزام التغيير في الأئمة ولا التزام التمسك بواحد على الدوام.

هذا هو الحكم المتفق عليه لدى العلماء والأئمة ودليل ذلك من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن إيجاب التزام إمام واحد أو التزام تغيير الأئمة حكم زائد على الأصل الذي هو واجب الاتباع والتقليد فلا بد له من دليل ولا دليل له.

إذ لم يرد الدليل إلا ببيان أن على من لم يستطع تمحيص الأدلة واستنباط الأحكام منها أن يتبع إماما توفرت لديه قدرة الاجتهاد وكل شرط يزداد على مدلول هذا الدليل فهو ابتداء واختراع باطل لا

(391) سورة النحل الآية (43).

يؤبه به والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيما صح عنه: (كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط)⁽⁴⁰¹⁾.

والعجيب أن صاحب الكراس يستدل على ما يدعيه من حرمة التزام مذهب بعينه بهذا الذي نقوله من أنه لا دليل على وجوب الالتزام وإذا كان إيجاب الالتزام أمراً لا دليل عليه كما نقول فما الفرق بين أن يوجب المقلد على نفسه التزام التغيير أو التزام عدم التغيير؟ ولماذا يكون أولهما واجبا لا مناص منه وثانيهما محرما لا مسوغ له مع أن كلا منهما داخل تحت الالتزام المنهي عن تصور وجوبه؟! .

وإذا فليس على المقلد المعذور في تقليده إلا أن يعلم وجوب ذلك عليه فإن اعتقد ان واجبه التزام إمام بعينه لا يتحول عنه أو أن واجبه التزام التحول من إمام إلى آخر كل يوم فهو على خطأ ويجب تنبيهه إلى الصواب أما إن علم أن الشارع لم يكلفه بالتزام إحدى الحالتين فهو على حق سواء التزم (من الناحية العلمية) إماما بعينه ولم يتحول عنه أو كان دأبه التحول من إمام إلى آخر⁽⁴¹²⁾.

الوجه الثاني : أننا نقول : إن هنالك عشر قراءات متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتلى بها القرآن وقد تجرد لخدمة كل قراءة من هذه القراءات إمام معين رواها وقرأ بها وأقرأها الناس وتعلمذوا عليه فيها وقد ثبت أن المسلم يقرأ بأي هذه القراءات شاء كما ثبت أن المسلم العاجز عن الاجتهاد يقلد أي المذاهب الأربعة أفيجب على المسلم إذا أن يقرأ كل حين بقراءة جديدة بحيث يحرم عليه التزام قراءة بعينها دون أن يتحول عنها؟! وهل قال أحد من المسلمين بهذا الكلام قديما أو حديثا؟ وصاحب الإنكار نفسه أيقراً القرآن كل يوم بقراءة معينة غير التي قرأ بها في الأمس .

وما الفرق بين اتباع أئمة الفقه في فروع الدين واتباع أئمة القراءات في قراءة القرآن ؟ لماذا يجب على متبع الطائفة الأولى أن يلون ويغير... ولا يجب على متبع الطائفة الثانية أن يفعل مثل ذلك؟ .

⁽⁴⁰¹⁾ أخرجه ابن حبان (4272) وروى الشيخان البخاري (2565) ومسلم (1504) عن عائشة قريبا منه بلفظ: (ما بال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط...) .
⁽⁴¹¹⁾ ولكن بشرط لصحة التحول أن لا بدعه إن ذلك هو في نفسه وتطلع إلى الفلت من التكليف والواجبات وأن لا يفتد أكثر من مجتهد واحد في عبادة واحدة عند جمهور الفقهاء والأصوليين إذ لو فعل ذلك لاستلزم الإيمان بعبادة واحدة ملققة من اجتهاد إمامين على صورة لا يرها كل منهما وأن يعلم ملقب الإمام الجديد الذي تحول إليه فيما يريد أن يتبعه فيه.

سيقول بعضهم إن المسلم قد لا يتوفر إلا على تعلم قراءة واحدة وليس له من سبيل إلى معرفة سائر القراءات الأخرى ونحن نقول مثل هذا في اتباع المذاهب أيضا إن المسلم قد لا يتوفر غلا على حفظ مذهب إمام واحد من الأئمة الأربعة وليس لديه من سبيل إلى حفظ مذاهب الأئمة الأخرى فيما يحتاج من الأحكام فلماذا نعذر الأول ولا نعذر الثاني؟ على أن القضية ليست قضية عذر أو عدمه ولكنها تعود إلى الدليل.

وليس لنا من دليل على وجوب التزام التغيير أو عدم التغيير لا في الاقتداء بأئمة القراءات ولا في الاقتداء بأئمة الفقه فالحكم فيها إذا سواء.

الوجه الثالث: أنه قد انقضى عصر الصحابة وانقضى من بعده عصر التابعين وجاء بعد ذلك دور الأئمة الأربعة والعصر الذي يليه ولم نسمع أن إماما من أئمة هذه العصور كلها حذر المقلدين للأئمة والمفتين من أن يلتزموا مفتيا بعينه ولم نسمع أن واحد منهم امر الناس أن يتنقلوا بين الأئمة يتلقون من جميعهم ويقلدون كل واحد منهم فترة من الوقت بل الذي نعلمه عكس ذلك إننا نعلم أن الخليفة كان يعلن اسم الإمام الذي عهد إليه بالافتاء ويوجه أنظار الناس في البلدة إليه ليلقوه بأسئلتهم ويتبعوه في أمر دينهم وربما منع الخليفة من دونه عن فتوى الناس كي لا يضطربوا ويحتاروا فيما يواجههم من الفتاوى المختلفة.

لقد انفرد عطاء بن أبي رباح ومجاهد بالفتوى في مكة وكان يصيح منادي الخليفة ان لا يفتي الناس إلا أحد هذين الإمامين⁽⁴²¹⁾.

ومضى على أهل مكة مدة طويلة من الزمن يلتزمون فيها مذهب هذين الإمامين وما أنكر عطاء ولا مجاهد ولا غيرهما من الأئمة على الخليفة شيئا من هذا الأمر ولا نهى واحد منهم الناس عن التزام مذهب إمام بعينه وربما اطمأنت نفس بعض الناس إلى فتاوى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فكان لا يلقي بأسئلته واستفتاءاته إلا لهذا الصحابي الجليل وما عرف أحد من العلماء أنه أو غيره من الصحابة نهى عن هذا الالتزام وأثم صاحبه من أجله وقد عاش أهل العراق أمدا طويلا من الزمن وهم يلتزمون مذهب الحديث متمثلا في شخص عبدالله بن عمرو وتلاميذه وأصحابه فلا

(421) انظر خدرات الذهب لابن العماد (148/1).

ينكر عليهم أحد من أهل العلم ذلك وقد تمذهب ملايين من الناس عواما ومتعلمين وفقهاء بمذاهب الأئمة الأربعة كل يختار منها ما يشاء أو ما يسهل عليه أو ما هو أقرب إلى موطنه ومحل سكنه وقد سجلت كتب الطبقات أسماء آلاف مؤلفة من أعيانهم وأعلامهم تقرأ تلك الأسماء في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي وفي طبقات الحنابلة للحافظ القرشي ولم يقل واحد منهم أو من أساتذتهم وأئمتهم إنه لا يجوز للمقلد في المذهب أن يلتزم مذهبا بعينه!!.. وها هو الإمام الذهبي رحمه الله تعالى الله يتحدث عن الفقهاء الذين التزموا مذهب أئمتهم مادحا ومثنيا ومؤيدا لهم في ذلك ما لم يتعصب أحدهم لمذهب إمامه مع انكشاف الدليل الصحيح له وفهمه له على وجهه.

يقول في رسالة (زغل العلم والطلب) : الفقهاء المالكية على خير اتباع وفضل إن سلم قضائهم ومفتوهم من التسرع إلى الدماء والتكفير ثم يقول : والفقهاء الحنفية أولوا التدقيق والرأي والذكاء والخير من مثلهم إن سلموا من التحيل والحيل على الربا وإبطال الزكاة... ثم يقول والفقهاء الشافعية من أكيس الناس وأعلمهم بالدين فأساس مذهبهم مبني على اتباع الأحاديث الثابتة المتصلة وإمامهم من رؤوس أصحاب الحديث ومناقبه حجة فإن حصلت يا هذا مذهبه لتدين الله به وتدفع عن نفسك الجهل فأنت بخير.. ويقول عن الحنابلة فعندهم علوم نافعة وفيهم دين بالجملة وهم قلة حظ في الدنيا والناس يتكلمون في عقيدتهم ويرمونهم بالتجسيم وبأنه يلزمهم؟ وهم بريؤون من ذلك إلا النادر والله يغفر لهم وينهى هؤلاء المتمذهبين عن التعصب المذموم لأئمتهم واعتقاد الواحد منهم بأن مذهبه أفضل المذاهب كلها ويقول: (لا تعتقد أن مذهبك أفضل المذاهب وأحبها إلى الله تعالى فإنك لا دليل لك على ذلك ولا لمخالفتك أيضا بل الأئمة رضي الله عنهم كلهم على خير كثير ولهم في صوابهم أجران على كل مسألة وفي خطئهم أجر واحد)⁽⁴³¹⁾.

فتأمل يا أخي المنصف : هذا كلام الحافظ الكبير شمس الدين الذهبي تلميذ الإمام ابن تيمية يثني على المذاهب الأربعة ويقرهم على الأخذ من أئمتهم والتزام اجتهاداتهم ويثني عليهم بالذي رأيت من كلامه فيهم محذرا إياهم بإنصاف من الانسياق في العصبية وترجيح رأي الإمام على ما اتضح لهم من الدليل المبين المفهوم وتلك هي طبقات أعلام الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة وذلك

(431) انظر زغل العلم والطلب ص (14 - 16).

هو واقع التابعين والصحابة كما شرحتك لك وأوضحت ... وكل ذلك ناطق بأين لسان مجمع بأقوى اتفاق على أن التزام المقلد لإمام معين لا يتحول عن تقليده لا ضرر فيه ولا إثم ولا حرج .. ما لم يعتقد أن الله قد كلفه بهذا الالتزام فهذا ما ننكره وينكره كافة المسلمين .

ما معنى الإمام والتمسك بمذهبه؟ وعندما توضح ما يعلمه كل مسلم منصف من أن من لم يبلغ درجة الاجتهاد لا يسعه إلا أن يتبع إماما مجتهدا سواء التزمه أو لم يلتزمه ينبغي أن نوضح أيضا معنى ضرورة اتباع هذا الإمام والتمسك بمذهبه أهو التمسك بمذهبه لشخصه أو لمزية معينة في ذاته هو؟

معاذ الله معاذ الله أن يكون في المسلمين من قال هذا لقد علم جميع المسلمين منذ عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليوم ان شريعة الله وحدها هي الحاكمة على الناس وهي وحدها المنار لهم واساس سلوكهم واقتدائهم .

ولكن لما اقتضت حكمة الله وسنته في خلقه ان يتفاوت الناس في العلوم والمعارف عموما وفي معرفة احكام الشريعة الإسلامية خصوصا كان لابد ليخضع الجميع لشريعة الله وقانونه من ان يتمسك الجاهل بذيل العالم وان يقتدي العالم بالأعلم حتى يلتقي الجميع على صراط واحد هو صراط الله العزيز الحميد وهذه الحقيقة ماثلة حتى بالنسبة لاقتدائنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنحن لا نقتدي به من حيث إنه محمد المتمثل بشخصه الإنساني المجرد وإنما نقتدي به من حيث إنه مبلغ عن الله سبحانه وتعالى ولذلك لا يقال: إن اتباع الكتاب أولى من اتباع السنة لأن كلام الله أحق وأولى بالاتباع من كلام البشر أيا كان لأن موجب اتباعنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كونه مبلغا عن الله عز وجل فنحن إنما نتبعه لذلك فقط وشأن ما بين الأئمة المجتهدين وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من التبليغ عنه والفهم لمراده المقصود بكلامه مثل شأن ما بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ورببه عز وجل من حيث التبليغ عنه وبيان ما نزل إليه من القرآن.

ولقد عبر الشاطبي عن هذا المعنى الذي أوضحته لك اجمل تعبير قال في كتابه الاعتصام (250/3) ما نصه: (إن العالم بالشريعة إذا اتبع في قوله وانقاد الناس في حكمه فإنما اتبع من حيث هو عالم بها وحاكم بمقتضاها لا من جهة أخرى فهو في الحقيقة مبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المبلغ عن الله عز وجل فيتلقى منه ما بلغ عن العلم بانه بلغ أو على غلبة الظن بأنه بلغ لا من جهة كونه منتصبا للحكم مطلقا إذ لا يثبت ذلك لأحد على الحقيقة إنما هو ثابت للشريعة المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثبت ذلك له عليه الصلاة والسلام وحده دون الخلق من جهة دليل العصمة).

ثم قال: (فإذا المكلف بأحكام الشريعة لا يخلو من احد أمور ثلاثة):
أحدها: أن يكون مجتهدا فيها فحكمه أداه إليه اجتهاده فيها ... الخ.

والثاني: أن يكون مقلدا صرفا خاليا من العلم الحاكم جملة فلا بد له من قائد يقوده وحاكم يحكم عليه وعالم يقتدي به ومعلوم أنه لا يقتدي به إلا من حيث هو عالم بالعلم الحاكم ودليل ذلك انه لو علم أو غلب على ظنه أنه ليس من أهل ذلك العلم لم يحل له اتباعه ولا الانقياد لحكمه بل لا يصح أن يخطر بخاطر العامي ولا غيره تقليد الغير في امر مع علمه بأنه ليس من أهل ذلك الأمر كما أنه لا يمكن أن يسلم المريض نفسه إلى احد يعلم أنه ليس بطبيب إلا أن يكون فاقد العقل وإذا كان كذلك فإنما ينقاد إلى المفتي من جهة ما هو عالم بالعلم الذي يجب الانقياد إليه لا من جهة كونه فلانا أو فلانا أيضا وهذه الجملة لا يسع الخلاف فيها عقلا ولا شرعا.

والثالث: أن يكون غير بالغ مبلغ المجتهدين ولكنه يفهم الدليل وموقعه ويصلح فهمه للترجيح بالمرجحات المعتمدة في تحقيق المناط ونحوه فلا يخلوا إما أن يعتبر ترجيحه او نظره أو لا فإن اعتبرناه صار مثل المجتهد في ذلك الوجه والمجتهد إنما هو تابع للعلم والحاكم ناظر نحوه متوجه شطره فالذي يشبه كذلك وإن لم نعتبره فلا بد من رجوعه إلى درجة العامي والعامي إنما اتبع المجتهد من جهة توجهه إلى صوب العلم الحاكم فكذلك من نزل منزلته

إذا علمت هذا وتصورته وانت مقبل إلى هذا الكلام بعقل منصف غير متعصب أدركت أن من الجهل الغريب والشنيع ما يقوله صاحب الإنكار (اعلم أن المذهب الحق الواجب الذهاب إليه والاتباع له إنما هو مذهب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الإمام الأعظم الواجب الاتباع) إلى ان يقول (فإن كان الأصل هكذا فمن أين جاءت هذه المذاهب؟ ولماذا شاعت وألزمت على ذمم المسلمين) ثم يكيل ألفاظ السب والشتم لأتباع هذه المذاهب والمتمسكين بها! إنه يتجاهل ما يعلمه أي دارس لتاريخ التشريع الإسلامي عن نشأة المذاهب والمصدر التي جاءت منه مما ذكرنا طرقا منه في هذه الرسالة ليوهم العوام من الناس أن أتباعها إنما كان بسبب تفضيل لها على مذهب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم !!... وقد انطلى هذا الوهم على كثير من العوام الذين لا يعلمون أي علم عن معنى الاجتهاد والتقليد ونشأة المذاهب وتسملت هذه الخديعة إلى تفكيرهم حتى راح أحدهم يقول: حقل يا أخي أنحن أتباع رسول الله أم أتباع الشافعي واي قيمة لمذاهب هؤلاء الأئمة أمام مذهب رسول الله؟!

أليس هذا الإيهام خدعة يترفع عنها كل ذي مسكة من العلم والإنصاف والإخلاص لدين الله؟! . أحقا لا يعلم صاحب الإنكار حقيقة معنى اتباع المذاهب وقد شرحها سائر العلماء في مئات الكتب والمراجع وأثبتها التاريخ في معظم مراجعه ومصادره حتى يكون معذورا بالجهل عندما يقول للعامة هذا الكلام العجيب؟!

لئن كان جاهلا بهذه الحقيقة الواضحة ومع ذلك يتنطح لهذه الدعوة الخطيرة ، فإنه لأمر مؤسف وشنيع وإن كان يعلمها جميع الباحثين والمثقفين ولكنه يتجاهلها ليفسح المجال لبدعته أن تسير إلى أدمغة الناس فإن الأمر لينطوي على ما هو أشد وأشنع!! ..

متى يجب الانقطاع عن تقليد المذاهب وإمامه هنالك حالتان يجب فيها على المقلد مهما كان شأنه أن يمتنع عن مواصلة اتباع إمامه وتقليده. الحالة الأولى: أن يصل في معرفة مسألة من المسائل إلى الإحاطة بها والاطلاع على كافة أدلتها ومعرفة كيفية استنباط الحكم منها فإن عليه أن يتبع في تلك المسألة ما يهديه إليه اجتهاده وليس له

أن يطوي ملكته العلمية فيها ليوصل السير وراء إمامه.. فإن كانت ملكته هذه تتسع لأكثر من مسألة واحدة فالحكم فيها كذلك.

الحالة الثانية: إذا رأى حديثا يدل على عكس ما يذهب إليه إمامه الذي يقلده في دينه وتاكد من صحة الحديث ودلالته على الحكم فإن عليه أن يتبع دلالة الحديث ويقلع عن التمسك بمذهب إمامه في الحكم لأن الأئمة الأربعة جميعا كانوا يوصون أصحابهم وتلاميذهم بالتحويل إلى دلالة الحديث الصحيح إذا جاء مخالفا لاجتهاداتهم فالتحول إلى الحديث هو في الحقيقة من صميم المذاهب الأربعة وهو قدر مشترك يلتقون عليه ويدينون به .

ولكن لذلك شروط لا بد من معرفتها ومراعاتها فليس كل حديث يلمحه الباحث ويرى أنه يدل على خلاف اجتهاد إمامه دالا في الحقيقة على ما فهمه هذا الباحث.
وإليك ما يقوله في بيان ذلك الإمام النووي في كتابه المجموع:

(... وهذا الذي قاله الشافعي ليس معناه أن كل واحد رأى حديثا صحيحا قال هذا مذهب الشافعي وعمل بظاهره وإنما هذا فيمن له رتبة الاجتهاد في المذهب على ما تقدم من صفته أو قريب منه وشروطه أن يغلب على ظنه ان الشافعي رحمه الله لم يقف على هذا الحديث أو لم يعلم صحته وهذا إنما يكون بعد مطالعة كتب الشافعي كلها ونحوها من كتب أصحابه الاخذين عنه وما أشبهها وهذا شرط ضعيف قل من يتصف به وإنما اشترطوا ما ذكرنا لأن الإمام الشافعي رحمه الله ترك العمل بظاهر أحاديث كثيرة رآها وعلمها لكن قام الدليل عنده على طعن فيها أو نسخها أو تخصيصها أو تأويلها أو نحو ذلك⁽¹⁴⁴⁾).

ولترك الإمام العمل بظاهر حديث ما أسابا اجتهادية كثيرة وأوصلها ابن تيمية رحمه الله إلى عشرة أسباب وأضاف إليها سببا آخر هو أنه يجوز أن يكون للعالم حجة في ترك العمل بالحديث لم نطلع عليها فإن مدارك العلم واسعة⁽¹⁴⁵⁾.

(144) المجموع للنووي (64/1).
(145) انظر ربع نلال عن الأئمة الأعلام لابن تيمية ص (31).

فإذا بحثنا عن أسباب ترك الإمام المجتهد لظاهر الحديث ولم نعثر على سبب من الأسباب العشرة التي صورها ابن تيمية فلا يجوز أن يعدل بعد ذلك عن دلالة الحديث الصحيح بحجة أنه قد يكون له عذر لم نطلع عليه وقد تكون له حجة لم يذكرها إذ أن تطرق الخطأ إلى العلماء أكثر من تطرقه إلى الأدلة الشرعية بعد معرفتها وتمحيصها وفهم المقصود منها⁽⁴⁶¹⁾.

فهذه هي أدلة مشروعية التقليد بالنسبة لمن لم يبلغ أن يكون مجتهدا وهذه هي أدلة جواز التزام المقلد مذهبا بعينه وجواز عدم الالتزام ذكرناها مفصلة واضحة ليس حولها أي غموض ولا تكتنفها أية غاشية فإن كنت يا أخي القارئ منصفاً متحرراً من العصبية وحب الانتصار للذات والنفس أدركت أن ما قلته هو الحق .

إما إذا كنت مسوقاً بدافع من العصبية والأهواء النفسية فإن كل هذا الذي أوضحته لك ليس إلا كلاماً فارغاً لا قيمة له وهيهات أن تجد فيه أي علاج لعصبيتك وأهوائك إنما العلاج أن أدعو الله لي ولك أن ينجينا من حظوظ النفس ويبعدنا عن مطارح الهوى ويهبنا نعمة الإخلاص لدينه والإنصاف في فهم شريعته.

ماذا يحدث لو أنساب الناس جميعاً في بيداء اللامذهبية

وبعد كل ما أوضحناه وسردناه من الأدلة القاطعة نتساءل: لماذا أعرضنا عن كل هذه الأدلة ودعونا الناس (اجتهاداً منا) إلى الانطلاق من قيد المذاهب واتباعها والانسياح في رحب الاجتهاد؟. وأقول لك في الجواب: ما يحدث لو دعونا الناس كلهم إلى الانطلاق في مشاريعهم العمرانية عن اتباع المهندسين والاستعانة بهم والاعتماد عليهم وفي قضاياهم وعلاجاتهم الصحية عن اتباع الأطباء والاعتماد عليهم والأخذ بأقوالهم وفي صناعاتهم وأسباب معاشهم عن اتباع أرباب الاختصاص في تلك الصناعات ونبذ الاستفادة من معلوماتهم ومهاراتهم ماذا يحدث لو دعونا الناس كلهم إلى الخروج عن اتباع هؤلاء المختصين والاستعاضة عن ذلك بالاجتهاد في كل ذلك واعتماد القناعة الذاتية التي تأتي بعد البحث والاجتهاد ثم صدقنا الناس في هذه الدعوة وفعلوا ذلك. ١

(461) انظر المرجع السابق .

إن الذي سيحدث وراء ذلك بلا شك هو الفوضى المهلكة للعمران والحرث والنسل يعمد الناس إلى تخريب بيوتهم عن طريق التعمير ويسرعون إلى إزهاق أوراخهم باسم التطبيب ويجرون على أنفسهم الفقر والضياع من وراء العمل والتصنيع ذلك لأنهم وضعوا الاجتهاد في غير مكانه وطبقوه بدون شرطه وتجاهلوا سنة الله في الكون من ارتباط فئات الناس بعضهم ببعض في مجال التعاون والتناصر والتعليم والاسترشاد.

وهذه حقيقة يعلمها الناس جميعا حتى الأطفال الصغار وحتى دعاة اللامذهبية أنفسهم ولكن لماذا لا يفهم هؤلاء الناس هذا القانون نفسه في مجال الاختصاصات الدينية وأحكام الحلال والحرام .! لا ندري!

إن النتيجة التي ستحدث لدى اقتحام الناس جميعا ميادين الاجتهاد في تلك الاختصاصات الدنيوية هي نفس النتيجة التي ستحدث لدى اقتحام الناس جميعا ميادين الاجتهاد في العلوم الشرعية وأحكام الحلال والحرام.

عندنا اليوم فقه متكامل يتعلق بجميع أحوال الناس أفرادا وجماعات استخراجة ودونه الأئمة المجتهدون وأصحابهم العلماء فهو اليوم متجسد مائل أمامنا يقول لسان حاله لنا: ليس بينكم وبين أن تطبقوا هذا الفقه في قضاياكم المدنية والجنائية وغيرها إلا أن تصنفوه بطريقتكم المفضلة... فإذا عرضنا هذه الثروة الفقهية لرياح عاتية من الاجتهاد العام لكل المسلمين كان مصير هذا الفقه مصير المشيم الذي تذرره الرياح الهائجة... وننظر فإذا بنا من بنياننا الفقهي العتيد أمام أطلال ونثار من الأحجار والأنقاض المبعثرة هنا وهناك وإنما لنتيجة لا يباري فيها إلا مكابر من طراز غريب وأمام المسلم اليوم سبيل سائغة لفهم أحكام صلاته وصيامه وزكاته وسائر ما تتعرض له حياته الخاصة من القضايا الدينية عن طريق دراسة كتاب صغير في مذهب من المذاهب الأربعة يحوي خلاصة الأحكام الشرعية ولا عليه أن لا يفهم أو يقف على أدلتها ما دام غير مجتهد كما كان عليه حال كثير ممن يستفتون كبار الصحابة والتابعين .

فإذا ما كلفت كل مسلم بالاجتهاد والنظر في الأدلة وأقصيته عن هذه الكتب التي كان بوسعها أن يحفظ منها أحكام الحلال والحرام مقلداً أحد الأئمة فمعنى ذلك أنك قد قلت له بكل صراحة ووضوح ليس حكم الله فيما يعترضك من مشكلات إلا ما تهديك إليه قناعتك الذاتية... وانتظر بعد ذلك أن تجد الشريعة الإسلامية كلها اسماً لا مسمى تحته وعنواناً لا موضوع له وبناء كمقبرة جحا جدار أثبت فيه باب موحد بالأغلال ومن ورائه أرض سائبة ترتع فيها السباع والذئاب أما إن انطلقت به بعد اقصائك إياه عن تلك الكتب وأئمتها إلى كتب أخرى ألفها واجتهد فيها أناس آخرون فألزمته بهم وحملته على تقليدهم فأنت لم تفعل بذلك شيئاً أكثر من أنك أوجبت عليه أن يتحول من تقليد الشافعي وأبي حنيفة ومالك واحمد إلى تقليد فلان وفلان من المعاصرين وليس لهذا الإلزام أي معنى إلا معنى الحقد والضغينة على الأئمة الأربعة وتابعيهم والتعصب لفلان وفلان والترويج لاجتهاداتهم.

لقد قلت⁽⁴⁷¹⁾ مرة لطالب صلى إلى جانبي وهو يحرك أصبعه في جلسة التشهد تحريكاً مستمراً: لماذا تحرك إصبعك هكذا؟ فقال: لأنه سنة واردة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: ما الحديث الوارد في ذلك وما درجته من الصحة وما دليل النص الذي فيه على أن المقصود بالتحريك هذا التحريم المستمر؟ فقال الشاب: لا أدري ولكن سأسأل عن ذلك فلانا من الناس!... لو أنه إذ وجد نفسه جاهلاً بالدليل قال: أقلد في ذلك مذهب الإمام مالك لاستراح وأراح وأدى الواجب الذي عليه.

إذا فقد قضى هذا الإنسان على تمسكه بمذهب إمام من الأئمة الأربعة لا شيء إلا ليرتبط بتقليد شخص آخر ولو عاش هذا الإنسان عمره كله ملازماً هذا الشخص يأخذ عنه وحده لما قال له هؤلاء الناس: يحرم عليك التزام مذهب بعينه كما يقولون ذلك في حق المتمسكين بمذاهب الأئمة الأربعة!!...

(471) المقصود الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

أفرايت إلى التعصب في أسوأ أشكاله وأعتى مظاهره⁽⁴⁸¹⁾!

(1481) قال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى لا يهمننا أن يكون هؤلاء اللامذهبيين اجتهادات خاصة في أحكام الشريعة الإسلامية يخالفون فيها الجمهور من الأئمة ويوافقون بها من يرون موافقتهم من الآخرين لا يهمننا هذا فرما بحث بعضهم وبدل من الجهد في بعض المسائل الفقهية ما جعله قادرا على الاجتهاد فيها وذلك في اعتقاده هو على أقل تقدير وقد ترى رأيا يخالفهم في ما ذهبوا إليه وقد تفضل ما ذهب إليه الجمهور وقد لا تقر قدرتهم على الاجتهاد وقد ناقشهم في ذلك كله مناقشة أخوية هادئة إذا اقتضت المناسبة ولكننا لا نجعل من رايهم الذي اختاروه باسم النظر والأخذ من الكتاب أو السنة موضوع استنكار وسبب إثارة النزاع أو الضجيج .

أجل فليس لنا من شأن فيمن يفضل أن يحرك أصبعه أثناء التشهد أو يفضل أداء صلاة التراويح ثمان ركعات أو لا يرى في اعتقاده ما يسوغ قضاء المكتوبة الفائتة عمدا... فقد وجد في الأئمة والفقهاء من قال بمذه الأقوال وليس بدعا في التاريخ الإسلامي أن يدعي اناس الاجتهاد فيختاروا لأنفسهم مذاهب في بعض المسائل الفقهية سواء كانوا أهلا للاجتهاد في الحقيقة أو لم يكونوا كذلك ولكن الذي نذكره ويهمننا أمره هو أن يتخذ هؤلاء الناس من آرائهم التي ذهبوا إليها اسلحة ماضية يحاربون بها أئمة المذاهب ويقطعون بها النسب المتين بينهم وبين جماهير المسلمين ويثرون بها الفتن في المساجد والأحياء في كل المناسبات الممكنة تماما كما هو حال أكثرهم الآن لقد تركوا سبيل الدعوة إلى الله وإلى دينه وأعرضوا عن المنحرفين وما هم فيه من ضلال وشكوك وغي وانطلقوا يتصدون لكل متدين يخالفهم في اجتهادهم أو يصير على تمسكه بمذهب إمام من الأئمة الأربعة أو يعلن عن ضعفه عن الاجتهاد وحاجته إلى التقليد فيثيرون معهم جدالا لا نهاية له وينتهون بهم إلى شحناء لا مسوغ لها يتهموهم بالضلال ويرمون أئمتهم بالجهل ويصفون كتبهم بالصدئ والانحراف!!..!!

إن ظهرت في يد أحد سبحة يضبط بها أوراده انقضوا عليه بالتسفيه والرمي بالضلال والابتداع وإن صلى المؤذن على رسول الله جهر عقب الأذان لوحوا له تحمة بالشرك وحثروه من العود إلى مثلها وإن أثار الناس أن يصلوا التراويح في مسجدهم عشرين ركعة عصفوا في المسجد بفتنة لا أول ولا نهاية لها وربما هاج الناس بسبب ذلك وماجوا في داخل المسجد حتى ترتفع الأصوات فيه بالسباب والمهاترات ولا أزال أذكر ليلة من ليالي رمضان زارني فيها بعد العشاء جمع من عوام الناس وبسطاهاهم يزيدون على خمسة عشر رجلا وقد لاحت على وجوههم وفي أصواتهم آثار خصومة أقبلوا على توا منها وراحوا يناشدوني العمل على إيقاف فتنة هوجاء قامت في مساجدهم بسبب من قام بينهم بحرم ما زاد من صلاة التراويح على ثمان ركعات وضل يلاحيههم حتى اشتدت الفتنة في داخل المسجد وتحول بيت الله إلى حلبة صراع في سبيل الشيطان ؟

ماذا يضر هؤلاء إلى أن يصلوا التراويح كما يحبون ويتكفون نحن أيضا نصلي كما نعتقد تقليدا منا أو اجتهادا؟! أليس كل همهم أن يزعموا لأنفسهم القدرة على فهم أحكام الشريعة من الكتاب والسنة دون التقيد بمذهب إمام من الأئمة المجتهدين ؟

فها نحن تركناهم يزعمون لأنفسهم ذلك فليؤسسوا لأنفسهم كما يحبون مذهبا جديدا شامحا إلى جانب المذاهب الأربعة المدونة يشيدونه على عشر مسائل فقط من مسائل العبادات ليرتقوا في هذه المسألة كما يشتهون وليناوأ عن فقه الأئمة واجتهاداتهم قدر ما يحبون .؟ ولكن فيما تعرض بعد ذلك كله للآخرين بالتجهيل والتسفيه والتضليل؟! فيم يبسطون ألسنتهم بالسوء والسخرية إلى أئمة المذاهب الأربعة وإلى الكثير من كتبهم واجتهاداتهم ومقلديهم؟! فيم إضاعة الوقت بتلقف ما يسمونه بسقطات أبي حنيفة؟! .

فيم تصدر في المجالس للطعن بالشافعي والسخرية من فقهه لأنه أفتى بصحة نكاح الرجل من البنت التي انعقدت من مائة بطريق السفاح ؟ وهو لو قرأ كلام الشافعي في ذلك في كتابه (الأم) لتطوح ذاهلا في تلافيف جهل عجيب؟! .

وقد يقول الرجل من أمثال الشيخ معاذ الله إننا لا نبخس الأئمة حقهم ولا نمد ألسنتنا إلى المذاهب بأي سوء! ... أجل قد يقول ذلك في بعض المجالس ولكن واقع أمره لا يصدق ما يقول بل هو نقيض ما يقول إن الذي يحترم الأئمة الأربعة ويحترم ما بذلوه من جهد لتجلية أحكام الشريعة الإسلامية واستخراجها من الكتاب والسنة لا يقول في تعليق له على حديث نزول عيسى عليه الصلاة والسلام بدون مناسبة ولا مسوغ (هذا صريح في إن عيسى عليه السلام يحكم بشرعنا ويقضي بالكتاب والسنة لا بغيرها من الإنجيل أو الفقه الحنفي ونحوه!!) .

تأمل هذا الكلام!! تأمل معنى قوله : لا بغيرها من الإنجيل والفقه الحنفي . إن الرجل يعتقد إذا إن الفقه الحنفي ما هو إلا كالتأجيل شيء لا علاقة له بالشريعة الإسلامية أو الكتاب والسنة!! أفوجد مسلما يتقي الله في معرفة الحق ثم لا يعلم أن الفقه الحنفي ليس إلا أحكاما مستنبطة

فأي إنسان منصف يستسيغ نبذ تلك الأدلة التي سقناها على ضرورة تقليد المسلم واحدا من الأئمة المجتهدين ما دام عاجزا عن الاجتهاد ثم دعوة الناس جميعا إلى ان يجتهدوا وإن لم يكونوا أهلا لذلك وأن يتحللوا من تقليد الأئمة المجتهدين وإن اتبعهم من قبله ملايين المسلمين وأن يستخرجوا أحكام الحلال والحرام من الكتاب والسنة كما يفهمون وكما يتخلون وإن مزقوا بذلك شريعة الله بين أوهامهم وأخيلتهم المتنوعة المختلفة؟

وأي إنسان لا يعلم أن فتح هذا الباب على مصرعيه أمام جميع الناس على اختلافهم إنما هو تمكين للمتربصين بالاسلام وشريعته من أن يمزقوها إربا إربا بسكين الاجتهاد؟!.

وهل عالمنا العربي مثقف وعي شيئا من واقع التاريخ الحديث لا يعلم السبيل الذي نفذت منه بريطانيا عقب احتلالها لمصر إلى الشريعة الإسلامية تعبت بها كما تشاء؟ لقد كان الإسلام في نظر اللورد كرومر متأخرا جامدا يستعصي على التطور وكان يبحث عن وسيلة سائغة لإفلات المجتمع المصري من هذا التقيد ... وكانت الوسيلة السائغة البارعة بث فكرة الاجتهاد في صدور أولئك الرجال الذين كانوا يؤمنون بضرورة تطور المجتمع الأوروبي الحديث وما هو إلا أن سلمت لهؤلاء الرجال المناصب الدينية الحساسة كالافتاء ومشيخة الأزهر وإدارته حتى انطلق الرجال الذين آمنوا بالمجتمع الأوروبي في كثير من مظاهره وقيمه يدعون شيوخ الأزهر وعلماءه إلى الاجتهاد قفزا فوق شروطه حتى ذهب الشيخ المراغي إلى أن للمجتهد أن لا يكون عالما باللغة العربية وقام رسل

من الكتاب أو السنة أو القياس والتخريج عليهما وإن إمام هذا الفقه أبا حنيفة رضي الله عنه إنما تقرب بذلك إلى الله في تحلية أحكام كتابه وسنة نبيه ولم يتقرب إلى الشيطان في اختراع فقه آخر إلى جانب الإنجيل ليعارض به القرآن بقطع النظر عن إنه رضي الله عنه أخطأ في بعض اجتهاداته أو أصاب. ز!

ثم من هو هذا الذي قال: إن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام سيأتي أعجز من الشيخ ... في معرفته بالكتاب والسنة حتى لا يستطيع الاجتهاد ويضطر إلى تقليد الأئمة في أحكام الشرع ويختار من بينهم الإمام أبا حنيفة بالذات أصحح أن في الحنيفة من ادعى هذا الكلام ... ز

قد ... قد يوجد من يشد تفكيره وعقله فيعرف بهذا اللغو لكن السلوك العلمي الصحيح في هذا الحال هو أن يذكر لنا الشيخ ... اسم هذا القائل ويحدد مكان كلامه هذا من الكتاب الذي ورد فيه ثم يرد عليه بالكلام العلمي الذي لا يعجز عنه كل مخلص لدين الله ومقدر لأئمة الإسلام وهو أن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قادر على أخذ الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة مباشرة وإن ذلك أقل ما يمكن أن يتصف به رسول الله عيسى عليه الصلاة والسلام وفي هذه الحال فإن تقليد الأئمة غير وارد في حقه وليس من العمل العلمي ولا الإسلامي الصحيح أن يستغل الشيخ ... مناسبة الرد على مثل هذا الكلام للظعن في فقه الإمام أبي حنيفة ولزعم أنه شيء غير الشرعية الإسلامية تماما كالانجيل الذي هو غيره ولعلك تستعظم أيها القارئ المسلم صدور هذا الكلام من أي إنسان مسلم! ... إذا فارجع إلى الكتاب مختصر صحيح مسلم للمنزري وقرأ التعليق الذي كتبه الشيخ ... عليه ص (308).

بريطانية يجتهدون في الشريعة الإسلامية وانتهوا في اجتهادهم إلى تغيير قانون الأحوال الشخصية فقيدوا تعدد الزوجات وحق الطلاق وساووا بين الرجل والمرأة في الميراث وانطلقت الفتاوى الاجتهادية نشيطة تنكر الحجاب وتجزئ نسبة معينة من الفوائد الربوية في البنوك وكانوا يصفون أرباب هذه الفتاوى بسعة الألق ومرونة الفكر وتفهم روح الإسلام^[149].

فما هي الفائدة التي ينبغي أن نستفيدها من هذا الواقع الغريب؟

ما هو المسوغ لتهديم بنائنا الفقهي العظيم الذي شيد بأيدي أئمة مجتهدين مخلصين بإجماع القرون الماضية كلها ثم لفتح باب الاجتهاد أمام الجميع ونبد التمسك بالمذاهب الأربعة وإن الوباء الذي اقتحم باب الاجتهاد بالأمس موجود بذاته اليوم وإن الأيدي التي تنهياً لتمزيق أحكام الإسلام بسكين الاجتهاد اليوم أضعاف الأيدي التي فعلت ذلك بالأمس؟ يدعو المسلمين يا هؤلاء يسرون وراء أئمتهم التي أطبقت القرون كلها على مشروعية تقليدهم واتباعهم واجتهدوا إن كنتم تريدون الاجتهاد في استخراج أحكام المشكلات الحديثة التي لم تكن موجودة بالأمس ولم يتحدث عنها الأئمة في أيامهم ولسوف ندعوا لكم بالتوفيق وسداد الفكر والرأي.

ولكنكم ويا للعجب تعرضون عن الجديد الذي لم يتحدث عنه الأئمة السابقون مما يجب الاجتهاد فيه ومعرفة حكمه في هذا العصر كالتأمين على الحياة والبضاعة، وكأنواع الشركات المغلفة والمساهمة وغيرها وكأنواع الضمانات الاجتماعية المعروفة اليوم والتعويضات الداخلة في العقود ومختلف العقود الجديدة على الأرض بين ملاكها ومستأجريها... الخ. تعرضون عن البحث في هذا كله ثم تمضون في تسفيه اجتهادات الأئمة الأربعة وتحذير عامة الناس من اتباعهم والافتداء بهم!!... أجل والله ما رأيت واحدا من هؤلاء اللامذهبيين بحث ذات يوم في مسألة من هذه المسائل الطارئة الجديدة التي يتساءل العوام كل يوم عن حكمها إنما يوفر الواحد منهم جهده كله لتهديم ما تم بناؤه واستقرت أحكامه وأعذر كل من المجتهدين والمقلدين أمام الله في الأخذ به فأبرؤوا بذلك ذمهم وأدوا حق الله في أعناقهم!

[149] انظر كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (298/2) فما بعد وكتاب موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين (350/4)

يا هؤلاء دعوا الأحكام المستقرة التي دونها صفوة أئمة المسلمين وتقبلها منهم المسلمون جيلا بعد جيل وشمروا لنا الساعد للاجتهد في هذه المسائل الطارئة الجديدة التي لم يسبق لأحد من الأئمة فيها نظر أو بحث والتي يشكوا عامة المسلمين جهلهم بحكم الله فيها فإن خرجتم من اجتهادكم فيها بشيء وربطتم بينها وبين أدلتها من الكتاب والسنة وأبرزتم وجه استنباط الأحكام منها سلمنا اليكم عندئذ رقاب الأئمة الأربعة معا وتركناكم تنسخون اجتهاداتهم باجتهاداتكم ودعونا الناس جميعا إلى اتباعكم من دونهم.

خلاصة مناقشة جرت بين فضيلة الدكتور (محمد سعيد رمضان البوطي) حفظه الله تعالى وبين بعض اللامذهبيين قال فضيلته في اللامذهبية:

لعل هذا الفصل يفوق في الأهمية سائر فصول هذه الرسالة !. وليس السبب في ذلك ما قد تجده فيه من نقاط وموازين علمية جديدة فقد ذكرنا من الأدلة العلمية المختلفة ما يزيد عليه ولكن السبب ما ستجده فيه من مظاهر العصبية التي قد لا تجدها عند أي ذي عقل من البشر !. يتهمنا هؤلاء بالعصبية لأننا لا نرضى أن نتحول عن الحق الذي يقوم على ألف دليل ودليل ولكنك ستجدهم من خلال هذا الفصل كيف يجسسون أنفسهم في أقفاص من العصبية المذهلة حتى ولو اقتضاهم ذلك أن يستنجدوا بالتبالة والجنون !.

ولست في هذا الفصل متقولا ولا متجنيا على أحد .. ولن آتي بكلمة واحدة فيه من دنيا الوهم أو الخيال ولقد قلت للأخ الذي ناقشه في هذا البحث - وهو يهدر الي بكلامه المذهل العجيب - سوف أنشر ما تقول إن أبيت إلا إصرارا عليه. ويعلم الله أنني ما قلت ذلك له إلا وأنا أقصد إيقاظه إلى شيء من التدبير والتريث فيما يقول !. لكن الرجل قال لي : انشر ما تريد فلست خائفا !. ولسوف أتجنب التعريف بهذا الرجل وأضرب صفحا عن ذكر اسمه، وحسبك أن تعلم أنه ممن يعلم اللامذهبية لا ممن يتعلمها وهو على ذلك إنسان فاضل وشاب مستقيم ولولا هذه اللوثة التي قذفت به وبتفكيره إلى أقصى قاع في وادي العصبية العجيبة !.

جاء ومعه بعض الشبان الطيبين الذي دأبهم البحث عن الحق في سائر مظانه، وبدأت معه الحديث فقلت له:

ما هي طريقتك في فهم أحكام الله؟ أتأخذها من الكتاب والسنة أم من أئمة الاجتهاد؟ فقال: استعرض أقوال الأئمة وأدلتهم عليها، ثم أعتد أقربها إلى دليل الكتاب والسنة!... قلت: لديك خمسة آلاف ليرة سورية، مر عليها من الزمن ستة أشهر وهي مخزونة عندك، ثم اشترت بها بضاعة وأخذت تتاجر بها فمتى تدفع زكاة هذه البضاعة؟ بعد ستة أشهر أخرى أم بعد عام كامل؟

قال وهو يفكر: معنى سؤالك هذا أنك تقرر بأن أموال التجارة تجب فيها الزكاة!. قلت: إنني أسأل والمطلوب أن تجيبني بطريقتك الخاصة وهذه هي المكتبة أمامك فيها كتب التفسير والسنة وكتب الأئمة المجتهدين.

وفكر الرجل قليلا ثم قال:

يا أخي هذا دين وليس أمرا يسيرا يمكن الإجابة عليه عفو الخاطر لا بد لذلك من نظر ومراجعة ودرس ولا بد لذلك كله من وقت ونحن إنما جئنا لنبحث موضوعا آخر!. حسنا.. وهل يجب على كل مسلم أن يستعرض أدلة الأئمة ثم يأخذ بأوفقها مع الكتاب والسنة؟ قال: نعم.

قلت: معنى ذلك أن الناس كلهم يملكون من الطاقة الاجتهادية ما يملكه أئمة المذاهب بل إنهم يملكون طاقة أعظم وأتم لأن الذي يستطيع أن يحكم على آراء الأئمة أو يحكم لها على أساس من مقياس الكتاب والسنة فهو بلا ريب أعلم منهم جميعا!!.

قال: الحقيقة أن الناس ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: مقلد، ومتبع، ومجتهد، فهذا الذي يتمكن من مقارنة المذاهب ببعضها وانتقاء ما كن أقرب منها إلى الكتاب إنما هو متبع وهو مستوى وسط بين التقليد والاجتهاد.

قلت: فما هو واجب المقلد؟

قال: يقلد من المجتهدين من اتفق.

قلت: وهل عليه من حرج أن يقلد واحدا منهم ويلزمه ولا يتحول عنه؟

قال: نعم يحرم عليه ذلك.

قلت: ما الدليل على حرمة ذلك؟

قال: الدليل أنه التزم شيئا لم يلزمه الله عز وجل به.

قلت: بأي القراءات السبعة تقرأ القرآن؟

قال: بقراءة حفص.

قلت: أفتلتزم القراءة بها، أم تقرأ كل يوم بقراءة مختلفة؟

قال: بل أنا ألتزم القراءة بها.

قلت: فلماذا تلتزم ذلك، مع أن الله عز وجل لم يلزمك إلا أن تقرأ بالقرآن كما ورد عن النبي صلى

الله عليه وآله وسلم متواترا؟

قال: لأنني لم أتوفر على دراسة القراءات الأخرى ولم يتيسر لي القراءة إلا على هذا الوجه.

قلت: فهذا الذي درس الفقه على المذهب الشافعي هو الآخر لم يتوفر على دراسة المذاهب الأخرى

ولم يتيسر له أن يتفقه في أحكامه الدينية إلا على هذا الإمام فإن ألزمته بمعرفة اجتهادات الأئمة

كلها حتى يأخذ بجمعها لزمك أنت أيضا أن تتعلم جميع القراءات حتى تقرأ بها كلها وإن

اعتذرت عن نفسك بالعجز كان عليك أن تعذر هذا المقلد أيضا. وعلى كل فنحن نقول: ومن أين

لك بأن على المقلد أن يلزم التحول من مذهب إلى آخر. مع أن الله لم يلزمه بذلك أي كما لم يلزمه

بالاستمرار على مذهب بعينه لم يلزمه أيضا بالتحول المستمر!..

قال: إن الذي يحرم عليه إنما هو الالتزام مع اعتقاد أن الله أمره بذلك.

قلت: هذا شيء آخر وهو حق لا شك فيه ولا خلاف ولكن هل عليه من حرج أن يلزم مجتهدا

بعينه وهو يعلم أن الله لم يكلفه بذلك؟

قال: لا حرج عليه.

قلت: ولكن الكراس الذي تدرس فيه ، يذكر خلاف ما تقول إنه يقرر حرمة ذلك بل ويقرر في بعض الأماكن كفر الذي يلازم اتباع إمام معين لا يتحول عنه.

قال: أين؟..... ورجع إلى الكراس يتأمل نصوصه وعباراته. وراح يتأمل قول صاحب الكراس (بل من التزم واحدا بعينه في كل مسائله فهو متعصب مخطئ مقلد تقليدا أعمى وهو ممن فرقوا دينهم وكانوا شيعا) فقال: يقصد بالالتزام أن يعتقد وجوب ذلك عليه شرعا العبارة فيها قصورا!...

قلت: وما الدليل على أنه هكذا يقصد ولماذا لا تقول إن المؤلف مخطئ؟ وأصر الرجل على أن العبارة صحيحة وأنها على تقدير محذوف وأن المؤلف معصوم عن أي خطأ فيها!..

قلت: ولكن العبارة على هذا التقدير لا تواجه أي خصم وليس لها أي فائدة فما من مسلم إلا وهو يعلم أن اتباع إمام بعينه من أئمة المذاهب الأربعة ليس واجبا من الواجبات الشرعية وما من مسلم يلازم مذهباً إلا وهو يفعل ذلك عن رغبة واختيار منه. قال: كيف؟ إنني أسمع من كثير من الناس وبعض أهل العلم أنه يجب شرعا ملازمة مذهب بعينه حتى إنه لا يجوز التحول منه إلى غيره!....

قلت له: اذكر لي اسم واحد فقط من العوام أو من أهل العلم قال لك هذا الكلام. وسكت الرجل ، ولكنه تعجب من أن يكون كلامي صحيحا وظل يردد: أن كل ما يتصوره هو أن كثيرا من الناس يجرمون التنقل من مذهب إلى آخر.

قلت له: لا تجد اليوم ولا واحد يعتقد هذا الوهم الباطل نعم روي عن بعض العصور الأخيرة من عهد العثمانيين أنهم كانوا يستعظمون تحول الحنفي من مذهبه إلى مذهب آخر ولا شك أن ذلك كان منهم - إن صح النقل - غاية في السخف والعصبية المقيتة العمياء.

قلت له بعد ذلك: ومن أين لك هذا الفرق بين المقلد والمتبع أهو فرق لغوي أم اصطلاحى. قال: بل بينهما فرق لغوي.

وجتته بمراجع اللغة ليثبت منها الفرق اللغوي بين الكلمتين فلم يجد شيئا.
ثم قلت: إن أبا بكر رضي الله عنه قال لأعرابي اعترض على الدخل الذي أقره المسلمون له: (DA)
رضي الله عنه المهاجرون فإنما أنتم تبع) فقد عبر بالتبعية عن الموافقة التي ليس معها أي حق في
النظر والمناقشة والبحث.

قال: فليكن فرقا اصطلاحيا ... أليس من حقي أن أصطلح على شيء؟ قلت: بلى ولكن
اصطلاحك هذا لن يغير من حقيقة الأمر. فهذا الذي تسميه متبعا إما أن يكون خيرا بالأدلة
وطرق الاستنباط منها فهو إذا مجتهد وإن لم يكن خيرا بها أو غير قادر على استنباط الأحكام منها
فهو إذا مقلد. وإن كان في بعض المسائل هكذا وفي بعضها هكذا فهو إذا مقلد في البعض ومجتهد في
البعض. فالقسمة إذا ثنائية على كل حال وحكم كل منها واضح ومعروف.
قال: إن المتبع هو ذلك الذي يستطيع أن يمايز بين الأقوال وأدلتها ويرجح البعض منها على الآخر.
وهذه مرتبة مختلفة عن محض التقليد.

قلت: إن كنت تقصد بالتمييز بين الأقوال تمييزها عن بعضها بقوة الدليل وضعفه فتلك أرفع رتبة
في الاجتهاد وهل بوسعك أن تكون أنت شخصا كذلك.
قال: إني أفعل ذلك جهد استطاعتي.

قلت له: أنا أعلم بأنك تفتي بأن الطلاق الثلاث في مجلس واحد إنما يقع طلقة واحد فهل رجعت
قبل فتواك هذه إلى أقوال الأئمة وأدلتهم في ذلك ثم مايزت بينها فأفتيت بناء على ذلك؟ ... أه
عويمر العجلاني طلق زوجته ثلاثا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن لاعن
منها. فقد قال: كذبتُ عليها يا رسول الله إن أمسكتها، هي طالق ثلاثا. فما علمك بهذا الحديث
وموقعه من هذه المسألة ومدى دلالاته على مذهب الجمهور أو مذهب ابن تيمية؟
قال: لم أطلع على هذا الحديث.

قلت: فكيف أفنتيت بهذه المسألة مخالفا فيها ما أجمعت عليه المذاهب الأربعة دون أن تقف على أدلتهم ومدى ضعفها أو قوتها؟... فما أنت قد تركت مبدأك الذي تقول إنك قد ألزمت نفسك به وتحاول أن تلزمتنا به، وهو مبدأ (الاتباع) بالمعنى الذي اصطلحت عليه!..

قلت: فما الذي حملك على أن تتعجل بالفتوى مخالفا فيها جمهور المسلمين وأنت لم تطلع بعد على شيء من أدلتهم؟

قال: فماذا أفعل وقد سئلت... وليس لدي إلا قدر محدود من المراجع؟

قلت: كان يسعك ما وسع العلماء والأئمة جميعا وهو أن تقول: لا أدري أو أن تنقل له رأي المذاهب الأربعة ورأي المخالفين دون أن تفتي بأحد القولين كان يسعك أن تفعل ذلك بل كان هذا هو واجبك خصوصا وإن المشكلة لم تنزل بك أنت حتى تكون مضطرا إلى الأخذ بمخرج ما من الأمر!.. أما أن تفتي بالرأي المخالف لإجماع المذاهب الأربعة وأنت لم تطلع - على أدلتهم مكتفيا بانسراح قلبك لأدلة المخالفين فهذا منتهى التعصب الذي تتهموننا به.

قال: لقد اطلعت على آراء الأئمة الأربعة في الشوكاني وسبل السلام وفقه السنة لسيد سابق.

قلت: فهذه كتب خصوم الأئمة الأربعة في هذه المسألة وكلها ينطق من طرف واحد ويذكر من الحجج ما يقوي طرفه أفترضى أن تحكم على أحد الخصمين بناء على سماع كلامه فقط وكلام شهوده وأقاربه؟..

قال: إنني لا أرى في تصرفي هذا ما يستوجب أي لوم لقد كان علي أن أفتي السائل وهذا مبلغ ما استطعت أن أصل إليه بفهمي.

قلت: أنت تقول بأنك متبع وأن علينا جميعا أن نكون كذلك وفسرت الاتباع باستعراض أقوال المذاهب كلها ودراسة أدلتها واعتماد أقرب هذه المذاهب إلى الدليل الصحيح. وأنت في تصرفك هذا ضربت بمبدأك عرض الحائط أنت تعلم أن إجماع المذاهب الأربعة على أن الطلاق الثلاث يقع ثلاثا وتعلم أن لهم أدلة على ذلك وأنت لم تطلع عليها. ومع ذلك تحولت عن إجماعهم إلى الرأي الذي تشتهيه نفسك أفكنت على يقين سلفا بأن أدلة الأئمة أدلة مردودة.

قال: لا ولكنني لم أطلع عليها إذ لا مرجع عندي لها.

قلت: فلماذا لم تنتظر؟.. لماذا استعجلت ولم يكلفك الله بذلك أبدا؟ ... أفكان عدم اطلاعك على أدلة الجمهور دليلا يقوي رأي ابن تيمية؟ ... هل التعصب الذي تتهموننا به زورا شيء آخر غير هذا؟

قال: لقد رأيت في الكتب التي توفرت لدي أدلة أقنعتني وما كلفني الله بأكثر من ذلك.

قلت: فإذا رأى المسلم فيما اطع عليه من الكتب دليلا على شيء أفيكفيه ذلك موجبا لترك المذاهب التي خالفت فهمه وإن لم يطلع على أدلتها؟
قال: يكفيه ذلك!..

قلت: شاب جديد العهد بالتدين ليس له أي حظ من الثقافة الإسلامية قرأ قوله تعالى ﴿ والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾^[501] ففهم منه أن للمسلم أن يتجه في صلاته إلى أي جهة شاء كما يدل على ذلك ظاهر اللفظ ولكنه سمع من الأئمة الأربعة مجمعون على ضرورة اتجاهه إلى الكعبة وعلم أن لهم على ذلك أدلة ولكنه لم يطلع عليها فلماذا يفعل إذا قام إلى الصلاة أيتبع قناعته من الدليل الذي توفر لديه أم يتبع الأئمة الذين أجمعوا على خلاف ما فهم؟
قال: بل يتبع قناعته!!..

قلت: ويصلي إلى جهة الشرق مثلا وتكون صلاته صحيحة؟!..

قال: نعم، إذ هو مكلف باتباع قناعته الذاتية!..

قلت: فهب أن قناعته الذاتية أوحى إليه أن لا حرج عليه أن يزني بحليلة جاره وأن يملأ جوفه خمرا وأن يسلب أموال الناس بدون حق أفيجل الله له ذلك كله بفضل (قناعته الذاتية)! ..
وسكت الرجل قليلا ثم قال: على كل هذه الصورة التي تسألني عنها صورة وهمية لا تتحقق.
قلت: هي ليس وهمية بل ما أكثر ما يتحقق مثلها وأغرب منها. شاب لا علم له بالإسلام وكتابه وستته وسمع عرضا أو قرأ صدفة هذه الآية، فعلم منها ما يعلم كل عربي ينظر إلى ظاهر اللفظ أن

[501] سورة البقرة الآية (115).

لا حرج في أن يتجه المصلي إلى أي جهة يشاء رغم ما يراه من اتجاه الناس إلى الكعبة دون سواها...
أمر طبيعي التصور والوقوع ما دام في المسلمين من يجهل كل شيء عن الإسلام. وعلى كل فقد
حكمت على هذه الصورة (وهمية كانت أو حقيقية) بحكم غير وهمي واعتبرت القناعة الذاتية هي
المحكمة على كل حال وهذا يناقض تقسيمك للناس إلى ثلاث فئات مقلدين ومتبعين ومجتهدين.
قال: إن عليه أن يبحث... ألم يقرأ حديثاً أو أي آية أخرى؟

قلت: لم تتوفر لديه مصادر البحث تماماً كما لم تتوفر لديك عندما أفيتت في مسألة الطلاق، ولم يتح
له أن يقرأ غير هذه الآية مما يتعلق بأمر القبلة وتعيينها أفلا تزال مصراً على أنه يتبع قناعته الذاتية
ويترك إجماع الأئمة؟
قال: نعم إذا لم يستطع أن يتابع النظر والبحث فقد أعذر وحسبه أن يعتمد على ما هداه إليه نظره
وبحثه!.

قلت: إنني سأنشر عن لسانك هذا الكلام... إنه لكلام خطير وعجيب!.
قال: انشر ما شئت إنني لا أخاف.

قلت: وكيف تخاف مني، إذا كنت لا تخاف من الله عز وجل وتطرح بكلامك هذا قوله عز وجل ﴿
فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ عرض الحائط!.

قال: يا أخي هؤلاء الأئمة غير معصومين أما الآية التي اعتمدها فهي كلام المعصوم جل جلاله
فكيف يترك المعصوم ويلحق بذيل غير معصوم؟

قلت: يا هذا المعصوم هو المعنى الحقيقي الذي أراده الله بقوله ﴿
ولله المشرق والمغرب...﴾ وليس
المعصوم هو فهم هذا الشاب البعيد كل البعد عن ثقافة الإسلام وأحكامه وطبيعة قرآنه. أأ
فالمقارنة التي أسألك عنها هي بين فهمين اثنين فهم هذا الشاب الجاهل وفهم الأئمة المجتهدين

وكلاهما غير معصومين إلا أن أحدهما موغل في الجهل والسطحية والآخر موغل في البحث والعلم والدقة.

قال: إن الله لا يكلفه بأكثر مما وصل إليه جهده!..

قلت: أجبني إذا على هذا السؤال: رجل له طفل مريض يعاني من بعض الالتهابات . أشرف عليه جميع أطباء البلدة واتفقوا على إعطائه علاجا معيناً وحذروا والده من أن يحقنه بالبنسلين وأخبروه بأنه لو فعل ذلك عرض حياة الطفل للهلاك... إلا أن والد الطفل يعلم مما قرأ في بعض النشرات الطبية أن البنسلين يفيد في حالات الالتهاب. فاعتمد على معلوماته الخاصة في ذلك ونبذ كلام الأباء لأنه لا يعلم دليلهم على ما قالوا، فاستعمل (قناعته الذاتية) وعالج الطفل بحقنة بنسلين انتقل على أثرها إلى رحمة الله. أفىقاضى ويأثم فيما فعل أم لا؟
ففكر الرجل قليلا ثم قال: هذه غير تلك!.

قلت: بل هي عينها: سمع عن إجماع الأطباء كما سمع ذاك عن إجماع الأئمة ولكنه اعتمد على نص قرأه دون سواه في نشرة طبية كما اعتمد ذاك نصا قرأه دون سواه في كتاب الله عز وجل واستعمل هذا قناعته الذاتية كما استعمل ذاك قناعته الذاتية!.

قال: يا أخي القرآن نور.. نور.. وهل النور في دلالته مثل أي كلام آخر؟

قلت: ونور القرآن ينعكس إلى عقل أي ناظر وقارئ فيفهمه نورا كما أراد الله؟! فما الفرق بين أهل الذكر وغيرهم إذا ، ما داموا جميعا ينهلون من هذا النور؟

المثالان سواء ... لا فرق بينهما إطلاقا ولا بد أن تجيبني: أيتبع الباحث فيهما قناعته الذاتية أم يتبع ويقلد أهل الاختصاص؟

قال: بل القناعة الذاتية هي الأصل.

قلت: وقد استعمل قناعته الذاتية فترتب على ذلك وفاة الطفل فهل تترتب عليه أي مسؤولية شرعية أو قضائية؟

وقال الرجل بملء فمه: لا تترتب عليه أي مسؤولية!.

قلت: فلنختتم البحث والنقاش، دون هذه الكلمة التي أطلقناها. لقد انقطع بها السبيل إلى أي قدر مشترك بيني وبينك يمكن أن يقام عليه أي بحث. وحسبك أنك خرجت بجوابك العجيب هذا عن إجماع الأمة الإسلامية كلها... ولا والله لن يكون أي معنى للتعصب المقيت على وجه الأرض، إن لم تكونوا أنتم أصحاب هذا التعصب المقيت.

المسلم الجاهل يستعمل (قناعته الذاتية) في فهم ما اطلع عليه من القرآن... ويصلي إلى غير القبلة مخالفا كل المسلمين فتكون صلاته صحيحة!... والرجل العامي من الناس يستعمل (قناعته الذاتية) فيطب من شاء. ويعالج كما يشاء ويموت المريض تحت يده فيقال له: الله يعطيك العافية!..

ولست أدري إذا، لماذا لا يدعنا هؤلاء الناس وشأننا لنستعمل نحن أيضا (قناعتنا الذاتية) في أن الجاهل بأحكام الدين وأدلتها لا بد له أن يتمسك بمذهب إمام من الأئمة المجتهدين يتبعه من حيث إنه أبصر منه بكتاب الله وسنة رسوله.

ومهما يكن من خطأ هذا الرأي عندهم فلتشمله على كل شفاعة (القناعة الذاتية) وليكن له أسوة عنده برأي من استدبر القبلة فكانت صلاته صحيحة وقتل الطفل فكان قتله اجتهادا وتطبيقا^[51]! هل يجوز تقليد غير المذاهب الأربعة؟

الجواب: لا يجوز ذلك لما وضحناه من أن المذاهب الأربعة هي وحدها التي تطمئن النفس لصحة أقوال علمائها لأنها نقلت إلينا عن طريق الأئمة الثقات ولم يتخلل ذلك فترة عن العمل بها والأخذ بأقوال أئمتها بخلاف غيرها من المذاهب وقد نوه عدد من الأئمة إلى هذا المعنى.

فقد قال الإمام النووي: يلزم غير المجتهد أن يجتهد في اختيار مذهب يقلده على التعيين وليس له أن يتبع في ذلك مجرد التشهي والميل إلى ما وجد عليه آباءه، وليس له التمهذ بمذهب أحد من أئمة الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم من الأولين وإن كانوا أعلم وأعلى درجة ممن بعدهم لأنهم لم

[51] وقد اعتمدت أيضا في أكثر كلامي في هذا الباب على كلام الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتبه وخصوصا كتاب (اللامذهبية) مع شيء من التغير والزيادة وذلك لما وجدت فيه من البلغة في التعبير عن ما يتخلل في خاطري تجاه هذا البحث الدقيق وذلك بأسهل عبارة وأبسط أسلوب يستطيع إدراكه كل من عنده أدنى مسكة من الاطلاع على الثقافة الشرعية فجزاه الله تعالى خيرا.

يتفرغو لتدوين العلم وضبط أصوله وفروعه فليس لأحد منهم مذهب محرر مقرر وإنما قام بذلك من جاء بعدهم من الأئمة الناحلين لمذاهب الصحابة والتابعين القائمين بتمهيد أحكام الوقائع قبل وقوعها الناهضين بإيضاح أصولها وفروعها كمالك وأبي حنيفة وغيرهما^[521].

وقال العلامة ابن حجر: نقل إمام الحرمين عن المحققين امتناع تقليد الصحابة على العوام لارتفاع الثقة بمذاهبهم إذ لم تدون وتحرر وبه جزم ابن الصلاح وألحق بالصحابة التابعين وغيرهم ممن لم يدون مذهبه وبأن التقليد متعين للأئمة الأربعة فقط. قال: لأن مذاهبهم انتشرت حتى ظهر تقييد مطلقها وتخصيص عامها بخلاف غيرهم ففيه فتاوى مجردة لعل لها مكملًا أو مقيدًا لو انبسط كلامه فيها لظهر خلاف ما يبدو منه فامتنع التقليد إذن لتعذر الوقوف على حقيقة مذاهبهم.

[521] شرح المهذب للنووي (55 /).

خاتمة

وفي نهاية هذا الباب أقول: إن على المسلمين أن يسعوا إلى الاجتماع والوحدة، والتماسك قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾⁽¹⁾ وإلى نبذ الاختلاف والفرقة والتنازع وكل من تخالف دعوته هذه الغاية فهو عاص لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم مخالف لقوله تعالى ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾⁽²⁾ ولم تكن المذاهب الإسلامية في الماضي سببا في تفريق المسلمين وتخالفيهم وتنازعهم فقد كان الصحابة رضي الله عنهم فرقا متعددة فهناك أصحاب ابن عباس وهناك أصحاب ابن مسعود وأصحاب ابن عمر وغيرهم كما مر معنا ومع ذلك كانوا كلهم جماعة واحدة وكان الإسلام في أوجه وعزته وجاءت المذاهب الأربعة وبقي الإسلام قويا عزيزا وعندما ترك المسلمون العلم بدينهم والالتزام بمذاهبهم والتفتوا إلى الدنيا والتصارع عليها وتركوا الدعوة إلى الله عز وجل ضعفوا وهانوا وتخلفوا وصاروا أذل الأمم ولو عادوا اليوم فتمسكوا بدينهم ومذاهبهم واجتهاداتهم وجمعوا شملهم ووجدوا صفوفهم فلا بد أن يعيد الله تعالى إليهم عزتهم وكرامتهم فكما اعز الله الإسلام في القرون الأولى كذلك يعزه في هذه الأيام إن تمسكنا بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حق التمسك.

والحمد لله رب العالمين.

(1)^[53] سورة الحجرات الآية (10).

(2)^[54] سورة الأنفال الآية (46).

الأدب مع العلماء والصالحين

قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ، يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ، إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾⁽¹¹⁾ .

هذه آيات أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام ، فقال تبارك وتعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ أي لا تسرعوا في الأشياء بين يديه أي قبله بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور .

قال ابن عباس: نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه

وقال الضحاك: لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله من شرائع دينكم .

وقال الحسن البصري: لا تدعوا قبل الإمام .

وقال قتادة: ذكر لنا أن ناساً كانوا يقولون: لو أنزل في كذا وكذا ، لو صح كذا فكره الله تعالى ذلك .

(واتقوا الله) فيما أمركم به (إن الله سميع عليم) أي لأقوالكم (عليم) بنياتكم ، وقوله تعالى: ﴿يا أيها

الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ هذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنين أن لا

يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوق صوته وقد روي أنها نزلت في الشيخين

(11) سورة الحجرات الآية (1 - 3) .

(أبي بكر) ﷺ (عمر) رضي الله عنهما فقد روي عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا (أبو بكر) ﷺ (عمر) رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس رضي الله عنه أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال: نافع لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما : ما أردت إلا خلافي قال: ما أردت خلافاً فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ قال ابن الزبير: فما كان عمر رضي الله عنه يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه⁽¹²¹⁾.

وفي رواية أخرى له قال: قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أبو بكر رضي الله عنه أمر (القعقاع بن معبد) وقال عمر رضي الله عنه : بل أمر (الأقرع بن حابس) فقال أبو بكر رضي الله عنه : ما أردت إلا خلافي فقال عمر رضي الله عنه : ما أردت خلافاً فتباريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ حتى انتقضت الآية ﴿لو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم﴾⁽³²⁾.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ قلت: يا رسول الله ! والله لا أكلمك إلا كأخي السرار⁽⁴³⁾.
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم افتقد ثابت بن قيس رضي الله عنه فقال رجل : يا رسول الله أنا أعلم لك علمه ، فأتاه فوجده في بيته منكسا رأسه فقال له : ما شأنك ؟ فقال: شر ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد حبط عمله فهو من أهل النار فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره أنه قال: كذا وكذا ، قال موسى فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال: (اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة)⁽⁵⁴⁾.

⁽¹²⁾ أخرجه البخاري (4564).

⁽²⁾ أخرجه البخاري (4566).

⁽³⁾ أخرجه البزار (2257) والميثمي في مجمع الزوائد (11349).

⁽⁴⁾ أخرجه البخاري في صحيحه (4565).

وفي رواية عن أنس رضي الله عنهما أيضا قال: (لما نزلت هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ إلى قوله ﴿ وأنتم لا تشعرون ﴾ وكن ثابت بن قيس بن شماس رفيع الصوت، فقال: أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا من أهل النار حبط عملي وجلس في أهله حزينا ففقدته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانطلق بعض القوم إليه فقالوا له: تفقدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، مالك؟ قال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأجهر له بالقول حبط عملي أنا من أهل النار فأتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبروه بما قال فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لا بل هو من أهل الجنة » فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف فجاء ثابت بن قيس بن شماس وقد تحنط ولبس كفنه فقال: بئسما تعودون أقرانكم فقاتلهم حتى قتل رضي الله عنه ⁽⁶¹⁾.

وفي رواية ابن جرير: فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة؟ » فقال رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا أرفع صوتي أبدا على صوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: وأنز الله تعالى ﴿ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ .
وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين.

كذلك فقد نهى الله عز وجل عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال: أتدريان أين أنتما ثم قال: من أين أنتما؟ قلا: من أهل الطائف ، فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا.
وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره صلى الله عليه وآله وسلم كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لأنه محترم حيا وفي قبره صلى الله عليه وآله وسلم دائما ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر

(61) أخرجه البخاري (70) في خلق أفعال العباد، ومسلم (310) ، وأحمد (137/3) وابن حبان (7168) وأبو يعلى (3331).

الرجل لمخاطبه ممن عداه بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم ولهذا قال تبارك وتعالى ﴿ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ﴾ .

كما قال تعالى ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾⁽⁷¹⁾، وقوله عز وجل ﴿ أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري كما جاء في الحديث الصحيح « أة الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالا يكتب له بها الجنة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض »⁽⁸²⁾.

ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك وأرشد إليه ورغب فيه فقال : ﴿ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ أي أخلصها لها وجعلها أهلا ومحلا : ﴿ لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ .

وقد ثبت في الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه به أخذ بحظ وافر »⁽⁹³⁾.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً « ليس منا من لم يعرف لعالمنا حقه »⁽¹⁰⁴⁾.

وقال أيضاً فيما رواه الطبراني : « من علم عبداً آية من كتاب الله فهو مولاه ينبغي له أن لا يخذله ولا يستأثر عليه فمن فعل ذلك فقد فصم عروة من عرى الإسلام ».

• قال الإمام أحمد الرفاعي قدس الله سره :

كل الآداب منحصرة في متابعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قولاً وفعلًا وحالاً وخلقاً فالصوفي آدابه تدل على مقامه زنوا أقواله وأفعاله وأحواله وأخلاقه بميزان الشرع يعلم لديكم ثقل ميزانه

(17) سورة النور الآية (63).

(18) أخرجه أحمد (19/259).

(19) أخرجه أحمد (5/196) وأبو داود (3641) والترمذي (6283) وابن ماجه (223) وابن حبان (80).

(10) أخرجه أبو داود (4943) والترمذي (1921) وأحمد (185/2).

وخفته خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن قال تعالى ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء

﴾⁽¹¹¹⁾.

من التزم الآداب الظاهرة دخل جنسية القوم وحسب في عدادهم ومن لم يلتزم الآداب الظاهرة فهو فيهم غير لا يلتبس حاله عليهم لأن استعمال الآداب دليل الجنسية بل تكون علة الضم قال رويم رحمه الله تعالى : التصوف كله أدب . وهذا الأدب الذي أشارت إليه الطائفة أدب الشرع كن متشرعا ودع حاسدك يكذب عليك، وينسب ما يجب إليك.

ولست أبالي من رماني بريية	إذا كنت عند الله غير مريب
إذا كان سري عند ربي منزلها	فما ضرني واش أتى بغريب ⁽¹²⁾

• وقال أبو نصر السراج:

الناس في الأدب على ثلاث طبقات: أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم والمنظوم وأما أهل الدين فأكثر آدابهم في رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات وأما أهل الخصوصية فأكثر آدابهم في طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود (التي بين العبد وربّه) وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر وحسن الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب.

• وقال الإمام الرواس قدس الله سره:

في المادة الثامنة من كتاب (فذلكة الحقيقة):

الأدب في كل قول وفعل فإن الأدب من الحياء والحياء من الإيمان وفي الأدب التخلق بخلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو أرواحنا لغبار قدميه الكريمتين الفداء قال (أدبني ربي فأحسن

تأديبي)⁽¹³⁾،⁽¹⁴⁾

وقال في المادة العشرين وما بعدها:

⁽¹¹¹⁾ سورة الأنعام الآية (38).

⁽¹²⁾ البرهان المؤيد ص (64 j 65).

⁽¹³⁾ ذكره السيوطي في الجامع الصغير (310) ورمز لصحته .

⁽¹⁴⁾ المجموعة النادرة لأبناء الآخرة ص (139).

وكمال الأدب حالة ذكر الله عز وجل سواء كان ذلك مع الإخوان أو بالانفراد فإن طريقنا يشمل
الذكرين الجلي والخفي، أما الجلي فمع الإخوان في حلق الأذكار وأما الخفي فهو ورد المرء يخلو به
مع الله تعالى ولا ينفع كلاهما بغير الأدب الصحيح، وهو صحة الحضور مع المذكور ليذكره الذاكر
معتبرا بآياته معظما لجلال سلطانه ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾⁽¹⁵¹⁾.

والقيام بأدب النظر فلا يصرفه للمستعارات الفانيات ولا يبعث منه لحظة خائنة قال الله تعالى ﴿
يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾⁽¹⁶²⁾.

والأدب العظيم حالة تلاوة الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليكون المصلي عليه
كأنها يصلي عليه وهو بين يديه عارفا ما أمكنه بجليل قدر وعظمة شأنه وأنه الرحمة للعالمين والإمام
لجميع المرسلين والباب لو صلة المتقين والشفيع للمذنبين عليه أفضل صلوات الباري المعين.
ومن الأدب احترام الأولياء والصالحين العلماء لأنهم ورثة الأنبياء على الحقيقة وإجلال شأنهم
أحياء كانوا أو أمواتا.

وكفناك نص الكتاب المكنون: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾⁽¹⁷³⁾.

والولاية اختصاص بالرحمة من الرحيم المنعم الكريم ليست مقيدة بحياة أو موت بل لما كانت من
الرحمة ففي حالة الموت هي أعم وأليق.

ولذلك فالرحمة الإلهية تشمل قصاد الأموات من الأولياء والناديين لهم والمستنصرين بهم اللاجئين
إليهم رضوان الله عليهم⁽¹⁸⁴⁾.

• وقال الإمام القشيري رضي الله عنه:

لو لم يكن للمريد من معرفة مقام الأدب مع الشيخ إلا قول موسى عليه السلام للخضر ﴿هل

أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا؟﴾⁽¹⁹⁵⁾ لكان في ذلك كفاية. فإن موسى لما أراد صحبة

⁽¹⁵¹⁾ سورة الشورى الآية (53).

⁽¹⁶²⁾ سورة غافر الآية (19).

⁽¹⁷³⁾ سورة يونس الآية (62).

⁽¹⁸⁴⁾ المجموعة النادرة لأبناء الآخرة ص (41 و 42).

⁽¹⁹⁵⁾ سورة الكهف الآية (66).

الخضر حفظ شرط الأدب فاستأذن أولاً في الصحبة ثم شرط عليه الخضر أن لا يعارضه في شيء ولا يعترض عليه في حكمه ثم لما خالفه موسى تجاوز عنه المرة الأولى والثانية فلما صار إلى الثالثة التي هي آخر حد القلة وأول حد الكثرة سئمه فقال: ﴿ هذا فراق بيني وبينك ﴾^[201]..^[212]

• وقال أبو الحسين النووي:

ليس لله في عبده مقام ولا حال ولا معرفة تسقط معها آداب الشريعة وآداب الشريعة حلية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلي بمحاسن الآداب.

• وقال الجنيد:

من أعان نفسه على هواها فقد أشرك في قتل نفسه ، لأن العبودية ملازمة الأدب، والطغيان سوء الأدب.

• وقال أبو علي الدقاق:

العبد يصل بطاعته إلى الجنة، وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى .

• وقال الجلال البصري:

التوحيد يوجب الإيمان فمن لا إيمان له لا توحيد له والشريعة توجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان له ولا توحيد له.

• وقال عبدالله بن المبارك:

من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن، ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان المعرفة.

• وقال انس بن مالك رضي الله عنه :

الأدب في العمل علامة قبول العمل .

• وقال ابن المبارك أيضاً:

نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم.

• وقال النووي :

^[201] سورة الكهف الآية (78).

^[211] الوصايا ص (301 | 302).

من لم يتأدب للوقت فوقته ممت.

• وقال ذو النون:

إذا خرج المرید عن حد استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء.

مسألة حجاب المرأة المسلمة

أجمع الفقهاء قديماً وحديثاً على وجوب تغطية المرأة كامل جسدها حتى الوجه والكفين عند الخوف من الفتنة استناداً إلى القاعدة الأصولية التي تقول: (ما أدى إلى حرام فهو حرام) وبالتالي: (ما أدى إلى واجب فهو واجب) فالفتنة حرام ودرؤها واجب وهو المشهور عن جمهور الصحابة والتابعين حيث استدلوا بالأدلة التالية:

من القرآن الكريم:

1 - قوله تعالى ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴾⁽¹¹⁾.

قال ابن عباس: أمر الله تعالى نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهم بالجلابيب، وقال ابن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن قول الله تعالى ﴿ يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ فغطى وجهه ورأسه.

2 - وقوله تعالى ﴿ ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ﴾⁽²²⁾.

قالوا: ما ظهر بحكم الضرورة كأن كشفته الريح.

⁽¹¹⁾ سورة الأحزاب الآية (59).

⁽²²⁾ سورة النور الآية (31).

وقالوا أيضا: ما ظهر بحكم العادة وهو زينة ظاهر اللباس.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (إلا ما ظهر منها) أي كالداء وظاهر الثياب، لأنه لا يمكن إخفاؤه ومثله قال ابن سيرين والنخعي وأبو الجوزاء والحسن.

وقال ذلك أيضا أحمد بن حنبل في تفسير زاد المسير لابن الجوزي: حتى الظفر يحرم أن يظهر منها.

3 - وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾⁽³¹⁾.

فظاهر الآية خاصة بنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكنها عامة الحكم بجميع النساء لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وذلك عن طريق القياس الأولى أو ما يسمى (القياس الجلي).

من الأحاديث النبوية الشريفة والآثار:

1 - عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: « لا تنتقب المرأة

المحرمة ولا تلبس القفازين »⁽⁴²⁾.

قال الشيخ ابن تيمية: (وهذا يدل على أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء اللاتي لم يجرمن ، وذلك يقتضي ستر وجوههن).

وفي رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لا تلثم المرأة ولا تتبرقع ولا تلبس ثوبا بورس ولا زعفران »⁽⁵³⁾.

2 - عن السيدة عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك وفيه قولها: (فسترت وجهي عنه

بجلبابي ...)⁽⁶⁴⁾.

3 - عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرفد الفضل بن

العباس يوم النحر خلفه وفيه قصة الخنعمية التي وقفت تسأل رسول الله صلى الله عليه وآله

⁽¹³⁾ سورة الأحزاب الآية (53).

⁽²⁴⁾ أخرجه البخاري (1838) والنسائي (2672) والترمذي (833) وأحمد (119/6) ومالك موقوفا (328/1) وأبو داود (1825).

⁽⁵¹⁾ أخرجه البخاري (476/1).

⁽⁶⁾ أخرجه البخاري (4141) ومسلم (6951) وأبو داود (2138) وأحمد (194/6) وأبو يعلى (4927) وابن حبان (4212) والبعوي (2325).

وسلم فطفق الفضل ينظر إليها، فأخذ النبي عليه الصلاة والسلام بذقن الفضل فحول وجهه عنها⁽⁷¹⁾.

- فلو لم يكن عورة لما حول وجهه عنها مع أنها كانت محرمة بالحج لذلك كانت كاشفة وجهها.
- 4 - واخرج ابن سعد عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما اجتلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صفية رأى عائشة متنقبة وسط النساء فعرفها.
- 5 - وورد في مصنف عبدالرزاق عن سيدتنا أم سلمة رضي الله عنها قالت: (لما نزلت آية الحجاب خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان لسترهن وجوههن بفضل أكسيتهن).
- 6 - عن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « إياكم والدخول على النساء: فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أفرأيت الحمى؟ قال: (الحمى الموت)⁽⁸²⁾ فلو كان الوجه غير عورة لسهل على الأعماء للضرورة المدعاة لهم.
- 7 - عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن أم سليم صنعت حيسا (نوع من الحلوى) وأرسلت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمناسبة زواجه من زينب بنت جحش فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه وجلسوا يأكلون ويتحدثون ورسول الله جالس وزوجته مولية وجهها إلى الحائط إلى أن خرجوا)⁽⁹³⁾.
- 8 - قصة إجلاء بني قينقاع: (أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها)⁽¹⁰⁴⁾. فباعته بسوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ بها فجعلوا يراودونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعمده إلى ظهرها فلما قامت تكشف بعض جسمها فضحكوا منها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين فقتله...)⁽¹¹⁵⁾.
- فكونهم يريدون منها كشف وجهها فأبت هذا دليل على أنها كانت مغطية وجهها.

⁽¹⁷⁾ أخرجه البخاري (1469).

⁽²⁸⁾ أخرجه البخاري (5232) ومسلم (5638) والترمذي (1171).

⁽³⁹⁾ أخرجه مسلم (3493).

⁽¹⁰⁾ ما يجلب إلى السوق للبيع.

⁽¹¹⁾ سيرة ابن هشام (47/2) والطبري (480/2) وطبقات ابن سعد (67/3).

9 - وأخرج البيهقي بإسناد صحيح عن عاصم بن الأحول قال: (كنا ندخل على حفصة بنت سيرين، وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقبت به)، فنقول لها: رحمك الله، قال الله تعالى ﴿ والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة﴾⁽¹¹²⁾ هو الجلباب؟ فتقول لنا: أي شي بعد ذلك؟ فنقول: ﴿ وإن يستعففن خير لهن﴾⁽¹³²⁾ فتقول إثبات الحجاب.

فإن كن النساء القواعد والفتنة فيهن أخف يسترن وجوههن فما هو حال غيرهن؟!!

10 عن أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده ميمونة زوجته، فأقبل عبدالله بن أم مكتوم شيخ كبير أعمى فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قوما واحتجبا منه فقلت يا رسول الله: أليس هو بأعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال عليه السلام: أفعميا وان أنتما؟ أألستما تبصرانه؟»⁽¹⁴³⁾. فتأملوا رحمكم الله تعظيم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لهذا الأمر وتشديده فيه مع علمه بنزاهة وكمال عفته وسلامة صدورهن وصحبتهن لكمال النبوة كيف أمرهن بالاحتجاب لئلا ينظرن إلى ابن أم مكتوم مع كبر سنه وعمى بصره وفقد جماله وبعده عن الآفة في جميع أحواله حتى زجرهن عن النظر إليه تعظيما لأمر الله وحسبا لمادة الآفة عن البواطن العفيفة أن يبقى خاطر لذكر غير محرم لم يؤذن في النظر إليه موافقا لقوله تعالى لأزواجه.

﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾⁽¹⁵⁴⁾ وبهذا تأمن الفتنة⁽¹⁶⁵⁾.

وأقول: إذا أراد الخاطب أن يخاطب فتاة لا يحق له أن يرى من خطيبته إلا الوجه والكفين، وهذا معروف مشهور يتناقله الخاصة والعامة على السواء إذن تبين أنه إن لم يرد خطبته فلا يحق له أن يرى حتى وجهها وكفيها. ولكن لا يعني هذا الكلام أن المرأة تحتجب وتجلس في بيتها ولا يحق لها

⁽¹¹²⁾ سورة النور الآية (60).

⁽¹³²⁾ سورة النور الآية (60).

⁽¹⁴³⁾ أخرجه أبو داود في سننه (/ 412) والترمذي (2778) وقال حديث حسن صحيح وأحمد في المسند (148/3) وقال الحافظ في الفتح (294/9) عن

الحديث: أخرجه أصحاب السنن من رواية الزهري عن نيهان مولى أم سلمة عنها، وإسناده قوي.

⁽¹⁵¹⁾ سورة الأحزاب الآية (33).

⁽¹⁶⁵⁾ عرائس الغرر وغرائس الفكر في أحكام النظر ص (262 | 263).

أن تعمل أو يخرج من بيتها فالإسلام سمح للمرأة بالغزو في سبيل الله لمداواة الجرحى وسمح لها بالعمل لكن ضمن حدود شرعية تخرج محتشمة مستورة عفيفة وبهذا يكون المجتمع مجتمعا إسلاميا حقيقيا يعيش في عفة وصفاء.

وذكر الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى في كتاب: (إلى كل فتاة تؤمن بالله)

بشأن حجاب المرأة ما يلي:

قال: إن أئمة المسلمين كلهم قد أجمعوا على ما يلي:

1 - لا يجوز أن تكشف المرأة أمام غير الذين استثناهم الله عز وجل شيئا أكثر من وجهها وكفيها.

2 - لا يجوز لها أن تكشف الوجه والكفين أيضا إذا علمت أن حولها من قد ينظر إليها النظر

المحرم الذي نهى الله تعالى عنه، بان يتبع النظرة النظرة ولا تستطيع أن تزيل هذا المنكر إلا

بحجب وجهها عنه وعلى هذه الحالة يحمل ما نقله الخطيب الشربيني عن إمام الحرمين من

اتفاق المسلمين على منع النساء من الخروج سافرات الوجه) ⁽¹⁷¹⁾ وقد صرح بهذا القيد

القرطبي فيما نقله عن ابن خويذ من أئمة المالكية: أن المرأة إذا كانت جميلة، وخيف من

وجهها الفتنة فعليها ستر ذلك ⁽¹⁸²⁾.

وقال صاحب الدر المختار من الحنفية: وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه بين الرجال لا لأنه

عورة بل لخوف الفتنة ولا يجوز النظر إليه بشهوة.

وهكذا فقد ثبت الإجماع عند جميع الأئمة (سواء من يرى منهم أن وجه المرأة عورة كالحنابلة

والشافعية، أو من يرى منهم أنه ليس بعورة كالحنفية والمالكية): أنه يجب على المرأة أن تستر وجهها

عند خوف الفتنة بأن كان من حولها ينظر إليها بشهوة ومن ذا الذي يستطيع أن يزعم أن الفتنة

مأمونة اليوم وأنه لا يوجد في الشوارع من ينظر إلى وجوه النساء بشهوة ⁽¹⁹³⁾؟!.

⁽¹⁷¹⁾ مغني المحتاج (129/3).

⁽¹⁸²⁾ تفسير القرطبي (238/12).

⁽¹⁹³⁾ الدر المختار على هامش ابن عابدين (248/1).

3 - واتفقوا على جواز كشف المرأة وجهها ترخصا لضرورة تعلم أو تطيب أو عند أداء شهادة أو تعامل من شأنه أن يستوجب الشهادة فهذه النقاط الثلاث محل إجماع لدى الأئمة وعامة الفقهاء .

ثم إنهم اختلفوا فيما وراء هذه الأحوال وهو أن تكون المرأة بادية الوجه في مجتمع عام وليس ثمة من يتعمد النظر إليها بريية وهذا فرض وهمي اليوم فقد ذهب البعض كما رأينا إلى أنه لا حرج عليها في ذلك . وذهب آخرون إلى أنه يجب عليها أن تستر وجهها مطلقا . هذا هو حكم الإسلام في لباس المرأة اتفقت عليه كلمة علماء المسلمين كلهم معتمدين في ذلك على نصوص واضحة صريحة في كتاب الله تعالى وأحاديث ثابتة من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا عثرنا بعد ذلك على وقائع وتصرفات فردية لبعض نساء الصحابة أو التابعين أو غيرهم تخالف هذا الذي أجمع عليه الأئمة مما دل عليه صريح الكتاب والسنة فإنها وقائع محجوجة بالحكم المبرم الذي دل عليه إجماع الأئمة وصريح الكتاب والسنة وحاشا أن يكون حكم الله هو المحجوج بها^[201] .

مسألة المصافحة بعد الصلاة

المصافحة بعد الصلاة أمر مشروع يزيد المحبة بين المسلمين ويوثق أواصر الأخوة فيما بينهم والأدلة على ذلك ما يلي :

(^[201] إلى كل فتاة تؤمن بالله ص (37 - 39) .

1 - عن سيدنا يزيد بن الأسود رضي الله عنه : أنه صلى الصبح مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: ثم ثار الناس يأخذون بيده يمسحون بها وجوههم فأخذت بيده فمسحت بها وجهي فوجدتها (أبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك).

وفي رواية عن سيدنا أبي جحيفة رضي الله عنه قال: ثم صلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزة تمر من ورائها المرأة وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم قال فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي (أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك) ⁽¹¹¹⁾.

2 - وقال البراء بن عازب رضي الله عنه : من تمام التحية أن تصافح أخاك ⁽¹²²⁾.

3 - وعن قلدة بن دعامة الدوسي رضي الله عنه قال قلت لأنس : (أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : نعم).

4 - عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما جاء أهل اليمن قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « قد جاءكم أهل اليمن، وهم أول من جاء بالمصافحة » ⁽¹³³⁾.

5 - وعن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا » ⁽¹⁴⁴⁾.

فالأحاديث الثلاثة الأخيرة عامة في مشروعية المصافحة وهي تشمل المصافحة بعد الصلاة وفي الأوقات كلها ، والحديثان الأولان يخصصان ويبينان جواز السلام والمصافحة بعد الصلاة خصوصا.

أقوال العلماء في المصافحة بعد الصلاة

1 - قال الإمام الطحاوي في حاشيته على مراقي الفلاح: (تطلب المصافحة فهي سنة عقب الصلاة كلها وعند كل لقي).

⁽¹¹¹⁾ أخرجه البخاري (3360).

⁽¹²²⁾ أخرجه البخاري في الأدب (968).

⁽¹³³⁾ أخرجه أبو داود (5213) والبخاري في الأدب (967) وقال الحافظ سنده صحيح.

⁽¹⁴⁴⁾ أخرجه أبو داود (5212).

- 2 - وقال الشيخ عبدالغني النابلسي عن المصافحة بعد الصلاة : (إنها داخلة تحت عموم سنة المصافحة مطلقاً)⁽⁵¹⁾.
- 3 - وقال الشيخ الإمام أبو محمد عز الدين بن عبدالسلام رحمه الله : (أنها من البدع المباحة).
- 4 - وقال الإمام النووي في الأذكار : (أنها بدعة مباحة).
- على أن المصافحة بعد الصلاة ودعاء المسلم لأخيه المسلم بأن يتقبل الله منه صلاته بقوله (تقبل الله) لا يخفى ما فيها من خير كبير وزيادة تعارف وتآلف وسبب لربط القلوب وإظهار للوحدة والترابط بين المسلمين.

مسألة صلاة الأوابين بعد المغرب

- الأوابون: جمع أواب : والمعنى : رجاء إلى الله بالتوبة والاستغفار . وقد سميت الصلاة بين المغرب والعشاء صلاة الأوابين لما ورد في الحديث .
- عن محمد بن المنكدر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إنها - أ الصلاة بين المغرب والعشاء - صلاة الأوابين »⁽¹¹²⁾.
- وهو وإن كان مرسلًا ، فإن الإمام أبا حنيفة ومالكا وأحمد في إحدى الروايتين عنه وجمهور المحدثين يحتجون بالمرسل .
- الأدلة على مشروعيتها:
- 1 - قال صلى الله عليه وآله وسلم « من صلى المغرب والعشاء فإنها صلاة الأوابين »⁽²¹⁾.

⁽⁵¹⁾ شرح الطريقة المحمدية للشيخ النابلسي (150/2).

⁽¹¹²⁾ الباعث الحثيث لابن كثير ص 48.

2 - عن سيدنا أبي هريرة قال: قال رسول الله « من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتي عشرة سنة»⁽³²⁾.

3 - وعن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (أنه سئل أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمر بصلاة بعد المكتوبة؟ قال: نعم ، بين المغرب والعشاء)⁽⁴³⁾.

4 - وسئل سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه عن قوله تعالى ﴿ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ﴾⁽⁵⁴⁾ قال : كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء ، وكذلك ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾⁽⁶⁵⁾ .⁽⁷⁶⁾

5 - وقد روي عن حذيفة (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى المغرب ، فما زال يصلي في المسجد حتى صلى العشاء الآخرة)⁽⁸⁷⁾.

وجاء في حاشية الباجوري في الفقه الشافعي : (إن من النوافل صلاة الأوابين، وهي بين المغرب والعشاء، وهي ست ركعات إلى عشرين ركعة وتصلى ركعتان أيضا)⁽⁹⁸⁾.
وجاء في الفقه الحنفي : (مطلب السنن والنوافل قال: وست بعد المغرب ليكتب من الأوابين بتسليمة أو اثنتين أو ثلاث)⁽¹⁰⁹⁾.

وقال الحافظ العراقي : (ومن كان يصلي ما بين المغرب والعشاء من الصحابة. عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمر ، وسلمان الفارسي، وعبدالله بن عمرو، وأنس بن مالك في ناس من الأنصار، ومن التابعين : الأسود بن يزيد وأبو عثمان النهدي وابن أبي مليكة وسعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر وأبو حاتم وعبدالله بن سخريرة وعلي بن الحسين (زين العابدين)) وأبو عبدالرحمن الحنبلي

⁽¹²⁾ ذكره السيوطي في الجامع الصغير (8804).

⁽³¹⁾ ذكره السيوطي في الجامع الصغير (8803).

⁽⁴⁴⁾ أخرجه الإمام أحمد (966).

⁽⁵¹⁾ سورة الذاريات الآية (17).

⁽⁶¹⁾ سورة السجدة الآية (16).

⁽⁷¹⁾ أخرجه أبو داود (1318) وقال العراقي: إسناده جيد.

⁽⁸¹⁾ أخرجه أحمد في المسند (414/5).

⁽⁹¹⁾ حاشية الباجوري (135/1).

⁽¹⁰¹⁾ حاشية ابن عابدين على الدر المختار (12/2 - 13).

وشريح القاضي وعبدالله بن مغفل وغيرهم فتبين لنا مشروعية صلاة الأوابين بين المغرب والعشاء مدللة بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفعل الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

مسألة مس غير الطاهرين المصحف

ذهب جمهور العلماء قديما وعموم أهل السنة والجماعة حديثا ، وفي مقدمتهم الأئمة الأربعة، أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأتباعهم إلى أنه لا يجوز للمحدث حدثا أصغر ولا أكبر ولا للحائض والنفساء أن يمس المصحف والأدلة على ذلك:

1 - قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ في كتاب مكنون ، لا يمسه إلا المطهرون ، تنزيل من رب العالمين ﴿(11)﴾.

فالهاء في (لا يمسه) عائدة على القرآن الكريم، ويدل على ذلك الآية التي بعدها ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾ والتنزيل من خصائص القرآن فقط دون غيره مما لم ينزل كاللوح المحفوظ مثلا، والمخاطب بالطهارة في الآية هو الإنسان، والمراد بها الطهارة الظاهرة من الحدثين الأكبر والأصغر وليس طهارة العقيدة كما يزعم بضعمهم.

2 - وعن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ولا يمس القرآن إلا طاهر » ﴿(22)﴾.

3 - وعن سيدنا حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: « لا تمس القرآن إلا وأنت على طهر » ﴿(33)﴾.

(11) سورة الواقعة الآية (77 - 80).

(22) أخرجه الطبراني في الصغير (1162) والدارقطني (121/1) وفي الكبير (13217) والبيهقي (88/1) وابن حبان (6559).

(33) أخرجه الدارقطني (122/1) والحاكم (6051) وصححه وأقره الذهبي .

4 - وفي حديث الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمر و بن حزم إلى اليمن وفيه « أن لا يمس القرآن إلا طاهر »⁽⁴¹⁾.

وقال ابن عبد البر : إنه أشبه المتواتر لتلقي الناس له بالقبول .

5 - عن عبد الرحمن بن يزيد قال : كنا مع سلمان فخرج فقضى حاجته ثم جاء فقلت : يا أبا عبد الله لو توضأت لعلنا أن نسألك عن آيات فقال : (إني لست أمسه إنما لا يمسه إلا المطهرون) فقرأ ما يشاء⁽⁵²⁾.

6 - وعن سيدنا علي رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توضأ ثم قرأ شيئاً من القرآن ثم قال : هكذا لمن ليس بجنب فأما الجنب فلا ولا آية⁽⁶³⁾.

قال العلماء : طالما لا يجوز للجنب أن يقرأ القرآن كذلك لا يجوز له ولا لغيره من غير الطاهرين مسه .

سنة الجمعة القبلية

إن صلاة الجمعة تقوم مقام صلاة الظهر، فيسن قبلها ما يسن قبل الظهر، من صلاة سنة الظهر القبلية، وجُلُّ الأمر أننا أبدلنا كلمة الظهر بالجمعة، على أنه وردت الأحاديث بلفظ الجمعة والأدلة على ذلك ما يأتي:

⁽¹⁴⁾ أخرجه الحاكم (6051) والدارقطني (121/1) وابن حبان (6559).

⁽²⁵⁾ أخرجه الدارقطني (124/1) وقال صحيح ورجاله ثقات.

⁽⁶⁾ ذكره الشوكاني في نيل الأوطار (266/1) وقال الهيثمي : رجاله موثوقون.

1 - عن سيدنا علي رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي قبل الجمعة أربعاً وبعدها أربعاً)⁽¹¹⁾.

2 - وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء سُلَيْك الغطفاني ورسول الله يخطب ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أصليت قبل أن تجيء » قال لا قال: « فصل ركعتين وتجاوز فيها »⁽²²⁾.

فقوله صلى الله عليه وآله وسلم (قبل أن تجيء) دليل صريح على سنة الجمعة القبلية، لأن تحية المسجد لا تفعل قبل المجيء .

3 - وذكر الإمام البخاري في صحيحه في باب (الصلاة قبل الجمعة وبعدها) حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين)⁽³³⁾.

وقال القسطلاني في شرحه على هذا الحديث: (والظاهر أنه قاسها أي الجمعة على الظهر) . *ā Ā í Ā* الإمام البخاري يقول بسنية الصلاة قبل الجمعة .

وفي مصنف الحافظ عبدالرزاق : باب الصلاة قبل الجمعة وبعدها وفي مصنف ابن أبي شيبة (باب الصلاة قبل الجمعة) وفي سنن الترمذي (باب الصلاة قبل الجمعة وبعدها) وهؤلاء أئمة السلف . وعن سيدنا أبي أيوب رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يركع قبل الظهر أربعاً لا يفصل بينهما)⁽⁴⁴⁾.

وعن السيدة أم حبيبة رضي الله عنها قالت: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتاً في الجنة أربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر »)⁽⁵⁵⁾ .

⁽¹¹⁾ ذكره الحافظ المناوي في فيض القدير (216/5) وقال الحافظ العراقي: إسناده جيد .

⁽²²⁾ أخرجه بن ماجه (1114) بإسناد صحيح ، كما قال الحافظ العراقي في شرح الترمذي وقال المجد في بن تيمية في الأحكام (رجال إسناده ثقات) .

⁽³³⁾ أخرجه البخاري (895) .

⁽⁴⁴⁾ أخرجه ابن ماجه (1157) .

⁽⁵⁵⁾ أخرجه النسائي (17949) وابن حبان (2452) والحاكم (1173) .

- 4 - وعن سيدنا عبدالله بن الزبير رضي الله عنه : (ما من صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتين)⁽¹⁶⁾.
- 5 - وعن نافع قال : (كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي ركعتين في بيته ويتحدث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يفعل ذلك)⁽⁷²⁾ ، وقد استدلل واحتج بهذا الحديث الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتابه (الخلاصة) على إثبات سنة الجمعة التي قبلها .
- 6 - وصح أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : (كان يصلي قبلها - أي الجمعة - أربع ركعات وبعدها أربع ركعات)⁽⁸³⁾.
- 7 - وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها : (أنها صلت قبل الجمعة أربعاً)⁽⁹⁴⁾.
- 8 - وأيضاً ما رواه الحافظ عبدالرزاق بسنده في مصنفه قال : (كان عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه يأمرنا أن نصلي قبل الجمعة وبعدها أربعاً) .
- فتبين لنا مما مر أن الصلاة قبل الجمعة مشروعة ومرغب فيها، ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن الصحابة والسلف رضي الله عنهم .

صلاة الظهر بعد الجمعة

أجمع جمهور الفقهاء من الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة على جواز صلاة الظهر بعد الجمعة، وذلك للأسباب التالية:

⁽¹⁶⁾ أخرجه ابن حبان (2455) والدارقطني (267/1) .
⁽⁷²⁾ أخرجه أبو داود (1128) وابن حبان في صحيحه (2476) .
⁽⁸³⁾ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه [2 / كتاب / 4 / باب (46) رقم (1) وباب (47) رقم (4)] .
⁽⁹⁴⁾ ذكره الحافظ ابن حجر في الدرر النورية ص (143) .

1 - عند تعدد الجمع في مكان واحد وبدون عذر ولم يعلم أيها الأسبق أو علم الأسبق فعلى الباقي صلاة الظهر أربعاً.

2 - وعند فقد شرط من شروط صحة صلاة الجمعة.

3 - وعند عدم إدراك المصلي ركعة مع الإمام بأن لحقه في التشهد فعند سلام الإمام يقوم المسبوق (الذي لم يدرك الركعة مع الإمام) ويصلي الظهر أربعاً.

ولكنهم اختلفوا في وجوبها أو نديها أو استحبابها ومبنى أمرهم كله على اختلافهم في جواز تعدد الجمع لغير عذر أو عدم الجواز، وملخص القول في هذه المسألة أنه: لا يجوز تعدد الجمع لغير عذر أجمع على ذلك الشافعية والمالكية وبعض الأحناف والحنابلة في إحدى روايتي الإمام أحمد.

فقد قال الشافعي: (إذا اتسعت البلد، وكثرت عمارتها، فبنيت فيها مساجد كثيرة، عظام وصغار، لم أحب أن تصلى الجمعة فيها إلا في مسجد واحد، وكذلك إذا اتصلت بالبلد الأعظم منها قرى صغار لم أحب أن يصلى إلا في المسجد الأعظم وإن صلى الله عليه وآله وسلم في مسجد منها غيره صليت الظهر أربعاً وإن صليت الجمعة أعاد من صلاها فيها)⁽¹¹⁾.

وتبعه بذلك أئمة مذهبه منهم الإمام النووي والسبكي والرملي وغيرهم.

وذكر الإمام ابن عابدين في حاشيته المشهورة: (أن عدم جواز التعدد هو المشهور من مذهب مالك)⁽²⁾.

وذكر المقدسي في رسالته: (نور الشمعة في ظهر الجمعة): أن عدم جواز التعدد هو إحدى

الروايتين عن الإمام أحمد - كما نقل ذلك العلامة ابن عابدين في حاشيته - .

ونقل العلامة ابن عابدين أيضاً في حاشيته⁽³⁾: أن الإمام أبا حنيفة يقول بعدم التعدد وتبعه من

أئمة مذهبه الطحاوي وصاحب المختار والعتابي وغيرهم.

(11) كتاب الأم للشافعي (171/1).

(2) حاشية ابن عابدين (542/1).

(3) حاشية ابن عابدين (542/1).

ونعود إلى مسألة إعادة الظهر بعد الجمعة عند تعدد الجمع لغير عذر مع مراعاة الخلاف فنقول: قال الشافعية بوجوب صلاة الظهر بعدها.

وأما الأحناف فقد تردد القول عندهم فيها، فبعضهم ذهب إلى أنها واجبة أيضا احتياطا، وبعضهم ذهب إلى الندب عند التعدد سواء كان بعذر أو بغير عذر وبعضهم جعلها خلاف المذهب، ولكن لم يجرمها وتبعهم بهذا القول الإمام أحمد.

فالأمر كما ظهر لنا اجتهاد، فيجوز تقليد المجتهدين القائلين بكل من القولين ولا ننكر على من يصلّيها أو على من لا يصلّيها جمعا بين الأقوال ودفعاً لتفرقة وتشتيت ذلك الجسم الذي أخبر عنه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول: « مثل المؤمن في توادهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »⁽¹⁴¹⁾.

صنع أهل الميت الطعام

أدلة جواز صنع أهل الميت الطعام

1 - عن الأحنف بن قيس قال: (حين طعن عمر أمر صهيبا أن يصلي الناس ثلاثا وأمر بأن يجعل للناس طعاما)⁽¹¹²⁾.

2 - وعن طاووس قال: (إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعا ويستحبون أن يطعموا عنهم تلك الأيام)⁽²¹³⁾.

⁽¹⁴⁾ أخرجه البخاري (367/10) ومسلم (2586) وأحمد في المسند (270/4).

⁽²¹¹⁾ ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (199/1) رقم (709) وقال: إسناده حسن .

⁽³²⁾ ذكره ابن حجر في المطالب العالية (199/1) وقال: إسناده قوي.

والأفضل أن يقوم بإعداد الطعام والقيام عليه جيران الميت ومن حوله من غير أهله ولا يضر كون ثمن الطعام من أموال أهل الميت لا من تركة الميت إلا أنه يستحب أن لا يقوموا هم عليه لانشغالهم بما هو أهم وهو تلقي قدر الله عز وجل بالرضى والتسليم وقبول العزاء من الناس تطبيقاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: « اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد جاءهم ما يشغلهم »⁽³¹⁾.

تلقين الميت بعد الدفن

استدل القائلون بجواز تلقين الميت بعد دفنه في قبره بالأدلة التالية:

1 - أخرج الطبراني وعبدالعزیز الحنبلي عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: إذا مات فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نصنع بموتانا.

أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم احدكم على رأس قبره ثم يقول: يا فلان فإنه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تشعرون فليقل: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأنتك رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد بيد صاحبه ويقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند من لقن حجته. فقال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف أمه؟ فقال: ينسبه إلى أمه حواء يا فلان ابن حواء. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني إسناد صالح وذكر له شواهد في كتابه التلخيص⁽¹²⁾.

⁽¹³⁾ أخرجه الترمذي (998) وحسنه والحاكم وصححه (372/1) ووافقه الذهبي ، وأبو داود (3132) وابن ماجه (1610) والدارقطني (79/2).
⁽²¹⁾ تلخيص الحبير ص (242 - 243) من المجموع للنووي ص (243) وأخرجه الطبراني في الكبير (7979) والمهيني في مجمع الزوائد (4248) وقد قواه الضياء في أحكامه.

2 - وأخرج الحافظ سعيد بن منصور حديثاً وهو: إذا سوي على الميت قبره وانصرف الناس عنه كانوا (أي الصحابة) يستحبون أن يقال للميت عند قبره: يا فلان قل لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله ثلاث مرات يا فلان قل ربّي الله ودينّي الإسلام ونبيّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم ينصرف، قال الشوكاني ذكره الحافظ ابن حجر في التلخيص وسكت عنه⁽²¹⁾.

3 - حديث: «لقد ماتوا موتاً لا إله إلا الله»⁽³²⁾.

قال المحب الطبري وابن الهمام والشوكاني وغيرهم لفظ موتاً نص في الأموات وتناوله للحبي المحتضر مجاز فلا يصر إليه إلا بقريئة وحيث لا توجد قريئة تصرفه عن حقيقته إلى مجازة فشموله للأموات أولى إن لم يقتصر عليهم فقط والله أعلم.

4 - أخرج مسلم وغيره أن الصحابي عمرو بن العاص قال لأهله: إذا دفنتموني فأقيموا بعد ذلك حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع رسل ربّي⁽⁴³⁾.

• ومن أقوال الفقهاء:

1 - قال ابن العربي في مسالكه إذا أدخل الميت قبره فإنه يستحب تلقينه في تلك الساعة وهو فعل أهل المدينة والصالحين من الأخيار لأنه مطابق لقوله تعالى ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾⁽⁵⁴⁾، وأحوج ما يكون العبد إلى التذكير بالله عند سؤال الملائكة⁽⁶⁵⁾.

2 - وقال النووي: وأما تلقين الميت بعد الدفن فقد قال جماعة كثيرون من أصحابنا باستحبابه ومن نص على استحبابه القاضي حسين والمتولي والمقدسي والرافعي⁽⁷⁶⁾.

وقال يجوز التلقين أيضاً: ابن عابدين في حاشيته والزليعي وابن قدامة وجمهور الفقهاء خاصة المتأخرين.

⁽¹²⁾ تلخيص الحبير ص 242 آ 5 من المجموع للنووي .

⁽²³⁾ أخرجه مسلم (916) وأبو داود (3117) والنسائي (5/4).

⁽³⁴⁾ رواه مسلم (121).

⁽⁴⁵⁾ سورة الذاريات الآية (55).

⁽⁶⁾ هامش مواهب الجليل (238/2).

⁽⁷⁾ الأذكار ص (123).

مسألة قضاء الفوائت من الصلاة

أجمع أهل السنة والجماعة أتباع المذاهب الأربعة على وجوب القضاء على تارك الصلاة عمدا كما هو واجب على الناسي أو النائم وأكدوا واستدلوا بما يلي:

1 - قوله صلى الله عليه وآله وسلم « فدين الله أحق بالقضاء »⁽¹¹⁾.

فالصلاة المتروكة بأي شكل من الأشكال هي دين في ذمة تاركها وحقوق الله ألزم الحقوق وأكدها في القضاء وهذا الحديث ولو كان في الحج إلا أنه عام يبقى على عمومته ما لم يقدّم دليل على تخصيصه والدليل على عمومته أنه ورد هذا الحديث أيضا لمن سأله عن صوم أمه.

صح أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لمن أفطر في رمضان «صم يوما مكانه»⁽¹²⁾.

وصح أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لمن سأله: إن أمي أدركها الحج ولم تحج أفأحج عنها؟ وفي رواية: أينفعها إن حججت عنها؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم «أرأيت إن كان على أمك دين فقضيته أينفعها ذلك؟ قالت: نعم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فدين الله أحق بالقضاء وفي رواية: بالأداء»⁽¹³⁾.

والصلاة والصوم والحج عبادات فيقاس بعضها على بعض وخصوصا الصوم والصلاة لأنهما عبادتان بدنيتان فقط، أما الحج فهو عبادة بدنية ومالية.

(11) أخرجه البخاري (1754 - 6321).

(12) أخرجه أبو داود (2393).

(13) تقدم ترجمته.

النبي الشفيح للإمام الحافظ السخاوي بعد أن ذكر ما يفعله المؤذنون عقب الأذان من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذكر اختلاف العلماء فيه وقال الصواب أنه بدعة حسنة. وقد وافقه على ذلك من الحفاظ الإمام الحافظ السيوطي والحافظ ابن حجر الهيثمي عن شيخه زكريا الأنصاري ولم نعلم أن أحدا من العلماء المعتبرين أنكر عليهم ذلك وقد ذكر صاحب التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول في تعليقه على ما يستحب لسامع الأذان فقال: الصلاة بعد الأذان سنة للسامع والمؤذن ولو برفع الصوت وعليه الشافعية والحنابلة وهي بدعة حسنة كما ذكر ذلك ابن عابدين في حاشيته على الدر المختار⁽³¹⁾.

وسمعت الدكتور مصطفى البغا حفظه الله تعالى يقول: حضرت في أحد المساجد في بلاد المغرب وأذن المؤذن فنظرت إليهم ولم أرَ من يحرك شفثيه بعد الأذان يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت لهم: من منكم صلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الأذان؟ فلم يرفع يده أحد فقلت لهم: تنكرون على المشاركة الصلاة على النبي بعد الأذان! فهم يصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى يُذكَروا بالناس بالحديث (ثم صلوا علي).

مسألة الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الصلاة

فقد قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾⁽¹²⁾ وأحاديث الحث على الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة تبين فضل الصلاة عليه وما يجنيه العبد جراءها من أنه يصلي الله عليه بها عشرًا ويرفع بها عشر درجات ويعطيه بها عشر حسنات ويمحو عنه بها عشر سيئات وما إلى ذلك.

⁽¹³⁾ كتاب الإصابة في نصرة الخلفاء الراشدين والصحابة ص (1615).

⁽¹¹⁾ سورة الأحزاب الآية (56).

وقد جاءت مطلقة دون تقيدها بوقت دون وقت فهي عامة تشمل جميع الأوقات ومعلوم ان العام يعمل به في جميع جزئياته .

على أنه قد ورد الحث عليها في أوقات معينة منها عند الأذان وعند الدعاء وعند دخول المسجد وعند الخروج منه ولكن ذلك ليس بعبارة فإن تخصيص بعض أفراد العام بالذكر لا يخصص العام.

مسألة رفع اليدين في الدعاء عامة وبعد الصلاة خاصة:

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردها صفرا)⁽¹¹⁾.

وعن عمير مولى أبي اللحم انه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند أحجار الزيت قريباً من الزوراء يدعو رافعا كفيه قبل وجهه⁽²²⁾.

وفي رواية اخرى عنه (مقبلاً بباطن كفه إلى وجهه)⁽³³⁾.

وعن سلمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (إن الله جل وعلا يستحي من العبد أن يرفع إليه يديه فيردهما خائبين)⁽⁴⁴⁾.

وعن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بياض إبطيه⁽⁵⁵⁾.

(11) أخرجه الترمذي (3556) وحسنه وأبو داود (1488) والطبراني (6148) والبخاري في شرح السنة (1385) وابن حبان (876).
(22) أخرجه أحمد (223/5) والترمذي (557) والنسائي (159/3) وابن حبان (878) والحاكم (533/1) وصححه ووافقه الذهبي وأبو
(33) أخرجه ابن حبان (879).
(44) أخرجه أحمد (438/5) وابن حبان (880) والطبراني (6130) والحاكم (497/1) وصححه ووافقه الذهبي وجود إسناده الحافظ في
الفتح (143/11).
(55) أخرجه مسلم (895) وعلقه البخاري (6341) وانظر تعليق التعليق (393/2) وأحمد)

(وهذه الأحاديث كلها عامة تشمل كل الأوقات) وفي مشروعية رفع اليدين أحاديث كثيرة أفردتها المنذري في جزء سرد منها النووي في (الأذكار) وفي شرح المذهب جملة وعقد لها البخاري أيضا في (الأدب المفرد) (214 - 216) بابا ذكر فيه عدة أحاديث وانظر كذلك فتح الباري (11/142 - 143) فرغ اليدين مشروع معهود بين السلف والخلف.

مسألة تحريك الأصبع في التشهد

ثبت عن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث كثيرة أنه كان لا يحرك السبابة حين يشير بها في تشهده منها:

- 1 - عن سيدنا ابن الزبير رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يشير بالسبابة لا يحركها ولا يجاوز بصره إشارته⁽¹⁾. وفي رواية كان يشير بأصبعه إذا دعا ولا يحركها⁽²⁾.
- 2 - وعن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وآله وسلم قبض أصابعه كلها وأشار بأصبعه⁽³⁾.
- 3 - وعن سيدنا نعيم الخزاعي قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم واضعا ذراعه اليمنى على فخذه اليمنى رافعا إصبعه السبابة قد حناها شيئا⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ أخرجه أبو داود (990) والنسائي (1159) وأحمد (722/4) وقال الإمام النووي في (شرح المذهب) إسناده صحيح.

⁽²⁾ أخرجه أبو داود (989).

⁽³⁾ أخرجه مسلم (58 - 115) وأبو داود (987) والنسائي (1267) 36/3 (130/2) والبيهقي (223/2) وأحمد (65/2) ومالك في الموطأ (89 - 88/1).

⁽⁴⁾ أخرجه أبو داود (991) والنسائي (39/3) وابن خزيمة (715) والبيهقي (13/2).

4 - وعن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا قعد في التشهد وضع يده اليمنى على ركبته اليمنى وعقد ثلاثة وخمسين وأشار بالسبابة⁽⁵¹⁾.

5 - وعن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا جلس في الصلاة وضع كفه اليمنى على فخذه اليمنى وقبض أصابعه كلها وأشار بأصبعه التي تلي الإبهام ووضع كفه اليسرى على فخذه اليسرى⁽⁶²⁾.

فالأحاديث الثلاثة الأخيرة تدل على أن المقصود بالتحريك مجرد الإشارة دونها لإدانة لتحريكها كما صرح بذلك سيدنا ابن الزبير في الحديث الأول.

وأما التحليق في فعله صلى الله عليه وآله وسلم الذي نقله عنه سيدنا وائل ابن حجر حيث قال: (رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد حلق الإبهام الوسطى ورفع التي تليها يدعو بها في التشهد)⁽⁷³⁾.

وفي رواية: (وقبض ثنتين وحلق ورأيته يقول هكذا وأشار بالسبابة من اليمنى وحلق الإبهام والوسطى)⁽⁸⁴⁾.

فمعناه جعل الإبهام والوسطى على شكل حلقة والإشارة بالسبابة ولا يعني هذا تحريكها وقد قال العلماء (الحكمة من وضع اليدين على الفخذين في التشهد أن يمنعها من العبث)⁽⁹⁵⁾ والتحريك مناقض لهذه الحكمة.

أقوال العلماء في تحريك الأصبع في الصلاة:

قال الإمام النووي رضي الله عنه في فتاويه: تستحب الإشارة برفع المسبحة من اليد اليمنى عند الهمزة من قوله: إلا الله مرة واحدة ولا يحركها فلو كرر تحريكها كره ولم تبطل صلاته على الصحيح وقيل تبطل...⁽¹⁰⁶⁾.

⁽¹⁵⁾ أخرجه مسلم (580 - 115) وأبو عوانة في مسنده (224/2) والبيهقي (130/2) والدارمي (308/1).

⁽²⁶⁾ أخرجه مسلم (580) وأبو داود (987).

⁽³⁷⁾ أخرجه أحمد (316/4) والنسائي (35/3 - 36) وابن خزيمة (697).

⁽⁴⁸⁾ أخرجه النسائي (35/3 - 36).

⁽⁹⁾ كما في شرح المهذب للإمام النووي (455/3).

⁽¹⁰⁾ الفتاوى ص 54.

قال شيخ الحنابلة ابن قدامة المقدسي رضي الله عنه في (المغني): (ويشير بالسبابة يرفعها عند ذكر الله تعالى في تشهده لما روى عبدالله بن الزبير... وذكر حديث (لا يحركها) ⁽¹¹¹⁾).

وقال رضي الله عنه أيضا: (ويشير بأصبعه يرفعها عند ذكر الله تعالى قدر تشهده لما رويناه ولا يحركها لما روى ابن الزبير...) ⁽¹²²⁾.

وقال صاحب كتاب (الروض المربع) وهو مختصر معتمد في فقه السادة الحنابلة: (ويشير بسببته من غي تحريك في تشهده ودعائه في الصلاة وغيرها عند ذكر الله تعالى تنبيهها على التوحيد) ⁽¹³³⁾.

وأما حديث سيدنا وائل بن حجر رضي الله عنه الذي ذكر فيه وضع اليدين في التشهد ثم قال: (ثم رفع أصبعه فرأيته يركها ويدعو بها) ⁽¹⁴⁴⁾، فهو حديث صحيح إلا أن لفظة (يركها) شاذة غير صحيحة فقد انفرد بها زائدة بن قدامة وهو ثقة ولكنه خالف بها طريق أحد عشر ثقة ممن رووه من غير ذكر هذه الزيادة، وقد قال الإمام البيهقي في منظومته:

وما يخالف ثقة به الملا	فالشاذ والمقلوب قسمان تلا
------------------------	---------------------------

وقال الإمام ابن خزيمة في صحيحه عن ذكر الحديث:

(ليس في شيء من الأخبار (يركها) إلا في هذا الخبر زائد ذكرها) ⁽¹⁵⁵⁾ والأحد عشر ثقة الذين رووا الحديث دون زيادة (يركها) هم:

- 1 - أبو عوانة اليشكري.
- 2 - أبو الأحوص سلام بن سليم.
- 3 - بشر بن المفضل.
- 4 - خالد بن عبدالله الطحان.
- 5 - زهير بن معاوية.

⁽¹¹¹⁾ المغني (534/1).

⁽¹²²⁾ المغني (466/1).

⁽¹³³⁾ الروض المربع (59/1).

⁽¹⁴⁴⁾ أخرجه أحمد (318/4) وابن خزيمة (714) والبيهقي (132/2) وابن حبان (485).

⁽¹⁵⁵⁾ صحيح ابن خزيمة (354/1).

- 6 - سفيان الثوري.
- 7 - سفيان بن عيينة.
- 8 - شعبة بن الحجاج.
- 9 - عبدالله بن إدريس.
- 10 - عبدالواحد بن زياد.
- 11 - غيلان بن جامع.

ثم إن سلمنا عدم الشذوذ فقد وقع تعارض بين حديث سيدنا ابن الزبير وحديث سيدنا وائل رضي الله عنهما وأهل الأصول يوجبون الجمع بينهما إن أمكن فقد قالوا:

فالجمع بيننا تعارضاً هنا	في الأولين واجب إن أمكننا
--------------------------	---------------------------

وقد قال الإمام البيهقي في حديث سيدنا وائل بن حجر: (يحتمل أن يكون المراد بالتحريك الإشارة بها لا دوام أو تكرير تحريكها موافقة لرواية ابن الزبير بعد التحريك)⁽¹⁶⁾.
وقال الشيخ سلام الله في شرح موطأ الإمام مالك بعد ذكر حديث سيدنا وائل: (... ففيه تحريك السبابة عند الرفع وبه أخذ مالك والجمهور على أن المراد بالتحريك ههنا هو الرفع فلا يعارضه ما في أبي داود عن ابن الزبير (كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشير بأصبعه إذا دعا لا يحركها)⁽¹⁷⁾ والله الهادي إلى سواء السبيل.
والحمد لله رب العالمين

صلاة التراويح

⁽¹⁶⁾ سنن البيهقي (132/2).

⁽¹⁷⁾ عون المعبود (455/3).

صلاة التراويح هي قيام الليل في شهر رمضان المبارك وهي سنة صلاها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة منفردين كل على حدة وصلوها جماعة.

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى في المسجد فصلى بصلاته ناس ثم صلى من القابلة فكثر الناس ، ثم اجتمعوا في الليلة الثالثة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما أصبح قال: « قد رأيت الذي صنعتم ولم يمنعي من الخروج إليكم إلا أني قد خشيت أن تفرض عليكم»⁽¹⁾. فلما علم الصحابة رضي الله عنهم أن مقصد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه يخشى أن تفرض عليهم دون أن يكون فيها أي مخالفة شرعية عادوا إلى المسجد واصبحوا يصلونها فيه بعضهم يصلي منفردا وبعضهم يصلي بجماعة وبقي العمل على هذا حتى جاء عهد سيدنا عمر رضي الله عنه فدخل عليهم المسجد فوجدهم قد كثروا وأصبح المسجد مكتظا بالصحابة والتابعين وكل يصلي على حدة أو بجماعة مع صاحب له فنظر إليهم نظرة متبصر بحالهم نظرة باحث عن الطريقة الأمثل لتأمين كامل الخشوع لهم فقرر أن يجمعهم على قارئ واحد فجمعهم على سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه كما يروي لنا سيدنا عبدالرحمن بن عبد القاري فيقول: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر رضي الله عنه : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر : (نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله)⁽²⁾.

فلم ينكر عليه احد من الصحابة رضي الله عنهم ولم يثبت ذلك عنهم أبدا لأنهم علموا أنه ليس في فعله مخالفة للسنة فإن سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عندما انقطع عن الخروج إليهم في رمضان إنما كان ذلك خشية افتراض القيام عليهم، والآن قد انتقل سيدنا محمد صلى الله عليه وآله

(1) أخرجه البخاري بلفظ قريب (2012) وأبو داود (1373).

(2) أخرجه البخاري (2010).

وسلم إلى الحياة البرزخية وتوقف نزول الأحكام فلم يعد ثمة أي مانع من اجتماعهم على إمام واحد وصلاتهم جماعة في المسجد لاسيما أنه أكمل في الخشوع وأكثر ثوبا من الصلاة منفردين ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ»⁽³¹⁾.

ويقول أيضا: « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر »⁽⁴²⁾.

فكثر سيدنا عمر رضي الله عنه الركعات وخفف القراءة بقدر ما زاد من الركعات لأنه أخف على المأموم من تطويل الركعة الواحدة وعندما قال رضي الله عنه: (نعمت البدعة هذه) إنما قصد بها القيام في بداية الليل لا كما كان صلى الله عليه وآله وسلم يقوم في أوسطه أو آخره ودل على ذلك قول سيدنا عمر في الحديث نفسه: (والتي ينامون عنها يقصد قيام آخر الليل أفضل من التي يقومون) وأيضا تفسير راوي الحديث سيدنا عبدالرحمن رضي الله عنه لها بذلك وهو أعلم بما يقوله.

وقد كانت طائفة من السلف الصالح يقومون بأربعين ركعة ويوترون بثلاث وآخرون بست وثلاثين ويوترون بثلاث وغير ذلك كما سيمر معنا إن شاء الله .
والأدلة على ذلك هي:

عن يزيد بن رومان قال: (كان الناس في زمن عمر يقومون في رمضان بثلاث وعشرين ركعة).
قال الشوكاني: قال ابن إسحاق وهذا أثبت ما سمعت في ذلك⁽⁵³⁾.

وعن سيدنا السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: (كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر رمضان بعشرين ركعة وكانوا يقومون بالمتئين وكانوا يتوكؤون على عصيهم في عهد عثمان من شدة القيام)⁽⁶⁴⁾.

⁽³¹⁾ أخرجه أحمد (126/4) وأبو داود (4607) والترمذي (2676) وابن ماجه (43).

⁽²⁴⁾ أخرجه أحمد (382/5) والترمذي (3662) وقال حديث حسن وابن ماجه (97).

⁽⁵⁾ أخرجه مالك في الموطأ ص (106).

⁽⁶⁾ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (496/2) ومن صححه العيني والقسطلاني في شرحيهما لصحيح البخاري والسبكي في شرح المنهاج والكمال بن الهمام في شرح

الهداية والعراقي في شرح التقريب والإمام النووي في المجموع.

وأخرج المروزي عن زيد بن وهب أنه قال: (كان عبدالله بن مسعود يصلي لنا في شهر رمضان فينصرف وعليه ليل) قال الأعمش: (كان يصلي عشرين ركعة يوتر بثلاث).
وكذلك عن داود بن قيس أنه قال: (أدركت الناس في إمارة أبان بن عثمان وعمر بن عبدالعزيز يعني بالمدينة يقومون بست وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث).
وعن نافع قال: (لم أدرك الناس إلا وهم يصلون تسعا وثلاثين ويوترون منها بثلاث).
ونقل الحافظ ابن حجر أن مالكا قال: (الأمر عندنا بتسع وثلاثين وبمكة بثلاث وعشرين وليس في شيء من ذلك ضيق).
ونقل عنه أيضا قوله: (أنها بست وأربعين وثلاث وتر).
وعن زرارة بن أوفى أنه كان يصلي بهم في البصرة أربعاً وثلاثين ويوتر بثلاث وعن سيدنا سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه أربعاً وعشرين.
وعن إسحاق بن منصور قال: قلت لأحمد بن حنبل: كم ركعة يصلي في قيام شهر رمضان؟ فقال:
(قد قيل ألوان نحو أربعين وإنما هو تطوع).
وقال الترمذي: أكثر ما قيل أنه يصلي إحدى وأربعين مع الوتر.
بناء على ذلك تعددت مذاهب الأئمة الأربعة وفقهائهم في عددها إلى المذاهب التالية:
ذهب الشافعية والأحناف والحنابلة إلى أنها عشرون ركعة بعشر تسليبات آخذين بما صح عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم صلوها في عهد عمر وعثمان وعلي عشرين ركعة وقال به أيضا صاحب كتاب فقه السنة ونقل أنه مذهب داود الظاهري.
وقال الترمذي: (وأكثر أهل العلم على ما روي عن عمر وعلي وغيرهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قول النووي وابن المبارك).
وقال الإمام الشافعي: (هكذا أدركنا الناس بمكة يصلون عشرين ركعة)⁽¹⁷¹⁾.

(171) فقه السنة (54/2) والترمذي (170/3).

وذهب الإمام مالك: إلى أنها ست وأربعون عدا الوتر، كما نقله الحافظ ابن حجر في (الفتح) وقال: هذا المشهور عنه.

وروي عنه أيضا أنه قال: (الأمر عندنا بتسع وثلاثين) أي التراويح ست وثلاثون وثلاثة للوتر. فنستنتج مما مضى من حياة السلف الصالح والصحابة وأتباعهم أن عدد الركعات في صلاة التراويح غير محدد وقد قال الشيخ ابن تيمية الحنبلي (اعلم أنه لم يوقت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في التراويح عددا معينا ومن ظن أن قيام رمضان فيه عدد معين مؤقت من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يزيد ولا ينقص فقد أخطأ)⁽⁸¹⁾.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار: (فقصر الصلاة المسماة بالتراويح على عدد معين، وتخصيصها بقراءة مخصوصة لم يرد به سنة)⁽⁹²⁾.

وأما ما ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشر ركعة)⁽¹⁰³⁾. فكانت تقصد فيه ركعات الوتر وليس التراويح.

فقد قالت: (ولا في غيره) وفي غير رمضان لا يوجد صلاة للتراويح أما صلاة الوتر فمشاركة بين رمضان وغيره.

وقد قال الإمام الترمذي: (روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوتر بثلاث عشرة وإحدى عشر وتسع وسبع وخمس وثلاث وواحدة) فإذا كان وتره في غير رمضان بإحدى عشر أو ثلاث عشرة ركعة فهل يعقل أن يوتر في شهر العبادة والقيام بثلاث فقط؟! على القول بأن ثمان ركعات للتراويح وثلاث ركعات للوتر هذا بعيد جدا.

ثم إن قلنا إن المقصود من كل منها صلاة التراويح والوتر معه، يصبح للتراويح عدد ركعات معين ثابت وهو ثمان ركعات، وهذا يتنافى مع ما مر معنا من عمل الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا

⁽¹⁸⁾ ذكره ملا علي القاري في شرحه مشکاة المصابيح ص (175).

⁽²⁹⁾ نيل الأوطار (53/3).

⁽¹⁰⁾ أخرجه البخاري (1096) ومسلم (738) وأبو داود (1341) والنسائي (1696) والترمذي (439) ومالك في الموطأ (114/1).

يصلونها عشرين ركعة حتى عهد الإمام مالك والإمام الشافعي وهل يعقل أن تعلم السيدة عائشة بصلاتهم عشرين ركعة ثم تسكت عنهم إذا كان فعلهم مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! هذا والله بعيد جدا وكما هو معلوم أن عدد صلاة التراويح في البيت الحرام عشرون ركعة ولا ينكر هذا العدد احد من العلماء المعترين فنسأل الله تعالى أن يهدينا سواء السبيل .
وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي في رمضان عشرين ركعة والوتر⁽¹¹¹⁾.

ويقوي هذا الحديث أن الصحابة جميعا فمن بعدهم من السلف الصالح اتفقوا على العمل به.
وعن السائب بن يزيد: أن عمر جمع الناس في رمضان على أبي بن كعب وتيمم الداري على إحدى وعشرين ركعة⁽¹¹²⁾.

وعن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد الأنصاري: أن عمر بن الخطاب أمر رجلا يصلي بهم عشرين ركعة⁽¹¹³⁾.

وقال ابن قدامة المقدسي بعد أن نقل صلاة التراويح بعشرين ركعة عن عمر وعلي قال: وهذا كالإجماع⁽¹¹⁴⁾.

وقال ابن تيمية: قد ثبت أن أبي بن كعب كان يقوم بالناس عشرين ركعة في قيام رمضان ويوتر بثلاث فرأى كثير من العلماء أن ذلك هو السنة لأنه إقامة بين المهاجرين والأنصار ولم ينكر منكر، وهذه هي صورة الإجماع⁽¹¹⁵⁾.

والنتيجة: أن الصحابة قد اتفقوا على صلاة التراويح عشرين ركعة وتبعهم على ذلك التابعون فمن بعدهم ولم يخالفهم أحد من السلف الصالح إلا في زيادة العدد على العشرين .

⁽¹¹¹⁾ أخرجه ابن أبي شيبة (394/2).

⁽¹¹²⁾ أخرجه عبدالرزاق في المصنف (7730).

⁽¹¹³⁾ المغني لابن قدامة (799/1).

⁽¹¹⁴⁾ أخرجه ابن أبي شيبة (393/2).

⁽¹¹⁵⁾ الفتاوى لابن تيمية (112/23).

مسألة بناء المساجد على القبور

قال الشيخ عبدالله بن الصديق الغماري في كتاب اتقان الصنعة:
استدل الذين قالوا بكرهه بناء المساجد على القبر بحديث: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا
قبور أنبيائهم مساجد)⁽¹¹¹⁾.

والحديث صحيح ولكن الاستدلال به غير صحيح لأمر:

2 - أن معنى اتخاذ القبور مساجد: الصلاة إليها تعبدًا أو السجود لها.
3 - إن عائشة لما روت قوله صلى الله عليه وآله وسلم أعقبته بقولها: (ولو لا ذلك لأبرزوا قبره،
غير أني أخشى أن يتخذ مسجدا).

4 - قال الحافظ في الفتح: قولها لأبرزوا أي لكشف قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يتخذ
عليه الحائل والمراد الدفن خارج بيته.

بقي أمر لا بد أن ننبه عليه وهو: إذا كان مسجد مبنيا ثم دفن فيه ميت أو أدخل فيه قبر فلا يدخله
الخلافة في بناء المسجد على القبر لأنه لم يبين عليه والدليل على ذلك أمور:

1 - استشارة سيدنا أبي بكر للصحابة الكرام في اختيار موضع دفنه عليه الصلاة والسلام فقال
بعضهم: عند المنبر وقال بعضهم حيث كان يصلي يؤم الناس.

فهؤلاء الصحابة لم يشيروا بدفنه صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الأماكن إلا لعلمهم بأن هذا لا
يشمله بناء مسجد على قبره وهؤلاء هم أصحابه الكرام.

2 - أن القبر الشريف أدخل في المسجد النبوي في عهد الوليد بن عبد الملك على يد عمر بن
عبد العزيز ولم يغير ذلك خلفاء بني العباس ولا أرشدهم أحد إليه مع كثرة من زار المسجد

(111) أخرجه البخاري (437) ومسلم (530) وأبو داود (3227) وأحمد (284/2) والبيهقي (80/4) وابن حبان (2326).

النبوي من الأئمة والحفاظ والفقهاء والزهاد وغيرهم وكان الإمام مالك زار المسجد النبوي من الأئمة والحفاظ والفقهاء والزهاد وغيرهم وكان الإمام مالك مسموع الكلمة عند المنصور ولو أشار عليه بإقامته حاجز بين القبر والمسجد لفعله وما ذاك إلا لأن إدخال قبر في مسجد ليس كبناء المسجد عليه وهو في المسجد النبوي إجماع من الأمة بجميع طبقاتها وامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تجتمع على ضلالة .

ومما يستأنس به في هذا الباب حكاية الله عز وجل لقول الذين اكتشفوا أهل الكهف وقالوا: ﴿ لتتخذن عليهم مسجدا ﴾⁽²¹⁾ وهم مسلمون كما قال ابن عباس فذكر الله جل جلاله قولهم ولم ينكر عليهم .

والآن وبعد جميع ما ذكر من صور إحداث الصحابة رضي الله عنهم لأمر في زمن النبوة وبعدها لم تكن موجودة في عهد النبوة وأنها من باب قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها ...)⁽³²⁾ .

نستطيع أن نصل إلى قاعدة نجعلها أساسا لنا خلال مسيرتنا في هذه الحياة لتكون دعاة إلى جمع شتات المسلمين ألا وهي (ليس كل جديد بدعة) لأن الحياة ما تزال تتحول بأصحابها من حال إلى حال ومن طور إلى طور وهذه سنة الله تعالى في الكون فلا مطمع في إمكان التغلب عليها وربطها بمسار من الثبات والجمود على حالة واحدة على مر الأزمنة والعصور وكانت هذه التطورات موجودة في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان يرحب بسنة الحياة إذا لم تكن مخالفة لقواعد الشريعة .

فالبدعة بمعناها الشرعي هي التي يجب الابتعاد عنها والتحذير من الوقوع فيها، وأصل ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »⁽⁴³⁾ وليس المقصود منها معناها اللغوي وهو ما تعارف عليه الناس بأنه كل جديد طارئ على حياة المسلم مما لم يفعله

(12) سورة الكهف الآية (21) .

(23) تقدم تخرجه .

(34) تقدم تخرجه .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا أصحابه الكرام ولم يكن معروفا لديهم . إذ لو كان المقصود من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ، المعنى اللغوي إذا لكان المسلمون اليوم كلهم يعانون من ضلالات لا مفر لهم منها ويتقلبون في بحار من البدع أينما حلوا وأينما سكنوا أبنية بيوتهم وموائدهم وطراز ثيابهم والأساليب التي تنهض عليها أنشطتهم الثقافية والعلمية والاجتماعية طامات متراكمة بدأت بعد عصر الصحابة إلى يومنا هذا ولا مطمع في إمكانية التغلب عليها!! فلا يعقل إذا أن يكون المقصود من البدعة هو المعنى اللغوي . على أننا بعد هذا كله لا بد لنا أن نتذكر قول إبراهيم النخعي التابعي : (كانوا يكرهون أشياء لا يجرمونها) وكذلك كان مالك والشافعي وأحمد كانوا يتوقون إطلاق لفظ الحرام على ما لم يتيقن تحريمه لنوع شبهة فيه أو اختلاف أو نحو ذلك بل كان أحدهم يقول (أكره كذا) لا يزيد على ذلك ويقول الإمام الشافعي تارة : أخشى أن يكون حراما ولا يجزم بالتحريم . يخاف أحدهم إذا جزم بالتحريم أن يشمل قول الله تعالى ﴿ لا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ﴾ ^[51] فمن نحن أمام الإمام الشافعي والإمام أحمد وأئمة السلف الصالح؟! هل بلغنا من العلم القدر الذي فقناهم فيه حتى يجوز لنا أن نسارع بالتحريم والتحليل من ذات أنفسنا؟! اللهم اهدنا سواء السبيل والحمد لله رب العالمين .

التأويل عند السلف الصالح وإثبات المجاز

^[51] سورة النحل الآية (116) .

إن عدول هذه الأمة من الأئمة الثقات أصحاب القرون الأولى المسمين بالسلف المشهود لهم بالخيرية⁽¹¹⁾، وكل من نحى نحوهم إلى يومنا هذا كلهم قد أثبتوا التأويل بل أولوا كثيرا من النصوص المتعلقة بتوحيد الله وصفاته وأجمعوا على أن الظاهر من النصوص المشكلة ليس هو المراد على الحقيقة تطبيقا لقوله تعالى ﴿ ليس كمثل شيء ﴾⁽²⁾ وهم بحملهم النص على غير مراده الظاهر لم يبتدعوا أمرا محدثا إنما تعلموه من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

وإليك الأدلة على ذلك:

1 - قال تعالى ﴿ إنا نسيانكم ﴾⁽³⁾ وقال أيضا : ﴿ نسوا الله فأنساهم ﴾⁽⁴⁾ حيث ورد لفظ النسيان في هاتين الآيتين منسوبا إلى الله عز وجل ورغم هذا هل نستطيع أن ننسب إلى الله صفة النسيان أو نقول : (له نسيان لا كنسياننا)؟ وهو جل جلاله يقول : ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾⁽⁵⁾ قياسا على قولها (له سمع لا كسمعنا أو له بصر لا كبصرنا) ؛!

الجواب: أن هذا خطأ لا يجوز، لأن المراد من قولنا: (له سمع لا كسمعنا) أن نثبت له صفة السمع وننزعه في نفس الآونة من آلة السمع ألا وهي الأذن وذلك بأن نفوض علم الطريقة التي يسمع بها إليه جل جلاله وكذلك الأمر في البصر وفي كل الصفات التي أثبتها هو جل جلاله لذاته العلية، أما صفة النسيان فليست من صفاته وهي صفة نقص في حقه فلا تقاس على السمع والبصر .

2 - عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الله تعالى قال : « يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده... »⁽⁶⁾ الحديث .

⁽¹¹⁾ وذلك بقول النبي ﷺ « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » أخرجه البخاري (2652) ومسلم (6419) والترمذي (3859) وابن ماجه (2362)

⁽²⁾ سورة الشورى الآية (11).

⁽³⁾ سورة السجدة الآية (14).

⁽⁴⁾ سورة التوبة الآية (67).

⁽⁵⁾ سورة مريم الآية (64).

⁽⁶⁾ أخرجه مسلم (2596) والبخاري في الأدب (517) وابن حبان (269).

وقال الإمام النووي : (قال العلماء إنما أضاف المرض إليه سبحانه وتعالى والمراد العبد تشريفا للعبد وتقريبا له قالوا: ومعنى وجدتني عنده: أي وجدت ثوابي وكرامتي...) أهـ فتأمل . فلا يجوز لنا إذا إن ثبت لله صفة المرض مع أن ظاهر الحديث يشير إليها، لأن ذلك يخالف العقيدة السليمة.

وإليك الآن نبذة من تأويل أولئك الرعيل الأول من السلف الصالح أهل القرون الأولى منهم سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الذي دعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل »⁽⁷¹⁾ وقد نقلت عنه تأويلات كثيرة بمسألة الصفات نذكر منها:

3 - ما قاله في قوله تعالى ﴿ فاليوم ننسأهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾⁽⁸²⁾. وأن النسيان بمعنى الترك (أي ففي هذا اليوم - ذلك يوم القيامة - ننسأهم يقول نتركهم في العذاب) قال الطبري في تفسيره: (ونقل ذلك بأسانيد عن ابن عباس ومجاهد)⁽⁹³⁾.

4 - قال تعالى ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾⁽¹⁰⁴⁾.

قال ابن عباس : (يكشف عن شدة) مؤولا الساق بالشدة وكذلك اوله غيره من الصحابة والتابعين أمثال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم⁽¹¹⁵⁾.

5 - قال تعالى ﴿ السماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ﴾⁽¹²⁶⁾.

قال ابن عباس: (بقوة)⁽¹³⁷⁾ ولفظة (أيد) تستعمل مجازا في معان كثيرة منها (القوة) كما مر، ومنها (التفضيل والإنعام) كقوله تعالى ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ﴾⁽¹⁴⁸⁾.

⁽¹⁷⁾ أخرجه الطبراني في الكبير (10587) وفي الأوسط (1444) وأحمد (266/1) والفسوي (494/1) في المعرفة والتاريخ وإسناده صحيح على شرط مسلم والبخاري (2674).

⁽²⁸⁾ سورة الأعراف الآية (51).

⁽³⁹⁾ تفسير الحافظ ابن جرير الطبري المجلد الخامس (201/8).

⁽¹⁰⁾ سورة القلم الآية (42).

⁽¹¹⁾ فتح الباري (428/13) وتفسري الإمام الطبري (38/29).

⁽¹²⁾ سورة الذاريات الآية (47).

⁽¹³⁾ تفسير الحافظ الطبري (27/7).

⁽¹⁴⁾ سورة ص الآية (17).

ومنهم الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه .

6 - قال تعالى ﴿ وجاء ربك ﴾⁽¹⁵¹⁾ قال الإمام أحمد رضي الله عنه : (جاء ثوابه)⁽¹⁶²⁾.

قال ابن كثير : (وكلامه - أي الإمام أحمد - في نفي التشبيه وترك الخوض في الكلام والتمسك بما ورد في الكتاب والسنة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن أصحابه)⁽¹⁷³⁾.

7 - وروى الخلال عن حنبل عن عمه الإمام أحمد بن حنبل انه سمعه يقول : (احتجوا علي يوم المناظرة فقالوا تحييء يوم القيامة سورة البقرة ...) الحديث . قال : فقلت لهم : إنما هو الثواب . فهذا تأويل صريح منه رضي الله عنه .

8 - ومنهم الإمام البخاري رضي الله عنه : فقد أول الضحك في حديث « يضحك الله من رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة »⁽¹⁸⁴⁾ . بمعنى (الرحمة)⁽¹⁹⁵⁾.

9 - ومنهم الإمام الطبري في تفسيره مما أوله هو بكلامه ، فقد قال في قوله تعالى ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾⁽²⁰⁶⁾ ، ما نصه (والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ الذي هو بمعنى : العلو والارتفاع فيقال له : أي للمنكر زعمت أن تأويل قوله (استوى) أقبل أفكان مدبرا عن السماء فأقبل إليها؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل ولكنه إقبال تدبير ، قيل له : فكذلك فقل : علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال)⁽²¹⁷⁾.

⁽¹⁵¹⁾ سورة الفجر الآية (22).

⁽¹⁶²⁾ ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (327/10) ناقلا إياه عن الإمام البيهقي في كتاب (مناقب الإمام أحمد) الذي قال فيه : هذا إسناد لا غبار عليه.

⁽¹⁷³⁾ البداية والنهاية (327/10).

⁽¹⁸⁴⁾ أخرجه البخاري (2826) ومسلم (4869) ومالك (2/460) في الموطأ والنسائي (3166) وابن ماجه (191).

⁽¹⁹⁵⁾ أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص (470).

⁽²⁰⁶⁾ سورة البقرة الآية (29).

⁽²¹⁷⁾ التفسير (192/1).

10 ومنهم الحافظ ابن حجر ، فقد قال: (ولا يلزم من كون جهتي العلو والسفل محال على الله أن لا يوصف بالعلو لأن وصفه بالعلو من جهة المعنى والمستحيل كون ذلك من جهة الحس).⁽²²¹⁾.

ويحسن بنا هنا ان نتطرق لموقف السلف الصالح من النصوص التي استدل بها المجسمون على إثبات الجهة لله تعالى :

- قال تعالى ﴿ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾⁽²³²⁾.
- وقال تعالى ﴿ ويخافون ربهم من فوقهم ﴾⁽²⁴³⁾.
- وقال تعالى ﴿ وهو العلي الكبير ﴾⁽²⁵⁴⁾.
- وقال تعالى ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾⁽²⁶⁵⁾.
- وقال تعالى ﴿ أم أمتهم من في السماء ﴾⁽²⁷⁶⁾.
- وقال تعالى ﴿ إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ﴾⁽²⁸⁷⁾.

هذه النصوص مر عليها السلف الصالح على الحالة التي وردت فيها بدون تعطيل ولا تجسيم ولا تشبيه مع إيمانهم بأن الله تعالى متصف بصفات الكمال ومنزه عن الشرك والتشبيه والمثال. وقد لخص ابن كثير رضي الله عنه مذهب السلف بقوله: (إنما مذهب السلف الصالح في هذا المقام: مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا) هو إمرارها كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل

⁽¹⁾[22] فتح الباري (136/6).

⁽²⁾[23] سورة الأنعام الآية (18).

⁽³⁾[24] سورة النحل الآية (50).

⁽⁴⁾[25] سورة سبأ الآية (23).

⁽⁵⁾[26] سورة العلق الآية (1).

⁽⁶⁾[27] سورة الملك الآية (17).

⁽⁷⁾[28] سورة الأعراف الآية (206).

والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾⁽²⁹⁾.

بل الأمر كما قال الأئمة ، منهم :

نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال : (من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك الهدى) أهـ .

وأما معنى الفوقية في النصوص التي استدلوا بظواهرها : فإن النصوص المشتملة على لفظ (فوق) كقوله تعالى ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾⁽³⁰⁾ وغيرها .

إذا قرأنا ما قبلها وما بعدها ونظرنا إليها بتمعن نرى أن جوها جو تهديد ومناسبتها مناسبة بيان سلطة الله تعالى وعظمة سيطرته على مخلوقاته .

وأن كلمات العربية جميعها لا تعبر عن هذا الجو وتلك المناسبة كما تعبر عنها كلمة فوق التي تزيد السيطرة قوة والتسلط عظمة ولذا جاء بها القرآن لكونها أفصح كلمة عربية معبرة عن المراد ومناسبة للمقام فيكون معنى لفظ (فوق) هنا في هذه النصوص : السيطرة والتسلط بصورة كاملة وتامة عقلا ونقلا فهو محال عقلا : لأن إثبات الجهة والحيز لله تعالى تشبيه له بمخلوقاته لأن المخلوقات تختص بجهة وحيز وتشبيه الله تعالى بالمخلوقات نقص في حقه تعالى وهو منزه عن النقص ومنزه عن التشبيه قطعا .

ومحال نقلا : لأن إثبات الجهة والحيز له تعالى شأنه مخالف لقوله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾⁽³¹⁾ . وإثبات الجهة والحيز لله تعالى لإثبات لوجود مثيل له في شغل الجهة والحيز والله قد نفى المثيل له فبطل القول بالجهة .

(29) سورة الشورى الآية (11) .

(30) سورة الأنعام الآية (18) .

(31) سورة الشورى الآية (11) .

ثم لو تأملنا قوله تعالى في الآية الكريمة نفسها : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ مع قول فرعون ﴿ وإنا فوقهم قاهرون ﴾^[321] فهل نفهم أن فرعون ادعى أنه فوق بني إسرائيل بالجهة !! .

ولما ادعى الربوبية قال، أنا ربكم الأعلى وقد قال تعالى لسيدنا موسى ﴿ لا تخف إنك أنت الأعلى ﴾^[332] . من ادعى الجهة كان فهمه مثل فهم فرعون حيث اعتقد الجهة لله تعالى وقال: ﴿ قال يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى ﴾^[343] فرد الله عليه وسحقت عقيدته بقوله تعالى ﴿ وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ﴾^[354] أي سبيل القرب إلى إله موسى لأنه نسب إليه ما هو منزه عنه وهو الجهة والمكان.

أما النصوص المشتملة على العنودية والعلو فالمراد بها التعبير عن القدرة والقهر والانتصار الكامل والدائم ومما يؤكد ذلك قوله تعالى لموسى ﴿ لا تخف إنك أنت الأعلى ﴾^[365] ولم يكن موسى فوق السحرة في المكان وإنما كان فوقهم معنويا حيث قهرهم وانتصر عليهم بإذن الله تعالى ويؤيده أيضا قوله تعالى ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ﴾^[376] أي أنتم المنتصرون بالقدرة التي أمدكم الله تعالى بها وكذلك لا يجوز تفسير العلو في الآيات التي يستدل بها المجسمون بالجهة لأن في ذلك تشبيه الله تعالى بخلقه وهو مردود لقوله تعالى ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾^[387] .

وأمثاله من النصوص المعارضة لفهمهم التجسيمي .

وأما عبارات الصعود والعروج والرفع والتنزيل فهي عبارات بعضها متعلق بالملائكة وهي تتصف بهذه الحركات وبعضها الآخر عبارات مجازية استعملت للدلالة على القبول أو للدلالة على المكانة الرفيعة معنويا لا مكانيا كقول القائل: رفعت المديرية كتابا إلى الوزارة . فلا يعني القائل أن الوزارة فوق المديرية مكانيا وإنما يعني أن مقام الوزارة أعلى معنويا بالنسبة للمديرية.

^[321] سورة الأعراف الآية (127).

^[332] سورة طه الآية (68).

^[343] سورة غافر الآية (36 - 37).

^[354] سورة غافر الآية (37).

^[365] سورة طه الآية (68).

^[376] سورة آل عمران الآية (139).

^[387] سورة الحديد الآية (3).

ولا يجوز حمل هذه العبارات على ظاهرها في حقه تعالى لأنه يثبت له الجهة والحيز وهو محال عقلا ونقلا كما قدمنا ، وكذلك مخالف لآيات عديدة منها قوله تعالى ﴿ ونحن اقرب إليه من حبل الوريد ﴾^{[39]1} ، وقوله تعالى ﴿ وهو معكم أين ما كنتم ﴾^{[40]2} ، وقوله تعالى ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ﴾^{[41]3} ، فكيف يكون في جهة العلو (على زعمهم) ثم يكون مع الثلاثة والخمسة (كما يقول هو) ؛! أو يكون مع المخلوقات أينما كانوا؟! أو يكون أقرب إليهم من حبل الوريد المتصل بقلوبهم؟! فأيهما تأخذ: ما يزعمونه من الجهة المحالة عقلا ونقلا والمخالفة للنصوص أم ما يقوله تعالى عن نفسه؟! وأما النصنص التي فهموا منها أن الله تعالى في السماء كقوله تعالى ﴿ أم أمتهم من في السماء ﴾^{[42]4} ، وغيره فهي تخبر عن أعمال الملائكة الموجودين في السماء وهي تتعلق بالملائكة لأنهم في السماء فيكون معنى قوله تعالى ﴿ أم أمتهم من في السماء ﴾ هل أمن الكفار العذاب الذي تأتي به الملائكة الموجودون في السماء .

ولا يجوز أن يقال إن الله في السماء لأن السماء سبع سماوات ففي أيهن هو؟ وقال تعالى ﴿ وسع كرسيه السماوات والأرض ﴾^{[43]5} يعني إذا كان الله في السماء فهذا يعني أن الكرسي أكبر من الله والعياذ بالله ... لأن الكرسي أكبر من السماوات والأرض .

وإذا كان الله في السماء وهي محيطة به إذن فهو اصغر منها والعياذ بالله وإذا كان الله في السماء ففي أي سماء؟! وقبل أن يخلق السماء أين كان؟! وكيف يخلق السماء ويحتاج إليها؟! وهل إذا صعدنا إلى السماء نجد الله عز وجل فيها؟! تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا .

وقوله تعالى ﴿ يوم تطوي السماء كطي السجل للكتب ﴾^{[44]6} فمن الذي يطوي هل يطوي نفسه؟! وقوله تعالى ﴿ والسماوات مطويات بيمينه ﴾^{[45]7} فأين يكون الله عز وجل يومها...؟ إن هذا لشيء

^{[39]1} سورة ق الآية (16) .

^{[40]2} سورة الحديد الآية (4) .

^{[41]3} سورة المجادلة الآية (7) .

^{[42]4} سورة الملك الآية (17) .

^{[43]5} سورة البقرة الآية (255) .

^{[44]6} سورة الأنبياء الآية (104) .

^{[45]7} سورة الزمر الآية (67) .

لشيء عجاب!! ثم إذا خرج منها فهذا يعني أنه يتحرك ويدخل السماء ويخرج منها وهذا محال في حقه عز وجل .

فإن قالوا: السماء من السمو وهو العلو وكل ما علاك فهو سماء والله تعالى فوق السماوات السبع على عرشه قلنا: بطل استدلالك بهذه النصوص لأنها تدل على أنه (على زعمكم) في السماء أي داخلها وأنتم تقولون إنه فوقها على العرش .

وكذلك نقول لهم : إن قولكم إن الله على العرش يلزم منه أن يكون عرشه أكبر منه فيكون قد عرف حجم الله تعالى وأنه جل جلاله أصغر من العرش! والعياذ بالله نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل .

ومما تقدم تبين أم المعاني التي فهموها من هذه النصوص وأثبتوا بها الله تعالى الجهة والحيز غير مناسبة لجلاله تعالى وهي مردودة عقلا ونقلا ومخالفة للآيات والنصوص المحكمة وإنما معناها الصحيح ما ذكرناه فقط .

وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة تعارض ما أثبتوه من الجهة لله تعالى وتنفي هذه المعاني المجسمة وإليك بعضا منها:

قوله تعالى ﴿ وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ﴾^{[46]1} .
فلو كان فوق عرشه كما يقول المجسمون كيف يخبر عن نفسه انه في السماوات وفي الأرض ثم لماذا يقولون إنه في السماء ولا يقولون إنه في الأرض!؟

وقوله تعالى : ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾^{[47]2} فلو كان في جهة الفوق والعلو فقط (كما يزعم المجسمون) فكيف يكون وراء المخلوقات ومحيطا بهم .

وقوله تعالى ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾^{[48]3} فلو كان جالسا على عرشه فكيف يكون ظاهرا وباطنا؟!

[46]1 سورة الأنعام الآية (3) .

[47]2 سورة البروج الآية (20) .

[48]3 سورة الحديد الآية (4) .

وقوله تعالى ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾⁽¹⁴⁹¹⁾ ، وقوله تعالى ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾⁽⁵⁰²⁾ وقوله تعالى ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ﴾⁽⁵¹³⁾.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرها فيه من الدعاء »⁽⁵²⁴⁾.

فلو كان الله على عرشه (على زعم المجسمين) فكيف يكون العبد على حالة سجوده أقرب ما يكون من ربه؟ وهل السجود إلا على الأرض؟ وهل هو إلا اتجاه نحو الأسفل؟ مما يؤكد خطأ فهمهم لظواهر النصوص التي استدلوا بها على إثبات جهة العلو والفوقية لله تعالى ونسبوا له الحد والحيز جهلاً.

ثم قولنا دائماً بعد لفظ الجلالة كلمة (تعالى) هل هو إلا تنزيه مستمر له جل جلاله عن كل نقص وتشبيه وعن كل ما يخطر في عقولنا القاصرة.

وفي هذا القدر من الايات المعارضة لمذهبهم في الجهة كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع للبراهين والتفسير المناسب لجلاله تعالى وهو شهيد لكمال الله تعالى المطلق وتنزيهه عن الشبيه والمثال⁽⁵³⁵⁾.

11 ومنهم الإمام النووي كما مر في بداية البحث عند الكلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ربه عز وجل قال: « ابن آدم مرضت فلم تعدني .. »⁽⁵⁴⁶⁾ الحديث.

12 ومنهم الإمام سفيان بن عيينة رضي الله عنه: فقد أول حديث « لآخر وطأة وطئها الرحمن بوج »⁽⁵⁵⁷⁾ فقال: آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الطائف.

(1491) سورة ق الآية (16).

(502) سورة الحديد الآية (4).

(513) سورة المجادلة الآية (7).

(524) رواه مسلم (49/2) وأبو داود (875) والنسائي (226/2) وأحمد (421/1).

(535) الميزان العادل بتصرف وزيادة.

(546) تقدم تحريجه .

(557) إسناده صحيح وأد بالطائف أخرجه أحمد في المسند رقم (16904).

- 13 ومنهم الإمام سفيان الثوري رضي الله عنه : فقد سأله معدان عن قوله تعالى ﴿ وهو معكم أين ما كنتم ﴾⁽⁵⁶¹⁾ فقال : بعلمه .
- 14 ومنهم الإمام الترمذي رضي الله عنه : فقد ذكر في سننه بعد حديث الرؤية الطويل الذي فيه : (فيعرفهم نفسه)⁽⁵⁷²⁾ قال : (ومعنى قوله في الحديث : فيعرفهم نفسه يعني يتجلى لهم)⁽⁵⁸³⁾ .
- 15 ومنهم الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه : فقد قال في حديث نزول الله تعالى : « ينزل ربنا تبارك وتعالى أي أمره »⁽⁵⁹⁴⁾ .
- 16 ومنهم الإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه في كتاب : (الإبانة) وكتابه (رسالة أهل الثغر) فقد قال في كتاب الإبانة : (وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزها عن المماساة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى فوقية لا تيزده قربا إلى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من جبل الوريد وهو على كل شيء شهيد)⁽⁶⁰⁵⁾ .
- 17 ومنهم الإمام الحافظ ابن حبان رضي الله عنه : حيث أول حديث : (حتى يضع الرب جل جلاله قدمه فيها ، أي جهنم)⁽⁶¹⁶⁾ فقال : (هذا الخبر من الأخبار التي أطلقت بتمثيل المجاورة وذلك أن يوم القيامة يلقي في النار من الأمم والأمكنة التي يعصى الله عليها فلا تزال تستزيد حتى يضع الرب جل وعلا موضعا من الكفار والأمكنة في النار فتتملىء فتقول : قط قط ، تريد حسبي حسبي لأن العرب تطلق في لغتها اسم القدم على الموضع . قال الله جل

⁽⁵⁶¹⁾ سورة الحديد الآية (4) .

⁽⁵⁷²⁾ أخرجه الترمذي في السنن (2557) وأحمد (369/2) .

⁽⁵⁸³⁾ السنن (692/4) .

⁽⁵⁹⁴⁾ أخرجه الحافظ ابن عبد البر في التمهيد (143/7) والذهبي في السير (105/8) .

⁽⁶⁰⁵⁾ الإبانة ص (21) .

⁽⁶¹⁶⁾ أخرجه البخاري (4848) ومسلم (2848) والترمذي (2272) وأحمد (134/3) وابن خزيمة (97 - 98) وابن حبان (268) والبيهقي في الأسماء

والصفات (349) .

جلاله ﴿ لهم قدم صدق عند ربهم ﴾⁽⁶²¹⁾ يريد: موضع صدق لا أن الله جل وعلا يضع قدمه في النار جل ربنا وتعالى عن مثل هذا وأشباهه⁽⁶³⁾².

18 ومنهم الإمام النضر بن شميل رضي الله عنه حيث أول الحديث: (حتى يضع الرب قدمه فيها) آ آ : (من سبق في علمه أنه من أهل النار).

19 ومنهم الإمام الزهري رضي الله عنه : فقد أوله أيضا بأنه : (من سبق في علم الله أنه من أهل النار).

20 ومنهم الإمام الحسن البصري رضي الله عنه فقد قال: (القدم . هم الذين قدمهم الله تعالى من شرار خلقه وأثبتهم لها).

هذه عشرون شخصية من أعظم الشخصيات من السلف الصالح أصحاب القرون الأولى ومن بعدهم مع ما هو مذكور في باب (السنة والبدعة) كلها تثبت أن التأويل ثابت مشروع وأنه من قواعد الشرع ونهج السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

وكل شر في ابتداء من خلف

وكل خير في اتباع من سلف

الخاتمة

⁽⁶²¹⁾1 سورة يونس الآية (2).

⁽⁶³⁾2 من صحيح ابن حبان (502/1).

وبعد أن ظهرت الأدلة من الكتاب والسنة بشكل واضح وظاهر للعيان فعلينا أن نتمسك بديننا وأن نكون قلبا واحدا بوجه الأعداء وأن ننتبه إلى أن أعداء الإسلام لا يهتمهم إلا أن نكون متفرقين حتى يستطيعوا أن يسودوا علينا كما قالوا: فرق تسد.

ولماذا هذا الخصام بين المسلمين إذا كان لكل منهم دليله وبرهانه؟!..

فعلينا أن نتبعد عن أهوائنا وشهواتنا حتى يكون الإيمان كاملا كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»⁽¹⁾، وإذا كان سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد عاتب سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنه على قتله الرجل الذي قال لا إله إلا الله مرة واحدة فكيف بمن يقول لا إله إلا الله مرات ومرات؟! كيف نحاربه ونكفره وننسى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « أيما رجل قال لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما »⁽²⁾ !! وإذا كانت الأدلة ساطعة وظاهرة فلماذا نغض الطرق عن هذه الأدلة ونتبع شهواتنا وأهوائنا ونبقى مختلفين متفرقين مع علمنا أن هذا لا يخدم الإسلام والمسلمين؟! إلى متى إلى متى !! وفي نهاية هذه الخاتمة أقول:

اللهم اجعلنا متمسكين بالكتاب والسنة حق التمسك ، بعيدين عن الخلاف والتفرقة واعين لما يُحطّطه أعداء الإسلام والمسلمين واجعلنا متحابين فيك بعيدين عن الفوضى والخلاف الذي يخدم أعداء الإسلام وانصرنا على أنفسنا وأهوائنا وبصرنا بما أردته منا، وحققتنا بالعمل بالكتاب والسنة، وهيء لنا من أمرنا رشدا ، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

والحمد لله رب العالمين

(1) رواه الخطيب في تاريخه (369/4) وقال الإمام النووي: حديث حسن رواه في كتاب الحجّة بإسناد صحيح (الأربعون النووية ص 100) والبعوي في شر السنة (104) وأبو بكر بن عاصم الأصبهاني في كتاب السنة (15).
(2) أخرجه البخاري (6104) وفي الأدب المفرد (439) ومسلم (213) وأحمد (18/2) ومالك (984/2) والترمذي (2637) والبيهقي (208/10) وأبو عوانة (22/1) وابن منده (521) والبعوي (3550) وابن حبان (246).

كشاف الآيات

الآية	الصفحة
آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل	
الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا	
أفحسبتم أنها خلقناكم عبثا	
أفمن هذا الحديث تعجبون	
ألا إلى الله تصير الأمور	
ألا إن أولياء الله لا خوف	
ألا لعنة الله على الظالمين	
ألحقنا بهم ذريتهم	
ألست بربكم	
ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله	
أم أمنت من في السماء	
أم لم ينبا بما في صحف موسى وإبراهيم	
أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر	
أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك	
إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير	
أو لآمتن النساء	

	أولئك الذين هدى الله
	أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة
	إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
	إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم
	إذ نادى ربه نداء خفيا
	إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم
	إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
	إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه
	إن الذين أتوا العلم من قبله
	إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته
	إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
	إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله
	إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله
	إن العهد كان مسؤولا
	إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
	إن الله وملائكته يصلون على النبي
	إن الله يبشرك بيحيى مصدقا
	إن النفس لأمارة بالسوء
	إن لدينا أنكالا وجحيا
	إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا
	إننا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا
	إننا نسيناكم

	إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء
	إنك لن تستطيع معي صبرا
	إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
	إنما المؤمنون إخوة
	إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
	إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم
	إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
	إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا
	إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون
	إني جاعل في الأرض خليفة
	اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون
	اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
	ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين
	اهدنا الصراط المستقيم
	بديع السماوات والأرض
	بل الإنسان على نفسه بصيرة
	بل هو آيات بينات في صدور
	تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام
	تبارك الذي بيده الملك
	تبارك الله رب العالمين
	تتجافى جنوبهم عن المضاجع
	تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم

	ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا
	ثم استوى إلى السماء
	ثم قست قلوبكم من بعد ذلك
	حرمت عليكم الميتة
	دنا فتدلى فكان قاب قوسين
	ذلك بأن الله هو الحق
	ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
	ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب
	ذي قوة عند ذي العرش مكين
	الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم
	الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
	الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
	رب ادخلي مدخل صدق
	ربنا ظلمنا أنفسنا
	ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا
	رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
	رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت
	الرحمن فاسأل به خبيرا
	رضي الله عنهم ورضوا عنه
	رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك
	سبح اسم ربك الأعلى
	سبحان الذي خلق الأزواج كلها

	سبحانك هذا بهتان عظيم
	سبيل السلام
	السماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون
	سيهزم الجمع ويولون الدبر ، بل الساعة
	فأعينوني بقوة
	فأما الذين في قلوبهم زيغ
	فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما
	فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب
	فاذكروني أذكركم
	فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون
	فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه
	فاعلم أنه لا إله إلا الله
	فاقرؤوا ما تيسر منه
	فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور
	فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين
	فالله هو الولي وهو يحيى الموتى
	فالمدبرات أمرا
	فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا
	فتلقى آدم من ربه كلمات
	فتمثل لها بشرا سويا
	فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا
	فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك

	فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء
	فلولا أنه كان من المسبحين
	فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في
	فما تنفعهم شفاعة الشافعين
	فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
	فوجدنا عبدا من عبادنا آتينا
	فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في
	قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا
	قال يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ
	قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم
	قل أعود برب الفلق
	قل أعود برب الناس
	قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها
	قل الله ثم ذرهم
	قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
	قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن
	قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده
	قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين
	قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على
	قل هو الله أحد
	قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء
	قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم

	قيل يا نوح اهبط بسلام
	كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
	كتاب أنزلناه إليك مبارك
	كل شيء هالك إلا وجهه
	كلا نمده هؤلاء وهؤلاء
	كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا
	كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو
	كما يئس الكفار من أصحاب القبور
	كنتم خير أمة أخرجت للناس
	كونوا قوامين بالقسط
	لأهب لك غلاما زكيا
	لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
	لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
	لا تخف إنك أنت الأعلى
	لا تقولوا لما تصف ألسنتكم هذا حلال
	لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون
	لا يكلف الله نفسا إلا وسعها
	لتجزى كل نفس بما تسعى
	لقد رأى من آيات ربه الكبرى
	لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
	لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
	للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

	لنتخذن عليهم مسجدا
	الله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها
	له معقبات من بين يديه ومن خلفه
	الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي
	لهم قد صدق عند ربهم
	لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا
	ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
	لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين
	الم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا
	ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
	ما فرطنا في الكتاب من شيء
	ما كنت بدعا من الرسل
	ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى
	ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث
	ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم
	ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد
	من الله ذي المعارج
	من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
	النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
	نسوا الله فنسيهم
	هذا فراق بيني وبينك
	هل اتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا

	هو الأول والآخر والظاهر والباطن
	هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم
	هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو
	هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا
	وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي
	وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس
	وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم
	وأن ليس للإنسان إلا ما سعى
	وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
	وأن يستعففن خير لهن
	وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا
	وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم
	وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب
	وإذ تخرج الموتى بإذني
	وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير
	وإذا تليت عليهم آياتنا زادتهم
	وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا
	وإذا مرضت فهو يشفين
	وإن استنصروكم في الدين فعليكم
	وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه
	وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة
	وإننا فوقهم قاهرون

	وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم
	وإنك لعلی خلق عظیم
	واتبع سبیل من أناب الی
	واخفض جناحك للمؤمنین
	واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا
	واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتیلا
	واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية
	واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب
	واستعينوا بالصبر والصلاة
	واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
	واستفز من استطعت منهم بصوتك
	واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
	واصطنعتك لنفسي
	واعتصموا بحبل الله جميعا
	وافعلوا الخير لعلكم تفلحون
	والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم
	والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان
	والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا
	والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
	والسماوات مطويات بيمينه
	والشعراء يتبعهم الغاؤون
	والطور، وكتاب مسطور، في رق منشور

	والعصر إن الإنسان لفي خسر
	والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون
	والله خلقكم ثم يتوفاكم
	والله من ورائهم محيط
	وتبرئ الأكمة والأبرص بإذني
	وترى الجبال تحسبها جامدة وهي
	وتعاونوا على البر والتقوى
	وجاء ربك
	وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم
	وجاهدوا في الله حق جهاده
	وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون
	وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين
	وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون
	وخلق كل شيء فقدره تقديرا
	وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن
	وذكر فإن الذكري تنفع المؤمنين
	ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم
	وسع كرسيه السموات والأرض
	وشاورهم في الأمر
	وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
	وعلمناه من لدنا علما
	وقال لهم نبينهم إن آية ملكه أن يأتكم

	وقال اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى
	وقد هداانا سبلنا
	وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
	وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية
	وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
	وقل رب أعوذ بك من همزات
	وقل رب أنزلني منزلا مباركا
	وقولوا للناس حسنا
	وكان أبوهما صالحا
	وكان عند الله وجيها
	وكذلك زين لفرعون سوء عمله
	وكلا نقص عليك من أنباء الرسل
	وكونوا مع الصادقين
	ولئن سألتهم من خلق السماوات
	ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل
	ولا تتبع سبيل المفسدين
	ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
	ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها
	ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا
	ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
	ولا تصل على أحد منهم
	ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما

	ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها
	ولا تقربوا الزنا
	ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر
	ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات
	ولا تكن من الغافلين
	ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم
	ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون
	ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها
	ولا يحيطون بشيء من علمه
	ولا ينبئك مثل خبير
	ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا
	ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير
	ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات
	ولكل قوم هاد
	ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا
	ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق
	ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك
	ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم
	ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم
	ولو كنت فظا غليظ القلب
	ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس
	ولولا دفع الله الناس

	ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
	وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
	وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
	وما أنت بمسمع من في القبور
	وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه
	وما جعل عليكم في الدين من حرج
	وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو
	وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم
	وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل
	وما كان ربك نسيا
	وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
	وما لأحد عنده من نعمة تجزى
	وما منا إلا له مقام معلوم
	وما يعلم تأويله إلا الله
	وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم
	ومن أظلم ممن منع مساجد الله
	ومن الناس من يشتري لهو الحديث
	ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه
	ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا
	ومن يسلم وجهه إلى الله
	ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا

	ومن يطع الله والرسول فأولئك
	ونحن أقرب إليه من حبل الوريد
	ونزل من القرآن ما هو شفاء
	وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك
	وهو العلي الكبير
	وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير
	وهو الله في السموات والأرض يعلم سركم
	وهو معكم أين ما كنتم
	ويؤثرون على أنفسهم
	ويخافون ربهم من فوقهم
	ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم
	ويشف صدور قوم مؤمنين
	ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما
	ويمددكم بأموال وبنين
	ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني
	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا
	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة
	يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن
	يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا
	يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
	يا أيها الذين آمنوا قد جاءكم موعظة من
	يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل

	يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي
	يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله
	يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا
	يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك
	يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد
	يحبهم ويحبونه
	يختص برحمته من يشاء
	يزيد في الخلق ما يشاء
	يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور
	يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام
	يوسف أعرض عن هذا
	يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من
	يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب
	يوم يكشف عن ساق
	يوما يجعل الولدان شيبا

كشاف الأحاديث

الصفحة	الحديث
	آخر وطأة وطئها الرحمن بوج
	أبايعك على أن لا تشركي
	أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا بل نبايعك أنت فأنت سيدنا

	أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة
	أتدري أين صليت، قال: لا، قال: صليت
	أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في آخر الليل فصليت خلفه
	أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نسوة يباعنه فقلنا
	أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبأبعه، قال: فاشترط
	أحد جبل يحبنا ونحبه
	أدبني ربي فأحسن تأديبي
	أربعون رجلا مثل خليل الرحمن
	أرحنا بها يا بلال
	أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح
	أرى رؤياكم قد تواطأت
	أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء
	أشهد أنكم أحياء عند الله فوزوهم
	أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا
	أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف
	أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدفوف
	أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغربال
	أعلنوا النكاح واجعلوه في المساجد
	أعني على نفسك بكثرة السجود
	أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد
	أعوذ برضاك من سخطك
	أعوذ بك منك

	أغث إن كان عندك غوث
	أفضل أيامكم الجمعة فيه خلق آدم
	أفضل الذكر لا إله إلا الله
	أفضلكم الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى
	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
	أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتمثل بشيء من الشعر
	أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
	أكثر واذكر الله حتى يقول المنافقون إنكم مراؤون
	أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون
	ألا أدلك على ملاك الأمر الذي
	ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه
	ألا وإن في الجسد مضغة إذا
	ألم أنهك أن تحبى شيئا
	أما أبوك فلو كان أقر بالتوحيد
	أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر
	أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة
	أما ترضين أن تكوني سيدة نساء الجنة
	أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما
	أن أم سليم صنعت حيسا وأرسلت
	أن ابن عمر كان يزور قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقول
	أن العباس بن عبدالمطلب رأى أبا لهب في المنام
	أن القائم كالحامل في الأجر

	أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتى منى فأتى الجمرة فرماها
	أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أُرِدِفَ الفضل بن العباس
	أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم افتقد ثابت بن قيس
	أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بايع الحسن والحسين
	أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه
	أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل إلى أم سليم
	أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل مكة وابن رواحة يمشي
	أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى المغرب فما زال يصلي
	أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى حيث المسجد الصغير
	أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال وهو في قبة له
	أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن هذه الأمة تبلى
	أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أوى إلى فراشه
	أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في سفره وكان غلام يحدو
	أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي في رمضان عشرين
	أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقي رجلا مختضبا بصفرة
	أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما بعث معاذًا إلى اليمن قال: (كيف تصنع ...)
	أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر ببعض المدينة فإذا هو بجوار يضربن بدُفهنَّ
	أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر بمجلسين ، أحد المجلسين يدعون
	أن امرأة رفع صبيًا فقالت: يا رسول الله ألهذا
	أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها
	أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد اشتكيت
	أن خبيبا كان أسيرا عند بني الحارث

	أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله لأنت أحب
	أن رجلا ضريرا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
	أن رجلا قال ذات يوم ودخل في الصلاة
	أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج على حلقة
	أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدل صفوف أصحابه
	أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا صلى بالناس يخر رجال
	أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جالسا فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأجلسه بين يديه
	أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين
	أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضع حجرا على قبر
	أن سيدنا بلالا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤذن بصلاة الفجر
	أن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت تزور قبر عمها
	أن كعب بن زهير لما جاء تائباً رمى صلى الله عليه وآله وسلم إليه
	أن لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر
	أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي
	أنا أعربكم أنا من قريش
	أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب
	أنا سيد العالمين
	أنا سيد الناس يوم القيامة
	أنا سيد ولد آدم يوم القيامة
	أنا عند ظن عبدي بي
	أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفثاه

	أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت
	الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون
	أنشدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مئة قافية من قول أمية
	أنه صلى الله عليه وآله وسلم دعا فيه ثلاثة أيام على الأحزاب
	أنه صلى الله عليه وآله وسلم قبض أصابعه كلها وأشار
	أنه صلى الله عليه وآله وسلم قرأ أول سورة البقرة عند رأس الميت
	أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يشير بالسبابة لا يحركها
	أنه التمس فلم يوجد
	أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند احجار الزيت
	أنه سئل أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمر بصلاة
	أنه شكأ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعا يجده في جسده
	أنه كان في يد عثمان ست سنين
	أهل الجنة يوم القيامة عشرون ومئة صف
	أهل الناس بهذا الذي يهلون فلم
	أهل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر التلبية
	أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة
	أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم
	إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد أحدكم
	إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد غوثاً
	إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة
	إذا انفلتت دابة أحدكم في أرض
	إذا رأيتم الجنازة فقوموا

	إذا رأيتهم الجنازة فقوموا فمن تبعها
	إذا سألت فاسأل الله وإذا
	إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول ثم
	إذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
	إذا فزع احدكم من النوم فليقل
	إذا كنت لا بد سائلا فاسأل
	إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب
	إذا مات أحدكم فسويتم
	إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث
	إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا
	إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفته
	إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم فإن
	إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم في
	إن أمي ماتت وعليها صوم شهر
	إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله
	إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ
	إن الرجل إذا رضي هدي الرجل
	إن الرجل ليبلغ بحسن الخلق درجة
	إن الرجل ليتكلم الكلمة من رضوان الله تعالى
	إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يترك العمل وفعله أحب
	إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى تبلغ
	إن العبد إذا وضع في قبره وتولى

	إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا
	إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا
	إن الله جل وعلا يستحي من العبد أن يرفع
	إن الله خلق آدم على صورته
	إن الله عز وجل ليؤيد حسان بروح
	إن الله لا ينظر إلى أجسامكم
	إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح
	إن الله يؤيد حسان بروح القدس
	إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة
	إن الميت ليسمع خفق نعالهم
	إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه
	إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى في المسجد فصلى بصلاته
	إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر على أعرابي وهو يدعو
	إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا
	إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف
	إن قوائم منبري هذا رواتب في الجنة
	إن كنت ذا غوث فأغث
	إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلا
	إن لله خلقا خلقهم لحوائج الناس
	إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني
	إن لله ملائكة سيارين يتطلبون
	إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة

	إن لله ملائكة يطوفون في الطرق
	إن من الشعر لحكمة
	إن من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء
	إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء
	إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
	إنما أنا بشر أنسى كما تنسون
	إنما أنا رحمة مهداة
	إنما الأعمال بالنيات
	إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا
	إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق
	إنه قد سن لكم معاذ فهكذا فاصنعوا
	إنه لفي ضحضاح من النار ولولا
	إنها لمشية يكرهها الله إلا في مثل
	إنهم يصومونه لأن الله نجى فيهم نبيهم وأغرق
	إني لست امسه إنما لا يمسه إلا المطهرون
	إياكم والدخول على النساء
	أنت الميضاة فتوضأ ثم صل ركعتين
	ابسط ردائك فبسطه فغرف بيديه فيه
	اتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتما من ورق
	اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة
	اثبت أحد فإنما عليك نبي
	اختصم علي وجعفر وزيد بن حارثة في ابنة حمزة

	استأذنت ربي أن استغفر لأمي فلم
	اشتكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن صلى قائما فصلوا قياما
	اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد جاءهم
	اعتمرنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عمرة اعتمرها
	اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر
	اقتص قال: يا رسول الله إن عليك قميصا
	امح رسلو الله قال سيدنا علي
	انطلق إلى المنزل فأسقيك في قدح
	انطلقت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ... لا ولكنه أواه
	انظروا قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاجعلوا
	انظروا قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاجعلوا منه كوى
	بأبي أنت وأمي يا نبي الله لا يجمع
	بايعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهما ابنا سبع سنين
	بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إقام الصلاة
	بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة
	بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السمع
	بايعوني على أن لا تشكروا بالله شيئا
	بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا
	بم سبقتني إلى الجنة؟ قال: ما أذنت
	بها نظرة فاسترقوا لها
	بي نصروا
	بيننا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي إذ سجد فلدغته

	البينة على المدعي واليمين على من أنكر
	بينما رجل راكب على بقرة قد حمل
	بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ عرض شاعر
	تخفيف العذاب على أبي هلب
	تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح
	تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة
	تلبية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك
	ثبت عن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يستلم الركنتين اليمانيين
	ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان
	ثم رفع أصبعه فرأيته يجرها يدعو بها
	جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبايعته في نسوة
	جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم آت الحجر
	جئت رسول الله يوما فوجدته جالسا مع أصحابه
	جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخل على صبيحة عرسي ... يضرب بالدف
	جاء حبش يزفنون في يوم عيد
	جاء حسان وكعب بن مالك وابن رواحة يبكون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
	جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستأذنه في الجهاد
	جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب
	جاء رجل والناس في الصلاة
	جاء سُلَيْك الغطفاني ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب
	جاء سيدنا عمر بن الخطاب إلى سيدنا أبي بكر
	جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ... أفأحج عنه؟ قال: نعم

	جاءني جبريل فقال: مر أصحابك يرفعوا
	جددوا إيمانكم قيل: يا رسول الله كيف نجدد
	حب الدنيا رأس كل خطيئة
	الحبة السوداء شفاء من كل داء
	حتى يضع الرب جل جلاله قدمه فيها
	حدثتني أمي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى العباس قادمًا فقام له
	حديث الإسراء المتواتر
	حديث الغار
	حديث تخلف سيدنا كعب بن مالك
	الحسن والحسين سيدا الشباب
	حققت محبتي على المتحابين في
	الحليم سيد في الدنيا وسيد في الآخرة
	حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم
	خدرت رجل ابن عمر فقال له رجل
	خذها فلعمري لمن أكل برقبة باطل قد أكلت برقية حق
	خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عندي مسرورا
	خرج رجلان في سفر فحضرت الصلاة
	خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا الناس يصلون
	خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدنيا ولم
	خرج سيدنا عمر رضي الله عنه إلى المسجد فوجد معاذًا
	خرج علينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا أيها الناس
	خرجنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى خيبر فسرنا

	خير الدواء القرآن
	خير الذكر الخفي
	خير القرون قرني ثم الذين
	خير الوجوه من إذا رأته ذكرك الله
	دخل أبو بكر وعندي جاريتان
	دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشرّب من قربة
	دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين يدي أربعة آلاف
	دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعندي جاريتان
	دخل علينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال عندنا
	دخل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على امرأة وبين يديها نوى
	دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: يا أمّاه اكشفي لنا قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
	دخلت يوماً السوق مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
	دعاء الأخ لأخيه في ظهر الغيب
	دعهم يا عمر فإنّهم بنو أرفدة
	دونكم يا بني أرفدة
	رأني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبر فقال
	رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً قد اتكا
	رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد حلق الإبهام والوسطى
	رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم واضعاً ذراعه اليمنى على
	رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعقد التسبيح
	رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توضأ ثم قرأ

	رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر والحسن
	رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قبة حمراء
	رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحلاق يحلقه
	رأيت قصورا مشرفة على الجنة
	رأيت من العلاء بن الحضرمي ثلاثة أشياء
	الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم
	الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل
	رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا
	رجوت بركتها حين لبسها
	رفع القلم عن ثلاث
	رفع عن أمتي الخطأ والنسيان
	ركبت البحر فانكسرت سفينتي
	زار النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبر أمه فبكى
	سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الشعر فقال: هو الكلام حسنه
	السلام عليك يا رسول الله
	السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين
	سمعت رد السلام
	شهدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالبطحاء وأتى
	شهدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالبطحاء وأتى بلال بفضله وضوئه
	صح عن ابن مسعود أنه كان يصلي قبلها أي الجمعة
	صلاة في مسجد قباء كعمرة
	صلاة في مسجدي هذا خير من ألف فيما سواه

	صليت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعطست ، فقلت الحمد لله
	صم يوما مكانه
	طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا
	العبد إذا وضع في قبره وتولى
	عبدي إذا ذكرني خاليا ذكرتك خاليا
	عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط
	عرق فاستنقع عرقه على قطعة
	العلماء ورثة الأنبياء
	عليكم بالتسبيح والتهليل والتقديس
	عن أبي بكر قلت يا رسول الله والله لا أكلمك إلا كأخي السرار
	عن أبي مجلز أن أبا موسى كان بين مكة والمدينة
	عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن امرأة جاءت فقالت: إني نذرت إن رجعت
	عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه ضحى بكبشين أملحين
	عن سيدنا عمرو بن العاص أنه لما بعث في غزوة
	عن عائشة أن أبا بكر دخل وعندها جاريتان في أيام منى تدفنان
	عن عبدالرحمن بن رزين قال: مررنا بالربوة فقليل
	عن عبدالله بن دينار رضي الله عنه قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يتمثل بشعر
	أبي طالب وأبيض يستسقى
	عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في
	عن محمد بن سوقة عن أبيه قال: لما بنى عمرو بن حريث داره
	عن نافع أن عبدالله بن عمر أخبره أن الناس نزلوا
	العنهم يا أمير المؤمنين ، قال: لا سمعت

	فاتحة الكتاب شفاء من كل داء
	فاحتضنه من خلفه ولا يبصره فقال
	فاسترقوا لها فإن بها نظرة
	فدين الله أحق بالقضاء
	فزوروا القبور فإنها تذكر الموت
	فزوروها فإنها تذكركم الآخرة
	فسترت وجهي عنه بجلبابي
	فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح
	فضلت هذه الأمة على سائر الأمم
	فعلك تمر بقبري ومسجدي
	فكان أبو محذورة يجز ناصيته لا يفرقها
	فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب
	فلما صلى الصبح انحرف جالسا فاتسقبل
	فمر على جبل يقال له
	فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها
	فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني
	في قصة سيدنا عكرمة فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وثب إليه
	فيه ولدت وفيه أنزل علي
	قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لو أن رجلا مؤمنا قرأ بها
	قال المقبري: كنا مع أبي هريرة فلحقه فقال وعليك يا سيدي
	قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليسلكن عيسى بن مريم حاجا
	قال تثويت أبا هريرة معه كيس فيه حصي

	قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إن أُمِّي افتلتت
	قال رجل يا رسول الله الرجل منا يلقي أخاه
	قبلة المسلم أخاه المصافحة
	قد جاءكم أهل اليمن ، وهم أول من جاء
	قد روي عن عبدالله أنه رآها زارت قبر أخيها
	قد زيد بن حارثة المدينة فقام إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
	قسمت الصلاة بيني وبين عبدي
	قل وروح القدس معك
	قل وروح القدس يؤيدك
	قلت يا رسول الله علمني سنة الأذان
	قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين
	قوموا إلى سيدكم
	قوموا لسيدكم
	كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر
	كان أبو بكر يخافت بصوته إذا قرأ
	كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا ذكروا
	كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتناشدون عنده الشعر
	كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي
	كان الحبشة يرقصون بين يدي رسول الله
	كان الرجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا جاء
	كان الناس في زمن عمر يقومون في رمضان
	كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا جلس في الصلاة وضع كفه اليمنى

	كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحدثهم فإذا قام قاموا
	كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدخل بيت أم سليم فينام
	كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرفع يديه في الدعاء
	كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يركع قبل الظهر أربعاً
	كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشير بأصبعه إذا دعا
	كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يضع لحسان منبراً في المسجد
	كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: زاهر باديتنا
	كان رجل عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينظر إليه
	كان رجل من أهل نجد إن دعا رفع صوته
	كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سلم من صلاته قال بصوته الأعلى
	كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى الغداة جاء خدماً
	كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا مرض أحد
	كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الطريق إلى مكة
	كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي مسجد قباء راكباً
	كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيني المسجد وعبدالله بن رواحة
	كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتوضأ ثم يقبل ثم
	كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكر الله على
	كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكر الله في كل
	كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي قبل الجمعة أربعاً
	كان سلمان في عصابة يذكرون الله فمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم
	كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر بالحداء
	كان عبدالله بن رواحة إذا لقي الرجل

	كان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ينزل تحت الشجرة ويتبرك بها
	كان فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ادم
	كان كل من عبدالله بن عمر وأبي هريرة
	كان ينفث على نفسه في المرض
	كانت تبسط للنبي صلى الله عليه وآله وسلم نطعا فيقيل
	كل أمتي يدخلون الجنة إلا من ابى
	كل بدعة ضلالة
	كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل
	كل معروف صدقة وإن من المعروف
	كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... ارفعوا أيديكم فقولوا
	كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فتفرقنا في ليلة
	كنا نصلي وراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما رفع رأسه
	كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
	كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاء رجل فسلم
	كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده ميمونة
	كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
	كنت نهيتكم عن زيارة القبور
	كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة
	لأن أجلس مع قوم يذكرون الله بعد صلاة الصبح
	لأن أذكر الله تعالى مع قوم بعد
	لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه
	لا بل أنتم العكارون

	لا تباغضوا ولا تحاسدوا
	لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن
	لا تحاسدوا ولا تناجشوا
	لا تسيدوني في الصلاة
	لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد المسجد
	لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك
	لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم
	لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض
	لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم
	لا تلثم المرأة ولا تتبرقع ولا تلبس
	لا تمس القرآن إلا وأنت على طهر
	لا تنقب المرأة المحرمة ولا تلبس
	لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب
	لا ضرر ولا ضرار
	لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك
	لا ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدي أعافه
	لا يؤمن احدكم حتى أكون أحب إليه
	لا يجلس قوم مجلسا لم يذكروا الله
	لا يدخل الجنة من كان في قلبه
	لا يمس القرآن إلا طاهر
	لا ينبغي للمصلي أن يشد رحاله إلى مسجد
	لتعلم يهود ان في ديننا فسحة

	لعلك قبلت أو لمست
	لعله يخفف عنها ما لم يبسا
	لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا
	لقد دعا باسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب
	لقد رأيت نبيكم ما يجد من الدقل
	لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
	لقد كان فيمن قبلكم من الأمم محدثون
	لقنوا موتاكم لا إله إلا الله
	لكن عند الله لست بكاسد
	لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت
	لم يتكلم من المهدي إلا ثلاثة
	لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
	لما اجتلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صفية رأى عائشة
	لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب
	لما كان أيام الحررة لم يؤذن
	لما نزلت بنو قريظة
	لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع
	اللهم أنت عبدي وأنا ربك
	اللهم إن كانت كاذبة فعم بصرها
	اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا
	اللهم إني أسألك القصر الأبيض
	اللهم اجعل رزق آل محمد

	اللهم اسقنا غيثا مغيثا
	اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون
	اللهم بحقي وحق الأنبياء من قبلي
	اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي
	اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل
	لو رأيت الأطباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها
	لولا أن قومك حديثوا عهد بجاهلية
	ليأتين على الناس زمان يخرج الجيش
	ليبعثن الله أقواما يوم القيامة في
	ليس منا من لم يعرف لعالمنا حقه
	ليس يتحسر أهل الجنة إلى على ساعة
	المؤمن الذي يعاشر الناس ويصبر على
	المؤمن يألف ويؤلف ولا خير
	ما أحل الله في كتابه فهو حلال
	ما أعظمك وأعظم حرمتك
	ما أعلم رجلا من المهاجرين إلا وقد سمعته يترنم
	ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم
	ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت
	ما بين بيتي ومنبري
	ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة
	ما بين لابتيتها حرام
	ما جلس قوم يذكرون الله إلا

	ما رأيت أحدا كان أشبه سمته برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
	ما شبع آل محمد من خبز
	ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يزيد في رمضان
	ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي
	ما من أحد يمر بقبر أخيه كان يعرفه
	ما من أحد يمر بقبر أخيه كان يعرفه
	ما من صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتين
	ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك
	ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر
	ما من ميت يموت فتقرأ عنده يس
	ما منعك أن تثبت إذ أمرتك
	ما نفضنا التراب عن أيدينا من دفنه عليه الصلاة والسلام
	متى الساعة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
	مثل الجليس الصالح وجليس
	مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكره
	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد
	المجاهد من جاهد نفسه في الله
	مر أبو هريرة وصاحب له على قبر
	مر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بامرأة تبكي عند قبر
	مرّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجنازة فقام
	مرّ عمر في المسجد وحسان ينشد
	المرء مع من أحب

	المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة
	المسلمون كالجسد الواحد
	من أحب أن يتمثل له الناس
	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه
	من أحب الله وأبغض الله
	من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد
	من أخذ شبرا من الأرض ظلما
	من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي
	من تشبه بقوم فهو منهم
	من جاءني زائرا لا تحمله حاجة إلا زيارتي
	من جاءني زائرا لا تُعلمه حاجة إلا زيارتي
	من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت
	من حج البيت فزار قبري عد وفاتي فكأنما
	من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني
	من حج وزار قبري بعد موتي كان كمن
	من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم
	من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده
	من دخل المقابر فقرأ الفاتحة
	من زار قبري وجبت له شفاعتي
	من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا
	من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي
	من سن في الإسلام سنة

	من صبر على لأواء المدينة وشدتها كنت له
	من صلى المغرب والعشاء فإنها صلاة
	من صلى بعد المغرب ست ركعات
	من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات
	من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا
	من صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة بنى الله
	من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب
	من علم عبدا آية من كتاب الله فهو مولاه
	من غشنا فليس منا
	من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له
	من نام عن حزبه أو عن شيء
	من نزل منزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله
	من وجد سعة ولم ينفد إلي فقد جفاني
	ناولني يدك التي بايعت بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذنا
	نحن الذين بايعوا محمدا
	نزل خالد بن الوليد الخيرة فقالوا له احذر السم
	نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في بعض أبياته ﴿ واصبر..... ﴾
	نعمت البدعة هذه
	نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
	هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم
	هل أنت إلا أصبع دميت
	هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم

	هي المانعة هي المنجية
	وأبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك
	وأنشد يوما وقد قيل (هما واحد)
	وإذا تصدق بصدقة تطوعا فيجعلها
	وإنه على ترعة من ترع الجنة
	والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلن عيسى
	والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه
	والله في عون العبد ما كان العبد
	وترق القلب وتدمع العين
	وثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يلازم في أسفاره كلها
	وثبت عن صفية بنت حيي أنها صلت قبل الجمعة أربعاً
	وجاء في فتح الباري قبلوا يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم
	وجب أجرك وردها عليك الميراث
	وعن أم أبان بنت الوارع بن زارع عن جدها
	وعن ابن جدعان قال ثابت لأنس: أمسست النبي صلى الله عليه وآله وسلم
	وعن الزبير رضي الله عنه قال: لقيت يوم بدر عبيدة
	وعن الشعبي أن زيد بن ثابت رضي الله عنه صلى على
	وعن ثابت قال: كنت إذا أتيت أنسا
	وعن ثابت قال: كنت إذا أتيت أنسا رضي الله عنه
	وعن جعفر بن عبد الله بن الحكم أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة
	وعن سدينا جابر رضي الله عنه ان سيدنا عمر رضي الله عنه قبل يد النبي
	وعن سيدنا حبان بن واسع عن أشياخ من قومه أن رسول الله صلى الله عليه وآله

	وسلم عدل الصفوف يوم بدر
	وعن سيدنا سهل بن حنيف فقلت يا سيدي والرقى صالحه
	وعن سيدنا عبدالرحمن ... مُرَّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجنزة فقام
	وعن صهيب قال: رأيت عليا يقبل يد العباس ورجليه
	وعن عامر بن سعد فإنه قد رخص لنا في اللهو عند العرس
	وعن عبدالرحمن بن رزين قال: مررنا ... بايعت بهاتين نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم
	وعن قتادة رضي الله عنه أنه أصيبت عينه
	وعن موسى بن عقبة قال: رأيت سالم بن عبدالله يتحرى أماكن من الطريق فيصلي فيها.
	وعن يحيى بن الحارث الذماري قال: لقيت وائلة
	وعن يزيد بن الأسود في حديث حجة الوداع
	وعن يونس بن ميسرة قال: دخلنا على يزيد بن الأسود
	وفي قصة سيدنا جعفر قام له النبي صلى الله عليه وآله وسلم
	وقال ابن كثير في كتابه فأشار أبو عبيدة ليقبل يد عمر
	وقبض ثنتين وحلق ورأيته يقول هكذا
	وقد قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى ﴿إِن لَدِينَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾
	ولينوا في يد إخوانكم
	وما يدريك أنها رقية ثم قال: قد أصبتم
	وهذه البئر صارت معروفة اليوم ببئر الخاتم
	يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود
	يا أهل القبور السلام عليكم

	يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف
	يا ابن عمر دينك دينك إنها هو لحمك
	يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي
	يا رسول الله أي جلسائنا خير قال: من ذكركم
	يا رسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله
	يا رسول الله وما المفردون
	يا رسول الله! أبسط يدك حتى أبايعك
	يا عائشة ما كان معكم هو؟
	يا عباد الله احبسوا
	يا فلان ابن فلان قال: إنا وجدنا ما وعدنا
	يا محمداه استسقى لأمتك فإنهم قد هلكوا
	يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في
	يا بني إذا أنا مت فالحد لي لحدا
	يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون
	يس قلب القرآن لا يقرؤها رجل
	يستحب أن يقرأ على القبر بعد الدفن
	اليسير من الرياء شرك
	يضحك الله من رجلين يقتل أحدهما الآخر
	يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه
	يقول الرب تعالى يوم القيامة، سيعلم أهل الجمع
	يقول الله عز وجل: حقت محبتي للمتحابين في
	ينادي من كل باب من أبواب الجنة

كشاف الأشعار

الشعر	الصفحة
أتيناكم أتيناكم	
أرأيت تلك التي لله قد نذرت	
أضاعوني وأي فتى أضاعوا	
أطوف بالبيت مع من يطوف	
ألم ترياني كلما جئت طارقا	
أنا في الغربة أبكي	
أنا من أهوى	
إذا كان هذا كافرا جاء ذمه	
إذا لم يكن للشيخ خمس فوائد	
إذا ما قال لي ربي	
إذا وصف الطائي بالبخل ما در	
إصحب من الإخوان من قلبه	
إلهنا ما أعدلك	
اضرب الدف وجانب جاهلا	
بانة سعاد فقلبي اليوم متبول	
تنازع الناس في الصوفي واختلفوا	
خلوا بني الكفار عن سبيله	

	دع ما ادعته النصارى في نبيهم
	رب ورقاء هتوف في الضحى
	رحمك يا رب العباد رجائي
	سارت مشرقة وسرت مغربا
	صغير هواك عذبي
	طريقتنا تنجي الفؤاد من الغوى
	علم التصوف علم ليس يعرفه
	علم التصوف علم لا نافد له
	علم به تصفية البواطن
	علمتني الحياة أن أتلقى
	على محمد صلاة الأبرار
	غبت بك عني
	غنى بهم حادى الأجابة في الدجى
	فإذا أتينا المسجد النبوي
	فإملاء السمع من محاسن يملئها
	فالجمع بينما تعارضا هنا
	فالكل دون الله إن حققته
	فتشهبوا إن لم تكونوا مثلهم
	فلما بصرنا به مقبلا
	فما المنازل لولا أن تحل بها
	قد رفضوا الآثام والعيوبا
	قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب

	قوم همومهم بالله قد علقت
	قيامي والعزير إليك حق
	لا تسلكن طريقا لست تعرفها
	لا تلم المرء على فعله
	لكن سر الله في صدق الطلب
	اللهم لولا أنت ما اهتدينا
	ما في التواجد إن حقق من حرج
	مالي وألفاظ زيد
	ناشر الإيمان مبعوث السماء
	نحن الذين بايعوا محمدا
	نحن جوار من بني النجار
	نفس لا كنت ولا كان الهوى
	هل أنت إلا إصبع دميت
	وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
	وأثبتن للأولياء الكرامة
	وأفضل الخلق على الإطلاق
	وأمر بعرف واجتنب نميمة
	وإنما القوم مسافرونا
	وتلهيك عن دار الخلود مطاعم
	ودع مقالة قوم قال عالمهم
	وعلمك أن كل الأمر أمري
	وفؤادي كلما عاتبته

	وفي دار الحديث لطيف معنى
	وفينا رسول الله يتلو كتابه
	وقد سن أهل العلم والفضل والتقى
	وقل للذي ينهى عن الوجد أهله
	وكل خير في اتباع من سلف
	وكن كما كان خيار الخلق
	ولا تر العيب إلا فيك معتقدا
	ولست أبالي من رماني برية
	وما يخالف ثقة به الملا
	وما ينفع الأصل من هاشم
	ومن أراد ههنا الإنشاد
	يا خير من دفنت بالقاع أعظمه
447	يا من يراني مذنبا
	يصحب شيخا عارف المسالك
	يظنوا بي حلولا واتحادا
	يعادي الذي عادي من الناس كلهم
	يقول قوم عن هداهم ضلوا

كشاف المصادر والمراجع

- 1 - القرآن الكريم.
- 2 - آداب السلوك ، الشيخ عبدالقادر الجيلاني ، تحقيق محمد غسان عزقول، دار السنابل ، الطبعة الأولى ، 1413هـ - 1995 .
- 3 - الإبانة عن أصول الديانة، أبي الحسن الأشعري، تحقيق عباس صباغ، دار النفائس ، الطبعة الأولى ، 1414هـ، - 1989 .
- 4 - أبجدية التصوف الإسلامي، الشيخ محمد زكي إبراهيم ، منشورات ورسائل العشيرة المحمدية ، الطبعة الرابعة ، 1409هـ - 1989 .
- 5 - الإبريز من كلام سيدي الغوث عبدالعزيز الدباغ، الشيخ أحمد بن المبارك ، المطبعة العلمية ، دمشق ، 1155 هـ - 1742 .
- 6 - إنحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء، أبو الفضل عبدالله بن محمد بن الصديق الحسني، عالم الكتب، بيروت.
- 7 - إنحاف البررة بمعرفة الأحاديث الموضوعية المشتهرة ، أديب الكمداني، الطبعة الأولى ، 1415هـ، 1994 .
- 8 - إنحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، الشيخ مرتضى الزبيدي، دار الفكر ، بيروت - لبنان.
- 9 - إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة، المحدث عبدالله الغماري.
- 10 - الأجوبة الفاضلة، عبدالحكي اللكنوي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ، الطبعة الأولى 1384 .
- 11 - أحكام القرآن، ابن عربي المالكي، دار المعرفة.
- 12 - إحياء علوم الدين ، الإمام الغزالي، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ، 1411هـ ، 1991 .
- 13 - أدب الإملاء والإستملاء ، السمعاني ، ليدن ، 1952 .

- 14 - الأدب المفرد ، الإمام البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية ، مؤسسة الرسالة 1414هـ ، 1993هـ .
- 15 - الأدلة الشرعية في جواز الاحتفال بميلاد خير البرية صلى الله عليه وآله وسلم ، الدكتور عز الدين حسين الشيخ .
- 16 - الأذكار، الإمام النووي ، تحقيق الشيخ عبدالقادر أرناؤوط ، مطبعة الملاح ، 1391هـ ، 1971هـ .
- 17 - أربعون حديثا بالإسناد ، الشيخ أحمد الرفاعي ، مكتبة الحلواني .
- 18 - الأربعون النووية ، الإمام النووي ، تحقيق نادر ضرسة الرنكوسي، إشراف الشيخ أحمد نصيب المحاميد ، الطبعة الأولى 1414هـ ، 1994هـ .
- 19 - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني ، مطبعة بولاق بمصر ، 1323هـ .
- 20 - الإرشاد في معرفة علماء الحديث، الإمام الحافظ الخليل بن أحمد بن عبدالله القزويني، دار الفكر ، بيروت ، 1414هـ - 1993هـ .
- 21 - أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري .
- 22 - الاستذكار، ابن عبدالبر، طبعة القاهرة 1391هـ .
- 23 - الاستعانة بالفاتحة على نجاح الأمور، يوسف بن حسن بن عبيد الهادي الحنبلي الشهير بابن المبرد، تحقيق الشيخ عبدالهادي الخرسة والشيخ محمد خالد الخرسة .
- 24 - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر، تحقيق علي البجاوي، القاهرة ، مصر .
- 25 - أسد الغابة، ابن الأثير، دار الفكر 1409هـ .
- 26 - الإسعاد في جواز التوسل والاستمداد، الشيخ عبدالهادي محمد الخرسة ، دار فجر العروبة 1997هـ .
- 27 - إسعاف المسلمين والمسلمات بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات، محمد المغربي العربي المكي ، طبع بإشراف محمد سعيد البرهاني، الطبعة الثالثة .

- 28 - الإسلام وقضايا الفن المعاصر ، الدكتور ياسين محمد حسن، دار الألباب، الطبعة الأولى 1410هـ، 1990م.
- 29 - الأسماء والصفات ، الإمام البيهقي .
- 30 - الأشباه والنظائر ، السيوطي ، مطبعة البابي الحلبي 1356هـ.
- 31 - الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني وبهامشه الاستيعاب لابن عبد البر القرطبي ، دار إحياء التراث العربي بيروت 1328هـ.
- 32 - الإصابة في نصره الخلفاء الراشدين والصحابة ، القسم التاسع، تأليف محمد حمدي الجويجاني.
- 33 - أصول الوصول، أدلة أهم معالم الصوفية الحققة من صريح الكتاب والسنة، الأستاذ محمد زكي إبراهيم، سلسلة منشورات ورسائل العشيرة المحمدية، الطبعة الرابعة 1409هـ، 1989م.
- 34 - الاعتصام ، أبو إسحاق الشاطبي ، دار الفكر.
- 35 - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، الإمام فخر الدين الرازي.
- 36 - الإغاثة بأدلة الاستغاثة ، الشيخ حسن بن علي السقاف، مكتبة الإمام النووي ، عمان ، الأردن.
- 37 - إغاثة اللهفان ، ابن قيم الجوزية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- 38 - اقتضاء الصراط المستقيم ، الشيخ ابن تيمية، دار المعرفة ، بيروت.
- 39 - إلى كل فتاة تؤمن بالله، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفارابي ، دمشق - سوريا.
- 40 - الإلهامات الإلهية ، محمود أبي الشامات.
- 41 - كتاب الأم، الإمام الشافعي ، دار المعرفة ، بيروت.
- 42 - الانتصار لطريق الصوفية، أحمد صديق الغماري ، مطبعة دار التأليف ، مصر .

- 43 - الإنسان الكامل، الجليلي ، مطبعة بولاق 1293هـ.
- 44 - الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، المرادوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 45 - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 1408هـ - 1988هـ.
- 46 - الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، الإمام الشعрани ، حققه طه عبدالباقي والسيد محمد عيد الشافعي ، مكتبة المعارف.
- 47 - الأوائل، ابن أبي عاصم، طبعة المكتب الإسلامي.
- 48 - إيضاح الدلالات في سماع الآلات ، الشيخ عبدالغني النابلسي ، تحقيق د. راتب حموش، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان ، دار الفكر ، دمشق - سوريا 1401هـ - 1989هـ.
- 49 - إيقاظ المهتم في شرح الحكم ، ابن عجيبة ، دار الفكر .
- 50 - الإيمان ، محمد بن إسحاق بن منده ، مؤسسة الرسالة ، 1406هـ.
- 51 - البرهان المؤيد ، سيدي الشيخ أحمد الرفاعي، قدم له وخرج أحاديثه وعلق عليه عبدالله محمد علي مسعود، دار الأنصاري، حلب ، الطبعة الأولى، 1414هـ - 1994هـ.
- 52 - البداية والنهاية ، ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف بيروت.
- 53 - بستان العارفين ، الإمام النووي ، مطبعة إدارة الطباعة المنيرية ، 1348هـ. أ
- 54 - البطولة والفداء عند الصوفية، أسعد الخطيب ، مطبعة الشام، 1417هـ - 1996هـ.
- 55 - بلوغ المرام، ابن حجر ، دار الفكر.
- 56 - بهجة النفوس (شرح مختصر البخاري) ابن أبي جمرة ، مطبعة الصدق الخيرية ، مصر 1348هـ.
- 57 - بوارق الحقائق، العارف بالله الشيخ محمد مهدي بهاء الدين المشهور بـ (الرواس) قدم له عبدالجليل عطا، دار البشائر ، الطبعة الثانية ، 1413هـ - 1992هـ.

- 58 - بين التصوف والحياة، الشيخ عبدالباري الندوي ، مكتبة دار الفتح ، الطبعة الأولى 1963هـ.
- 59 - تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ، الإمام ابن عطاء الله السكندري، المكتبة الأدبية.
- 60 - تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن ، دار إحياء التراث، الطبعة السابعة ، 1995هـ.
- 61 - تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية.
- 62 - تاريخ التصوف الإسلامي منذ البداية حتى نهاية القرن الثاني ، عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات ، الطبعة الثانية.
- 63 - تاريخ دمشق ، ابن عساكر ، القسم المطبوع.
- 64 - التاريخ الصغير، الإمام البخاري، طبعة الهند ، 1380هـ.
- 65 - التاريخ الكبير ، الإمام البخاري، دار المعرفة 1406هـ.
- 66 - تأييد الحقيقة العلية ، جلال الدين السيوطي.
- 67 - تجريد ابن عجيبة على شرح متن الأجرومية.
- 68 - تحذير العبد الأواه من تحريك الإصبع في الصلاة، حسن بن علي السقاف، دار الإمام النووي ، الطبعة الثانية، 1412هـ ، 1992هـ.
- 69 - تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذي ، المباركفوري، مطبعة الاعتماد، القاهرة.
- 70 - تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، المزي، تحقيق عبدالرحمن شرف الدين، المكتب الإسلامي، الدار القيمة.
- 71 - تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، الشوكاني، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان.
- 72 - تحفة المريد بشرح جوهرة التوحيد، الشيخ إبراهيم بن محمد الباجوري، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى 1403هـ.
- 73 - تدريب الراوي ، الإمام السيوطي ، المكتبة العلمية ، الطبعة الأولى 1379هـ.

- 74 - تذكرة الحفاظ ، الإمام الذهبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- 75 - التراتيب الإدارية ، العلامة الكتاني ، المطبعة الأهلية بالرباط 1346هـ .
- 76 - التربية الروحية بين الصوفيين والسلفيين ، الدكتور محمد شيخاني ، دار قتيبة ، الطبعة الثانية 1416هـ - 1995 .
- 77 - ترتيب المدارك ، القاضي عياض ، تحقيق أحمد محمود ، مكتبة الحياة ، بيروت - لبنان .
- 78 - الترغيب والترهيب ، الأصبهاني ، دار الكتب العلمية ، دار الحديث مصر .
- 79 - الترغيب والترهيب ، المنذري ، تحقيق مصطفى عمارة ، دار الجليل ، بيروت ، 1407هـ ، 1987 .
- 80 - التصوف الإسلامي ، الإمام الشعراني ، طه عبد الباقي سرور ، مطبعة النهضة ، مصر ، 1382هـ .
- 81 - التصوف منشؤه ومصطلحاته ، الدكتور أسعد السحمراني ، دار النفائس ، الطبعة الأولى 1407هـ - 1987 .
- 82 - التعرف لمذهب أهل التصوف ، الشيخ أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان 1416هـ ، 1996 .
- 83 - تفسير الطبري ، دار الكتب العلمية ، دار الفكر ، بيروت .
- 84 - تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير القرشي الدمشقي ، دار الفكر ، بيروت ، 1399هـ ، 1979 .
- 85 - التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة .
- 86 - تفسير النسفي ، الإمام الجليل عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- 87 - التفسير والمفسرون ، الدكتور محمد حسين الذهبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1396هـ ، 1976 .

- 88 - تقريب التهذيب ، ابن حجر ، دار الرشيد ، دار القلم، الطبعة الرابعة، 1412هـ
- 89 - التلخيص الجلي في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني ، المدينة المنورة 1384هـ.
- 90 - التمهيد، ابن عبد البر، تحقيق سعيد أحمد أعراب، 1396هـ، 1976.ā.
- 91 - تنبيه الفكر إلى حقيقة الذكر، الشيخ محمد أديب كلكل، المكتبة العربية، الطبعة الثانية، 1415هـ، 1994.ā.
- 92 - تنبيه المغترين، الشيخ عبد الوهاب الشعراني ، ضبطه وعلق عليه عبد الجليل عطا، دار البشائر ، الطبعة الأولى.
- 93 - تنوير الحوالك ، الإمام السيوطي ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 94 - تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، الشيخ محمد أمين الكردي الزملكاني، مطبعة السعادة، مصر، 1358هـ.
- 95 - تهذيب الآثار، محمد بن جرير الطبري، مطبعة المدني ، القاهرة.
- 96 - تهذيب الأسماء واللغات ، الإمام النووي ، الطبعة المنيرية.
- 97 - تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ، 1327هـ
- 98 - الثقافة الإسلامية ، محمد راغب الطباخ.
- 99 - جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، المطبعة المنيرية ، الطبعة الأولى ، 1351هـ.
- 100 - الجامع الصغير، الإمام السيوطي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار خدمات القرآن.
- 101 - الجامع لأحكام القرآن ، الإمام القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1385هـ
- 102 - الجرح والتعديل ، ابن أبي حاتم، الهند، الطبعة الأولى ، 1371هـ
- 103 - جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام صلى الله عليه وآله وسلم ، ابن قيم الجوزية.
- 104 - جلاء الخاطر، الشيخ عبد القادر الجيلاني، تحقيق خالد الزرععي وعبد الناصر سري، مكتبة الجيلاني، الطبعة الأولى 1995.ā.

- 105 الجواب الكافي، ابن قيم الجوزية، دار البيان ، دمشق ، الطبعة الثامنة، 1413هـ ، 1992.ã
- 106 الجواهر المنظم، ابن حجر.
- 107 حاشية ابن عابدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثامنة، 1407هـ - 1987.ã
- 108 حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح، مطبعة بولاق ، مصر ، 1290هـ.
- 109 حاضر العالم الإسلامي ، الأمير شكيب أرسلان ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر 1352هـ.
- 110 الحاوي للفتاوى، الإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية 1411هـ ، 1990.ã
- 111 حجة الله على العالمين، يوسف النبهاني ، المطبعة الأدبية ، بيروت 1316هـ.
- 112 الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية، نابلسي، مطبعة الدار العامرة، 1290هـ.
- 113 حقائق عن التصوف، الشيخ عبدالقادر عيسى، الطبعة الخامسة ، 1414هـ ، 1993.ã
- 114 حقيقة الصوفية، أبو سعيد التونسي ، مكتبة الفرابي.
- 115 حقيقة الفرقة الناجية ، الشيخ سقاف بن علي الكاف، دار القلم، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، 1412هـ ، 1992.ã
- 116 حكايا الصوفية ، الطبيب محمد أبو اليسر عابدين، دار البشائر 1413هـ - 1994.ã
- 117 الحكايا المشورة ، الحافظ ضياء الدين المقدسي.
- 118 حكم السيد أحمد الرفاعي، الإمام الرفاعي قدس الله سره، حققه وعلق عليه عبدالغني نكه مي ، دار الكتاب النفيس ، الطبعة الأولى 1408هـ.
- 119 حُكم القيام والتقبيل في الإسلام، محمود أحمد الرفاعي، تقديم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

- 120 لحكم العطائية، ابن عطاء الله السكندري، ضبط وتقديم الشيخ إبراهيم اليعقوبي، الطبعة الثانية.
- 121 حُكْمُ الغناء في الإسلام، عبدالكريم عكاش ، دار المحبة 1992هـ.
- 122 حُكْمُ الغناء والسماع المسمى (الرد على من يحب السماع) القاضي أبو الطيب طاهر بن عبدالله بن عمر الطبري، خرج أحاديثه عبدالرحيم أحمد قميحة ، دار الناغية.
- 123 حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، محمد بن علوي المالكي الحسني، الطبعة الأولى 1402هـ.
- 124 حياة الصحابة ، الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى 1408هـ - 1997هـ.
- 125 الخصاص الكبرى، الإمام السيوطي ، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1387هـ.
- 126 خلاصة التصانيف في التصوف ، حجة الإسلام الغزالي ، مطبعة السعادة، مصر.
- 127 خلاصة الوفا، السمهودي.
- 128 خلق المسلم، الشيخ محمد الغزالي، دار القلم، دمشق ، 1416هـ، 1992هـ.
- 129 خمرة ألحان ورنه الألحان، الشيخ عبدالغني النابلسي، مطبعة التضامن الأخوي 1351هـ.
- 130 الدرر المباهجة في الحظر والإباحة ، النحلاوي ، مطبعة الاعتدال ، دمشق، 1366هـ.
- 131 الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، الإمام السيوطي ، الطبعة اليمنية .
- 132 دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، الحافظ ابن الجوزي، دار الإمام النووي، الطبعة الأولى 1412هـ، 1991هـ.
- 133 دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق محمد رواس قلعجي، دار ابن كثير.
- 134 دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان الصديقي، مطبعة حجازي.
- 135 الذكر والذاكرون، الدكتور صديق السيد رمضان، راجعه العلامة الشيخ إبراهيم اليعقوبي.

- 136 للرابطة الشريفة وأثرها في تزكية النفس وأقوال العلماء فيها، الشيخ عبدالرحيم الشيخ محمد معصوم الخزنوي الطبعة الأولى 1417هـ - 1997ع.
- 137 رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن الندوي، مطبعة جامعة دمشق، 1379هـ.
- 138 ردود على أباطيل وتمحيصات لحقائق دينية، الشيخ محمد الحامد، المكتبة العربية، الطبعة الثالثة 1415هـ، 1994ع.
- 139 ردود على شبهات السلفية، الشيخ محمد نوري الشيخ رشيد النقشبندي الديرثوي، مطبعة الصباح، الطبعة الأولى 1408هـ، 1987ع.
- 140 الرد المحكم المتين، الغماري.
- 141 رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب.
- 142 الرسالة القشيرية الشيخ عبدالكريم بن هوازن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1330هـ.
- 143 الرسول والعلم، الدكتور يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، الدار المتحدة، الطبعة الخامسة، 1411هـ، 1991ع.
- 144 رفراف العناية، العارف بالله الشيخ محمد مهدي الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بالرواس، الطبعة الثانية، 1388هـ.
- 145 رفع الملام عن الأئمة الأعلام، الشيخ ابن تيمية.
- 146 الروح، ابن قيم الجوزية، تحقيق يوسف علي بدوي، دار ابن كثير.
- 147 روح المعاني في تفسير القرآن الكريم، محمد الألوسي البغدادي، دار الفكر، بيروت 1408هـ - 1987ع.
- 148 روضة الطالبين، الإمام النووي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1412هـ، 1991ع.
- 149 روضة الناظرين، أحمد الوترى، مطبعة الخيرية، مصر، 1306هـ.
- 150 الروض المربع شرح زاد المستنقع، الشيخ منصور بن يونس البهوتي، مطبعة السنة المحمدية 1374هـ.

- 151 الرياضة وآداب النفس، الحكيم الترمذي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1368هـ.
- 152 رياض الصالحين، الإمام النووي، حققه عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، دار الفيحاء، دمشق، دار السلام، الرياض، 1412هـ - 1991هـ.
- 153 زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، تحقيق الشيخ شعيب أرنؤوط وعبدالقادر أرنؤوط، مؤسسة الرسالة، 1399هـ.
- 154 زاد المسير في علم التفسير، أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة 1407هـ، 1987هـ.
- 155 الزهد، هناد بن السري الكوفي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي 1406هـ.
- 156 الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي، مطبعة البابي الحلبي، 1398هـ - 1987هـ.
- 157 زيارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأث محبته في رقي النفس المؤمنة، الشيخ محمد أمين شيخو، الطبعة الأولى 1416هـ، 1996هـ.
- 158 السالكون إلى الله عز وجل (أخبارهم - أحوالهم - أقوالهم) الشيخ عبدالغني نكه مه، دار الكتاب النفيس، الطبعة الأولى 1414هـ، 1994هـ.
- 159 سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، ابن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، الطبعة السادسة، 1403هـ.
- 160 سمر الأسرار، الشيخ عبدالقادر الجيلاني، دار ابن القيم ودار السنابل، الطبعة الثانية 1413هـ - 1993هـ.
- 161 السفر الأسنى في الرابطة الحسنى ومعه الرسالة الخالدية في الرابطة النقشبندية، حققها وعلق عليها عبدالجليل العطا (البكري) دار النعمان للعلوم، الطبعة الأولى، 1418هـ، 1998هـ.
- 162 سفر السعادة، الفيروز آبادي، مطبعة دار العصور 1352هـ.

- 163 السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر ، دمشق 1408هـ، 1998.آ.
- 164 السنة، عبدالله بن احمد حنبل، دار الكتب العلمية 1405هـ.
- 165 السنة والبدعة، الشيخ عبدالله محفوظ الحداد باعلوي الحضرمي، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1413هـ - 1992.آ.
- 166 سنن أبي داود، دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت، دار الجنان، بيروت - لبنان - الطبعة الثانية، 1412هـ، 1992.آ.
- 167 سنن أبي داود الطيالسي، دار المعرفة ، بيروت - لبنان.
- 168 سنن ابن ماجه ، محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الحديث ، القاهرة.
- 169 سنن البيهقي طبعة الهند 1352هـ.
- 170 سنن الترمذي ، تحقيق وشرح أحمد شاكر القاضي، دار الحديث، القاهرة .
- 171 سنن الدارمي، دار الريان ، دار الفكر ، 1407هـ.
- 172 سنن سعيد بن منصور ، تحقيق الشيخ حبيب الله الأعظمي، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- 173 سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي والسندي، تحقيق مكتب التراث الإسلامي، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية 1412هـ - 1992.آ.
- 174 سير أعلام النبلاء ، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة 1414هـ - 1994.آ.
- 175 سميرة ابن إسحاق ، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر ، 1398هـ.
- 176 سميرة ابن هشام ، دار الجليل ، بيروت - لبنان.
- 177 السيرة الحلبية، برهان الدين الحلبي، دار المعرفة ، بيروت.
- 178 السيرة النبوية والآثار المحمدية ، زيني دحلان ، على هامش السيرة الحلبية.

- 179 السير والمساعي في أرواد وأحزاب الإمام الرفاعي قدس الله سره، جمع وترتيب إبراهيم الراوي ، الطبعة الأولى 1413هـ ، 1992ع .
- 180 السيف القاطع، الإمام جلال الدين السيوطي .
- 181 شخصيات صوفية، طه عبد الباقي سرور، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1368هـ .
- 182 شذرات الذهب، ابن عماد الدمشقي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى ، 1413هـ ، 1992ع .
- 183 شرح التقريب، الحافظ العراقي .
- 184 شرح جوهرة التوحيد، الباجوري، راجعه فضيلة الأستاذ عبدالكريم الرفاعي 1392هـ - 1972ع .
- 185 شرح الحكم العطائية ، عبدالمجيد الشرنوبى، علق عليه الشيخ عبدالفتاح البزم، دار ابن كثير، دمشق - بيروت ، الطبعة الثانية 1410هـ ، 1989ع .
- 186 شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، مطبعة مصطفى محمد ، مصر، 1355هـ .
- 187 شرح السنة، الإمام البغوي، تحقيق زهير الشاويش، شعيب أناؤوط، المكتب الإسلامي .
- 188 شرح شطرنج العارفين، الشيخ محمد الهاشمي، مطبعة الترقى بدمشق ، 1357هـ .
- 189 الشئائل المحمدية ، الإمام الترمذي، تحقيق عزت عبید الدعاس، مؤسسة الزعبي ، حمص 1388هـ .
- 190 شرح الصاوي على تفسير الجلالين ، دار الفكر ، بيروت، 1409هـ - 1988ع .
- 191 شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى 1414هـ ، 1994ع .
- 192 شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي ، شرح وتعليق محمد حسن الحمصي، دار الرشيد 1406هـ - 1986ع .
- 193 شرح الطريقة المحمدية، الشيخ عبدالغني النابلسي .

- 194 شرح العقيدة الطحاوية، الألباني.
- 195 شرح عين العلم وزين الحلم، ملا علي القاري، المطبعة المنيرية 1351هـ.
- 196 شرح معاني الآثار، الطحاوي، دار الكتب العلمية، بيروت 1399هـ.
- 197 شرح المنهاج، الإمام السبكي.
- 198 شرح المواهب اللدنية، الرزقاني، دار المعرفة، بيروت.
- 199 شطحات الصوفية، عبدالرحمن بدوي، دار القلم.
- 200 شعب الإيمان، أحمد بن حسين البيهقي، دار الكتب العلمية 1410هـ.
- 201 الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، مصر.
- 202 شفاء المسائل لتهذيب المسائل، ابن خلدون، مطبعة بيروت 1959هـ.
- 203 شفاء السقام في زيارة خير الأنام صلى الله عليه وآله وسلم، تقي الدين السبكي، دار الآفاق الجديدة، بيروت - لبنان.
- 204 شفاء العليل وبل الغليل في حكم الوصية بالختمات والتهاليل، الشيخ ابن عابدين.
- 205 الشكر، ابن أبي الدنيا، دار ابن كثير، الطبعة الثانية 1407هـ.
- 206 شمس العلوم، أبو الحسن الحميري.
- 207 شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، الشيخ يوسف النبهاني، دار الفكر 1410هـ.
- 1990هـ.
- 208 صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، الشيخ علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب أرنؤوط، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، 1414هـ، 1993هـ.
- 209 صحيح ابن خزيمة، تحقيق مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية 1412هـ، 1992هـ.
- 210 صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الأولى 1414هـ، 1994هـ.

- 211 صفوة التفاسير، الشيخ محمد علي الصابوني، دار القلم العربي بحلب، دار النمير بدمشق،
الطبعة الأولى 1414هـ، 1994ء.
- 212 الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الشيخ عبدالله سراج الدين، دار الفلاح،
حلب - سوريا.
- 213 الصلوات والبشر بالصلاة على خير البشر صلى الله عليه وآله وسلم، للفيروز أبادي، تحقيق
محمد نور الدين الجزائري، وآخرين، دمشق.
- 214 الصوفية والتصوف، الشيخ عدنان حقي، قدم له الشيخ كريم راجح، الطبعة الثانية.
- 215 الصوفية والفقراء، الشيخ ابن تيمية.
- 216 طبقات ابن سعد، دار صادر، بيروت - لبنان.
- 217 طبقات الحفاظ، الإمام جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 218 طبقات الشافعية الكبرى، الإمام السبكي، طبعة البابي الحلبي.
- 219 طبقات الصوفية، الإمام أبو عبدالرحمن السلمي، تحقيق نور الدين شريفة، دار الكتاب
النفيس، الطبعة الثانية 1406هـ، 1986ء.
- 220 الطب النبوي، الشيخ ابن قيم الجوزية، علق عليه وخرج أحاديثه الشيخ شعيب أرناؤوط،
والشيخ عبدالقادر أرناؤوط، مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الثانية
1402هـ، 1982ء.
- 221 الطريق إلى الله، أبو سعيد الخراز، مطبعة السعادة، مصر.
- 222 طريقة الصوفي، إدريس شاه مؤسس الوفاء، ترجمة سماء زكي المحاسين، 1409هـ،
1989ء.
- 223 طريق المهجرتين، ابن قيم الجوزية، إدارة الطباعة المنيرية 1357هـ.
- 224 طي السجل، السيد محمد مهدي الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس، عني بنسخه وتحقيقه
الشيخ عبدالحكيم عبدالباسط، الطبعة الأولى 1391هـ.

- 225 عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى ، ابن عربى المالكى ، المطبعة المصرية بالأزهر 1350هـ.
- 226 العبودية، الشيخ ابن تيمية ، منشورات المكتب الإسلامى بدمشق.
- 227 عرائس العُمرر وغرائس الفِكر فى أحكام النظر، على بن عطية الهيثمى، تحقيق محمد فضل عبدالعزيز مراد، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى، 1410هـ ، 1990ء.
- 228 عمل اليوم والليلة، أبو بكر بن السنى، مكتبة الكليات الأزهرية، 1389هـ.
- 229 عمل اليوم والليلة، أحمد بن شعيب النسائى ، مكتبة الكليات الأزهرية، 1389هـ.
- 230 عمدة القارى شرح صحيح البخارى ، العينى، إدارة الطباعة المنيرية، 1348هـ.
- 231 حواراف المعارق ، عبدالله السهروردى ، دار الكتاب العربى، الطبعة الثانية 1403هـ، 1983ء.
- 232 عون المعبود شرح سنن أبى داود، محمد شمس الحق العظيم أبادى، مع شرح ابن قيم الجوزية.
- 233 خذاء الألباب شرح منظومة الآداب، محمد السفارينى الحنبلى ، مطبعة النجاح، مصر 1324هـ.
- 234 الغنية لطالبى طريق الحق، الشيخ عبدالقادر الجيلانى ، دار الكوثر، 1996ء.
- 235 الفتاوى الكبرى، ابن حجر الهيثمى ، وبهامشه فتاوى الرملى، دار الفكر، 1404هـ، 1983ء.
- 236 فتاوى الشيخ محمد بن عبدالوهاب.
- 237 فتاوى الإمام النووى، المكتب الإسلامى ، الطبعة الثانية ، 1412هـ، 1991ء.
- 238 الفتاوى الهندية.
- 239 فتح البارى شرح صحيح البخارى، ابن حجر العسقلانى ، طبعة البابى الحلبي، القاهرة 1385هـ.

- 240 الفتح الرباني، الشيخ عبدالقادر الجيلاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان 1401هـ، 1981.آ
- 241 الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني ، مع شرحه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني، كلاهما للشيخ أحمد عبدالرحمن البنا، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 242 فتح القدير، ابن الهمام، المطبعة الكبرى الأميرية.
- 243 الفتوحات الإلهية ، المعروف باسم (حاشية الجمل).
- 244 الفتوحات الإلهية على شرح المباحث الأصلية، العلامة ابن عجيبة.
- 245 الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، ابن علان الصديقي، مطبعة السعادة ، مصر 1347هـ.
- 246 الفتوحات المكية، الشيخ محي الدين بن عربي، مطبعة الميمنية، مصر ، 1329هـ.
- 247 فتوح الغيب ، الشيخ عبدالقادر الجيلاني، مطبعة شركة التمدن الصناعية، مصر ، 1330هـ.
- 248 فرائد اللآلئ من رسائل الغزالي، عني بتصحيحها محمد بخيت، 1344هـ.
- 249 الفرق بين الفرق عبدالقاهر البغدادي ، المكتبة المصرية.
- 250 الفروق ، القرافي، دار إحياء الكتب العربية.
- 251 الفقه الإسلامي وأدلته، الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر ، الطبعة الثالثة، 1404هـ، 1984.آ
- 252 فقه السنة، سيد سابق، دار الفتح، الإعلام العربي ، الطبعة الحادية عشرة، 1414هـ، 1994.آ
- 253 فقه السيرة النبوية ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر (بيروت - دمشق) الطبعة العاشرة 1411هـ، 1991.آ
- 254 في رحاب الله ، الشيخ احمد بهجت، مطبوعات الجديد.
- 255 فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ، دار الحديث ، القاهرة، 1093هـ.

- 256 القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، 1415هـ، 1994ء.
- 257 قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة، الشيخ العلامة المحدث أحمد بن عيسى البرنسي المغربي رحمه الله ، ضبط وتعليق فضيلة العلامة إبراهيم اليعقوبي ، مطبعة الملاح.
- 258 قوانين الأحكام الشرعية، محمد بن أحمد بن جزى المالكي، دار العلم للملايين، 1399هـ - 1979ء.
- 259 قوانين حكم الإشراف لكافة الصوفية في جميع الأفاق، أبو المواهب الشاذلي ، مطبعة مصر.
- 260 قوت القلوب في معاملة المحبوب، الشيخ أبو طالب المكي، تحقيق سعيد نسيب مكارم، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى 1995ء.
- 261 الكامل في الضعفاء ، عبدالله بن عدي، دار الفكر 1404هـ.
- 262 كرامات الأولياء، الشيخ أبو محمد الحسن بن محمد الخلال، حققه وعلق عليه عبدالجليل عطا، الطبعة الثانية 1412هـ، 1992ء.
- 263 الكشاف، الشيخ محمد بن عمر الزمخشري، دار الفكر ، الطبعة الأولى، 1397هـ، 1977ء.
- 264 كشف الأستار عن زوائد البزار، المحدث الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 265 كشف الخفا، العجلوني، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، 1408هـ، 1988ء.
- 266 كشف الظنون، حاجي خليفة، مطبعة مكتبة المثنى ، بغداد ، العراق.
- 267 كشف القناع على متن الإقناع، الشيخ البهوتي الحنبلي ، مكتبة النصر الحديثة، بيروت.
- 268 كنز العمال، علاء الهندي ، دار البلاغة، حلب، 1390هـ.
- 269 لباب التأمل في معاني التنزيل (تفسير الخازن) دار الفكر 1399هـ - 1979ء.
- 270 لسان العرب، ابن منظور، بولاق ، المطبعة المحمودية ، مصر ، 1290هـ.
- 271 لسان الميزان، ابن حجر، دار الفكر، بيروت ، الطبعة الأولى 1408هـ.

- 272 لطائف المنن والأخلاق ، الإمام الشعрани ، منشورات دار الحكمة، دمشق، 1405هـ،
1985.ã.
- 273 للامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي،
مكة الفارابي 1405هـ، 1985.ã.
- 274 لمحات عن التصوف، حامد البرغني ، مطبعة شباب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ،
1369هـ.
- 275 للمع، الطوسي، دار الكتب الحديثية ، مصر، 1380هـ - 1960.ã.
- 276 لللمعة في أجوبة الأسئلة السبعة، السيوطي .
- 277 مجلة لواء الإسلام، العدد الثاني ، شعبان، 1379هـ - 1990م ندوة لواء الإسلام،
التصوف الإسلامي .
- 278 مجلة المسلم، العشيرة المحمدية ، عدد ذي القعدة 1373هـ.
- 279 مجمع الزوائد ، الهيثمي ، تحقيق عبدالله درويش ، دار الفكر، 1412هـ - 1991.ã.
- 280 للمجموع، الإمام النووي ، ويليه فتح العزيز الوجيز ، ويليه التلخيص الجلي لابن حجر
العسقلاني ، دار الفكر .
- 281 مجموعة رسائل ابن عابدين .
- 282 للمجموعة النادرة لأبناء الآخرة، السيد محمد مهدي الرواس، تحقيق الشيخ عبدالحكيم
عبدالباسط، دار البشائر .
- 283 مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية، الطبعة الأولى 1398هـ.
- 284 للمحلى، ابن حزم الظاهري، دار إحياء التراث العربي .
- 285 مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، دار الهجرة، دمشق - بيروت 1409هـ -
1989.ã.

- 286 مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، تحقيق عماد عامر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى 1416هـ - 1996ع.
- 287 المدخل إلى التصوف، السيد محمود أبي الفيض، الدار القومية، القاهرة.
- 288 المدد، الشيخ عدنان ياسين، تقديم الشيخ حسين عسيران ومنير العجوز، تحقيق القاضي أحمد الزين.
- 289 المسائل الكافية، محمد يوسف الكافي التونسي، مطبعة حجازي، مصر، 1303هـ.
- 290 المستدرک للحاکم علی الصحیحین، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1411هـ - 1990ع.
- 291 المستصفى في علم الأصول، الإمام الغزالي، مطبعة مصطفى محمد.
- 292 مسلك ناجية الفطين في مراحل السالكين، الشيخ محمد مهدي بهاء الدين، جمع الشيخ عبدالحكيم عبدالباسط.
- 293 المسلمون في الهند، العلامة الكبير أبو الحسن الندوي.
- 294 مسند أبي عوانة، دائرة المعارف العثمانية، الهند، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الرابعة، 1985ع.
- 295 مسند أبي يعلى الموصلي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى.
- 296 مسند الإمام أحمد، دار صادر، بيروت، 1389هـ.
- 297 المسند الجامع، دار الجيل بيروت، الشركة المتحدة، الكويت، الطبعة الأولى 1413هـ - 1993ع.
- 298 مسند الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 299 مسند الشهاب القضاعي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1407هـ.
- 300 مسند عبد بن حميد (المنتخب منه) مكتبة السنة، مصر.
- 301 مسند الفردوس، الديلمي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- 302 مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب ، عبدالرحمن الأنصاري المعروف بالدباغ، دار صادر، بيروت، 1348هـ.
- 303 مشكاة المصابيح ، التبريزي ، المكتب الإسلامي .
- 304 مشكل الآثار، الطحاوي، دار صادر، الطبعة الأولى 1333هـ.
- 305 المصباح المنير، الفيومي ، المطبعة المنيرية، مصر ، 1912هـ.
- 306 مصنف ابن أبي شيبة الكوفي العسبي، تعليق سعيد اللحام، دار الفكر، 1414هـ - 1994هـ.
- 307 مصنف عبدالرزاق الصنعاني، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- 308 المطالب العالية، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت .
- 309 المعجم الأوسط، الطبراني تحقيق الطحان، مكتبة المعارف .
- 310 المعجم الصغير، الطبراني تحقيق سمارة دار إحياء التراث العربي .
- 311 المعجم الكبير، الطبراني، دار إحياء التراث العربي .
- 312 معجم المصطلحات الصوفية، الدكتور عبدالمنعم الحنفي ، دار المسيرة، بيروت ، الطبعة الأولى 1400هـ - 1982هـ.
- 313 المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، الدكتور . أ. ونستك .
- 314 المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي ، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1411هـ - 1991هـ.
- 315 معرفة السنن والآثار ، أحمد بن حسين البيهقي ، تحقيق أحمد صقر، مصر .
- 316 معيد النعم ومبيد النقم، السبكي، دار الكتاب العربي، مصر، 1367هـ.
- 317 المغني، ابن قدامة المقدسي، تحقيق د. عبدالله التركي، د. عبدالفتاح محمد الحلو، مطبعة هجر، الطبعة الثانية ، 1413هـ - 1992هـ.
- 318 المغير، الحافظ أحمد الغماري ، دار الرائد، بيروت 1402هـ .

- 319 مفاهيم يجب أن تصحح ، السيد محمد بن علوي المالكي ، وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف، الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الرابعة ، 1410هـ - 1990.هـ.
- 320 مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح، ابن عطاء الله السكندري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1381هـ.
- 321 المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني، المطبعة الخيرية، 1306هـ.
- 322 المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، الدكتور عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، 1413هـ - 1993.هـ.
- 323 المقاصد، الإمام النووي.
- 324 المقاصد الحسنة، السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى 1407هـ - 1987.هـ.
- 325 المقالات السنية، الشيخ عبدالله الهرري الحبشي، دار المشاريع ، بيروت ، 1413هـ - 1994.هـ.
- 326 مقدمة ابن خلدون، المطبعة البهية ، مصر.
- 327 مقدمة الشيخ عبدالحليم محمود على كتاب (غيث المواهب العلية شرح الحكم العطائية).
- 328 مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ابن الجوزي.
- 329 المنتقى ، ابن تيمية.
- 330 المنقذ من الضلال ، الإمام الغزالي، مطبعة صبيح، مصر.
- 331 من كنوز الإسلام، محمد فائز المط، الدار المتحدة، الطبعة العاشرة، 1413هـ - 1992.هـ.
- 332 هوارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، الحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي، المطبعة السلفية ، مصر.
- 333 الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، دار المعرفة ، بيروت 1416هـ - 1996.هـ.
- 334 لمواقف ، الأمير عبدالقادر الجزائري ، مطبعة الشباب 1344هـ.

- 335 المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، العلامة أحمد بن محمد القسطلاني، المكتب الإسلامي
1412هـ - 1991م.
- 336 موسوعة فقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، د. محمد رواس قلعجي، دار النفائس ،
الطبعة الثالثة، 1986م.
- 337 هوطاً الإمام مالك بن أنس ، رواية ابن قاسم ، وتلخيص القابسي، حققه محمد ابن علوي
ابن عباس المالكي، دار الشروق ، جدة ، الطبعة الثانية، 1988م.
- 338 موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، مصطفى صبري، دار إحياء
التراث العربي، بيروت ، الطبعة الثانية، 1401هـ - 1981م.
- 339 ميزان الاعتدال ، الذهبي ، دار المعرفة ، بيروت .
- 340 لميزان العادل ، الشيخ عبدالقادر عيسى دياب .
- 341 نزهة الفكر في سبحة الذكر ، الشيخ محمد عبدالحكي اللكنوي ، تحقيق حسين محمود
مخلف، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1387هـ - 1968م.
- 342 نسيم الرياض شرح شفاء القاضي عياض ، الشيخ شهاب الدين الخفاجي ، مكتبة المشهد
الحسيني، القاهرة، 1314هـ.
- 343 نشر المحاسن الغالية، اليافعي، مطبعة دار الكتب العربي، مصر، 1329هـ.
- 344 نصب الراية، الزيلعي ، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، 1407هـ.
- 345 النصر النبوية ، مصطفى المدني، مطبعة العامر، مصر ، 1416هـ.
- 346 النظام الخاص لأهل الاختصاص، الإمام أحمد الرفاعي قدس الله سره، حققه وعلق عليه
عبدالغني نكه مي، دار الكتاب النفيس، الطبعة الثانية، 1414هـ.
- 347 النكت البديعات، السيوطي، دار الجنان، بيروت، 1411هـ.
- 348 النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، المطبعة الخيرية بالقاهرة، 1318هـ.
- 349 حماية المحتاج في شرح المنهاج، الرملي ، دار الفكر، 1404هـ - 1989م.

- 350 نور التحقيق، حامد صقر، مطبعة دار التأليف ، مصر .
- 351 للنور المبين على المرشد المعين، محمد بن يوسف الكافي، المطبعة العمومية، دمشق ، 1357هـ.
- 352 نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، الإمام الشوكاني، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر .
- 353 الهداية ، المرغيناني ، مع فتح القدير، المطبعة الأميرية .
- 354 الهدية العلائية ، علاء الدين عابدين ، دار الفكر، دمشق 1380هـ.
- 355 هذا هو التصوف، رشيد ناجي الحسن ، دار اليمامة، الطبعة الأولى 1996هـ.
- 356 هذا والدي، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1416هـ - 1995هـ.
- 357 اللوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية ، مطبعة محمد صبيح وأولاده، القاهرة ، 1373هـ.
- 358 وحدة الوجود ، مصطفى كمال الشريف، مطبعة العلم، دمشق، 1390هـ.
- 359 للوسائل في شرح المسائل، الإمام جلال الدين السيوطي .
- 360 للوصايا، الشيخ محي الدين بن عربي، مطبعة كرم ، دمشق .
- 361 للوصايا، الحارث المحاسبي، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، 1384هـ.
- 362 اللبواقيت والجواهر، الإمام الشعراي، المطبعة الأزهرية ، مصر، 1305هـ.

الكشاف العام

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	

	المقدمة
	1. التصوف
	التوسل
	المدد
	المولد
	التبرك
	الحضرة
	الحركة بالذكر
	تقبيل اليد
	السيادة
	القيام
	الذكر الجهري
	الذكر بالاسم المفرد (الله)
	الدف
	السبحة
	الإنشاد والسماع
	وصول ثواب القرآن
	زيارة القبور
	الذكر مع الجماعة
	الحب في الله (الرابطه)
	المبايعة
	المرشد

	الصحة
	الفرقة الناجية
	الورد
	الفرق بين الكرامة والاستدراج
	الشطح
	وحدة الوجود
	الاتحاد والحلول
	حل الإشكالات حول الشيخ محي الدين بن عربي
	المجاهدة
	الطريقة والحقيقة
	السنة والبدعة
	الاستعانة بالقرآن العظيم
	المذاهب
	الأدب مع العلماء والصالحين
	حجاب المرأة المسلمة
	المصافحة بعد الصلاة
	صلاة الأوابين
	مس غير الطاهرين المصحف
	سنة الجمعة القبليّة
	صلاة الظهر بعد الجمعة
	صنع أهل الميت الطعام
	تلقين الميت بعد الدفن

	قضاء الفوائت
	الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الأذان
	تحريك الإصبع في التشهد
	صلاة التراويح
	التأويل وإثبات المجاز عند السلف
	الخاتمة
	الفهارس الفنية
	كشاف الآيات
	كشاف الأحاديث
	كشاف الأشعار
	كشاف المصادر والمراجع